

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تحقيق التوجه لله تعالى بكمال العبودية له وحده .

﴿التفسير﴾ :

سميت سورة الفاتحة لافتتاح كتاب الله بها ، وتسمى أم القرآن لاشتمالها على موضوعاته ، من أصول إيمان ، وعبادة ، وقصص وغير ذلك ، وهي أعظم سورة في القرآن كما ثبت عن النبي ﷺ .

﴿١﴾ أبدأ مستعیناً بالله على القراءة ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان من أسمائه تعالى مشتقان من الرحمة ، دالان على كمال الرحمة التي اتصف بها تعالى وسعتها ، حيث وسعت كل الأشياء ، وشملت كل الأحياء ، فكل ما هم فيه من نعم فمن آثار رحمته ، وأعظم ما تكون الرحمة وأكملها بالمؤمنين .

﴿٢﴾ الثناء التام لله ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله ؛ لأنه خالق الخلق كلهم ، ومالكهم ومدبر شؤونهم ، ومربيهم بنعمه العامة والخاصة .

﴿٣﴾ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان له تعالى مشتقان من الرحمة ، دالان على كمال رحمته بعباده ، وأعظم ما تكون رحمته بعباده المؤمنين به .

﴿٤﴾ مالك يوم الحساب والجزاء ، وهو يوم القيامة ، حيث يحاسب كل الخلق على أعمالهم ، ويجازون عليها ، وفي ذلك اليوم ينادي الله تعالى : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر : ١٦] ، فلا يجيب أحد مهما علت مكانته ، وعندها يقول تعالى مجيباً ذاته : ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر : ١٦] .

﴿٥﴾ نخصك وحدك بأنواع العبادة والطاعة ، فلا نشرك معك غيرك ، ومنك وحدك نطلب العون في كل شؤوننا ، فبيدك الخير كله ، ولا معين سواك .

﴿٦﴾ أرشدنا ووفقنا إلى سلوك الطريق المستقيم طريق الإسلام الذي لا مِثْلَ فيه ، وثبتنا عليه .
﴿٧﴾ طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك بهدایتهم ؛ كالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسَنَ أولئك رفيقاً ، غير طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه كاليهود ، وغير طريق الضالين عن الحق الذين لم يهتدوا إليه لتفريطهم في طلب الحق والاهتداء إليه كالنصارى .

﴿فوائد من الآيات﴾ :

- ١ - افتتح الله تعالى كتابه بالبسملة ؛ ليرشد عباده أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم بها طلباً لعونه وتوفيقه .
- ٢ - سورة الفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله تعالى ؛ لأنها تضمنت أنواع التوحيد الواجب له تعالى ، وبيان الطريق الموصل إليه .
- ٣ - الحمد الأتم والثناء الأكمل لا يكون إلا لله تعالى ؛ لأنه رب الخلق كلهم الذي أوجدهم ، وصرف شؤونهم ، ورباهم بنعمه .
- ٤ - دلت السورة على أن كمال الإيمان يكون بإخلاص العبادة لله تعالى وطلب العون منه وحده دون سواه .
- ٥ - يجب على المسلم أن يحذر سبيل اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين .

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

إعداد الأمة لعمارة الأرض والقيام بدين الله،
وبيان أقسام الناس، وفيها أصول الإيمان
وكليات الشريعة.

﴿التفسير﴾:

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة
بقرة بني إسرائيل فيها.

﴿المر﴾ هذه من الحروف التي افتتحت
بها بعض سور القرآن، وهي حروف لا معنى
لها، ولها مغزى، أما كونها لا معنى لها
فلأن الحرف عند العرب لا معنى له، وأما
كونها لها مغزى فلأنه لا يوجد في القرآن ما
لا حكمة له، ومن أهم حكمها: الإشارة إلى
التحدي بهذا القرآن الذي يتكوّن من الحروف
التي تتكوّن منها الكلمات التي تتكلمونها؛
لذا يغلب عليها أن يأتي بعدها أمر يتعلق
بالقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

﴿المر﴾ ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة
مصدره، ولا من حيث معناه، فهو كلام الله،
يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

﴿المر﴾ الذين يؤمنون بالغيب وهو كل ما لا

يدرك بالحواس وغاب عنا، مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة
بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما رزقهم الله،
بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي
أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تفريق، وهم الذين يؤمنون
إيمانًا جازمًا بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

﴿المر﴾ هؤلاء المتصفون بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بنيلهم ما
يرجون ونجاتهم مما يخافون.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - تضمن القرآن الكريم أنواعًا من الأدلة القاطعة لكل شك، الدالة على أن تنزيله من لدن حكيم عليم.
- ٢ - لا ينتفع بما في القرآن الكريم من الهدايا العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.
- ٣ - من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب؛ لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تفرد بعلمه من الغيب،
ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.
- ٤ - كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنَّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما
عنوان السعادة والنجاة.
- ٥ - الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورث الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

ولما بَيَّنَّ الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهريهم وباطنيهم، ذكر صفات الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم، فقال: ﴿٦﴾ إِنْ الَّذِينَ جَعَلُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُمْسِكِينَ عَلَى ضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنْ تَذَارَكَ لَهُمْ وَعَدَمَهُ سَوَاءٌ.

﴿٧﴾ لِأَنَّ اللَّهَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَأَغْلَقَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ بَاطِلٍ، وَطَبَعَ عَلَى سَمْعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعَ قَبُولٍ وَانْقِيَادٍ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِطَاءً فَلَا يَبْصُرُونَ الْحَقَّ مَعَ وَضُوحِهِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ولما بَيَّنَّ الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم؛ بَيَّنَّ صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهريهم فيما يبدو للناس، فقال: ﴿٨﴾

وَمِنَ النَّاسِ طَائِفَةٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، يَقُولُونَ ذَلِكَ بِالْسُّنَنِ خَوْفًا عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ كَافِرُونَ.

﴿٩﴾ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ وَإِطْغَانِ الْكُفْرِ، وَهُمْ لَا يَخْدَعُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَقَدْ أَطْلَعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِفَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

﴿١٠﴾ وَالسَّبَبُ أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ شُكًّا، فَزَادَهُمُ اللَّهُ شُكًّا إِلَى شُكِّهِمْ، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ،

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى

أَبْصَارِهِمْ غَشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُوا الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا

مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ

بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، بِسَبَبِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿١١﴾ وَإِذَا نَهَاوْا عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بِالْكُفْرِ وَالذُّنُوبِ وَغَيْرِهَا؛ أَنْكَرُوا وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ هُمْ أَصْحَابُ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ.

﴿١٢﴾ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ هُمْ أَصْحَابُ الْإِفْسَادِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ فَعْلَهُمْ عَيْنُ الْفُسَادِ.

﴿١٣﴾ وَإِذَا أُمِرُوا بِالْإِيمَانِ كَمَا ءَامَنَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ أَجَابُوا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِنْكَارِ وَالْاسْتِهْزَاءِ بِقَوْلِهِمْ:

أَنُؤْمِنُ كَمَا يُؤْمِنُ السُّفَهَاءُ. وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ.

﴿١٤﴾ وَإِذَا التَّقْوَى الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: صَدَّقْنَا بِمَا تَزْعُمُونَ بِهِ، يَقُولُونَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا انْصَرَفُوا مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ إِلَى رُؤْسَائِهِمْ مُتَفَرِّدِينَ بِهِمْ، قَالُوا مُؤَكِّدِينَ ثَبَاتَهُمْ عَلَى مُتَابَعَتِهِمْ لَهُمْ: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى طَرِيقَتِكُمْ، وَلَكِنَّا

نُؤَافِقُ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا سَخِرِيَّةً بِهِمْ وَاسْتِهْزَاءً.

﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فِي مَقَابِلَةِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، جِزَاءً لَهُمْ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ، وَلِهَذَا أُجْرِيَ لَهُمْ أَحْكَامُ

الْمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، كَمَا يَمْلِكُ لَهُمْ لِيَتِمَادُوا فِي ضَلَالِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَيَقْبُحُوا حَاضِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ.

﴿١٦﴾ أُولَئِكَ هُمُ السُّفَهَاءُ لِأَنَّهُمْ اسْتَبَدَلُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ؛ لِخَسَارَتِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الْحَقِّ.

﴿١٧﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ:

١ - أَنْ مِنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ لَا تَنْفَعُ مَعَهُمُ الْآيَاتُ وَإِنْ عَظُمَتْ.

٢ - أَنْ إِمْهَالَ اللَّهِ تَعَالَى لِلظَّالِمِينَ الْمَكْذِبِينَ لَمْ يَكُنْ عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ عَجْزٍ عَنْهُمْ، بَلْ لِيُزَادُوا إِثْمًا، فَتَكُونَ عَقُوبَتُهُمْ أَعْظَمَ.

﴿٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثل ناري، ومثل مائي، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها وظن أنه ينتفع بضوئها خمدت، فذهب ما فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً.

﴿٨﴾ فهم صم لا يسمعون الحق سماع قبول، بكم لا ينطقون به، عمي عن إبصاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم دعر شديد، فجعلوا يصدون آذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محيط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿١٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيء بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الآذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثلين؛ هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري لم يستفد مستوقداً غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروعههم ويزعجههم من الرعد والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إليهم إلى إفراده بالعبادة، فقال: ﴿١١﴾ يا أيها الناس اعبدوا ربكم وحده دون سواه؛ لأنه الذي خلقكم وخلق الأمم السابقة لكم، رجاء أن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية؛ بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿١٢﴾ فهو الذي جعل لكم الأرض يساًطاً ممهداً، وجعل السماء من فوقها محكمة البنيان، وهو المنعم بإنزال المطر، فأثبت به مختلف الثمار من الأرض، لتكون رزقاً، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالا وأنتم تعلمون أنه لا يستحق العبادة غيره ﷻ.

﴿١٣﴾ وإن كنتم - يا أيها الناس - في شك من القرآن المنزل على عبدنا محمد ﷺ، فتحداكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطعتم من أنصاركم إن كنتم صادقين فيما تدعونه.

﴿١٤﴾ فإن لم تفعلوا ذلك، ولن تقدروا عليه أبداً، فأتقوا النار التي توقد بالناس المستحقين للعذاب، وبالحجارة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فأوقدت بالعابد والمعبود، هذه النار قد أعدها الله وهيبها للكافرين.

﴿١٥﴾ فإنا من الآيات:

١ - أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.

٢ - من أعظم الأدلة على وجوب إفراذ الله بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسخرًا لنا.

٣ - عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.

﴿٥٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين؛ فبشر أيها النبي المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات؛ بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطعموا من ثمارها الطيبة رزقاً؛ قالوا من شدة الشبه بثمار الدنيا: هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقدمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يقبلوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرأة من كل ما تنفر منه النفس، ويستقذرون طبعاً مما يتصور في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع.

﴿٥٦﴾ إن الله ﷻ لا يمنعه الحياء من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكبر أو دونها في الصغر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أن من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحقةرة؛ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختباراً للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب

اعتاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقاً للضلال، وهم الخارجون عن طاعته.

﴿٥٧﴾ الذين يتقصون عهد الله الذي أخذهم بعبادته وحده واتباع شريعته، وذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا هَدْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَكُنْتُمْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وأكد بآرسال الرسل وإنزال الكتب، هؤلاء الذين يتنكرون لعهود الله يتصفون بأنهم يقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

﴿٥٨﴾ إن أمركم - أيها الكفار - لعجب! كيف تجحدون وحدانية الله تعالى، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدماً لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم المودة الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم.

﴿٥٩﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يحصى عدده، وأنتم تنتفعون به وتستمتعون بما سخره لكم، ثم قصد إلى السماء فخلقهن مستويات سبع سماوات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿٦٠﴾ فإذ من الآيات:

١ - من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التنغيص، ولا يخالطها أي أذى.

٢ - الأمثال التي يضرها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.

٣ - من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله تعالى بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.

٤ - الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

﴿٢٠﴾ يخبر الله تعالى نبيه والناس أيضًا أنه سبحانه قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشرًا يخلف بعضهم بعضًا، للقيام بعمارتها على طاعة الله، فسأل الملائكة ربهم - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلمًا، قائلين: ونحن أهل طاعتك، ننزهك حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفتر عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٢١﴾ وليبيان منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد؛ ألفاظها ومعانيها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة قائلاً: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيما تقولون أنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٢٢﴾ قالوا - مغترفين بنقصهم مُرجعين الفضل إلى الله -: نُنزهك يا ربنا عن الاعتراض عليك في حكمك وشرعك، فنحن لا نعلم شيئاً إلا ما رزقنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم في قدرك وشرعك.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سَائِجِدُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكَنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٦﴾ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ قَاتِلَةٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابِغُ الرَّجِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿٢٣﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أقل لكم: إني أعلم ما خفي في السماوات وفي الأرض، وأعلم ما تظهرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم.

﴿٢٤﴾ يبين الله تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامثال أمر الله، إلا ما كان من إبليس الذي كان أصلاً من الجن، لكنه لكثرة عبادته الحق الله بالملائكة، ثم عاد إلى طبعه حيث امتنع اعتراضاً على أمر الله له بالسجود وتكبراً على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى.

﴿٢٥﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكلا منها أكلاً هنيئاً واسعاً لا مُنْعَص فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعصيان ما أمركم به.

﴿٢٦﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين؛ حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمتع بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي أجالكم، وتقوم الساعة.

﴿٢٧﴾ فأخذ آدم ما ألقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا طَلَعْنَا نَأْكُلُ مِنْ شَجَرِهِ وَإِنَّا لَنَرُّوهُ﴾ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيم بهم.

﴿٢٩﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره.
- ٢ - رفع القرآن الكريم منزلة العلم، وجعله سبباً للتفضيل بين الخلق.
- ٣ - الكبير هو رأس المعاصي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عصي الله بها.

﴿٣٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعاً من الجنة إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي رسلي، فمن اتبعها، وأمن برسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٣٩﴾ وأما الذين جحدوا وكذبوا بآياتنا؛ فأولئك هم أصحاب النار المقيمون فيها.

﴿٤٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبرسلي، والعمل بشرائعي، فإن وفيتهم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإياي وحدي فخافوني ولا تنقضوا عهدي.

﴿٤١﴾ وآمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقاً لما جاء في التوراة قبل تحريفها في شأن توحيد الله، ونبوة محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمناً قليلاً من جاه ورئاسة، واتقوا غضبي وعذابي.

﴿٤٢﴾ ولا تخطوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به ويقينكم منه.

﴿٤٣﴾ وأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها

﴿٣٨﴾ فَلَنَأْهِيظُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُو الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وسنتها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ. ﴿٤٩﴾ ما أتبع أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم، وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تتدفعون بعقولكم؟!

﴿٥٠﴾ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر وبالصلاة التي تقربكم إلى الله وتصلكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٥١﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم إليه راجعون ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٥٢﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنبوة والملك.

﴿٥٣﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا تُقبل فيه شفاعة أحد بدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله، ولا يؤخذ فداء ولو كان ملء الأرض ذهباً، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فأين المفر؟!

﴿٥٤﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.

٢ - الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونه كلها.

٣ - في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشفعاء ولا الفداء، ولا ينفعه إلا عمله الصالح.

﴿٤٨﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين أنقذناكم من أتباع فرعون الذين كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛ حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا يكون لكم بقاء، ويتركون نساءكم أحياء ليخدمهم إمعاناً في إذلالكم وإهانتكم، وفي إنجائكم من بطش فرعون وأتباعه اختبار عظيم من ربكم لكم لعلكم تشكرون.

﴿٤٩﴾ واذكروا من نعمنا عليكم أن شققنا لكم البحر فجعلناه طريقاً يابساً تسيرون فيه، فأنجيناكم، وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

﴿٥٠﴾ واذكروا من هذه النعم مواعدتنا موسى أربعين ليلة ليقيم فيها إنزال التوراة نوراً وهدى، ثم ما كان منكم إلا أن عبدتم العجل في تلك المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا.

﴿٥١﴾ ثم تجاوزنا عنكم بعد توبتكم، فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله بحسن عبادته وطاعته.

﴿٥٢﴾ واذكروا من هذه النعم أن آتينا موسى ﷺ التوراة فرقاناً بين الحق والباطل وتمييزاً بين الهدى والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

﴿٥٣﴾ واذكروا من هذه النعم أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل، حيث قال موسى ﷺ

لكم: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً تعبدونه، فتوبوا وارجعوا إلى خالقكم، وذلك بأن يقتل بعضهم بعضاً؛ والتوبة على هذا النحو خير لكم من التماسي في الكفر المؤدي إلى الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير التوبة رحيم بعباده.

﴿٥٤﴾ واذكروا حين قال آباؤكم مخاطبين موسى ﷺ بجرأة: لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً لا يُحجب عنا، فأخذتكم النار المحرقة، فقتلتكم وبعضكم ينظر إلى بعض، ثم أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

﴿٥٥﴾ ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا السحاب يظلكم من حر الشمس لما تُهْتَمُّ في الأرض، وأنزلنا عليكم المَنَّ وهو شراب حلومثل العسل، والسَّلْوَى وهو طائر صغير طيب اللحم، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما نقصونا شيئاً بجحدهم هذه النعم وكفرانها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتعريضها للعقاب.

﴿٥٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - عِظْمُ نَعْمِ اللَّهِ وَكَثْرَتِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَعَ هَذَا لَمْ تَزِدْهُمْ إِلَّا تَكَبُّراً وَعِنَاداً.

٢ - سَعَةُ حِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بَعَادَهُ، وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُمْ.

٣ - الْوَحْيُ هُوَ الْفَيْضُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلًا هنيئًا واسعًا، وكونوا في دخولكم راكعين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا خط عنا ذنوبنا؛ نستجب لكم، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم ثوابًا على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرفوا القول، فدخلوا يزحفون على أديبارهم، وقالوا: حبة في شعرة، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذابًا من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في الثنية، ونالكم العطش الشديد، فتضرع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه تفجرت منه اثنتا عشرة عينًا بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبيتنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسعوا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فملئتم من أكل ما أنزل الله عليكم من المَنِّ والسَّلوى، وقلتم: لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو الله أن يخرج لكم من نبات الأرض من يقولها وتحضرها وقثائها (يشبه الخيار لكنه أكبر) وجوبها وعدسها وبصلها طعامًا؛ فقال موسى ﷺ مستكبرًا طلبكم أن تستبدلوا الذي طلبتم وهو أقل وأدنى، بالمَنِّ والسَّلوى وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب؛ انزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتهم في حقولها وأسواقها. وابتاعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لآزهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلمًا وعدوانًا، كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرفها فيه شبه من اليهود، وهو متوعد بعقوبة الله تعالى.
- ٢ - الاستهزاء بشرع الله تعالى وأمره من أخلاق اليهود التي استحقوا بها العقوبة الشديدة.
- ٣ - عَظُمَ فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- ٤ - كلما عَظُمَت نعمة الله على العبد عَظُمَ ما يجب عليه من الشكر، فإذا كفر بها كان كفرانه أشد جريمة وأبلغ عقوبة.
- ٥ - أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلب الأعداء عليه.

﴿٥٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا بِمَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسًا أَنْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ الْبَاسُ يَوْمَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾

﴿٥٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْرًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا بِمَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسًا أَنْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ الْبَاسُ يَوْمَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾

- ١ - كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرفها فيه شبه من اليهود، وهو متوعد بعقوبة الله تعالى.
- ٢ - الاستهزاء بشرع الله تعالى وأمره من أخلاق اليهود التي استحقوا بها العقوبة الشديدة.
- ٣ - عَظُمَ فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- ٤ - كلما عَظُمَت نعمة الله على العبد عَظُمَ ما يجب عليه من الشكر، فإذا كفر بها كان كفرانه أشد جريمة وأبلغ عقوبة.
- ٥ - أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلب الأعداء عليه.

﴿١٢﴾ إِنْ مِنْ آمَنٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَذَلِكَ مِنْ آمَنٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى وَصَابِئَةٍ - وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَتْبَاعِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ قِيلَ: كَانُوا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ؑ - لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا. وَهَذَا الْحُكْمُ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا بَعْدَ بَعْثِهِ فَإِنَّ الدِّينَ الْمَرْضِيَّ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ، لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿١٣﴾ وَاذْكُرُوا مَا أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَرَفَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَكُمْ تَخْوِيفًا لَكُمْ وَتَحْذِيرًا مِنْ تَرْكِ الْعَمَلِ بِالْعَهْدِ، آمَرِينَ لَكُمْ بِأَخْذِ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ، دُونَ تَهَاوُنٍ وَكُسَلٍ، وَاحْفَظُوا مَا فِيهِ وَتَدَبَّرُوهُ؛ لَعَلَّكُمْ بِفَعْلِ ذَلِكَ تَتَّقُونَ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٤﴾ فَمَا كَانَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْ أَعْرَضْتُمْ وَعَصَيْتُمْ بَعْدَ أَخْذِ الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ عَلَيْكُمْ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْكُمْ، وَرَحْمَتِهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِكُمْ؛ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْإِعْرَاضِ وَالْعَصْيَانِ.

﴿١٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ خَيْرَ أَسْلَافِكُمْ عَلَمًا لَا لِبَسَ فِيهِ؛ حَيْثُ اعْتَدُوا بِالصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَاجْتَهَدُوا يَوْمَ الْإِسْلَامِ؛ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ قُرْدَةً مَنبُودِينَ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى تَحَالِيهِمْ.

﴿١٦﴾ فَجَعَلْنَا هَذِهِ الْقَرْيَةَ الْمَعْتَدِيَةَ عِبْرَةً لِمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْقُرَى، وَعِبْرَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا؛ حَتَّى لَا يَعْمَلَ بِعَمَلِهَا فَيَسْتَحِقَّ عَقُوبَتَهَا، وَجَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ وَانْتِقَامَهُ لِمَنْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ.

﴿١٧﴾ وَاذْكُرُوا مِنْ خَيْرِ أَسْلَافِكُمْ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوسَى ؑ، حَيْثُ أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا بَقْرَةً مِنَ الْبَقَرِ، فَبَدَلُوا مِنَ الْمَسَارَعَةِ قَالُوا مُتَعَتِّينَ: أَتَجْعَلُنَا مَوْضِعًا لِلْإِسْتِهْزَاءِ! فَقَالَ مُوسَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِالنَّاسِ.

﴿١٨﴾ قَالُوا لِمُوسَى: ادْعُ لَنَا رِبْكَ حَتَّى يَبِينَ لَنَا صِفَةُ الْبَقْرَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِذَبْحِهَا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَيْسَتْ كَبِيرَةً السِّنِّ وَلَا صَغِيرَةً، وَلَكِنْ وَسْطٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَبادَرُوا بِامْتِثَالِ أَمْرِ رَبِّكَ.

﴿١٩﴾ فَاسْتَمَرُوا فِي جِدَالِهِمْ وَتَعَتُّتُهُمْ قَائِلِينَ لِمُوسَى ؑ: ادْعُ رِبْكَ حَتَّى يَبِينَ لَنَا مَا حَقِيقَةُ لَوْنِهَا، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ شَدِيدَةُ الصَّفَرِ، تَعْجَبُ كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

﴿٢٠﴾ فَإِلَّا مِنْ الْآيَاتِ:

١ - قَدْ يُعَجِّلُ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ لِتَكُونَ تَذَكُّرَةً يَتَعَذَّبُ بِهَا النَّاسُ فَيَحْذَرُوا مَخَالَفَةَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - تَحْرِيمُ الْإِحْتِيَالِ عَلَى الشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخَادَعُ.

٣ - أَنَّ مِنْ ضَيِّقٍ عَلَى نَفْسِهِ وَشَدَدٍ عَلَيْهَا فِيمَا وَرَدَ مُوسَعًا فِي الشَّرِيعَةِ قَدْ يُعَاقَبُ بِالتَّشْدِيدِ عَلَيْهِ.

﴿٧٠﴾ ثم تمادوا في تعنتهم قائلين: ادع لنا ربك حتى يبين لنا مزيداً من صفاتها؛ لأن البقر المتصف بالصفات المذكورة كثير لا يستطيعون تعيينها من بينها، مؤكدين أنهم - إن شاء الله - مهتدون إلى البقرة المطلوب ذبحها.

﴿٧١﴾ فقال لهم موسى: إن الله يقول: إن صفة هذه البقرة أنها غير مدللة بالعمل في الحراثة، ولا في سقاية الأرض، وهي سالمة من العيوب، ليس فيها علامة من لون آخر غير لونها الأصفر، وعندئذ قالوا: الآن جئت بالوصف الدقيق الذي يعين البقرة تماماً، وذبحوها بعد أن أوشكوا ألا يذبحوها بسبب الجدل والتعنت.

﴿٧٢﴾ واذكروا حين قتلتم واحداً منكم فتدافعتم، كل يدفع عن نفسه تهمة القتل، ويرمي بها غيره، حتى تنازعتم، والله مخرج ما كنتم تخفونه من قتل ذلك البريء.

﴿٧٣﴾ فقلنا لكم: اضربوا القتل بجزء من البقرة التي أمرتم بذبحها؛ فإن الله سيحييه لينبئ من القاتل! ففعلوا ذلك فأخبر بقاتله. ومثل إحياء هذا الميت يحيي الله الموتى يوم القيامة، ويريك الدلائل البينة على قدرته، لعلمكم تعقلونها فتؤمنون حقاً بالله تعالى.

﴿٧٤﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَأَلْقَنَّا بِالْحَقِّ فَدَجَّوْهَا وَمَا كَادُوا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٧﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَىٰ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٩﴾ أَفَتَعْظُمُونَ أَنَّ يَوْمَنُوكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمِيعًا لَّا عَلَىٰكُمْ لِحَاجَتُهُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٤﴾ ثم قست قلوبكم من بعد هذه المواعظ البليغة والمعجزات الباهرة، حتى صارت مثل الحجارة، بل أشد صلابة منها؛ فهي لا تتحول عن حالها أبداً، وأما الحجارة فتتغير وتتحول، فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يتشقق فيخرج منه الماء ينابيع جارية في الأرض، يتفجع بها الناس والدواب، ومنها ما يسقط من أعالي الجبال خشية من الله ورهبة، وليست كذلك قلوبكم، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو عالم به، وسيجازيكم عليه.

﴿٧٥﴾ لا تتوقعوا - أيها المؤمنون - بعد أن علمتم حقيقة حال اليهود وعنادهم أن يؤمنوا، ويستجيبوا لكم! وقد كان جماعة من علمائهم يسمعون كلام الله المنزل عليهم في التوراة؛ ثم يغيرون ألفاظها ومعانيها بعد فهمهم لها ومعرفتهم بها، وهم يعلمون عظم جريمتهم.

﴿٧٦﴾ من تناقضات اليهود ومكرهم أنهم إذا لقي بعضهم المؤمنين اعترفوا لهم بصدق النبي محمد ﷺ وصحة رسالته وهو ما تشهد له التوراة، ولكن حين يخلو اليهود بعضهم ببعض يتلاومون فيما بينهم بسبب هذه الاعترافات؛ لأن المسلمين يقيمون عليهم بها الحجة فيما صدر عنهم من الاعتراف بصدق النبوة.

﴿٧٧﴾ فَوَافِرٌ مِّنَ الْآيَاتِ:

١ - أن بعض قلوب العباد أشد قسوة من الحجارة الصلبة؛ فلا تلين لموعظة، ولا ترق لذكرى.

٢ - أن الدلائل والبيانات - وإن عظمت - لا تنفع إن لم يكن القلب مستسلماً خاشعاً لله.

٣ - كشفت الآيات حقيقة ما انطوت عليه أنفس اليهود، حيث توارثوا الرعونة والخداع والتلاعب بالدين.

﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسلكون هذا المسلك المشين وكأنهم يغفلون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة لا يعرفون القراءة والكتابة، لا يعلمون التوراة وما جاءت به ودلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبرائهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون - كذباً -: هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمنًا زهيدًا في الدنيا، مثل المال والرياسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتبته أيديهم، مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورياسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا - كذبًا وغرورًا -: لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أيامًا قليلة، قل - أيها النبي - لهؤلاء: هل أخذتم على ذلك وعدًا مؤكدًا من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف عهده، أم أنكم تقولون على الله - كذبًا وزورًا - ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء؛ فإن الله

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ نَحْنُ بِمِلَّةٍ قَلِيلَةٍ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَتَمْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَنفُسِكُمْ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به ذنوبه من كل جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازمتها، ماكثين فيها أبدًا.

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازمتها، ماكثين فيها أبدًا.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل - العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توحداوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلامًا حسنًا، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر بلا غلظة وشدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقيها طيبة بها أنفسكم، فما كان منكم بعد هذا العهد إلا أن انصرفتم معرضين عن الوفاء بما أخذ عليكم.

﴿٨٤﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْيَاثِرِ:

- ١ - بعض أهل الكتاب يدعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- ٢ - من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله؛ فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- ٣ - غرَّ اليهود وأضلَّهم ما خَصَّهم الله به من النعم، فظنوا جهلاً منهم بالله وحكمته أنه لا يعذبهم بعد ما أنعم عليهم بتلك النعم.
- ٤ - مع عظم الموانئ التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها لم يزدهم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.

﴿٨٤﴾ واذكروا العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم في التوراة من تحريم إراقة بعضكم دماء بعض، وتحريم إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم، ثم اعترفتم بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

﴿٨٥﴾ ثم أنتم تخالفون هذا العهد؛ فيقتل بعضكم بعضاً، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم مستعنيين عليهم بالأعداء ظلماً وعدواناً، وإذا جاؤوكم أسرى في أيدي الأعداء سعيتم في دفع الفدية لتخليصهم من أسرهم، مع أن إخراجهم من ديارهم محرّم عليكم، فكيف تؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب فداء الأسرى، وتكفرون ببعض ما فيها من صيانة الدماء، ومنع إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم؟! فليس للذي يفعل ذلك منكم جزاء إلا الذل والمهانة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يُردّ إلى أشد العذاب، وليس الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، وسيجازيكم به.

﴿٨٦﴾ أولئك الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، إيثاراً للنفاني على الباقي، فلا يُخفف عنهم العذاب في الآخرة، وليس لهم ناصر ينصرهم يومئذ.

﴿٨٧﴾ ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل

وَأَذِّنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْثُونٌ مِنْ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

من بعده على أثره، وآتينا عيسى ابن مريم الآيات الواضحة المبينة لصدقه؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكف والأبرص، وقويناه بالملك جبريل ﷺ، أفكلما جاءكم - يا بني إسرائيل - رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم استكبرتم على الحق، وتعاليتم على رسل الله؛ ففريقاً منهم تكذبون، وفريقاً تقتلون؟! ﴿٨٨﴾

لقد كانت حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﷺ قولهم: إن قلوبنا مغلفة لا يصل إليها شيء مما تقول ولا تفهمه، وليس الحال كما زعموا، بل طردهم الله من رحمته بكفرهم فلا يؤمنون أبداً.

﴿٨٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ:

- ١ - من أعظم الكفر: الإيمان ببعض ما أنزل الله والكفر ببعضه؛ لأن فاعل ذلك قد جعل إلهه هواه.
- ٢ - عظم ما بلغه اليهود من العناد، واتباع الهوى، والتلاعب بما أنزل الله تعالى.
- ٣ - فضل الله تعالى ورحمته بخلقه، حيث تابع عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم للرشاد.
- ٤ - أن الله يعاقب المعرضين عن الهدى المعاندين لأوامره بالطبع على قلوبهم وطردهم من رحمته؛ فلا يهتدون إلى الحق، ولا يعملون به.

﴿٨٩﴾ ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون: سننتصر على المشركين ويُفتح لنا حين يُبعث نبي فنؤمن به ونتبعه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه؛ كفروا به، فلعنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

﴿٩٠﴾ يتبس الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله؛ فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا بسبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريفهم التوراة من قبل. وللکافرين بنوة محمد ﷺ عذاب مذل يوم القيامة.

﴿٩١﴾ وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما سواه مما أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لما معهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين حقًا بما جاؤوكم به من الحق.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَن يُزِيلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءٌ وَغِيظٌ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْوِيلُ مَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٩٢﴾ ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه؛ ثم بعد ذلك جعلتم العجل إلهاً تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه. ﴿٩٣﴾ واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويفًا لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذاننا وعصينا بأفعالنا، وتمكنتم عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل - أيها النبي -: يتبس الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر والإعراض عن أمر الله إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر وإعراض.

﴿٩٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

- ١ - اليهود أعظم الناس حسدًا، إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.
- ٢ - معرفة اليهود للحق الذي نزل على نبينا معرفة تامة، ولكنهم كفروا به حسدًا وبغيًا من عند أنفسهم.
- ٣ - أن الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.
- ٤ - من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.
- ٥ - مع كثرة ما أخذ الله على اليهود والعهد والمواثيق المؤكدة إلا أنهم نقضوا العهد، وأخلفوا الوعد مرات كثيرة.

﴿٩٤﴾ قل - أيها النبي -: إن كانت لكم - يا يهود - الجنة في الدار الآخرة خالصة لا يدخلها غيركم من الناس؛ فتمنوا الموت واطلبوه؛ لتنالوا هذه المنزل بسرعة، وتستريحوا من أعباء الحياة الدنيا وهمومها، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه.

﴿٩٥﴾ ولن يتمنوا الموت أبدًا؛ بسبب ما قدموه في حياتهم من الكفر بالله، وتكذيب رسله، وتحريف كتبه، والله عليم بالظالمين منهم ومن غيرهم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٩٦﴾ ولتجدن - أيها النبي - اليهود أشد الناس حرصًا على الحياة مهما كانت حقيرة ذليلة، بل هم أحرص من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، ومع كونهم أهل كتاب، ويؤمنون بالبعث والحساب؛ فإن الواحد منهم يحب أن يبلغ عمره ألف سنة، وليس بمبعده عن عذاب الله طول عمره مهما بلغ، والله مطلع على أعمالهم بصير بها، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بها.

﴿٩٧﴾ قل - أيها النبي - لمن قال من اليهود: «إن جبريل عدونا من الملائكة»: من كان معاديًا لجبريل فإنه هو الذي نزل بالقرآن على قلبك بإذن من الله، مصدق لما سبق من الكتب الإلهية؛ كالطورا والإنجيل، ودالًا على

الخير، ومبشرًا للمؤمنين بما أعده الله لهم من النعيم، فمن كان معاديًا لمن هذه صفته وعمله فهو من الضالين.

﴿٩٨﴾ من كان معاديًا لله وملائكته ورسله، ومعاديًا للملكين المقربين: جبريل وميكائيل؛ فإن الله عدو للكافرين منكم ومن غيركم، ومن كان الله عدوه فقد عاد بالخسران المبين.

﴿٩٩﴾ ولقد أنزلنا إليك - أيها النبي - علامات واضحات على صدقك فيما جئت به من النبوة والوحي، وما يجحد بها مع وضوحها وبيانها إلا الخارجون عن دين الله.

﴿١٠٠﴾ ومن سوء حال اليهود أنهم كلما أخذوا على أنفسهم عهدًا - ومن جملته الإيمان بما دلت عليه التوراة من نبوة محمد ﷺ - نقضه فريق منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بما أنزل الله تعالى حقيقة؛ لأن الإيمان يحمل على الوفاء بالعهد.

﴿١٠١﴾ ولما جاءهم محمد ﷺ رسول من عند الله موافق لما في التوراة من صفته، أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوا وراء ظهورهم غير مباليين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا يتفجع بما فيها من الحق والهدى، فلا يبالي بها.

﴿١٠٢﴾ فإذ من الآيات:

١ - المؤمن الحق يرجو ما عند الله من النعيم المقيم، ولهذا يفرح بلقاء الله ولا يخشى الموت.

٢ - حرص اليهود على الحياة الدنيا حتى لو كانت حياة حقيرة مهينة غير كريمة.

٣ - أن من عادى أولياء الله المقربين منه فقد عادى الله تعالى.

٤ - إعراض اليهود عن نبوة محمد ﷺ بعد ما عرفوا تصديقه لما في أيديهم من الكتب.

٥ - أن من لم يتفجع بعلمه صح أن يوصف بالجهل؛ لأنه شابه الجاهل في جهله.

﴿٩٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾ وَلِتَجِدْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوْذِ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحَّزٍ بِهِ مِنْ أَلْعَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٨﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَدَّلَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّلُوا فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿١٣٦﴾ وَلَمَّا تَرَكُوا دِينَ اللَّهِ اتَّبَعُوا بَدْلًا عَنْهُ مَا تَتَّقُوهُ الشَّيَاطِينُ كَذِبًا عَلَى مُلْكِ نَبِيِّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث زعمت أنه ثبت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحانًا وابتلاء للناس، وما كان هذان الملكان يعلمان أي أحد السحر حتى يحذرا ويبيئا له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصحهما تعلم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهم، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيئته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبئس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين.

﴿١٣٧﴾ وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ آمَنُوا بِاللَّهِ حَقًّا، وَاتَّقَوْهُ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ؛ لَكَانَ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوْتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَلَوْ أَنَّ هَهُنَا آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٩﴾

﴿١٣٨﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: «راعنا»؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي ﷺ، يقصدون به معنى فاسدًا، فنهى الله عن هذه الكلمة سدًا لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلًا عنها: «انظُرنا»؛ أي: انظر إلينا وتمهل بنا، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجه.

﴿١٣٩﴾ ما يحب الكفار أيًا كانوا أهل كتاب أو مشركين أن ينزل الله عليكم أي خير من ربكم، قليلًا كان أو كثيرًا، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير يناله أحد من الخلق إلا منه، ومن فضله بعث الرسول وإنزال الكتاب.

﴿١٤٠﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

- ١ - أن من أعرض عن الهدى مع علمه به عاقبه الله باتباع الباطل والعمل به.
- ٢ - سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان عليه السلام تعاطي السحر، فبرأه الله منه، وأكذبهم في زعمهم.
- ٣ - أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان. والساحر كافر، وحكمه القتل.
- ٤ - لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- ٥ - الإيمان وتقوى الله تعالى خير ما يدخره المرء لنفسه.
- ٦ - سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أمورًا فاسدة يجب تجنبه والبعد عنه.
- ٧ - أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.

﴿١٦٦﴾ يبين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فينساها الناس فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك بعلم الله وحكمته، وأنت تعلم - أيها النبي - أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٦٧﴾ قد علمت - أيها النبي - أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده، وينهاهم بما يشاء، ويُقرر من الشرع ما شاء، وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٦٨﴾ ليس من شأنكم - أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى نبينهم من قبل، كقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرُهُ﴾ [النساء: ١٥٣]، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم.

﴿١٦٩﴾ تمنى كثير من أهل الكتاب أن يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتمنون ذلك بعد ما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا - أيها المؤمنون - عن أفعالهم، وتجاوزوا عن جهلهم وسوء ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم، وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان إما الإسلام وإما دفع الجزية وإما القتال، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه.

ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقويه إيمانهم فقال:

﴿١٧٠﴾ أدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم إلى مستحقيها، ومهما تعملوا من عمل صالح في حياتكم، فتقدموه قبل مماتكم ذخراً لأنفسكم؛ تجدون ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، إن الله بما تعملون بصير فيجازي كلأ بعمله.

﴿١٧١﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى: إن الجنة خاصة بطائفتهم، فقال اليهود: لن يدخلها إلا من كان يهودياً، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانياً، تلك آمانياتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل - أيها النبي - راداً عليهم: هاتوا حجبتكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقاً في دعواكم.

﴿١٧٢﴾ إنما يدخل الجنة كل من أخلص لله متوجهاً إليه، وهو - مع إخلاصه - محسن في عبادته باتباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿١٧٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقي ما يشاء منها، وكل ذلك بعلمه وحكمته.
- ٢ - حسد كثير من أهل الكتاب هذه الأمة، لما خصها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

﴿١١٦﴾ وقالت اليهود: ليست النصارى على دين

صحيح، وقالت النصارى: ليست اليهود على دين صحيح، وهم جميعًا يقرؤون الكتب التي أنزلها الله عليهم وما فيها من الأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تفریق، مشابهين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين؛ حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعًا يوم القيامة، يحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى.

﴿١١٧﴾ لا أحد أظلم من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فَمَنَعَ الصَّلَاةَ وَالذِّكْرَ وتلاوة القرآن فيها، وسعى جاهدًا متسببًا في خرابها وإفسادها؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم؛ لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعمهم الناس من مساجد الله.

﴿١١٨﴾ والله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فإنكم تستقبلون الله تعالى، فهو المحيط بخلقه، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها؛

فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع يسع خلقه برحمته وتيسيره، عليم بنياتهم وأفعالهم. ﴿١١٩﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولدًا. تنزه وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له عَلَّمَهُ ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبحانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١٢٠﴾ والله سبحانه مُنْشِئُ السماوات والأرض وما فيها على غير مثال سابق، وإذا قدر أمرًا وأراده فإنما يقول لذلك الأمر: «كن»؛ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا رادَّ لأمره وقضائه.

﴿١٢١﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركون عنادًا للحق: لِمَ لا يكلمنا الله دون واسطة، أو تأتينا معجزة حسية خاصة بنا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكذبة من قَبْلُ لرسولها، تشابهت قلوبهم، فالكفر ملة واحدة، وإن اختلفت أزمته وأمكنهم، قد أوضحنا الآيات لقوم يوفنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعترفهم شك، ولا يمنعهم عناد.

﴿١٢٢﴾ إنا أرسلناك - أيها النبي - بالدين الحق الذي لا مرية فيه؛ لتبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١٢٣﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

١ - الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أجناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.

٢ - أعظم الناس جرمًا وأشدهم إثماً من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.

٣ - تنزه الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو سبحانه لا يحتاج لخلقه.

﴿١٢٠﴾ يخاطب الله نبيه موجهًا محذرًا قائلاً له : لن ترضى عنكم اليهود ولا النصارى حتى تترك الإسلام، وتتبع ما هم عليه، ولئن حصل هذا منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك من الحق الواضح فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل.

﴿١٢١﴾ يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة ويتبعونها حق اتباعها، هؤلاء يجدون في هذه الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ، ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى أصرت على كفرها فكان لها الخسران.

﴿١٢٢﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية والدينية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أني فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

﴿١٢٣﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه لا تُغني - في ذلك اليوم - نفس عن نفس شيئاً، ولا يُقبل منها فيه أي فداء مهما عظم، ولا تنفعها فيه شفاعة من أحد مهما علا مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

﴿١٢٤﴾ يحدثنا القرآن أن الله تعالى اختبر إبراهيم ﷺ بما أمره به من أحكام وتكاليف،

فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقتدى بك في أفعالك وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٢٥﴾ كما يبين القرآن أن الله جعل البيت الحرام مرجعاً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعلناه أمناً لهم، لا يُعتدى عليهم فيه. وقلنا للناس: اتخذوا من الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأوثان والأوثان لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٢٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلداً آمناً، لا يُعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك منهم، قال الله: ومن كفر منهم فأمتعه بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألحجه مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٢٧﴾ فإذ من الآيات:

وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُونَ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣١﴾

فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقتدى بك في أفعالك وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٢٥﴾ كما يبين القرآن أن الله جعل البيت الحرام مرجعاً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعلناه أمناً لهم، لا يُعتدى عليهم فيه. وقلنا للناس: اتخذوا من الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأوثان والأوثان لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٢٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلداً آمناً، لا يُعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك منهم، قال الله: ومن كفر منهم فأمتعه بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألحجه مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٢٧﴾ فإذ من الآيات:

١ - أن من قرأ الكتاب بحق من اليهود والنصارى يعرف أن ما جاء به نبينا ﷺ هو الهدى وهو من عند الله تعالى .
٢ - أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى؛ فلن يرضوا حتى يخرجوهم من دينهم، ويتابعوهم على ضلالهم .

٣ - الإمامة في الدين لا تُنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى .

٤ - بركة دعوة إبراهيم ﷺ للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق .

﴿١٢٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين كان يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان - في خضوع وتذل: ربنا تقبل منا أعمالنا - ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت السميع لأقوالنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿١٢٨﴾ ربنا واجعلنا مُسْتَسْلِمِينَ لأمرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعرفنا عبادتك كيف تكون، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك؛ إنك أنت التواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿١٢٩﴾ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن والسنة، ويطهرهم من الشرك والردائل؛ إنك أنت العزيز في ذاتك، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿١٣٠﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم عليه السلام إلى غيره من الأديان إلا من جهل قدر نفسه، ورضي لها بالهوان. ولقد اخترناه في الدنيا رسولاً وخليلاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فنالوا أعلى الدرجات. ﴿١٣١﴾ اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام حين قال له ربه: أخلص لي العبادة، واخضع لي بالطاعة، فقال مجيباً ربه: أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر شؤونهم.

﴿١٣٢﴾ ووصى إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: «أسلمت لرب العالمين»، ووصى بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالوا متنادين أبناءهما: إن الله اختار لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهراً وباطناً. ﴿١٣٣﴾ أم كنتم حاضرين خبر يعقوب حين حضرته الوفاة، حيث قال لأبنائه سائلاً إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا جواباً لسؤاله: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق، إلهاً واحداً لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومنقادون.

﴿١٣٤﴾ تلك أمة قد مضت فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، ولا يؤاخذ أحد بذنوب غيره، بل يُجَازَى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه غير عمله الصالح.

﴿١٣٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - المؤمن المتقي لا يغتر بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه، ولهذا يُكثِرُ سؤال الله قبولها.

٢ - بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، حيث أجاب الله دعاءه، وجعل خاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.

٣ - مشروعية التوسل إلى الله تعالى في إجابة الدعاء بأسمائه وصفاته تعالى، وليس بالوسائل البدعية؛ كحرق فلان وجاه فلان.

٤ - دين إبراهيم عليه السلام هو الملة الحنيفية الموافقة للفقرة، لا يرغب عنها، ولا يزهد فيها إلا الجاهل المخالف لفطرته.

٥ - مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتمسك بالحق والثبات عليه.

﴿١٢٥﴾ وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا يهوداً تسلكوا سبيل الهداية، وقال النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل الهداية. قل - أيها النبي - محبياً إياهم: بل تتبع دين إبراهيم، المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، ولم يكن ممن أشركوا مع الله أحداً.

﴿١٢٦﴾ قولوا - أيها المؤمنون - لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من يهود ونصارى: آمنا بالله وبالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا بما أنزل على إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل على الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا بالتوراة التي آتاها الله موسى، والإنجيل الذي آتاه الله عيسى، وآمنا بالكتب التي آتاها الله الأنبياء جميعاً، لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعاً، ونحن له سبحانه وحده متقادون خاضعون.

﴿١٢٧﴾ فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار إيماناً مثل إيمانكم؛ فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم فإنما هم في اختلاف وعداء، فلا تحزن أيها النبي فإن الله سيكفيكم أذهامهم، ويمنعكم من شرهم، وينصركم عليهم، فهو السميع لأقوالهم، والعليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١٢٨﴾ الزموا دين الله الذي فطركم عليه ظاهراً وباطناً، فلا أحسن ديناً من دين الله، فهو موافق للضرورة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا نشرك معه غيره.

﴿١٢٩﴾ قل - أيها النبي -: أتجادلوننا - يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق، فإن ذلك لا ينفعكم، فالله هو ربنا جميعاً لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي لا تسأل عنها، وكلٌّ سيُجزى بعمله، ونحن مخلصون لله في العباداة والطاعة لا نشرك به شيئاً.

﴿١٣٠﴾ أم تقولون - يا أهل الكتاب -: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية؟ قل - أيها النبي - محبياً إياهم: أنتم أعلم أم الله؟! فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد كذبوا؛ لأن مبعثهم وموتهم كان قبل نزول التوراة والإنجيل! وعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسوله، وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أظلم من الذي كتم شهادة ثابتة عنده عليه من الله، كفعل أهل الكتاب، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٣١﴾ تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كلٌّ سيجازى على ما قدم.

﴿١٣٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ.

٢ - يجب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله وبالأنبياء الذين بعثهم سبحانه للناس.

٣ - أن الله تعالى قد ركز في فطر خلقه جميعاً الإقرار بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعوانه.

﴿١٤١﴾ سيقول الجاهل خفاف العقول من اليهود، ومن على شاكلتهم من المنافقين: ما صرف المسلمين عن قبة بيت المقدس التي كانت قبلتهم من قبل؟! قل- أيها النبي- محيياً إياهم: الله وحده ملك المشرق والمغرب وغيرهما من الجهات، يوجه من شاء من عباده إلى أي جهة شاء، وهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

﴿١٤٢﴾ وكما جعلنا لكم قبة ارضيناها لكم؛ جعلناكم أمة خياراً عدولاً، وسطاً بين الأمم كلها، في العقائد والعبادات والمعاملات؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء لرسول الله أنهم بلغوا ما أمرهم الله بتبليغه لأمرهم، وليكون الرسول محمد ﷺ كذلك شهيداً عليكم أنه بلغكم ما أُرسل به إليكم. وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت تتجه إليها- وهي بيت المقدس- إلا لنعلم علم ظهور يترتب عليه الجزاء من يرضى بما شرعه الله، ويُذعن له، فيتبع الرسول، ونعلم علم ظهور- كذلك- من يتردد عن دينه، ويتبع هواه، فلا يُذعن لما شرعه الله. ولقد كانت حادثة التحويل عن القبلة الأولى عظيمة إلا على الذين وفقهم الله للإيمان به، وبأن ما يشرعه لعباده إنما يشرعه لحكم بالغة. وما كان الله ليضيع إيمانكم بالله، وعملكم الصالح، ومنه صلاتكم التي صليتموها قبل تحويل القبلة، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، فلا يشق عليهم، ولا يضيع ثواب أعمالهم.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ رَأَى نَقْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿١٤٤﴾ قد رأينا- أيها النبي- تحول وجهك ونظرك إلى جهة السماء، ترقباً وتحرياً لنزول الوحي بشأن القبلة وتحويلها إلى حيث تُحب، فلنؤجِّهك إلى قبة ترتضيها وتحبها- وهي بيت الله الحرام- بدل القبلة التي أنت عليها الآن، فاصرف وجهك إلى جهة بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وأينما كنتم- أيها المؤمنون- فتوجهوا إلى جهته عند أداء الصلاة. وإن الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويل القبلة هو الحق المنزل من خالقهم ومدير أمرهم؛ لثبوته في كتابهم، وليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعرضون عن الحق، بل هو سبحانه عالم بذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿١٤٥﴾ والله لئن جئت- أيها النبي- الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى مصحوباً بكل آية وبرهان على أن تحويل القبلة حق؛ ما توجهوا إلى قبلتك عناداً لما جئت به، وتكبيراً عن اتباع الحق، وما أنت بمتوجه إلى قبلتهم بعد أن صرفك الله عنها، وما بعضهم بمتوجه إلى قبة بعضهم؛ لأن كلاً منهم يكفر الفريق الآخر، ولئن اتبعت أهواء هؤلاء في شأن القبلة وغيرها من الشرائع والأحكام من بعد ما جاءك من العلم الصحيح الذي لا مرية فيه؛ إنك حينئذ لمن الظالمين بترك الهدى، واتباع والهوى. وهذا الخطاب للنبي ﷺ للدلالة على شناعة متابعتهم، وإلا فإن الله قد عصم نبيه من ذلك، فهو تحذير لأمته من بعده.

﴿١٤٦﴾ فَاذْكُرُوا مِنْ آيَاتِ:

- ١ - أن الاعتراض على أحكام الله وشرعه والتغافل عن مقاصدها دليل على السفه وقلة العقل.
- ٢ - فضل هذه الأمة وشرفها، حيث أثنى عليها الله ووصفها بالوسطية بين سائر الأمم.
- ٣ - التحذير من متابعة أهل الكتاب في أهوائهم؛ لأنهم أعرضوا عن الحق بعد معرفته.
- ٤ - جواز نسخ الأحكام الشرعية في الإسلام زمن نزول الوحي، حيث نُسخَ التوجه إلى بيت المقدس، وصار إلى المسجد الحرام.

﴿١٤٦﴾ الذين آتيناهم الكتاب من علماء اليهود والنصارى؛ يعرفون محمداً ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أولادهم ويميزونهم من غيرهم، ومع ذلك فإن طائفة منهم ليكتُمون الحق الذي جاء به، حسداً من عند أنفسهم، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه الحق.

﴿١٤٧﴾ هذا هو الحق من ربك فلا تكونن - أيها الرسول - من الشاكِّين في صحته.

﴿١٤٨﴾ ولكل أمة من الأمم جهة يتجهون إليها حسية كانت أو معنوية، ومن ذلك اختلاف الأمم في قبلتهم وما شرع الله لهم، فلا يضر تنوع وجهاتهم إن كان بأمر الله وشرعه، فتسابقوا أنتم - أيها المؤمنون - إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها، وسيجمعكم الله من أي مكان كنتم فيه يوم القيامة؛ ليجازيكم على عملكم، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه جمعكم ولا مجازاتكم.

﴿١٤٩﴾ ومن أي مكان خرجت وأينما كنت - أيها النبي - أنت وأتباعك، وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، فإنه الحق الموحى به إليك من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه وسيجازيكم به.

﴿١٥٠﴾ ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، وبأي مكان كنتم - أيها المؤمنون - فاستقبلوا بوجهكم جهته إذا أردتم الصلاة؛

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُومٌ إِلَيْهَا فَاسْتَوُوا الْحَزْزَتِ آيَنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ يَمُوتْ عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

لئلا يكون للناس حجة يحتجون بها عليكم، إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم سيقون على عنادهم، ويحتجون عليكم بأوهى الحجج، فلا تخشَوْهم واخلشوا ربكم وحده، بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٥٤﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى؛ حيث أرسلنا إليكم رسولاً من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويطهركم بما يأمركم به من الفضائل والمعروف، وينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم القرآن والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم ودنياكم.

﴿١٥٥﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم؛ أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني ببحودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم.

﴿١٥٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اسألوا العون من الله على كل شؤونكم، بالتخلُّق بالصبر الجميل، وإقامة الصلاة على نحو ما أمر الله، إن الله مع الصابرين يوفقهم ويعينهم.

﴿١٥٧﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - ترك الجدال والاشتغال بالطاعات والمسارة إلى الله أنفع للمؤمن عند ربه يوم القيامة.

٢ - أن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الله متنوعة ومتعددة، ولا بأس أن يختار المؤمن ما يميل إليه منها، ويناسب حاله.

٣ - الاستعانة بالصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد على أمور دينه ودنياه.

﴿١٥٤﴾ وَلَا تَقُولُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي شَأْنٍ مِنْ يَقْتُلُونَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ أَمْوَاتٌ مَاتُوا كَمَا يَمُوتُ غَيْرُهُمْ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ لَا تَدْرِكُونَ حَيَاتَهُمْ؛ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ خَاصَّةٌ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٥٥﴾ وَلَنُمَتِّعَنَّكُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَصَائِبِ؛ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَبِالْجُوعِ لِقَلَّةِ الطَّعَامِ، وَبِنَقْصٍ فِي الْأَمْوَالِ لَذَهَابِهَا أَوْ مَشَقَّةِ الْحَصُولِ عَلَيْهَا، وَبِنَقْصٍ فِي الْأَنْفُسِ بِسَبَبِ الْآفَاتِ الَّتِي تَهْلِكُ النَّاسَ، أَوْ بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَنْبَتُهَا الْأَرْضُ، وَبِشَرِّ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الصَّابِرِينَ عَلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ بِمَا يَسْرُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ

﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

﴿١٦٢﴾ وَلِلَّهِ كُزُّ الْوَحْدِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

﴿١٦٣﴾ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا. وَفِي نَفْيِ الْإِيْمِ هُنَا طَمَآنَةٌ لِمَنْ تَخَرَّجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا اعْتِقَادًا أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُمَا مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ. وَمَنْ فَعَلَ الْمَسْتَحْبَاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ مَتَطَوِّعًا بِهَا مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ، يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَيَجَازِيهِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ.

﴿١٦٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْفُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَمَا جَاءَ بِهِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مِنْ بَعْدِ مَا أَظْهَرْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي كِتَابِهِمْ؛ أُولَئِكَ يَطْرُدُهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمُ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ الدَّاعُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

﴿١٦٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ كِتْمَانِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَبَيَّنَّا مَا كَتَمُوهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَأُولَئِكَ أَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَأَنَا التَّوَّابُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنَ الْعِبَادِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا مِنْهُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ يَطْرُدُهُمُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَعَلَيْهِمْ دَعَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمُ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِبْعَادِ مِنْهَا.

﴿١٦٧﴾ مَلَازِمِينَ هَذِهِ اللَّعْنَةَ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يُمَهِّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦٨﴾ وَمَعْبُودُكُمْ الْحَقُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَاحِدٌ مُتَّفَرِّدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ، حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَكُنُ﴾

- ١ - الْإِبْتِلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ، وَقَدْ وَعَدَ الصَّابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْجَزَاءِ وَأَكْرَمِ الْمَنَازِلِ.
- ٢ - مِنْ أَعْظَمِ الْآثَامِ وَأَشَدِّهَا عِقَابًا كِتْمَانُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَالتَّلْبِيسُ عَلَى النَّاسِ، وَإِضْلَالُهُمْ عَنِ الْهُدَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.
- ٣ - مَشْرُوعِيَّةُ السَّعْيِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمُرَّةِ لِمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ.

﴿١٤﴾ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ عَجَابٍ لِّخَلْقِهِ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا يَحْمِلُنَّهُ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، وَفَرَحٍ وَحُزْنٍ، وَغْنَى وَفَقْرٍ، وَفِي السَّفَنِ الَّتِي تَجْرِي فِي مِيَاهِ الْبَحَارِ حَامِلَةً مَا يَنْفَعُ النَّاسَ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسٍ وَتِجَارَةٍ، وَغَيْرِهَا مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَفِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بِمَا نَبَتْ فِيهَا مِنَ الزَّرْعِ وَالْكَلَأِ، وَفِيمَا نَشَرَهُ فِيهَا مِنْ كَائِنَاتٍ حَيَّةٍ، وَفِي تَحْوِيلِ الرِّيحِ مِنْ جِهَةٍ لِّجِهَةٍ، وَفِي السَّحَابِ الْمَذْلُجِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِنْ فِي كُلِّ ذَلِكَ لِدَلَالٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ لِمَنْ يَعْقِلُونَ الْحُجُجَ، وَيَفْهَمُونَ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ.

﴿١٥﴾ وَمَعَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً يَجْعَلُونَهُمْ نَظَرَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، يَحِبُّونَهُمْ كَمَا يَحِبُّونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ لِمَعْبُودَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، وَيَحِبُّونَهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَإِنَّهُمْ يَحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ فِي حَالِ السَّرَّاءِ، أَمَّا فِي الضَّرَّاءِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ. وَلَوْ يَرَى الظَّالِمُونَ بَشْرَكَهُمْ وَارْتِكَابَ السَّيِّئَاتِ حَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ حِينَ يَشَاهِدُونَ الْعَذَابَ؛ لَعَلَّمُوا أَنَّ الْمُنْفَرِدَ بِالْقُوَّةِ جَمِيعًا هُوَ اللَّهُ، وَأَنَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ لِمَنْ عَصَاهُ، لَوْ يَرُونَ ذَلِكَ لَمَا أَشْرَكُوا مَعَهُ أَحَدًا.

﴿١٦﴾ وَذَلِكَ حِينَ يَتَّبِرَ الرُّؤْسَاءُ الْمُتَّبِعُونَ مِنَ الضَّعَفَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ؛ لِمَا يَشَاهِدُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِهِ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمْ كُلُّ سَبَابِ النِّجَاةِ وَوَسَائِلِهَا.

﴿١٧﴾ وَقَالَ الضَّعَفَاءُ وَالْآتِبَاعُ: لَيْتَ لَنَا رُجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَنَتَّبِرَ مِنْ رُؤْسَائِنَا كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا، وَكَمَا أَرَاهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ يَرِيهِمْ عَاقِبَةُ مَتَابِعَتِهِمْ لِرُؤْسَائِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ نَدَامَاتٌ وَأَحْزَانًا، وَلَيْسُوا بِخَارِجِينَ أَبَدًا مِنَ النَّارِ.

﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيْوَانٍ وَنَبَاتٍ وَأَشْجَارٍ، مِمَّا كَانَ كَسْبُهُ حَلَالًا وَكَانَ طَيِّبًا فِي نَفْسِهِ غَيْرِ خَبِيثٍ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَعْمَالَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ وَاضِحٌ الْعَدَاوَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَتَّبِعَ عَدُوَّهُ الَّذِي يَحْرُصُ عَلَى إِيْذَانِهِ وَضَلَالِهِ!

﴿١٩﴾ فَهُوَ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِمَا يَسُوءُ مِنَ الْآثَامِ وَمَا يَعْظُمُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبِأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ فِي الْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْ رُسُلِهِ.

﴿٢٠﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

﴿٢١﴾ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَتْلَفِ الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَنْتَ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٢٣﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوَ أَنَّا لَنُنَاكِرُكَ لَنَّا كَرَّةً فَتَنَبَّرَ آمَنَهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

﴿٢٨﴾ وَذَلِكَ حِينَ يَتَّبِرَ الرُّؤْسَاءُ الْمُتَّبِعُونَ مِنَ الضَّعَفَاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ؛ لِمَا يَشَاهِدُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِهِ، وَقَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمْ كُلُّ سَبَابِ النِّجَاةِ وَوَسَائِلِهَا.

﴿٢٩﴾ وَقَالَ الضَّعَفَاءُ وَالْآتِبَاعُ: لَيْتَ لَنَا رُجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَنَتَّبِرَ مِنْ رُؤْسَائِنَا كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا، وَكَمَا أَرَاهُمُ اللَّهُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ يَرِيهِمْ عَاقِبَةُ مَتَابِعَتِهِمْ لِرُؤْسَائِهِمْ عَلَى الْبَاطِلِ نَدَامَاتٌ وَأَحْزَانًا، وَلَيْسُوا بِخَارِجِينَ أَبَدًا مِنَ النَّارِ.

﴿٣٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيْوَانٍ وَنَبَاتٍ وَأَشْجَارٍ، مِمَّا كَانَ كَسْبُهُ حَلَالًا وَكَانَ طَيِّبًا فِي نَفْسِهِ غَيْرِ خَبِيثٍ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَعْمَالَ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ وَاضِحٌ الْعَدَاوَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَتَّبِعَ عَدُوَّهُ الَّذِي يَحْرُصُ عَلَى إِيْذَانِهِ وَضَلَالِهِ!

﴿٣١﴾ فَهُوَ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِمَا يَسُوءُ مِنَ الْآثَامِ وَمَا يَعْظُمُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبِأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ فِي الْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْ رُسُلِهِ.

﴿٣٢﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - فِي الْكَوْنِ مَخْلُوقَاتٌ وَأَيَاتٌ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ، وَعَلَى أَنَّهُ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ دُونِ سِوَاهُ، وَلَا يَدْرِكُ هَذَا إِلَّا الْعُقْلَاءُ.

٢ - الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقًّا هُمْ أَعْظَمُ الْخَلْقِ مَحَبَّةً لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُمْ يَطِيعُونَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَلَا يَشْرِكُونَ مَعَهُ أَحَدًا.

٣ - فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَقَطَّعَ كُلُّ الرُّوَاطِ، وَبَيَّرَ كُلُّ خَلِيلٍ مِنْ خَلِيلِهِ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى.

٤ - لَا عِذْرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ يَتَّبِعُ رُؤْسَاءَ الضَّلَالِ مَعْطَلًا عَقْلَهُ، مَخَالِفًا فِطْرَتَهُ.

٥ - عَظُمَ فَضْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ حَيْثُ سَخَّرَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَجَعَلَهُ حَلَالًا طَيِّبًا.

﴿١٧٦﴾ وإذا قيل لهؤلاء الكفار: اتبعوا ما أنزل الله من الهدى والنور، قالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً من الهدى والنور، ولا يهتدون إلى الحق الذي يَرْضَى الله عنه؟!

﴿١٧٧﴾ ومثل الذين كفروا في اتباعهم لأبائهم كالراعي الذي يصيح منادياً على بهائمهم، فتسمع صوته، ولا تفهم قوله، فهم صُمُّ عن سماع الحق سماعاً يتفهمون به، بُكْمٌ قد خرس ألسنتهم عن النطق بالحق، عُمِّيَ عن إبصاره، ولهذا لا يعقلون الهدى الذي تدعوهم إليه.

﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، كلوا من الطيبات التي رزقكم الله وأباحها لكم، واشكروا لله ظاهراً وباطناً ما تفضل به عليكم من النعم، ومن شكره تعالى أن تعملوا بطاعته، وأن تجتنبوا معصيته، إن كنتم حقاً تعبدونه وحده، ولا تشركون به شيئاً.

﴿١٧٩﴾ إنما حرم الله عليكم من الأطعمة ما مات بغير ذكاة شرعية، والدم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه غيرُ اسم الله عند تذكيته، فإذا اضطر الإنسان إلى أكل شيء وهو غير ظالم بالأكل منها دون حاجة، ولا متجاوز لحد الضرورة؛ فلا إثم عليه ولا عقوبة، إن الله

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٦﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٨٢﴾

غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أنه تجاوز عن أكل هذه المحرمات عند الاضطرار. ﴿١٨٣﴾ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتب وما فيها من دلالة على الحق ونبوة محمد ﷺ، كما يفعل اليهود والنصارى، ويشترُون بكتمانهم لها عَوْضًا قَلِيلًا كَرِثَاسَةً أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ؛ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ حَقِيقَةً إِلَّا مَا يَكُونُ سَبَبًا لَتَعَذِيبِهِمْ بِالنَّارِ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا يَحِبُّونَ، بل بما يسوؤهم، ولا يُثْنِي عليهم، ولهم عذاب أليم.

﴿١٨٤﴾ أولئك المتصفون بكتمان العلم هم الذين استبدلوا الضلالة بالهدى لَمَّا كَتَمُوا العلم الحق، واستبدلوا عذاب الله بمغفرته، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار، كأنهم لا يباليون بما فيها من عذاب لصبرهم عليها. ﴿١٨٥﴾ ذلك الجزاء على كتمان العلم والهدى بسبب أن الله نَزَّلَ الْكِتَابَ الإِلَهِيَّةَ بِالْحَقِّ، وهذا يقتضي أن تُبَيَّنَ وَلَا تُكْتَمَ. وإن الذين اختلَفوا في الكتب الإلهية فآمنوا ببعضها وكتَمُوا بعضها لَفِي جَانِبٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ.

﴿١٨٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يُلَاقُونَ:

- ١ - أكثر ضلال الخلق بسبب تعطيل العقل، ومتابعة من سبقهم في ضلالهم، وتقليدهم بغير وعي.
- ٢ - عدم انتفاع المرء بما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر، يجعله مثل من فقد هذه النعم.
- ٣ - من أشد الناس عقوبة يوم القيامة من يكتُم العلم الذي أنزله الله، والهدى الذي جاءت به رسله تعالى.
- ٤ - من نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المحرمات قليلة محدودة، وأما المباحات فكثيرة غير محدودة.

﴿١٧٧﴾ ليس الخير المرضي عند الله مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب والاختلاف في ذلك، ولكن الخير كل الخير فيمن آمن بالله إلهاً واحداً، وأمن بيوم القيامة، وبجميع الملائكة، وبجميع الكتب المنزلة، وبجميع الأنبياء دون تفریق، وآتى المال مع حبه والحرص عليه ذوی قرابته، واليتامى، والفقراء، والغريب الذي انقطع في السفر عن أهله ووطنه، والذين تعرض لهم حاجة توجب سؤال الناس، وآتى المال في تحرير الرقاب من الرق والأسر، وأقام الصلاة بالإتيان بها تامة على ما أمر الله، وآتى الزكاة الواجبة، والذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا، والذين يصبرون على الفقر والشدة، وعلى المرض، وفي وقت شدة القتال فلا يفرون، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم، وأولئك هم المتقون الذين امتثلوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم الله عنه.

﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، فَرَضْ عليكم في شأن الذين يقتلون عمدًا وعدوانًا، معاقبة القاتل بمثل جنايته، فالحر يُقتل بالحر، والعبد يُقتل بالعبد، والأنثى تُقتل بالأنثى، فإن عفا المقتول قبل موته أو

﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتَغِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عَتَدَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يٰٓأُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

عفا ولي المقتول مقابل الدية - وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو عنه - فعلى من عفا اتباع القاتل في طلب الدية بالمعروف لا بالمرء والأذى، وعلى القاتل أداء الدية بإحسان، من غير ممانعة وتسويف، ذلك - أي العفو وأخذ الدية - تخفيف من ربكم عليكم، ورحمة بهذه الأمة، فمن اعتدى على القاتل بعد العفو وقبول الدية؛ فله عذاب أليم من الله تعالى.

﴿١٧٩﴾ ولكم فيما شرعه الله من القصاص حياة لكم؛ بحقن دمائكم، ودفع الاعتداء بينكم، يدرك ذلك أهل العقول الذين يتقون الله تعالى بالانقياد لشرعه والعمل بأمره.

﴿١٨٠﴾ فَرَضْ عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت وأسبابه، إن ترك مالا كثيرًا أن يوصي للوالدين وللزوي القرابة بما حده الشرع وهو أن لا يزيد عن ثلث المال، وفعل هذا حق مؤكد على المتقين لله تعالى. وقد كان هذا الحكم قبل نزول آيات الموارث، فلما نزلت آيات الموارث بيّنت من يرث من الميت ومقدار ما يرث.

﴿١٨١﴾ فمن غيّر في الوصية بزيادة أو نقص أو منع بعد علمه بالوصية؛ فإنما يكون إثم ذلك التبديل على المغيّر لا على الموصي، إن الله سميع لأقوال عبّده، عليم بأفعالهم، لا يفوته شيء من أحوالكم.

﴿١٨٢﴾ فَاذْكُرُوا مِن الْآيَاتِ:

- ١ - البر الذي يحبه الله يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وأما التمسك بالمظاهر فقط فلا يكفي عنده تعالى.
- ٢ - من أعظم ما يحفظ الأنفس، ويمنع من التعدي والظلم؛ تطبيق مبدأ القصاص الذي شرعه الله تعالى في النفس وما دونها.
- ٣ - عظم شأن الوصية، ولا سيما لمن كان عنده شيء يوصي به، وإثم من غيّر في وصية الميت وبدّل ما فيها.

﴿١٧٦﴾ فمن علم من صاحب الوصية ميلاً عن الحق، أو جوراً في الوصية؛ فأصلح ما أفسد الموصي بنصحه، وأصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو مأجور على إصلاحه، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٧٧﴾ يا أيها آمنوا بالله واتبعوا رسوله فُرض عليكم الصيام من ربكم كما فُرض على الأمم من قبلكم؛ لعلكم تتقون الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالأعمال الصالحة ومن أعظمها الصيام.

﴿١٧٨﴾ الصيام المفروض عليكم أن تصوموا أياماً قليلة من السنة، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يشق معه الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، ثم عليه أن يقضي بقدر ما أفطر من الأيام، وعلى الذين يستطيعون الصيام فدية إذا أفطروا، وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه. وصومكم خير لكم من الإفطار وإعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضل. وكان هذا الحكم أول ما شرع الله الصيام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم، ثم أوجب الله الصيام بعد ذلك، وفرضه على كل بالغ قادر.

﴿١٧٩﴾ شهر رمضان الذي بدأ فيه نزول القرآن على النبي ﷺ في ليلة القدر، أنزله الله هادياً للناس، فيه الدلائل الواضحات من الهدى، والفرقان

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ أَيُّهَا مَا مَعَدُّوهُ فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٠﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨١﴾

بين الحق والباطل، فمن حضر شهر رمضان وهو مقيم صحيح فليصمه وجوباً، ومن كان مريضاً يشق عليه الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، وإذا أفطر فالواجب عليه أن يقضي تلك الأيام التي أفطرها، يريد الله بما شرع لكم أن يسلك بكم سبيل اليسر لا العسر، ولتكمّلوا عدة صوم الشهر كله، ولتكبّروا الله بعد ختام شهر رمضان ويوم العيد على أن وفقكم لصومه، وأعانكم على إكماله، ولعلكم تشكرون الله على هدايتكم لهذا الدين الذي ارتضاه لكم.

﴿١٨٢﴾ وإذا سألك - أيها النبي - عبادي عن قربي وإجابتي لدعائهم؛ فإني قريب منهم، عالم بأحوالهم، سامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم، أجب دعوة الداعي إذا دعاني مخلصاً في دعائه، فليتقادوا لي ولأوامري، وليثبتوا على إيمانهم؛ فإن ذلك أنفع وسيلة لإجابتي، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشد في شؤونهم الدينية والدنيوية.

﴿١٨٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - فرض الله الصوم على هذه الأمة وعلى الأمم السابقة لها؛ لأنه يُحقّق التقوى، ويعين على لزومها.
- ٢ - فَضَّلَ الله شهر رمضان بإنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن، ولهذا كان النبي ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان.
- ٣ - شريعة الإسلام قامت في أصولها وفروعها على التيسير ورفع الحرج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج.
- ٤ - مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه شُكراً لله على نعمه واعتقاداً له بالفضل.
- ٥ - قُرْبَ الله تعالى من عباده، وإحاطته بهم، وعلمه التام بأحوالهم، ولهذا فهو يسمع دعاءهم ويجب سؤالهم.

﴿١٧٧﴾ قد كان في أول الأمر يحرم على الرجل إذا نام في ليلة الصيام ثم استيقظ قبل الفجر أن يأكل أو يقرب أهله، فنسخ الله ذلك، وأباح الله لكم - أيها المؤمنون - في ليالي الصيام جماع نسائكم، فهن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، لا يستغني بعضكم عن بعض، عِلِّمَ الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بفعل ما نهاكم عنه، فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله، حتى يتبين لكم طلوع الفجر الصادق، ثم أكملوا الصيام بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر حتى تغيب الشمس، ولا تجامعوا النساء وأنتم معتكفون في المساجد؛ لأن ذلك يبطله. تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى.

﴿١٧٨﴾ ولا يأخذ بعضكم مال بعضكم بوجه غير مشروع، كالسرقة والغصب والغش، ولا تخصموا بها إلى الحكام لتأخذوا طائفة من أموال الناس متلبسين بالمعصية، وأنتم

تعلمون أن الله حرم ذلك، فالإقدام على الذنب مع العلم بتحريمه أشدُّ قُبْحاً وأعظم عقوبة.

﴿١٧٩﴾ يسألونك - أيها الرسول - عن تكوين الأهلة وتغير أحوالها، قل مجيباً إياهم عن حكمة ذلك: إنها مواقيت للناس، يتعرفون بها أوقات عباداتهم؛ كأشهر الحج، وشهر الصيام، وتَمَامُ الحَوْل في الزكاة، ويتعرفون على أوقاتهم في المعاملات؛ كتحديد آجال الديات والديون. وليس البر والخير أن تأتوا البيوت من ظهورها عند إحرامكم بالحج أو العمرة - كما كنتم ترعمون في الجاهلية -، ولكن البر حقيقة برٌّ من اتقى الله في الظاهر والباطن، وأتوا البيوت من أبوابها، فهو أيسر لكم وأبعد عن المشقة؛ لأن الله لم يكلفكم بما فيه عسر ومشقة عليكم، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح، لعلكم تفلحون بنيل ما ترغبون فيه، والنجاة مما ترهبون منه.

﴿١٨٠﴾ وقاتلوا ابتغاء رفع كلمة الله الذين يقاتلونكم من الكفار ليصدوكم عن دين الله، ولا تتجاوزوا حدود الله بقتل الصبيان والنساء والشيخوخ، أو بالتمثيل بالقتلى ونحو ذلك، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيما شرع وحكم.

﴿١٨١﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أحكام الشريعة قامت على التيسير والتخفيف؛ لما يعلمه الله تعالى من ضعف عباده.
- ٢ - مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد للعبادة، ولهذا يُنْهَى عن كل ما يعارض مقصود الاعتكاف، ومنه مباشرة المرأة.
- ٣ - النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم كل الوسائل والأساليب التي تقود لذلك، ومنها الرشوة.
- ٤ - البر والتقوى حقيقة يكون باتباع الشريعة وتعظيم حدودها.
- ٥ - تحريم الاعتداء والنهي عنه؛ لأن هذا الدين قائم على العدل والإحسان.

﴿١٦١﴾ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ لَقِيتُمُوهُمْ، وَاَخْرِجُوهُمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي اَخْرَجُوكُم مِّنْهُ، وَهُوَ مَكَّةُ، وَالْفِتْنَةُ الْحَاصِلَةُ بِصَدِّ الْمُؤْمِنِ عَنْ دِينِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى الْكُفْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْقَتْلِ. وَلَا تَبْدُؤُوهُمْ بِقِتَالٍ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ تَعْظِيمًا لَهُ حَتَّى يَبْدُؤَوكُم بِالْقِتَالِ فِيهِ، فَإِنْ بَدَأُوا بِالْقِتَالِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَاقْتُلُوهُمْ، وَمِثْلُ هَذَا الْجُزْءِ - وَهُوَ قَتْلُهُمْ إِذَا اعْتَدُوا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - يَكُونُ جُزْءَ الْكَافِرِينَ.

﴿١٦٢﴾ فَإِنْ انْتَهَوْا عَنْ قِتَالِكُمْ وَكَفَرُوا فَانْتَهَوْا عَنْهُمْ، إِنْ أَلَّهِ غُفُورٌ لِّمَن تَابَ فَلَا يَأْخُذْهُمْ بِذُنُوبِهِمُ السَّابِقَةِ، رَحِيمٌ بِهِمْ لَا يَعَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿١٦٣﴾ وَقَاتِلُوا الْكُفَّارَ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْهُمْ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا كُفْرٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ الظَّاهِرُ دِينَ اللَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا عَنْ كُفْرِهِمْ وَصَدَّاهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَاتْرَكُوا قِتَالَهُمْ، فَإِنَّهُ لَا عُدَاوَةَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ بِالْكَفْرِ وَالصَّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿١٦٤﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ الَّذِي مَكَّنَكُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْحَرَمِ وَأَدَاءِ الْعِمْرَةِ فِيهِ عَامٌ سَعٍ، هُوَ عَوْصٌ وَبَدَلٌ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ الَّذِي صَدَّكُمْ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْحَرَمِ عَامَ سِتٍّ، وَالْحَرَمَاتُ؛ كَحَرَمَةِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْإِحْرَامِ، يَجْرِي فِيهَا الْقَصَاصُ مِنَ الْمُعْتَدِينَ، فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فِيهَا فَعَامِلُوهُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا حَدَّ الْمَمَانِلَةِ، إِنْ أَلَّهِ لَا يَحِبُّ الْمُتَجَاوِزِينَ لِحُدُودِهِ، وَخَافُوا اللَّهَ فِي تَجَاوُزِ مَا أُذِنَ لَكُمْ فِيهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ لَهُ بِالْتَوْفِيقِ وَالتَّائِيدِ.

﴿١٦٥﴾ وَأَنْفِقُوا الْمَالَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ، وَلَا تَلْقُوا بِأَنْفُسِكُمْ إِلَى الْهَلَاكِ، بَأْنَ تَتْرَكُوا الْجِهَادَ وَالبَدَلَ فِي سَبِيلِهِ، أَوْ بَأْنَ تَلْقُوا بِأَنْفُسِكُمْ فِيمَا يَكُونُ سَبَبًا لِّهَلَاكِكُمْ، وَأَحْسِنُوا فِي عِبَادَاتِكُمْ وَمَعَامِلَاتِكُمْ وَأَخْلَاقِكُمْ، إِنْ أَلَّهِ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فِي كُلِّ شَأْنِهِمْ، فَيُعْظِمُ لَهُمُ الثَّوَابَ، وَيُوقِّعُهُمُ لِلرَّشَادِ.

﴿١٦٦﴾ وَأَدَاؤُ الْحَجِّ وَالْعِمْرَةِ تَامِينَ، مُتَغَنٍّ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا مُنِعْتُمْ مِنْ إِمْتَامِهِمَا بِمَرَضٍ أَوْ بَعْدٍ؛ فَعَلَيْكُمْ بِذَبْحِ مَا تَيْسَرُ مِنَ الْهَدْيِ - مِنَ الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ - لِتَحْلُلُوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ، وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ أَوْ تَقْصُرُوهَا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَحِلُّ فِيهِ ذَبْحُهُ، فَإِنْ كَانَ مَمْنُوعًا مِنَ الْحَرَمِ فَحَيْثُ مُنِعَ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَمْنُوعٍ مِنَ الْحَرَمِ فَفِي الْحَرَمِ يَوْمَ النُّحْرِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ؛ فَكَقَمْلٍ وَنَحْوِهِ، فَحَلَّقْ رَأْسَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَفِدَى عَنْ ذَلِكَ؛ إِمَّا بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ بِإِطْعَامِ سِتَّةِ مَسَاكِينَ مِنْ مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، أَوْ بِذَبْحِ شَاةٍ تُوزَعُ عَلَى فَقَرَاءِ الْحَرَمِ، فَإِذَا كُتِمَ غَيْرُ خَائِفِينَ فَمَنْ اسْتَمْتَعَ مِنْكُمْ بِأَدَاءِ الْعِمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَتَمَتَّعَ بِمَا حُرِّمَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْإِحْرَامِ إِلَى أَنْ يَحْرُمَ بِالْحَجِّ مِنْ عَامِهِ؛ فَلْيُذَبِّحْ مَا تَيْسَرُ لَهُ مِنْ شَاةٍ أَوْ شُعْبٍ بَدَنَةً أَوْ شُعْبٍ بِقَرَةٍ، فَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْهَدْيِ فَعَلَيْهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْمَنَاسِكَ بِدَلَا مِنْهُ، وَعَلَيْهِ صِيَامُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى أَهْلِهِ، لِيَكُونَ مَجْمُوعُ الْأَيَّامِ عَشْرَةَ كَامِلَةً، ذَلِكَ التَّمَتُّعُ مَعَ وَجُوبِ الْهَدْيِ أَوْ الصِّيَامِ لِلْعَاجِزِ عَنِ الْهَدْيِ هُوَ لَغَيْرِ أَهْلِ الْحَرَمِ وَمَنْ يَقِيمُ قَرِيبًا مِنَ الْحَرَمِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْحَرَمِ وَمَنْ يَقِيمُ قَرِيبًا مِنْهُ فَلَا يَتِمَتُّعُونَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِمْ إِلَى ذَلِكَ؛ فَهُمْ لَوْجُودِهِمْ بِالْحَرَمِ يَتِمَتُّعُونَ بِهِ دَائِمًا، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِاتِّبَاعِ مَا شَرَعَ، وَتَعْظِيمِ حُدُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

﴿١٦٧﴾ فَإِنَّهُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - مَقْصُودُ الْجِهَادِ وَغَايَتُهُ جَعْلُ الْحُكْمِ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِزَالَةُ مَا يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ سَمَاعِ الْحَقِّ وَالدُّخُولِ فِيهِ.

٢ - تَرْكُ الْجِهَادِ وَالتَّعَوُّدُ عَنْهُ مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى ضَعْفِهَا وَطَمَعِ الْعَدُوِّ فِيهَا.

٣ - وَجُوبُ إِمْتَامِ الْحَجِّ وَالْعِمْرَةِ لِمَنْ شَرَعَ فِيهِمَا، وَجَوَازُ التَّحَلُّلِ مِنْهُمَا بِذَبْحِ هَدْيٍ لِمَنْ مُنِعَ عَنِ الْحَرَمِ.

﴿١٩٧﴾ وقت الحج أشهر معلومات، تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بعشر ذي الحجة، فمن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر وأحرم به؛ حَرَّمَ عليه الجماع ومقدماته، ويتأكد في حقه حُرْمَةُ الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي؛ لعظم الزمان والمكان، ويحرم عليه الجدال المؤدي إلى الغضب والخصومة، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازيكم به. واستعينوا على أداء الحج بأخذ ما تحتاجون إليه من طعام وشراب، واعلموا أن خير ما تستعينون به في كل شؤونكم هو تقوى الله تعالى، فخافوني بامتنال أوامري واجتنب نواهي يا ذوي العقول السليمة.

﴿١٩٨﴾ ليس عليكم إثم أن تطلبوا الرزق الحلال بالتجارة وغيرها في أثناء الحج، فإذا دفعتم من عرفات بعد وقوفكم فيها يوم التاسع، متوجهين إلى مزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة؛ فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بمزدلفة، واذكروا الله لهديته لكم إلى معالم دينه، ومناسك حج بيته، فقد كنتم من قبل ذلك من الغافلين عن شريعته.

﴿١٩٩﴾ ثم ادفعوا من عرفات كما كان يصنع إبراهيم عليه السلام، لا كما كان يصنع من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واطلبوا المغفرة من الله

على تقصيركم في أداء ما شرع، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٢٠٠﴾ فإذا أنهيت أعمال الحج، وفرغتم منها فاذكروا الله، وأكثروا من الثناء عليه، كفخركم بأبائكم وثنائكم عليهم، أو أشد ذكراً منهم؛ لأن كل نعمة تنتعمون بها هي منه ﷻ، والناس مختلفون، فمنهم الكافر المشرك الذي لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، فلا يسأل ربه إلا نعيمها وزينتها من الصحة والمال والولد، وليس لهم نصيب مما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة، لرغبتهم في الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

﴿٢٠١﴾ وفريق من الناس مؤمن بالله يؤمن بالآخرة، فيسأل ربه نعيم الدنيا والعمل الصالح فيها، كما يسأله الفوز بالجنة والسلامة من عذاب النار.

﴿٢٠٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب على الأعمال، فيثيب المحسنين، ويعاقب المسيئين.

﴿٢٠٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ:

- ١ - الحج عبادة يُعْظَم فيها المؤمن شعائر الله، ولهذا نهى تعالى فيها عن ما يخالف ذلك من الفُحْش في القول والفعل.
- ٢ - جواز التجارة والسعي في الرزق في أثناء الحج؛ لأنه لا تعارض بين الأمرين.
- ٣ - مشروعية المبيت بمزدلفة للحاج ليلة العاشر من ذي الحجة.
- ٤ - مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.
- ٥ - اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من جعل همه الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأله خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَنْتَ مِنَ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ أَنْتَ مِنَ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ واذكروا الله بالتكبير والتهليل في أيام قلائل هي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، فمن تعجل وخرج من منى بعد الرمي في اليوم الثاني عشر فله ذلك، ولا إثم عليه؛ لأن الله خفف عنه، ومن تأخر إلى الثالث عشر حتى يرمي فله ذلك، ولا حرج عليه، وقد جاء بالأكمل، واتبع فعل النبي ﷺ، كل ذلك لمن اتقى الله في حجه فجاء به كما أمر الله، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأيقنوا أنكم إليه وحده ترجعون وتصيرون، فيجازيكم على أعمالكم. ﴿٢٤﴾ ومن الناس منافق يعجبك - أيها النبي - كلامه في هذه الدنيا، فتراه حسن المنطق، حتى لتظن صدقه ونصحه، وإنما قصده حفظ نفسه وماله، ويشهد الله - وهو كاذب - على ما في قلبه من إيمان وخير، وهو شديد الخصومة والعداوة للمسلمين. ﴿٢٥﴾ وإذا أدبر عنك وفارقك سعى مجتهداً في الأرض من أجل أن يُفسد بالمعاصي، ويُثْلِف الزرع، ويقتل المواشي، والله لا يحب الفساد في الأرض، ولا يحب أهله. ﴿٢٦﴾ وإذا قيل - على سبيل النصح - لذلك المفسد: اتق الله بتعظيم حدوده واجتناب نواهيه منعتة الأنفة والكبر عن الرجوع إلى الحق، وتمادى في الإثم، فجزاؤه الذي يكفيه دخول جهنم، وليس المستقر والمقام لأهلها. ﴿٢٧﴾ ومن الناس مؤمن يبيع نفسه، فيبذلها طاعة لربه، وجهاداً في سبيله وطلباً لمرضاته، والله واسع الرحمة بعاده، رؤوف بهم. ﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ادخلوا في الإسلام جميعه، ولا تتركوا منه شيئاً، كما يفعل أهل الكتاب من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ولا تتبعوا مسالك الشيطان؛ لأنه لكم عدو واضح العداوة مظهرها. ﴿٢٩﴾ فإن وقع منكم زلل وميل من بعد ما جاءتكم الدلائل الواضحات التي لا لبس فيها؛ فاعلموا أن الله عزيز في قدرته وقهره، حكيم في تدبيره وتشريعه، فخافوه وعظموه. ﴿٣٠﴾ ما ينتظر هؤلاء المتبعون مسالك الشيطان المائلين عن طريق الحق إلا أن يأتيتهم الله يوم القيامة إتياناً يليق بجلاله سبحانه، في ظلل من السحاب للقضاء بينهم، وتأتيهم الملائكة محيطة بهم من كل جانب، وعندئذ يُقضى أمر الله فيهم، ويُفزع منه، وإلى الله سبحانه وحده ترجع أمور الخلائق وشؤونهم.

فوائد من الآيات:

- ١ - التقوى حقيقة لا تكون بكثرة الأعمال فقط، وإنما بمتابعة هدي الشريعة والالتزام بها.
- ٢ - الحكم على الناس لا يكون بمجرد أشكالهم وأقوالهم، بل بحقيقة أفعالهم الدالة على ما أخفته صدورهم.
- ٣ - الإفساد بكل صوره في الأرض من صفات المتكبرين التي تلازمهم، والله تعالى لا يحب الفساد وأهله.
- ٤ - لا يكون المرء مسلماً حقيقة لله تعالى حتى يُسلم لهذا الدين كله، ويقبله ظاهراً وباطناً.

﴿١٣١﴾ اسأل - أيها النبي - بني إسرائيل سؤال توبيخ لهم: كم بين الله تعالى لكم من آية واضحة دالة على صدق الرسل! فكذبتموها وأعرضتم عنها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وتكذيبًا بعد معرفتها وظهورها؛ فإن الله شديد العقاب للكافرين المكذبين.

﴿١٣٢﴾ زين للذين كفروا بالله الحياة الدنيا وما فيها من متع زائلة، وملذات منقطعة، ويستهزئون بالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث ينزلهم الله في جنات عدن، والله يعطي من يشاء من خلقه بلا عد ولا حساب.

﴿١٣٣﴾ كان الناس أمة واحدة متفقين على الهدى، على دين أبيهم آدم، حتى أضلهم الشياطين، فاختلَفوا بين مؤمن وكافر، فلأجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين أهل الإيمان والطاعة بما أعد الله لهم من رحمته، ومنذرين أهل الكفر بما أوعدهم الله به من شديد عقابه، وأنزل مع رسله الكتب مشتملة على الحق الذي لا شك فيه؛ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في شأن محمد ﷺ وما جاء به بعد وضوحه إلا الذين أعطوا التوراة، ظلمًا منهم وحسدًا، فوقَّ الله المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال بإذنه وإرادته، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَلَكُمَ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ يَّبَيِّنُهَا وَمَن يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣١﴾ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣٢﴾ كَانَ النَّاسُ اٰمَةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَآبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ ۖ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ اِلَّا الَّذِينَ اُوْتُوْهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۗ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٣٣﴾ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنۢ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسْتَهْمُ الْبَآسَاءِ وَالضَّرَآءِ ۚ وَزُلْزَلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ مَتٰى نَصَرَ اللّٰهُ ۙ اِلَّا اِنۡ نَّصَرَ اللّٰهُ قَرِيْبٌ ﴿١٣٤﴾ يَسْأَلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ ۗ قُلْ مَا اَنفَقْتُمْ مِّنۢ خَيْرٍ فَلِلّٰهِ وَلِلَّذِيْنَ وَالَّآقَرِبِيْنَ ۚ اَلَيْسَتُمۡ بِالْمُسْكِيْنَ ۙ وَاِنَّ السَّيْلَ وَمَا تَفْعَلُوْنَ مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيْمٌ ﴿١٣٥﴾

المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال بإذنه وإرادته، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان.

﴿١٣٤﴾ أم ظننتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم ابتلاء مثل ابتلاء الماضين من قبلكم، حيث أصابهم شدة الفقر والمرض، وزلزلتهم المخاوف، حتى بلغ بهم البلاء أن يستعجلوا نصر الله، فيقول الرسول والمؤمنون معه: متى يأتي نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين به، المتوكلين عليه.

﴿١٣٥﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي -: ماذا ينفقون من أموالهم المتنوعة، وأين يضعونها؟ قل مجيبًا إياهم: ما أنفقتم من خير - وهو الحلال الطيب - فليصرف للوالدين، وللأدنى منكم من قرباتكم بحسب الحاجة، وللمحتاج من اليتامى، وللمُعْدَمِينَ الذين ليس لهم مال، وللمسافر الذي انقطع به السفر عن أهله ووطنه، وما تفعلوا - أيها المؤمنون - من خير قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله به عليم، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿١٣٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْءُونَ:

- ١ - ترك شكر الله تعالى على نعمه وترك استعمالها في طاعته يعرضها للزوال ويحيلها بلاء على صاحبها.
- ٢ - الأصل أن الله خلق عباده على فطرة التوحيد والإيمان به، وإبليس وأعوانه هم الذين صرفوهم عن هذه الفطرة إلى الشرك به.
- ٣ - أعظم الخذلان الذي يؤدي للفشل أن تختلف الأمة في كتابها وشريعتها، فيكفر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا.
- ٤ - الهداية للحق الذي يختلف فيه الناس، ومعرفة وجه الصواب بيد الله، ويطلب منه تعالى بالإيمان به والالتقائه.
- ٥ - الابتلاء سنة الله تعالى في أوليائه، فيبتليهم بقدر ما في قلوبهم من الإيمان به والتوكل عليه.
- ٦ - من أعظم ما يعين على الصبر عند نزول البلاء، الاقتداء بالصالحين وأخذ الأسوة منهم.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَفِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْعٌ سَبِيلُ اللَّهِ وَكُفْرٍ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿٢١٦﴾ فَرَضَ عَلَيْكُمْ - أيها المؤمنون - القتال في سبيل الله وهو مكروه للنفس بطبعها؛ لما فيه من بذل المال والنفس، ولعلكم تكرهون شيئاً وهو في الواقع خير ونفع لكم؛ كالقتال في سبيل الله، فمع عظم ثوابه فيه النصر على الأعداء ورفع كلمة الله، ولعلكم تحبون شيئاً وهو شر وبإل عليكم؛ كالجلوس عن الجهاد، فإن فيه الخذلان وتسلب الأعداء، والله يعلم علماً تاماً خير الأمور وشرها، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجبوا لأمره؛ ففيه الخير لكم.

﴿٢١٧﴾ يسألك الناس - أيها النبي - عن حكم القتال في الأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب، قل مجيباً إياهم: القتال في هذه الأشهر عظيم عند الله ومستنكر، كما أن ما يقوم به المشركون من صد عن سبيل الله مستقبح كذلك، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي هم فيه أعظم من القتل، ولا يزال المشركون على ظلمهم يقاتلونكم - أيها المؤمنون - حتى يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن يرجع منكم عن دينه، ويمت وهو على الكفر بالله؛ فقد

بطل عمله الصالح، وماله في الآخرة دخول النار وملازمته أبداً.

﴿٢١٨﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسوله، والذين تركوا أوطانهم مهاجرين إلى الله ورسوله، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا؛ أولئك يطمعون في رحمة الله ومغفرته، والله غفور عباد بهم.

﴿٢١٩﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي - عن الخمر (وهي: كل ما غطي العقل وأذهبه)، يسألونك عن: حكم شربها وبيعها وشراؤها، ويسألونك عن حكم القمار (وهو: ما يؤخذ من المال عن طريق المنافسات التي فيها عوض من الطرفين المشتركين في المنافسة)، قل مجيباً إياهم: فيهما مضار ومفاسد دينية ودنيوية كثيرة، من ذهاب العقل والمال، والوقوع في العداوة والبغضاء، وفيهما منافع قليلة كالمكاسب المالية، وضررهما والإثم الحاصل بهما أكبر من نفعهما، وما كان ضرره أكثر من نفعه؛ فإن العاقل يجتنبه، وهذا البيان من الله فيه تمهيد لتحريم الخمر. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قدر ما ينفقونه من أموالهم على وجه التطوع والتبرع؟ قل مجيباً إياهم: أنفقوا من أموالكم اليسير الذي يزيد عن حاجتكم (وقد كان هذا أول الأمر، ثم شرع الله بعد ذلك الزكاة الواجبة في أموال مخصوصة وأنصبة معينة)، وبمثل هذا البيان الذي لا لبس فيه يبين الله لكم أحكام الشرع لعلكم تتفكرون.

﴿٢٢٠﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الجهل بعواقب الأمور ربما يجعل المرء يكره ما ينفعه ويحب ما يضره، وعلى المرء أن يسأل الله الهداية للرشد.
- ٢ - جاء الإسلام بتعظيم الحرمات والنهي عن الاعتداء عليها، ومن أعظمها صد الناس عن سبيل الله تعالى.
- ٣ - لا يزال الكفار أبداً حرباً على الإسلام وأهله حتى يخرجوهم من دينهم، والله موهن كيد الكافرين.
- ٤ - الإيمان بالله تعالى، والهجرة إليه، والجهاد في سبيله؛ أعظم الوسائل التي ينال بها المرء رحمة الله ومغفرته.
- ٥ - حرمت الشريعة كل ما فيه ضرر غالب، وإن كان فيه بعض المنافع، مراعاة لمصلحة العباد.

﴿٢٢٦﴾ شرع ذلك لعلمكم تتفكرون فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قيامهم بالولاية على اليتامى: كيف يتصرفون في التعامل معهم، وهل يخلطون أموالهم معهم في النفقة والمطاعمة والمساكنة؟ قل مجيباً إياهم: تفضلكم عليهم بإصلاح أموالهم من غير أخذ عوض أو مخالطة في أموالهم؛ خير لكم عند الله وأعظم أجراً، وهو خير لهم في أموالهم؛ لما فيه من توفر أموالهم عليهم، وإن تشاركوهم بضم مالهم إلى مالكم في المعاش والمساكن ونحو ذلك؛ فلا حرج في ذلك، فهم إخوانكم في الدين، والإخوة يعين بعضهم بعضاً، ويقوم بعضهم على شؤون بعض، والله يعلم من يريد الإفساد من الأولياء بمشاركة اليتامى أموالهم ممن يريد الإصلاح، ولو شاء أن يشق عليكم في شأن اليتامى لشق عليكم، ولكنه ﷺ يسر لكم سبيل التعامل معهم؛ لأن شريعته مبنية على اليسر، إن الله عزيز لا يغالبه شيء، حكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه.

﴿٢٢٧﴾ ولا تزوجوا - أيها المؤمنون - المشركات بالله حتى يؤمن بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام، ولا امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبكم بجمالها ومالها، ولا تزوجوا المسلمات رجلاً مشركين، ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حر مشرك، ولو أعجبكم، أولئك المتصفون بالشرك - رجلاً ونساءً - يدعون بأقوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة

﴿٢٢٨﴾ التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه وفضله، وبين آياته للناس لعلمهم يعتبرون بما دلت عليه فيعملوا بها. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن الحيض (وهو دم طبيعي يخرج من رحم المرأة في أوقات مخصوصة) قل مجيباً إياهم: الحيض أذى للرجل والمرأة، فاجتنبوا جماع النساء في وقته، ولا تقربوهن بالوطء حتى ينقطع الدم عنهن، ويتطهرن منه بالغسل، فإذا انقطع وتطهرن منه فجامعوهم على الوجه الذي أباح الله لكم، طاهرات في قُلُوبِهِنَّ، إن الله يحب المكثرين من التوبة من المعاصي، المبالغين في الطهارة من الأخباث.

﴿٢٢٩﴾ زوجاتكم محل زرع لكم يلدن لكم الأولاد؛ كالأرض التي تخرج الثمار، فأتوا محل الزرع - وهو القبل - من أي جهة شئتم وكيفما شئتم، إذا كان في القبل، وقدموا لأنفسكم بفعل الخيرات، ومنه أن يجامع الرجل امرأته بقصد التقرب إلى الله، ورجاء الذرية الصالحة، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، ومنها ما شرع لكم في شأن النساء، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، واقفون بين يديه، ومجازيكم على أعمالكم، وبشر - أيها النبي - المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم من النعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم.

﴿٢٣٠﴾ ولا تجعلوا اسم الله حجة مائعة لحلفكم به، من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفتكم على ترك البر؛ فافعلوا البر وكفروا عن إيمانكم، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٣١﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - تحريم النكاح بين المسلمين والمشركين، وذلك لبعد ما بين الشرك والإيمان.
- ٢ - دلت الآية على اشتراط الولي عند عقد النكاح؛ لأن الله تعالى خاطب الأولياء لما نهى عن تزويج المشركين.
- ٣ - النهي عن أن يجامع الرجل امرأته وهي حائض حتى تطهر وتغتسل، وأما ما دون الجماع فلا يبيهي الرجل عنه.
- ٤ - حث الشريعة على الطهارة الحسية من النجاسات والأقذار، والطهارة المعنوية من الشرك والمعاصي.
- ٥ - ترغيب المؤمن أن يكون نظره في أعماله - حتى ما يتعلق بالملذات - إلى الدار الآخرة، فيقدم نفسه ما ينفعه فيها.

﴿١٢٥﴾ لا يحاسبكم الله بسبب الإيمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد، كقول أحدكم: لا والله، وبلى والله، فلا كفارة عليكم ولا عقوبة في ذلك، ولكن يحاسبكم على ما قصدتموه من تلك الإيمان، والله غفور لذنوب عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة. ﴿١٢٦﴾ للذين يحلفون على ترك جماع نسائهم انتظار مدة لا تزيد عن أربعة أشهر، ابتداء من حلفهم، وهو ما يُعرف بالإيلاء، فإن رجعوا إلى جماع نسائهم بعد حلفهم على تركه في مدة أربعة أشهر فما دون؛ فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم، ورحيم بهم حيث شرع الكفارة مخرجاً من هذا اليمين.

﴿١٢٧﴾ وإن قصدوا الطلاق باستمرارهم على ترك جماع نسائهم وعدم الرجوع إليه فإن الله سميع لأقوالهم التي منها الطلاق، عليم بأحوالهم ومقاصدهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٢٨﴾ والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ثلاث حيض لا يتزوجن خلالها، ولا يجوز لهن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل، إن كن صادقات في الإيمان بالله واليوم الآخر، وأزواجهن المطلقون لهن أحق بمراجعتهن في مدة العدة، إن قصدوا بالمراجعة الألفة وإزالة ما وقع بسبب الطلاق، وللزوجات من الحقوق والواجبات مثل الذي لأزواجهن من القوامه وأمر الطلاق، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في شرعه وتديبره.

﴿١٢٩﴾ الطلاق الذي يمتلك فيه الزوج الرجعة طلقتان، بأن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق، ثم يراجع، ثم بعد الطلقتين إما أن يمسكها في عصمته مع المعاشرة بالمعروف، أو يطلقها الثالثة مع الإحسان إليها وأداء حقوقها، ثم تحرم عليه تحريماً مؤقتاً حتى تتزوج غيره. ولا يحل لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا مما دفعتم إلى زوجاتكم من المهر شيئاً، إلا أن تكون المرأة كارهةً لزوجها بسبب خلقه أو خلقه، ويظن الزوجان بسبب هذا الكره عدم وفائهما بما عليهما من الحقوق، فليعرضا أمرهما على من له بهما صلة قرابة أو غيرها، فإن خاف الأولياء عدم قيامهما بالحقوق الزوجية بينهما، فلا حرج عليهما أن تخلع المرأة نفسها بمال تدفعه لزوجها مقابل طلاقها، تلك الأحكام الشرعية هي الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله بين الحلال والحرام؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، وتعريضها لغضب الله وعقابه.

﴿١٣٠﴾ فإن طلقها زوجها طليقة ثالثة لم يحل له نكاحها من جديد حتى تتزوج رجلاً غيره زوجاً صحيحاً لرغبة لا لقصد التحليل، ويجامعها في هذا النكاح، فإن طلقها الزوج الثاني أو توفي عنها؛ فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتراجعا بعقد ومهر جديدين، إن غلب على ظنهما أنهما يقومان بما يلزمهما من الأحكام الشرعية، وتلك الأحكام الشرعية يبينها الله لأناس يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

﴿١٣١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ

١ - بين الله تعالى أحكام النكاح والطلاق بياناً شاملاً حتى يعرف الناس حدود الحلال والحرام فلا يتجاوزوها.
٢ - المعاشرة الزوجية تكون بالمعروف، فإن تعذر ذلك فلا بأس من الطلاق ولا حرج على أحد الزوجين أن يطلبه.

﴿٣٣﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَقَارِبْنَ مِنْهُنَّ عَدَّتِهِنَّ ؛ فَلَكُمْ أَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ أَوْ تَتْرَكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ دُونَ رَجْعَةٍ حَتَّى تَنْقَضِيَ عَدَّتِهِنَّ ، وَلَا تُرَاجِعُوهُنَّ لِأَجْلِ الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِنَّ وَالْإِضْرَارِ بِهِنَّ كَمَا كَانَ يُفْعَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِقَصْدِ الْإِضْرَارِ بِهِنَّ ؛ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِتَعْرِيزِهَا لِلْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ ، وَلَا تَجْعَلُوا آيَاتِ اللَّهِ مَحَلَّ اسْتِهْزَاءٍ بِالتَّلَاعِبِ بِهَا وَالتَّجَرُّؤِ عَلَيْهَا ، وَادْكُرُوا نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَمَنْ أَعْظَمَهَا مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، يَذْكُرْكُمْ بِهَذَا تَرْغِيبًا لَكُمْ وَتَرْهِيبًا ، وَخَافُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .

﴿٣٤﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ أَقْلَ مِنْ ثَلَاثِ طَلَقَاتٍ ، وَانْتَهَتْ عَدَّتِهِنَّ ، فَلَا تَمْنَعُوهُنَّ - أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ - حَيْثُ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ بِعَقْدٍ وَنِكَاحٍ جَدِيدٍ إِذَا رَغِبَ فِي ذَلِكَ ، وَتَرَاضِيْنَ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ عَلَيْهِ ، ذَلِكَ الْحُكْمُ الْمُتَضَمِّنُ النَّهْيَ عَنْ مَنَعِهِنَّ يُذَكَّرُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ أَكْثَرُ نَمَاءٍ لِلْخَيْرِ فِيكُمْ ، وَأَشَدُّ طَهْرًا لِأَعْرَاضِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبَهَا وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ .

﴿٣٥﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ سِنَتَيْنِ

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجَلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُوٍّ أَوْ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَةَ اللَّهِ هُزُوًّا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعَنَ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّرُ وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ الْفَصْلُ لَعَنَ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوَرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٨﴾

كَامِلَتَيْنِ ، ذَلِكَ التَّحْدِيدُ بِسِنَتَيْنِ لِمَنْ قَصِدَ إِكْمَالَ مَدَّةِ الرِّضَاعَةِ ، وَعَلَى الزَّوْجِ - أَبِي الْوَلَدِ - نَفَقَةُ الْوَالِدَاتِ الْمَرْضَعَاتِ الْمَطْلُوقَاتِ وَلِبَاسَهُنَّ ، بِحَسَبِ مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِمَّا لَا يَخَالِفُ الشَّرْعَ ، لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا أَكْثَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَقُدْرَتِهَا ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِ الْأَبْوِينَ أَنْ يَتَّخِذَ الْوَلَدَ وَسِيلَةً لِإِضْرَارٍ لِلْآخَرِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ (وَهُوَ: مَنْ كَانَ يَرِثُ الصَّبِيَّ لَوْ مَاتَ وَلَهُ مَالٌ) إِذَا مَاتَ أَبُو الْوَلَدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ مِثْلُ مَا يَكُونُ عَلَى الْآبِ مِنَ الْحَقُوقِ . فَإِنْ أَرَادَ الْأَبَوَانِ فَطَامَ الْوَلَدَ قَبْلَ تَمَامِ السِّنَّتَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ، إِذَا كَانَ بَعْدَ تَشَاوُرِهِمَا وَتَرَاضِيهِمَا عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْمَوْلُودِ ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَطْلُبُوا لِأَوْلَادِكُمْ مَرْضَعَاتٍ غَيْرَ الْأُمَهَاتِ ؛ فَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا اتَّفَقْتُمْ عَلَيْهِ مَعَ الْمَرْضَعَةِ مِنْ أَجْرٍ بِالْمَعْرُوفِ بِلَا نَقْصٍ أَوْ مِمَّا طَلَبَتْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ أَعْمَالٍ .

﴿٣٩﴾ فَوَالَّذِينَ فِي الْأَيْدِي:

- ١ - نهى الرجل عن إمساك امرأته بقصد الإضرار بها دون أن يكون راغباً فيها ، وبيان أن ذلك من الظلم .
- ٢ - تحريم عضل المرأة بمنعها من الزواج ، أو منعها من الرجوع إلى زوجها الأول من قبل وليها .
- ٣ - اتباع ما جاء به الشرع من أحكام وآداب تتعلق بالأسرة يورث الخير والطهارة .
- ٤ - حفظ الشرع للأُم حق الرضاع ، وإن كانت مطلقة من زوجها ، وعليه أن ينفق عليها ما دامت ترضع ولده .
- ٥ - نهى الله تعالى الزوجين عن اتخاذ الأولاد وسيلة يقصد بها أحدهما الإضرار بالآخر .
- ٦ - الحث على أن تكون كل الشؤون المتعلقة بالحياة الزوجية مبنية على التشاور والتراضي بين الزوجين .

﴿٣٦٢﴾ والذين يموتون ويتركون وراءهم زوجات غير حوامل؛ ينتظرن بأنفسهن وجوباً مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يمتنعن فيها عن الخروج من بيت الزوج، وعن الزينة والزواج، فإذا انقضت هذه المدة؛ فلا إثم عليكم - أيها الأولياء - فيما فعلن بأنفسهن مما كان ممنوعاً عليهن في تلك المدة، على الوجه المعروف شرعاً وعرفاً، والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من ظاهركم وباطنكم، وسيجازيكم عليه.

﴿٣٦٣﴾ ولا إثم عليكم في التلميح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن، دون التصريح بالرغبة كأن يقول: إذا انقضت عدتك فأخبريني، ولا إثم عليكم فيما أخفيتم في أنفسكم من الرغبة في نكاح المعتدة بعد انقضاء عدتها، علم الله أنكم ستذكرونهن لشدة رغبتكم فيهن، فأباح لكم التلميح دون التصريح، واحذروا أن تتواعدوا سرّاً على النكاح وهن في مدة العدة، إلا وفق المعروف من القول وهو التعريض، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمن العدة، واعلموا أن الله يعلم ما تضرمنه في أنفسكم مما أباح لكم وحرّم عليكم فاحذروه، ولا تخالفوا أمره، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٦٢﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَسْتُم فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْذِنُوا لِهِنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٦٣﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْوُسْعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦٤﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾

﴿٣٦٤﴾ لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل أن تجامعهن وقبل أن توجبوا مهرًا محددًا لهن، فإذا طلقتموهن على هذه الحال فلا يجب لهن عليكم مهر، وإنما يجب إعطاؤهن شيئاً يتمتعن به، ويجبر كسر نفوسهن، بحسب الاستطاعة سواء كان مؤسّعاً عليه كثير المال أو مُضَيّقاً عليه قليل المال، وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم.

﴿٣٦٥﴾ وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجبتم لهن مهرًا محددًا، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إلهن، إلا أن يسمح لكم عنه - إن كنّ رشيدات - أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملاً لهن، وأن تتسامحا في الحقوق بينكم أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تتركوا - أيها الناس - تفضل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لتنالوا ثواب الله عليه.

﴿٣٦٦﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مشروعية العدة على من توفي عنها زوجها بأن تمتنع عن الزينة والزواج مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.
- ٢ - النهي عن خطبة المرأة وهي في حال عدتها حتى تنتهي، ويجوز التعريض بالرغبة في نكاحها دون التصريح إن كانت مطلقة بائناً.
- ٣ - معرفة المؤمن باطلاع الله عليه تحمله على الحذر منه تعالى والوقوف عند حدوده.
- ٤ - من طلق امرأته قبل الدخول بها يجب أن يدفع نصف المهر الذي سماه للمرأة، فإن لم يسم فيعطى أي شيء تطيب به نفسها.
- ٥ - الحث على المعاملة بالمعروف بين الأزواج والأقارب، وأن يكون العفو والمسامحة أساس تعاملهم فيما بينهم.

﴿٢٣٨﴾ حافظوا على الصلوات بأدائها تامة كما أمر الله، وحافظوا على الصلاة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر، وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

﴿٢٣٩﴾ فإن خفتكم من عدو ونحوه، فلم تقدرُوا على أدائها تامة فصلوا مشاة على أرجلكم أو راكبين على الإبل والخيول ونحوها، أو على أي صفة تقدرُون عليها، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله كما علمكم، ومنه ذكره في الصلاة على كمالها وتمامها، واذكروه أيضًا لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من النور والهدى.

﴿٢٤٠﴾ والذين يموتون منكم ويتركون وراءهم أزواجًا عليهم أن يوصوا لهم بأن يمتنع بالسكنى والنفقة عامًا كاملاً لا يُخرجهن ورثتكم، جبرًا لهم لما أصابهن، ووفاء للميت، فإن خرجن قبل إكمال العام من تلقاء أنفسهن فلا إثم عليكم ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والله عزيز لا غالب له، حكيم في تدبيره وشرعه وقدره. هذا وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿٢٤١﴾ وللمطلقات متاع يمتنع به من كسوة أو مال أو غير ذلك، جبرًا لخواتمهن المنكسرة بالطلاق، وفق المعروف من مراعاة حال الزوج من قلة أو كثرة، وهذا الحكم حق ثابت على المتقين لله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم - أيها المؤمنون - آياته المشتملة على حدوده وأحكامه؛ لعلكم تعقلونها وتعملون بها، فتتالوا الخير في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤٣﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفًا من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بني إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، ثم أعادهم أحياء، ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرًا، إن الله لذو عطاء وفضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

﴿٢٤٤﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداء الله، نصرة لدينه ورفعة لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يعمل عمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة، ليعود عليه أضعافًا كثيرة، والله يضيّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٢٤٦﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَأْتُونَ:

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجًا لَا أَوْرُكِبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ

فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً

لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ

مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّاتُ مَتَاعٌ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا

كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿٢٤٦﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَأْتُونَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

﴿٢٤٧﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٢٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

﴿٢٤٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿٢٥٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا

كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿٢٥١﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَأْتُونَ



﴿٢٦﴾ أَلَمْ يَبْلُغْ عَلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - خَيْرُ الْأَشْرَافِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ زَمَنِ مُوسَى ﷺ، حِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ لَهُمْ: أَقِمْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ مَعَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ نَبِيهِمْ: لَعَلَّكُمْ إِنْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ أَنْ لَا تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ! قَالُوا مُنْكَرِينَ ظَنَّهُ فِيهِمْ: أَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُنَا مِنَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ وَجُودِ مَا يَقْتَضِي ذَلِكَ مِنَّا؛ فَقَدْ أَخْرَجْنَا أَعْدَاؤَنَا مِنْ أَوْطَانِنَا، وَأَسْرَوْا أَبْنَاءَنَا، فَنَقَاتِلُ لِمَا لَا نَحْتَسِبُ أَنْ نَفْزَحَ بِهِمْ، وَأَنْ نَحْمِلَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ أَعْرَضُوا إِلَّا قَلَّةٌ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ أَمْرِهِ، النَّاقِضِينَ لِعَهْدِهِ، وَسِجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٢٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيهِمْ: إِنْ اللَّهُ قَدْ أَقَامَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا عَلَيْكُمْ لِنَقَاتِلُوا تَحْتَ رَايَتِهِ، قَالَ أَشْرَافُهُمْ مُسْتَنْكَرِينَ هَذَا الْاِخْتِيَارَ وَمُعْتَرِضِينَ عَلَيْهِ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْمُلْكِ مِنْهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلَمْ يَعْطَ مَالًا وَاسِعًا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْمُلْكِ؟! قَالَ لَهُمْ نَبِيهِمْ: إِنْ اللَّهُ اخْتَارَهُ عَلَيْكُمْ، وَزَادَهُ عَلَيْكُمْ سَعَةً فِي الْعِلْمِ وَقُوَّةً فِي الْجِسْمِ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءٍ بِحُكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ خَلْقِهِ.

﴿٢٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيهِمْ: إِنْ عَلَامَةٌ صَدَقَ اخْتِيَارُهُ مَلَكًا عَلَيْكُمْ؛ أَنْ يُرِدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ التَّابُوتَ - وَكَانَ صَنْدُوقًا يُعْظَمُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَخْذَ مِنْهُمْ - فِيهِ طُمَأْنِينَةٌ تَصَاحِبُهُ، وَفِيهِ بَقَايَا مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ، مِثْلُ الْعَصَا، وَبَعْضُ مِنَ الْأَلْوَحِ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعَلَامَةٌ بَيْنَهُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا.

﴿٢٩﴾ فَوَازَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أَنْ ظَلَمَ النَّاسَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَالتَّعَدِّيَ عَلَى حُرْمَاتِهِمْ، مِنْ أَكْثَرِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَى الْقِتَالِ.

٢ - التَّنْبِيهُ إِلَى أَهَمِّ صِفَاتِ الْقَائِدِ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِقِيَادَةِ النَّاسِ؛ وَهِيَ الْعِلْمُ بِمَا يَكُونُ قَائِدًا فِيهِ، وَالْقُوَّةُ عَلَيْهِ.

٣ - إِرْشَادُ مَنْ يُتَوَلَّى قِيَادَةَ النَّاسِ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِأَقْوَالِهِمْ حَتَّى يَبْلُوهُمْ، وَيَخْتَبِرَ أَعْمَالَهُمْ بَعْدَ أَقْوَالِهِمْ.

٤ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ الْمُلْكَ بِيَدِهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ.

٥ - أَنَّ الْاِعْتِبَارَاتِ الَّتِي قَدْ تَشْتَهَرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَزْنِ الْأَخْرَيْنِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِمْ قَدْ لَا تَكُونُ هِيَ الْمَوَازِينُ الصَّحِيحَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٢٤﴾ فلما خرج طالوت بالجنود عن البلد قال لهم: إن الله مختبركم بنهر، فمن شرب منه فليس على طريقي، ولا يصاحبي في قتال، ومن لم يشرب منه فإنه على طريقي، ويصاحبي في القتال، إلا من تسامح فشرب مقدار غرفة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، فلما جاوز طالوت النهر هو والمؤمنون معه، قال بعض جنوده: لا قدرة لنا اليوم بقتال جالوت وجنوده، وعندئذ قال الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكثرة، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم.

﴿٢٥﴾ ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صَبِّ على قلوبنا الصبر صَبًّا، وثبت أقدامنا حتى لا نَفِرَ ولا ننهزم أمام عدونا، وانصرنا بقوتك وتأيدك على القوم الكافرين.

﴿٢٦﴾ فهزمهم بإذن الله، وقتل نبيُّ الله داودُ ﷺ قائذهم جالوت، وآتاه الله الملك والنبوة، وعلمه مما يشاء من أنواع العلوم، فجمع له بين ما يصلح الدنيا والآخرة. ولولا

أن من سُنَّةِ الله أن يردَّ ببعض الناس فساد بعضهم؛ لفسدت الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ذو فضل على جميع المخلوقات.

﴿٢٧﴾ تلك آيات الله الواضحة البينة نتلوها عليك - أيها النبي - متضمنة صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

﴿٢٨﴾ فَوَلِّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من حكمة القائد أن يُعَرِّضَ جيشه لأنواع الاختبارات التي يتميز بها جنوده ويعرف الثابت من غيره.
- ٢ - العبرة في النصر ليست بمجرد كثرة العدد والعدة فقط، وإنما معونة الله وتوفيقه أعظم الأسباب للنصر والظفر.
- ٣ - لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من عَمَرَ اليقين بالله قلوبهم، فمثل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء.
- ٤ - الضراعة إلى الله تعالى بقلب صادق متعلق به من أعظم أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما في مواطن القتال.
- ٥ - من سُنَّةِ الله تعالى وحكمته أن يدفع شر بعض الخلق وفسادهم في الأرض ببعضهم.
- ٦ - تضمن القرآن الكريم الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، بما يدل على صدق نبوة محمد ﷺ ورسالته.

﴿٢٠١﴾ أولئك الرسل الذين ذكرناهم لك، فضلنا بعضهم على بعض في الوحي والاتباع والدرجات، منهم من كلمه الله مثل: موسى ﷺ، ومنهم من رفعه درجات عالية مثل: محمد ﷺ حيث أُرسل للناس كلهم، وُحِّمَتْ به النبوة، وُفُضِلَتْ أُمته على سائر الأمم، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات الدالة على نبوته؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأيدناه بجبريل ﷺ تقوية له على القيام بأمر الله تعالى. ولو شاء الله ما اقتتل الذين جاؤوا من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة، ولكن اختلفوا فانقسموا؛ فمنهم من آمن بالله، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله أن لا يقتلوا ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، فيهدي من يشاء إلى الإيمان برحمته وفضله، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

﴿٢٠٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا مما رزقناكم من مختلف الأموال الحلال، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حينئذ لا بيع فيه يكتسب منه الإنسان ما ينفعه، ولا صداقة تنفعه في وقت الشدة، ولا وساطة تدفع ضرراً أو تجلب نفعا إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والكافرون هم الظالمون حقاً لكفرهم بالله تعالى.

﴿٢٠٣﴾ تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٠٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٠٦﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٧﴾

﴿٢٠٨﴾ الله الذي لا إله يعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها، لا يأخذه نعاس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيومته، له وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، لا يملك أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إذنه ورضاه، يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع، ولا يحيطون بشيء من علمه تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، أحاط كرسيه - وهو: موضع قدم الرب - بالسماوات والأرض على سعتيها وعظمتيها، ولا يُقَالُ له أو يشق عليه حفظهما، وهو العليُّ في ذاته وصفاته، العظيم في ملكه وسلطانه. ﴿٢٠٩﴾ لا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق البين فلا حاجة به إلى إكراه أحد عليه، قد تميز الرُّشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها، ويؤمن بالله وحده؛ فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا ينقطع للنجاة يوم القيامة، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢١٠﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَانِ:

- ١ - أن الله تعالى قد فاضل بين رسله وأنبيائه، بعلمه وحكمته سبحانه.
- ٢ - إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه تعالى قد كلم بعض رسله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
- ٣ - الإيمان والهدى والكفر والضلال كلها بمشيئة الله وتقديره، فله تعالى الحكمة البالغة، ولو شاء لهدى الخلق جميعاً.
- ٤ - آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، لما تضمنته من ربوبية الله وألوهيته وبيان أوصافه ﷻ.
- ٥ - اتباع الإسلام والدخول فيه يجب أن يكون عن رضا وقبول، فلا إكراه في دين الله تعالى.
- ٦ - الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله أعظم وسيلة للسعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.

﴿٢٥٧﴾ الله يتولى الذين آمنوا به، يوفقهم وينصرهم، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، والذين كفروا أولياؤهم الشيطان وأعوانه، الذين زينوا لهم الكفر، فأخرجوهم من نور الإيمان والعلم إلى ظلمات الكفر والجهل، أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً. ولما ذكر الله الفريقين ضرب مثالين على الفريقين فقال:

﴿٢٥٨﴾ ألم تعلم - أيها النبي - جرأة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك لأن الله آتاه الملك فطغى، فبين له إبراهيم صفات ربه قائلاً: ربي الذي يحيي الخلائق ويميتُها، قال الطاغية عناداً: أنا أحيي وأميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عن من أشاء، فأتاه إبراهيم عليه السلام بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربي الذي أعبدُه يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأنت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، وغلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين لسلوك سبيله؛ لظلمهم وطغيانهم.

﴿٢٥٩﴾ أو هل علمت مثل الذي مرَّ على قرية سقطت سقوفها، وتهدمت جدرانها، وهلك

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٢٥٧﴾ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢٥٨﴾ أو كالأذى مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبنت قال لبنت يوماً أو بعض يوم قال بل لبنت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿٢٥٩﴾

سكانها، فأصبحت موحشة مُقفرة، قال هذا الرجل متعجباً: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتها؟! فأماته الله مدة مئة عام، ثم أحياه، وسأله فقال له: كم مكثت ميتاً؟ قال محبباً: مكثت مدة يوم أو بعض يوم. قال له: بل مكثت مئة سنة تامة، فانظر إلى ما كان معك من الطعام والشراب، فهاهو باق على حاله لم يتغير، مع أن أسرع ما يصيبه التغير الطعام والشراب، وانظر إلى حمارك الميت، ولنجعلك علامة بينة للناس دالة على قدرة الله على بعثهم، فانظر إلى العظام التي تفرقت وتباعدت، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك اللحم، ونعيد فيها الحياة، فلما رأى ذلك تبين له حقيقة الأمر، وعلم قدرة الله، فقال معترفاً بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿٢٦٠﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - من أعظم ما يميز أهل الإيمان أنهم على هدى وبصيرة من الله تعالى في كل شؤونهم الدينية والدنيوية، بخلاف أهل الكفر.
- ٢ - من أعظم أسباب الطغيان الغرور بالقوة والسلطان حتى يعمي المرء عن حقيقة حاله.
- ٣ - مشروعية مناظرة أهل الباطل لبيان الحق، وكشف ضلالهم عن الهدى.
- ٤ - عظم قدرة الله تعالى؛ فلا يعجزه شيء، ومن ذلك إحياء الموتى.

﴿٣٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب أرني ببصري كيف يكون إحياء الموتى؟! قال له الله: أولم تؤمن بهذا الأمر؟ قال إبراهيم: بلى قد آمننت، ولكن زيادة في طمأنينة قلبي، فأمره الله وقال له: خذ أربعة من الطير، فاضممهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءاً منهن، ثم نادهن يأتينك سعيًا مسرعات قد عادت إليهن الحياة. واعلم يا إبراهيم أن الله عزيز في ملكه، حكيم في أمره وشرعه.

﴿٣٧﴾ مثل ثواب المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة يضعها الزارع في أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، في كل سنبل منها مائة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، فيعطيه أجرهم دون حساب، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

﴿٣٨﴾ الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ومرضاته، ثم لا يتبعون بذلهم بما يبطل ثوابه من المنّ على الناس بالقول أو الفعل، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

﴿٣٩﴾ قول كريم تدخل به السرور على قلب مؤمن، وعفو عمن أساء إليك؛ أفضل من صدقة يتبعها إيداء بالمنّ على المتصدق عليه، والله غني عن عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٤٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تفسدوا ثواب صدقاتكم بالمنّ على المتصدق عليه وإيدائه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي يبذل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، فمثل هذا مثل حجر أملس فوقه تراب، فأصاب ذلك الحجر مطر غزير، فأزاح التراب عن الحجر وتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك المراءون يذهب ثواب أعمالهم ونفقاتهم ولا يبقى منها عند الله شيء، والله لا يهدي الكافرين إلى ما يرضيه تعالى وينفعهم في أعمالهم ونفقاتهم.

﴿٤١﴾ فوالله من الآيات:

١ - مراتب الإيمان بالله ومنازل اليقين به متفاوتة لا حد لها، وكلما ازداد العبد نظرًا في آيات الله الشرعية والكونية زاد إيمانًا ويقينًا.

٢ - بعث الله تعالى للخلق بعد موتهم دليل ظاهر على كمال قدرته وتمايم عظيمته سبحانه.

٣ - فضل الإنفاق في سبيل الله وعظم ثوابه، إذا صاحبه النية الصالحة، ولم يلحقه أذى ولا مئة.

٤ - من أحسن ما يقدمه المرء للناس حسن الخلق من قول وفعل حسن، وعفو عن سييء.

٥ - المنّ بالصدقة على الناس وإيدائهم بها مُحِطٌ لثوابها، مُذْهِبٌ لفضلها.

﴿١٦٥﴾ ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، مطمئنة أنفسهم بصدق وعد الله غير مكرهة، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، أصابه مطر غزير، فأنثج ثمرًا مضاعفًا، فإن لم يصبه مطر غزير أصابه مطر خفيف فاكتفى به لطيب أرضه، وكذلك نفقات المخلصين يقبلها الله وينضاعف أجرها وإن كانت قليلة، والله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه حال المخلصين والمرائين، وسيجازي كلًا بما يستحق.

ثم ضرب تعالى مثالاً يصور به حال المنفق ماله رياءً فقال:

﴿١٦٦﴾ أيرغب أحدكم أن يكون له بستان فيه نخل وعنب تجري في خلاله المياه العذبة، له فيه من كل أنواع الثمرات الطيبة، وأصاب صاحبه الكبر فأصبح شيخًا لا يقدر على العمل والكسب، وله أبناء صغار ضعفاء لا يستطيعون العمل، فأصاب البستان ريح شديدة فيها نار شديدة، فاحترق البستان كله، وهو أحوج ما يكون إليه لكبره وضعف ذريته، فحال المنفق ماله رياءً للناس مثل هذا الرجل، يرد على الله يوم القيامة بلا حسنات، في وقت هو أشد ما يكون حاجة لها. مثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فيه.

﴿١٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تعتمدوا إلى الرديء منه فتفقروا، ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تغاضيتكم مكرهين على رداءته، فكيف ترضون الله ما لا ترضون لأنفسكم؟! واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله.

﴿١٦٨﴾ ولما أمرهم بإنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان ووساوسه، فقال:

﴿١٦٩﴾ الشيطان يخوفكم من الفقر، ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم مغفرة عظيمة لذنوبكم، وورقًا واسعًا، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿١٧٠﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يؤتي ذلك فقد أعطي خيرًا كثيرًا، وما يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهدي بهديه.

﴿١٧١﴾ فإذن من الآيات:

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَمَرَتُ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصَابُهَا بِأَعْيُنِهَا فِيهَا نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُعْضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿١٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٦٩﴾

﴿١٧٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تعتمدوا إلى الرديء منه فتفقروا، ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تغاضيتكم مكرهين على رداءته، فكيف ترضون الله ما لا ترضون لأنفسكم؟! واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله.

﴿١٧١﴾ ولما أمرهم بإنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان ووساوسه، فقال:

﴿١٧٢﴾ الشيطان يخوفكم من الفقر، ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم مغفرة عظيمة لذنوبكم، وورقًا واسعًا، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿١٧٣﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يؤتي ذلك فقد أعطي خيرًا كثيرًا، وما يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهدي بهديه.

١ - المؤمنون بالله تعالى حقًا واثقون من وعد الله وثوابه، فهم ينفقون أموالهم ويبذلون بلا خوف ولا حزن.
٢ - من فضل الله وإحسانه أن يبارك فيما يبذله المؤمنون إذا كان بإخلاص له تعالى.
٣ - المؤمن واثق بالله، فلا يلتفت إلى وساوس الشيطان التي يحاول بها أن يمنعه من البذل والإنفاق؛ كالتخوف بالفقر والحاجة.

٤ - أعظم الناس خسارة من يراني بعمله الناس؛ لأنه ليس له من ثواب على عمله إلا مدحهم وثناؤهم.

﴿١٧٥﴾ وما أنفقتم من نفقة قليلة كانت أو كثيرة ابتغاء مرضاة الله، أو التزمتكم فعل طاعة الله من عند أنفسكم لم تكلفوا بها؛ فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضيع عنده شيء منه، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء، وما للظالمين المانعين لما يجب عليهم، المتعدين لحدود الله، من أنصار يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

﴿١٧٦﴾ إن تطهروا ما تبدلون من الصدقة بالمال فيعم الصدقة صدقتكم، وإن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم من إظهارها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص. وفي صدقات المخلصين ستر لذنوبهم ومغفرة لها، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

﴿١٧٧﴾ ليس عليك - أيها النبي - هدايتهم لقبول الحق والانقياد له وحملهم عليه، وإنما تجب عليك دلالتهم إلى الحق وتعريفهم به، فإن التوفيق للحق والهداية إليه بيد الله، وهو يهدي من يشاء. وما تنفقوا من خير فنفعه عائد إليكم؛ لأن الله اغني عنه، ولتكن نفقتكم خالصة لله، فالمؤمنون حقًا لا ينفقون إلا طلبًا لمرضاة الله، وما تنفقوا من خير قليلًا كان أو كثيرًا فإنكم تُعطون ثوابه تامًا غير منقوص، فإن الله لا يظلم أحدًا.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٧٥﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدُيْهُمَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالْإِثَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٩﴾

الجزء الثالث

ولما ذكر الإنفاق في سبيله ودعا المؤمنين إليه بين لهم المصارف التي ينفقون فيها، فقال:

﴿١٧٧﴾ اجعلوها للفقراء الذين منعمهم الجهاد في سبيل الله من السفر طلبًا للرزق، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء لتعففهم عن السؤال، ويعرفهم المطلع عليهم بعلاماتهم، من الحاجة الظاهرة على أجسامهم وثيابهم، ومن صفاتهم أنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس ملحين في مسألتهم، وما تنفقوا من خير ومال فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء.

﴿١٧٨﴾ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الليل والنهار، سرًا وعلانية بلا رياء ولا سمعة، فلهم ثوابهم عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمرهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فضلًا من الله ونعمة.

﴿١٧٩﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لا يخفى على الله تعالى ما يبذله المؤمنون من خير، فهو مطلع عليه وسيجزي المخلصين أعظم الجزاء وأكرمه.
- ٢ - إذا أخلص المؤمن في نفقاته وصدقاته فلا حرج عليه في إظهارها وإخفائها، وإن كان الإخفاء أعظم أجرًا وثوابًا.
- ٣ - دعوة المؤمنين إلى الالتفات والعناية بالمحتاجين الذين تمنعهم العفة من إظهار حالهم وسؤال الناس.
- ٤ - مشروعية الإنفاق في سبيل الله تعالى في كل وقت وحين، وعظم ثوابها، حيث وعد تعالى عليها بعظيم الأجر في الدنيا والآخرة.

ولما رَغِبَ تعالى في الإنفاق في سبيله لما فيه من التعاون والتكافل بين المسلمين؛ حذّر مما يناقض ذلك وهو الربا، فقال:

﴿الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يَقُومُ الَّذِي بِهِ مَسَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ يَخِطُّ كَمَا يَخِطُّ مِنْ بِهِ صَرَعٌ فِي قِيَامِهِ وَسُقُوطُهُ؛ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ اسْتَحْلَوْا أَكْلَ الرِّبَا، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ مَكَاسِبِ الْبَيْعِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا فِي كَوْنِهِ حَلَالًا، فَكُلَّ مِنْهُمَا يُوْدِي إِلَى زِيَادَةِ الْمَالِ وَنَمَائِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْطَلَ قِيَاسَهُمْ وَأَكْذَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْلَ الْبَيْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ عَامٍ وَخَاصٍّ، وَحَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَأَكْلٍ لَأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بِلَا مِقْبَلٍ، فَمِنْ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا نَهْيٌ وَتَحْذِيرٌ مِنَ الرِّبَا، فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ؛ فَلَهُ مَا مَضَى مِنْ أَخْذِهِ لِلرِّبَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمِنْ عَادَ إِلَى أَخْذِ الرِّبَا بَعْدَ أَنْ بُلِغَهُ النَّهْيُ مِنَ اللَّهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحِجَةُ؛ فَقَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ وَالْخُلُودَ فِيهَا.

وهذا الخلود في النار المقصود به البقاء الطويل فيها، فإن الخلود الدائم فيها لا يكون إلا للكفار، أما أهل التوحيد فلا يخلدون فيها.

ولما ذكر الله الإنفاق في سبيله وأخذ الربا بين الفرق بينهما في الجزاء، فقال:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخِطُّهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿يُهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّبَوِي وَيُذْهِبُهُ، إِمَّا حَسًّا بَلْفَه ونحو ذلك، أو معنى ينزع البركة منه، ويزيد الصدقات وينميها بمضاعفة ثوابها، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وبارك في أموال المتصدقين، والله لا يحب كل من كان كافراً عنيداً، مستحلاً للحرام، متماذياً في المعاصي والآثام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَأَدَّوُا الصَّلَاةَ تَامَةً عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ، وَآتَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا؛ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، خَافُوا اللَّهَ بَأْنَ تَمَتَّلُوا أَوْامِرَهُ وَتَجَنَّبُوا نَوَاهِيَهُ، وَاتْرَكُوا الْمَطَالِبَةَ بِمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالٍ رِبَوِيَّةٍ عِنْدَ النَّاسِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِاللَّهِ وَبِمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْلَمُوا وَاسْتَقِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ، وَتَرَكْتُمْ الرِّبَا فَلَكُمْ قَدْرٌ مَا أَقْرَضْتُمْ مِنْ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ أَحَدًا بِأَخْذِ زِيَادَةٍ عَلَى رَأْسِ مَا لَكُمْ، وَلَا تُظْلَمُونَ بِالنَّقْصِ مِنْهَا.

﴿وَأِنْ كَانَ مِنْ تَطَالُيُونَهُ بِالذَّيْنِ مَعْسَرًا لَا يَجِدُ سِدَادَ دِينِهِ، فَأَخْرَوْا مَطَالِبَتَهُ إِلَى أَنْ يَتيسَّرَ لَهُ الْمَالُ، وَيَجِدَ مَا يَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْمَطَالِبَةِ بِالذَّيْنِ أَوْ إِسْقَاطِ بَعْضِهِ عَنْهُ، خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضْلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَخَافُوا عَذَابَ يَوْمٍ تُرْجَعُونَ فِيهِ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَتَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصِ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَا بِزِيَادَةِ الْعُقُوبَةِ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من أعظم الكبائر أكل الربا، ولهذا توعده تعالى آكله بالحرب.
- ٢ - الالتزام بأحكام الشرع في المعاملات المالية ينزل البركة والنماء فيها.
- ٣ - فضل الصبر على المعسر، والتخفيف عنه بالتصدق عليه ببعض الدين أو كله.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿٢٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِالذِّينِ، بَأَن دَايَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِلَى مَدَّة مُّحَدَّدَةٍ فَارْتَبُوا ذَلِكَ الدِّينَ، وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ الْمُوَافِقِ لِلشَّرْعِ، وَلَا يَمْتَنِعُ الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الدِّينَ بِمَا يُوَافِقُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْعَدْلِ، فَلْيَكْتُبْ مَا يُمْلِيهِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِقْرَارًا مِنْهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا يَنْقُصَ مِنَ الدِّينِ شَيْئًا فِي قَدْرِهِ أَوْ نَوْعِهِ أَوْ كَيْفِيَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا يَحْسَنُ النَّصْرَ، أَوْ كَانَ ضَعِيفًا لَصَغَرِهِ أَوْ جُنُونِهِ، أَوْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِمْلَاءَ لَخَرَسِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلْيَقُمْ بِالْإِمْلَاءِ عَنْهُ وَلِيُّهُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ. وَاطْلُبُوا شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ عَاقِلَيْنِ عَدْلَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ رَجُلَانِ فَاسْتَشْهِدُوا رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ تَرْضَوْنَ دِينَهُمْ وَأَمَانَتَهُنَّ، حَتَّى إِذَا نَسِيتَ إِحْدَى الْمَرَاتَيْنِ ذَكَرَتْهَا أَخْتَهَا، وَلَا يَمْتَنِعُ الشُّهُودُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُمْ الشَّهَادَةُ عَلَى الدِّينِ، وَعَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا إِذَا دُعُوا لِذَلِكَ، وَلَا يُصِيبُكُمُ الْمَلَلُ مِنْ كِتَابَةِ الدِّينِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا إِلَى مَدَّتِهِ الْمَحْدَدَةِ، فَكِتَابَةُ الدِّينِ أَعْدَلُ فِي شَرْعِ اللَّهِ، وَأَبْلَغُ فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَانَتِهَا، وَأَقْرَبُ إِلَى نَفْيِ الشَّكِّ فِي نَوْعِ الدِّينِ وَمِقْدَارِهِ وَمَدَّتِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ

التعاقد بينكم على تجارة في سلعة حاضرة وثمان حاضر؛ فلا حرج في ترك الكتابة حينئذ لعدم الحاجة إليها، ويشرع لكم الإشهاد منعًا لأسباب النزاع، ولا يجوز الإضرار بالكتاب والشهود، ولا يجوز لهم الإضرار بمن طلب كتابتهم أو شهادتهم، وإن وقع منكم الإضرار فإنه خروج عن طاعة الله إلى معصيته. وخافوا الله - أيها المؤمنون - بأن تمتثلوا ما أمركم به، وتجتنبوا ما نهاكم عنه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - مشروعية توثيق الدِّينِ وسائر المعاملات المالية دفعًا للاختلاف والتنازع.
- ٢ - وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وأنواع الإجازات.
- ٣ - ثبوت الولاية على القاصرين إما بسبب عجزهم، أو ضعف عقولهم، أو صغر سنهم.
- ٤ - مشروعية الإشهاد على الإقرار بالديون والحقوق.
- ٥ - أن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء والألفاظ المعتمدة في كل معاملة بحسبها.
- ٦ - لا يجوز الإضرار بأحد بسبب توثيق الحقوق وكتابتها، لا من جهة أصحاب الحقوق، ولا من جهة من يكتبه ويشهد عليه.

﴿١٨١﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَسَافِرِينَ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ وَثِيقَ الدِّينِ، فَيَكْفِي أَنْ يُعْطِيَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ رَهْنًا يَقْبِضَهُ صَاحِبُ الْحَقِّ، يَكُونُ ضِمَانًا لِحَقِّهِ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الْمَدِينُ مَا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ، فَإِنْ وَثَّقَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ لَمْ تَلْزَمْ كِتَابَةٌ وَلَا إِشْهَادٌ وَلَا رَهْنٌ، وَيَكُونُ الدِّينُ حَبِثًا أَمَانَةً فِي ذِمَّةِ الْمَدِينِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ لِدَائِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ فَلَا يَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا، فَإِنْ أَنْكَرَ كَانَ عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَعَامَلَةَ أَنْ يُوَدِّيَ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْتُمَهَا، وَمَنْ يَكْتُمَهَا فَإِنَّ قَلْبَهُ قَلْبُ فَاجِرٍ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٨٢﴾ اللَّهُ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا، وَإِنْ تَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَسَيَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهِ، فَيَغْفِرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَضْلًا وَرَحْمَةً، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَذَابًا وَحِكْمَةً، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿١٨٣﴾ آمَنَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا كَذَلِكَ، كُلُّهُمْ جَمِيعًا آمَنُوا بِاللَّهِ، وَآمَنُوا بِجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ، وَجَمِيعِ كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعِ رُسُلِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ، آمَنُوا بِهِمْ قَائِلِينَ: لَا

﴿١٨٤﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضٌ فليُؤَدِّ الَّذِي أَوْثَقَ مِنْهُ وَلِيَّتَهُ اللَّهُ رَبُّنَا وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨٥﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٦﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٧﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٨﴾

نَفَرٍ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا مَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَطَعْنَاكَ بِفِعْلِ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَرَكْنَا مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَنَسَأْلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، فَإِنْ مَرَجَعْنَا إِلَيْكَ وَحَدِّكَ فِي كُلِّ شَأْنٍ.

﴿١٨٩﴾ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا طَاقَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْنِي عَلَى الْيُسْرِ فَلَا مَشَقَّةَ فِيهِ، فَمَنْ كَسَبَ خَيْرًا فَلَهُ ثَوَابٌ مَا عَمِلَ لَا يُنْقَضُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَنْ كَسَبَ شَرًّا فَعَلَيْهِ جَزَاءٌ مَا اكْتَسَبَ مِنْ ذَنْبٍ لَا يَحْمِلُهُ عَنْهُ غَيْرُهُ. وَقَالَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ: رَبَّنَا لَا تَعَاقِبْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ بَلَا قَصْدَ مِنَّا، رَبَّنَا وَلَا تَكْلِفْنَا مَا يَشِقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ، كَمَا كَلَفْتَ مِنْ قَبْلِنَا مِمَّنْ عَاقَبْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ كَالْيَهُودِ، وَلَا تَحْمِلْنَا مَا يَشِقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَتَجَاوَزْ عَنْ ذُنُوبِنَا، وَاعْفُ لَنَا، وَارْحَمْنَا بِفَضْلِكَ، أَنْتَ وَلِينَا وَنَاصِرُنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ﴾

- ١ - جَوَازُ اخْتِذِ الرِّهْنِ لَضَمَانِ الْحَقِّ فِي حَالِ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى تَوْثِيقِ الْحَقِّ، إِلَّا إِذَا وَثَّقَ الْمُتَعَامِلُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.
- ٢ - حَرْمَةُ كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَإِثْمُ مَنْ يَكْتُمُهَا وَلَا يُؤَدِّيُهَا.
- ٣ - كَمَالُ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَاطِّلَاعُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَقُدْرَتُهُ التَّامَّةُ عَلَى حَسَابِهِمْ عَلَى مَا اكْتَسَبُوا مِنْ أَعْمَالٍ.
- ٤ - فِي الْآيَةِ تَقْرِيرُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَبَيَانُ أَصُولِهِ.
- ٥ - قَامَ هَذَا الدِّينُ عَلَى الْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ عَنِ الْعِبَادِ، فَلَا يَكْلَفُهُمْ اللَّهُ إِلَّا مَا يَطِيقُونَ، وَلَا يَحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ ۚ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرِينَ ﴿٦﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْعِصَادَ ﴿٨﴾

شيء، ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره.

﴿١﴾ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قد أحاط علمه بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها.
﴿٢﴾ هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود، لا معبود بحق وحجب وتعظيم غيره، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.
﴿٣﴾ هو الذي أنزل عليك - أيها النبي - القرآن، منه آيات واضحة الدلالة، لا لبس فيها، هي أصل الكتاب ومعظمه، وهي المرجع عند الاختلاف، ومنه آيات آخر محتملة لأكثر من معنى، يلتبس معناها على أكثر الناس، فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق فيتركون المُحْكَم، ويأخذون بالمتشابه المُحْتَمَل؛ يبتغون بذلك إثارة الشبهة وإضلال الناس، ويبتغون بذلك تأويلها بأهوائهم على ما يوافق مذاهبهم الفاسدة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله. والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه. وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة.
﴿٤﴾ وهؤلاء الراسخون يقولون: ربنا لا نُجِلْ قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعضمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.
﴿٥﴾ ربنا إنك سترجع الناس جميعاً إليك لحسابهم في يوم لا شك فيه، فهو آت لا محالة، إنك - يا ربنا - لا تخلف الميعاد.

﴿٦﴾ فاولئك من الآيات:

- ١ - أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق وتحذر من الباطل.
- ٢ - كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقه، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهراً أو خفياً.
- ٣ - من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسروا ما تشابه من الآيات بما أحكم منها.
- ٤ - مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء.

﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ لَنْ تُعْطِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ الْمَتَصِفُونَ بتلك الصفات هم حطب جهنم الذي توقد به يوم القيامة.

﴿١١﴾ وَشَأْنُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ كَشَأْنُ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ، فَعَذِبَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَلَمْ تُنْفَعِهِمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَكَذَّبَ بِآيَاتِهِ.

﴿١٢﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى اخْتِلَافِ دِيَانَاتِهِمْ: سَيُغْلِبُكُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَتَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ، وَيَجْمَعُكُمُ اللَّهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَبِشِ الْفِرَاشِ لَكُمْ.

﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ دَلَالَةٌ وَعِبْرَةٌ فِي فِرْقَتَيْنِ التَّقَاتِ لِلْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ، إِحْدَاهُمَا فِرْقَةُ مُؤْمِنَةٌ وَهِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَالْآخَرَى فِرْقَةُ كَافِرَةٌ وَهِيَ كُفَّارُ مَكَّةَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِرْعَا وَرِبَاءَ وَعَصِيَّةٍ، يَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ضِعْفِيهِمْ حَقِيقَةً رَأَى عَيْنٌ، فَنَصَرَ اللَّهُ أَوْلِيَائِهِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأَصْحَابِ الْبَصَائِرِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَإِنْ قَلَّ عِدَدُهُمْ، وَأَنَّ الْهَزِيمَةَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ وَإِنْ كَثُرَ عِدَدُهُمْ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْطِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْتَقَاتِ فِتْنَةُ تَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآخَرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوُنِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿١٤﴾ يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ زَيْنٌ لِلنَّاسِ - اِبْتِلَاءٌ لَهُمْ - حُبُّ الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ: مِثْلُ النِّسَاءِ، وَالْبَنِينَ، وَالْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ الْمَجْتَمِعَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ الْحَسَانِ، وَالْأَنْعَامِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَزِرَاعَةِ الْأَرْضِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يُتَمَتَّعُ بِهِ فِتْرَةً ثُمَّ يَزُولُ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ وَحْدَهُ حَسَنُ الْمَرْجِعِ، وَهُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي عَرَضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَلَمَّا كَانَتْ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةً تَبَّهَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

﴿١٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - أَأَخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارُهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَدْرِكُهُمْ مَوْتُ وَلَا فَنَاءٌ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَاتٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِي خَلْقِهِنَّ وَأَخْلَاقِهِنَّ، وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ يَحُلُّ عَلَيْهِمْ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَحْوَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - أَنْ غُرُورَ الْكُفَّارِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ لَنْ يَغْنِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.
- ٢ - النَّصْرُ حَقِيقَةٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَجْرَدِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَإِنَّمَا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَعُونِهِ.
- ٣ - زَيْنٌ لِلنَّاسِ لِلَّهِ أَنْوَاعًا مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا لِيَتْلِيَهُمْ، وَيَعْلَمُ تَعَالَى مِنْ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ مِمَّنْ يَتَعَدَّاهَا.
- ٤ - كُلُّ نَعِيمٍ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا قَلِيلٌ زَائِلٌ، لَا يَقَاسُ بِمَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ.

﴿٦٦﴾ أهل الجنة هؤلاء هم الذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا إنا آمنّا بك، وبما أنزلت على رسلك، واتبعنا شريعتك؛ فأغفر لنا ما ارتكبنا من ذنوب، وجننا عذاب النار.

﴿٦٧﴾ وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل؛ لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل.

﴿٦٨﴾ شهد الله على أنه هو الإله المعبود بحق دون سواه، وذلك بما أقام من الآيات الشرعية والكونية الدالة على ألوهيته، وشهد على ذلك الملائكة، وشهد أهل العلم على ذلك ببيانهم للتوحيد ودعوتهم إليه، فشهدوا على أعظم مشهود به وهو توحيد الله وقيامه تعالى بالعدل في خلقه وشرعه، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿٦٩﴾ إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية؛ والإيمان بالرسول جميعاً إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يقبل غير شريعته. وما اختلف

اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شعباً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا. ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذب رسله.

﴿٧٠﴾ فإن جادلوك - أيها الرسول - في الحق الذي نزل عليك، فقل مجيباً إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل - أيها الرسول - لأهل الكتاب والمشركين: أأسلمتم لله تعالى مخلصين له متبعين لما جئت به؟ فإن أسلموا لله واتبعوا شريعتك فقد سلكوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا عن الإسلام فليس عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلت به، وأمرهم إلى الله، فهو تعالى بصير بعباده، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿٧١﴾ إن الذين يكفرون بآيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلموا وعدواناً، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشر هؤلاء الكفار القتل بعباد أليم.

﴿٧٢﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة، لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من أعظم ما يكفر الذنوب وبقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٢ - أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى، ولهذا شهد الله بها لنفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.
- ٣ - الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ هو الدين الحق الذي ختم الله به رسالاته، ولا يقبل ديناً سواه.

﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَنْظُرْ - أيها النبي - إلى حال اليهود الذين آتاهم الله حظاً من العلم بالتوراة وما دلت عليه من نبوتك، يُدعون إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم معرضون عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولي بهم - وهم يزعمون اتباعهم له - أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه.

﴿٢٤﴾ ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يظنون أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أياماً قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرهم هذا الظن الذي زعموه فتجروا على الله ودينه.

﴿٢٥﴾ فكيف يكون حالهم وندمهم؟! سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها، أو زيادة سيئاتها.

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - مثبياً على ربك ومعظماً له: اللَّهُمَّ أَنْتَ مَالِكُ الْمَلِكِ كُلِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تُوْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَنْزِعُهُ عَمَّنْ تَشَاءٍ، وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ، وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَكُلَّ ذَلِكَ بِحُكْمِكَ وَعَدْلِكَ، وَبِيَدِكَ وَحْدَكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَبِحُكْمٍ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُشِّدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٧﴾ ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقته، وتدخل النهار في الليل فيطول وقته، وتخرج الحي من الميت؛ كإخراج المؤمن من الكافر والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي؛ كالكافر من المؤمن، والفرخ من البيضة، وترزق من تشاء رزقاً واسعاً من غير حساب وعد.

﴿٢٨﴾ لا تتخذوا - أيها المؤمنون - الكافرين أولياء تحبونهم وتنصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فلا حرج أن تتقوا أذا هم بإظهار اللين في الكلام واللطف في الفعال، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، ولا تعرضوا لغضبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.

﴿٢٩﴾ قل - أيها النبي -: إن تخفوا ما في صدوركم مما نهاكم الله عنه كموالات الكفار، أو تظهروا ذلك يعلمه الله، ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم - وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب - إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء.

٢ - أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع، المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه.

٣ - وجوب موالات المؤمنين والبراءة من الكافرين.

﴿٢١﴾ يوم القيامة تجد كل نفس الذي عملت من خير حاضراً لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمناً بعيداً، وأنى لها ما تمنى! ويحذركم الله نفسه، فلا تعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله رؤوف بالعباد، ولهذا يحذركم ويخوفهم.

﴿٢٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول -: أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامثال الأوامر واجتنب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المخالفين لأمره وأمر رسوله.

﴿٢٤﴾ إن الله كرم آدم ﷺ فأسجد له ملائكته، واختار نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران أبي مريم والمراد بآله: عيسى ﷺ، اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.

﴿٢٥﴾ هؤلاء المذكورون من الأنبياء وذرياتهم المتبعون لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمَتِّمُ إِنِّي لَأَبْهَتٌ قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾

سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، ولهذا يختار من يشاء منهم، ويصطفى منهم، من يشاء.

﴿٢٩﴾ اذكر - أيها الرسول - إذ قالت امرأة عمران والدة مريم ﷺ: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني من حمل خالصاً لوجهك، محرراً من كل شيء ليخدمك ويخدم بيتك، فتقبل مني عملي هذا، إنك أنت السميع لدعائي، العليم بيتي.

﴿٣٠﴾ فلما تم حملها وضعت ما في بطنها، وقالت معذرة - وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكراً -: يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وُهِبَتْ لها في القوة والخَلْقَة. وإني سميتها مريم، وإني حصّنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

﴿٣١﴾ فتقبل الله نذرهما بقبول حسن، وأنشأها نشأة حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وجعل كفالتها إلى زكريا ﷺ. وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقاً طيباً ميسراً، فقال مخاطباً إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت مجيبة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقاً واسعاً بغير حساب.

﴿٣٢﴾ فَوَافِلُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- ٢ - برهان المحبة الحقّة لله ولرسوله باتباع الشرع أمراً ونهيّاً، وأما دعوى المحبة بلا برهان فلا تنفع صاحبها.
- ٣ - أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفيه للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصصهم بكرامات خارقة للعادة.

عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سننه تعالى في الرزق؛ رجا أن يرزقه الله ولذا مع الحال التي هو عليها من تقدم سنه وعقم امرأته، فقال: يا رب، هب لي ولداً طيباً، إنك سميعٌ لدعاء من دعاك، عليمٌ بحاله.

فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها: إن الله يُبشرك بولد يولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقاً بكلمة من الله وهو عيسى ابن مريم - لأنه خلق خلقاً خاصاً بكلمة من الله - ويكون هذا الولد سيّداً على قومه في العلم والعبادة، مانعاً نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قُرْبان النساء، متفرغاً لعبادة ربه، ويكون - أيضاً - نبياً من الصالحين.

قال زكريا لما بشرته الملائكة ببحي: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخاً، وامراتي عقيم لا يولد لها! قال الله جواباً على قوله: مثل خلق يحيى على كبر سنك وعقم زوجك؛ كخلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة؛ لأن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه.

قال زكريا: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله: علامتك التي طلبت هي: أن لا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن إلا بالإشارة ونحوها، من غير خلل يصيبك، فأكثر من ذكر الله وتسيحه في آخر النهار وأوله.

واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم عليها السلام: إن الله اختارك لما تتصفين به من صفات حميدة، وطهرك من النقائص، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

يا مريم، أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباده الصالحين.

ذلك المذكور من خبر زكريا ومريم عليهما السلام من أخبار الغيب نوحه إليك - أيها الرسول - وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق بترية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فآلفوا أقلامهم، ففاض قلم زكريا عليه السلام.

اذكر - أيها الرسول - إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بولد يكون خلقه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: «كن»، فيكون ولداً بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى ابن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقربين إليه تعالى.

فوائد من الآيات:

١ - عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يجنبهم سوء، ويستجيب دعاءهم.

٢ - فضل مريم عليها السلام حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهرها من النقائص، وجعلها مباركة.

٣ - كلما عظمت نعمة الله على العبد عظم ما يجب عليه من الشكر عليها.

٤ - مشروعية القرعة عند الاختلاف فيما لا بينة عليه ولا قرينة تشير إليه.

﴿٤٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٨﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٩﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَنشَأْتُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِلَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ ﴿٥١﴾ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٦﴾ قالت مريم مستغربة أن يكون لها ولد من غير زوج: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني بشر لا في حلال ولا في حرام؟! قال لها الملك: مثل ما خلق الله لك ولداً من غير أب، يخلق ما يشاء مما يخالف المألوف والعادة، فإذا أراد أمراً قال له: «كن» فيكون، فلا يعجزه شيء.

﴿٤٧﴾ ويعلمه الإصابة والتوفيق في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى ﷺ، ويعلمه الإنجيل الذي أنزله عليه هو ﷺ.

﴿٤٨﴾ ويجعله - كذلك - رسولاً إلى بني إسرائيل، حيث يقول لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي هي: أنني أصور لكم من مادة الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيصير طيراً حياً بإذن الله، وأشفي من وُلِدَ أعمى فيبصر، ومن أصيب بمرض فيبرأ منه، وأُحْيِي من كان ميتاً، كل ذلك بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وبما

تخبثون في بيوتكم من طعام وتخفونه، إن فيما ذكرته لكم من هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر؛ لعلامة ظاهرة على أنني رسول من الله إليكم، إن كنتم تريدون الإيمان، وتصدقون بالبراهين.

﴿٤٩﴾ وجئتكم - كذلك - مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، وجئتكم لأحل لكم بعض ما حُرِّمَ عليكم من قبل، تيسيراً وتخفيفاً عليكم، وجئتكم بحجة واضحة على صحة ما قلت لكم، فاتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه.

﴿٥٠﴾ ذلك لأن الله ربي وربكم، فهو وحده المستحق أن يُطاع ويُتقى، فاعبدوه وحده، هذا الذي أمرتكم به من عبادة الله وتقواه هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٥١﴾ فلما علم عيسى ﷺ منهم الإصرار على الكفر: قال مخاطباً بني إسرائيل: من ينصروني في الدعوة إلى الله؟ قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله، آمنا بالله واتبعناك، واشهد - يا عيسى - بأننا متقادون لله بتوحيده وطاعته.

﴿٥٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - فضل الله تعالى على مريم وابنها المسيح ﷺ بما أودع فيهما من كرامات ومعجزات.

٢ - شرف الكتابة والخط وعلو منزلتهما، حيث بدأ الله تعالى بذكرهما قبل غيرهما.

٣ - من سنن الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات والمعجزات الدالة على صدقهم، مما لا يقدر عليه البشر.

٤ - جاء عيسى ﷺ بالتخفيف على بني إسرائيل فيما شدد عليهم في بعض شرائع التوراة.

﴿٥٢﴾ وقال الحواريون كذلك: ربنا آمنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى عليه السلام، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك.

﴿٥٤﴾ وَمَكَرَ الْكَافِرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ سَعَوْا فِي قَتْلِ عِيسَى عليه السلام ، فَمَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ بِأَنْ تَرْكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ ، وَمَنْ مَكَرَهُ تَعَالَى بِهِمْ أَنْ أَلْقَى شِبْهَ عِيسَى عليه السلام عَلَى رَجُلٍ آخَرَ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ؛ لِأَنَّهُ لَا أَشَدَّ مِنْ مَكَرِهِ تَعَالَى بِأَعْدَائِهِ .

﴿٥٥﴾ وَمَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ - أَيْضًا - حِينَ قَالَ مُخَاطَبًا

عيسى عليه السلام: يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافعُ بدنك وروحك إلي، ومُزهِك من رجس الذين كفروا بك ومُبْعِدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق - ومنه الإيمان بمحمد ﷺ - فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة بالبرهان والعزة، ثم إليّ وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.

﴿٥٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ وَبِالْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالذَّلِّ، وَفِي الْآخِرَةِ بِعَذَابِ النَّارِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

﴿٥٧﴾ وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي
جئتكم به ، وعملوا الصالحات من صلاة
وزكاة وصيام وصلة وغيرها ؛ فإن الله يعطيهم

ثواب أعمالهم تامة لا يُنقص منها شيئاً، وهذا به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن ﴿٥٨﴾ ذلك الذي نقرؤه عليك من خبر عيسى وهو ذُكرٌ للمؤمنين، محكم لا يأتيه الباطل.

(٥٩) إِنْ مِثْلَ خَلَقَ عِيسَى ﷺ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ خَلْقِ آدَمَ
أَرَادَ تَعَالَى، فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌُ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ
(٦٠) الْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ فِي شَأْنِ عِيسَى
الْمُتَرَدِّدِينَ، بَلْ عَلَيْكَ الثَّابِتُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ

﴿٦٦﴾ فمن جادلَكَ - أيها الرسول - من النصاري العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا فأنظروا أنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالهدى.

فوائد من الآيات:

فوائد من الآيات:

- ١ - أن الشهادة المقبولة النافعة ما كانت بحق وعن علم .
- ٢ - بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى عليه السلام ، والرد على من ضل في أمره .
- ٣ - من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه ، فيمكر بهم كما يمكرون .
- ٤ - مشروعية المُهاجرة بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة .

﴿٦٣﴾ إِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ شَأْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْخَبَرُ الْحَقُّ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وما من معبود بحق إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وأمره.

﴿٦٤﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا جِئْتُ بِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُواكَ؛ فَذَلِكَ مِنْ فُسَادِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٦٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: تَعَالَوْا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، نَجْتَمِعُ عَلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ نَسْتَوِي فِيهَا جَمِيعًا: أَنْ نَقْرَأَ اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ فَلَا نَعْبُدُ مَعَهُ أَحَدًا سِوَاهُ مَهْمَا كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ، وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ، وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا يُعْبَدُونَ وَيُطَاعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ أَنْصَرَفُوا عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَقُولُوا لَهُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -: أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْتَسْلِمُونَ لِلَّهِ مُتَقَادُونَ لَهُ تَعَالَى.

﴿٦٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَجَادِلُونَ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَالْيَهُودِي يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَالنَّصْرَانِي يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ لَمْ تَظْهَرَا إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ بَطْلَانَ قَوْلِكُمْ وَخَطَأَ زَعْمِكُمْ.

﴿٦٧﴾ هَا أَنْتُمْ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ - جَادَلْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ وَمَا

إِنْ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾

هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ، فَلِمَ تَجَادِلُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ وَلَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَائُكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَبِوَاطِنِهَا وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

﴿٧١﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمِلَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنْ كَانَ مَثَلًا عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، مُسْلِمًا لِلَّهِ مُوَحَّدًا لَهُ تَعَالَى، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ كَمَا يَزْعُمُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ أَنْهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ.

﴿٧٢﴾ إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِالِاتِّسَابِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مَا جَاءَ بِهِ فِي زَمَانِهِ، وَأَحَقُّ النَّاسُ أَيْضًا بِذَلِكَ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاللَّهُ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَحَافِظُهُمْ.

﴿٧٣﴾ يَتَمَنَّى أَحِبَّاءُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنْ يُضْلَوْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنْ الْحَقِّ الَّذِي هَدَاكُمْ اللَّهُ لَهُ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَعِيَهُمْ فِي إِضْلَالِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي ضَلَالِهِمْ هُمْ، وَمَا يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ.

﴿٧٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِمَ تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَيْكُمْ وَمَا فِيهَا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى نُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كِتَابِكُمْ؟

﴿٧٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أَنَّ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةَ كُلَّهَا اتَّفَقَتْ عَلَى كَلِمَةِ عَدْلٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ: تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ.
- ٢ - أَهْمِيَّةُ الْعِلْمِ بِالتَّارِيخِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْحُجَجِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تُرَدُّ بِهَا دَعْوَى الْمُبْطِلِينَ.
- ٣ - أَحَقُّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَأَمَّا مُجْرَدُ دَعْوَى الْإِتِّسَابِ إِلَيْهِ مَعَ مَخَالَفَتِهِ فَلَا تَنْفَعُ.
- ٤ - دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى حُرْصِ كُفْرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى إِضْلَالِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.

﴿٧١﴾ يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي أنزل في كتبكم بالباطل من عندكم، وتخفون ما فيها من الحق والهدى، ومنه صحة نبوة محمد ﷺ، وأنتم تعلمون الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿٧٢﴾ وقالت جماعة من علماء اليهود: آمنوا في الظاهر بالقرآن الذي أنزل على المؤمنين أول النهار، واكفروا به آخره، لعلهم يشكون في دينهم بسبب كفرهم به بعد إيمانكم فيرجعون عنه قائلين: هم أعلم منا بكتب الله وقد رجعوا عنه.

﴿٧٣﴾ وقالوا - أيضًا -: ولا تصدقوا وتقرؤا إلا لمن كان يهوديًا على دينكم، قل أيها الرسول: إن الهدى إلى الحق هو هدى الله تعالى، لا ما أنتم عليه من تكذيب وعناد، مخافة أن يؤتى أحد من الفضل مثل ما أوتيتم، أو مخافة أن يحاجوكم عند ربكم إن أقررت بما أنزل عليهم، قل أيها الرسول: إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، لا يقتصر فضله على أمة دون أمة، والله واسع الفضل عليم بمن يستحقه.

﴿٧٤﴾ يختص برحمته من يشاء من خلقه، فيفضل عليه بالهداية والنبوة وأنواع العطاء، والله ذو الفضل العظيم الذي لا حد له.

﴿٧٥﴾ ومن أهل الكتاب من إن تستأمنه على مال كثير يؤذ إليك ما اتتمنته عليه، ومنهم من

إن تستأمنه على مال قليل لا يؤذ إليك ما اتتمنته عليه إلا إن ظلمت تلج عليه بالمطالبة والتقاضي، ذلك من أجل قولهم وظنهم الفاسد: ليس علينا في العرب وأكل أموالهم إثم؛ لأن الله أباحها لنا، يقولون هذا الكذب وهم يعلمون افتراءهم على الله.

﴿٧٦﴾ ليس الأمر كما زعموا، بل عليهم حرج، ولكن من أوفى بعهده مع الله من الإيمان به وبرسله، ووفى بعهده مع الناس فأدى الأمانة، واتقى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ فإن الله يحب المتقين وسيجزيهم على ذلك أكرم الجزاء.

﴿٧٧﴾ إن الذين يستبدلون بوصية الله إليهم باتباع ما أنزله في كتابه وأرسل به رسله، وبإيمانهم التي قطعوها بالوفاء بعهد الله، يستبدلون بها عوضًا قليلًا من متاع الدنيا، لا نصيب لهم من ثواب الآخرة، ولا يكلمهم الله بما يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة يوم القيامة، ولهم عذاب أليم.

﴿٧٨﴾ فَوَارِثُ مَا لَا يَأْتِ:

١ - من علماء أهل الكتاب من يخدع أتباع ملتهم، ولا يبين لهم الحق الذي دلت عليه كتبهم، وجاءت به رسلهم.

٢ - الله تعالى هو الوهاب المتفضل، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله وحكمته، ولا ينال فضله إلا بطاعته.

٣ - أهل الكتاب ليسوا سواء في أمانتهم ووفائهم؛ فإن فيهم من يؤديها وفيهم من يخونها.

٤ - كل عوض في الدنيا عن الإيمان بالله والوفاء بعهده - وإن كان عظيمًا - فهو قليل حقير أمام ثواب الآخرة ومنازلها.

﴿٧٨﴾ وَإِنْ مِنْ الْيَهُودِ لَطَائِفَةٌ يَحْرِفُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَةِ الْمُنْزَلَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَتَظُنُّوا أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ، وَمَا هُوَ مِنَ التَّوْرَةِ، بَلْ هُوَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَيَقُولُونَ: مَا نَقْرؤه مِنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

﴿٧٩﴾ مَا كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ كِتَابًا مِنْزَلًا مِنْ عِنْدِهِ، وَيَرْزُقَهُ الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ، وَيَخْتَارَهُ نَبِيًّا؛ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَغِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكَذِبَ. وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ.

﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ. وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا: أَأَقْرَرْنَا قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. أَقْرَرْتُمْ - أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدي الشديد؟ فأجابوا قائلين: أقررنا به، قال الله: أشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

﴿٨٢﴾ فَمَنْ أَعْرَضَ بَعْدَ هَذَا الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدِ بِالشَّهَادَةِ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿٨٣﴾ أَغْيِرَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لِعِبَادِهِ يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ الْخَارِجُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ؟! وَلَهُ - سبحانه - انقضاء واستسلام كل من في السماوات والأرض من الخلائق، طوعًا له كحال المؤمنين، وكرهًا كحال الكافرين، ثم إليه تعالى يرجع الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٤﴾ فَارْزُقُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.
- ٢ - كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو ناقض لعهد مع الله تعالى.
- ٣ - أعظم الناس منزلة العلماء الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويربُّون الناس على ذلك.
- ٤ - أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلائق كلهم برَّهم وفاجرهم.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: آمنا بالله إلهاً، وأطعناه فيما أمرنا به، وآمنا بالوحي الذي أنزله علينا، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والمعجزات من ربهم، لا نفرق بينهم فتؤمن ببعض ونكفر ببعض، ونحن منقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.

﴿٨٥﴾ ومن يطلب ديناً غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام؛ فلن يقبل الله ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدخولهم النار.

﴿٨٦﴾ كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟! والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلاً عن الهدى.

﴿٨٧﴾ إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مُبْعَدُونَ عن رحمة الله مطرودون.

﴿٨٨﴾ خالدين في النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّفُ عنهم عذابها، ولا هم يُؤَخَّرُونَ ليتوبوا ويعتدروا.

﴿٨٩﴾ إلا الذين تابوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا عملهم؛ فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى ماتوا؛ لن تقبل منهم التوبة عند حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى.

﴿٩١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم؛ فلن يُقْبَلَ من أحدهم فدية يفتدي بها نفسه من عذاب الله، ولو جاء بمثل وزن الأرض ذهباً، أولئك الذين لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب.

﴿٩٢﴾ فَوَلَدَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفریق بينهم.

٢ - لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً أياً كان بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا الإسلام الذي جاء به.

٣ - مَنْ أصر على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توفيقه إلى التوبة والهداية.

٤ - باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تُقْبَلُ منه التوبة.

٥ - لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح، وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئاً.

﴿٩٢﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَنِ اقْتَصَفَ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبَ فَلَهُ بِهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَعُوا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا قُرَيْشًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠١﴾

﴿٩٢﴾ لن تنالوا البر - أيها المؤمنون - ثواب أهل البر ومنزلتهم حتى تنفقوا في سبيل الله من أموالكم التي تحبونها، وما تنفقوا من شيء قليلاً كان أو كثيراً فإن الله عليم بنياتكم وأعمالكم، وسيجازي كلًا بعمله. ﴿٩٣﴾ جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لبني إسرائيل، ولم يحرم عليهم منها إلا ما حرمه يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة عليه، لا كما تزعم اليهود أن ذلك التحريم كان في التوراة، قل لهم - أيها النبي - : فاتوا بالتوراة واقرؤوها إن كنتم صادقين في هذا الذي تدعونه، فبهتوا، ولم يأتوا بها. وهو مثال يدل على افتراء اليهود على التوراة وتحريف مضمونها. ﴿٩٤﴾ فمن افتري الكذب على الله بعد ظهور الحجة؛ بأن ما حرمه يعقوب ﷺ حرمه على نفسه من غير تحريم من الله؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بترك الحق بعد ظهور حجته. ﴿٩٥﴾ قل - أيها النبي - : صدق الله فيما أخبر به عن يعقوب ﷺ، وفي كل ما أنزل وشرع، فاتبعوا دين إبراهيم ﷺ، فقد كان مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين مع الله أحداً في عبادته ولا شريعته. ﴿٩٦﴾ إن أول بيت بني في الأرض للناس جميعاً من أجل عبادة الله هو بيت الله الحرام

الذي بمكة، وهو بيت مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية، وفيه هداية للعالمين جميعاً. ﴿٩٧﴾ في هذا البيت علامات ظاهرات على شرفه وفضله؛ كالمناسك والمشاعر، ومن هذه العلامات الحجر الذي قام عليه إبراهيم لما أراد رفع جدار الكعبة، ومنها أن من دخله كان آمناً لا يناله أذى. ويجب لله على الناس قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادراً على الوصول إليه، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر بالله، والله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين. ﴿٩٨﴾ قل - أيها النبي - : يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تجحدون البراهين على صدق النبي ﷺ، ومنها براهين جاءت بها التوراة والإنجيل، والله مطلع على عملكم هذا شاهد عليه، وسيجازيكم به. ﴿٩٩﴾ قل - أيها النبي - : يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تمنعوا عن دين الله من آمن به من الناس تطلبون لدين الله ميلاً عن الحق إلى الباطل، ولأهله ضلالاً عن الهدى، وأنتم شهداء على أن هذا الدين هو الحق مصدق لما في كتبكم؟! وليس الله بغافل عما تعملون من الكفر به، والصد عن سبيله، وسيجازيكم به. ﴿١٠٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما يقولونه، وتقبلون رأيهم فيما يزعمونه؛ يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما فيهم من الحسد والضلال عن الهدى. ﴿١٠١﴾

﴿١٠٢﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابَ الْبَيْتِ

- ١ - كَذَبَ اليهود على الله تعالى وأنبياؤه، ومن كذبهم زعمهم أن تحريم يعقوب ﷺ لبعض الأطعمة نزلت به التوراة.
- ٢ - أعظم أماكن العبادة وأشرفها البيت الحرام، فهو أول بيت وضع لعبادة الله، وفيه من الخصائص ما ليس في سواه.
- ٣ - وجوب الحج على كل مسلم عاقل بالغ قادر، ولا يجوز لمن تحققت فيه الشروط أن يؤخره بلا عذر.

﴿١٦١﴾ وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان! فأيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد ﷺ يُبينها لكم، ومن يستمسك بكتاب الله وسنة رسوله؛ فقد وفقه الله إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿١٦٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المخافة، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وشكروه على نعمه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتكم الموت وأنتم على ذلك.

﴿١٦٣﴾ وتمسكوا - أيها المؤمنون - بالكتاب والسنة، ولا ترتكبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا إنعام الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بفضل إخواننا في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل ذلك مشرفين على دخول النار بكفركم، فأنجاكم الله منها بالإسلام وهداكم للإيمان. وكما بين لكم الله هذا يبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتَهْتَدُوا إلى طريق الرشاد، وتسلخوا سبيل الاستقامة.

﴿١٦٤﴾ ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة يدعون إلى كل خير يحبه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وينهون عن المنكر الذي نهى عنه

الشرع وقبحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الفوز التام في الدنيا والآخرة.

﴿١٦٥﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أحزاباً وشيعاً، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله.

﴿١٦٦﴾ يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتسود وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين اسودت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيخاً لهم: أجمعتم توحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم بأن لا تشركوا به شيئاً، بعد تصديقكم وإقراركم؟ فدوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم.

﴿١٦٧﴾ وأما الذين ابيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، خالدين فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول. ﴿١٦٨﴾ تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعيده نقرؤها عليك - أيها النبي - بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظلماً لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحداً إلا بما كسبت يده.

﴿١٦٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.

٢ - الاعتصام بالكتاب والسنة والاستمسك بهديهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.

٣ - الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.

٤ - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها.

﴿١١٩﴾ والله تعالى وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، خلَقًا وأمرًا، وإليه تعالى يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم.

﴿١٢٠﴾ كنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم التي أخرجها الله للناس في إيمانكم وعملكم، وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، وتؤمنون بالله إيمانًا جازمًا يصدق العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ لكان ذلك خيرًا لهم في دنياهم وآخرتهم. من أهل الكتاب قليل يصدقون بما جاء به محمد ﷺ، وأكثرهم هم الخارجون عن دين الله وشريعته.

﴿١٢١﴾ ومهما كان منهم من عداوة فلن يضروكم - أيها المؤمنون - في دينكم ولا في أنفسكم إلا أذى بالسنتهم، من الطعن في الدين، والاستهزاء بكم ونحو ذلك، وإن قاتلوكم يقتلوا منهزمين أمامكم، ولا ينصرون عليكم أبدًا.

﴿١٢٢﴾ جعل الهوان والصغار محيطًا باليهود مشتملاً عليهم أينما وجدوا، فلا يأمنون إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجعلت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جعل عليهم بسبب جحدهم بآيات الله، وقتلهم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

﴿١٢٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ

أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢١﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ أَلَا ذَبَارْتُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢٢﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا لَا يَحْجُبُ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلٌ مِنَ النَّاسِ

وَبَاءٌ وَيَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

حَقٍّ ذَلِكَ يَمَاعَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٢٣﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٢٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا يَفْعَلُوا

مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾

لأنبيائه ظلمًا، وذلك - أيضًا - بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

ولمَّا بَيَّنَّ الله حال غالب أهل الكتاب، بَيَّنَّ حال طائفة منهم مستقيمة على الحق قائمة به فقال:

﴿١٢٣﴾ ليس أهل الكتاب متساوين في حالهم، بل منهم طائفة مستقيمة على دين الله، قائمة بأمر الله ونهيه، يقرؤون آيات الله في ساعات الليل وهم يُصَلُّونَ لله، كانت هذه الفئة قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ومن أدرك منهم هذه البعثة أسلم.

﴿١٢٤﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا جازمًا، ويأمرون بالمعروف والخير، وينهون عن المنكر والشر، ويبادرون إلى أفعال الخيرات، ويغتيمون مواسم الطاعات، أولئك المتصفون بهذه الصفات من عباد الله الذين صلحت نياتهم وأعمالهم.

﴿١٢٥﴾ وما يفعله هؤلاء من خير قليلًا كان أو كثيرًا فلن يضيع عليهم ثوابه، ولن ينقص أجره، والله عليم بالمتقين الذين يمثلون أومره، ويجتنبون نواهي، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٢٦﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها - بعد الإيمان بالله - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٢ - قضى الله تعالى بالذل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.
- ٣ - أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة؛ فمنهم القائم بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد ﷺ.
- ٤ - فضل الاستقامة على دين الله وعمل الصالحات، ومنها: تلاوة القرآن، والصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

﴿١٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنُتَذِّقَنَّ عَنْهُمُ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَولَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، لَنُتْرِكَنَّهُمْ
عَذَابُهُ، وَلَنُجْلِبَ لَهُمُ رَحْمَتَهُ، بَلْ سَتَزِيدُهُمْ عَذَابًا
وَحَسْرَةً، وَأُولَئِكَ هُمُ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَزَمِينَ لَهَا.
﴿١٧٢﴾ مِثْلُ مَا يَنْفَقُونَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ فِي وَجْهِ الْبَرِّ،
وَمَا يَنْتَظِرُونَهُ مِنْ ثَوَابِهَا؛ كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ
أَصَابَتْ زَرْعَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعَاصِي
وغيرها، فَاتْلَفَتْ زَرْعَهُمْ، وَقَدَّرَ جَوَامِئَهُ خَيْرًا
كَثِيرًا، فَكَمَا اتْلَفَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الزَّرْعَ فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ،
كَذَلِكَ الْكَافِرُ يَطْلُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا،
وَاللَّهُ لَمْ يَظْلِمَهُمْ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَإِنَّمَا ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ.

﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ،
لَا تَتَّخِذُوا أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ،
تُظْلِعُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِكُمْ وَخَوَاصِّ أَحْوَالِكُمْ،
فَهُمْ لَا يَقْصُرُونَ فِي طَلَبِ مُضِرَّتِكُمْ وَفَسَادِ
حَالِكُمْ، يَتَمَنُّونَ حَصُولَ مَا يَضُرُّكُمْ وَيَشُقُّ
عَلَيْكُمْ، قَدْ ظَهَرَتِ الْكِرَاهِيَةُ وَالْعَدَاوَةُ عَلَى
أَلْسِنَتِهِمْ، بِالطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْوَقِيعَةِ بَيْنَكُمْ،
وإفشاء أسراركم، وما تكتمه صدورهم من
الكراهية أعظم، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -
البراهين الواضحة على ما فيه مصالحكم في
الدنيا والآخرة، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ رَبِّكُمْ مَا
أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿١٧٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُتَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَولَادُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٥﴾
مِثْلُ مَا يَنْفَقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا
صَرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا
وَدُوًّا مَا غَنَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾
هَآأَنْتُمْ أَولَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَوَمَّنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا الْقَوُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَائِلٌ
مِّنَ الْفَيْضِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧٨﴾
إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧٩﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعَةً لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾

﴿١٨١﴾ هَآأَنْتُمْ - يَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ - تَحِبُّونَ أُولَئِكَ الْقَوْمَ، وَتَرْجُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ، وَلَا يَرْجُونَ لَكُمْ
الْخَيْرَ، بَلْ يَبْغِضُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَوَمَّنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَمِنْهَا كُتِبَ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا التَّقَوُّكُمْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ: صَدَقْنَا، وَإِذَا انفرد بعضهم ببعض عَصَوْا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ غَمًّا وَغِيظًا لِّمَا
أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ، قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ:
إِقْبُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا غَمًّا وَغِيظًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.
﴿١٨٢﴾ إِنْ تُصِيبْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ؛ يُصِيبُهُمُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَإِنْ
تُصِيبْكُمْ مُصِيبَةٌ مِنْ نَصْرِ عَدُوٍّ أَوْ نَقْصٍ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ، يَفْرَحُوا بِذَلِكَ، وَيَسْتَمْتُوا بِكُمْ، وَإِنْ تُصِيبُوا عَلَى أَوَامِرِهِ
وَأَقْدَارِهِ، وَتَتَّقُوا غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ؛ لَا يَضُرُّكُمْ مَكْرَهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكِيدِ مُحِيطٌ، وَسِيرْدُهُمْ خَائِنٌ.
﴿١٨٣﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِمَا خَالَفَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقِتَالِ
الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُنْزِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ
سَمِيعٌ لِّأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿١٨٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - مَا يَبْذِلُهُ الْكَافِرُ فِي أَوْجِهِ الْبَرِّ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحَقِّقْ شَرْطَهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ.
- ٢ - نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَةِ الْكَافِرِينَ وَجَعَلَهُمْ أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُفَضِّلُ إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.
- ٣ - مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَحَهُمْ بِمَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَنَقْصٍ، وَغِيظَهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.
- ٤ - الْوَقَايَةُ مِنْ كَيْدِ الْكَافَرِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذُ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

﴿١٢١﴾ اذكر - أيها النبي - ما وقع لفترتين من المؤمنين من بني سَلَمَةَ، وبني حارثة، حين ضعفوا، وهَمُّوا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بتثبيتهم على القتال وصرفهم عما هَمُّوا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم.

﴿١٢٢﴾ ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر مع قلة عددكم وعنادكم، فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

﴿١٢٣﴾ اذكر - أيها النبي - حين قلت للمؤمنين مثبِّتاً لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بملء ياتي للمشركين: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَعِينَكُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ منه سبحانه لتقويتكم في قتالكم؟

﴿١٢٤﴾ بلى، إن ذلك يكفيكم. ولكم بشارة بعون آخر من الله: إن صبرتم على القتال، واتقيتم الله، وجاء المدد إلى أعدائكم من ساعتهم مسرعين إليكم، إن حصل ذلك أن يعينكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُعَلِّمِينَ بعلامة ظاهرة عليهم وعلى خيولهم.

﴿١٢٥﴾ وما جعل الله هذا العون، وهذا الإمداد بالملائكة إلا خبيراً ساراً لكم، تطمئن قلوبكم به، وإلا فإن النصر حقيقة لا يكون بمجرد هذه الأسباب الظاهرة، وإنما النصر حقاً من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تقديره وتشريعه.

﴿١٢٦﴾ هذا النصر الذي تحقق لكم في غزوة بدر أراد الله به أن يهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، ويخزي طائفة أخرى، ويغظهم بهزيمتهم، فيرجعوا بفشل وذل.

﴿١٢٧﴾ لما دعا الرسول على رؤساء المشركين بالهلاك بعدما وقع منهم في أحد؛ قال الله له: ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفقهم للتوبة فيسلموا، أو يستمروا على كفرهم فيعذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون للعذاب.

﴿١٢٨﴾ والله ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وتديباً، يغفر الذنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تجنبوا أخذ الربا زيادة مضاعفة على رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، كما يفعل أهل الجاهلية، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، لعلكم تتألون ما تطلبون من خير الدنيا والآخرة.

﴿١٣٠﴾ واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدها الله للكافرين به وقاية؛ وذلك بعمل الصالحات وترك المحرمات. وأطيعوا الله ورسوله بامثال الأوامر واجتنب النواهي، لعلكم تتألون الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿١٣١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَكُنِ

١ - مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.

٢ - من أعظم أسباب تنزل نصر الله على عباده التزام التقوى، والصبر على شدائد القتال.

٣ - الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسَلِّمُ لله تعالى أمره، وينقاد لحكمه.

٤ - الذنوب - ومنها الربا - من أعظم أسباب خذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.

٥ - تقوى الله تعالى وطاعته من أعظم أسباب رحمة الله للعبد ولطفه به.

﴿١٣٣﴾ ويادروا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتنالوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هيأها الله للمتقين من عباده.

﴿١٣٤﴾ المتقون هم الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والعسر، والمانعون غضبهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عمن ظلمهم، والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.

﴿١٣٥﴾ وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من الذنوب، أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووعدته للمتقين، فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً.

﴿١٣٦﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المجيدة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمون فيها أبداً، ونعم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله.

﴿١٣٧﴾ ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزياً لهم: قد مضت من قبلكم

﴿١٣٨﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٤﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٣﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٠﴾

سُنَنٍ إلهية في إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.

﴿١٣٨﴾ هذا القرآن الكريم بيان للحق وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وزاجر للمتقين؛ لأنهم هم المتفعون بما فيه من الهدى والرشاد.

﴿١٣٩﴾ وَلَا تَضَعُوا - أيها المؤمنون - ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد؛ ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعده لعباده المتقين.

﴿١٤٠﴾ إِنْ أَصَابَكُمْ - أيها المؤمنون - جَرَحٌ وَقُتِلَ يوم أحد، فقد أصاب الكفار جَرَحٌ وَقُتِلَ مثل ما أصابكم، والأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة؛ لحكم بالغة، منها: ليظهر المؤمنين حقيقة من المنافقين، ومنها ليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله.

﴿١٤١﴾ فَازِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الترغيب في المسارعة إلى عمل الصالحات اغتناماً للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.
- ٢ - من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة: الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.
- ٣ - النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.
- ٤ - يتميز المجاهدون في سبيل الله عن المشركين برجاء ثواب الله تعالى ونصره، وإن تساوا معهم في ما ينالهم من الألم والأذى.

﴿١٤١﴾ ومن هذه الحكم تَطْهِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَتَخْلِيصُ صَفْهِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَلِيَهْلِكَ الْكَافِرِينَ وَيَمْحُوهُمْ.

﴿١٤٢﴾ أَظَنَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَصَبْرٍ يَظْهَرُ بِهِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقِيقَةً، وَالصَّابِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ الَّذِي يَصِيبُهُمْ فِيهِ؟

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - تَتَمَنُونَ لِقَاءَ الْكَافِرِ لَتَنَالُوا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا نَالَهَا إِخْوَانُكُمْ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلَاقُوا أَسْبَابَ الْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ، فَهَا قَدْ رَأَيْتُمْ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ مَا تَمَنَيْتُمْ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ لَهُ عِيَانًا.

ولما شاع في الناس يوم أحد أن النبي عليه الصلاة والسلام قُتِلَ، أنزل الله معاتبًا من قعد من المؤمنين عن القتال بسبب ذلك فقال:

﴿١٤٤﴾ وما محمد إلا رسول من جنس من سبقه من رسل الله الذين ماتوا أو قتلوا، أفإن مات هو أو قتل ارتددتُم عن دينكم، وتركتُم الجهاد؟! ومن يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئًا، إذ هو القوي العزيز، وإنما يضر نفسه بتعريضها لخسارة الدنيا والآخرة، وسيجزى الله الشاكرين له أحسن الجزاء بشتاتهم على دينه، وجهادهم في سبيله.

﴿١٤٥﴾ وما كانت نفس لتموت إلا بقضاء الله،

بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله، وجعلها أجلًا لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يُرد ثواب الدنيا بعمله نعطه بقدر ما قُدِّرَ له منها، ولا نصيب له في الآخرة، ومن يُرد بعمله ثواب الله في الآخرة نعطه ثوابها، وسنجزى الشاكرين لربهم جزاءً عظيمًا.

﴿١٤٦﴾ وكَمَ مِنْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَاتَلَ مَعَهُ جَمَاعَاتٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَثِيرَةً، فَمَا جَبُنُوا عَنِ الْجِهَادِ لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ قَتْلِ وَجَرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا عَنِ قِتَالِ الْعَدُوِّ، وَمَا خَضَعُوا لَهُ، بَلْ صَبَرُوا وَثَبَتُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.

﴿١٤٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿١٤٨﴾ وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ مُلَاقَاةِ عَدُوِّنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِكَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِنَصْرِهِمُ وَالتَّمَكِينِ لَهُمْ، وَآتَاهُمُ الثَّوَابَ الْحَسَنَ فِي الْآخِرَةِ بِالرِّضَا عَنْهُمْ، وَالنِّعَمِ الْمَقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَمَعَامِلَتِهِمْ.

﴿١٤٩﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الابتلاء سُنَّةُ إِلَهِيَّةٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا الْمُجَاهِدُونَ الصَّادِقُونَ الصَّابِرُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ.
- ٢ - يجب أن لا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- ٣ - أعمار الناس وأجلهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- ٤ - تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكلٌّ سَيُجَازَى عَلَى نِيَّتِهِ وَعَمَلِهِ.

﴿١٤٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِنَّ طَاعِيَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَشْرِكِينَ، فِيمَا يَأْمُرُونَكُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ، يُرْجِعُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كَفَرًا، فَتَرْجِعُوا خَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٥٠﴾ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ لَنْ يَنْصُرُوكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ نَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَاطِيعُوهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَ، فَلَا تَحْتَاجُونَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ.

﴿١٥١﴾ سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُوا الثَّبَاتَ لِقِتَالِكُمْ بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِمْ بِاللَّهِ إِلَهَهُ عَبْدُهَا بِأَهْوَاهِهِمْ، لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِهَا حُجَّةٌ، وَمُسْتَقَرُّهُمْ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ هُوَ النَّارُ، وَبِئْسَ مُسْتَقَرُّ الظَّالِمِينَ النَّارَ.

﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ أَنْجَزَكُمْ اللَّهُ مَا وَعَدَكُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ كُنْتُمْ تَقْتُلُونَهُمْ قِتْلًا شَدِيدًا بِإِذْنِ تَعَالَى، حَتَّى إِذَا ضَعَفْتُمْ عَنِ الثَّبَاتِ عَلَى مَا أَمَرَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ، وَاخْتَلَفْتُمْ بَيْنَ الْبَقَاءِ فِي مَوَاقِعِكُمْ أَوْ تَرَكَهَا وَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، وَعَصَيْتُمُ الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ لَكُمْ بِالْبَقَاءِ فِي مَوَاقِعِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ اللَّهُ مَا تَحِبُّونَهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ غَنَائِمَ الدُّنْيَا،

يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا يَعْمُرُ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

وَهُم الَّذِينَ تَرَكُوا مَوَاقِعَهُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ بَقُوا فِي مَوَاقِعِهِمْ طَائِعِينَ أَمْرَ الرَّسُولِ، ثُمَّ حَوَّلَكُمْ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ، لِيَخْتَبِرَكُمْ، فَيُظْهِرَ الْمُؤْمِنَ الصَّابِرَ عَلَى الْبَلَاءِ مِمَّنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ، وَضَعَفَتْ نَفْسُهُ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ مِنَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ صَاحِبُ فَضْلٍ عَظِيمٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ هَدَاهُمْ لِلْإِيمَانِ، وَعَفَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَأَثَابَهُمْ عَلَى مَصَائِبِهِمْ.

﴿١٥٣﴾ اذْكُرُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - حِينَ كُنْتُمْ تُبْعَدُونَ فِي الْأَرْضِ هَارِبِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمَّا أَصَابَكُمْ الْفُشْلُ بِمَخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ، وَلَا يَنْظُرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ لِأَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَشْرِكِينَ قَائِلًا: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَازَاكُمْ اللَّهُ عَلَى هَذَا أَلَمًا وَضِيقًا يَتَّبِعُهُ أَلَمٌ وَضِيقٌ، بِمَا فَاتَكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ أَوَّلًا، وَبِمَا شَاقَّ بَيْنَكُمْ مِنْ قَتْلِ النَّبِيِّ ثَانِيًا، وَقَدْ أَنْزَلَ بِكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ وَجَرَا، بَعْدَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يُقْتَلْ، حَيْثُ هَانَتْ عَلَيْكُمْ كُلُّ مَصِيبَةٍ وَأَلَمٍ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ قُلُوبِكُمْ، وَلَا أَعْمَالِ جَوَارِحِكُمْ.

﴿١٥٤﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- ٢ - إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- ٣ - من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغانمها.
- ٤ - ومن أسباب الهزيمة في المعركة مخالفة قائد الجيش وعصيان أمره.
- ٥ - عناية الله تعالى بأوليائه في كل أحوالهم حتى فيما يُنزله بهم من بلاء وامتحان.

﴿١٥٤﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَهُمْ الْوَاثِقُونَ وَثْقَةً، جَعَلَتْ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ - وهم الواثقون بوعد الله - يَغْطِيهِمُ النُّعَاسُ مِمَّا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَمْنٍ وَسَكِينَةٍ، وطائفة أخرى لم ينلهم أمن ولا نعاس، وهم المنافقون الذين لا هم لهم إلا سلامة أنفسهم، فهم في قلق وخوف، يظنون بالله ظن السوء، من أن الله لا ينصر رسوله ولا يؤيد عباده، كظن أهل الجاهلية الذين لم يقدروا الله حق قدره، يقول هؤلاء المنافقون لجهلهم بالله: ليس لنا من رأي في أمر الخروج إلى القتال، ولو كان لنا ما خرجنا، قل - أيها النبي - مجيباً هؤلاء: إن الأمر كله لله، فهو الذي يقدّر ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو من قدر خروجكم. وهؤلاء المنافقون يخفون في أنفسهم من الشك وظن السوء ما لا يظهرون لك، حيث يقولون: لو كان لنا في الخروج رأي ما قُتِلنا في هذا المكان، قل - أيها النبي - ردّاً عليهم: لو كنتم في بيوتكم بعيدين عن مواطن القتل والموت؛ لخرج من كتب الله عليه القتل منكم إلى حيث يكون قتلهم. وما كتب الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من نيات ومقاصد، ويميز ما فيها من إيمان ونفاق، والله عليم بالذي في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿١٥٥﴾ إِنْ الَّذِينَ أَنْهَمُوا مِّنكُمْ - يا أصحاب محمد ﷺ - يوم التقى جمعُ المشركين في أحد بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم بها فضلاً منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، لا يؤمنون بقضاء الله وقدره، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقاً، أو كانوا غزاةً فماتوا أو قتلوا: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا ندامة، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قدره قعود ولا يجعله خروج، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٥٧﴾ وَلَنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُمْ - أيها المؤمنون - لَيَغْفِرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ مَغْفِرَةً عَظِيمَةً، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعيمها الزائل.

﴿١٥٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.

٢ - عناية الله تعالى بأوليائه وحفظه لهم في كل أحوالهم.

٣ - آجال العباد مضمرة محدودة، لا يُعجلها الإقدام والشجاعة، ولا يؤخرها الجبن والحرص.

٤ - من سُنَّه الله تعالى الجارية ابتلاء عباده؛ ليميز الخبيث من الطيب.

٥ - من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله.

﴿١٥٨﴾ وَلَنْ تُنْصِرَهُمْ عَلَىٰ أَيْ حَالٍ كَانُوا مُوتِكُمْ، أَوْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُونَ جَمِيعًا؛ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٥٩﴾ فَيَسبِبُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةً كَانَ خُلُقُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - سَهْلًا مَعَ أَصْحَابِكَ، وَلَوْ كُنْتَ شَدِيدًا فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، قَاسِي الْقَلْبَ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ تَقْصِيرَهُمْ فِي حَقِّكَ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَشَاوَرَهُمْ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَشُورَةٍ، فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ بَعْدَ الْمَشَاوَرَةِ فَاْمَضْ فِيهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ فَيُوفِّقُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ.

﴿١٦٠﴾ إِنَّ يَوْمَئِذٍ كَرِهَ اللَّهُ بِإِعْنَتِهِ وَنَصْرِهِ فَلَا أَحَدٌ يَغْلِبُكُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَإِذَا تَرَكَ نَصْرَكُمْ، وَوَكَّلَكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ فَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْصُرَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، فَالْنَصْرُ بِيَدِهِ وَحْدَهُ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ لَا عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿١٦١﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءٍ أَنْ يَخُونُ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ غَيْرَ مَا اخْتَصَبَهُ بِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَخُنْ مِنْكُمْ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْغَنِيمَةِ، يُعَاقَبْ عَلَيْهِ بِأَنْ يُفْضَحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْتِي حَامِلًا مَا أَخَذَهُ أَمَامَ الْخَلْقِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءً مَا اكْتَسَبَتْهُ تَامًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بِزِيَادَةِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا بِنَقْصِ حَسَنَاتِهِمْ.

﴿١٦٢﴾ لَا يَسْتَوِي عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ مَا يَنْالُ بِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،

وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ، فَرُجِعَ بِغَضَبٍ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ، وَمُسْتَقَرَّهُ جَهَنَّمُ، وَسَاءَتْ مَرْجَعًا وَمُسْتَقَرًّا.

﴿١٦٣﴾ هُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَالْمُتَبِعُونَ لِرِضْوَانِ اللَّهِ يَنْزِلُونَ الْجَنَّةَ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ فِيهَا، وَالْمُتَبِعُونَ لِمَا يُسْخَطُ اللَّهُ يَنْزِلُونَ النَّارَ بِحَسَبِ دَرَكَاتِهِمْ فِيهَا، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿١٦٤﴾ لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرْكِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَقَدْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ بَعْثَةِ هَذَا الرَّسُولِ فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ عَنِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ.

﴿١٦٥﴾ أَعْنَدْنَا أَصَابِيَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مُصِيبَةً حِينَ هُزِمْتُمْ فِي أَحَدٍ، وَقُتِلَ مِنْكُمْ مِنْ قُتِلَ، قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ضَعْفِيَّهَا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، قُلْتُمْ: مَنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ، وَنَبِي اللَّهِ فِينَا؟! قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ -: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ ذَلِكَ جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ حِينَ تَنَازَعْتُمْ، وَعَصَيْتُمُ الرَّسُولَ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَيَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ.

﴿١٦٦﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يُحَارَبُ، والعزير الذي لا يُغَالَبُ.
- ٢ - لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.
- ٣ - من فضل الله وميثقه على المؤمنين أن يبعث فيهم رسولاً من جنسهم يألفونه ويأمنون به، ويسهل عليهم التعلم منه والافتداء به.
- ٤ - ما ينزل بالعبد من البلاء والمحن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاءً ورُفَعَ درجات، والله يعفو ويتجاوز عن كثير منها.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعِيمِ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ١٣١ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمُ هُمْ لِلْكَفَرِ
 يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٣٢ الَّذِينَ قَالُوا لَا خِزْيَ لَنَا
 وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلَّ فَأَدْرَأْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٣٣ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٣٤ فَرِحَ
 بِمَاءِ آلِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا
 بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٣٥
 ١٣٦ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ١٣٧ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٣٨
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٣٩

١٣١ وما حدث لكم من القتل والجراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجمع المشركين، فهو ياذن الله وقدره؛ لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون.

١٣٢ وليظهر المنافقون الذين لما قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا عن محارمكم وحماية لقومكم؛ قالوا: لو نعلم أن فعلكم هذا قتال كما يكون القتال لا تبعناكم، ولكنكم تلقون بأنفسكم إلى التهلكة، هم في حالهم وقتئذ أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبطنونه في صدورهم، وسيعاقبهم عليه.

١٣٣ هم الذين تخلفوا عن القتال، وقالوا لقربائهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أنهم أطاعونا ولم يخرجوا للقتال لما قتلوا، قل - أيها النبي - ردًا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا نزل بكم إن كنتم صادقين فيما ادعيتموه من أنهم لو أطاعوك ما قتلوا، وأن سبب نجاتكم من الموت هو القعود عن الجهاد في سبيل الله.

١٣٤ ولا تظنن - أيها النبي - أن الذين قتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

١٣٥ قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرحه، بما من الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

١٣٦ ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يبطل أجر المؤمنين به، بل يوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها.

١٣٧ الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في غزوة «حمراء الأسد» التي أعقبت أحدًا بعدما أصابتهم الجروح يوم أحد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله، للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أجر عظيم من الله، وهو الجنة.

١٣٨ الذين قال لهم بعض المشركين: إن قريشًا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعًا كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والتخويف تصديقًا بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقاءهم وهم يقولون: يكفينا الله تعالى، وهو نعم الوكيل لنا، نفوض إليه أمرنا.

١٣٩ فإذ من الآيات:

- ١ - من سنن الله تعالى أن يتلي عباده؛ ليمتيز المؤمن الحق من المنافق، وليعلم الصادق من الكاذب.
- ٢ - عظم منزلة الجهاد وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- ٣ - قدّر الله تعالى وقضاؤه واقع لا محالة، لا يمنع حذر، ولا تنفع معه حيلة.
- ٤ - فضل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة؛ لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

﴿١٧١﴾ فرجعوا بعد خروجهم إلى «حمراء الأسد» بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصيبهم قتل ولا جراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين.

﴿١٧٢﴾ إنما المُخَوِّفُ لكم الشيطان، يخوفكم بأنصاره وأعدائه، فلا تخافوهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا الله وحده بالالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًا.

﴿١٧٣﴾ ولا يُوقِعُكم في الحزن - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن يضرروا الله شيئًا، وإنما يضررون أنفسهم بعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم أن لا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار.

﴿١٧٤﴾ إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضرروا الله أي شيء، فهو الغني العزيز، إنما يضررون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿١٧٥﴾ ولا يظنن الذين كفروا بربهم، وعاندوا شره، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفر خير لأنفسهم، ليس الأمر كما

ظنوا، وإنما نملهم ليزدادوا إثمًا بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مُدِلٌّ.

﴿١٧٦﴾ ما كان من حكمة الله أن يدعكم أيها المؤمنون على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمايز بينكم، وعدم تبيين المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكالييف والابتلاءات، ليظهر المؤمن من المنافق، والخبيث من الطيب. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتميزوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب؛ كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين، فحققوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تؤمنوا حقًا وتتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه فلكم ثواب عظيم عند الله.

﴿١٧٧﴾ ولا يظنن الذين ييخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طَوْقًا يَطْوِقُون به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده مُلْك ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله بما تعملون من خير وشر خبير، وسيجازيكم عليه.

﴿١٧٨﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ينبغي للمؤمن أن لا يلتفت إلى تخويف الشيطان له بأعدائه وأنصاره من الكافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.
- ٢ - لا ينبغي للعبد أن يغتر بإمهال الله له، بل عليه المبادرة إلى التوبة، ما دام في زمن المهلة قبل فواتها.
- ٣ - جرت سُنَّة الله تعالى أن يختبر عباده بألوان الابتلاء والامتحان حتى يتميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق.
- ٤ - البخيل الذي يمنع فضل الله عليه إنما يضر نفسه بحرمانها المتاجرة مع الله الكريم الوهاب، وتعريضها للعقوبة يوم القيامة.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ آيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن رَّحِمَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعٌ عَاجِلٌ ﴿١٨٥﴾ تَسْبُلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عِزِّ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

﴿١٨١﴾ لقد سمع الله قول اليهود حين قالوا: إن الله فقير حيث طلب منا القرض، ونحن أغنياء بما عندنا من أموال، سنكتب في صحائف أعمالهم هذه المقولة الشنيعة، ونكتب عليهم رضاهم بقتل أسلافهم لأنبياء الله عمداً وعدواناً، ونقول لهم جميعاً: ذوقوا العذاب المحرق في النار.

﴿١٨٢﴾ ذلك العذاب بسبب ما قدمت أيديكم - أيها اليهود - من المعاصي والمخازي، وبأن الله ليس يظلم أحداً من عبده.

﴿١٨٣﴾ وهم الذين قالوا كذباً وافتراء: إن الله أوصانا في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بما يصدق قوله، وذلك بأن يتقرب إلى الله بصدقة تُحرقها نار تنزل من السماء، فكذبوا على الله في نسبة الوصية إليه، وفي حصر دلائل صدق الرسل فيما ذكروا، ولهذا أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقوله لهم: قد جاءكم رسل من قبلي بالبراهين الواضحة على صدقهم، وبالذي ذكرت من القُربان الذي تحرقه نار من السماء، فلم كذبتموهم وقتلتموهم إن كنتم صادقين فيما تقولون؟!

﴿١٨٤﴾ فإن كذبوك - أيها النبي - فلا تحزن، فهي عادة الكافرين، فقد كذب رسل كثير من قبلك، جاؤوا بالأدلة الواضحة، وبالكتب

المشتعلة على المواعظ والرقائق، والكتاب الهادي بما فيه من الأحكام والشرائع.

﴿١٨٥﴾ كل نفس مهما تكن لا بد أن تذوق الموت، فلا يغتر مخلوق بهذه الدنيا، وفي يوم القيامة تعطون أجور أعمالكم كاملة غير منقوصة، فمن أبعد الله عن النار، وأدخله الجنة؛ فقد نال ما يرجو من الخير، ونجا مما يخاف من الشر، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل، ولا يتعلق بها إلا المخدوع.

﴿١٨٦﴾ لتختبرن - أيها المؤمنون - في أموالكم، بأداء الحقوق الواجبة فيها، وبما ينزل بها من مصائب، ولتختبرن في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وما ينزل بكم من أنواع البلاء، ولتسمعن من الذين أعطوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا شيئاً كثيراً مما يؤذيك من الطعن فيكم وفي دينكم، وإن تصبروا على ما يصيبكم من أنواع المصائب والابتلاءات، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى، فإن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزم، ويتنافس فيها المتنافسون.

﴿١٨٧﴾ فإلهام من الآيات:

- ١ - في الآيات إشارة إلى مبلغ سوء أدب اليهود وكذبهم على الله وأنبيائه.
- ٢ - من سوء فعال اليهود وقبيح أخلاقهم اعتداؤهم على أنبياء الله بالكذب والقتل.
- ٣ - كَتَبَ الله تعالى على الخلق كلهم الموت، فلا يسلم منه أحد، ولا حيلة في ذلك، وإنما على العاقل أن يجتهد في الاستعداد له.
- ٤ - كل فوز في الدنيا فهو ناقص، وإنما الفوز التام في الآخرة، بالنجاة من النار ودخول الجنة.
- ٥ - من أنواع الابتلاء الأذى الذي ينال المؤمنين في دينهم وأنفسهم من قِبَل أهل الكتاب والمشركين، والواجب حينئذ الصبر وتقوى الله تعالى.

﴿١٧٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لتوضّحن للناس كتاب الله، ولا تكتمون ما فيه من الهدى، ولا ما دل عليه من نبوة محمد ﷺ، فما كان منهم إلا أن طرحوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، فكتموا الحق وأظهروا الباطل، واستبدلوا بعهد الله ثمناً زهيداً، كالجاء والمال الذي قد ينالونه، فبس هذا الثمن الذي يستبدلونه بعهد الله.

﴿١٧٨﴾ لا تظنن - يا أيها النبي - أن الذين يفرحون بما فعلوا من القبائح، ويحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوه من الخير، لا تظننهم بمنجاة من العذاب وسلامة، بل محلهم جهنم، ولهم فيها عذاب أليم.

﴿١٧٩﴾ والله وحده دون غيره ملك السماوات والأرض وما فيهما خلقاً وتدبيراً، والله على كل شيء قدير.

﴿١٨٠﴾ إن في إيجاد السماوات والأرض من عذم على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، وتفاوتهما طولاً وقصرًا؛ للدلائل واضحة لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده.

﴿١٨١﴾ وهم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم،

وفي حال اضطجاعهم، ويعملون فكرهم في خلق السماوات والأرض؛ قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثاً، تنزهت عن العبث، فحببنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحفظنا من السيئات.

﴿١٨٢﴾ فإنك - يا ربنا - من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحته، وليس للظالمين يوم القيامة من أنصار يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

﴿١٨٣﴾ ربنا إننا سمعنا داعياً للإيمان يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهاً واحداً، فآمنّا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته، فاستر ذنوبنا فلا تفضحننا، وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

﴿١٨٤﴾ ربنا وأعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا، ولا تفضحننا يوم القيامة بدخول النار، إنك - يا ربنا - كريم لا تخلف وعذك.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من صفات علماء السوء من أهل الكتاب: كُثم العلم، واتباع الهوى، والفرح بمدح الناس مع سوء سرائرهم وأفعالهم.
- ٢ - فيما خلق الله تعالى في الآفاق والأنفس أعظم العبر لمن اعتبر، وأظهر الشواهد على خالقها لمن طلب الهدى.
- ٣ - التفكير في خلق الله تعالى يورث اليقين بعظمة الله وكمال الخضوع له ﷻ.
- ٤ - دعاء الله وخضوع القلب له تعالى من أكمل مظاهر العبودية.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمْنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٨٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٨٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٨٤﴾

وفي حال اضطجاعهم، ويعملون فكرهم في خلق السماوات والأرض؛ قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثاً، تنزهت عن العبث، فحببنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحفظنا من السيئات.

﴿١٨٢﴾ فإنك - يا ربنا - من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحته، وليس للظالمين يوم القيامة من أنصار يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

﴿١٨٣﴾ ربنا إننا سمعنا داعياً للإيمان يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهاً واحداً، فآمنّا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته، فاستر ذنوبنا فلا تفضحننا، وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

﴿١٨٤﴾ ربنا وأعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا، ولا تفضحننا يوم القيامة بدخول النار، إنك - يا ربنا - كريم لا تخلف وعذك.

﴿١٤٥﴾ فَأَجَابَ رَبُّهُمْ دُعَاءَهُمْ: يَا نَبِيَّ لَا أَضِيعُ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ قَلْتُ أَوْ كَثُرْتُ، سواء كان العامل ذكراً أو أنثى، فبعضكم من بعض في الأصل الذي خُلِقْتُمْ منه، والملة التي تتبعونها، لا يَزِيدُ لَذِكْرِي، وَلَا يُنْقِصُ لِأَنْثَى، فالذين هاجروا في سبيل الله، وأخرجهم الكفار من ديارهم، وأصابهم الأذى طاعة لربهم، وقاتلوا في سبيل الله وقُتِلُوا لتكون كلمة الله هي العليا؛ لأَغْفِرَ لَهُمْ سيئاتهم يوم القيامة، ولا تتجاوزن عنها، ولا تدخلنهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ثواباً من عند الله، والله عنده الجزاء الحسن الذي لا مثل له.

﴿١٤٦﴾ لَا تَشْعُرَنَّ بِهِمْ وَلَا غَمٌّ - أيها النبي - من تنقل الكافرين في البلاد، وتَمَكَّنْهُمْ منها، وسعة تجارتهم وأرزاقهم، فكل هذا يزول، ولا يبقى لهم إلا أعمالهم السيئة. ﴿١٤٧﴾ فهذه الدنيا متاع قليل لا دوام له، ثم بعد ذلك يكون مصيرهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة: جهنم، وبئس المصير لهم النار. ﴿١٤٨﴾ لكن الذين اتقوا ربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، جزاءً مُعَدَّاً لَهُمْ من عند الله تعالى، وما أعدّه الله للصالحين من عبادته خير وأفضل مما يتقلب فيه الكفار من ملذات الدنيا.

﴿١٤٩﴾ ليس أهل الكتاب سواء، فإن منهم طائفة يؤمنون بالله وبما أنزل إليكم من الحق والهدى، ويؤمنون بما أنزل إليهم في كتبهم، لا يفرقون بين رسل الله، خاضعين متذللين لله، رغبة فيما عنده، لا يستبدلون بآيات الله ثمناً قليلاً من متاع الدنيا، أولئك الموصوفون بهذه الصفات لهم ثوابهم العظيم عند ربهم، إن الله سريع الحساب على الأعمال، وسريع الجزاء عليها.

﴿١٥٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله: اصبروا على تكاليف الشريعة، وعلى ما يعرض لكم من مصائب الدنيا، وغالبوا الكفار في الصبر فلا يكونوا أشد صبراً منكم، وأقيموا على الجهاد في سبيل الله، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تتألون مطلوبكم بالسلامة من النار ودخول الجنة.

﴿١٥١﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده مسارعته لإجابة دعائهم وسماع نداءهم.
- ٢ - من تمام عدل الله أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية ولا في الثواب عليها.
- ٣ - الأذى الذي ينال المؤمن في سبيل الله فيضطره إلى الهجرة والخروج والجهاد من أعظم أسباب تكفير الذنوب ومضاعفة الأجور.
- ٤ - ليس العبرة بما قد يُنْعَمُ به الكافر في الدنيا من المال والمتاع وإن عَظُمَ؛ لأنها زائلة، وإنما العبرة بحقيقة مصيره في الآخرة في دار الخلود.
- ٥ - من أهل الكتاب من يشهدون بالحق الذي في كتبهم، فيؤمنون بما أنزل إليهم وبما أنزل على المؤمنين، فهو لاء لهم أجرهم مرتين.
- ٦ - الصبر على الحق، ومغالبة المكذابين به، والجهاد في سبيله، هو سبيل الفلاح في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالة لرواسب الجاهلية وتركيزاً على حقوق النساء والضعفاء.

﴿التفسير﴾:

سميت بذلك لذكر النساء فيها وتفصيل كثير من أحكامهن.

﴿١﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي أبوكم آدم، وخلق من آدم زوجة حواء أمكم، ونشر منهما في أقطار الأرض بشراً كثيراً ذكوراً وإناثاً، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به بأن يقول: أسألك بالله أن تفعل كذا، واتقوا قُطْعَ الأرحام التي تربط بينكم، إن الله كان عليكم رقيباً، فلا يفوته شيء من أعمالكم، بل يحصيها ويجازيكم عليها.

﴿٢﴾ وأعطوا - أيها الأوصياء - اليتامى (وهم: من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحُلُم) أموالهم كاملة إذا بلغوا وكانوا راشدين، ولا تبدلوا الحرام بالحلال؛ بأن تأخذوا الجيد النفيس من أموال اليتامى، وتدفعوا بدله الرديء الخسيس من أموالكم، ولا تأخذوا أموال اليتامى مضمومة إلى أموالكم، إن ذلك كان ذنباً عظيماً عند الله.

﴿٣﴾ وإن خفتم أن لا تعدلوا إذا تزوجتم

اليتيمات اللاتي تحت ولايتكم، إما خوفاً من نقص مهرهن الواجب لهن، أو إساءة معاملتهن، فدعوهم وتزوجوا الطيب من النساء غيرهن، إن شئتم تزوجتم اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خفتم أن لا تعدلوا بينهن فاقتصروا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكت أيمانكم من الإماء، إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقتصار على نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى أن لا تجوروا وتميلوا.

﴿٤﴾ وأعطوا النساء مهورهن طيبة بها نفوسكم، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم بلا إكراه؛ فكلوه سائغاً لا تنغيص فيه.

﴿٥﴾ ولا تعطوا - أيها الأولياء - الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سبباً تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم، واكسوهم منها، وقولوا لهم قولاً طيباً، وعدوهم موعدةً حسنة بأن تعطوهم مالهم إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف.

﴿٦﴾ واختبروا - أيها الأولياء - اليتامى إذا قاربوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءاً من مالهم يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم؛ فسلموا إليهم أموالهم كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُغنيه فليمتنع عن الأكل من مال اليتيم، ومن كان منكم فقيراً لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم؛ فأشهدوا على ذلك التسليم حفظاً للحقوق، ومنعاً لأسباب الاختلاف، وكفى الله شاهداً على ذلك، ومحاسباً للعباد على أعمالهم.

﴿فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضاً.
- ٢ - أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل.
- ٣ - جواز تعدد الزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهما، والقدرة على القيام بما يجب لهن.
- ٤ - مشروعية الحجر على السفیه الذي لا يحسن التصرف؛ لمصلحته، وحفظاً للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.

٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون كالإخوة والأعمام بعد موتهم، قليلاً كان أو كثيراً، وللنساء نصيب مما تركه هؤلاء؛ خلافاً لما كان عليه أمر الجاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مُبين المقدار مفروض من الله تعالى.

٨ وإذا حضر قسّم التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والفقراء؛ فأعطوهم - على سبيل الاستحباب - من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم مُتَشَوِّفُونَ إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقلوا لهم قولاً حسناً لا قبح فيه.

٩ وَلْيَخَفَ الَّذِينَ لَوْ مَاتُوا وَتَرَكَوا خَلْفَهُمْ أَوْلَادًا صَغَارًا ضِعَافًا، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى ييسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا له قولاً مصيباً للحق بأن لا يظلم في وصيته حق ورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الخير بترك الوصية.

١٠ إن الذين يأخذون أموال اليتامى، ويتصرفون فيها ظلماً وعدواناً، إنما يأكلون في أجوافهم ناراً تلتهب عليهم، وستحرقهم النار يوم القيامة.

١١ يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم؛ أن الميراث يُقسم بينهم للولد مثل نصيب البنيتين، فإن ترك الميت بنات دون ولد ذكر؛ ف للبنيتين فأكثر الثلثان مما ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميت سدس ما ترك؛ إن كان له ولد ذكراً كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد ولا وارث له غير أبويه؛ فلأُم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر ذكوراً كانوا أو إناثاً أشقاء أو غير أشقاء؛ فلأُمه السدس فرضاً، والباقي للأب تعصيباً، ولا شيء للإخوة، ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميت بشرط أن لا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا؛ لأنكم لا تدرون مَنْ مِنَ الآبَاءِ والأبناء أقرب لكم نفعا في الدنيا والآخرة، فقد يظن الميت بأحد ورثته خيراً؛ فيعطيه المال كله، أو يظن به شراً فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شيء، ولذلك قسم الميراث على ما بين، وجعله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيمًا في شرعه وتدبيره.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - دلت أحكام الموارث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعيةً العدل بينهم.

٢ - التغليظ الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.

٣ - قسمة الموارث في الشريعة قائمة على تحقيق العدل بين الورثة ومراعاة المصلحة بينهم.

٤ - لما كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام الموارث.

﴿١١﴾ ولكم - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم؛ إن لم يكن لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - منكم أو من غيركم، فإن كان لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلكم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين - وللزوجات الربع مما تركتم - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركتم، يقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتكم، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد، أو ماتت امرأة ليس لها والد ولا ولد، وكان للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من الأخ لأم أو الأخت لأم السدس فرضاً، فإن كان الإخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فلجميعهم الثلث فرضاً يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكرهم وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تُدخل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تضمنته الآية عهد من الله إليكم أوجبه عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿١٢﴾ تلك الأحكام المذكورة في شأن التامى وغيرهم، شرائع الله التي شرعها لعباده ليعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه؛ يدخله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الفلاح العظيم الذي لا يضاهيه فلاح. ومن يعص الله ورسوله بتعطيل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، ويتجاوز حدود ما شرعه؛ يدخله ناراً ماكثاً فيها، وله فيها عذاب مُدَلِّل.

﴿١٣﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لا تُقسم الأموال بين الورثة حتى يُقضى ما على الميت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يجوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- ٢ - التحذير من التهاون في قسمة الموارث؛ لأنها عهدُ الله ووصيته لعباده المؤمنين؛ فلا يجوز تركها أو التهاون فيها.
- ٣ - من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.
- ٤ - هذه الأحكام المتعلقة بالميراث وقسمته بين الورثة هي من الأحكام التي عهد الله بها إلى عباده، وحذَّره من التهاون بها.
- ٥ - من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعذَّى حدوده توعده بأعظم العقاب.

﴿١٤﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنا من نسائكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاحسوهن في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقاً غير طريق الحبس. ثم بين الله السبيل لهن بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورجم المحصنة.

﴿١٥﴾ واللدان يرتكبان فاحشة الزنا من الرجال - محصنين أو غير محصنين - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحقق الإهانة والزجر، فإن أقلعا عما كانا عليه، وصلحت أعمالهما؛ فأعرضوا عن أذاهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان تواباً على من تاب من عباده رحيماً بهم.

والاكْتفاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نُسِخ بعد ذلك بجلد البكر وتغريبه، وبرجم المحصن.

﴿١٦﴾ إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها - وهذا شأن كل مرتكب ذنب متممداً كان أو غير متممداً - ثم يرجعون منيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً

وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحْشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى تَيَوَّمَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّكَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْقَنْ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريعه.

﴿١٨﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يُصِرُّون على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعانوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبت الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله - كذلك - توبة الذين يموتون وهم مُصِرُّون على الكفر، أولئك العصاة المُصِرُّون على المعاصي، والذين يموتون وهم على كفرهم؛ أَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يجوز لكم أن تَرِثُوا نساء آبائكم كما يُورث المال، وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنا، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يفتدين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحة طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن؛ فلعل الله يجعل فيما تكرهون خيرًا كثيرًا في الحياة الدنيا والآخرة.

﴿٢٠﴾ فَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأُمَمُ:

- ١ - ارتكاب فاحشة الزنا من أكثر المعاصي خطرًا على الفرد والمجتمع؛ ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- ٢ - لُطْفَ الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، ويسر له أسبابها، وأعانها على سلوك سبيلها.
- ٣ - كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جل وعلا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.
- ٤ - من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازنًا، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضًا إلى ما فيه من خير.
- ٥ - إمساك الرجل امرأته مع ما يكره منها امتثالًا لأمر الله تعالى يُرجى - والحال هذه - أن يجعل الله في ما يكره منها خيرًا كثيرًا له.

﴿٢٠﴾ وإن أردتم - أيها الأزواج - تطليق امرأة، واستبدالها بغيرها؛ فلا حرج عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتهم التي عزمتم على فراقها مالا كثيرا مهرا لها؛ فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإن أخذ ما أعطيتموهن يعد افتراء مبينا وإنما واضحاً!

﴿٢١﴾ وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة ومودة واستمتاع واطلاع على الأسرار، فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد هذا لهو أمر منكر ومستقبح، وقد أخذن منكم عهداً موثقاً شديداً، وهو استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.

﴿٢٢﴾ ولا تتزوجوا ما تزوجه آبائكم من النساء؛ فإن ذلك محرم، إلا ما سبق من ذلك في الجاهلية فلا مؤاخذه عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من زوجات آبائهم كان أمراً يعظم قبحه، وسبب غضب الله على فاعله، وساء طريقاً لمن سلكها.

﴿٢٣﴾ حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم وإن علون؛ أي أم الأم وجدتها من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن نزلن؛ أي بنتها وبنت بنتها، وكذلك بنات الابن والبنات وإن نزلن، وأخواتكم من أبويكم أو من أحدهما،

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتناً وإثماً مبيناً ﴿٢٠﴾ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثقاً غليظاً ﴿٢١﴾ ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴿٢٢﴾ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضعة وأمهات نسائكم وربيباتكم التي في حجبكم من نسائكم التي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وخالاتكم الذين من أصلبكم وإن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان عفواً رحيماً ﴿٢٣﴾

وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم وأمهاتكم وإن علون، وخالاتكم، وكذلك خالات أمهاتكم وآبائكم وإن علون، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأولادهن وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي يشأن ويتربن في بيوتكم غالباً، وكذلك إذا لم يتربن فيها، إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في نكاح بناتهن، وحرم عليكم نكاح زوجات آبائكم الذين من أصلابكم، ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا الحكم زوجات آبائكم من الرضاعة، وحرم عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاعة إلا ما مضى من ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان عفواً رحيماً، وبث في السنة تحريم الجمع كذلك بين المرأة وعمتها أو خالتها.

﴿فوائد من الآيات﴾

- ١ - أباح الله الطلاق بين الزوجين وجعل أمره للرجل.
- ٢ - إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.
- ٣ - حرم الله تعالى نكاح زوجات الآباء؛ لأنه فاحشة تمقتها العقول الصحيحة والفطر السليمة.
- ٤ - بين الله تعالى بياناً مفصلاً من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع، تعظيماً لها، وصيانة لها من الاعتداء.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
مِنْهُنَّ فَعَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ١٤ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَنَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَنْكِحُوا فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
١٥ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٦

١٤ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من
النساء، إلا ما ملكتموهن بالسبي في الجهاد
في سبيل الله، فيحل لكم وطوئهن بعد استبراء
أرحامهن بحیضة، فرض الله ذلك عليكم
فرضاً، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء،
أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها
بالحلل غير قاصدين الزنا، فمن تمتعت بهن
بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله
فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما
وقع عليه تراضيكم من بعد تحديد المهر
الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه،
إن الله كان عليماً بخلقه لا يخفى عليه منهم
شيء، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

١٥ ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال -
لقلة ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له
نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن
مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة
إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهن سواء
في الدين والإنسانية، فلا تستنكفوا عن
الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن،
وآتوهن مهورهن دون نقص أو مماطلة، هذا
إن كن عفيفات غير زانيات علناً، ولا
متخذات أخلاء للزنا بهن سراً، فإذا تزوجن،
ثم ارتكبن فاحشة الزنا فحذهن نصف عقوبة

الحرائر: خمسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من الحرائر إذا زنى. ذلك المذكور من إباحة
نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، ولم يقدر على الزواج من
الحرائر، على أن الصبر عن نكاح الإماء أولى؛ لتجنب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده،
رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند خشية الزنا.

١٦ يريد الله سبحانه بتشريع هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا
والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحریم، وشمائهم الكريمة، وسيرهم
الحميدة لتتبعوهم، ويريد أن يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرعه لهم،
حكيم في تشريعه وتدبيره لشؤونهم.

﴿فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - حُرْمَةُ نِكَاحِ الْمُتَزَوِّجَاتِ: حرائر أو إماء حتى تنقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- ٢ - أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- ٣ - جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر؛ إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنا.
- ٤ - من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى.

﴿٧٧﴾ والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يميلون مع شهواتهم أين مالت، ويتبعون أهواءهم، أن تميلوا عن طريق الاستقامة ميلاً عظيماً.

﴿٧٨﴾ يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرع، فلا يكلفكم ما لا تطيقون؛ لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وخلقته.

﴿٧٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل أحداكم نفسه، ولا يُلق بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيماً، ومن رحمته حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

﴿٨٠﴾ ومن يفعل ذلك الذي نهيتكم عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عالمًا متعدياً، لا جاهلاً أو ناسياً؛ فسيدخله الله ناراً عظيمة يوم القيامة، يعاني حرها، ويقاسي عذابها، وكان ذلك على الله هيناً؛ لأنه قادر لا يعجزه شيء.

﴿٨١﴾ إن تجتنبوا - أيها المؤمنون - فعل كبائر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا؛ نتجاوز عما

ترتكبونه من صغائرها بتكفيرها ومحوها، وندخلكم مكاناً كريماً عند الله، وهو الجنة.

﴿٨٢﴾ ولا تتموا - أيها المؤمنون - ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ لئلا يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجبن ما خص الله به الرجال، فللرجال نصيب من أعمالهم، وللنساء نصيب من أعمالهن، فكل منهم لا ينال ثواب غير ما اكتسب، واسألوا الله من فضله يستجب لكم، إن الله كان بكل شيء عليماً، فيعطي بعلمه، ويمنع بعدله.

﴿٨٣﴾ ولكل واحد منكم جعلنا له عَصَبَة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحلف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيذاً، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالحلف كان في صدر الإسلام، ثم نسخ.

﴿٨٤﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة منهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالاً عن الهدى.

٢ - حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.

٣ - الابتعاد عن كبائر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.

٤ - الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُجَنَّب المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.

﴿٢٤﴾ الرجال قِيَمُونَ عَلَى النساء، يتولونهن ويقومون على شؤونهن، بسبب ما خصهم الله به من الفضل عليهن، وبسبب ما يجب عليهم من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في غيبتهم بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابدؤوا - أيها الأزواج - بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش، بأن يوليها ظهره ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة؛ فلا تعتدوا عليهن بظلم أو معاتبة، إن الله كان علياً في ذاته، كبيراً في صفاته فخافوه.

﴿٢٥﴾ وإن خفتم - يا أولياء الزوجين - أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابير، فابعثوا رجلاً عدلاً من أهل الزوج، ورجلاً عدلاً من أهل الزوجة ليحكمما بما فيه المصلحة من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أراده الحكماء وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من عباده، خبيراً بما يخفونه في قلوبهم.

﴿٢٦﴾ واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأحسنوا إلى الجار القريب، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى الصاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به السبل، وأحسنوا إلى مماليكمم، إن الله لا يحب من كان معجباً بنفسه، متكبراً على عباده، مادحاً لنفسه على وجه الفخر على الناس.

﴿٢٧﴾ ولا يحب الله الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيرهم بذلك، ويخفون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، فلا يبينون للناس الحق، بل يكتُمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد أعدنا للكافرين عذاباً مخزياً.

﴿٢٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

١ - ثبوت قِوامة الرجال على النساء بسبب تفضيل الله لهم، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.

٢ - للرجل الحق في تأديب امرأته إذا ترفعَت عن الطاعة، وسلوك مسلك التدرج في العقوبة بلا ظلم ولا اعتداء.

٣ - عظم الله تعالى حق الوالدين وقرنه بحقه تعالى، كما عظم أمر الإحسان إلى الخلق.

٤ - التحذير من ذميم الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكتُم العلم وعدم تبينه للناس.

﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرَاهُمْ النَّاسُ وَيَمْدَحُوهُمْ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ أَعَدَدْنَا لَهُمْ هَذَا الْعَذَابَ الْمَخْزِي، وَمَا أَضْلَهُمْ إِلَّا مُتَابِعَتُهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ صَاحِبًا مُلَازِمًا فَسَاءَ صَاحِبًا.

﴿٢٩﴾ وَمَاذَا يَضُرُّ هَؤُلَاءَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ حَقًّا وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ؟! بَلْ فِي ذَلِكَ الْخَيْرُ كُلَّهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُهُمْ، وَسِجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ شَيْئًا، فَلَا يَنْقُصُ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ تَرَابٍ أَوْ هَبَاءٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي سَيِّئَاتِهِمْ شَيْئًا، وَإِنْ تَكُنْ زَنَةَ الذَّرَّةِ حَسَنَةً يَضَاعَفُ ثَوَابُهَا فَضْلًا مِنْهُ، وَيُؤْتِ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ الْمَضَاعِفَةِ ثَوَابًا عَظِيمًا.

﴿٣١﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ نَجِيءُ نَبِيَّ كُلِّ أُمَّةٍ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ، وَنَجِيءُ بَكْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - شَاهِدًا عَلَى هَؤُلَاءِ جَمِيعًا مِنَ الْأُمَمِ وَالرَّسْلِ.

﴿٣٢﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْا رِسُولَهُ لَوْ صَارُوا تُرَابًا فَكَانُوا سَوَاءً هُمْ وَالْأَرْضُ، وَلَا يُخْفُونَ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا مِمَّا عَمِلُوا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَخْتَمُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فَلَا تَنْطِقُ، وَيَأْذَنُ لِحَوَارِحِهِمْ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِعَمَلِهِمْ.

﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رِسُولَهُ، لَا تَصَلُّوا وَأَنْتُمْ فِي حَالٍ سَكْرٍ حَتَّى تَصْحُوا مِنْ سَكْرِكُمْ، وَتَمَيِّزُوا مَا تَقُولُونَ - وَكَانَ هَذَا قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ مُطْلَقًا - وَلَا تَصَلُّوا وَأَنْتُمْ فِي حَالٍ جَنَابَةٍ، وَلَا تَدْخُلُوا الْمَسَاجِدَ فِي حَالِهَا إِلَّا مُتَجَنِّزِينَ دُونَ مُكُثٍّ؛ حَتَّى تَغْتَسِلُوا، وَإِنْ أَصَابَكُمْ مَرَضٌ لَا يُمْكِنُ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ مَعَهُ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ، أَوْ أَحْدَثَ أَحَدُكُمْ، أَوْ جَامَعْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً؛ فَافْقِدُوا تُرَابًا طَاهِرًا، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا لَكُمْ.

﴿٣٤﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَمْرَ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ حِطًّا مِنَ الْعِلْمِ بِالتَّوْرَةِ يَسْتَبْدِلُونَ الضَّلَالَاتِ بِالْهُدَى، وَهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى إِضْلَالِ الْكُفَرِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ لَتَسْلُكُوا طَرِيقَهُمُ الْمَعْوَجَّ.

﴿٣٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعْفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجُوْنَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٣٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَبْذُلُوا السَّبِيلَ ﴿٣٤﴾

١ - مَنْ كَمَالَ عَدْلُهُ وَتَمَامَ رَحْمَتُهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ عِبَادَهُ شَيْئًا مَهْمَا كَانَ قَلِيلًا، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِمَضَاعِفَةِ حَسَنَاتِهِمْ.

٢ - مِنْ شِدَّةِ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَظَمِ مَا يَنْتَظَرُ الْكَافِرُ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ تُرَابًا.

٣ - الْجَنَابَةُ تَمْنَعُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْبَقَاءِ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَا بِأَسْ مِنْ الْمُرُورِ بِهِ دُونَ مُكُثٍّ فِيهِ.

٤ - تَيْسِيرُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَشْرُوعِيَةِ التَّيَمُّمِ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ أَوْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ.

﴿٥٦﴾ أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرده الله فلن تجد له نصيرًا يتولاه.

﴿٥٦﴾ ليس لهم نصيبٌ من الملك، ولو كان لهم هذا لما أعطوا أحدًا منه شيئًا، ولو كان قدر النقطة التي في ظهر نواة التمر.

﴿٥٧﴾ بل يحسدون محمدًا ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والإيمان والتمكين في الأرض. فلم يحسدونهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب المنزل، وما أوحيناه إليهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكًا واسعًا على الناس.

﴿٥٨﴾ من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم عليه السلام وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من كفر به، وصد الناس عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أنزل على النبي محمد ﷺ، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم.

﴿٥٩﴾ إن الذين كفروا بآياتنا سوف ندخلهم يوم القيامة نارًا تحيط بهم، كلما أحرقت جلودهم بدلناهم جلودًا أخرى غيرها؛ ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزًا لا يغالبه شيء، حكيمًا فيما يديره ويقضي به.

﴿٦٠﴾ والذين آمنوا بالله واتبعوا رسله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا،

لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قدر، وسندخلهم ظلًا ممتدًا كثيفًا لا حر فيه ولا برد.

﴿٦١﴾ إن الله يأمركم - أيها المؤمنون - بأداء الأمانات إلى أهلها، ويأمركم إذا حكمتم بين الناس في كل شأنهم أن تحكموا بالعدل الذي بينه فيما شرع، إن الله نعم ما يأمركم به في كل أحوالكم، إن الله كان سميعًا لأقوالكم، بصيرًا بأفعالكم.

﴿٦٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى، وأطيعوا ولاة أموركم ما لم يأمرُوا بمعصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة خير من التماسي في الخلاف والقول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم.

﴿٦٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين، على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.

٢ - وجوب المحافظة على الأمانات، وردّها إلى أهلها.

٣ - وجوب الحكم بين الناس بالعدل، والنهي عن الجور والظلم.

٤ - وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمرُوا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله تحقيقًا لمعنى الإيمان.

﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ - أيها الرسول - تناقض المنافقين من اليهود الذين يدعون كذباً أنهم آمنوا بما أنزل عليك وما أنزل على الرسل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أمروا أن يكفروا بذلك. ويريد الشيطان أن يبعدهم عن الحق إبعاداً شديداً لا يهتدون معه.

﴿٦١﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من الحكم، وإلى الرسول ليحكم بينكم في خصامكم، رأيتم - أيها الرسول - يعرضون عنك إلى التحاكم إلى غيرك إعراضاً تاماً.

﴿٦٢﴾ فكيف يكون حالهم إذا حدث لهم مصائب بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، ثم جاؤوك - أيها الرسول - معتردين إليك يحلفون بالله: ما قصدنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين، وهم كاذبون في ذلك؛ فإن الإحسان هو في تحكيم شرع الله على عباده.

﴿٦٣﴾ أولئك الذين يعلم الله ما يضمرون في قلوبهم من النفاق والقصد الرديء، فتول - أيها الرسول - عنهم، ويبين لهم حكم الله مرغباً إياهم في الانقياد لله، ومرهباً من

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنُزِّلَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ وَكَيَّحِلْفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ آرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

الإعراض عنه، وانصحهم فيما بينك وبينهم نصحاً بليغاً يزرهم.

﴿٦٤﴾ وما أرسلنا من رسول إلا لأجل أن يطاع فيما يأمر به بمشيئة الله وتقديره، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك - أيها الرسول - في حياتك مقررين بما ارتكبوه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبت المغفرة؛ لوجدوا الله تواباً عليهم رحيماً بهم.

﴿٦٥﴾ فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته ﷻ أنهم لا يكونون مؤمنين حقاً حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليماً تاماً بانقياد ظواهرهم وبواطنهم.

﴿قوله من الآيات﴾:

- ١ - الاحتكام إلى غير شرع الله والرضا به مناقض للإيمان بالله تعالى.
- ٢ - من أبرز صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.
- ٣ - التذنب إلى الإعراض عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في نصحتهم وتخويفهم من الله تعالى.
- ٤ - الإيمان التام لا يكون إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.

﴿١٦﴾ ولو أنا فرضنا عليهم قتل بعضهم بعضاً، أو الخروج من ديارهم؛ ما امتثل أمرنا منهم إلا عدد قليل، فليحمدوا الله أنه لم يكلفهم ما يشق عليهم، ولو أنهم فعلوا ما ينصحون به لكان خيراً من المخالفة، وأشدّ تثبيتاً لإيمانهم، ولأتيناهم من عندنا ثواباً عظيماً، ولوفقناهم إلى الطريق المستقيم الموصل إلى الله وجنته.

﴿١٧﴾ ومن يطع الله والرسول فهو مع من أنعم الله عليهم بدخول الجنة من الأنبياء والصديقين الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، وعملوا به، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، والصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم فصلحت أعمالهم، وحسن أولئك رفقاء في الجنة.

﴿١٨﴾ ذلك الثواب المذكور تفضل من الله على عباده، وكفى بالله عليماً بأحوالهم، وسيجازي كلأ بعمله.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا الله واتبعوا رسوله، خذوا الحذر من أعدائكم باتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم، فاخرجوا إليهم جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا إليهم جميعاً، كل ذلك حسب ما فيه مصلحتكم، وما فيه النكاية بأعدائكم.

﴿٢٠﴾ وإن منكم - أيها المسلمون - أقواماً يتباطؤون عن الخروج لقتال أعدائكم لجبنهم، ويبطئون غيرهم، وهم المنافقون وضعيفو الإيمان، فإن أصابكم قتل أو هزيمة قال أحدهم فرحاً بسلامته: قد أنعم الله علي فلم أشهد القتال معهم فيصيني ما أصابهم.

﴿٢١﴾ ولئن نالكم - أيها المسلمون - فضل من الله بنصر أو غنيمة ليقولن هذا المتخلف عن الجهاد كأنه ليس منكم ولم تكن بينكم وبينه صحبة ومعرفة: يا ليتني كنت معهم في قتالهم هذا فأفوز فوزاً عظيماً مثلهم. ليس له قصد إلا ذلك.

﴿٢٢﴾ فليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا فيقتل شهيداً، أو يظهر على عدوه، ويظفر به، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة ورضوان الله.

﴿٢٣﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - شرع الله ﷻ قائم على التيسير، فلا يكلف العباد ما يشق عليهم.
- ٢ - ثمة طاعة الله ورسوله الفوز بمرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة.
- ٣ - وجوب أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو.
- ٤ - الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتثبيط الناس عنه؛ لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.

﴿٧٥﴾ وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا استنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا، أخرجنا من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، وسخر لنا من عندك ولياً يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيراً يدفع عنا الضرر.

﴿٧٦﴾ المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الشيطان وعلى منهجه، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم؛ لأن تدبير الشيطان كان ضعيفاً لا يضر المتوكلين على الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يفرض عليهم الجهاد، ف قيل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد - فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفرض القتال؛ شق ذلك عليهم، فصار بعضهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هلاً أخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم - أيها الرسول -: متاع الدنيا مهما بلغ قليل

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ يَذْرُوكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

زائل، والآخرة خير لمن اتقى الله تعالى ل دوام ما فيها من النعيم، ولا تنقصون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمرة.

﴿٧٨﴾ في أي زمان، وفي أي مكان كنتم يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور منيعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن يَنَلْ هؤلاء المنافقون ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يَنَلْهم شدة في ولد أو رزق تشاءموا من النبي ﷺ وقالوا: هذه السيئة بسببك، قل - أيها الرسول - ردًا على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما لهؤلاء القوم الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يفهمون أي حديث تحدثهم به؟

﴿٧٩﴾ ما أصابك - يا ابن آدم - مما يسرك من رزق وولد فهو من الله، تفضل به عليك، وما أصابك مما يسوءك في رزقك وولدك فهو من نفسك بسبب ما ارتكبته من المعاصي. وقد بعثناك - أيها النبي - لجميع الناس رسولاً من الله تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شاهداً على صدقك فيما تبليغه عنه، بما أتاك من أدلة وبراهين.

﴿٨٠﴾ فَاذْكُرُوا (الآيات):

- ١ - وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، وذم الخوف والجبن والاعتراض على أحكام الله.
- ٢ - الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.
- ٣ - مهما توقى المرء أسباب الموت سيصيبه حتى لو كان في أشد الحصون.
- ٤ - الخير والشر كله بقدر الله، وقد يبتلي الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها: ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿٨٠﴾ من يطع الرسول بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه؛ فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك - أيها الرسول - فلا تحزن عليه، فما أرسلناك مراقباً عليه تحفظ أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.

﴿٨١﴾ ويقول المنافقون لك بالسنتهم: نطيع أمرك ونمتثله، فإذا خرجوا من عندك ذُبر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فأعرض عنهم ولا تلتفت لهم؛ فلن يضروك شيئاً، وفوض أمرك إلى الله، واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلًا تعتمد عليه.

﴿٨٢﴾ لم لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب؟ وحتى يعلموا صدق ما جئت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطراباً في أحكامه واختلافًا كثيرًا في معانيه.

﴿٨٣﴾ وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم؛ أفشوه ونشروه، ولو تأتوا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ وإلى من يلي أمورهم وشؤونهم؛ لتعرف أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يُعمل بشأنه من نشر

أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلاً منكم.

﴿٨٤﴾ فقاتل - أيها الرسول - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تُسأل عن غيرك ولا تُلزم به؛ لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورغب المؤمنين، وحثهم على القتال، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.

﴿٨٥﴾ من يشفع لغيره شفاعة حسنة تجلب الخير ولا إثم فيها ولا اعتداء؛ يكن له حظ من الثواب عليها، ومن يشفع شفاعة سيئة فيها إثم أو اعتداء؛ يكن له حظ من الإثم، وكان الله على كل ما يعمل الإنسان شهيداً وسيجازيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سبباً في حصول شر فإنه يناله منه شيء.

﴿٨٦﴾ وإذا سلم عليكم أحد فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظاً، وسيجازي كلًّا بعمله.

﴿٨٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله؛ لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.

٢ - لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعزعة أمن المؤمنين، أو دُب الرعب بين صفوفهم.

٣ - التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولي الأمر منهم.

٤ - مشروعية الشفاعة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاعة فيها إثم أو اعتداء.

﴿٨٧﴾ الله لا معبود بحق غيره، ليجمعن أولكم وأخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه؛ لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثاً من الله.

﴿٨٨﴾ ما شأنكم - أيها المؤمنون - صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم، فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهدوا من لم يوفقه الله إلى الحق! ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً إلى الهداية.

﴿٨٩﴾ ود المنافقون لو تكفروا بما أنزل عليكم كما كفروا فتكونون مستوين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً يواليكم على أموركم، ولا نصيراً يعينكم على أعدائكم.

﴿٩٠﴾ إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله تسليطهم عليكم

لقتلوهم، وانقادوا إليكم مصلحين تاركين قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقاً بقتلهم أو أسرهم.

﴿٩١﴾ ستجدون - أيها المؤمنون - فريقاً آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكفار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعوا إلى الكفر بالله والشرك به وقعوا فيه أشد الوقوع، فهؤلاء إذا لم يعتزلوكم بترك قتالكم، وينقادوا إليكم مصلحين، ويكفوا أيديهم عنكم؛ فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم على أخذهم وقتلهم حجة واضحة؛ لغدرهم ومكرهم.

﴿٩٢﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابَ الْمَغْرِبِ

١ - قيام الساعة والبعث بعد الموت حق لا شك فيه، فهو وعد الله الحق.

٢ - بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم.

٣ - الهجرة في سبيل الله تعالى من أبرز صفات المؤمنين التي تظهر حقيقة الإيمان.

٤ - يكشف الجهاد في سبيل الله أهل النفاق بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعدائهم.

﴿٩٢﴾ وما يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمة إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط، فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن؛ فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمة إلى ورثة القتيل، وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفطر فيها، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليمًا بأعمال عباده ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتديبه.

﴿٩٣﴾ ومن يقتل مؤمناً متعمداً قُتِلَ بغير حق؛ فجزاؤه دخول جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذاباً عظيماً لا يقرّاه هذا الذنب الكبير. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخلد أبداً في النار، وإنما يُعذب فيها مدة طويلة ثم يخرج منها برحمة الله تعالى.

وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَكُنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَقِيُنَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿٩٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا خرجتم للجهاد في سبيل الله فتبشروا في أمر من تقاتلون، ولا تقولوا لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه: لست مؤمناً، وإنما حملك على إظهار الإسلام الخوف على دمك ومالك، فتقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا الزهيد كالغنيمة منه، فعند الله مغانم كثيرة، وهي خير وأعظم من هذا، كذلك كنتم من قبل مثل هذا الذي يخفي إيمانه من قومه، فمن الله عليكم بالإسلام فعصم دماءكم فتبشروا، إن الله كان بما تعملون خبيراً مطلعاً عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم به.

﴿٩٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - جاء القرآن الكريم معظماً حرمة نفس المؤمن، وناهياً عن انتهاكها، ومرتباً على ذلك أشد العقوبات.
- ٢ - يجب على من قتل مؤمناً خطأ كفارة، وهي عتق نفس مملوكة مؤمنة ودية مالية تؤدي لأولياء المقتول.
- ٣ - مشروعية العفو عن القاتل والتنازل عن دية المقتول، وهذا حق جعله الله تعالى لورثة القتيل.
- ٤ - وجوب التثبت والتبني في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يُعتدى على البريء.
- ٥ - الأصل في الحكم على الناس قبول ظاهريهم، فمن أظهر الإسلام قبل منه وغوِيلَ به، وسريته إلى الله.

﴿٥٥﴾ لا يستوي المؤمنون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله غير أصحاب الأعداء كالمريض، والمجاهدون في سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدین عن الجهاد درجة، ولكل من المجاهدين والقاعدین عن الجهاد لعذر أجره الذي يستحقه، وفضل الله المجاهدين على القاعدین بإعطائهم ثواباً عظيماً من عنده.

﴿٥٦﴾ هذا الثواب منازل بعضها فوق بعض، مع مغفرة ذنوبهم ورحمته بهم، وكان الله غفوراً لعباده رحيماً بهم.

﴿٥٧﴾ إن الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخاً لهم: في أي شيء كنتم من دينكم حتى لم تهاجروا؟ فيجيبون معتردين: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن أنفسنا، فيقول لهم الملائكة توبيخاً لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا على دينكم وأنفسكم من الإذلال والقهر، فأولئك الذين لم يهاجروا مشواهم الذي يستقرون فيه هو النار، وساءت مرجعاً ومآباً لهم؛ لأن عدم هجرة هؤلاء مع مقدرتهم يدل على عدم صدق إسلامهم.

﴿٥٨﴾ ويُسْتَشْنَى من هذا الوعيد الضعفاء أصحاب الأعداء رجالاً كانوا أو نساء أو أطفالاً، ممن لا حيلة لهم يدفعون بها عنهم الظلم والقهر، ولا يهتدون إلى وسيلة للتخلص مما هم فيه من القهر، فأولئك عسى الله برحمته ولطفه أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً عن عباده غفوراً لمن تاب منهم.

﴿٥٩﴾ ولما ذكر الوعيد على ترك الهجرة مع القدرة عليها رغب فيها، فقال: ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله يجد في الأرض التي هاجر إليها متحولاً وأرضاً غير أرضه التي ترك، ينال فيها العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدرکه الموت قبل وصوله إلى مهاجره، فقد ثبت أجره على الله، ولا يضره أنه لم يصل إلى مهاجره، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿٦٠﴾ وإذا سافرت في الأرض فليس عليكم إثم في قصر الصلاة الرباعية من أربع ركعات إلى ركعتين، إن خفت أن يلحقكم مكروه من الكافرين، إن الكافرين كانوا لكم - أيها المؤمنون - أعداءً بيني العداوة.

﴿٦١﴾ فَوَاللَّهِ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهدين، وأن الله وعدهم منازل عالية في الجنة لا يبلغها غيرهم.
- ٢ - أصحاب الأعداء يسقط عنهم فرض الجهاد مع ما لهم من أجر إن حسنت نيتهم.
- ٣ - فضل الهجرة إلى بلاد الإسلام، ووجوبها على القادر إن كان يخشى على دينه في بلده.
- ٤ - مشروعية قصر الصلاة في حال السفر.

﴿١٦١﴾ وإذا كنت - أيها الرسول - في الجيش وقت قتال العدو، فأردت أن تصلي بهم، فقسّم الجيش طائفتين: تقوم طائفة منهم تصلي معك، وليأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الطائفة الأخرى في حراستكم، فإذا صلت الطائفة الأولى ركعة مع الإمام أتمت لنفسها الصلاة، فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت الطائفة التي كانت في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلم الإمام أتموا ما بقي من صلاتهم، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في غفلتكم، ولا إنهم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تضعوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترزوا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هيأ للكافرين عذاباً مهيناً لهم.

﴿١٦٢﴾ فإذا فرغتم - أيها المؤمنون - من الصلاة فاذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، فإذا زال عنكم الخوف وأمنتم فأدوا الصلاة

تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أمرتم، إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلکم الجمع والقصر.

﴿١٦٣﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تكسلوا في طلب عدوكم من الكافرين، فإن كنتم تألمون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يألمون كما تألمون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيماً في تدبيره وتشريع.

﴿١٦٤﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس في كل شؤونهم بما علمك الله وألهمك لا بهواك ورأيك، ولا تكن للخائنين لأنفسهم وأمانتهم مدافعاً ترد عنهم من طال بهم بالحق.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - مشروعية صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفتها.
- ٢ - الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
- ٣ - مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال، فهو حياة القلوب وسبب طمأنيتها.
- ٤ - وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها المحددة من غير تأخير.
- ٥ - النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله.

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلنقم طائفة منهم معك، وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكفوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١٦٥﴾ فإذا قضيتُم الصلوة فاذكروا الله فيما وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا أطمأننتُم فاقموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴿١٦٦﴾ ولا تهنأوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً ﴿١٦٧﴾ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴿١٦٨﴾

﴿١٦٦﴾ واطلب المغفرة والعفو من الله، إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه من عباده، رحيمًا به.

﴿١٦٧﴾ ولا تخاصم عن أي شخص يقع في جُرم وينفيه عن نفسه حتى يأتبك في أمره شيء تعلمه، والله لا يحب هؤلاء الخونة الكاذبين.

﴿١٦٨﴾ يستترون من الناس عند ارتكابهم معصية خوفاً وحياءً، ولا يستترون من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا يخفى عليه منهم شيء حين يدبّرون خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع عن المذنب واتهام البريء، وكان الله بما يعملون في السر والعلن محيطًا، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٦٩﴾ ها أنتم - يا من يهتكم أمر هؤلاء الذين يرتكبون جرماً - جادلتم عنهم في الحياة الدنيا لتثبتوا براءتهم، وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي يجادل الله عنهم يوم القيامة وقد علم حقيقة حالهم؟! ومن الذي يكون وكيلًا عليهم في ذلك اليوم؟! ولا شك أن أحدًا لا يستطيع ذلك.

﴿١٧٠﴾ ومن يعمل عملاً سيئًا، أو يظلم نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب المغفرة من الله مقرأً بذنبه نادماً عليه مقلعاً عنه، يجد الله أبداً غفوراً لذنوبه رحيمًا به.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٦﴾ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٦٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٦٨﴾ هَا أَنْتُمْ هُنَا جَدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٦٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَطْلَمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٧٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١٧٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٧٣﴾

﴿١٧١﴾ ومن يكتسب إثماً صغيراً أو كبيراً فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوزه إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

﴿١٧٢﴾ ومن يكتسب خطيئة على غير عمد، أو إثماً بعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بفعله ذلك كذباً شديداً وإثماً مبيناً.

﴿١٧٣﴾ ولولا فضل الله عليك - أيها الرسول - بعصمتك لعزمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك عن الحق فتحكم بغير القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضلال راجع عليها، وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيماً.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - النهي عن المدافعة والمخاصمة عن المبطلين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.
- ٢ - ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.
- ٣ - سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.
- ٤ - التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه؛ وأن فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم.

﴿١٤﴾ لا خير في كثير من الكلام الذي يُسرّه الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمرًا بصدقة أو معروف جاء به الشرع أو دل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك يبتغي مرضات الله فسوف نُؤتيه ثوابًا عظيمًا.

﴿١٥﴾ ومن يعاند الرسول ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقًا غير طريق المؤمنين، تركه وما اختار لنفسه، ولا نوقه للحق لإعراضه عن عمد، وندخله نار جهنم يُعاني حرّها، وساءت مرجعًا لأهلها.

﴿١٦﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخلد المشرك في النار، ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحدًا فقد ضل عن الحق ضلالًا بعيدًا؛ لأنه سَوَّى بين الخالق والمخلوق.

﴿١٧﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثانًا مسماة بأسماء الإناث كالكلمات والعزى، لا نفع لها ولا ضرر، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطانًا متمردًا على ربه عاصيًا له؛ لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان.

﴿١٨﴾ ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حالفًا: لأجعلنّ لي من عبادك نصيبًا معلومًا أغويهم عن الحق.

﴿١٩﴾ ولأصدنّهم عن صراطك المستقيم، ولأُمْنِيَنَّهُم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولأمرنّهم بتقطيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرنّهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ الشيطان وليًا يتولاه ويطيعه فقد خسر خسرانًا يَبِينًا بموالة الشيطان الرحيم.

﴿٢٠﴾ يعدهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويُمْنِيَنَّهُم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلاً لا حقيقة له. أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهرجًا يلجؤون إليه.

﴿٢١﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيرًا ومعروفًا.

٢ - معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله، ودخول النار.

٣ - كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها إلا الشرك، لا يغفره الله أبدًا.

٤ - غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

﴿٢٢﴾ لَآخِرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٣﴾ وَمَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٢٥﴾ إِنَّ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿٢٦﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَدَّنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٢٧﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيَنَّهُمْ وَلَا مُرْنَتْهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْنَئَهُمْ فَلْيَغَيِّرْ بَنَاسًا خَلَقَ اللَّهُ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٢٨﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيَنَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٩﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿٣٠﴾

﴿٣١﴾ وَلَآصْدَنَّهُمْ عَن صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَآمْنِيَنَّهُم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولأمرنّهم بتقطيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرنّهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ الشيطان وليًا يتولاه ويطيعه فقد خسر خسرانًا يَبِينًا بموالة الشيطان الرحيم.

﴿٣٢﴾ يعدهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويُمْنِيَنَّهُم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلاً لا حقيقة له. أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهرجًا يلجؤون إليه.

﴿٣٣﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيرًا ومعروفًا.

٢ - معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله، ودخول النار.

٣ - كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها إلا الشرك، لا يغفره الله أبدًا.

٤ - غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

ولما ذكر الله جزاء أتباع الشيطان ذكر جزاء أتباع الرسل فقال:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١٣١) والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة المقربة إليه سندخلهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، وعداً من الله، ووعدته تعالى حق، فهو لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من الله قولاً.

﴿لَيْسَ أَمْرُ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ تَابِعًا لِمَا تَتَمَنَوْنَ﴾^(١٣٢) ليس أمر النجاة والفوز تابعاً لما تتمنون - أيها المسلمون - أو لما يتمناه أهل الكتاب، بل الأمر تابع للعمل، فمن يعمل منكم عملاً سيئاً يجاز به يوم القيامة، ولا يجد له من دون الله ولياً يجلب له النفع، ولا نصيراً يدفع عنه الضر.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مَتَابِعًا﴾^(١٣٣) ومن يعمل من الأعمال الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله تعالى حقاً فأولئك الذين جمعوا بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة، ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان شيئاً قليلاً قدر النقرة التي تكون في ظهر نواة التمر.

﴿وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ اسْتَسْلَمَ لِلَّهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَحْسَنُ فِي عَمَلِهِ، وَاتَّبَعَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ﴾^(١٣٤) ماثلاً عن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٣٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٣٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٣٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٣٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٣٧﴾

واصفى الله نبيه إبراهيم ﷺ خليلاً من بين سائر خلقه.

﴿وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَكَانَ اللَّهُ مُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَتَدْبِيرًا﴾^(١٣٨)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - فِي أَمْرِ النِّسَاءِ وَمَا يَجِبُ لَهُنَّ وَعَلَيْهِنَّ، قُلْ: اللَّهُ يَبِينُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ، وَيَبِينُ لَكُمْ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ، فِي شَأْنِ الْيَتَامَى مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي تَحْتَ وَلَا يَتَّكُمْنَ، وَلَا تُوْتُونَهُنَّ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُنَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ الْمِيرَاثِ، وَلَا تَرْغَبُونَ فِي نِكَاحِهِنَّ، وَتَمْنَعُونَهُنَّ مِنَ النِّكَاحِ طَمَعًا فِي أَمْوَالِهِنَّ، وَيَبِينُ لَكُمْ مَا يَجِبُ فِي الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الصِّغَارِ، مِنْ إِعْطَائِهِمْ حَقَّهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَأَنْ لَا تَظْلِمُوهُمْ بِالْأَسْتِيلَاءِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَيَبِينُ لَكُمْ وَجُوبُ الْقِيَامِ عَلَى الْيَتَامَى بِالْعَدْلِ بِمَا يَصْلَحُ شَأْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ لِلْيَتَامَى وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهِ، وَسَيَجْزِيكُمْ بِهِ﴾^(١٣٩)

﴿فَرَأَى مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأمانى والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.

٢ - الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل سوءاً يُجزَ به، ومن يعمل خيراً يُجزَ بأحسن منه.

٣ - الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.

٤ - عظم الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليها، وأوجب رعاية مصالحها في ضوء ما شرع.

﴿١٣٨﴾ وإن امرأة خافت من زوجها ترقُّعاً عنها وعدم رغبة فيها فلا إثم عليهما أن يتصالحا بأن تنازل عن بعض الحقوق الواجبة لها كحق النفقة والمبيت، والصلح هنا خير لهما من الطلاق، وقد جُمِلت النفوس على الحرص والبخل، فلا ترغب في التنازل عما لها من حق، فينبغي للزوجين علاج هذا الخلق بتربية النفس على التسامح والإحسان، وإن تحسنا في كل شؤونكم، وتتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه فإن الله كان بما تعملون خبيراً، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم به.

﴿١٣٩﴾ ولن تستطيعوا - أيها الأزواج - أن تعدلوا العدل التام مع الزوجات في الميل القلبي، ولو حرصتم على ذلك؛ بسبب ظروف ربما تكون خارجة عن إرادتكم، فلا تميلوا كل الميل عن التي لا تحبونها فتتركوها مثل المعلقة لا هي ذات زوج يقوم بحققها، ولا غير ذات زوج فتتطلع للزواج، وإن تصلحوا ما بينكم بأن تحمِلوا أنفسكم على ما لا تهواه من القيام بحق الزوجة، وتتقوا الله فيها، فإن الله كان غفوراً رحيماً بكم.

﴿١٤٠﴾ وإن تفرق الزوجان بطلاق أو خُلِع يُعْنِ الله كلا منهما من فضله الواسع، فيغني الرجل بزواج خير له منها، ويغني المرأة بزواج خير لها منه، وكان الله واسع الفضل والرحمة، حكيماً في تدبيره وتقديره.

﴿١٤١﴾ والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض وملك ما بينهما، ولقد عهدنا إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم بامتنال أوامر الله واجتناب نواهيه، وإن تكفروا بهذا العهد فلن تضروا إلا أنفسكم، فالله غني عن طاعتكم، فله ملك ما في السماوات وما في الأرض، وهو الغني عن جميع خلقه، الم محمود على جميع صفاته وأفعاله.

﴿١٤٢﴾ والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، المستحق أن يطاع، وكفى بالله قائماً بتدبير كل شؤون خلقه.

﴿١٤٣﴾ إن يشأ يهلككم - أيها الناس - ويأت بآخرين غيركم يطيعون الله ولا يعصونه، وكان الله على ذلك قديراً.

﴿١٤٤﴾ من كان منكم - أيها الناس - يريد بعمله ثواب الدنيا فقط، فليعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، فطلب ثوابها منه، وكان الله سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة، وتغليب المصلحة بالتنازل عن بعض الحقوق لإدامة لعقد الزوجية.
- ٢ - أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.
- ٣ - لا حرج على الزوجين في الفراق إذا تعذرت العشرة بينهما.
- ٤ - الوصية الجامعة للخلق جميعاً أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.



﴿١٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ،
كُونُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، مُؤَدِّينَ
الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَوْ اقْتَضَى ذَلِكَ
أَنْ تُقْرُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْحَقِّ، أَوْ عَلَى
وَالِدَيْكُمْ أَوْ الْأَقْرَبِينَ مِنْكُمْ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ فَقْرُ
أَحَدٍ أَوْ غِنَاهُ عَلَى الشَّهَادَةِ أَوْ تَرْكِهَا، فَاللَّهُ
أُولَى بِالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ
بِمَصَالِحِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا الْأَهْوَاءَ فِي شَهَادَتِكُمْ
لِتَلَا تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ فِيهَا، وَإِنْ حُرِفَتْ
الشَّهَادَةُ بِأَدَائِهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا، أَوْ أَعْرَضْتُمْ
عَنْ أَدَائِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.

﴿١٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اثْبَتُوا عَلَى إِيْمَانِكُمْ
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى
رَسُولِهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى الرُّسُلِ مِنْ
قَبْلِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ
وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَقَدْ بَعُدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
بُعْدًا عَظِيمًا.

﴿١٢٧﴾ إِنْ الَّذِينَ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ،
بِأَنْ دَخَلُوا فِي الْإِيْمَانِ ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، ثُمَّ
دَخَلُوا فِيهِ، ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، وَأَصْرُوا عَلَى
الْكُفْرِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ؛ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ
ذُنُوبَهُمْ، وَلَا لِيُوفِّقَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ
الْمُوصِلِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

﴿١٢٨﴾ بَشِّرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ
يُظْهِرُونَ الْإِيْمَانَ، وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، بِأَنْ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُؤَلَّمًا.

﴿١٢٩﴾ هَذَا الْعَذَابُ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْكُفْرَ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ لَعَجِبٌ ذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُمْ
يَاوِلِينَ، يُبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ النَّصْرَةَ وَالْمُنْعَةَ؟! فَالنَّصْرَةُ وَالْمُنْعَةُ هِيَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَمِنْهُ سُبْحَانَهُ.

﴿١٣٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْكُمْ إِذَا جُلِستُمْ فِي مَجْلِسٍ وَسَمِعْتُمْ فِيهِ مِنْ يَكْفُرِ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا؛ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ تَرْكُ الْقُعُودِ مَعَهُمُ وَالْانْصِرَافُ عَنْ مَجَالِسَتِهِمْ، حَتَّى يَتَحَدَّثُوا فِي حَدِيثِ
غَيْرِ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهَا، إِنَّكُمْ إِذَا جَالَسْتُمُوهُمْ حَالَ الْكُفْرِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهَا بَعْدَ سَمَاعِكُمْ
ذَلِكَ مِثْلَهُمْ فِي مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ اللَّهَ بِجُلُوسِكُمْ كَمَا عَصَا اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُ الْمُنَافِقِينَ
الَّذِينَ يَظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُضْمِرُونَ الْكُفْرَ، وَالْكَافِرِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعًا.

﴿١٣١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

١ - وَجوب العدل في القضاء بين الناس وعند أداء الشهادة، حتى لو كان الحق على النفس أو على أحد من القربة.

٢ - على المؤمن أن يجتهد في فعل ما يزيد إيمانه من أعمال القلوب والجوارح، ويثبت في قلبه.

٣ - عظم خطر المنافقين على الإسلام وأهله، ولهذا فقد توعدهم الله بأشد العقوبة في الآخرة.

٤ - إذا لم يستطع المؤمن الإنكار على من يتناول على آيات الله وشرعه فلا يجوز له الجلوس معه على هذه الحال.

﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ مَا يَحْصِلُ لَكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَغَنِمْتُمْ قَالُوا: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ، شَهِدْنَا مَا شَهِدْتُمْ؟! لِنَالُوا مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ حَظٌّ قَالُوا لَهُمْ: أَلَمْ نَحْمِكُمْ وَنُدَافِعْ عَنْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعَانَتِكُمْ وَتَخْذِيلِهِمْ؟! فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِجَازِي الْمُؤْمِنِينَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَبِجَازِي الْمُنَافِقِينَ بِدُخُولِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ لِلْكَافِرِينَ تَسْلُطًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ سَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَهُمْ.

﴿١٤٢﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ بَاطِلًا هَارِ الْإِسْلَامِ وَإِضْمَارِ الْكُفْرِ، وَهُوَ خَادِعُهُمْ؛ لِأَنَّهُ عَصَمَ دِمَاءَهُمْ مَعَ عِلْمِهِ بِكُفْرِهِمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى كَارِهِينَ لَهَا، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا إِذَا رَأَوْا الْمُؤْمِنِينَ.

﴿١٤٣﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَتَرَدِّدُونَ فِي حَيْرَةٍ، فَلَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَلَا مَعَ الْكَافِرِينَ، بَلْ ظَاهِرُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَاطِنُهُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ، وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - طَرِيقًا لِهَدَايَتِهِ مِنَ الضَّلَالِ.

﴿١٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ أَصْفِيَاءَ تَوَالُونَهُمْ مِنْ

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أَتْرِيدُونَ بِفَعْلِكُمْ هَذَا أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ حُجَّةَ بَيِّنَةٍ دَالَّةً عَلَى اسْتِحْقَاقِكُمُ الْعِقَابَ؟

﴿١٤٥﴾ إِنْ الْمُنَافِقِينَ سَيَجْعَلُهُمُ اللَّهُ فِي الْمَكَانِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

﴿١٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ بِالنُّوْبَةِ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَأَصْلَحُوا بِاطْنِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ اللَّهِ، وَأَخْلَصُوا عَمَلَهُمْ لِلَّهِ بِلَا رِيَاءٍ، فَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَوْفَ يُعْطِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ثَوَابًا جَزِيلًا.

﴿١٤٧﴾ لَا حَاجَةَ لِلَّهِ فِي تَعْذِيبِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ لَهُ وَآمَنْتُمْ بِهِ، فَهُوَ تَعَالَى الْبَرُّ الرَّحِيمُ، وَإِنَّمَا يَعْذِبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ، فَإِنْ أَصْلَحْتُمْ الْعَمَلَ، وَشَكَرْتُمُوهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَآمَنْتُمْ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَلَنْ يَعْذِبَكُمْ، وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا لِمَنْ اعْتَرَفَ بِنِعَمِهِ، عَلِيمًا بِإِيمَانِ خَلْقِهِ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

﴿١٤٨﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْفِيَاءَ:

- ١ - بَيَانُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَمِنْهَا: حَرَصُهُمْ عَلَى حَظِّ أَنْفُسِهِمْ سَوَاءً كَانَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ مَعَ الْكَافِرِينَ.
- ٢ - أَعْظَمُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ تَذْذِيبُهُمْ وَحِيرَتُهُمْ وَاضْطِرَابُهُمْ، فَلَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا وَلَا مَعَ الْكَافِرِينَ.
- ٣ - النَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.
- ٤ - أَعْظَمُ مَا يَتَّقِي بِهِ الْمَرْءُ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

﴿١٤٨﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنَتْهُمْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَآئِنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٥﴾

﴿١٤٨﴾ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، بل يبغضه ويتوعد عليه، لكن من ظلم جاز له أن يجهر بقول السوء؛ للشكاية من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته بمثل قوله، لكن صبر المظلوم أولى من جهره بالسوء، وكان الله سميعاً لأقوالكم، عليماً بنياتكم، فاحذروا قول السوء أو قصده.

﴿١٤٩﴾ إن تظهروا أي خير قلتي أو فعلي، أو تستروه، أو تتجاوزوا عن أساء إليكم؛ فإن الله كان عفواً قديراً، فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم.

﴿١٥٠﴾ إن الذين يكفرون بالله ويكفرون برسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله وبين رسله بأن يؤمنوا به، ويكذبوا بهم، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكذب ببعضهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً بين الكفر والإيمان يتوهمون أنها تنجيهم.

﴿١٥١﴾ أولئك الذين يسلكون هذا المسلك في الإيمان هم الكافرون حقاً، ذلك أن من كفر بالرسول أو ببعضهم فقد كفر بالله وبرسله، وأعدنا للكافرين عذاباً مخزياً لهم يوم القيامة، عقاباً لهم على تكبرهم عن الإيمان بالله وبرسله.

﴿١٥٢﴾ ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر بعده جزاء المؤمنين فقال:

﴿١٥٣﴾ والذين صدقوا بالله ووحدوه، ولم يشركوا به أحداً، وصدقوا برسله جميعاً، ولم يفرقوا بين أحد منهم كما يفعله الكافرون، بل آمنوا بهم جميعاً؛ أولئك سوف يعطيهم الله أجراً عظيماً جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة النابعة منه، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿١٥٤﴾ يسألك - أيها الرسول - اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما وقع لموسى، يكون علامة لصدقك، فلا تستعظم منهم ذلك، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم مما سألك هؤلاء، حيث سأله أن يريهم الله جهاراً، فصعقوا عقاباً لهم على ما ارتكبوه، ثم أحياهم الله، فعبدوا العجل من دون الله من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله وتفردة بالربوبية والألوهية، ثم تجاوزنا عنهم، وأعطينا موسى حجة واضحة على قومه.

﴿١٥٥﴾ ورفعنا فوقهم الجبل بسبب أخذ العهد المؤكد عليهم تخويلاً ليعملوا بما فيه، وقلنا لهم بعد رفعه: ادخلوا باب بيت المقدس سُجَّدًا بانحناء الرؤوس، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقلنا لهم: لا تعدوا بالإقدام على الصيد يوم السبت، فما كان منهم إلا أن اعتدوا فاصطادوا، وأخذنا عليهم عهداً موثقاً شديداً بذلك، ففقدوا العهد المأخوذ عليهم.

﴿١٥٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ بَالِغًا مِنْ الْأَيَّاتِ:

١ - يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظلمه وظالمه لمن يرجو منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.

٢ - أن صبر المظلوم على الظلم أولى من جهره بالسوء، وجزاء ذلك المغفرة.

٣ - لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعاً.

٥ - بيان مسالك اليهود في الكفر بالأنبياء بسؤالهم عن أمور تعجزية، ونقضهم المواثيق المأخوذة عليهم من رب العالمين.

﴿١٥٠﴾ فطرناهم من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، وبسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، ويقولهم لمحمد ﷺ: قلوبنا في غطاء، فلا تعي ما تقول، والأمير ليس كما قالوا، بل ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

﴿١٥١﴾ وطردها من الرحمة بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم ﷺ بالزنا زوراً وبهتاناً.

﴿١٥٢﴾ ولعنناهم بقولهم مفتخرين كذباً: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلاً ألقى الله شبه عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول عيسى عليه السلام. والذين ادعوا قتله من اليهود، والذين أسلموه إليهم من النصارى كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطعاً. ﴿١٥٣﴾ بل نجاه الله من مكرمهم، ورفع الله بجسمه وروحه إليه، وكان الله عزيزاً في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيماً في تدبيره وقضائه وشرعه.

﴿١٥٤﴾ وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمّن بعيسى عليه السلام بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى عليه السلام شاهداً على أفعالهم؛ ما يوافق الشرع منها وما يخالف.

﴿١٥٥﴾ فبسبب ظلم اليهود حرّمنا عليهم بعض المأكّل الطيبة التي كانت حلالاً لهم، فحرّمنا عليهم كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما، وبسبب صدهم أنفسهم وصدهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم. ﴿١٥٦﴾ وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعدنا للكافرين منهم عذاباً موجعاً.

ولما ذكر مثالب أهل الكتاب ذكر الطيبين منهم فقال:

﴿١٥٧﴾ لكن الثابتون المتمكنون في العلم من اليهود والمؤمنون يُصدّقون بما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من القرآن، ويصدّقون بما أنزل من الكتب كالتوراة والإنجيل على من قبلك من الرسل، وقيمون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهاً واحداً لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة، أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطيمهم ثواباً عظيماً.

﴿١٥٨﴾ فاذكر من الآيات:

- ١ - طرد اليهود من رحمة الله ولعنهم جزاء لمخالفاتهم وكفرهم، وقتلهم الأنبياء.
- ٢ - الختم على القلوب سبب لحرمانها من الفهم.
- ٣ - بيان عداوة اليهود لنبي الله عيسى عليه السلام، حتى إنهم وصلوا لمرحلة محاولة قتله.
- ٤ - تكذيب الله تعالى لادعاء اليهود في تمكّنهم من قتل المسيح، وبيان أن المقتول كان رجلاً ألقى عليه شبه المسيح.
- ٥ - بيان جهل وخيرة النصارى في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.
- ٦ - بيان فضل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكّنه هذا للإيمان بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿١١٢﴾ إنا أوحينا إليك - أيها الرسول - كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، فلست بدعا من الرسل، فقد أوحينا إلى نوح، وأوحينا إلى الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم، وإلى ابنه: إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب بن إسحاق، وإلى الأسباط، (وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من أبناء يعقوب عليه السلام)، وأعطينا داود كتابا هو الزبور.

﴿١١٣﴾ وأرسلنا رسلا قصصناهم عليك في القرآن، وأرسلنا رسلا لم نقصصهم عليك فيه، وتركنا ذكرهم فيه لحكمة، وكلم الله موسى - دون وساطة - تكلما يليق به عليه السلام تكريما لموسى.

﴿١١٤﴾ أرسلناهم مبشرين بالثواب الكريم من آمن بالله، ومخوفين من كفر به من العذاب الاليم، حتى لا تكون للناس حجة على الله بعد إرسال الرسل يعتذرون بها، وكان الله عزيزا في ملكه حكيمًا في قضائه.

﴿١١٥﴾ إن كان اليهود يكفرون بك فإن الله يشهد بصحة ما أنزل إليك - أيها الرسول - من القرآن، أنزل فيه علمه الذي أراد أن يُطْلَعَ العباد عليه مما يحبه ويرضاه أو يكرهه ويأباه، والملائكة يشهدون بصدق ما جئت به مع شهادة الله، وكفى بالله شهيدا، فشهادته كافية عن شهادة غيره.

﴿١١٦﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٧﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٨﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٩﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٢٢﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٢٣﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمُرُوهُمْ أَنْ يُكْفَرُوا وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢٤﴾

﴿١٢٥﴾ إن الذين كفروا بنبوتك، وصدوا الناس عن الإسلام قد بُعدوا عن الحق بُعدًا شديداً.

﴿١٢٦﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسله، وظلموا أنفسهم ببقائهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر لهم ما هم مصرون عليه من الكفر، ولا ليرشدهم إلى طريق تنجيهم من عذاب الله.

﴿١٢٧﴾ إلا الطريق المؤدية إلى دخول جهنم ماكثين فيها دائماً، وكان ذلك على الله هيئاً، فهو لا يعجزه شيء.

﴿١٢٨﴾ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد عليه السلام بالهدى ودين الحق من الله تعالى، فآمنوا بما جاءكم به يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن تكفروا بالله فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، فله ملك ما في السماوات، وله ملك ما في الأرض وما بينهما، وكان الله عليماً بمن يستحق الهداية فييسرها له، وبمن لا يستحقها فيُعْصِمُه عنها، حكيمًا في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

﴿١٢٩﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - إثبات النبوة والرسالة في شأن نوح وإبراهيم وغيرهم من ذرياتهم.
- ٢ - هناك رسل آخرون غير الذين ذكرهم القرآن الكريم، وقد ترك القرآن ذكر قصصهم وأخبارهم لحكمة يعلمها عليه السلام.
- ٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى على وجه يليق بذاته وجلاله، فقد كلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام.
- ٤ - تسلية النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببيان أن الله تعالى يشهد على صدق دعواه في كونه نبياً، وكذلك تشهد الملائكة.

﴿١٧١﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى أهل الإنجيل: لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى عليه السلام إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله بالحق، خلقه بكلمته التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، وهي قوله: كُنْ، فكان، وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله، فأمنوا بالله ورسله جميعاً دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيراً لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السموات وملك الأرض وملك ما فيهما، وكفى بالله وكيلاً على تدبير شأن خلقه.

﴿١٧٢﴾ لن يتكبر، ولن يأنف عيسى ابن مريم أن يكون عبداً لله، ولن يأنف الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أن يكونوا عبيداً لله، فكيف تتخلون عيسى إلهاً؟! وكيف يتخذ المشركون الملائكة آلهة؟! ومن يأنف عن عبادة الله، ويرتفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كلًّا بما يستحق.

ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فصل جزاءهم في قوله:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَهْطَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خيراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿١٧٣﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾

﴿١٧٦﴾ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيعطيهم ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وأما الذين أنفوا عن عبادة الله وطاعته، وترفعوا تكبراً فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

﴿١٧٧﴾ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم واضح وحجة جلية تقطع العذر، وتزيل الشبهة، وأنزلنا إليكم ضياءً واضحاً، وهو هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

﴿١٧٨﴾ فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، وسيزيدهم ثواباً ورفع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.

﴿١٧٩﴾ فَوَلَدَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - بيان أن المسيح بشر وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيهما حتى أخرجوهما من حد البشرية.

٢ - بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالثلاث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبهة أو مقارب، وبيان انفراده - سبحانه - بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.

٣ - إثبات أن عيسى عليه السلام والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والانقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيداً لله تعالى؟!

﴿١٧﴾ يَسْأَلُونَكَ - أيها الرسول - أن تفتيهم بشأن ميراث الكلالة، وهو من يموت ولم يترك أباً ولا ولداً، قل الله يبين الحكم بشأنها: إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال فرضاً، وأخوه الشقيق أو لأب يرث ما ترك من مال تعصيباً إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب، بأن كانتا اثنتين فأكثر ورثتا أو ورثن الثلثين فرضاً، وإن كان الإخوة الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث ورثوا بالتعصيب تبعاً لقاعدة: (للمذكر مثل حظ الأنثيين) بأن يُصَغَّف نصيب الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين الله لكم حكم الكلالة وغيره من أحكام الميراث حتى لا تضلوا في أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

— مَدَنِيَّة —

﴿١﴾ مقصد السورة:

الوفاء بالعقود والتزام الشرائع والحدود وإكمال الدين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الذين صدّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشره أتموا العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم من الإيمان به والعمل بما جاء به

رسوله، وأتموا العهود الموثقة بينكم وبين خلقه في البيع والنكاح وغيرهما، وقد أحل الله لكم رحمة بكم بهيمة الأنعام: (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقْرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البري في حال الإحرام بحج أو عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرَهَ له، ولا معترض على حكمه.

﴿٢﴾ يا أيها الذين صدّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشره لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكُفُّوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرمات الحَرَم كالصيد، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)، ولا تستحلوا الهدى بغضب ونحوه، أو مُنْعَ من وصوله إلى محله، ولا تستحلوا المُقَلَّدَ منه للإشعار بأنه هدي، ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله، وإذا حللت من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بغض قوم لصددهم لكم عن المسجد الحرام على الجور وترك العدل فيهم، وتعاونوا - أيها المؤمنون - على فعل ما أمَرْتُمْ به، وترك ما نَهَيْتُمْ عنه، وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

﴿٣﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - بيان حكم الكلالة وأحواله في الميراث، ومن يرثه، وتبعاً لذلك: بيان أنصبة الوارثين المتولدة عن كل حالة.
- ٢ - الأصل هو جلُّ الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيداً يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.
- ٣ - النهي عن استحلال المحرمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحرم، واستحلال الهدى بغضب ونحوه، أو مُنْعَ وصوله إلى محله.
- ٤ - إباحة الصيد بعد التحلل من الإحرام بحج أو عمرة، وبعد الخروج من الحرم.

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا مَاتَ مِنْ حَيَوَانَ دُونَ ذِكَاةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الدَّمَ الْمُسْفُوحَ، وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ، وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَالْمَيْتَةَ بِالْخَنْقِ، وَالْمَيْتَةَ بِالضَرْبِ، وَالسَّاقِطَةَ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ، وَالْمَيْتَةَ بِنَطْحٍ غَيْرِهَا لَهَا، وَمَا افْتَرَسَهُ سَبْعٌ مِثْلُ الْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّ، إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمُوهُ حَيًّا مِنَ الْمَذْكُورَاتِ وَذَكَيْتُمُوهُ، فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا كَانَ ذَبْحُهُ لِلْأَصْنَامِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ الْمَقْسُومِ لَكُمْ أَوْ غَيْرِ الْمَقْسُومِ بِالْأَزْلَامِ، وَهِيَ قِدَاحٌ يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، فِعْلُ تِلْكَ الْمَحْرَمَاتِ الْمَذْكُورَةِ خُرُوجٌ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ ارْتِدَادِكُمْ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ لِمَا رَأَوْا مِنْ قُوَّتِهِ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي وَحْدِي، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَاخْتَرْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا، فَلَا أَقْبِلُ دِينًا غَيْرَهُ، فَمَنْ أُلْحِجَّ بِسَبَبِ مَجَاعَةٍ إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الْمَيْتَةِ غَيْرِ مَائِلٍ لِلْإِثْمِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أباح أكله، فقال:

﴿يَسْأَلُكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - صَحَابَتُكَ مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ أَكْلَهُ؟ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -

أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَكْلَ مَا طَابَ مِنَ الْمَأْكَلِ، وَأَكْلَ مَا صَادَتْهُ الْمَدْرَبَاتُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَنْيَابِ كَالْكِلَابِ وَالْفُهُودِ، وَذَوَاتِ الْمَخَالِبِ كَالصُّقُورِ، تَعْلَمُونَهَا الصَّيْدَ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِآدَابِهِ، حَتَّى صَارَتْ إِذَا أَمَرْتُ أَتَمَرْتُ، وَإِذَا زُجِرْتُ أَزْجُرْتُ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْتَهُ مِنَ الصَّيْدِ وَلَوْ قَتَلْتَهُ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ إِسْرَالِهَا، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالْكَفِّ عَنْ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أَكْلَ الْمَسْتَلْذَاتِ، وَأَكْلَ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَحَلَّ ذَبَائِحَهُمْ لَكُمْ، وَأَحَلَّ لَكُمْ نِكَاحَ الْحَرَائِرِ الْعَقَافِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْحَرَائِرِ الْعَقَافِ مِنَ الَّذِينَ أَعْطَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِذَا أَعْطَيْتُمُوهُنَّ مَهْرَهُنَّ، وَكُنْتُمْ مُتَعَفِّفِينَ عَنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ غَيْرِ مُتَخَذِينَ عَشِيقَاتٍ تَرْتَكِبُونَ الزُّنَا مَعَهُنَّ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ فَقَدْ بَطَلَ عَمَلُهُ لِفَقْدِ شَرْطِهِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ لِدُخُولِهِ النَّارَ خَالِدًا فِيهَا مُخْلَدًا.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - تحريم ما مات دون ذكاة، والدَّم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَكُلِّ مَيْتَةٍ خَنْقًا، أَوْ ضَرْبًا، أَوْ بِسُقُوطٍ مِنْ عُلُوٍّ، أَوْ نَطْحًا، أَوْ افْتِرَاسًا مِنْ وَحْشٍ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا أَدْرَكَ حَيًّا وَذُكِّيَ بِذَبْحٍ شَرْعِي.

٢ - جُلُّ ما صاده كل مدرب ذي ناب أو ذي مخلب.

٣ - إباحت ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.

﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، إِذَا أَرَدْتُمْ الْقِيَامَ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَكُنْتُمْ مُحْدِثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ فَتَوَضَّؤُوا بِأَنْ تَغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ، وَتَغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ مَعَ مِرَافِقَيْهَا، وَتَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ، وَتَغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ مَعَ الْكَعْبَيْنِ النَّائِطَيْنِ بِمِفْصَلِ السَّاقِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مُحْدِثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ فَاغْتَسِلُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى تَخَافُونَ مِنْ زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ تَأْخُرُ بُرْئُهُ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ فِي حَالِ صَحَّةٍ، أَوْ كُنْتُمْ مُحْدِثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ مَثَلًا، أَوْ مُحْدِثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ بِمَجَامِعَةِ النِّسَاءِ، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً بَعْدَ الْبَحْثِ عَنْهُ لِتَنْتَهَرُوا بِهِ فَاقْصِدُوا وَجْهَ الْأَرْضِ، وَاضْرِبُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَامْسَحُوا وَجُوهَكُمْ وَامْسَحُوا أَيْدِيَكُمْ مِنْهُ، مَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ ضَيْقًا فِي أَحْكَامِهِ بِأَنْ يُلْزِمَكُمْ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ الْمُؤَدِّي إِلَى ضَرَرِكُمْ، فَشَرَعَ لَكُمْ بَدِيلًا عَنْهُ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ لِمَرَضٍ أَوْ لِفَقْدِ الْمَاءِ إِمْتَامًا لِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَكْفُرُونَهَا.

﴿٧﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْهَدَايَةِ لِلْإِسْلَامِ، وَاذْكُرُوا عَهْدَهُ الَّذِي عَاهَدَكُمْ عَلَيْهِ حِينَ قُلْتُمْ لِمَا بَايَعْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ: سَمِعْنَا قَوْلَكَ وَأَطَعْنَا أَمْرَكَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ - وَمِنْهَا عَهْدُهُ - وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الْقُلُوبِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، كُونُوا قَائِمِينَ بِحَقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مَبْتَغِينَ بِذَلِكَ وَجْهَهُ، وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ لَا بِالْجَوْرِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ، فَالْعَدْلُ مَطْلُوبٌ مَعَ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، فَاعْدِلُوا مَعَهُمَا، فَالْعَدْلُ أَقْرَبُ إِلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالْجَوْرُ أَقْرَبُ إِلَى الْجَسَارَةِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ - الَّذِي لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ - الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْمَغْفِرَةِ لَذُنُوبِهِمْ، وَبِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ.

﴿١٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الْأَصْلُ فِي الطَّهَارَةِ هُوَ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ بِالْوَضُوءِ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ، وَالْغَسْلِ مِنَ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ.
- ٢ - فِي حَالِ تَعَذُّرِ الْحَصُولِ عَلَى الْمَاءِ، أَوْ تَعَذُّرِ اسْتِعْمَالِهِ لِمَرَضٍ مَانِعٍ أَوْ بَرْدٍ قَارِسٍ يَشْرَعُ التَّيَمُّمُ (بِالْتُّرَابِ) لِرَفْعِ حَكْمِ الْحَدَثِ (الْأَصْغَرِ أَوْ الْأَكْبَرِ).
- ٣ - الْأَمْرُ بِتَوَخُّي الْعَدْلِ وَاجْتِنَابِ الْجَوْرِ حَتَّى فِي مَعَامِلَةِ الْمُخَالَفِينَ.

﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلزم الصاحب صاحبه.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، اذْكُرُوا بَقْلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَمْنِ وَالْقَاءِ الْخَوْفِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِكُمْ حِينَ قَصَدُوا أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْكُمْ لِيَبْطِشُوا بِكُمْ وَيَفْتَكُوا، فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا سَيَذْكُرُهُ قَرِيبًا، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ اثْنِي عَشَرَ رَئِيسًا، كُلُّ رَئِيسٍ يَكُونُ نَظِيرًا عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، وَقَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي مَعَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ إِذَا أَدَيْتُمُ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّجْهِ الْأَكْمَلِ، وَأَعْطَيْتُمُ زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَصَدَقْتُمُ بَرَسَلِي جَمِيعًا دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِهِمْ، وَعَظَّمْتُمُوهُمْ، وَنَصَرْتُمُوهُمْ، وَأَنْفَقْتُمْ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، فَإِذَا قُمْتُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ لَا تُكْفِرْنَ عَنْكُمْ السَّيِّئَاتِ الَّتِي ارْتَكَبْتُمُوهَا، وَلَا دَخَلْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ

الأنهار، فمن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد تنكَّب طريق الحق عالمًا عامدًا.

﴿١٥﴾ فَيَسَبِّبُ نَقْضَهُمُ الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ عَلَيْهِمْ طَرْدَنَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا، وَصَبَرْنَا قُلُوبَهُمْ غَلِيظَةً صَلْبَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَيْرٌ، وَلَا تَنْفَعُهَا مَوْعِظَةٌ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ بِالتَّبْدِيلِ لِأَلْفَاظِهِ، وَبِالتَّأْوِيلِ لِمَعَانِيهِ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِبَعْضِ مَا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - تَكْتَشِفُ مِنْهُمْ خِيَانَةُ اللَّهِ وَلِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَقَوَّا بِمَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَهْدٍ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَلَا تَوَاضَعْ لَهُمْ، وَاصْفَحْ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

﴿فَوَالَّذِينَ الْآيَاتُ﴾

١ - عظيم إنعام الله ﷻ على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه إذ حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.

٢ - أن الإيمان بالرسول ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب سبب عظيم لحصول معية الله تعالى، وحدث أسباب النصر والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.

٣ - نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغلظة القلوب وقساوتها.

٤ - ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَسَوَّاهُمْ مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يٰ أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿١٤﴾ وكما أخذنا على اليهود عهداً مؤكداً موثقاً
أخذنا على الذين رَكَّبُوا أنفسهم بأنهم أتباع
عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما دُكِّرُوا به،
كما فعل أسلافهم من اليهود، وألقينا بينهم
العداوة والبغضاء دائماً، فأصبحوا متقاتلين
متناحرين يُكْفَرُ بعضهم بعضاً، وسوف يخبرهم الله
بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.
ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من
العهد، ونقضهم لها، أمرهم بالإيمان
بمحمد ﷺ، فقال:

﴿١٥﴾ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب
التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد
جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم الكثير مما
كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم:
ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا
افتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتاباً من عند الله،
وهو نور يُسْتَضَاءُ به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج
إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.
﴿١٦﴾ يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه
من الإيمان والعمل الصالح طرق السلامة من
عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة،
ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى
نور الإيمان والطاعة، ويوفقهم إلى الطريق
القوم المستقيم طريق الإسلام.

﴿١٧﴾ لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، قل لهم - أيها الرسول -: من يقدر
أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟!
وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دل ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى ابن مريم وأمهم
وسائر الخلق هم خَلْقُ الله، والله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه:
عيسى عليه السلام فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فقد خلق آدم من غير أب ولا أم،
وخلق حواء من غير أم، وخلق عيسى من غير أب.

﴿١٨﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ترك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين
لأمر الله تعالى.
- ٢ - القرآن الكريم يهدي إلى سبل السلامة من النار، ويرشد لسبل دخول الجنة.
- ٣ - الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسد في المسيح عليه السلام، وبيان كفرهم وضلال قولهم.
- ٤ - من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمهم ﷺ وجميع أهل الأرض فلن
يستطيع أحد رده، وهذا يثبت بشريتهم.
- ٥ - من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يشير لكونه "يخلق ما يشاء"، وهذا إشارة إلى أن خلقه عيسى
عليه الصلاة والسلام من غير أب ليس فيها دليل البتة على ألوهيته، فهو ليس بدعاً في الخلقة، بل هناك
من شأن خلقه أشد غرابة، فإن آدم عليه السلام مخلوق من قبله بلا أب ولا أم.

﴿١٨﴾ وقالت اليهود، وقالت النصارى كلٌّ عن نفسه ادعاء: نحن أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟! فلو كنتم أحباء كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسوخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب، بل أنتم بشر كسائر البشر، من أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عقابه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله، والله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿١٩﴾ يا أهل الكتاب من يهود ونصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ لئلا تقولوا معذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد ﷺ مبشراً بثوابه ومنذراً بعقابه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وختمهم بمحمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكاً تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مُستعبدين، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالمين في زمانكم.

﴿٢١﴾ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتل من فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿٢٢﴾ قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قوماً أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

﴿٢٣﴾ قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضنان قومهما على امتثال أمر موسى ﷺ: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمت الباب، ودخلتموه فإنكم - بإذن الله - ستغلبونهم وثوقاً بسنة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله وإعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمادوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقاً، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

﴿٢٤﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسوخ وغيره يوجب إبطال دعواهم في كونهم أبناء الله وأحباؤه.
- ٢ - التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستئصال النصر.

﴿٢٤﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُصِرِّينَ عَلَى مَخَالِفَةِ أَمْرِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّا لَنَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَا دَامَ الْجَبَّارُونَ فِيهَا ، فَازْهَبْ أَنْتَ - يَا مُوسَى - وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا الْجَبَّارِينَ ، أَمَا نَحْنُ فَسَنُبْقِي قَاعِدِينَ مُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْقِتَالِ مَعَكُمْ .

﴿٢٥﴾ قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ : يَا رَبِّ لَا سُلْطَانَ لِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ ، فَافْصِلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْخَارجِينَ عَنْ طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ .

﴿٢٦﴾ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ دُخُولَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مَدَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ حَيَارَى لَا يَهْتَدُونَ ، فَلَا تَأْسَفُ - يَا مُوسَى - عَلَى الْقَوْمِ الْخَارجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَإِنْ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ عِقَابٍ هُوَ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِمْ وَذُنُوبِهِمْ .

﴿٢٧﴾ وَأَقْصَصَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَى هَؤُلَاءِ الْحَسِدةِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْيَهُودِ خَيْرَ ابْنَيْ آدَمَ ، وَهُمَا قَابِيلُ وَهَابِيلُ ، بِالْصَّدَقِ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ ، حِينَ قَدَّمَا قُرْبَانًا يَتَقَرَّبُ بِهِ كُلُّهُمَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَقَبِلَ اللَّهُ الْقُرْبَانَ الَّذِي قَدَّمَهُ هَابِيلُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى ، وَلَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانَ قَابِيلَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى ، فَاسْتَنَكَرَ قَابِيلُ قَبُولَ قُرْبَانِ هَابِيلَ حَسَدًا ، وَقَالَ : لَا قَتْلَكَ يَا هَابِيلُ ، فَقَالَ هَابِيلُ : إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دُمُوا فِيهَا فَازْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَّابَيْنِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلْنِيْ عَجْرَتٌ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُرِى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

قُرْبَانَ مِنْ اتَّقَاهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

﴿٣٢﴾ لِشَنْ مَدَّدْتَ يَدَكَ إِلَيَّ تَقْصِدُ قَتْلِي فَلَسْتُ مَجَازِيكَ بِمِثْلِ صَنِيعِكَ ، ذَلِكَ لَيْسَ جَبْنًا مِنِّي ، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَخْلُوقَاتِ .

﴿٣٣﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِي ظِلْمًا وَعَدْوَانًا إِلَى آثَامِكَ السَّابِقَةِ ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَلَازِمُونَهَا ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ جِزَاءَ الْمُعْتَدِينَ ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِكَ فَأَكُونَ مِنْهُمْ .

﴿٣٤﴾ فَزَيَّنَتْ لِقَابِيلَ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ قَتْلَ أَخِيهِ هَابِيلَ ظِلْمًا فَقَتَلَهُ ، فَأَصْبَحَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ ، فَقَدْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ ، فَعَلِيهِ وَزَرُهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلِ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ تَأَسَّى بِهِ شَيْئًا .

﴿٣٥﴾ فَأَرْسَلَ اللَّهُ غُرَابًا يَشِيرُ الْأَرْضَ أَمَامَهُ لِيَدْفِنَ فِيهَا غُرَابًا مِيتًا ؛ لِيَعْلَمَهُ كَيْفَ يَسْتَرِ بَدَنَ أَخِيهِ ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ، وَالنَّدَامَةُ عَاقِبَةُ مَرْتَكِبِي الْمَعَاصِي .

﴿٣٦﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ :

- ١ - مخالفة الرسل توجب العقاب ، كما وقع لبني إسرائيل إذ عاقبهم الله تعالى بالثَّيِّهِ .
- ٢ - قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض - في ظاهر القرآن - هو الحسد والبغي .
- ٣ - تحرَّز ابن آدم المقتول بنبه لضرورة التعفف عن الظلم والتنزّه عن أن يلقي العبد ربه وقد سفك دمًا .
- ٤ - سَفَكَ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ يوجب الخسران .
- ٥ - أَنْ مِنْ سَنَّ سُنَّةً قَبِيحَةً أَوْ أَشَاعَ قَبِيحًا وَشَجَعَ عَلَيْهِ فَإِنْ لَهُ مِثْلُ سَيِّئَاتِهِ مِنْ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ .

﴿٣٢﴾ مِنْ أَجْلِ قَتْلِ قَابِيلَ أَخَاهُ أَعْلَمْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ سَبَبٍ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ إِفْسَادٍ فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ أَوْ الْحِرَابَةِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْجَانِي. وَمَنْ امْتَنَعَ عَنْ قَتْلِ نَفْسٍ حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى مَعْتَقِدًا حُرْمَةَ قَتْلِهَا وَلَمْ يَقْتُلْ؛ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ صَنْيعَهُ فِيهِ سَلَامَتُهُمْ جَمِيعًا، وَلَقَدْ جَاءَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رُسُلُنَا بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْجَلِيَّةِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَتَجَاوَزُوا لِحُدُودِ اللَّهِ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَمُخَالَفَةِ رُسُلِهِمْ.

﴿٣٣﴾ مَا جَزَاءُ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ، وَيَبَارِزُونَهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَإِخَافَةِ السَّبِيلِ إِلَّا أَنْ يُقْتَلُوا مِنْ غَيْرِ صُلْبٍ، أَوْ يُقْتَلُوا مَعَ الصُّلْبِ عَلَى خَشْبَةٍ وَنَحْوِهَا، أَوْ تُقَطَّعَ يَدُ أَحَدِهِمُ الْيَمْنَى مَعَ الرَّجْلِ الْيُسْرَى، ثُمَّ إِنْ عَادَ قَطَعَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى وَرَجْلُهُ الْيَمْنَى، أَوْ يَغْرَبُوا فِي الْبِلَادِ؛ ذَلِكَ الْعِقَابُ لَهُمْ فَضِيحَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحَارِبِينَ مِنْ قَبْلِ قُدْرَتِكُمْ - يَا أُولِي الْأَمْرِ - عَلَيْهِمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ عَنْهُمْ.

﴿٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، اتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَاطْلُبُوا الْقُرْبَ مِنْهُ بِأَدَاءِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَابْعَدُوا عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَجَاهِدُوا الْكُفَّارَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ؛ لَعَلَّكُمْ تَنَالُونَ مَا تَطْلُبُونَهُ، وَتُجَنَّبُونَ مَا تَرَاهُونَهُ إِذَا قُمْتُمْ بِذَلِكَ.

﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، لَوْ قُدِّرَ أَنْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَلِكٌ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَيَفْتَدِي نَفْسَهُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا قُبِلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِدَاءُ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوَجِعٌ.

﴿فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - مشروعية دفن الميت ومواراته التراب، وهي سنة علمها الله تعالى لبني آدم.
- ٢ - حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحياها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلف نفسًا بشرية أو أذاها فكأنما فعل ذلك بالناس جميعًا.
- ٣ - عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: قتل بلا صلب، أو مع صلب، أو قطع الأطراف من خلاف. أو بتغريمهم من البلاد على حسب ما صدر منهم.
- ٤ - توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.
- ٥ - التأكيد على عدم قبول الفدية يوم القيامة - وإن كانت جميع ما في الأرض - ممن وجب عليهم عذاب جهنم.

﴿٣٧﴾ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذابٌ مُقيمٌ ﴿٣٧﴾ والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَلًّا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَكَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعَهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ بِتُحْفٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿٣٨﴾ والسارق والسارقة فاقطعوا - أيها الحكام - اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما وعقوبة من الله على ما ارتكباه من أخذ أموال الناس بغير حق، وترهيباً لهما ولغيرهما، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديره وتشريع.

﴿٣٩﴾ فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تفضلاً منه، ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام.

﴿٤٠﴾ لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٤١﴾ يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في إعلان الكفر بك وبما جئت به

من الوحي من المنافقين الذي يُظهِرُونَ الإيمان، ويبطنون الكفر. ومن اليهود أناسٌ سَمَاعُونَ للكذب، مقلدون لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراضاً منهم عنك، يُبَدِّلُونَ كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس فلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿٤١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ:

- ١ - حكمة مشروعية حد السرقة: لردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.
- ٢ - أن حد السرقة هو قطع اليد اليمنى.
- ٣ - قبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.
- ٤ - يحسن بالداعية إلى الله أن لا يحمل همًّا وغماً بسبب ما يحصل من بعض الناس من كفر ومكر وتآمر؛ لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.

﴿٤٢﴾ هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول - فافصل بينهم إن شئت، أو اترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخَيَّر بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظلمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

﴿٤٣﴾ وَإِنْ أَمَرَ هَؤُلَاءَ لَعَجِبَ، فهم يكفرون بك، ويتحاكمون إليك طمعاً في حكمك بما يوافق أهواءهم، وهم عندهم التوراة التي يزعمون الإيمان بها، فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق أهواءهم، فجمعوا بين الكفر بما في كتابهم، والإعراض عن حكمك، وما صنيع هؤلاء بصنيع المؤمنين، فليسوا إذن من المؤمنين بك وبما جئت به.

﴿٤٤﴾ إنا أنزلنا التوراة على موسى ﷺ، فيها إرشاد ودلالة على الخير، ونور يُسْتَضَاءُ به، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لله بالطاعة، ويحكم بها العلماء والفقهاء الذين يُرَبِّوْنَ النَّاسَ لما استحفظهم الله على كتابه،

وجعلهم أمناء عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق، وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا - أيها اليهود - الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلاً من الحكم بما أنزل الله ثمناً قليلاً من رئاسة أو جاه أو مال، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلاً ذلك، أو مفضلاً عليه غيره، أو مساوياً له معه فأولئك هم الكافرون حقاً.

﴿٤٥﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة أَنْ من قتل نفساً متعمداً بغير حق قُتِلَ بها، ومن قلع عيناً متعمداً قُلِعَتْ عينه، ومن جدد أنفاً متعمداً جُدِعَ أنفه، ومن قطع أذنًا متعمداً قُطِعَتْ أذنه، ومن قلع سناً متعمداً قُلِعَتْ سنه، وكتبنا عليهم أَنْ في الجروح يُعَاقَبُ الجاني بمثل جنايته، ومن تطوع بالعفو عن الجاني كان عفوهُ كفارة لذنوبه؛ لعفوه عمن ظلمه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص، وفي شأن غيره فهو متجاوز لحدود الله.

﴿٤٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

١ - تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.

٢ - بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.

٣ - الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجراها العظيم المتمثل في تكفير الذنوب.

٤ - التهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

﴿٤٦﴾ وَأَتَّبِعْنَا آثَارَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُؤْمِنًا بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَحَاكِمًا بِهَا، وَأَعْطَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ مُشْتَمَلًا عَلَى الْهُدَايَةِ لِلْحَقِّ، وَعَلَى مَا يَزِيلُ الشُّبُهَاتِ مِنَ الْحُجُجِ، وَيَحُلُّ الْمَشْكَلَاتِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَمُوَافِقًا لِمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ التَّوْرَةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ مِمَّا نَسَخَهُ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَجَعَلْنَا الْإِنْجِيلَ هُدًى يُهْتَدَى بِهِ، وَزَاجِرًا عَنِ ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿٤٧﴾ وَلِيُؤْمِنَ النَّصَارَى بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْإِنْجِيلِ، وَلِيَحْكُمُوا بِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ صَدَقٍ قَبْلَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، التَّارِكُونَ لِلْحَقِّ، الْمَائِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ. وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَدَحَهُمَا ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَمَدَحَهُ فَقَالَ:

﴿٤٨﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْقُرْآنَ بِالْصِّدْقِ الَّذِي لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ، وَمُؤْتَمِّنًا عَلَيْهَا، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا خَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ الَّتِي أَخَذُوا بِهَا تَارِكًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَقَدْ جَعَلْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ شَرِيعَةً وَطَرِيقَةً وَاضِحَةً، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

وَقَفَيْنَا عَلَى أَثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ، وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

توحيد الشرائع لوَّحدها، ولكنه جعل لكل أمة شريعة؛ ليختبر الجميع فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فإلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، وسينبئكم بما كنتم تختلفون فيه، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

﴿٤٩﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَتَّبِعْ آرَاءَهُمِ النَّابِعَةَ مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَضْلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَلَنْ يَأْلُوا جَهْدًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ عَقُوبَةً دُنْيَوِيَّةً، وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿٥٠﴾ أَيْعَرَضُونَ عَنْ حُكْمِكَ طَالِبِينَ حُكْمَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ تَبَعًا لِأَهْوَائِهِمْ؟! فَلَا أَحَدٌ أَحْسَنَ حُكْمًا مِنَ اللَّهِ عِنْدَ أَهْلِ الْيَقِينِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَنْ اللَّهِ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، لَا أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْأَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - الْأَنْبِيَاءُ مُتَّفِقُونَ فِي أَصُولِ الدِّينِ مَعَ وَجُودِ بَعْضِ الْفُرُوقِ فِي الْفُرُوعِ بَيْنَ شَرَائِعِهِمْ.
- ٢ - وَجُوبُ تَحْكِيمِ شَرْعِ اللَّهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا عَدَاهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ.
- ٣ - ذَمُّ التَّحَاكُمِ لِأَعْرَافٍ وَأَحْكَامِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، لَا تَجْعَلُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حُلَفَاءَ وَأَصْفِيَاءَ تَوَالُونَهُمْ، فَالْيَهُودُ إِنَّمَا يَوَالُونَ أَهْلَ مِلَّتِهِمْ، وَالنَّصَارَى إِنَّمَا يَوَالُونَ أَهْلَ مِلَّتِهِمْ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ تَجْمَعُهُمْ مَعَادَاتُكُمْ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ فِي عَدَادِهِمْ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بِسَبَبِ مَوَالَتِهِمْ لِلْكَفَّارِ.

﴿٥٧﴾ فَتَرَى - أَيُّهَا الرَّسُولُ - ضَعْفَاءَ الْإِيمَانِ يَبَادِرُونَ إِلَى مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قَائِلِينَ: نَخَافُ أَنْ يَظْفِرَ هَؤُلَاءِ، وَتَكُونَ لَهُمُ الدَّوْلَةُ فَيَنَالُنَا مِنْهُمْ مَكْرَهُهُ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الْظَفَرَ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، أَوْ يَأْتِي بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ تَنْدَفِعُ بِهِ صَوْلَةُ الْيَهُودِ وَمَنْ يَوَالِيهِمْ، فَيَصْبِحُ الْمَسَارِعُونَ إِلَى مَوَالَتِهِمْ نَادِمِينَ عَلَى مَا أَخْفَوْهُ مِنَ النِّفَاقِ فِي قُلُوبِهِمْ؛ لِبَطْلَانِ مَا تَعَلَّقُوا بِهِ مِنْ أَسْبَابِ وَاهِيَةٍ.

﴿٥٨﴾ وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ حَالِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَفُوا مُؤَكِّدِينَ أَيْمَانَهُمْ: إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي الْإِيمَانِ وَالنَّصْرَةِ وَالْمَوَالَاةِ؟! بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ، فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ بِفَوَاتِ مَقْصُودِهِمْ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ.

﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، مَنْ يَرْجِعْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ إِلَى الْكُفْرِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ يَقُومُ بَدَلًا مِنْهُ يَحْبِبُهُمْ وَيُحِبُّونَهُ لَأَسْتَقَامَتِهِمْ، رَحِمَاءَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَشْدَاءَ عَلَى

﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ قَدْ رَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا آيَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٨﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهَ يَقُومُ يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمَةٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا أَوْلِيَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٦١﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَلِيلُونَ ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْكَتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾

الْكَافِرِينَ، يَجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَلَا يَخْشَوْنَ لَوْمَةَ لَائِمَةٍ مِنْهُمْ؛ لِتَقْدِيمِهِمْ رِضَا اللَّهَ وَالْخَوْفَ مِنْ لَوْمَةِ اللَّهِ عَلَى لَوْمِ الْمَخْلُوقِينَ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ فَضْلَهُ فَيَمْنَحُهُ إِيَّاهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرَمُهُ.

﴿٥٦﴾ وَلَمَّا نَهَى اللَّهَ عَنْ مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكَافَرِ أَخْبَرَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَوَالَتِهِمْ؛ فَقَالَ: لَيْسَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى وَلَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْكَافَرِ أَوْلِيَاءَكُمْ، بَلْ إِنْ وَلِيَكُمْ وَنَاصَرَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَيُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَهُمْ خَاضِعُونَ لِلَّهِ أَذْلَاءَ.

﴿٥٧﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرَةِ فَهُوَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ، وَحِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُمْ.

﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنْ دِينِكُمْ، وَيَتَلَاعَبُونَ بِهِ مِنَ الَّذِينَ أَعْطَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ مَوَالَتِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿٥٩﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التَّنْبِيهُ عَلَى عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ الَّتِي تَتَلَخَّصُ فِي مَوَالَاةِ وَمُحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَبِغَضِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَتَجَنُّبِ مُحَبَّتِهِمْ.

٢ - مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النِّفَاقِ: مَوَالَاةُ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - التَّخَاذُلُ وَالتَّقْصِيرُ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ قَدْ يَنْتُجُ عَنْهُ اسْتِبْدَالُ الْمُقْصَّرِ الْإِتْيَانِ بَغْيِهِ، وَنَزْعُ شَرَفِ نَصْرَةِ الدِّينِ عَنْهُ.

٤ - وَجُوبُ مَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ وَنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

٥ - التَّحْذِيرُ مِنْ تَقَرُّبِ وَمُحَبَّةِ وَمَوَالَاةِ السَّاخِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِينَ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْكَافَرِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ.

﴿٥٨﴾ وكذلك يسخرون، ويلعبون إذا أدّنتُم للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا، وإيماننا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتنال الأوامر؟! فما تعيبونه علينا محمّدة لنا، وليس مذمّة.

﴿٦٠﴾ قل - أيها الرسول -: هل أخبركم بمن هم أولى بالعب، وأشدّ عقاباً من هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وصيرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم عبّاداً للطاغوت، والطاغوت هو كل من يُعبد من دون الله راضياً، أولئك المذكورون شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

﴿٦١﴾ وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقاً منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتلبّسون بالكفر لا ينفكون عنه، والله أعلم بما يُضمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٦٢﴾ وترى - أيها الرسول - كثيراً من اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب المعاصي مثل الكذب والظلم وأكل الحرام، سوء ما يعملون.

﴿٦٣﴾ هَلَا نَهَاہُمْ أُنْتَمَہُمْ وَعِلْمَاؤُہُمْ عَمَّا یَسَارِعُونَ إِلَیْہِ مِنْ قَوْلِ الْکَذْبِ وَشَہَادَةِ الزُّورِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، لقد سوء صنع أئمتهم وعلمائهم الذين لا يهتمونهم عن المنكر.

﴿٦٤﴾ وَقَالَتِ الْیَہُودُ لَمَّا أَصَابَہُمْ جَہْدٌ وَجَذَبٌ: يد الله محبوسة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده، أَلَا حَسِبْتُمْ أَيْدِیْہُمْ عَنْ فِعْلِ الْخَیْرِ وَالْعَطَاءِ، وَطَرَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِقَوْلِهِمْ هَذَا، بل يدها ﷺ مسوطة عن الخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مكره له، ولا يزيد اليهود ما أنزل إليك - أيها الرسول - إلا طغياناً وكفراً؛ لما هم عليه من الحسد، وألقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تأمروا لإشغالها شتت الله جمعهم، وأذهب قوتهم، ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له.

﴿٦٥﴾ فَوَلَّاهُمُ الْآيَاتِ:

- ١ - ذمّ مسالك المنافقين الذين يُظهرون لأهل الإيمان خلاف ما يظنون، ويسرون الكفر والبغض للإسلام وأهله.
- ٢ - ذمّ العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.
- ٣ - سوء أدب اليهود مع الله تعالى، وذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابس للخير.
- ٤ - إثبات صفة اليمين وصفة الكرم وسعة الإنفاق لله ﷻ، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.
- ٥ - الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّ يَهُودَ وَالنَّصَارَى صَدَقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَاتَّقَوْا اللَّهَ بَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ الْمَعَاصِيَ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَلَوْ كَانَتْ كَثِيرَةً، وَلَادْخَلْنَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، يَتَنَعَمُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ لَا يَنْقُطِعُ. ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ عَمِلُوا بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَالنَّصَارَى عَمِلُوا بِمَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَعَمِلُوا جَمِيعًا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ لَيَسِّرْتُ لَهُمْ أَسْبَابَ الرِّزْقِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ وَإِنْبَاتِ الْأَرْضِ، وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْمَعْتَدِلُ الثَّابِتُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْكَثِيرُ مِنْهُمْ سَاءَ عَمَلُهُ لَعَدِمَ إِيْمَانُهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ كَامِلًا، وَلَا تَكْتُمْ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنْ كَتَمْتَ مِنْهُ شَيْئًا فَمَا أَنْتَ بِمُبْلَغٍ رِسَالَةَ رَبِّكَ (وَقَدْ بَلِّغْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ مَا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ، فَمَنْ زَعَمَ خِلَافَ ذَلِكَ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفُرْيَةَ عَلَى اللَّهِ)، وَاللَّهُ يَحْمِيكَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْوُصُولَ إِلَيْكَ بِسُوءٍ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلرُّشْدِ الْجَا حِدِينَ الَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ الْهَدَايَةَ.

﴿١٨﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: لَسْتُ - أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ الْمَعْتَدُّ بِهِ حَتَّى تَعْمَلُوا بِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ،

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولُكُمْ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٢٠﴾

وَتَعْمَلُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَصِحُّ إِيمَانُكُمْ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا إِلَى طُغْيَانٍ، وَكُفْرًا إِلَى كُفْرٍ؛ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ، فَلَا تَأْسَفُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، وَفِي مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غِنًى وَكَفَايَةٌ.

﴿١٩﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْيَهُودَ وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى، مَنْ صَدَّقَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا.

﴿٢٠﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا الْعَهْدَ الْمَوْكَدَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَتَقَضَّوْا مَا أُخِذَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، وَاتَّبَعُوا مَا تَمْلِكُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ، وَمَنْ تَكْذِبُهُمْ بَعْضًا وَقَتْلُهُمْ بَعْضًا.

﴿فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - الْعَمَلُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبٌ لَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ.
٢ - تَوْجِيهِ الدَّعَاةِ إِلَى أَنْ التَّبْلِيغُ الْمُعْتَدُّ بِهِ وَالْمُبْرَأُ لِلذَّمِّ هُوَ مَا كَانَ كَامِلًا غَيْرَ مُنْقُوصٍ، وَفِي ضَوْءٍ مَا وَرَدَ بِهِ الْوَحْيِ.

٣ - لَا يُعْتَدُّ بِأَيِّ مَعْتَقَدٍ مَا لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٧١) وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فَعَمُوا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وَصَمُوا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله تفضلاً منه عليهم، ثم عَمُوا بعد ذلك عن الحق، وَصَمُوا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

(٧٢) لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى ابن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح ابن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده، فهو ربي وربكم، فنحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبداً، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينتظره من العذاب.

(٧٣) لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مُؤَلَّفٌ من ثلاثة: هم الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لَيَنَالَنَّهُمْ عَذَابٌ مُّوجِعٌ.

(٧٤) أفلا يرجع هؤلاء عن مقالاتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبه من الشرك به؟ والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

(٧٥) ليس المسيح عيسى ابن مريم إلا رسولاً من بين الرسل، يجري عليه ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم ٱ كثرية الصدق ومُصَدِّقَة، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام، فانظر - أيها الرسول - نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتكبرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمل: كيف يُصَرَّفُونَ عن الحق صرفاً مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله.

(٧٦) قل - أيها الرسول - مُحْتَجّاً عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً، ولا يدفع عنكم ضرراً؟! فهو عاجز، والله منزّه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - أن بعض طوائف اليهود قتلة للأنبياء وناقضون للعهود.

٢ - بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح ٱ.

٣ - دحض عقيدة التثليث ببيان بطلانها والتحذير من اعتناقها، والدعوة للتوبة منها.

٤ - من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه.

٥ - عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق بعض المعبودين للألوهية؛ لكونهم عاجزين.

٦ - النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

﴿٧٧﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أُمِرْتُمْ به من اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم مَنْ أُمِرْتُمْ بتعظيمه مثل الأنبياء فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى ابن مريم، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلوا كثيراً من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

﴿٧٨﴾ يخبر الله سبحانه أنه طرد الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى ابن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حرمان الله.

﴿٧٩﴾ كانوا لا يهتدون بالعصي منهم عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يقترفونه من المعاصي والمنكرات؛ لأنه لا مُنْكَرَ ينكر عليهم، لَسَاءَ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

﴿٨٠﴾ تشهد - أيها الرسول - كثيراً من الكفرة من هؤلاء اليهود يتولون المشركين الذين لا دين لهم، ويعادونك ويعادون الموحدين، ساء ما يُقْدِمُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٨١﴾ ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقاً، ويؤمنون بنبيه، ما جعلوا من المشركين أولياء يوالونهم دون المؤمنين؛ لأنهم نُهَوُّوا عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكن كثيراً من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

﴿٨٢﴾ لتجدن - أيها الرسول - أعظم الناس عداوة للمؤمنين بك، وبما جئت به اليهود؛ لِمَا هم عليه من الحقد والحسد والكبر، وعبدّة الأصنام، وغيرهم من المشركين بالله، ولتجدن أقربهم محبة للمؤمنين بك، وبما جئت به الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم نصارى، وبيّنت الآية أن قرب مودة هؤلاء للمؤمنين لأن منهم علماء زهاداً وعباداً، وأنهم متواضعون، غير متكبرين؛ لأن المتكبر لا يصل الخير إلى قلبه.

﴿٨٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للعن والطرد من رحمة الله تعالى.

٢ - من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.

٣ - موالات أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.

٤ - شدة عداوة اليهود لأهل الإسلام، وفي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلمهم أنه دين الحق.

﴿٨٦﴾ وهؤلاء قلوبهم لَيِّنَةٌ، حيث إنهم يبيكون خشوعاً عند سماع ما أُنْزِلَ من القرآن لَمَّا عرفوا أنه من الحق؛ لمعرفتهم بما جاء به عيسى ﷺ، يقولون: يا ربنا صدَّقنا بما أُنْزِلت على رسولك محمد ﷺ، فاكْتَبْنَا - يا ربنا - مع الشاهدين على الناس من هذه الأمة يوم القيامة.

﴿٨٧﴾ وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما أُنْزله من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟! ونحن نرجو دخول الجنة مع الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله الخائفين من عذابه.

﴿٨٨﴾ فجازاهم الله على إيمانهم واعترافهم بالحق جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكتين فيها أبداً، وذلك جزاء المحسنين في اتباعهم للحق وانقيادهم له دون قيد أو شرط.

﴿٨٩﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسوله، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ملازمين لها، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٩٠﴾ يا أيها الذين صدَّقوا الله واتبعوا رسوله، لا تُحَرِّمُوا المستلذات من المأكَل والمشارب والمناكح التي أباحها الله لكم، لا تُحَرِّمُوهَا تَزْهَدًا أو تَعَبُدًا، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده،

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَنْتَبَهُمُ اللَّهُ وَمَا قَالُوا جَنَدَتْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلْدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٩﴾ يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرُّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ، إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٢﴾

بل يبغضهم.

﴿٩٣﴾ وكلوا مما يسوقه الله إليكم من رزقه حال كونه حلالاً طيباً، لا إن كان حراماً كالْمَأْخُذِ غَضْباً أو مُسْتَحْبِئاً، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، فهو الذي تؤمنون به، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

﴿٩٤﴾ لا يحاسبكم الله - أيها المؤمنون - بما يجري على ألسنتكم من الحلف من غير قصد، وإنما يحاسبكم بما عزمتم عليه، وعَقَدْتُمُ القلوب عليه وحشتم، فكفارة ما عزمتم عليه من أيمان ونطقتموه إذا حشتم أحد ثلاثة أشياء على التخيير هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام أهل بلدكم، لكل مسكين نصف صاع، أو كسوتهم بما يُغْتَبَرُ عُرْفًا كسوة، أو إعتاق رقبة مؤمنة، فإذا لم يجد المكفر عن يمينه أحد هذه الأشياء الثلاثة كَفَّرَ عنها بصيام ثلاثة أيام، ذلك المذكور كفارة أيمانكم - أيها المؤمنون - إذا حلفتم وحشتم، واحفظوا أيمانكم عن الحلف بالله كذباً، وعن كثرة الحلف، وعن الحنث ما لم يكن الحنث خيراً، فافعلوا الخير، وكَفَرُوا عن أيمانكم، كما بيّن الله لكم كفارة اليمين يُبَيِّنُ الله لكم أحكامه المبنية للحلال والحرام، لعلكم تشكرون الله على أن علّمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿٩٥﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُوا الْأَيَّامِ:

١ - الأمر بتوخي الطيب من الأرزاق وترك الخبيث.

٢ - عدم المؤاخذه على الحلف عن غير عزم للقلب، والمؤاخذه على ما كان عن عزم القلب ليفعلن أو لا يفعلن.

٣ - بيان أن كفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة مؤمنة، فإذا لم يستطع المكفر عن يمينه الإتيان بواحد من الأمور السابقة، فليُكَفِّر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام.

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِنَّمَا الْمُسْكِرُ الَّذِي يَذْهَبُ الْعَقْلَ، وَالْقَمَارُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى عَوْضٍ مِنَ الْجَانِبِينَ، وَالْحَجَارَةُ الَّتِي يَذْبَحُ عِنْدَهَا الْمُشْرِكُونَ تَعْظِيمًا لَهَا أَوْ يَنْصُبُونَهَا لِعِبَادَتِهَا، وَالْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، كُلُّ ذَلِكَ إِثْمٌ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، فَابْتَعدُوا عَنْهُ لَعَلَّكُمْ تَفُوزُونَ بِالْمَطْلُوبِ الْجَنَّةِ، وَتَنْجُونَ مِنَ الْمَرْهُوبِ النَّارِ.

﴿١٦﴾ إِنَّمَا يَقْصِدُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَزْيِينِ الْمُسْكِرِ وَالْقَمَارِ إِيقَاعَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَالصَّرْفَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - تَارِكُونَ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّاتِقُ بِكُمْ، فَانْتَهَوْا.

﴿١٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ الشَّرْعُ بِهِ، وَاجْتَنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاحْذَرُوا مِنَ الْمَخَالَفَةِ، فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رِسْوَلِنَا التَّبْلِيغِ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَقَدْ بَلَّغْ، فَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَلَا تُنْفِسْكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَاعْلَمُوا. وَلَكَمَا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ تَمْنَى بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ مَعْرِفَةَ حَالِ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا مُسْلِمِينَ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ؛ إِثْمٌ فِيمَا تَنَاوَلُوهُ مِنَ الْخَمْرِ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا، إِذَا اجْتَنَبُوا الْمَحْرَمَاتِ، مُتَّقِينَ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مُؤْمِنِينَ بِهِ، قَائِمِينَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ثُمَّ أَزْدَادُوا مِرَاقِبَةَ اللَّهِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَعْبُدُونَهُ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ، وَاللَّهُ يَحِبُّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ؛ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ اسْتِشْعَارِ رِقَابَةِ اللَّهِ الدَّائِمَةِ، وَذَلِكَ مَا يَقُودُ الْمُؤْمِنَ إِلَى إِحْسَانِ عَمَلِهِ وَإِتْقَانِهِ.

﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، لِيُخْتَبَرَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ يَسُوقُهُ إِلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ الْبَرِيِّ وَأَنْتُمْ مُخْرَمُونَ، تَتَنَاوَلُونَ الصَّغَارَ مِنْهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَالْكِبَارَ بِرِمَاحِكُمْ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمَ ظُهُورِ يَحَاسِبِ عَلَيْهِ الْعِبَادَ مِنْ خِيَاْفَةِ الْغَيْبِ لِكَمَالِ إِيْمَانِهِ بَعْلَمَ اللَّهُ، فَيَمْسِكُ عَنِ الصَّيْدِ خَوْفًا مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ، فَمَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَاصْطَادَ وَهُوَ مُخْرَمٌ بِحُجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ فَلَهُ عَذَابٌ مُوجِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِمَا ارْتَكَبَهُ مِنْ مَخَالَفَةِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ، لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ الْبَرِيَّ وَأَنْتُمْ مُخْرَمُونَ بِحُجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَاعْلَمُوا أَنَّ قَتْلَهُ مِمَّاثِلُ قَتْلِهِ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَقَرِ أَوْ الْغَنَمِ، يَحْكُمُ بِهِ رَجُلَانِ تَمْثِلَانِ بِالْعَدَالَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا حَكَمًا بِهِ يُقْتَلُ بِهِ مَا يُقْتَلُ بِالْهَدْيِ مِنَ الْإِرْسَالِ إِلَى مَكَّةَ وَذَبْحِهِ فِي الْحَرَمِ، أَوْ قِيَمَةُ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ تُدْفَعُ لِفُقَرَاءِ الْحَرَمِ، لِكُلِّ فَقِيرٍ نِصْفُ صَاعٍ، أَوْ صِيَامٌ يَوْمٍ مُقَابِلَ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ مِنَ الطَّعَامِ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَذُوقَ قَاتِلُ الصَّيْدِ عَاقِبَةَ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ. تَجَاوَزَ اللَّهُ عَمَّا مَضَى مِنْ قَتْلِ صَيْدِ الْحَرَمِ وَقَتْلِ الْمَحْرَمِ صَيْدِ الْبَرِّ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ، وَمَنْ عَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّحْرِيمِ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ بِأَنْ يَعْذِبَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ مَنْعٍ، وَمَنْ قُوَّتُهُ أَنَّهُ يَنْتَقِمَ مِنْ عَصَاةٍ إِنْ شَاءَ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْهُ مَانِعٌ.

﴿٢١﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أَنْ عَمَلَ الْعَبْدِ - مِنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ - كَسَبَ لِلْعَبْدِ وَحْدَهُ، فَلَهُ يَعُودُ خَيْرُ طَاعَتِهِ، أَوْ ضَرَرُ مَعْصِيَتِهِ. ٢ - عَدَمُ مُوَآخَذَةِ الشَّخْصِ بِمَا لَمْ يُحَرِّمْ أَوْ لَمْ يَبْلُغْهُ تَحْرِيمَهُ. ٣ - تَحْرِيمُ الصَّيْدِ عَلَى الْمَحْرَمِ بِحُجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ. ٤ - مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ فِي تَقْدِيرِهِ لِإِيجَادِ الْمَحْرَمَاتِ: اخْتِبَارَ عِبَادِهِ وَابْتِلَاؤَهُمْ وَتَمْحِيصَهُمْ. ٥ - بَيَانُ كِفَارَةِ قَتْلِ الْمَحْرَمِ لِلصَّيْدِ. ٦ - مِنْ حِكْمَةِ مَشْرُوعَةِ الْكُفَّارَاتِ: مَعَاقِبَةُ الْمَخَالَفِ وَرَدْعُهُ وَزَجْرُهُ حَتَّى لَا يَرْجِعَ لِمَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعْنَاكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سِيقَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ إِنْ بُدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ مِّجْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿٦٦﴾ أحل الله لكم صيد الحيوانات المائية، وما يقذفه البحر لكم حياً أو ميتاً منفعه لمن كان منكم مقيماً أو مسافراً يتزود به، وحرم عليكم صيد البر ما دمتُم محرمين بحج أو عمرة، واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي إليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم. ﴿٦٧﴾ جعل الله الكعبة البيت المحرم قِيَمًا للناس، به تقوم مصالحهم الدينية من الصلاة والحج والعمرة، ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم وجباية ثمرات كل شيء إليه، وجعل الأشهر الحرم وهي: (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) قِيَمًا لهم بأنهم فيها من قتال غيرهم لهم، والهدي والقلائد المُشْعَرَة بأنها مسوقة إلى الحرم قِيَمًا لهم بأمن أصحابها من التعرض لهم بأذى، ذلك الذي من الله به عليكم لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأن الله بكل شيء عليم، فإن تشريعه لذلك - لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل حصولها - دليل على علمه بما يصلح للعباد. ﴿٦٨﴾ اعلموا - أيها الناس - أن الله شديد العقاب لمن عصاه، وغفور لمن تاب، رحيم به. ﴿٦٩﴾ ليس على الرسول إلا تبليغ ما أمره الله بتبليغه، فليس عليه توفيق الناس إلى الهداية، فذلك بيد الله وحده، والله يعلم ما تظهرونه، وتكتمونه من الهداية أو الضلال، وسيجازيكم على ذلك. ﴿٧٠﴾ قل - أيها الرسول -: لا يستوي الخبيث

من كل شيء مع الطيب من كل شيء، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فإن كثرت لا تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بترك الخبيث وفعل الطيب لعلكم تفوزون بالجنة، وتنجون من النار.

﴿٧١﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، لا تسألوا رسولكم عن أشياء لا حاجة لكم بها، وليست مما يعينكم على أمر دينكم، إن تظهر لكم تسؤكم لما فيها من المشقة، وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتكم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي على الرسول تبين لكم، وذلك على الله يسير، فقد تجاوز الله عن أشياء سكت عنها القرآن، فلا تسألوا عنها، فإنكم إن سألتُم عنها نزل عليكم التكليف بحكمها.

﴿٧٢﴾ قد سأل عن مثلها قوم ممن سبقكم، فلما كُلفوا بها لم يعملوا بها، فأصبحوا كافرين بسببها. ﴿٧٣﴾ أحل الله الأنعام، فلم يُحرَّم منها ما حرَّمه المشركون على أنفسهم لأصنامهم من البحيرة وهي الناقة التي تُقَطَّع أذنُها إذا أنجبت عدداً معيناً، والسائبة وهي الناقة التي إذا بلغت سناً معينة تُتْرَك لأصنامهم، والوصيلة وهي الناقة التي تصل إنجاب أنثى بأنثى، والحامي وهو فحل الإبل يضرب في الإبل فينتج عدداً منها من صلبه، لكن الكفار زعموا كذباً وبهتاناً أن الله حرم المذكورات، وأكثر الكافرين لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام.

﴿٧٤﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - إباحة أكل ما قذفه البحر من دوابه حية كانت أو ميتة.

٢ - الأصل في شعائر الله تعالى أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية، ودفع المضار عنهم.

٣ - وظيفة الداعية إلى الله تعالى هي البلاغ المبين الواضح، وأما هداية التوفيق فهي موكولة إلى الله تعالى.

٤ - عدم الإعجاب بالكثرة، فإن كثرة الشيء ليست دليلاً على جلته أو طيبه، وإنما الدليل يكمن في الحكم الشرعي.

٥ - من أدب المُسْتَفْتِي: تقييد السؤال بحدود معينة، فلا يسوغ السؤال عما لا حاجة للمرء ولا غرض له فيه.

٦ - ذم مسالك المشركين فيما اخترعوه وزعموه من محرمات الأنعام ك: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

﴿١٤٢﴾ وإذا قيل لهؤلاء المفتريين على الله الكذب بتحريم بعض الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا: يكفيننا ما أخذناه وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات والأقوال والأفعال، كيف يكفيهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟! فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً، فهم جهلة ضالون.

﴿١٤٣﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، عليكم أنفسكم فالزموها بالقيام بما يضلحها، لا يضركم من ضل من الناس، ولم يستجب لكم، إذا اهتديتم أنتم، ومن اهتدائكم أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، إلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٤٤﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، إذا اقترب موت أحدكم بظهور علامة من علامات الموت فليشهد على وصيته عدلين من المسلمين أو رجلين من الكفار عند الاحتياج لفقد غيرهما من المسلمين، إن سافرتم فتزل بكم الموت، وإن حدث ارتياب في شهادتهما فقفوهما بعد

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١٤٤﴾ يتأبها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٤٥﴾ يتأبها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به أنفسنا لو كان ذاقرن ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ﴿١٤٦﴾ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهدتنا حق من شهدتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ﴿١٤٧﴾ ذلك أدق أن يأبوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله وأسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴿١٤٨﴾

إحدى الصلوات، فيحلفان بالله: لا يبيعان حظهما من الله بعوض، ولا يحاييان به قريباً، ولا يكتمان شهادة الله عندهما، وأنهما إن فعلا ذلك يكونا من المذنبين العاصين لله.

﴿١٤٧﴾ فإن تبين بعد التحليف كذبهما في الشهادة أو اليمين، أو ظهرت خيانتهما؛ فليشهد أو يحلف اثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى الميت على ما هو حق، فيحلفان بالله لشهادتنا على كذبهما وخيانتهما أحق من شهادتهما على صدقهما وأمانتهما، وما حلفنا زوراً، إنا إن شهدنا زوراً لمن الظالمين المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٤٨﴾ ذلك المذكور من تحليف الشاهدتين بعد الصلاة عند الشك في شهادتهما، ومن رد شهادتهما، أقرب إلى إتيانهما بالشهادة على الوجه الشرعي للإتيان بها، فلا يحرفان الشهادة أو يبدلنها أو يخونان، وأقرب إلى أن يخافا أن ترد أيمان الورثة بعد أيمانهما، فيحلفون على خلاف ما شهدا به فيقتضحا، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة واليمين، واسمعوا ما أمرتكم به سماعاً يصحبه قبول، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - إذا ألزم العبد نفسه بطاعة الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بحسب طاقته، فلا يضره بعد ذلك ضلال أحد، ولن يسأل عن غيره من الناس، وخاصة أهل الضلال منهم.
- ٢ - الترغيب في كتابة الوصية، مع صيانتها بإشهاد العدول عليها.
- ٣ - بيان الصورة الشرعية لسؤال الشهود عن الوصية.

﴿١٢٦﴾ اذكروا - أيها الناس - يوم القيامة حيث يجمع الله جميع الرسل، فيقول لهم: ماذا أجابتمكم به أممكم التي أرسلتكم إليها؟ قالوا مُفَوِّضِينَ الجواب إلى الله: لا علم لنا، وإنما العلم لك - ربنا - إنك أنت وحدك من تعلم الأمور الغائبة والحاضرة.

﴿١٢٧﴾ واذكر حين قال الله مخاطبًا عيسى عليه السلام: يا عيسى ابن مريم، اذكر نعمتي عليك حين خلقتك من غير أب، واذكر نعمتي على أمك مريم عليها السلام حين اصطفيتها على نساء زمانها، واذكر مما أنعمت به عليك حين قوّيتك بجبريل عليه السلام، تكلم الناس - وأنت رضيع - بدعوتهم إلى الله، وتكلمهم في كهولتك بما أرسلتك به إليهم، ومما أنعمت به عليك أن علمتك الخط، وعلمتك التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليك، وعلمتك أسرار الشرع وفوائده وحكمه، ومما أنعمت به عليك أنك تصوّر من الطين مثل صورة طير، ثم تنفخ فيه فيكون طيرًا، وأنت تبرئ من ولد أعمى من عماه، وتبرئ الأبرص، فيصير سليم الجلد، وتحيي الموتى بدعائك الله أن يحييهم، كل ذلك بإذني، ومما أنعمت به عليك أن دفعت عنك بني إسرائيل لَمَّا هَمُّوا بقتلك حين جثتهم

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغَيْبَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِثَّتْهُمْ جِثَّتْ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهِمُ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣٠﴾

بالمعجزات الواضحة، فما كان منهم إلا أن كفروا بها، وقالوا: ما هذا الذي جاء به عيسى إلا سحر واضح. واذكر مما أنعمت به عليك أن يَسْرَتْ لك أعواناً حين ألهمت الخواريين أن يؤمنوا بي وبك، فانقادوا لذلك واستجابوا، وقالوا: آمنا، واشهد - يا ربنا - بأننا مسلمون لك متقادون.

﴿١٣١﴾ واذكر حين قال الخواريون: هل يستطيع ربك إذا دعوته أن يُنْزَلَ مائدة من السماء؟ فأجابهم عيسى عليه السلام بأن أمرهم بتقوى الله وترك طلب ما سألوا، إذ لعل فيه فتنة لهم، وقال لهم: توكّلوا على ربكم في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين.

﴿١٣٢﴾ قال الخواريون لعيسى: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، وبأنك رسوله، ونعلم علم اليقين أنك صَدَقْتَنَا فيما جئت به من عند الله، ونكون عليها من الشاهدين لمن لم يحضرها من الناس.

﴿١٣٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - إثبات جمع الله للخلق يوم القيامة جليلهم وحقيرهم.
- ٢ - إثبات بشرية المسيح عليه السلام وإثبات معجزاته الحسية من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.
- ٣ - بيان أن معجزات الأنبياء تهدف لتشبيات الأتباع وإفحام المخالفين، وأنها ليست من تلقاء أنفسهم، بل تأتي بإذن الله تعالى.

﴿١٤٤﴾ فَأَجَابَ عِيسَى طَلِبُهُمْ، وَدَعَا اللَّهَ قَائِلًا: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً - طعام نتخذ من يوم نزولها عيدًا نعظمه شكرًا لك، وتكون علامة وبرهانًا على وحدانيتك، وعلى صدق ما يُعُثُّ به، وارزقنا رزقًا يعيننا على عبادتك، وأنت - يا ربنا - خير الرازقين.

﴿١٤٥﴾ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ عِيسَى ﷺ، وَقَالَ: إِنِّي مُنْزِلُ هَذِهِ الْمَائِدَةِ الَّتِي طَلَبْتُمْ أَنْزَالَهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ أَنْزَالِهَا فَلَا يُلُومُنِي إِلَّا نَفْسُهُ، فَسَأُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا؛ لَأَنَّهُ شَهِدَ آيَةَ الْبَاهِرَةِ، فَكَانَ كُفْرُهُ كُفْرًا عَنَادًا، وَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُمْ وَعَدَهُ فَأَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ.

﴿١٤٦﴾ وَاذْكُرْ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَخَاطِبًا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، هَلْ قُلْتَ لِلنَّاسِ: صَبِرُونِي وَأَمِي مَعْبُودَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَأَجَابَ عِيسَى مُنْزَهَا رَبَّهُ: لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ لَهُمْ إِلَّا الْحَقَّ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنِّي قُلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ عَلِمْتُهُ لَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ، تَعْلَمُ مَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ وَحْدَكَ مِنْ تَعْلَمُ كُلَّ غَائِبٍ وَكُلِّ خَفِيٍّ وَكُلِّ ظَاهِرٍ.

﴿١٤٧﴾ قَالَ عِيسَى لِرَبِّهِ: مَا قُلْتُ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِقَوْلِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِإِفْرَادِكَ بِالْعِبَادَةِ، وَكُنْتُ رَقِيبًا عَلَى مَا يَقُولُونَ طِيلَةَ وَجُودِي بَيْنَ

أَظْهَرِهِمْ، فَلَمَّا أَتَيْتُ أَجْلِي بِرَفْعِي إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا كُنْتُ - يَا رَب - أَنْتَ الْحَفِظُ لِأَعْمَالِهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لَا يَغِيبُ عَنْكَ شَيْءٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا قُلْتُ لَهُمْ، وَمَا قَالُوا بَعْدِي.

﴿١٤٨﴾ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ - يَا رَب - فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ تَمُنَّنْ عَلَى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ فَلَا مَانِعَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِكَ.

﴿١٤٩﴾ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ﷺ: هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ صَادِقِي النِّيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ صَدَقَهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَأَشْجَارُهَا الْأَنْهَارُ مَا كُتِبَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَعْتَرِيهِمْ مَوْتُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَرَضُوا عَنْهُ لَمَّا نَالُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، ذَلِكَ الْجِزَاءُ وَالرِّضَا عَنْهُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، فَلَا فَوْزَ يَدَانِيهِ.

﴿١٥٠﴾ اللَّهُ وَحْدَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ خَالِقُهُمَا وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمَا، وَلَهُ مَلِكٌ مَا فِيهِنَّ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - توعد الله تعالى كل من أصر على كفره وعناده بعد قيام الحجة الواضحة عليه.

٢ - بُرْهَانُ الْمَسِيحِ ﷺ مِنْ ادِّعَاءِ النَّصَارَى بِأَنَّهُ أَبْلَغُهُمْ أَنَّهُ اللَّهُ أَوْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ أَنَّهُ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ أَوْ الْأُلُوهِيَّةَ.

٣ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِظَمَاءَ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ مِنَ الرِّسْلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ دَرَجَةُ؟!

٤ - عَلُوُّ مَنْزِلَةِ الصَّدَقِ، وَثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهِ، وَبَيَانُ نَفْعِ الصَّدَقِ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٤٤﴾ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي مَنِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٤٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٤٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَالًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَعْمُرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
يُمْكِنْ لَهُمْ كُفْرًا وَرَأْسُنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ يَدَارُ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مِثْنٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ مقصد السورة :
تقرير عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية ونقض
الاعتقادات الشركية .

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ الوصف بالكمال المطلق، والثناء
بالمحاسن العليا مع المحبة، ثابت لله الذي
خلق السماوات وخلق الأرض من غير مثال
سابق، وخلق الليل والنهار يتعاقبان، الليل
خلقه للظلام، والنهار خلقه للنور، ومع هذا
يكفر به بعض عباده، ويجعلون له شريكًا،
تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

﴿٢﴾ هو سبحانه الذي خلقكم - أيها الناس -
من طين حين خلق أباكم آدم ﷺ منه، ثم
ضرب سبحانه مدة لإقامتكم في الحياة
الدنيا، وضرب أجلًا آخر لا يعلمه إلا هو
لبعثكم يوم القيامة، ثم أنتم تشكون في قدرته
سبحانه على البعث .

﴿٣﴾ وهو سبحانه المعبود بحق في السماوات
والأرض، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما
تخفون من النيات والأقوال والأعمال، ويعلم
ما تعملون من ذلك، وسيجازيكم عليها .

﴿٤﴾ وما تأتي المشركين من حجة أو معجزة من عند ربهم إلا تركوها غير مبالين بها، فقد جاءتهم الحجج
الواضحة والبراهين الجلية الدالة على توحيد الله، وجاءتهم المعجزات الدالة على صدق رسله، ومع ذلك
أعرضوا عنها غير عابئين بها .

﴿٥﴾ وهم إن أعرضوا عن تلك الحجج الواضحة والبراهين الجلية فقد أعرضوا عما هو أوضح، فقد كذبوا بما
جاء به محمد ﷺ من القرآن، وسيعرفون أن ما كانوا يستهزئون به مما جاءهم به هو الحق حين يرون العذاب
يوم القيامة .

﴿٦﴾ ألم يعلم هؤلاء الكافرون سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة؟ فقد أهلك الله من قبلهم أممًا كثيرة مكنَّ لهم
في الأرض ما لم يُمْكِنْ لكم أنتم، وأنزل عليهم الأمطار المتتابعة، وأجرى لهم الأنهار تجري من تحت
مساكنهم، فقصوا الله، فأهلكهم بما ارتكبه من المعاصي، وخلق من بعدهم أممًا أخرى .

﴿٧﴾ ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتابًا مكتوبًا في أوراق، وشاهدوه بأعينهم، ولمسوه بأيديهم؛ لما آمنوا
به جحودًا منهم وتعتنا، ولقالوا: لا يعدو ما جئت به أن يكون سحرًا واضحًا، فلن نؤمن به .

﴿٨﴾ وقال هؤلاء الكافرون: لو أنزل الله مع محمد ملكًا يكلمنا ويشهد أنه رسول لآمنّا. ولو أنزلنا ملكًا على
الوصف الذي أرادوا لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا، ولا يُمْهَلُونَ للتوبة إذا نَزَلَ .

﴿٩﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ :

١ - شدة عناد الكافرين، وبيان إصرارهم على الكفر على الرغم من قيام الحجة عليهم بالأدلة الحسية .

٢ - التأمل في سنن الله تعالى في السابقين لمعرفة أسباب هلاكهم والحدز منها .

﴿١﴾ ولو جعلنا المرسل إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل ليتمكنوا من سماعه والتلقي عنه، إذ لا يستطيعون ذلك مع الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، ولو جعلناه في صورة رجل لاشتبه عليهم أمره. ﴿٢﴾ فإن يستهزئ هؤلاء بطلبهم إنزال ملك معك فقد استهزأت أمم من قبلك برسلكها، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به عند تخويفهم منه.

﴿٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المستهزئين: سيروا في الأرض، ثم تأملوا كيف كانت نهاية المكذبين لرسول الله، فقد حل بهم عقاب الله بعدما كانوا فيه من القوة والمنعة.

﴿٤﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لمن مَلِكُ السماوات ومَلِكُ الأرض ومَلِكُ ما بينهما؟ قل: مَلِكُهَا كلها الله، كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه على عباده، فلا يعاجلهم بالعقوبة، حتى إذا لم يتوبوا جمعهم جميعاً يوم القيامة، هذا اليوم الذي لا شك فيه. الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله لا يؤمنون فيقتلوا أنفسهم من الخسران.

﴿٥﴾ والله وحده ملك كل شيء، ما سكن في الليل فخفي، أو تحرك في النهار فظهر، الجميع عباده وخلقهم، وتحت قهره وتصرفه وتديبره، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يعبدون مع الله غيره من الأصنام وغيرها: أيُعْقَلُ أن أخذ غير الله ولياً وناصرًا وأوليه وأستصره؟! وهو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، فلم يُسَبِّحْ إلى خلقهما، وهو الذي يرزق من يشاء من عباده، ولا أحد من عباده يرزقه، فهو الغني عن عباده، وعباده مفتقرون إليه، قل - أيها الرسول -: إني أمرني ربي سبحانه أن أكون أول من انتقاد الله وخضع له من هذه الأمة، ونهاني أن أكون من الذين يشركون معه غيره.

﴿٧﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله بارتكاب ما حَرَّمَ علي من الشرك وغيره، أو تَرَكْتُ ما أمرني به من الإيمان وغيره من الطاعات، أن يعذبني عذاباً عظيماً يوم القيامة.

﴿٨﴾ مَنْ يَصْرِفُ الله عنه ذلك العذاب يوم القيامة، ويُرْخِضْه عنه، فقد فاز برحمة الله له، وتلك النجاة والرحمة عن العذاب هو الفوز الواضح الذي لا يُدَانِيهِ فوز.

﴿٩﴾ وَإِنْ يَنْتَلِكْ - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا صارف يصرفه عنك إلا الله، وإن يَنْتَلِكْ منه خير فلا مانع له من ذلك، ولا رَادٌّ لفضله، فهو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

﴿١٠﴾ وهو القادر الغالب الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه أحد، الجميع له خاضعون، فوق عباده كما يليق به سبحانه، وهو الحكيم في خلقه وتديبره وشرعه، الخبير فلا يخفى عليه شيء.

﴿١١﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْأَلْبَابُ:

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُوتُ ﴿١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ

بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكْذِبِينَ ﴿٣﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ

كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ

لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿٥﴾ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهِ أَتَغْدُو لِيَافِاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ

وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنْ أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا

تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ

رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ

رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْيُمِينُ ﴿٨﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ

فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴿١٠﴾

﴿١١﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْأَلْبَابُ:

﴿١٢﴾ بَيَانَ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِرسَالِ كُلِّ رَسُولٍ مِنْ جِنْسٍ مِنْ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ؛ لِيَكُونَ أَبْلَغُ فِي السَّمَاعِ وَالْوَعْيِ وَالْقَبُولِ عَنْهُ.

﴿١٣﴾ الدَّعْوَةُ لِلتَّأَمُّلِ فِي أَنَّ تَكَرُّرَ سَنَنِ الْأَوَّلِينَ فِي الْعَصِيَانِ قَدْ يَقَابِلُهُ تَكَرُّرُ سَنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعِقَابِ.

﴿١٤﴾ وَجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَنَتَائِجِهَا.

﴿١٥﴾ أَنَّ مَا يَصِيبُ الْبَشَرَ مِنْ بَلَاءٍ لَيْسَ لَهُ صَارِفٌ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلَا مَانِعَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ، وَلَا مَانِعَ لِنِعْمَتِهِ.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين المكذبين بك: أي شيء أجل وأعظم شهادة على صدقي؟ قل: الله أجل شيء وأعظم شهادة على صدقي، هو شهيد بيني وبينكم، يعلم ما جئتمكم به، وما ستردون به، وقد أوحى الله إليّ هذا القرآن لأخوفكم به، وأخوف به من بلغه من الإنس والجن، إنكم - أيها المشركون - تؤمنون أن مع الله معبودات أخرى، قل - أيها الرسول -: لا أشهد على ما أقررتم به لبطلانه، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل ما تشركونه معه.

﴿١٥﴾ اليهود الذين أعطيناهم التوراة والنصاري الذين أعطيناهم الإنجيل يعرفون النبي محمدا ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أبناءهم من أبناء غيرهم، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإدخالها النار، فهم لا يؤمنون.

﴿١٦﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن نسب لله شريكاً، فعبدته معه، أو كذب بآياته التي أنزلها على رسوله، إن الظالمين بنسبة الشريك إلى الله وتكذيب آياته لا يفوزون أبداً إن لم يتوبوا.

﴿١٧﴾ واذكر يوم القيامة حين نجعهم جميعاً، لا نغادر منهم أحداً، ثم نقول للذين عبدوا مع الله غيره توبيخاً لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله؟!

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَيِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْدِيكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَرْسَالَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا لِلَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾ وَهُمْ مِّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾ ثم لم يكن اعتذارهم بعد هذا الاختبار إلا أن تبرؤوا من معبوداتهم، وقالوا كذباً: والله ربنا ما كنا في الدنيا مشركين بك، بل كنا مؤمنين بك، موحدين لك.

﴿٢٤﴾ انظر - يا محمد - كيف كذب هؤلاء على أنفسهم بنفيهم الشرك عن أنفسهم، وغاب عنهم وخذلهم ما كانوا يفترونه من الشركاء مع الله في حياتهم الدنيا؟

﴿٢٥﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتفعون بما يستمعون إليه؛ لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، بسبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صمماً عن السماع النافع، ومهما رأوا من الدلالات الواضحة والحجج الجليلة لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يخاصمونك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذاً عن كتب الأوائل.

﴿٢٦﴾ وهم ينهون الناس عن الإيمان بالرسول، ويستعدون عنه، فلا يتركون من ينتفع به، ولا ينتفعون هم به، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم، وما علموا أن ما يقومون به إهلاك لها.

﴿٢٧﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين يُعرضون يوم القيامة على النار، فيقولون تحسراً: يا ليتنا نردُّ إلى الحياة الدنيا، ولا نكذب بآيات الله، ونكون من المؤمنين بالله - لرأيت عَجَبًا من سوء حالهم.

﴿٢٨﴾ فَوَايَا مَن الْأَيَاتِ:

- ١ - بيان الحكمة في إرسال النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، من أجل البلاغ والبيان، وأعظم ذلك الدعوة لتوحيد الله.
- ٢ - نفي الشريك عن الله تعالى، ودحض افتراءات المشركين في هذا الخصوص.
- ٣ - بيان معرفة اليهود والنصارى للنبي عليه الصلاة والسلام، برغم جحودهم وكفرهم.

﴿١٨﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردُّوا لأمنا، بل ظهر لهم ما كانوا يسترون من قولهم: (والله ما كنا مشركين)، حين شهدت عليهم جوارحهم، ولو قدر أنهم رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والشرك، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان إذا رجعوا.

﴿١٩﴾ وقال هؤلاء المشركون: لا حياة إلا الحياة التي نحن فيها، ولسنا مبعوثين للحساب.

﴿٢٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين أوقف منكرو البعث بين يدي ربهم لرأيت العجب من سوء حالهم حين يقول لهم الله: أليس هذا البعث الذي كنتم تكذبون به حقاً ثابتاً لا مرية فيه ولا شك؟! قالوا: أقمنا ربنا الذي خلقنا إنه لحق ثابت لا شك فيه، فيقول لهم الله عند ذلك: فدوقوا العذاب بسبب جحودكم وإنكاركم لهذا اليوم الذي كنتم به تكذبون في الحياة الدنيا.

﴿٢١﴾ قد خسر الذين كذبوا بالبعث يوم القيامة واستبعدوا الوقوف بين يدي الله، حتى إذا جاءتهم الساعة فجأة من غير سابق علم قالوا من شدة الندم: يا لحسرتنا وخيبة أملنا لما قصرنا في جنب الله من الكفر به وعدم الاستعداد ليوم القيامة، وهم يحملون سيئاتهم فوق ظهورهم، ألا قبح ما يحملون من تلك السيئات.

﴿٢٢﴾ وليست الحياة الدنيا التي تركنون إليها إلا لعباً وغروراً لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله،

وأما الدار الآخرة فهي خير للذين يتقون الله بفعل ما أمر به من الإيمان والطاعة، وترك ما نهى عنه من الشرك والمعصية، أفلا تعقلون - أيها المشركون - ذلك؟ فتؤمنوا وتعملوا الصالحات.

﴿٢٣﴾ نحن نعلم أنك - أيها الرسول - يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم؛ لعلمهم بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون بسبب جحودهم لآيات الله فيتنكرون لما جئت به، ويكذبون به في الظاهر.

﴿٢٤﴾ ولا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما جئت به، فقد كذبت رسل من قبلك، وأذنتهم أقوامهم، فواجهوا ذلك بالصبر على الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جاءهم النصر من الله، ولا مبدل لما كتبه الله من النصر، ووعد به رسله، ولقد جاءك - أيها الرسول - من أخبار من قبلك من الرسل وما لا قوة من أقوامهم وما حباهم الله من النصر على أعدائهم بإهلاكهم.

﴿٢٥﴾ وإن كان شق عليك - أيها الرسول - ما تلاقيه من تكذيبهم وإعراضهم عما جئتهم به من الحق، فإن استطعت أن تطلب نفقاً في الأرض أو مضعداً إلى السماء فتأتيهم بحجة وبرهان غير الذي أيدناك به فافعل، ولو شاء الله جمعهم على الهدى الذي جئت به لجمعهم، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة، فلا تكونن من الجاهلين بذلك، فتذهب نفسك حسرات على أنهم لم يؤمنوا.

﴿٢٦﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من عدل الله تعالى أنه يجمع العابد والمعبود والتابع والمتبوع في عَرَصات القيامة ليشهد بعضهم على بعض.
- ٢ - ليس كل من يسمع القرآن ينتفع به، فربما يوجد حائل مثل ختم القلب أو الصَّمَم عن الانتفاع أو غير ذلك.
- ٣ - بيان أن المشركين وإن كانوا يكذبون في الظاهر فهم يستيقنون في دواخلهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.
- ٤ - تسلية النبي عليه الصلاة والسلام ومواساته بإعلامه أن هذا التكذيب لم يقع له وحده، بل هي سُنَّة المشركين في معاملة الرسل السابقين.

﴿٣٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَآ فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فُوحُوا بِمَا أَوْتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٧﴾ وقال المشركون مطالبين تَعَنَّتْ وَمُطَالِبِينَ بِالْإِيمَانِ: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةً خارقة تكون برهاناً من ربه على صدقه في ما جاء به؟ قل - أيها الرسول -: إن الله قادر على تنزيل آية حسبما يريدون، ولكن أكثر هؤلاء المشركين المطالبين بإنزال آية لا يعلمون أن إنزال الآيات يكون وفق حكمته تعالى، وليس وفق ما يطالبون به، فلو أنزلها ثم لم يؤمنوا لأهلكهم.

﴿٣٨﴾ وما من حيوان يتحرك فوق الأرض، ولا طائر يطير في السماء إلا أجناس مثلكم - يا بني آدم - في الخلق والرزق، ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا أثبتناه، والجميع علمهم عند الله، ثم إلى ربهم وحده يوم القيامة يجمعون لفصل القضاء، فيجازي كل بما يستحقه.

﴿٣٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا مثل الصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يتكلمون، وهم مع ذلك في الظلمات لا يبصرون، فأنى لمن هذه حاله أن يهتدي؟! من يشأ الله إضلاله من الناس يضلله، ومن يشأ هدايته يَهْدِهِ بِأَنْ يجعله على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب من الله أو جاءكم الساعة التي وعدتكم أنها آتية؛ أَتَدْعُونَ إِذْ ذَاكَ غير الله ليكشف ما ينزل بكم من البلاء والشدة، إن كنتم صادقين في ادعاء أن معبوداتكم تجلب نفعا أو تدفع ضرا؟!!

﴿٤١﴾ الحق أنكم لا تدعون إذ ذاك غير الله الذي خلقكم، فيصرف عنكم البلاء، ويرفع عنكم الضر، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وأما معبوداتكم فتكونها؛ لعلمكم أنها لا تنفع ولا تضر.

﴿٤٢﴾ ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - رسلاً فكذبوهم، وأعرضوا عما جاؤوهم به، فابتليناهم بالفقر والمرض من أجل أن يخضعوا لربهم، ويتذلّلوا له.

﴿٤٣﴾ لو أنهم حين جاءهم بلاؤنا تذلّلوا لله، وخضعوا له ليكشف عنهم البلاء، لرحمناهم لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قست قلوبهم، فلم يعتبروا، ولم يتعظوا، وحسّن لهم الشيطان ما كانوا يرتكبون من الكفر والمعاصي، فاستمروا على ما كانوا عليه.

﴿٤٤﴾ فلما تركوا ما وُعظوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم، وإغنائهم بعد الفقر، وصحّحت أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البَطَرُ، واستولى عليهم الإعجاب بما مُتُّوا به جاءهم عذابنا فجأة، فإذا اليأس والانقطاع عما يأملون يستولي عليهم.

﴿٤٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - تشبيه الكفار بالموتى؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب بقبوله الحق واتباعه طريق الهداية.

٢ - من حكمة الله تعالى في الابتلاء: إنزال البلاء على المخالفين من أجل تليين قلوبهم وردهم إلى ربهم.

٣ - وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.

٤ - من البراهين الدالة على ربوبية الله: الاحتجاج على الناس بأنه سبحانه لو أخذ سمعهم وأبصارهم فلا سبيل لهم لردّها.

﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ أَعْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاسْتِئْصَالِهِمْ جَمِيعًا بِالْإِهْلَاكِ، وَنُصِرَ رَسُلُ اللَّهِ، وَالشُّكْرُ وَالنَّشَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى إِهْلَاكِه أَعْدَاءَهُ وَنَصْرَهُ أَوْلِيَائِهِ.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أَصَمَّكُمْ اللَّهُ بِسَلْبِ أَسْمَاعِكُمْ، وَأَعَمَّكُمْ بِأَخْذِ أَبْصَارِكُمْ، وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ، فَلَمْ تَفْقَهُوا شَيْئًا؛ مَنْ مَعْبُودٌ بِحَقِّ يَأْتِيكُمْ بِمَا فَقَدْتُمُوهُ مِنْ ذَلِكَ؟ تأمل - أيها الرسول - كيف نبين لهم الحجج، وننوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها.

﴿٤٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن جاءكم عذاب الله فجأةً من غير شعور منكم به، أو جاءكم ظاهراً عياناً، فإنه لا يَهْلُكُ بِذَلِكَ الْعَذَابُ إِلَّا الظَّالِمُونَ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، وَلَا يَنْجُو إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْمُتَّبِعُونَ لِرُسُلِهِ.

﴿٤٨﴾ وما نرسل من نرسله من رسلنا إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرهم من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسول، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون علي ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَصِيبُهُمُ الْعَذَابُ بِسَبِّ خُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَوْ لَمْ يَخْرُجُوا عَنْ طَاعَتِهِ فَامْتَلَأُوا أَوَامِرَهُ، وَكَفُوا عَنْ نَوَاهِيهِ لَمَا أَصَابَهُمُ الْعَذَابُ.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم: إن عندي خزائن الله من الرزق فأنصرف فيها بما شئت، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من الوحي، ولا أقول لكم: إنني ملك من الملائكة، فأنا رسول من الله، لا أتبع إلا ما يوحى إلي، ولا أدعي ما ليس لي، قل - أيها الرسول - لهم: هل يستوي الكافر الذي عَمِيَتْ بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وآمن به؟ أفلا تفكرون - أيها المشركون - فيما حولكم من الآيات.

﴿٥١﴾ وَخَوْفٌ - أيها الرسول - بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النفع، ولا شافع يكشف عنهم الضر، لعلهم يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالقرآن.

﴿٥٢﴾ وَلَا تُبْعِدُ - أيها الرسول - عن مجلسك فقراء المسلمين الذين يعبدون الله أول النهار وآخره مخلصين له العبادة، لا تطردهم لتستميل أكابر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن طردتهم عن مجلسك فإنك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٥٣﴾ فَاذْكُرْ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء البتة، ومهمتهم التبليغ، فهم لا يملكون تصرفاً في الكون، فلا يعلمون الغيب، ولا يملكون خزائن رزق ونحو ذلك.

٢ - اهتمام الداعية بأتباعه وخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يبتغون سوى الحق، فعليه أن يقرّبهم، ولا يقبل أن يبعدهم إرضاء للكفار.

﴿٥٣﴾ وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، فجعلنا بعضهم غنياً، وجعلنا بعضهم فقيراً، فجعلناهم متفوتين في حظوظهم الدنيوية، ابتليناهم بذلك ليقول الكافرون الأغنياء لفقراء المؤمنين: أهؤلاء الفقراء من الله عليهم بالهداية من بيننا؟! لو كان الإيمان خيراً ما سبقونا إليه، فنحن أهل السبق. أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه، فيؤفّقهم للإيمان، وأعلم بالكافرين لها فيخذلهم فلا يؤمنون؟! بلى إن الله أعلم بهم.

﴿٥٤﴾ وإذا جاءك - أيها الرسول - الذين يصدقون بآياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به، فردّ عليهم السلام إكراماً لهم، وبشرهم بسعة رحمة الله، فقد أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب تفضل، فمن ارتكب منكم معصية في حال جهل وسفه، ثم تاب من بعد ارتكابه لها، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له ما ارتكبه، فالله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٥﴾ وكما بينا لك ما ذكر تبين القرآن لإظهار الحق والعمل به، ولإيضاح طريق المجرمين ومنهجهم؛ لاجتنابه والحذر منه.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله، قل - أيها الرسول -: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله، فأتا إن اتبعت أهواءكم في ذلك أكون ضالاً عن طريق الحق، لا أهتدي إليه، وهذا شأن كل من اتبع الهوى دون برهان من الله.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وأنتم كذبتكم بهذا البرهان، ليس عندي ما تستعجلون به من العذاب والآيات الخارقة التي طلبتموها، إنما ذلك بيد الله، فليس الحكم - ومن جملته ما طلبتم - إلا لله وحده، يقول الحق ويحكم به، وهو سبحانه خير الفاصلين بين الحق والباطل.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - لهم: لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم، وعند ذلك يُفْضَى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين كم يُمهّلهم ومتى يعاقبهم.

﴿٥٩﴾ وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس، إلا كان مثبّتاً في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

﴿٦٠﴾ فَوَلِّهِمْ أَجْلَهُمُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الله تعالى يجعل العباد بعضهم فتنة لبعض، فتفاوت درجاتهم في الرزق وفي الكفر والإيمان، والكفر والإيمان ليس منوطاً بسعة الرزق وضيقه.

٢ - من أخلاق الداعية طلاقة الوجه وإلقاء التحية والتبسط والسرور بأصحابه.

٣ - على الداعية اجتناب الأهواء في عقيدته ومنهجه وسلوكه.

٤ - إثبات تفرد الله ﷻ بعلم الغيب وحده لا شريك له، وسعة علمه في ذلك، وأنه لا يفوته شيء ولا يعزب عنه من مخلوقاته شيء إلا وهو مثبت مدون عنده سبحانه بأدق تفاصيله.

والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي آجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

والله هو القاهر الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، فوق عباده فوقية تليق بجلاله ﷻ، ويرسل عليكم - أيها الناس - ملائكة كراماً تحصى أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم بقبض ملك الموت وأعوانه روحه، وملك الموت وأعوانه لا يقصرون في ما أمروا به.

ثم رُد جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مالكم الحق ليجازيهم على أعمالهم، الذي له القضاء النافذ والحكم العدل فيهم، وهو أسرع الحاسبين، فإنه يحاسب الجميع في يوم واحد.

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويُسلمكم من المهالك التي تلقونها في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده متدللين مُستكينين في السر والعلن: لئن سلمنا ربنا من هذه المهالك لنتكون من الشاكرين لنعمه علينا بأن لا نعبد غيره.

قل لهم - أيها الرسول -: الله هو الذي ينقذكم منها، ويُسلمكم من كل كرب، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه غيره في حالة السراء، فأى ظلم فوق ما تقومون به؟!

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٩﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٧١﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِوَكِيلٍ ﴿٧٢﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٤﴾

قل لهم - أيها الرسول -: الله هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً يأتيكم من فوقكم مثل الحجارة والصواعق والظوفان، أو يأتيكم من تحتكم مثل الزلازل والخسف، أو يخالف بين قلوبكم، فيتبع كل منكم هواه، فيقاتل بعضكم بعضاً، تأمل - أيها الرسول - كيف ننوع لهم الأدلة والبراهين، ونبيئها لهم لعلهم يعلمون أن ما جئت به حق، وأن ما عندهم باطل.

وكذب بهذا القرآن قومك، وهو الحق الذي لا مزية في أنه من عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: لست عليكم برقيب على أعمالكم، فما أنا إلا منذر لكم بين يدي عذاب شديد.

لكل خبر وقت يستقر فيه، ونهاية ينتهي إليها، ومن ذلك خبر مالكم وعاقبتكم، فسوف تعلمون ذلك عندما تبغون يوم القيامة.

وإذا رأيت - أيها الرسول - المشركين يتكلمون في آياتنا بالسخرية والاستهزاء، فلا تقعد معهم حتى يدخلوا في حديث خال من السخرية والاستهزاء بآياتنا، وإذا أنساك الشيطان وقعدت معهم، ثم تذكرت فغادر مجلسهم ولا تقعد مع هؤلاء المعتدين.

فوائد من الآيات:

- ١ - إثبات أن النوم موت، وأن الأرواح تُقبض فيه، ثم تُرد عند الاستيقاظ.
- ٢ - الاستدلال على استحقاق الله تعالى للالوهية بدليل الفطرة، فإن أهل الكفر يؤمنون بالله تعالى ويرجعون لفطرتهم عند الاضطراب والوقوع في المهالك، فيسألون الله تعالى وحده.
- ٣ - إلزام المشركين بمقتضى سلوكهم، وإقامة الدليل على انقلاب فطرتهم، بكونهم يستغيثون بالله وحده في البحر عند الشدة، ويشركون به حين يسلمهم وينجيهم إلى البر.
- ٤ - عدم جواز الجلوس في مجالس أهل الباطل واللغو، ومفارقتهم، وعدم العودة لهم إلا في حال إقلاعهم عن ذلك.

﴿٦٩﴾ وليس على الذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه من حساب هؤلاء الظالمين من شيء، وإنما عليهم أن ينهَوْهُمْ عما يرتكبونه من منكر، لعلهم يتقون الله، فيمثلون أوامره ويجتنبون نواهيه.

﴿٧٠﴾ ودع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين صَيَّرُوا دينهم لعباً وَلَهُوا يسخرون منه ويستهزئون به، وخدعتهم الحياة الدنيا بما فيها من متع زائلة، وَعَظَّ - أيها النبي - الناس بالقرآن حتى لا تُسَلِّمَ نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من سيئات، ليس لها من دون الله ناصر تستنصر به، ولا شفيع يمنع عنها عذاب الله يوم القيامة، وإذا افتدت من عذاب الله بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين أَسْلَمُوا إلى هلاك أنفسهم بسبب ما ارتكبوه من المعاصي لهم يوم القيامة شراب متناهي الحرارة، وعذاب موجه بسبب كفرهم.

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله أوثاناً لا تملك نفعا فتنفعا ولا ضراً فتضرنا، ونرتد عن الإيمان بعد أن وفقنا الله له، فنكون مثل الذي أضلعه الشياطين، فتركته حيران لا يهتدي سبيلاً، وله أصحاب على الطريق المستقيم يدعونه

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُوَ غُرَّتُهُمُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ رَبُّهُ أَنَّ بُسْلَ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلنَّبِيِّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنَّا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

إلى الحق، وهو يمتنع عن إجابتهم إلى ما يدعونه إليه؟ قل لهم - أيها الرسول -: إن هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا الله أن نُسَلِّمَ له ﷺ بالتزام توحيده وعبادته وحده، فهو رب العالمين.

﴿٧٢﴾ وقد أمرنا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وأمرنا بتقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو وحده الذي يُجْمَعُ العباد إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٧٣﴾ وهو ﷺ الذي خلق السماوات والأرض بالحق، يوم يقول الله للشيء: كن فيكون، حين يقول يوم القيامة: قوموا فيقومون، قوله الصدق الذي سيقع لا محالة، وله ﷺ وحده الملك يوم القيامة حين يُنْفَخُ إسرائيل في القرن النفخة الثانية، عالم ما غاب وعالم ما شوهد، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، فبواطن الأمور عنده كظواهرها.

﴿فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - الداعية إلى الله تعالى ليس مسؤولاً عن محاسبة أحد، بل هو مسؤول عن التبليغ والتذكير.

٢ - من دلائل التوحيد: أن من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تصرفا، هو بالضرورة لا يستحق أن يكون إلها معبودا.

﴿٧٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه المشرك آزر: يا أبت، أتجعل الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله؟! إني أراك وقومك الذين يعبدون الأوثان في ضلال بين، وحيرة عن طريق الحق بسبب عبادتكم غير الله، فهو سبحانه المعبود بحق، وغيره معبود بالباطل.

﴿٧٥﴾ وكما أريته ضلال أبيه وقومه نريه ملك السماوات والأرض الواسع؛ ليستدل بذلك الملك الواسع على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده؛ ليكون من الموقنين بأن الله واحد لا شريك له، وأنه قادر على كل شيء.

﴿٧٦﴾ فحين أظلم عليه الليل أخذ يجادل قومه ليستبيلهم عن الشرك إلى التوحيد، وكان قومه يعبدون النجوم، فرأى كوكباً، فقال مناظراً قومه ومستدرجاً إياهم: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب؛ لأن الإله الحق حاضر لا يغيب، إذ من عقائد قومه أن الآلهة عندهم لا تتحول ولا تغيب، فاحتج عليهم بما يعتقدون من باب التنزل مع الخصم.

﴿٧٧﴾ وحين رأى القمر طالماً قال لقومه على سبيل الاستدراج لهم: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني الله لتوحيد عبادته وحده لاكون من القوم الضالين عن دينه الذين يعبدون معه غيره.

﴿٧٨﴾ وحين رأى الشمس طالعة قال لقومه على سبيل الاستدراج: هذا الطالع ربي، هذا الطالع أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون مع الله.

﴿٧٩﴾ ولما تبرأ مما يعبدون من دون الله كأنهم سألوه: ما تعبد إذن؟ فقال: إني أخلصت ديني لله الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد الخالص، ولست من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره.

﴿٨٠﴾ وخاصمه قومه المشركون في توحيد الله سبحانه، وخوفوه من أصنامهم، فقال لهم: أنا خصموني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تملك ضراً فتضرني ولا نفعاً فتفنعني إلا أن يشاء الله، فما شاء الله كائن، ومع علم الله كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أفلا تتذكرون - يا قوم - ما أنتم عليه من الكفر بالله والشرك به فتؤمنوا بالله وحده؟

﴿٨١﴾ وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرككم بالله حين أشركتم معه ما خلقه دون برهان لكم على ذلك؟ فأَيُّ الْجَمْعَيْنِ: جَمْعُ الْمُوحِدِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ أَوْلَى بِالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ؟ إن كنتم تعلمون أولاًهما فاتبعوه، وأولاهما - دون ريب - هو جمع المؤمنين الموحدين.

﴿٨٢﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان قصة مناظرة إبراهيم لقومه وما فيها من الدلائل القوية على إثبات تفرد الله تعالى بالربوبية واستحقاق الألوهية.
- ٢ - جواز المناظرة واستخدام الحجج العقلية لإلزام الخصم.
- ٣ - جواز اختلاق المواقف المتوافقة مع قناعات المخالف، ثم الاستفادة منها لدفع المخالف للرجوع للمسلمات التي يؤمن بها، ثم الانطلاق منها لتقرير قضايا العقيدة.

﴿٨٧﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ وَحَدَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ مُوَفَّقُونَ، وَفَقَهُم رَهْمَ طَرِيقِ الْهَدَايَةِ.

﴿٨٨﴾ وَتِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي غَلِبَ إِبْرَاهِيمُ بِهَا قَوْمَهُ حَتَّى انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ مِنْ أَفْوَالِ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ هِيَ حُجَّتُنَا وَفَقَّنَاهُ لِمُحَاجَّةِ قَوْمِهِ بِهَا، وَأَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهَا، نَرْفَعُ مِنْ نَشَاءٍ مِنْ عِبَادِنَا مُرَاتِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، عَلِيمٌ بِعِبَادِهِ.

﴿٨٩﴾ وَرَزَقْنَا إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ وَحَفِيدَهُ يَعْقُوبَ، وَوَفَّقْنَا كُلَّ مِنْهُمَا لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَوَفَّقْنَا نُوحًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَوَفَّقْنَا لَطِيفَ الْحَقِّ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ كُلًّا مِنْ دَاوُدَ وَابْنِهِ سُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَيْنَا بِهِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَى إِحْسَانِهِمْ نَجَازِي بِهِ الْمُحْسِنِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ.

﴿٩٠﴾ وَوَفَّقْنَا كَذَلِكَ كُلًّا مِنْ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَإِلْيَاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّالِحِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ رَسُولًا.

﴿٩١﴾ وَوَفَّقْنَا كَذَلِكَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.

﴿٩٢﴾ وَوَفَّقْنَا بَعْضَ آبَائِهِمْ وَبَعْضَ أَبْنَائِهِمْ وَبَعْضَ إِخْوَانِهِمْ مِمَّنْ شَتَّنَا تَوْفِيقَهُ، وَاخْتَرْنَاهُمْ، وَوَفَّقْنَاهُمْ لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿٩٣﴾ ذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ هُوَ تَوْفِيقُ اللَّهِ يُوَفِّقُ لَهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَوْ أَشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لَبُطِلَ عَمَلُهُمْ؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ مَبْطُلٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ هُمُ الَّذِينَ أَعْطَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحِكْمَةَ، وَأَعْطَيْنَاهُمُ النُّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ قَوْمٌ بِمَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ هَيَّأْنَا لَهُمْ وَأَرْصَدْنَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ بِهَا، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْتَمْسِكُونَ بِهَا، وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿٩٥﴾ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ، وَمَنْ ذُكِرَ مِنْهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، هُمْ أَهْلُ الْهَدَايَةِ حَقًّا، فَاتَّبِعْهُمْ وَتَأَسَّ بِهُمْ، وَقُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِقَوْمِكُمْ: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى إِبْلَاحِ هَذَا الْقُرْآنِ جَزَاءً، فَالْقُرْآنُ لَيْسَ إِلَّا مَوْعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيَسْتَرْشِدُوا بِهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

﴿٩٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ:

- ١ - مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يَضُمُّنَ الْأَمْنَ لِلْعَبْدِ، خَاصَّةً فِي الْآخِرَةِ حِينَ يَفْزَعُ النَّاسُ.
- ٢ - تُقَرَّرُ الْآيَاتُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا بَلَّغُوا دَعْوَتَهُمْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَا بِقُدْرَتِهِمْ.
- ٣ - الْأَنْبِيَاءُ يَشْتَرِكُونَ جَمِيعًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ اخْتِلَافِ تَشْرِيعَاتِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ.
- ٤ - الْاِقْتِدَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ سُنَّةٌ مَحْمُودَةٌ، وَخَاصَّةً فِي أَصُولِ التَّوْحِيدِ.

﴿٩١﴾ وَمَا عَظَّمُ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ حِينَ قَالُوا لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: مِنَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ وَهُدَايَةً وَإِرْشَادًا لِقَوْمِهِ؟ يَجْعَلُهَا الْيَهُودُ فِي دِفَاتِرِ يَظْهَرُونَ مِنْهَا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَيَكْتُمُونَ مَا يَخَالِفُهَا كَصِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلِمْتُمْ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْعَرَبُ - مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَسْلَافُكُمْ مِنْ قَبْلُ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: أَنْزَلَهَا اللَّهُ، ثُمَّ أَتْرَكْهُمْ فِي جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْيَقِينُ.

﴿٩٢﴾ وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - وَهُوَ كِتَابُ مَبَارَكٍ مُصَدِّقٌ لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، لَتَنْذِرُ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ وَسَائِرَ النَّاسِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَتَّى يَهْتَدُوا، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ يَصْدُقُونَ بِهِذَا الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، وَيَحَافِظُونَ عَلَى صَلَاتِهِمْ بِإِقَامَةِ أَرْكَانِهَا وَفُرُوضِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمَحْدُودَةِ لَهَا شَرْعًا.

﴿٩٣﴾ لَا أَحَدٌ أَعْظَمُ ظُلْمًا مِمَّنْ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بِأَنَّهُ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ قَالَ كَذِبًا: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيْهِ، وَاللَّهُ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْئًا، أَوْ قَالَ: سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَوْ تَرَى - أَيُّهَا الرُّسُولُ - حِينَ تَصِيبُ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو

أَيْدِيهِمْ إِلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ وَالضَّرْبِ، يَقُولُونَ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّعْنِيفِ: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ، فَنَحْنُ نَقْبِضُهَا، فِي هَذَا الْيَوْمِ تَجْزُونَ عَذَابًا يَهِينَكُمْ وَيَذْلِكُمْ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْكُذْبِ بِادْعَاءِ النَّبُوءَةِ وَالْوَحْيِ وَإِنْزَالِ مِثْلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَبِسَبَبِ تَكْبِيرِكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِآيَاتِهِ، لَوْ تَرَى ذَلِكَ لَرَأَيْتُمْ أَمْرًا فَظِيعًا.

﴿٩٤﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِي هَذَا الْيَوْمِ أَفْرَادًا، لَا مَالَ مَعَكُمْ وَلَا رِئَاسَةَ، كَمَا أَنْشَأْنَاكُمْ أَوَّلَ

مَرَّةٍ حِفَاةَ عَرَاءٍ غُرُلًا، وَتَرَكْتُمْ مَا أَعْطَيْنَاكُمْ مِنْ ذَلِكَ خَلْفَكُمْ فِي الدُّنْيَا رَغْمًا عَنْكُمْ، وَمَا نَرَى الْيَوْمَ مَعَكُمْ أَصْنَامَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ، لَقَدْ تَقَطَّعَ الْوِصَالُ بَيْنَكُمْ، وَذَهَبَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ، وَأَنْهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ.

﴿٩٥﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - إِنْزَالُ الْكُتُبِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْمُرْسَلِينَ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ.

٢ - أَعْظَمُ النَّاسِ كَذِبًا وَفَرِيَةً هُوَ الَّذِي يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْسِبُ أَوْ يَنْفِي وَيُثْبِتُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى أَمْرًا لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ.

٣ - كُلُّ أَحَدٍ يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا مُتَجَرِّدًا عَنِ الْمَنَاصِبِ وَالْأَلْقَابِ، فَقِيرًا، وَيَحَاسِبُ وَحْدَهُ.

﴿٩٦﴾ وَمَا قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدَرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَعُونَهُ فَرَاطِيسٌ تَبْذُرُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٧﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٠٠﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿١٠٢﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٠٥﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٧﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١١١﴾

﴿١١٢﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١١٥﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١١٦﴾

﴿١١٧﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١١٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١٩﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٢٠﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢١﴾

﴿١٢٢﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٢٥﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٢٦﴾

﴿١٢٧﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٢٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٣٠﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٣١﴾

﴿١٣٢﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٣٥﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿١٣٧﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٣٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣٩﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴿١٤٠﴾ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤١﴾

﴿٩٥﴾ إِنْ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُشَقُّ الْحَبُّ فَيُخْرَجُ مِنْهُ الزَّرْعُ، وَيُشَقُّ النَّوَى فَيُخْرَجُ مِنْهُ النَّخْلُ، يُخْرَجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ، إِذْ يُخْرَجُ الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَّاتِ مِنَ النَّطْفَةِ، وَيُخْرَجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ، إِذْ يُخْرَجُ النَّطْفَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْبَيْضَةُ مِنَ الدَّجَاجِ، ذَلِكَ الَّذِي يُصْنَعُ هَذَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، فَكَيْفَ تُصَرِّفُونَ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - عَنِ الْحَقِّ مَعَ مَا تَشَاهِدُونَهُ مِنْ بَدِيعِ صَنْعِهِ؟!

﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُشَقُّ ضَوْءُ الصَّبَاحِ مِنْ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا لِلنَّاسِ يَسْكُنُونَ فِيهِ عَنِ الْحَرِّ لَطَلْبِ الْمَعَاشِ؛ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ تَعَبِهِمْ فِي طَلْبِهِ فِي النَّهَارِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ بِحَسَابٍ مُقَدَّرٍ، ذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنْ بَدِيعِ الصَّنْعِ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَغَالِيهِ أَحَدٌ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ وَمَا يَصْلَحُ لَهُمْ.

﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ - يَا بَنِي آدَمَ - النُّجُومَ فِي السَّمَاءِ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي أَسْفَارِكُمْ إِذَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْكُمُ الطَّرِيقُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، قَدْ بَيَّنَّا الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِنَا لِقَوْمٍ يَتَدَبَّرُونَ تِلْكَ الْأَدْلَةَ وَالْبَرَاهِينَ فَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ نَفْسُ أَبِيكُمْ آدَمَ، فَقَدْ بَدَأَ خَلْقَكُمْ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ خَلَقَكُمْ مِنْهُ، وَخَلَقَ لَكُمْ مَا تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ أَرْحَامِكُمْ،

﴿٩٨﴾ إِنْ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَإِنِّي تَوَفَّكُونَ ﴿٩٩﴾ فَإِنِّي الْإِصْبَاحُ وَجَعَلَ الْيَلَّ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠٠﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٠٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَبَنِيهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ الْبَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٤﴾ بَدِيعُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾

وَمُسْتَوْدَعًا تَسْتَوْدَعُونَ فِيهِ، وَهُوَ أَصْلَابُ آبَائِكُمْ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْهَمُونَ كَلَامَ اللَّهِ.

﴿١٠٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هُوَ مَاءُ الْمَطَرِ، فَأَنْبَتْنَا بِهِ كُلَّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتِ، فَأَخْرَجْنَا مِنَ النَّبَاتِ زَرْعًا وَشَجَرًا أَخْضَرَ، نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَا يَقَعُ فِي السَّنَابِلِ، وَمِنْ طَلْعِ النَّخْلِ تَخْرُجُ عَذُوقُهُ قَرِيبَةً يَنَالُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ، وَأَخْرَجْنَا بَسَاتِينَ مِنَ الْعَنْبِ، وَأَخْرَجْنَا الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مَتَمَثِّلًا وَرَقَهُمَا، مُخْتَلَفًا ثَمَرُهُمَا، انظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى ثَمَرِهِ أَوَّلَ مَا يَبْدُو، وَإِلَيْهِ حِينَ يَنْضِجُ، إِنْ فِي ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَأَدْلَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ، فَهَمُ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينَ.

﴿١٠٧﴾ وَصَيَّرَ الْمُشْرِكُونَ الْجِنَّ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ حِينَ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، وَقَدْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ غَيْرُهُ، فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يُعْبَدَ، وَنَسُوا لَهُ جَهْلًا مِنْهُمْ بَنِينَ كَمَا فَعَلَتْ الْيَهُودُ بَعْزُهُمْ، وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ، وَبَنَاتٍ كَمَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمَلَائِكَةِ، تَنْزَهُ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ.

﴿١٠٨﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَخَالَقَ الْأَرْضَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ؟! وَهُوَ قَدْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿١٠٩﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الاستدلال ببرهان الخلق والرزق (تخليق النبات ونموه وتحول شكله وحجمه ونزول المطر) دليلًا على انفراد الله بالربوبية واستحقاق الألوهية؛ أمر ظاهر مُشَاهَد.
- ٢ - الاستدلال ببرهان الحركة (حركة الأفلاك وانتظام سيرها وانضباطها) دليلًا على انفراد الله بالربوبية واستحقاق الألوهية؛ أمر ظاهر مُشَاهَد أيضًا.
- ٣ - بيان ضلال وسخف عقول المشركين في عبادتهم للجن.

﴿١٦١﴾ ذَلِكُمْ - أيها الناس - المتصف بتلك الصفات هو ربكم، فلا رب لكم غيره، ولا معبود بحق غيره، وهو خالق كل شيء، فاعبدوه وحده، فهو المستحق للعبادة، وهو على كل شيء حفيظ.

﴿١٦٢﴾ لا تحيط به الأبصار، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويحيط بها، وهو اللطيف بعباده الصالحين، الخبير بهم.

﴿١٦٣﴾ قد جاءكم - أيها الناس - حجج واضحة وبراهين جلية من ربكم، فمن تعقلها وأدعن فتنة ذلك يعود إليه، ومن عمي عنها، ولم يتعقلها، ولم يدعن لها، فضرر ذلك مقصور عليه، ولست عليكم رقيباً، أحصي أعمالكم، إنما أنا رسول من ربي، وهو الرقيب عليكم.

﴿١٦٤﴾ وكما نوعنا الأدلة والبراهين على قدرة الله تنوع الآيات في الوعد والوعيد والوعظ، وسيقول المشركون: ليس هذا وحياً، وإنما درسته عن أهل الكتاب من قبلك. ولنبين الحق للناس بتنوعنا لهذه الآيات للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فهم الذين يقبلون الحق، ويتبعونه.

﴿١٦٥﴾ اتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غيره، ولا تشغل قلبك بالكافرين وعنادهم، فأمرهم إلى الله.

﴿١٦٦﴾ ولو شاء الله أن لا يشركوا به أحداً ما أشركوا به أحداً، وما جعلناك - أيها الرسول -

رقيباً تحصي عليهم أعمالهم، ولست عليهم بقيم، إنما أنت رسول، وما عليك إلا البلاغ.

﴿١٦٧﴾ ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأصنام التي يعبدونها المشركون مع الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولاً عليه، وجهلاً بما يليق به سبحانه، وكما زين لهؤلاء ما هم عليه من الضلال زيننا لكل أمة عملهم، خيراً كان أو شراً، فأتوا ما زيننا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه.

﴿١٦٨﴾ وأقسم المشركون بالله أشد إيمانهم التي يقدرون عليها: لئن جاءهم محمد بآية من الآيات التي اقترحوها ليصدقن بها، قل لهم - أيها الرسول -: الآيات ليست عندي فأنزلها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوها لا يؤمنون؟ بل يبقون على عنادهم وجحودهم؛ لأنهم لا يريدون الهداية.

﴿١٦٩﴾ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيلولة بينها وبين الاهتداء للحق، كما حُلْنَا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، ونتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

﴿١٧٠﴾ فَوَارِثُ مِنَ الْأَيَّاتِ:

- ١ - تنزيه الله تعالى عن الظلم الذي ترسخه عقيدة (المَجْبَر). وبيان أن كفر العباد وشركهم أمر يحدث باختيارهم.
- ٢ - ليس بمقدور نبي من الأنبياء أن يأتي بآية (معجزة) من عند نفسه، أو متى شاء، بل ذلك أمر مردود لله تعالى، فهو القادر وحده على ذلك، وهو الحكيم الذي يُقَدِّرُ نوع المعجزة ووقت إظهارها.
- ٣ - النهي عن سب آلهة المشركين حذراً من مفسدة أكبر وهي التعدي بالسب على جناب رب العالمين.
- ٤ - قد يحول الله ﷻ بين العبد والهداية، ويصرف بصره وقلبه على غير الطاعة؛ عقوبة له على اختياره الكفر.

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا ۖ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِفَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١١﴾ وَلِلصَّغِيِّ إِلَيْهِ أَقْصِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٢﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٤﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٥﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٦﴾ فَكُلُوا وَمِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾

﴿١١٠﴾ ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم بالهاتفة وشاهدوهم، وكلمهم الموتى، وأخبروهم بصدقك فيما جئت به، وجمعنا لهم كل شيء مما اقترحوه عياناً؛ ما كانوا ليؤمنوا بما جئت به، إلا من شاء الله له الهداية منهم، ولكن أكثرهم يجهلون ذلك، فلا يلجؤون إلى الله ليقفهم للهداية.

﴿١١١﴾ وكما ابتليناك بمعادة هؤلاء المشركين لك ابتلينا كل نبي من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم أعداء من مردة الإنس، وأعداء من مردة الجن، يوسوس بعضهم لبعض فيزينون لهم الباطل ليخدعوه، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فاطرهم وما يفترون من الكفر والباطل، ولا تعباً بهم.

﴿١١٢﴾ ولتميل إلى ما يوسوس به بعضهم لبعض قلوب الذين لا يصدقون بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرتضوه لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

﴿١١٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله غيره: هل يعقل أن أقبل غير الله حكماً بيني وبينكم؟ فالله هو الذي أنزل عليكم القرآن مبیناً مستوفياً لكل شيء، واليهود الذين أعطيناهم التوراة، والنصارى الذين أعطيناهم الإنجيل، يعلمون أن القرآن

منزل عليك، لما وجدوه في كتابيهما من الدليل على ذلك، فلا تكونن من الشاكين فيما أوحينا إليك.

﴿١١٤﴾ وتمت كلمة ربك (القرآن) صدقاً في الأقوال، وعدلاً في الأوامر والنواهي، لا مُعَيَّرَ لكلماته، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بها، فلا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿١١٥﴾ وإن تطع تقديراً - أيها الرسول - أكثر من في الأرض من الناس يضلوك عن دين الله، فقد جرت سنة الله أن يكون الحق مع القلة، فأكثر الناس لا يتبعون إلا الظن الذي لا مستند له، حيث ظنوا أن معبوداتهم تقربهم إلى الله زلفى، وهم يكذبون في ذلك.

﴿١١٦﴾ إن ربك - أيها الرسول - أعلم بمن يضل عن سبيله من الناس، وهو أعلم بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١١٧﴾ فكلوا - أيها الناس - مما ذكر اسم الله عليه عند الذبح، إن كنتم مصدقين حقاً ببراهينه الواضحة.

﴿١١٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الهدف الأعظم للعبد اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بيّنها الله، ويعمل بذلك، ويرجو عون ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته.

٢ - من أنصاف القرآن للقلة المؤمنة العالمة إسنادة الجهل والضلال إلى أكثر الخلق.

٣ - من سنته تعالى في الخلق ظهور أعداء من الإنس والجنّ للأنبياء وأتباعهم؛ لأنّ الحق يعرف بضده من الباطل.

٤ - القرآن صادق في أخباره، عادل في أحكامه، لا يُعْتَرَّ في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق.

﴿١٣١﴾ ما الذي يمنعكم أيها المؤمنون من أن تأكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه، وقد بين لكم الله ما حرمه عليكم، فيجب عليكم تركه، إلا إذا ألجأتمكم إليه الضرورة، فالضرورة تبيح المحظور، وإن كثيراً من المشركين الضالين ليضلوا أتباعهم بآرائهم الفاسدة، حيث يحلون ما حرم الله عليهم من الميتة وغيرها، ويحرمون ما أحل الله لهم من البحيرة والوصيلة والحامي وغيرها، إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بالمتجاوزين لحدود الله، وسيجازيهم على تجاوزهم لحدوده.

﴿١٣٢﴾ واتركوا - أيها الناس - ارتكاب المعاصي في العلانية والسر، إن الذين يكسبون المعاصي في السر أو العلانية، سيجزيهم الله على ما اكتسبوه منها.

﴿١٣٣﴾ ولا تأكلوا - أيها المسلمون - مما لم يذكر اسم الله عليه، سواء ذُكر عليه اسم غيره أولاً، وإن الأكل منه لخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وإن الشياطين ليؤسوسون إلى أوليائهم بإلقاء الشبهة ليجادلوكم في أكل الميتة، وإن أطمعتموهم - أيها المسلمون - فيما يلقونه من الشبهة - لإباحة الميتة - كنتم أنتم وهم سواء في الشرك.

﴿١٣٤﴾ وهل الذي كان قبل هداية الله له ميتاً - لما هو فيه من الكفر والجهل والمعاصي - فأحييناه

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٣١﴾ وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْندَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣٣﴾ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَمْ تُورِ أَيْمَنُ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مِّمَّنْ مِثْلَ لَيْمَكُورِ أَفِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾

بهدايته للإيمان والعلم والطاعة؛ يستوي مع من هو في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي لا يستطيع الخروج منها، قد التبتت عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك؟ كما زين لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الشرك وأكل الميتة والجدال بالباطل زين للكافرين ما كانوا يعملون من المعاصي ليجازوا عليها يوم القيامة بالعذاب الأليم.

﴿١٣٧﴾ ومثل ما حصل من أكابر المشركين في مكة من صد عن سبيل الله جعلنا في كل قرية رؤساء وعظماء يعملون حيلهم وكيدهم في الدعوة إلى سبيل الشيطان ومحاربة الرسل وأتباعهم، والواقع أن مكرمهم وكيدهم إنما يعود عليهم، ولكنهم لا يحسون بذلك لجهلهم واتباع أهوائهم.

﴿١٣٨﴾ وإذا جاءت كبراء الكفار آية من الآيات التي ينزلها الله على نبيه، أو معجزة دالة على صدق رسوله قالوا: لن نصدق حتى يعطينا الله مثل ما أعطى الأنبياء من النبوة والرسالة، فرد الله عليهم بأنه أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها، فيخصه بالنبوة والرسالة. سينال هؤلاء الطغاة ذل وإهانة لتكبرهم عن الحق، وعذاب شديد بسبب مكرمهم.

﴿١٣٩﴾ فَوَلِّهِمْ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة.
- ٢ - كل من تكلم في الدين بما لا يعلمه، أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتد ظالم لنفسه وللناس، وكذلك كل من أفتى وليس هو بكفاء للإفتاء.
- ٣ - يجب على العبد ترك جميع المعاصي التي توقعه في الإثم والحرج، من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده.
- ٤ - منعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، بل مُتَعَدِّية لغيره من الناس.

﴿١٢٥﴾ فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يوسع صدره للإسلام فيقبله برضا وطواعية، ومن يرد أن يخذله ولا يوفقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يكون حاله كحال من يصعد في الطبقات العليا فيصعب عليه التنفس، وكما جعل الله حال الضال بهذه الحال من الضيق الشديد يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

﴿١٢٦﴾ وهذا الدين الذي شرعناه لك - أيها الرسول - هو صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات لمن له وعي وفهم يعي به عن الله.

﴿١٢٧﴾ لهم الجنة يوم القيامة، هذه الجنة التي يسلمون فيها من كل مكروه، والله هو وليهم وناصرهم ومؤيدهم وحافظهم جزاء على ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿١٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشر الله الثقلين من الإنس والجن، ثم يقول الله: يا معشر الجن، قد أكثرتم من إضلال الإنس وصدتم عن سبيل الله، وقال أتباعهم من الإنس مجيبين ربهم: يا ربنا، تمتع كل منا بصاحبه، فالجني تمتع بطاعة الإنسي له، والإنسي تمتع بنيل شهواته، وبلغنا الأجل الذي أجلت لنا، فهذا يوم القيامة، قال الله:

النار مُسْتَقَرُّكُمْ خالدين فيها إلا من شاء الله إخراجهم منها من العصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في تقديره وتديبره، عليم بعباده، وبمن يستحق منهم العذاب.

﴿١٢٩﴾ وكما ولينا المردة من الجن، وسلطانهم على بعض الناس ليضلّوهم نولي كل ظالم ظالمًا يحته على الشر ويحضه عليه، وينفّره عن الخير، ويزهده فيه؛ جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من المعاصي.

﴿١٣٠﴾ ونقول لهم يوم القيامة: يا معشر الإنس والجن، ألم يأتكم رسل من جنسكم - فهم من الإنس - يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا الذي هو يوم القيامة؟ قالوا: بلى، أقرنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا، وأقرنا بقاء هذا اليوم، لكن كذبنا رسلك، وكذبنا بقاء هذا اليوم، وخدعهم الحياة الدنيا بما فيها من زينة وزُخرف ونعيم زائل، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسوله، ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان؛ لفوات وقته.

﴿١٣١﴾ ذلك الإعتذار بإرسال الرسل إلى الإنس والجن لثلا يعاقب أحد على ما جناه وهو لم يُرسل إليه رسول، ولم تبلغه دعوة، فلم نعذب أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

﴿١٣٢﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - سئ الله في الضلال والهداية أنهما من عنده تعالى، أي بخلقه وإيجاده، وهما من فعل العبد باختياره بعد مشيئة الله.
- ٢ - ولاية الله للمؤمنين بحسب أعمالهم الصالحة، فكلما زادت أعمالهم الصالحة زادت ولايته لهم والعكس.
- ٣ - من سئ الله أن يولي كل ظالم ظالمًا مثله، يدفعه إلى الشر ويحته عليه، ويزهده في الخير وينفّره عنه.

﴿١٣٦﴾ ولكل منهم درجات بحسب أعمالهم، فلا يستوي كثير الشر وقليله، ولا التابع والمتبوع، كما لا يستوي ثواب الذين يعملون الصالحات، وليس ربك بغافل عما كانوا يعملونه، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٣٧﴾ وربك - أيها الرسول - هو الغني عن عباده، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم فهو ذو رحمة بهم، إن يشأ إهلاككم - أيها العباد العصاة - يستأصلكم بعذاب من عنده، ويوجد بعد إهلاككم من يشاء ممن يؤمنون به ويطيعونه، كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

﴿١٣٨﴾ إن ما توعدون به - أيها الكفار - من البعث والنشور والحساب والعقاب لا تـ محالة، ولن تفوتوا ربكم بالهرب، فهو آخذ بنواصيكم، ومعذبكم بعذابه.

﴿١٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: يا قوم اثبتوا على طريقكم وما أنتم عليه من الكفر والضلال، فقد أعذرت وأقمت الحجة عليكم بالبلاغ المبين، فلست مباليًا بكفركم وضلالكم، بل سأثبت على ما أنا عليه من الحق، فستعلمون من يكون له النصر في الدنيا، ومن يرث

الأرض، ومن له الدار الآخرة، إنه لا يفوز المشركون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل عاقبتهم الخسران، وإن تمتعوا بما تمتعوا به في الدنيا.

﴿١٤٠﴾ وابتدع المشركون بالله أن جعلوا الله مما خلق من الزروع والأنعام قسماً، فزعموا أنه الله، وقسماً آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خصصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خصصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.

﴿١٤١﴾ وكما حسن الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حسن لكثير من المشركين شركاؤهم من الشياطين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر؛ ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء ذلك لحكمة بالغة، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين وافتراءهم الكذب على الله، فإن ذلك لا يضرك، وسلم أمرهم لله.

﴿١٤٢﴾ فاولاد من الآيات:

- ١ - تفاوت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات يوجب تفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.
- ٢ - دَمَّ الله المشركين بسبع صفات هي: الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء، فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم.

﴿١٣٨﴾ وقال المشركون: هذه أنعام وزروع ممنوعة لا يأكل منها إلا من يشاؤون بزعمهم وافترائهم من خدام الأوثان وغيرهم، وهذه أنعام حُرِّمت ظهورها وأنعم لا يذكرون اسم الله عليها أفتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴿١٣٩﴾ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميته فمهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليهم ﴿١٤٠﴾ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله أفتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿١٤١﴾ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا أثمروا أثوا حقاً يوم حصاده ولا تشرفوا عليه لا يحب المسرفين ﴿١٤٢﴾ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿١٤٣﴾

﴿١٣٨﴾ وقالوا: ما في بطون هذه السوايب والبخائر من الأجنة إن وُلِدَ حيّاً حلال على ذكورنا، مُحَرَّم على نساتنا، وإن وُلِدَ ما في بطونها من الأجنة ميتاً فالذكور والإناث فيه شركاء. سيجزيهم الله تعالى بقولهم هذا ما يستحقون، إنه حكيم في تشريعه وتدبيره شؤون خلقه، عليم بهم.

﴿١٣٩﴾ قد هلك الذين قتلوا أولادهم لخفة عقولهم ولجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام ناسبين ذلك إلى الله كذباً، قد ضلوا عن الصراط المستقيم، وما كانوا مهتدين إليه.

﴿١٤٠﴾ والله سبحانه هو الذي خلق بسايتين مبسوطة على وجه الأرض دون ساق،

ومرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل، وخلق الزرع مختلفاً ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والرمون متشابهاً ورقهما، وغير متشابه طعمهما، كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأدوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، فالله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيهما ولا في غيرهما، بل يبغضه، إن الذي خلق ذلك كله هو الذي أباحه لعباده، فليس للمشركين تحريمه.

﴿١٤١﴾ وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام ما هو صالح لأن يُحْمَلَ عليه ككبار الإبل، وما ليس صالحاً لذلك كصغاره وكالغنم، كلوا - أيها الناس - مما رزقكم الله من هذه الأشياء التي أباحها لكم، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله كما يفعله المشركون، إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو واضح العداوة حيث يريد منكم أن تعصوا الله بذلك.

﴿١٤٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأهواء سبب تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله.
- ٢ - وجوب الزكاة في الزروع والثمار عند حصادها، مع جواز الأكل منها قبل إخراج زكاتها، ولا يُخَسَّب من الزكاة.
- ٣ - التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاوزة الحد في الأكل والإنفاق.
- ٤ - الشيطان عدو للإنسان فيجب مخالفته فيما يأمر وينهى.

﴿١٣٦﴾ خَلَقَ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ، مِنَ الضَّأْنِ زَوْجَيْنِ: ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَمِنَ الْمَعْزَ اثْنَيْنِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ -: هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّكَرَيْنِ مِنْهُمَا لَعَلَّ الذَّكَورَةَ، فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَحَرِّمُونَ الْإِنَاثَ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأُنْثَيَيْنِ لِعَلَّةِ الْأُنُوثة؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَحَرِّمُونَ الذَّكَرَيْنِ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ لِعَلَّةِ اشْتِمَالِ الرَّحِمِ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ بِتَحْرِيمِ ذِكْوَرِهِ تَارَةً وَتَحْرِيمِ إِنَاثِهِ تَارَةً، أَخْبِرُونِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا تَسْتَنْدُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ.

﴿١٣٧﴾ وَبَقِيَةُ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ هِيَ: زَوْجَانِ مِنَ الْإِبِلِ، وَزَوْجَانِ مِنَ الْبَقَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ: اللَّهُ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْهَا لَذِكْوَرَتِهِ، أَمْ لِأُنُوثَتِهِ، أَمْ لِاشْتِمَالِ الرَّحِمِ عَلَيْهِ؟ أَمْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - حَاضِرِينَ - بِزِعْمِكُمْ - حِينَ وَصَاكُمْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، فَلَا أَحَدٌ أَعْظَمَ ظُلْمًا، وَلَا أَكْبَرَ جُرْمًا مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَنَسَبَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحَرِّمْ؛ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَغَيْرِ عِلْمٍ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْهُدَايَةِ الظَّالِمِينَ بِافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ.

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَحْنُ نَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٧﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ هَدْلًا غَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٣٩﴾

﴿١٣٨﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحَاةَ اللَّهِ إِلَيَّ شَيْئًا مُحَرَّمًا إِلَّا مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ، أَوْ كَانَ دَمًا سَائِلًا، أَوْ كَانَ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ نَجَسٌ حَرَامٌ، أَوْ كَانَ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ كَالْمَذْبُوحِ لِأَصْنَامِهِمْ، فَمِنْ الْجُنَاحَةِ الْغَرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرُمَاتِ لَشِدَّةِ الْجُوعِ غَيْرِ طَالِبٍ تَلَذُّذًا بِأَكْلِهَا، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حَدَّ الْغَرُورَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - غَفُورٌ لِلْمُضْطَرِّ إِنْ أَكَلَ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِ.

﴿١٣٩﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْأُمَّةِ ذَكَرَ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْيَهُودِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ لَا يَسْتَنْدُونَ فِيهِ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ إِهْلَاءَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: وَحَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ مَا لَمْ تَتَفَرَّقْ أَصَابِعُهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِلَّا مَا عَلِقَ بِظُهُورِهِمَا أَوْ مَا حَمَلَتْهُ الْأَمْعَاءُ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمِ الْإِلِيَةِ وَالْجَنْبِ مَثَلًا، وَقَدْ جَازَيْنَاهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا نَخْبِرُ بِهِ.

﴿١٤٠﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ:

- ١ - فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْمُنَاطَرَةِ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ، وَإِثْبَاتِ الْقَوْلِ بِالنَّظَرِ وَالْقِيَاسِ.
- ٢ - الْوَحْيُ وَمَا يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ هُوَ الطَّرِيقُ لِمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.
- ٣ - إِنْ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَى الْإِفْتَاءِ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ يَفْتِي بِالصَّوَابِ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ.
- ٤ - مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعْبَادِهِ الْإِذْنَ لَهُمْ فِي تَنَاوُلِ الْمَحْرُمَاتِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ.
- ٥ - الْمَحْرُمَاتُ كُلُّهَا رَجَسٌ وَخَبَثٌ، وَهِيَ مِنَ الْخَبَائِثِ الْمُسْتَقْذَرَةِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، صِيَانَةُ لَهُمْ، وَتَكْرِمَةٌ.
- ٦ - مِنْ مَقَاصِدِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِرَاعَاةُ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا، وَالْحَرَصُ عَلَى صَلَاحِ النَّفْسِ وَالْمَجْتَمَعِ.

﴿٧٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ - أيها الرسول - ولم يصدقوا بما جئت به من ربك فقل ترغيباً لهم: ربكم ذو رحمة واسعة، ومن رحمته بكم إمهاله لكم، وعدم معاجلته لكم بالعذاب، وقل لهم تحذيراً لهم: إِنَّ عَذَابَهُ لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَالْآثَامَ.

﴿٧٨﴾ سَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ محتجين بمشيئة الله وقدره على صحة إشراكهم بالله: لو شاء الله أن لا نشرك نحن ولا آباؤنا بالله لما أشركنا به، ولو شاء الله أن لا نحرم ما حرمناه على أنفسنا لما حرمناه. ويمثل حجتهم الداحضة كذب الذين من قبلهم برسلمهم قائلين: لو شاء الله أن لا نكذب بهم لما كذبنا بهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وأن تحللوا ما حرمه وتحرّموا ما أحله؟ فمجرد وقوع ذلك منكم ليس دليلاً على رضا عنكم، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما أنتم إلا تكذبون.

﴿٧٩﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين: إن لم تكن حجج إلا هذه الحجج الواهية فإن الله الحجة القاطعة التي تنقطع عندها معاذيركم التي تقدمونها، وتبطل بها شبهكم التي تتعلقون بها،

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتٍ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعِدُلُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمْلَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾

فلو شاء الله توفيقكم جميعاً للحق - أيها المشركون - لوفّقكم له.

﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله، ويدعون أن الله هو الذي حرمه: أحضروا شهودكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرمتوها، فإن شهدوا بغير علم على أن الله حرّمها فلا تصدقهم - أيها الرسول - في شهادتهم؛ لأنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء الذين يُحْكَمُونَ أهواءهم، فقد كذبوا بآياتنا حين حرّموا ما أحل الله لهم، ولا تتبع الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم بربهم يشركون، وكيف يُتَّبَعُ من هذا مسلكه مع ربه؟! ﴿١٦٣﴾ قل - أيها الرسول - للناس: تعالوا أقرأ عليكم ما حرمه الله، حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً من مخلوقاته، وأن تعفوا آباءكم، بل يجب عليكم الإحسان إليهم، وأن تقتلوا أولادكم بسبب الفقر، كما كان يفعل أهل الجاهلية، نحن نرزقكم ونرزقهم، وحرم أن تقرّبوا الفواحش ما أُغْلِنَ منها وما أُسِرَّ به، وأن تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كالزنا بعد الإحصان، والردة بعد الإسلام، ذلكم المذكور وصّاكم به لعلكم تعقلون عن الله وأوامره ونواهيه.

﴿١٦٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يُلَاقُونَ:

- ١ - الحذر من الجرائم الموصلة لبأس الله؛ لأنه لا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أَرَادَهُ.
- ٢ - أن الحجة لا بد أن تكون مُسْتِنِدَةً إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مُسْتِنِدَةً إلى مجرد الظن والخرص الذي لا يغني من الحق شيئاً فإنها باطلة.
- ٣ - الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد أن أعطى الله تعالى كل مخلوق قُدْرَةً وإرادة يتمكّن بها من فعل ما كُلِّفَ به؛ ظلم مَحْضٌ وعناد صرف.
- ٤ - دَلَّتْ الآيات على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.
- ٥ - النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.

﴿١٥٦﴾ وَحَرَّمَ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لِمَالِ الْيَتِيمِ - وهو الذي فقد أباه قبل البلوغ - إلا بما فيه صلاح ونفع له وزيادة لماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرُّشد، وحرَّم عليكم التَّطفيف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأخذ والإعطاء في البيع والشراء، لا تكلف نفساً إلا طاعتها، فما لا يمكن الاحتراز منه من الزيادة أو النقصان في المكايل وغيرها لا مؤاخذه فيه، وحرَّم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون مُحاباة قريب أو صديق، وحرَّم عليكم نقض عهد الله إن عاهدتم الله أو عاهدتم بالله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، ذلك المتقدم أمركم الله به أمراً مؤكداً؛ رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

﴿١٥٧﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا سُبُلَ الضَّلَالِ وطرقه، بل يجب عليكم اتباع طريق الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وطرق الضلال تؤدي بكم إلى التفرق والبعد عن طريق الحق، ذلك الاتباع لطريق الله المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ رجاء أن تتقوه بامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

﴿١٥٨﴾ ثم بعد الإخبار بما ذكر نخبر أننا أعطينا موسى التوراة تماماً للنعمة جزاءً على إحسانه العمل، وتبييناً لكل شيء يحتاج إليه في الدين، ودلالة على الحق ورحمة رجاء أن يؤمنوا ببقاء ربه يوم القيامة فيستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿١٥٩﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه كثير البركة؛ لما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدينية، فاتبعوا ما أنزل فيه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا.

﴿١٦٠﴾ لئلا تقولوا - يا مشركي العرب -: إنما أنزل الله التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى من قبلنا، ولم ينزل علينا كتاباً، وإنا لا ندري تلاوة كتبهم لأنها بلغتهم، وليست بلغتنا.

﴿١٦١﴾ ولئلا تقولوا: لو أنزل الله علينا كتاباً كما أنزل على اليهود والنصارى لكُنَّا أكثر استقامة منهم، فقد جاءكم كتاب أنزل الله على نبيكم محمد ﷺ، وذلك حجة واضحة وإرشاد إلى الحق ورحمة للأمة، فلا تعتذروا بالأعذار الواهية، وتتعلموا بالعلل الباطلة، ولا أحد أعظم ظلماً ممن كذب بآيات الله، وانصرف عنها، ستعاقب الذين ينصرفون عن آياتنا عقاباً شديداً بإدخالهم في نار جهنم جزاءً على انصرافهم وإعراضهم عنها.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - لا يجوز التصرف في مال اليتيم إلا في حدود مصلحته، ولا يُسلم ماله إلا بعد بلوغه الرُّشد.

٢ - التكاليف الشرعية كلها في وسع الناس رحمة من الله تعالى.

٣ - يجب على القضاة العدل بين الخصوم.

٤ - تكفل الله تعالى بأرزاق الخلائق كلهم.

٥ - سبل الضلال كثيرة، وسبيل الله وحده هو المؤدي إلى النجاة من العذاب.

٦ - الأعذار الكاذبة والحجج الواهية لن تنفع أصحابها.

﴿١٥٨﴾ ما ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم في الدنيا، أو يأتي ربك يوم الفصل في الآخرة - أيها الرسول - لفصل القضاء بينهم، أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة، يوم يأتي بعض آيات ربك - كطلوع الشمس من مغربها - لا ينفع كافراً إيمانه، ولا ينفع مؤمناً لم يعمل خيراً من قبله عمله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: انتظروا أحد هذه الأشياء، إنا منتظرون.

﴿١٥٩﴾ إن الذين جعلوا دينهم متفرقاً من اليهود والنصارى، حيث أخذوا بعضه وتركوا بعضه، وكانوا فرقةً مختلفين لست - أيها الرسول - منهم في شيء، فأنت بريء مما هم عليه من الضلال، وليس عليك إلا إنذارهم، فأمرهم موكل إلى الله، ثم هو يوم القيامة يخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم عليه.

﴿١٦٠﴾ من جاء يوم القيامة من المؤمنين بحسنة ضاعفها الله له عشر حسنات، ومن جاء بسيئة فلن يعاقب إلا بمثلها في الخفة والعظم، لا أكثر منها، وهم يوم القيامة لا يُظلمون بنقص ثواب الحسنات، ولا بزيادة عقاب السيئات.

﴿١٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إني أرشدني ربي إلى طريق مستقيم هو طريق الدين القائم بمصالح الدنيا والآخرة، وهو ملة إبراهيم المائل إلى الحق، والذي لم يكن من المشركين قط.

﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن صلاتي وذبحي لله وعلى اسم الله، لا على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده، وليس لغيره نصيب في ذلك.

﴿١٦٣﴾ وهو سبحانه لا شريك له، ولا معبود بحق غيره، وبهذا التوحيد الخالص من الشرك أمرني الله، وأنا أول المؤمنين به من هذه الأمة.

﴿١٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب رباً وهو يَعْلَمُ رب كل شيء؟! فهو رب المعبودات التي تعبدونها من دونه، ولا يحمل بريء ذنب غيره، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختفلون فيه في الدنيا من أمر الدين.

﴿١٦٥﴾ والله هو الذي جعلكم خلائف لمن سبقكم في الأرض؛ للقيام بعمارتها، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات؛ ليختبركم فيما آتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب، فكل ما هو آت فهو قريب، وإنه لغفور لمن تاب من عباده رحيم به.

﴿١٦٦﴾ فإند من الآيات:

١ - أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف.

٢ - لا يجوز التسويف في القيام بالأعمال الصالحة خشية أن يُبْعَثَ الناس بانقطاع العمل؛ إما بالأجل، وإما بظهور أشرار الساعة الكبرى.

٣ - من تمام عدله تعالى وإحسانه أنه يجازي بالسيئة مثلاً، وبالْحَسَنَةِ عشرة أمثالها، وهذا أقل ما يكون من التضعيف.

٤ - الدين الحق القِيمُ يتطلب تسخير كل الطاقات الدينية الإنسانية لله ﷻ، فله وحده يتوجه العبد بصلاته وعبادته ومناسكه وذباحه وجميع قرباته وأعماله في حياته وما أوصى به بعد وفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَص ١ كَتَبَ اَنْزِلَ اِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اَتَّبِعُوا مَا اَنْزَلَ اِلَيْكُمْ
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ اَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣
وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا فَاَجَاءَهَا بَاسُنَا بَيِّنَاتٍ اَوْ هُمْ فَاقِلُونَ
٤ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ اِذْ جَاءَهُمْ بِاسُنَا اِلَّا اَن قَالُوا اِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِي اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَافِينَ ٧
وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
اَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْاَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٠
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ١١

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على سُنَّةِ الصراع بين الإيمان والكفر وعاقبته من خلال عرض سِيرِ الْأَنْبِيَاءِ مع أقوامهم.

﴿التفسير﴾:

١ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
٢ القرآن الكريم كتاب أنزله الله عليك - أيها الرسول - فلا يكن في صدرك منه ضيق ولا شك، أنزله إليك لتخوف به الناس، وتقيم به الحجة، ولتذكر به المؤمنين، فهم الذين يتفجعون بالذكرى.
٣ اتبعوا - أيها الناس - الكتاب الذي أنزله ربكم عليكم، وسُنَّةَ نبيكم، ولا تتبعوا أهواء من ترونهم أولياء من شياطين أو أحبار سوء، تتولونهم تاركين ما أنزل عليكم لأجل ما تُمْلِيهِ أهواؤهم، إنكم قليلًا ما تذكرون، إذ لو تذكروا لما أثرت على الحق غيره، ولا تبتغوا ما جاء به رسولكم، وعلمتم به، وتركتم ما سواه.
٤ ما أكثر القرى التي أهلكناها بعدابنا لما أصرت على كفرها وضلالها، فنزل عليها عذابنا الشديد في حال غفلتها ليلاً أو نهاراً، فلم يستطيعوا دفع العذاب عن أنفسهم، ولم تدفعه عنهم ألتههم المزعومة.

٥ فما كان منهم بعد نزول العذاب إلا أن أقروا على أنفسهم بظلمهم بالكفر بالله.

٦ فلنسألنَّ يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها رسلنا عما أجابوا به الرسل، ولنسألن الرسل عن تبليغ ما أمروا بتبليغه، وعما أجابتهم به أمهم.

٧ فلنقصنَّ على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا بعلم منا، فقد كنا عالمين بأعمالهم كلها، لا يغيب عنا منها شيء، وما كنا غائبين عنهم في أي وقت من الأوقات.

٨ ووزن الأعمال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جور معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفة حسناته على كفة سيئاته فأولئك هم الذين فازوا بالمطلوب، ونجوا من المهروب.

٩ ومن رجحت عند الوزن كفة سيئاته على كفة حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم القيامة، وبحرمانها من النعيم الأبدى بسبب جحدهم بآيات الله.

١٠ ولقد مكناكم - يا بني آدم - في الأرض، وجعلنا لكم فيها أسباباً للعيش، فكان عليكم أن تشكروا الله على ذلك، لكن شكركم كان قليلاً.

١١ ولقد أنشأنا - أيها الناس - آباءكم آدم، ثم صورناه في أحسن صورة، وأحسن تقويم، ثم أمرنا الملائكة بالسجود إكراماً له، فامتثلوا وسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد تكبراً وعناداً.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - من مقاصد إنزال القرآن الإنذار للكافرين والمعاندين، والتذكير للمؤمنين.

٢ - أنزل الله القرآن إلى المؤمنين ليتبعوه ويعملوا به، فإن فعلوا ذلك كملت تربيتهم، وتمت عليهم النعمة، وهُدُوا لأحسن الأعمال والأخلاق.

٣ - الوزن يوم القيامة لأعمال العباد يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه.

٤ - هيَّا الله الأرض لانتفاع البشر بها، بحيث يتمكنون من البناء عليها وحرثها، واستخراج ما في باطنها للانتفاع به.

﴿١٧﴾ قال الله تعالى توبخاً لإبليس: أي شيء منعك من امتثال أمري لك بالسجود لآدم؟ قال إبليس معجباً ربه: منعني أنني أفضل منه، فقد خلقتني من نار، وخلقته هو من طين، والنار أشرف من الطين. ﴿١٨﴾ قال الله له: اهبط من الجنة، فليس لك أن تكبر فيها؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فما يجوز لك أن تكون فيها، إنك - يا إبليس - من الحقييرين الذليلين، وإن كنت ترى نفسك أنك أشرف من آدم. ﴿١٩﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني إلى يوم البعث حتى أغوي من أستطيع إغواؤه من الناس.

﴿٢٠﴾ قال له الله: إنك - يا إبليس - من الممهّلين الذين كتبت عليهم الموت يوم النفخة الأولى في الصور حين يموت الخلق كلهم، ويبقى خالقهم وحده.

﴿٢١﴾ قال إبليس: بسبب إضلالك إياي حتى تركت امتثال أمريك بالسجود لآدم لأقعدن لبني آدم على صراطك المستقيم؛ لأصرفهم وأضلهم عنه كما ضللت أنا عن السجود لأبيهم آدم.

﴿٢٢﴾ ثم لايتبهم من جميع الجهات بالترهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتحسين الشهوات، ولا تجد - يا رب - أكثرهم شاكرين لك؛ لما أملية عليهم من الكفر.

﴿٢٣﴾ قال الله له: اخرج - يا إبليس - من الجنة مذموماً مطروداً من رحمة الله، ولأملأن جهنم يوم القيامة منك ومن كل من اتبعك وأطاعك

﴿٢٤﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ بَينَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُوا أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْءَ وَمَا مَدْحُورًا لَّمِنَ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾ وَبَنَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَينَ النَّاصِحِينَ ﴿٣٤﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٥﴾

وعصى أمر ربه.

﴿٣٦﴾ وقال الله لآدم: يا آدم، اسكن أنت وزوجتك حواء الجنة، فكلما مما فيها من الطيبات ما شئتما، ولا تأكلا من هذه الشجرة (شجرة عينها الله لهما) فإنكما إن كراهة أكلتما منها بعد نهْيي لكمَا تكونا من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٣٧﴾ فوسوس لهما إبليس؛ ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وقال لهما: ما نهاكما الله عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين، وإلا كراهة أن تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿٣٨﴾ وحلف لهما بالله: إني لكمَا - يا آدم وحواء - لمن الناصحين فيما أشرت عليكما به.

﴿٣٩﴾ فَخَطَّهُمَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي كَانَا فِيهَا بِخَدَاعٍ مِنْهُ وَغُرُورٍ، فلما أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيََا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا ظَهَرَتْ لَهُمَا عَوْرَاتُهُمَا مَكْشُوفَةً، فَأَخَذَا يُزَيِّنَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ؛ لِيَسْتَرَا عَوْرَاتَهُمَا، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا قَائِلًا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَقُلْتُ لَكُمَا مُحْذَرًا لَكُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكُمَا بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ؟!

﴿٤٠﴾ فَوَالِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - إبليس أول من قاس برأيه فَضَّلَ ضلَالاً بعيداً.
- ٢ - دلت الآيات على أن من عصى مولاه فهو ذليل.
- ٣ - جواب الله تعالى لإبليس بالإنظار إخبار عن أمر تَحَقُّقٍ، وليس إجابة لطلبه؛ لأنه أهون على الله من أن يجيب له طلباً.
- ٤ - أعلن الشيطان عداوته لبني آدم، وتوعد أن يصدهم عن الصراط المستقيم بكل أنواع الوسائل والأساليب.
- ٥ - من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتبه ربه وهده.
- ٦ - ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب بالإصرار والعناد - فإنه لا يزداد من الله إلا بُعْداً.

﴿٢٢﴾ قال آدم وحواء: يا ربنا، ظلمنا أنفسنا بارتكاب ما نهيتنا عنه من الأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا ذنوبنا، وترحمنا برحمتك لنتكونن من الخاسرين بإضاعتنا حظنا في الدنيا والآخرة.

﴿٢٣﴾ قال الله لأدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم عدوا لبعض، ولكم في الأرض مكان استقرار إلى وقت معلوم، وتمتع بما فيها إلى أجل مسمى.

﴿٢٤﴾ قال الله مخاطباً آدم وحواء وذريتهما: في هذه الأرض تحيون مدة ما قدر الله لكم من آجال، وفيها تموتون وتدفنون، ومن قبوركم تخرجون للبعث.

﴿٢٥﴾ يا بني آدم، قد جعلنا لكم لباساً ضرورياً لستر عوراتكم، وجعلنا لكم لباساً كمالياً تتجملون به في الناس، ولباس التقوى التي هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه خير من هذا اللباس الحسي، ذلك المذكور من اللباس من آيات الله الدالة على قدرته، لعلمكم تذكرون نعمه عليكم فتشكرونها.

﴿٢٦﴾ يا بني آدم، لا يغرنكم الشيطان بتزيين المعصية بترك اللباس الحسي لستر العورة أو ترك لباس التقوى، فقد خدع أبويكم بتزيين الأكل من الشجرة حتى كان مآل ما زينه لهما أن أخرجهما من الجنة، وبدت لهما عوراتهما إن الشيطان وذريته يرونكم ويشاهدونكم وأنتم لا ترونهم ولا تشاهدونهم، فيلزمكم الحذر منه ومن ذريته، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بالله، وأما المؤمنون الذين يعملون الصالحات فلا سبيل لهم عليهم.

﴿٢٧﴾ وإذا ارتكب المشركون فاحشة اعتذروا بأنهم وجدوا آباءهم يرتكبونها، وأن الله أمرهم بذلك، قل - يا محمد - رداً عليهم: إن الله لا يأمر بالمعاصي، بل ينهى عنها، فكيف تدعون ذلك عليه؟ أتقولون - أيها المشركون - على الله ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟!

﴿٢٨﴾ قل - يا محمد - لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، وأمر أن تخلصوا له العبادة عموماً، وعلى وجه الخصوص في المساجد، وأن تدعوه وحده مخلصين له الطاعة، كما خلقكم من عدم أول مرة يعيدكم أحياء مرة أخرى، فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادتكم وبعثكم.

﴿٢٩﴾ وقد جعل الله الناس فريقين: فريقاً منكم هداة، ويسر له أسباب الهداية، وصرف عنه موانعها، وفريقاً آخر وجبت عليهم الضلالة عن طريق الحق، ذلك أنهم صيروا الشياطين أولياء من دون الله، فانقادوا لهم جهلاً، وهم يظنون أنهم مهتدون إلى الصراط المستقيم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - اللباس نوعان: ظاهري يستر به العبد عورته، وباطني وهو التقوى الذي يستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح.

٢ - كثير من أعوان الشيطان يدعون إلى نزع اللباس الظاهري؛ لتكشف العورات، فيهون على الناس فعل المنكرات وارتكاب الفواحش.

٣ - الأوامر والنواهي الشرعية تستند إلى الحكمة التامة، وتتضمن مصلحة للبشر.

٤ - أن الهداية بفضل الله ومثته، وأن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى - بجهله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال.

﴿٣١﴾ يا بني آدم، البسوا ما يستر عورتكم، وما تتجملون به من اللباس النظيف الطاهر عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا ما شئتم من الطيبات التي أحلها الله، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في ذلك، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدود الاعتدال.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول - رداً على المشركين الذين يُحَرِّمون ما أحل الله من اللباس والطيبات من المأكولات وغيرها: من الذي حَرَّمَ عليكم اللباس الذي هو زينة لكم؟ ومن الذي حَرَّمَ عليكم الطيبات من المأكولات والمشروبات وغيرها مما رزقكم الله؟ قل - أيها الرسول -: إن تلك الطيبات من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغيرها للمؤمنين في الحياة الدنيا، وإن شَرَكْهم غيرهم فيها في الدنيا فهي خاصة بهم يوم القيامة، لا يَشْرِكْهم فيها كافر؛ لأن الجنة محرمة على الكافرين، مثل هذا التفصيل نُفَصِّل الآيات لقوم يتدبرون؛ لأنهم الذين ينتفعون بها.

﴿٣٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله: إن الله إنما حرم على عباده الفواحش، وهي قبائح الذنوب، ظاهرة كانت أو باطنة، وحرم المعاصي كلها، والاعتداء ظلماً على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وحرم عليكم أن تشركوا مع الله غيره مما ليس لكم حجة فيه، وحرم عليكم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه.

﴿٣٤﴾ ولكل جيل وقرن مدة وميقات محدد لأجلهم، فإذا جاء ميقاتهم المُقَدَّر لا يتأخرون عنه زمناً وإن قل، ولا يتقدمون عليه.

﴿٣٥﴾ يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون عليكم ما أنزلت عليهم من كتابي فأطيعوهم، واتبعوا ما جاؤوا به، فالذين يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ويصلحون أعمالهم لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٣٦﴾ وأما الكافرون الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، وترَفَّعوا تكبراً عن العمل بما جاءتهم به رسلهم فإنهم أصحاب النار الملازمون لها الماكثون فيها أبداً.

﴿٣٧﴾ لا أحد أظلم من الذي يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كذب بآياته الجليلة الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حُظْمُ المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من ملذات الدنيا، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم قالوا لهم توبيخاً لهم: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! ادعوها لتنفعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهب عنا الآلهة التي كنا نعبد وغبنا، فلا ندري أين هي، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

﴿٣٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله من خلال ستر العورة والتجمل في أثناء صلاته وخاصة عند التوجه للمسجد.
- ٢ - من تمام عناية الله بخلقه أن أباح لهم الطيبات؛ لتكون عوناً لهم على طاعة الله، كما حَرَّمَ عليهم الخبائث لما لها من آثار سيئة في الدنيا والآخرة.
- ٣ - في الآيات دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع، وإذا لحقهم فمألهم الأمن.
- ٤ - أظلم الناس من عطل مراد الله تعالى من جهتين: جهة إبطال ما يدل على مراده، وجهة إيهام الناس بأن الله أراد منهم ما لا يريده الله.

﴿٣٨﴾ قَالَتْ لَهُمِ الْمَلَائِكَةُ: ادخلوا - أيها المشركون - في جملة أمم قد مضت من قبلكم على الكفر والضلال من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة من الأمم لعنت أختها التي سبقتها إلى النار، حتى إذا تلاحقوا فيها، واجتمعوا كلهم قالت أكرامهم دخولاً، وهم السفلة والأتباع لأولاهم وهم الكبراء والسادة: يا ربنا، هؤلاء الكبراء هم الذين أضلونا عن طريق الهداية، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً لتزيينهم الضلال لنا، قال الله رداً عليهم: لكل طائفة منكم نصيب من العذاب مضاعف، ولكنكم تجهلون ذلك ولا تدركونه.

﴿٣٩﴾ وقال السادة المتبوعون لأتباعهم: ليس لكم - أيها الأتباع - علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، فالعبرة بما كسبتم من الأعمال، ولا عذر لكم في اتباع الباطل، فذوقوا - أيها الأتباع - العذاب مثلما ذقناه بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي.

﴿٤٠﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا الواضحة، وتكبروا عن الانقياد والإذعان لها آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأعمالهم بسبب كفرهم، ولا لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة أبداً حتى يدخل الجمل - وهو من أعظم الحيوانات - في ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل، فالمعلق عليه وهو دخولهم الجنة مستحيل، ومثل هذا الجزاء يجزي الله من اشتد طغيانه.

﴿٤١﴾ لهؤلاء المكذبين المتكبرين من جهنم فراش يفتروشونه، ولهم من فوقهم ظلل من العذاب تغشاهم، ومثل هذا الجزاء نجزي المتجاوزين لحدود الله بكفرهم به وإعراضهم عنه.

﴿٤٢﴾ والذين آمنوا بربهم وعملوا من الأعمال الصالحة ما يستطيعون، ولا يكلف الله نفساً فوق ما تستطيعه، أولئك أصحاب الجنة يدخلونها ما كثين فيها أبداً.

﴿٤٣﴾ ومن تمام نعيمهم في الجنة أن نزع الله ما في قلوبهم من البغضاء والحقد، وأن أجرى الأنهار من تحتهم، وقالوا معترفين لله بإنعامه عليهم حين استقروا في منازلهم: الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه والصدق في الوعد والوعيد، ونودوا أن تلکم الجنة التي أوردكم الله إياها برحمته، وبما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة، التي تريدون بها وجه الله.

﴿٤٤﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - المودة التي كانت بين المكذبين في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة.
- ٢ - أرواح المؤمنين المتفادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تَعْرُجَ إلى الله، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه.
- ٣ - أرواح المكذبين المعرضين لا تفتح لها أبواب السماء، وإذا ماتوا وصعدت فهي تستأذن فلا يؤذن لها، فهي كما لم تصعد في الدنيا بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، فكذا لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.
- ٤ - أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

﴿٤٤﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار بعد دخول كل منهما منزله المُعَدُّ له : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة حقًا ، فقد أدخلنا إليها ، فهل وجدتم - أيها الكفار - ما توعدهم الله به من النار حقًا؟ قال الكفار: لقد وجدنا ما توعدنا به من النار حقًا ، فننادى مُنَادٍ داعيًا الله أن يطرد الظالمين من رحمته ، فقد فتح لهم أبواب رحمته فأعرضوا عنها في الحياة الدنيا .

﴿١٩﴾ هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن سبيل الله بأنفسهم، ويحملون غيرهم على الإعراض عنها، ويرجون أن تكون سبيل الحق مغفوة حتى لا يسلكها الناس، وهم بالآخرة جاحدون غير مؤمنين بها، ولا مستعدين لها.

وبين هذين الفريقين: أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز يسمى الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، هم يعرفون أصحاب الجنة بعلاماتهم كيباض وأصحاب النار بعلاماتهم كسوادها، نادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة تكريماً لهم قائلين: سلام عليكم. لم يدخل هؤلاء الجنة بعد، وهم يأملون دخولها برحمة من الله. وإذا حُوِّلَتْ أبصار هؤلاء الرجال إلى أصحاب النار، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب الشديد قالوا داعين الله: يا ربنا، لا تصيرنا مع لقوم الظالمين بالكفر والشرك بك.

﴿٥٨﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم وزرقة عيونهم قائلين لهم: لم ينفعكم ما كنتم تجمعون للصد عن سبيل الله، وما نفعكم إغراضكم عن الحق تكبراً واستعلاءً.

﴿٥٩﴾ قالوا للكفار مشيرين إلى المؤمنين: أهؤلاء هم الذين حلقتهم أن لا ينالهم الله برحمة من عنده، وقالوا للمؤمنين: ادخلوا - أيها المؤمنون - الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا لما لقيتم من النعيم المقيم.

﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ملتسمين منهم قائلين: أفيضوا علينا - يا أصحاب الجنة - من الماء، أو مما رزقكم الله من الطعام، قال أصحاب الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين بسبب كفرهم، وإننا لنُستغفركم بما حرمه الله عليكم.

﴿٥١﴾ هؤلاء الكافرون هم الذين صَيِّرُوا دينهم باطلاً ولهواً، وخدعتهم الحياة الدنيا بِزُخْرُفِها وزينتها، فيوم القيامة ينسأهم الله، ويتركهم يقاسون العذاب كما نسوا لقاء يوم القيامة فلم يعملوا له، ولم يستعدوا، ولجحودهم بحجج الله وبراهينه وإنكارهم لها مع علمهم بأنها حق.

فوائد من الآيات:

- ١ - عدم الإيمان بالبعث سبب مباشر للإقبال على الشهوات.
- ٢ - يتيقن الناس يوم القيامة تحقق وعد الله لأهل طاعته، وتحقيق وعيده للكافرين.
- ٣ - الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق من النار، وبينهما فريق في مكان وسط لتساوي حسناتهم وسيئاتهم ومصيرهم إلى الجنة.
- ٤ - على الذين يملكون المال والجاه وكثرة الأتباع أن يعلموا أن هذا كله لن يغني عنهم من الله شيئاً، ولن ينجيهم من عذاب الله.

﴿٥٢﴾ ولقد جئناهم بهذا القرآن الذي هو كتاب منزل على محمد ﷺ، وقد بيناه على علم منا بما نبينه، وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الرشd والحق، ورحمة بهم لما فيه من الدلالة على خيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٣﴾ ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أخبرهم بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أخبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين نسوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحاً ننجو به بدل ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم.

﴿٥٤﴾ إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذي خلق السماوات، وخلق الأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، ثم استوى سبحانه على العرش استواء يليق بجلاله لا ندرك كيفيته، يذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً بحيث لا يتأخر عنه، فإذا ذهب هذا دخل هذا،

وخلق سبحانه الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مُدَلَّلَاتٌ مُهَيَّاتٌ، ألا الله وحده الخلق كله، فمن خالق غيره؟! وله الأمر وحده، تَقَدَّسَ عن كل نقص، فهو المتصف بصفات الجلال والكمال، رب العالمين.

﴿٥٥﴾ ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم بتذلل تام وتواضع خفية وسراً، مخلصين في الدعاء غير مرائين ولا مشركين به سبحانه غيره في الدعاء، إنه لا يجب المتجاوزين لحدوده في الدعاء، ومن أعظم التجاوز لحدوده في الدعاء دعاء غيره معه كما يفعل المشركون.

﴿٥٦﴾ ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل ﷺ وإعمارها بطاعته وحده، وادعوا الله وحده مستشعرين الخوف من عقابه، ومتظيرين حصول ثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين، فكونوا منهم.

﴿٥٧﴾ والله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مُبَشِّرَاتٍ بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب المُثْقَلُ بالماء سقنا السحاب إلى بلد مُجْلِبٍ فأنزلنا بالبلد الماء، فأخرجنا بالماء من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر على تلك الصورة نخرج الموتى من قبورهم أحياء، فعلنا ذلك رجاء أنكم - أيها الناس - تتذكرون قدرة الله وبديع صنعته، وأنه قادر على إحياء الموتى.

﴿فَوَازِلُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - القرآن الكريم كتاب هداية فيه تفصيل ما تحتاج إليه البشرية، رحمة من الله.
- ٢ - سوف يقع قطعاً ما وعد الله به، وحينها يتيقن الكفار صدق وعد الله.
- ٣ - خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام لحكمة أرادها سبحانه، ولو شاء لقال لها: كن فكانت.
- ٤ - يتعين على المؤمنين دعاء الله تعالى بكل خشوع وتضرع حتى يستجيب لهم بفضله.
- ٥ - الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله منهي عنه.

﴿٥٨﴾ وَالْأَرْضَ الطَّيْبَةَ تُخْرِجُ نَبَاتَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ إِخْرَاجًا حَسَنًا تَامًا، وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُ يَسْمَعُ الْمَوْعِظَةَ فَيَنْتَفِعُ بِهَا، فَتَنْتِجُ عَمَلًا صَالِحًا، وَالْأَرْضُ السَّبْخَةُ الْمَالِحَةُ لَا تُخْرِجُ نَبَاتَهَا إِلَّا عَسْرًا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَهَكَذَا الْكَافِرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْاعِظِ، فَلَا تَنْتِجُ عِنْدَهُ عَمَلًا صَالِحًا يَنْتَفِعُ بِهِ، مِثْلَ هَذَا التَّنَوُّعِ الْبَدِيعِ نَنُوعِ الْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ لِإثباتِ الْحَقِّ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ نِعْمَ اللَّهِ، فَلَا يَكْفُرُونَهَا، وَيَطِيعُونَ رِبَّهُمْ.

﴿٥٩﴾ لَقَدْ بَعَثْنَا نُوْحًا رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ بِحَقِّ غَيْرِهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ - يَا قَوْمِ - عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فِي حَالِ إِصْرَارِكُمْ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُ سَادَةُ قَوْمِهِ وَكِبَرَاؤُهُمْ: إِنَّا لَنَرَاكَ - يَا نُوحُ - فِي ضَلَالٍ وَاضِحٍ.

﴿٦١﴾ قَالَ نُوحٌ لِكِبَرَاءِ قَوْمِهِ: لَسْتُ ضَالًّا كَمَا زَعَمْتُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّي، فَأَنَا رَسُولُ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ.

﴿٦٢﴾ أَبْلَغَكُمْ مَا أَرْسَلَنِي اللَّهُ بِهِ إِلَيْكُمْ مِمَّا أَوْحَى إِلَيَّ، وَأُرِيدُ لَكُمْ الْخَيْرَ بِتَرْغِيْبِكُمْ فِي امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ، وَتَرْهِيْبِكُمْ مِنْ ارْتِكَابِ نَوَاهِيهِ وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَّمَنِي عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ.

﴿٦٣﴾ أَثَارَ عَجَبِكُمْ وَاسْتِغْرَابِكُمْ أَنْ جَاءَكُمْ وَحْيٌ وَمَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ تُعْرِفُونَهُ؟! فَقَدْ نَشَأَ فِيكُمْ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَابًا وَلَا ضَالًّا، وَلَيْسَ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ، جَاءَكُمْ لِيُخَوِّفَكُمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ إِنْ كَذَبْتُمْ وَعَصَيْتُمْ، وَلِتَتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَرَجَاءِ أَنْ تُرْحَمُوا إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ.

﴿٦٤﴾ فَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، بَلْ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَهْلِكَهُمُ اللَّهُ، فَسَلَمْنَاهُ وَسَلَمْنَا الَّذِينَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْغَرَقِ، وَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْغُرُقِ بِالطُّوفَانِ الْمَنْزُولِ عِقَابًا لَهُمْ، إِنْ قُلُوبُهُمْ كَانَتْ عَمِيًّا عَنِ الْحَقِّ.

﴿٦٥﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى قَبِيلَةِ عَادَ رَسُولًا مِنْهُمْ، هُوَ هُودٌ ؑ، قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ بِحَقِّ غَيْرِهِ، أَفَلَا تَتَّقُونَهُ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لَتَسْلَمُوا مِنْ عَذَابِهِ؟!

﴿٦٦﴾ قَالَ الْكِبَرَاءُ وَالسَّادَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَبُوا رَسُولَهُ: إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ - يَا هُودُ - فِي حَقٍّ وَطَيْشٍ حِينَ تَدْعُونَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَإِنَّا لَنَعْتَقِدُ جَازِمِينَ أَنَّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا تَدْعِينَا مِنْ أَنَّكَ مَرْسَلٌ.

﴿٦٧﴾ قَالَ هُودٌ رَدًّا عَلَى قَوْمِهِ: يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي حَقٌّ وَطَيْشٌ، بَلْ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿٦٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - الأرض الطيبة مثال للقلوب الطيبة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، وكما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يحييها الوحي، تقبله وتعلمه وتنتج بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، والعكس.
- ٢ - الأنبياء والمرسلون يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم.
- ٣ - من سئله الله إرسال كل رسول من قومه وبلسانهم؛ تأليفاً لقلوب الذين لم تفسد فطرتهم، وتيسيراً على البشر في التفاهم والتعارف.
- ٤ - من أعظم السفهاء من قابل الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للعلماء والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد.

﴿٦٨﴾ أبلغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم من توحيده وشرعه، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه أمين، لا أزيد فيه ولا أنقص.

﴿٦٩﴾ أو أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم تذكير من ربكم على لسان رجل من جنسكم، ليس من جنس الملائكة أو الجن لينذركم؟! واحمدوا ربكم واشكروه على أن مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون قوم نوح الذين أهلكهم الله بكفرهم، واشكروا الله أن خصكم بعظم الأجسام والقوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله الواسعة عليكم رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتتجوا من المرهوب.

﴿٧٠﴾ قال قومه له: أجنثنا - يا هود - لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما كان يعبد آباؤنا؟! فاتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٧١﴾ فرد عليهم هود قائلاً: لقد استوجبت عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وليس لها حقيقة؟! فما نزل الله حجة تحتاجون بها على ما تدعون لها من الألوهية، فانتظروا ما طلبتم تعجيله لكم من العذاب، وأنا معكم من المنتظرين، فهو واقع.

﴿٧٢﴾ فسلمنا هوداً عليه السلام ومن كان معه من المؤمنين برحمة منا، واستأصلنا بالهلاك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين، فاستحقوا العذاب.

﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، قال لهم صالح: يا قوم، اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم برهان من الله على صدق ما جئتمكم به، يتمثل في ناقة تخرج من صخرة، لها وقت تشرب فيه، ولكم شرب يوم معلوم، فاتركوها تاكل في أرض الله، فليس عليكم من مؤنتها شيء، ولا تصيبوها بأذى، فيصيبكم بسبب إيذائها عذاب موجه.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

- ١ - ينبغي التحلي بالصبر في الدعوة إلى الله تأسيساً بالأنبياء عليه السلام.
- ٢ - من أولويات الدعوة إلى الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورفض ونبذ الإشراك به.
- ٣ - الاغترار بالقوة المادية والجسدية يصرف صاحبها عن الاستجابة لأوامر الله ونواهي.
- ٤ - النبي يكون من جنس قومه، لكنه من أشرفهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم معشراً، وأرفعهم خلقاً وأدباً.
- ٥ - الأنبياء وورثتهم يقابلون السفهاء بالحلم، ويغضون عن قول السوء بالصفح والعفو والمغفرة.
- ٦ - إن نتيجة التمرّد والعتو والطغيان هي الانهيار والدمار.
- ٧ - من سنة الله إنجاء المؤمنين، وإهلاك المعرضين.

﴿٧٤﴾ واحمدوا الله أن جعلكم خلفاء في الأرض، وأنزلكم فيها تتمتعون بها، وتدركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكفر والتكذيب، تبنون في سهول الأرض القصور، وتنحتون من الجبال بيوتاً لكم، فاذكروا نعم الله عليكم لشكروا الله عليها، واتركوا السعي في الأرض بالفساد، وذلك بترك الكفر بالله وترك المعاصي.

﴿٧٥﴾ قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قومه للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم: أتعلمون - أيها المؤمنون - أن صالحاً رسول من الله حقاً؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقرّون ومقادون، وبشره عاملون.

﴿٧٦﴾ قال المُستعلون من قومه: إنا بالذي صدقتم به - أيها المؤمنون - كافرون، فلن نؤمن به، ولن نعمل بشرعه.

﴿٧٧﴾ فنحروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بأيذاء، مستكبرين عن امتثال أمر الله، وقالوا مستهزئين مُستبَعدين لما توعدهم به صالح: يا صالح، جئنا بما تعدنا به من العذاب الأليم إن كنت من رسل الله حقاً.

﴿٧٨﴾ فجاء الكافرين ما استعجلوه من العذاب، حيث أخذتهم الزلزلة الشديدة،

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْأَمْلَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلَحَ نَحْنُ سَلُّ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَافَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

فأصبحوا صرعى ملتصقة وجوههم وركبهم بالأرض، لم ينج منهم أحد من الهلاك.

﴿٧٩﴾ فأعرض صالح ﷺ عن قومه بعد اليأس من استجابتهم، وقال لهم: يا قوم، لقد بلغتكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ونصحتكم مرغياً لكم ومرهّباً، ولكنكم قوم لا تحبون الناصحين الحريصين على دلاتكم على الخير وإبعادكم عن الشر.

﴿٨٠﴾ ولقد أرسلنا لوطاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله والبعد عن معصيته حين قال مستنكراً على قومه: أتأتون الفعلة المنكرة المُستقبحة وهي اللواط، هذه الفعلة التي ابتدعوها، فلم يسبقكم إلى ارتكابها أحد؟!

﴿٨١﴾ إنكم لتأتون الرجال لقضاء الشهوة دون النساء اللاتي خُلِقن لقضائهن، فلم تتبعوا في فعلتكم هذه عقلاً ولا نقلاً ولا فطرة، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بخروجكم عن حد الاعتدال البشري، وانحرافكم عما تقتضيه العقول السليمة، والفطر الكريمة.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - الاستكبار يتولد غالباً من كثرة المال والجاه، وقلة المال والجاه تحمل على الإيمان والتصديق والانقياد غالباً.

٢ - جواز البناء الرفيع كالقصور ونحوها؛ لأن من آثار النعمة: البناء الحسن مع شكر المنعم.

٣ - الغالب في دعوة الأنبياء أن يبادر الضعفاء والفقراء إلى الإصغاء لكلمة الحق التي جاؤوا بها، وأما السادة والزعماء فيتمردون ويستعلون عليها.

٤ - قد يعم عذاب الله المجتمع كله إذا كثر فيه الخَبْث، وعدم فيه الإنكار.

وما كان جواب قومه المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكره عليهم إلا أن قالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطاً وأتباعه من قريبتكم؛ إنهم أناس يتنزهون عن عملنا هذا، فلا يليق بنا أن يبقوا بين ظهرائنا.

فسلمناه وأهله حيث أمرناهم بالخروج ليلاً من القرية التي سيقع عليها العذاب، إلا أمراته فقد شملها العذاب؛ لأنها بقيت معهم، فأصابها ما أصابهم من العذاب.

وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بحجارة من سجيل، وقلبنا القرية، فجعلنا عاليها سافلها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم.

ولقد أرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم شعيباً عليه السلام، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جليلة على صدق ما جئتمكم به من ربي، أدوا إلى الناس حقوقهم بإكمال الكيل وإكمال الوزن، ولا تنقصوا الناس بعبع سلعهم، والتزهد فيها، أو المخادعة لأصحابها، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم مصدقين؛ لما فيه من ترك المعاصي اجتناباً لنهي الله عنها، ولما فيه من التقرب إلى الله بفعل ما أمر به.

ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، طالبين أن تكون سبيل الله معوجة حتى لا يسلكها الناس، واذكروا نعمة الله عليكم لتشكروها له، فقد كان عددكم قليلاً فكثركم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

وإن كان جماعة منكم صدقوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك فانظروا - أيها المكذبون - ما يحكم الله به بين الفريقين مما يتبين به المحق من المبطل، فسينصر المحق، ويمحق المبطل.

فوائد من الآيات: ١ - اللواط فاحشة تدل على انتكاس الفطرة، وأضراره عظيمة، وعقابه شديد. ٢ - تقوم دعوة الأنبياء - ومنهم شعيب عليه السلام - على أصليين: تعظيم أمر الله: ويشمل الإقرار بالتوحيد وتصديق النبوة. والشفقة على خلق الله: ويشمل ترك البخس وترك الإفساد وكل أنواع الإيذاء. ٣ - الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جرم اجتماعي في حق الإنسانية؛ لأن صلاح الأرض بالعقيدة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس. ٤ - من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها الذين يأخذون ما لا يحق لهم شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له. ٥ - عاقبة المفسدين المتمردين الخزي والنكال، لذلك لا بد من الامتناع عن الفساد والعصيان. ٦ - إن العلم وحده لا يكفي للإصلاح، وإنما لا بد في إصلاح الأمم والشعوب من تربية دينية، تقع الأجيال بمنافع الفضائل كالصدق والأمانة والعدل، وبمضار الانحراف والردائل؛ لأن الوازع النفسي أقوى من أي رادع أو وازع خارجي. ٧ - ضرورة تحلي المؤمنين بالصبر حتى ينصرهم الله على المبطلين ويظهرهم عليهم.

﴿٨٨﴾ قال الكبراء والرؤساء الذين استكبروا من قوم شعيب لشعيب ﷺ: لنخرجك - يا شعيب - من قريتنا هذه أنت ومن معك من الذين صدقوا بك، أو لترجعن إلى ديننا، قال لهم شعيب مفكراً ومتعجباً: أتتابعكم على دينكم وملتكم حتى لو كنا كارهين لها لعلمنا بطلان ما أنتم عليه؟! ﴿٨٩﴾ قد اختلفنا على الله كذباً إن نحن اعتقدنا ما أنتم عليه من شرك وكفر بعد أن سلمنا الله بفضلته منه، وما يصح ولا يستقيم لنا أن نرجع إلى ملتكم الباطلة إلا أن يشاء الله ربنا، لخضوع الجميع لمشيئته سبحانه، وسع ربنا كل شيء علماً، فيعلم ما يصلح لعباده، لا يخفى عليه منه شيء، على الله وحده اعتمدنا لثبتنا على الصراط المستقيم، ويعصمنا من طرق الجحيم، يا ربنا، احكم بيننا وبين قومنا الكافرين بالحق، فانصر صاحب الحق المظلوم على الظالم المعاند، فأنت - يا ربنا - خير الحاكمين.

﴿٩٠﴾ وقال الكبراء والرؤساء من قومه الرافضون لدعوة التوحيد مُحذرين من شعيب ودينه: لئن دخلتم - يا قومنا - في دين شعيب، وتركتم دينكم ودين آبائكم إنكم بذلك لهالكون. ﴿٩١﴾ فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا هلكى في ديارهم، منكبين على ركبهم ووجوههم، هلكى ميتين هامدين في دارهم. ﴿٩٢﴾ الذين كذبوا شعيباً هلكوا جميعاً، وصاروا كأنهم لم يقيموا بدارهم ولم يتمتعوا فيها، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين؛ لأنهم خسروا أنفسهم وما ملكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.

﴿٩٣﴾ وتولى عنهم نبيهم شعيب ﷺ لَمَّا هلكوا، وقال مخاطباً إياهم: يا قوم، لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تنقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟! ﴿٩٤﴾ وما أرسلنا في قرية من نبياً من أنبياء الله، فكذب أهلها وكفروا، إلا أخذناهم باليؤس والفقر والمرض رجاء أن يتدللوا لله فيتركوا ما هم عليه من الكفر والاستكبار. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر سنة الله في الأمم المكذبة.

﴿٩٥﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ باليؤس والمرض خيراً وسعة وأمناً حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا: ما أصابنا من الشر والخير هو عادة مطردة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من نَقَم يُراد به الاعتبار، وما أصابهم من نعم يُراد به الاستئراج، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يترقبونه.

﴿٩٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.

٢ - من سنة الله في عباده الإمهال؛ لكي يتعظوا بالأحداث، ويُقلعوا عما هم عليه من معاص وموبقات.

٣ - الابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، فأما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون.

٤ - الإيمان والعمل الصالح سبب لإفاضة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.

﴿٨٨﴾ قَالِ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِرِينَ ﴿٨٩﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَشْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَصِيحِينَ ﴿٩٠﴾ وَقَالَ لِلْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا أَنْتُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿٩١﴾ فَأَخَذْتُمْ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩٢﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَنْفَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِرِينَ ﴿٩٣﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٥﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٦﴾

﴿٩٧﴾

كأنهم لم يقيموا بدارهم ولم يتمتعوا فيها، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين؛ لأنهم خسروا أنفسهم وما ملكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.

﴿٩٣﴾ وتولى عنهم نبيهم شعيب ﷺ لَمَّا هلكوا، وقال مخاطباً إياهم: يا قوم، لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تنقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟! ﴿٩٤﴾ وما أرسلنا في قرية من نبياً من أنبياء الله، فكذب أهلها وكفروا، إلا أخذناهم باليؤس والفقر والمرض رجاء أن يتدللوا لله فيتركوا ما هم عليه من الكفر والاستكبار. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر سنة الله في الأمم المكذبة.

﴿٩٥﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ باليؤس والمرض خيراً وسعة وأمناً حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا: ما أصابنا من الشر والخير هو عادة مطردة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من نَقَم يُراد به الاعتبار، وما أصابهم من نعم يُراد به الاستئراج، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يترقبونه.

﴿٩٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.

٢ - من سنة الله في عباده الإمهال؛ لكي يتعظوا بالأحداث، ويُقلعوا عما هم عليه من معاص وموبقات.

٣ - الابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، فأما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون.

٤ - الإيمان والعمل الصالح سبب لإفاضة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.

﴿٩٦﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَدَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٧﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٨﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٩﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنُ شَأْنِهِمْ أَصَابَتْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا جَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن جَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿٩٧﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى الْمُكَذِّبَةُ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابُنَا لَيْلًا وَهُمْ نَائِمُونَ مستغرقون في راحتهم وهذوئهم؟ ﴿٩٨﴾ أَوَأَمِنُوا أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابُنَا نَهَارًا وقت الضحى، وهم لاهون غافلون لانشغالهم بدنبياهم؟

﴿٩٩﴾ انظروا إلى ما منحهم الله من الإمهال، وأنعم عليهم به من القوة وسعة الرزق استدراجاً لهم؛ أَفَأَمِنَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْقُرَى مَكْرَ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ الْخَفِيِّ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْهَالِكُونَ، وَأَمَّا الْمَوْفُقُونَ فَإِنَّهُمْ يَخَافُونَ مَكْرَهُ، فَلَا يَغْتَرُونَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا يَرُونَ مِتَّةً عَلَيْهِمْ، فَيَشْكُرُونَهُ.

﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَتَّبِعِ لِلَّذِينَ وَرَثُوا الْأَرْضَ بَعْدَ إِهْلَاكِ أَسْلَافِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يَعتَبِرُوا بِمَا حَلَّ بِهِمْ، بَلْ عَمِلُوا أَعْمَالَهُمْ، أَلَمْ يَتَّبِعِ لِهَؤُلَاءِ أَنَّ اللَّهَ لَوْ شَاءَ إصَابَتْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ لِأَصَابِهِمْ بِهَا كَمَا هِيَ سُنَّتُهُ؟ وَيَخْتَمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا تَتَّعِظُ بِمَوْعِظَةٍ، وَلَا تَنْتَفِعُهَا ذِكْرَى.

﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرَى السَّابِقَةُ - وهي قرى أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - نقصُ عليك - أيها الرسول - من أخبارها وما كانت عليه من تكذيب وعناد وما حل بها من هلاك؛ ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر، وموعظة لمن يتعظ، ولقد جاءت أهل هذه القرى برسلمهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كان الله ليهديهم إلى الحق بسبب تكذيبهم به أول مرة جزاء لهم على ردهم للحق مع وضوح أدلته. ومثل ختم الله على قلوب أهل هذه القرى المكذبين برسلمهم يختم الله على قلوب المكذبين بمحمد ﷺ، فلا يهتدون للإيمان.

﴿١٠٢﴾ وَمَا جَدْنَا لِأَكْثَرِ الْأُمَمِ الَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا الرُّسُلُ مِنْ ثَبَاتٍ وَالتَّزَامِ بِمَا أَوْصَى اللَّهُ بِهِ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُمْ انْقِيَادًا لِأَوَامِرِهِ، وَإِنَّمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ خَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿١٠٣﴾ ثُمَّ أُرْسِلْنَا بَعْدَ أَوَّلِكَ الرُّسُلِ مُوسَى ﷺ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ جَحَدُوا تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ وَكَفَرُوا بِهَا، فَتَأَمَّلْ - أيها الرسول - كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالْغَرَقِ، وَاتَّبَعَهُمُ اللَّعْنَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَى لَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُ: يَا فِرْعَوْنَ، إِنِّي مَرْسَلٌ مِنَ خَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَمَالِكُهُمْ وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ.

﴿١٠٥﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الصلة وثيقة بين سعة الرزق والقوى، وإن أنعم الله على الكافرين فإن هذا استدراج لهم ومكر بهم.
- ٢ - لا ينبغي الأمن من عذاب الله المفاجئ الذي قد يأتي في أية ساعة من ليل أو نهار.
- ٣ - يقص القرآن أخبار الأمم السابقة من أجل تثبيت المؤمنين وتحذير الكافرين.
- ٤ - الإفساد في الأرض من أقبح الأشياء، وعذاب المفسدين شديد كما حصل مع فرعون.

﴿١٤٥﴾ قال موسى: ولما كنتُ مرسلًا منه فأنا جدير بأن لا أقول عليه إلا الحق، قد جئتكم بحجة واضحة تدل على صدقي وأني مرسل من ربي إليكم، فأطلق معي بني إسرائيل مما كانوا فيه من الأسر والقهر.

﴿١٤٦﴾ قال فرعون لموسى: إن كنت جئت بآية كما تزعم فأت بها إن كنت صادقًا في دعواك.

﴿١٤٧﴾ فرمى موسى عصاه فتحولت حية عظيمة ظاهرة لمن يشاهدها.

﴿١٤٨﴾ وأخرج يده وأظهرها من فتحة قميصه من عند صدره أو من تحت إبطه فخرجت بيضاء من غير برص، تتلألأ للناظرين لشدة بياضها.

﴿١٤٩﴾ وقال الكبراء والرؤساء لما شاهدوا انقلاب عصا موسى حية وصيرورة يده بيضاء من غير برص: ليس موسى إلا ساحرًا قوي العلم بالسحر.

﴿١٥٠﴾ يقصد بما يقوم به أن يخرجكم من أرضكم هذه، وهي مصر. ثم استشارهم فرعون بشأن موسى ﷺ قائلاً لهم: ماذا تشيرون به علي من الرأي؟

﴿١٥١﴾ قالوا لفرعون: أخّر موسى وأخاه هارون، وابتعث في مدائن مصر من يجمع السحرة فيها. يأتلك هؤلاء الذين أرسلتهم لجمع السحرة من المدائن بكل ساحر ماهر بالسحر قوي في صناعته.

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٤٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٤٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّازِرِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالَ الْأَمْلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ
عَلَيْهِمْ ﴿١٤٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٥٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٥١﴾ يَأْتُونَكَ
بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٥٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُفْرِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْتَمِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١٥٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾ فَغُلِبُوا
هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٥٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ

﴿١٦٠﴾ فبعث فرعون من يجمع السحرة، فلما جاء السحرة فرعون سألوه: هل لهم مكافأة إن غلبوا موسى بسحرمهم وانتصروا عليه؟

﴿١٦١﴾ فأجابهم فرعون بقوله: نعم، إن لكم مكافأة وأجرًا، وستكونون من القريبين بالمناصب.

﴿١٦٢﴾ قال السحرة واثقين بنصرهم على موسى باستعلاء وتكبر: اختر - يا موسى - ما شئت من ابتدائك بإلقاء ما تريد إلقاءه أو ابتدائنا بذلك.

﴿١٦٣﴾ فأجابهم موسى واثقًا بنصر ربه له غير مبال بهم: ارموا حبالكم وعصيكم، فلما ألقوها سحروا أعين الناس بصرفها عن صحة إدراكها، وأرعبوه، وجاؤوا بسحر قوي في أعين الناظرين.

﴿١٦٤﴾ وأوحى الله إلى نبيه وكليمه موسى ﷺ: أن ارم - يا موسى - عصاك، فرماها، فانقلبت العصا حية تبتلع حبالهم وعصيهم التي كانوا يستعملونها في قلب الحقائق، وإيهام الناس أنها حيات تسعى.

﴿١٦٥﴾ فظهر الحق وتبين صدق ما جاء به موسى ﷺ، وتبين بطلان ما صنعه السحرة من السحر.

﴿١٦٦﴾ فغلّبوا وهزموا، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد، ورجعوا أذلاء مهقورين.

﴿١٦٧﴾ فما كان من السحرة حين شاهدوا عظيم قدرة الله، ورأوا الآيات البينات، إلا أن خروا سجدًا له ﷺ.

﴿١٦٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من حكمة الله ورحمته أن يجعل معجزة كل نبي من جنس ما كان غالبًا على أهل ذلك الزمان، فلما كان السحر غالبًا على أهل زمان موسى ﷺ كانت معجزته شبيهة بالسحر، وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة.

٢ - إن فرعون كان عبدًا ذليلاً مهينًا عاجزًا، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى ﷺ.

٣ - سجدوا السحرة لله وإيمانهم به سبحانه دليل على أثر الإيمان في نفوس البشر.

﴿١٢١﴾ فإذا جاء آل فرعون الخصب وصلاح الثمار ورخص الأسعار قالوا: أُعْطِينَا هَذِهِ لَاسْتِحْقَاقِنَا لَهَا وَاختِصَّاصِنَا بِهَا، وَإِنْ يَنْلَهُمْ أَوْ تُصِيبْهُمْ مَصِيبَةٌ مِنْ جَدْبٍ وَقَطْعٍ وَكَثْرَةِ أَمْرَاضٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّزَايَا يَتَشَاءُ مَوْأِجُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْحَقُّ أَنْ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلَا لِمَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ شَأْنٌ فِيهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَعَاءِ مَوْسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَيَنْسُبُونَهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

﴿١٢٢﴾ وقال قوم فرعون لموسى عليه السلام: عُنَادًا لِلْحَقِّ: أَيُ آيَةٍ وَدَلَالَةٍ جِئْتَنَا بِهَا، وَأَيُّ حُجَّةٍ أَقَمْتَهَا عَلَى بَطْلَانِ مَا عِنْدَنَا لِتَصْرِفَنَا عَنْهُ، وَعَلَى صَدَقِ مَا جِئْتَ بِهِ؟ فَلَنْ نَصْدُقَ بِكَ.

﴿١٢٣﴾ فأرسلنا عليهم عقابًا لهم على تكذيبهم وعنادهم الماء الكثير فأغرق زروعهم وثمارهم، وأرسلنا عليهم الجراد فأكل محاصيلهم، والقمل، وأرسلنا عليهم الضفادع فملأت أوعيتهم، وأفسدت أطعمتهم، وأرقت مضاجعهم، وأرسلنا عليهم الدم فتحولت مياه آبارهم وأنهارهم دمًا، أرسلنا كل ذلك آيات مُبَيِّنَاتٍ مَفْرَقَاتٍ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَمَعَ كُلِّ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ اسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ مَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانُوا قَوْمًا يَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ، وَلَا يَنْزِعُونَ عَنْ بَاطِلٍ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى حَقٍّ.

﴿١٢٤﴾ ولما أصابهم العذاب بهذه الأمور اتجهوا إلى موسى عليه السلام، فقالوا له: يَا مَوْسَى، ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا اخْتَصَّكَ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَبِمَا عَهْدَ إِلَيْكَ مِنْ رَفْعِ الْعَذَابِ بِالتَّوْبَةِ أَنْ يَرْفَعَ عَنَّا مَا أَصَابَنَا مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنْ رَفَعْتَ عَنَّا ذَلِكَ لِنَصْدُقَ بِكَ، وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَنُطْلِقَهُمْ.

﴿١٢٥﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب إلى مدة معلومة قبل إهلاكهم بالغرق إذا هم يتقضون ما أخذوه على أنفسهم من التصديق وإرسال بني إسرائيل، فاستمروا على كفرهم، وامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام.

﴿١٢٦﴾ فلما حل الأجل المحدد لإهلاكهم أنزلنا عليهم نقمتنا بإغراقهم في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق الذي لا مَرِيَّةَ فِيهِ.

﴿١٢٧﴾ وأورثنا بني إسرائيل الذين كان يستذلهم فرعون وقومه مشارق الأرض ومغاريها، والمقصود بذلك بلاد الشام، هذه البلاد التي بارك الله فيها بإخراج زروعها وثمارها على أكمل ما يكون، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - الحسنى وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَنْ تَنْعَلَكَ عَلَى الدُّرِيِّ اسْتَخِفُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَعْمَلُوا أَيْمَةً وَتَعْمَلُوا الْوَرِثَةَ﴾ [القصص: ٥]، فَمَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنْ أَدَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَمَا كَانَ يُعْرِشُونَ.

﴿١٢٨﴾ فَوَلَّيْنَا مِنَ الْأَيَّامِ:

- ١ - الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.
- ٢ - شأن الناس في وقت المحنة والمصائب اللجوء إلى الله بدافع نداء الإيمان الفطري.
- ٣ - يحسن بالمؤمن تأمل آيات الله وسننه في الخلق، والتدبر في أسبابها ونتائجها.
- ٤ - تتلاشى قوة الأفراد والدول أمام قوة الله العظمى، والإيمان بالله هو مصدر كل قوة.
- ٥ - يكافئ الله تعالى عباده المؤمنين الصابرين بأن يمكنهم في الأرض بعد استضعافهم.
- ٦ - يهلك الله تعالى الطغاة مهما عظمت قوتهم، وطال أمدهم.

﴿١٣٨﴾ وَعَبَّرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ فَاَنْفَلَقَ، فَمَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: يَا مُوسَى، اجْعَلْ لَنَا صَنْمًا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُؤُلَاءِ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: يَا قَوْمِ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَوْحِيدٍ، وَمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ شُرْكَ وَعِبَادَةٍ غَيْرِهِ.

﴿١٣٩﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ، وَبَاطِلٌ جَمِيعٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةٍ لِإِشْرَاقِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ غَيْرِهِ.

﴿١٤٠﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، كَيْفَ أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعْبُدُونَهُ، وَقَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامَ مَا شَاهَدْتُمْ، وَهُوَ ﷻ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَاسْتِخْلَافِكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لَكُمْ فِيهَا؟!

﴿١٤١﴾ وَادْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - حِينَ أَنْجَيْنَاكُمْ بِإِنْقَادِكُمْ مِنْ اسْتِذْلَالِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لَكُمْ، إِذْ كَانُوا يَذِيقُونَكُمْ أَنْوَاعَ الْهَوَانِ مِنْ تَقْتِيلِ أَبْنَائِكُمُ الذَّكَورِ، وَاسْتِمْبَاقِ نَسَائِكُمْ لِلْخِدْمَةِ، وَفِي إِنْقَادِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ اخْتِبَارِ عَظِيمٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَقْتَضِي مِنْكُمْ الشُّكْرَ.

﴿١٤٢﴾ وَوَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى لِمُنَاجَاتِهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِزِيَادَةِ عَشْرِ، فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا أَرَادَ الْذَّهَابَ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ: يَا هَارُونَ، كُنْ خَلِيفَةً لِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ أَمْرَهُمْ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الْمُفْسِدِينَ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَكُنْ مَعِينًا لِلْعَصَاةِ.

﴿١٤٣﴾ وَحِينَ جَاءَ مُوسَى لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمَضْرُوبِ لَهُ، وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى رُؤْيَا رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: لَنْ تَرَانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لَعَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ انْظُرْ إِلَيَّ الْجَبَلَ إِذَا تَجَلَّى لَهُ فَبَقِيَ مَكَانُهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ فَسُوفَ تَرَانِي، وَإِنْ صَارَ مَسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ فَلَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا مَسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مُغْشِيًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ قَالَ: أَنْزَهُكَ - يَا رَبِّ - تَنْزِيهًا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ، هَا أَنَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ رُؤْيَاكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعْتُمُوهُمْ فِيهِ وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْ لِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٣٨﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعْتُمُوهُمْ فِيهِ وَنَظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْ لِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

- ١ - تؤكد الأحداث أن بني إسرائيل كانوا ينتقلون من ضلالة إلى أخرى على الرغم من وجود نبي الله موسى بينهم.
- ٢ - من مظاهر خذلان الأمة أن تحسن القبيح، وتُفَسِّحَ الحسن بمجرد الرأي والأهواء.
- ٣ - إصلاح الأمة وإغلاق أبواب الفساد هدف سام للأنبياء والدعاة.
- ٤ - قضى الله تعالى أن لا يراه أحد من خلقه في الدنيا، وسوف يكرم من يحب من عباده برؤيته في الآخرة.

﴿١٤١﴾ قال الله لموسى: يا موسى، إني اخترتك وفَضَّلْتُكَ على الناس برسالاتي حين أرسلتك إليهم، وفَضَّلْتُكَ بكلامي لك دون واسطة، فخذ ما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.

﴿١٤٢﴾ وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم ودنياهم موعظة لمن يتعظ منهم، وتفصيلاً للأحكام التي يحتاج إلى تفصيلها، فخذها - يا موسى - بجد واجتهاد، وأمر قومك بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور به على أكمل وجه، وكالصبر والعفو، سأريكم عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، وما يصير إليه من الهلاك والدمار.

﴿١٤٣﴾ سأصرف عن الاعتبار بآياتي في الآفاق والأنفس، وعن فهم آيات كتابي؛ الذين يتكبرون على عباد الله وعلى الحق بغير حق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها؛ لاعتراضهم عليها وإعراضهم عنها، ولِمُحَادَّثِهِمُ الله ورسوله، وإن يروا طريق الحق الموصول إلى مرضاة الله لا يسلكوه، ولا يرغبوا فيه، وإن يروا طريق الغواية والضلال الموصول إلى سخط الله يسلكوه، ذلك الذي أصابهم إنما أصابهم لتكذيبهم بآيات الله العظيمة الدالة على صدق ما جاء به الرسل، ولغفلتهم عن النظر فيها.

﴿١٤٤﴾ والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وكذبوا بقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم التي هي من جنس الطاعات، فلا يُثابون عليها لفقد شرطها الذي هو الإيمان، ولا يجوزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملونه من الكفر بالله والشرك به، وجزاء ذلك الخلود في النار.

﴿١٤٥﴾ واتخذ قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حُلِيِّهم تمثالَ عجل لا روح فيه وله صوت، ألم يعلموا أن هذا العجل لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى طريق خير حسي أو معنوي، ولا يجلب لهم نفعاً أو يكشف عنهم ضرراً؟ اتخذوه معبوداً وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك.

﴿١٤٦﴾ ولما ندموا وتحيروا وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم باتخاذهم العجل معبوداً مع الله تضرعوا إلى الله فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق لطاعته، ويغفر لنا ما أقدمنا عليه من عبادة العجل، لنتكون من الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

﴿١٤٧﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَلِيقُ:

- ١ - على العبد أن يكون من المظهرين لإحسان الله وفضله عليه، فإن الشكر مقرون بالمزيد.
- ٢ - على العبد الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال.
- ٣ - يجب تلقي الشريعة بحزم وجد وعزم على الطاعة وتنفيذ ما ورد فيها من الصلاح والإصلاح ومنع الفساد والإفساد.
- ٤ - أن الأمة تكون عزيزة الجانب مرهوبة ما دامت متمسكة بدينها، فإذا أهملته انهارت وضاعت.
- ٥ - الجزاء من جنس العمل، فمن آمن وعمل الصالحات فله الجنة، ومن كفر وعمل السيئات فله النار.
- ٦ - على العبد إذا أخطأ أو قصّر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجُرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالة عثرته إلا إليه.

﴿١٥٠﴾ ولما رجع موسى من مناجاة ربه إلى قومه ممتلئاً عليهم غضباً وحزناً لما وجدهم عليه من عبادة العجل قال: بئست الحالة التي خلفتموني - يا قوم - بها بعد ذهابي عنكم؛ لما توديه من الهلاك والشقاء، أملت من انتظار ميعاد ربكم الذي وعدنيه وهو أربعون ليلة، فأقدمتم على عبادة العجل؟! ورمى الألواح من شدة ما أصابه من الغضب والحزن، وأمسك برأس أخيه هارون ولحيته يسحبه إليه لبقائه معهم وعدم تغييره لما رآهم عليهم من عبادة العجل، قال هارون معتذراً إلى موسى مستعطفًا إياه: يا ابن أُمي، إن القوم حسبيوني ضعيفًا فاستذلوني، وأوشكوا أن يقتلوني، فلا تعاقبني بعقوبة تسر أعدائي، ولا تصيرني بسبب غضبك علي في عداد الظالمين من القوم بسبب عبادتهم غير الله. ﴿١٥١﴾ قال موسى داعيًا ربه: يا رب اغفر لي، واغفر لأخي هارون، وأدخلنا في رحمتك واجعلها تحيط بنا من كل جانب، وأنت - يا ربنا - أرحم بنا من كل راحم. ﴿١٥٢﴾ إن الذين صيروا العجل إلهاً يعبدونه سيصيبهم غضب شديد من ربهم، وهوان في هذه الحياة لاغضابهم ربهم واستهانتهم به، وبمثل هذا الجزاء نجزي المفتريين على الله. ﴿١٥٣﴾ والذين عملوا السبائات من الشرك بالله، وفعل المعاصي، ثم تابوا إلى الله بأن آمنوا به، وانتهوا عما كانوا يعملونه من المعاصي، إن ربك - أيها الرسول -

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمُ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاءُ لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّبَائَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي سُحُفِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَآخَرُ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِقِينَنَا فَمَا آخَذْنَاهُمْ الرِّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَتْهَلِكُوا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

من بعد هذه التوبة والرجوع من الشرك إلى الإيمان، ومن المعاصي إلى الطاعة، لغفور لهم بالستر والتجاوز، رحيم بهم. ﴿١٥٤﴾ ولما سكن عن موسى الغضب وهذا أخذ الألواح التي رماها بسبب الغضب، وهذه الألواح مشتملة على الهداية من الضلال وبيان الحق، ومشتملة على الرحمة للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه. ﴿١٥٥﴾ واختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيار قومه ليعتدوا إلى ربهم مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا تجرؤوا على الله، وطلبوا من موسى أن يريهم الله عياناً، فأخذتهم الزلزلة فصعقوا من هولها وهلكوا، فتضرع موسى إلى ربه، فقال: يا رب، لو شئت إهلاكهم وإهلاكهم معهم من قبل مجيئهم لأهلكتهم، أتهلكنا بسبب ما فعله خفاف العقول منا؟ فما قام به قومي من عبادة العجل ما هو إلا ابتلاء واختبار تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت متولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير من غفر ذنباً، وعفا عن إثم.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - يجب أن يكون غضب المسلم لله لا لنفسه، وأن يكون سريع الفئنة إذا ذُكر.
- ٢ - في الآيات دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة لا يعذر فيه صاحبه عند إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.
- ٣ - من آداب الدعاء البدء بالنفس، حيث بدأ موسى ﷺ دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تقريط أو تساهل في رد عبادة العجل عن ذلك.
- ٤ - الكذب شر كله، ويُسقط مهابة صاحبه عند الناس.
- ٥ - في الآيات ترغيب للعصاة في التوبة، والنهي عن القنوط من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبهم.
- ٦ - ضرورة التوقي من غضب الله، وخوف بطشه، فانظر إلى مقام موسى ﷺ عند ربه، وانظر خشيته من غضب ربه.

﴿١٦٦﴾ واجعلنا من الذين أكرمتمهم في هذه الحياة بالنعم والعافية ووفقتهم للعمل الصالح، وممن أعددت لهم الجنة من عبادك الصالحين في الآخرة، إنا تبنا إليك، ورجعنا مُقِرِّين بتقصيرنا، قال الله تعالى: عذابي أصيب به من أشاء ممن يعمل بأسباب الشقاء، ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا؛ فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وعَمَّرَه فضله وإحسانه، فسأكتب رحمتي في الآخرة للذين يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والذين يعطون زكاة أموالهم مستحقها، والذين هم بآياتنا يؤمنون.

﴿١٦٧﴾ الذين يتبعون محمداً ﷺ، وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يوحى إليه ربه، وهو الذي يجدون اسمه وصفاته وما أنزل إليه مكتوباً في التوراة المُنزَّلة على موسى ﷺ، والإنجيل المُنزَّل على عيسى ﷺ، يأمرهم بما عُرف حسنه وصلاحه، وينهاهم عما عُرف قبحه في العقول الصحيحة والفطر السليمة، ويبيح لهم المُستلذَّات مما لا ضرر فيه من المطاعم والمشارب والمناكح، ويحرم عليهم المُستغنيات منها، ويضع عنهم التكاليف الشاقة التي كانوا يُكَلِّفون بها، كقطع موضع

وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٦٩﴾

النجاسة، وكوجوب قتل القاتل سواء كان القتل عمداً أم خطأ، فالذين صدَّقوا به من بني إسرائيل ومن غيرهم، وعظموه ووقَّروه، ونصروه على من يعاديه من الكفار، واتبعوا القرآن الذين أنزل عليه؛ أولئك هم المفلحون الذين ينالون ما يطلبونه، ويُجْتَنَبُونَ ما يرهبونه.

﴿١٦٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السماوات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُحْيِي الموتى، ويميت الأحياء، فآمِنُوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحى يوحى إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أنزل إليه وما أنزل على النبيين من قبله دون تفریق، واتبَعوه في ما جاء به من ربه؛ رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة. ولَمَّا ذكر الله ما ذكر عن بني إسرائيل من عبادة العجل ذكر سبحانه أن منهم أمة مخالفة لما عليه الذين عبدوا العجل، فقال:

﴿١٦٩﴾ ومن قوم موسى من بني إسرائيل طائفة مستقيمة على الحق، يدلون الناس عليه، ويعدلون به في الحكم بين الناس.

﴿١٧٠﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن رحمة الله عباده ذات مراتب متفاوتة، تتفاوت بحسب الإيمان والعمل الصالح.
- ٢ - من صور عدل الله ﷻ إنصافه للقلَّة المؤمنة، فذكر صفات بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.
- ٣ - تضمَّنت التوراة والإنجيل أدلة ظاهرة على بعثة النبي محمد ﷺ وعلى صدقه.
- ٤ - الدعاء قد يكون مُجْملًا وقد يكون مُفَصَّلًا حسب الأحوال، وموسى في هذا المقام أجمل في دعائه.

﴿١٦٦﴾ وقسمنا بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة، وأوحينا إلى موسى حين طلب منه قومه أن يدعو الله أن يسقيهم: أن اضرب يا موسى - بعصاك الحجر، فضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلهم الاثنتي عشرة، قد علمت كل قبيلة منهم مشربها الخاص بها، فلا تشترك معها فيه قبيلة أخرى، وظللنا عليهم السحاب يسير بسيرهم، ويتوقف بتوقفهم، وأنزلنا عليهم المنّ (وهو شيء يشبه الصمغ حلو الطعم)، والسلوى (وهو طائر يشبه السمانى)، وقلنا لهم: كلوا من طبيات ما رزقناكم، وما ظلمونا بما وقع منهم من الظلم وكفران النعم، وعدم تقديرها حق قدرها، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين أوردوها موارد الهلاك بما ارتكبوه من مخالفة أمر الله والتنكر لنعمه.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال لبني إسرائيل: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا من ثمار قريته من أي مكان منه وفي أي وقت شئتم، وقولوا: يا ربنا، خطأ عنا خطايانا، وادخلوا الباب خاضعين لربكم؛ نغفر لكم خطاياكم، وستزيد المحسنين من خيري الدنيا والآخرة.

﴿١٦٨﴾ فغفّر الظالمون منهم القول الذي أمروا به فقالوا: حبة في شعيرة، عوض ما أمروا به من طلب المغفرة، وغيروا الفعل الذي أمروا به، فدخلوا يزحفون على أستاههم بدلا من الدخول خاضعين لله مقنعي رؤوسهم، فأرسلنا عليهم عذابا من السماء بسبب ظلمهم.

﴿١٦٩﴾ وأسأل - أيها الرسول - اليهود تذكيرا لهم بما عاقب الله به أسلافهم عن قصة القرية التي كانت بقرب البحر حين كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت بعد نهيم عنه حين ابتلاهم الله بأن صارت الأسماك تأتيهم ظاهرة على وجه البحر يوم السبت، وفي سائر الأيام لا تأتيهم، ابتلاهم الله بذلك بسبب خروجهم عن الطاعة وارتكابهم المعاصي، فاحتالوا لصيده بأن نصبوا شباكهم، وحفروا حفرهم، فكانت الحيتان تقع فيها يوم السبت، فإذا كان يوم الأحد أخذوها وأكلوها.

﴿١٧٠﴾ فإذ من الآيات:

١ - الجحود والكفران سبب في الحرمان من النعم.

٢ - من أسباب حلول العقاب ونزول العذاب التحايل على الشرع؛ لأنه ظلم وتجاوز لحدود الله.

٣ - كتب الله على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، وتأذن بأن يبعث عليهم كل مدة من يذيقهم العذاب بسبب ظلمهم وانحرافهم.

﴿١٦٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين كانت أحمر منهم تنهاتهم عن هذا المنكر، وتحذره من، فقالت لها جماعة أخرى: لِمَ تعظون جماعة الله مُهلكها في الدنيا بما ارتكبته من المعاصي، أو معذبها يوم القيامة عذاباً شديداً؟ قال الواعظون: موعظتنا لهم معذرة إلى الله بفعل ما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يؤاخذنا بترك ذلك، ولعلمهم ينتفعون بالموعظة، فيقبلون عما هم فيه من المعصية. ﴿١٦٧﴾ فلما أعرض العصاة عما ذكّرهم به الواعظون، ولم يكفوا عن المعصية، أنجبنا الجماعة الذين نهوا عن المنكر من العذاب، وأخذنا الجماعة الذين ظلموا باعتدائهم بالصيد يوم السبت بعذاب شديد بسبب خروجهم عن طاعة الله وإصرارهم على المعصية.

﴿١٦٨﴾ فلما تجاوزوا الحد في عصيان الله تكبراً وعناداً، ولم يتعظوا، قلنا لهم: أيها العصاة، كونوا قردة أذلاء؛ فكانوا كما أردنا، إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون.

﴿١٦٩﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم الله إعلاماً صريحاً لا لبس فيه لِيُسَلِّطَنَ على اليهود من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة، إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لمن عصاه، حتى إنه قد يُعَجِّلَ له العقوبة في الدنيا، وإنه لغفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٧٠﴾ وفرّقناهم في الأرض، وفرّقناهم فيها طوائف، بعد أن كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقتصدون، ومنهم

﴿١٧١﴾ المسرفون على أنفسهم بالمعاصي، واختبرناهم باليسر والعسر رجاء أن يرجعوا عما هم فيه. فجاء من بعد هؤلاء أهل سوء يخلفونهم، أخذوا التوراة من أسلافهم، يقرؤونها ولا يعملون بما فيها، يأخذون متاع الدنيا الرديء رشوة لتحريفهم كتاب الله، والحكم بغير ما أنزل فيه، ويؤمنون أنفسهم بأن الله سيغفر لهم ذنوبهم، وإن يأتهم متاع دنيوي زهيد يأخذوه مرة بعد مرة، ألم يأخذ الله العهود والمواثيق على هؤلاء أن لا يقولوا على الله إلا الحق دون تحريف أو تبديل؟ ولم يكن تركهم للعمل بالكتاب عن جهل، بل كان على علم، فقد درسوا ما فيه وعلموه، فذنبهم أشد، والدار الآخرة وما فيها من نعيم دائم خير من ذلك المتاع الزائل الذي يأخذونه على وجه الرشوة، هي للذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون هذا المتاع الزهيد أن ما أعد الله للمتقين في الآخرة خير وأبقى؟

﴿١٧٢﴾ والذين يَتَمَسَّكُونَ بالكتاب، ويعملون بما فيه، ويطيعون الصلاة بالمحافظة على أوقاتها وشروطها وواجباتها وسنتها، سيجازيهم الله على أعمالهم، فالله لا يضع أجر من أحسن عملاً.

﴿١٧٣﴾ فإلامن الآيات:

- ١ - إذا نزل عذاب الله على قوم بسبب ذنوبهم ينجو منه من كانوا يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر فيهم.
- ٢ - يجب الحذر من عذاب الله؛ فإنه قد يكون رهيباً في الدنيا، كما فعل سبحانه بطائفة من بني إسرائيل حين مسّحهم قردة بسبب تمردهم.
- ٣ - نعيم الدنيا مهما بدا أنه عظيم فإنه قليل ناهه بجانب نعيم الآخرة الدائم.
- ٤ - أفضل أعمال العبد بعد الإيمان إقامة الصلاة؛ لأنها عمود الأمر.

﴿١٧١﴾ واذكر - يا محمد - إذ رفعنا فوق بني إسرائيل الجبل لَمَا امتنعوا من قبول ما في التوراة، فصار الجبل كأنه سحابة تظل رؤوسهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد وعزيمة، وتذكروا ما فيه من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه؛ رجاء أن تتقوا الله إذا قمتم بذلك.

﴿١٧٢﴾ واذكر - يا محمد - إذ أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذرياتهم، وقررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم قائلاً لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا جميعاً: بلى أنت ربنا، قال: إنما امتحناكم وأخذنا عليكم الميثاق حتى لا تنكروا يوم القيامة حجة الله عليكم، وتقولوا: إنه لا علم لكم بذلك.

﴿١٧٣﴾ أو تحتجوا بأن آباءكم هم الذين نقضوا العهد فأشركوا بالله، وأنكم كنتم مقلدين لأبائكم فيما وجدتموهم عليه من الشرك، فتقولوا: أفتهلكنا - يا ربنا - بما فعله آبائنا الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله؟ فلا ذنب لنا؛ لجهلنا وتقليدنا لأبائنا.

﴿١٧٤﴾ وكما فصلنا الآيات في بيان مصير الأمم المكذبة كذلك فصلها لهؤلاء؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ كما جاء في العهد الذي قطعه الله على أنفسهم.

﴿١٧٥﴾ وائل - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناه آياتنا فَعَلِمَهَا وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها

وانخلع منها، فلعنه الشيطان، وصار قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين بعد أن كان من المهتدين الناجين. ﴿١٧٦﴾ ولو شئنا نَفَعَهُ بهذه الآيات لرفعناه بها بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دنياه على آخرته، واتبع ما تهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، إن كان رابضاً لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعجوا عما هم فيه من التكذيب والضللال.

﴿١٧٧﴾ ليس أسوأ من القوم الذين كذبوا بِحُجَّتِنَا وبراهيننا، ولم يصدقوا بها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك. ﴿١٧٨﴾ من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي حقاً؛ لاختياره صراط ربه المستقيم، ومن يخذله الله عن الهداية إلى صراطه، ويضلله عنها بسبب زيغه وسوء أعماله، فأولئك هم الخاسرون حقاً، الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

﴿١٧٩﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - المقصود من إنزال الكتب السماوية العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نبذ لها.
٢ - إن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحداية، فإذا كانت فطرته سليمة، ولم يدخل عليها ما يفسدها أدرك هذه الأدلة، وعمل بمقتضاها.
٣ - في الآيات عبرة للمؤمنين للعمل بآيات القرآن؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم للعمل بها؛ لتزكو نفوسهم.
٤ - ضرورة التفكير وأخذ العبرة من قصص القرآن؛ لأنها القصص الحق.
٥ - في الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به.
٦ - في الآيات تلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال.

﴿١٧٦﴾ وَلَقَدْ أَنشَأْنَا لَجهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْإِنْسِ، وَكَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ؛ لَعَلَّنَا بَأَنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ بِعَمَلِ أَهْلِهَا، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَعْقِلُونَ بِهَا مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا مَا يَضُرُّهُمْ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا آيَاتِ اللَّهِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا آيَاتِ اللَّهِ فَيَتَذَكَّرُونَ مَا فِيهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ فِي فَقْدِ الْعَقْلِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

﴿١٧٧﴾ وَاللَّهُ - سبحانه - الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي تَدُلُّ عَلَى جَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، فَتَسْأَلُوا فِي طَلَبِ مَا تَرِيدُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَاتْرَكُوا الَّذِينَ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ بِجَعْلِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ نَفْيِهَا عَنْهُ، أَوْ تَحْرِيفِ مَعْنَاهَا، سَنَجْزِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمِيلُونَ بِهَا عَنِ الْحَقِّ: الْعَذَابَ الْمَوْثُومَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿١٧٨﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ فِي أَنْفُسِهِم بِالْحَقِّ، وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ غَيْرَهُمْ فَيَهْتَدُونَ، وَيَعْدِلُونَ بِهِ فِي الْحُكْمِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَئِمَّةُ الْهُدَى الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿١٧٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، بَلْ جَحَدُوا بِهَا، سَنَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ لَا إِكْرَامًا لَهُمْ، بَلْ لَاسْتِدْرَاجَهُمْ حَتَّى يَتِمَادُوا فِي مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، ثُمَّ يَصِيبُهُمْ عَذَابُنَا عَلَى حِينٍ غَيْرَةٍ.

﴿١٨٠﴾ وَأَوْخِرْ عَنْهُمْ الْعُقُوبَةَ حَتَّى يَظُنُّوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعَاقَبِينَ، فَيَسْتَمِرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ حَتَّى يُضَاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، إِنْ كِيدِي قَوِي، فَظَاهِرَ لَهُمُ الْإِحْسَانُ، وَأُرِيدَ بِهِمُ الْخِذْلَانُ.

﴿١٨١﴾ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، فَيَعْمَلُوا عَقُولَهُمْ لِيَتَضَحَّ لَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَيْسَ بِمُجْنُونٍ، إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَعَثَهُ مُنذِرًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِذْ بَيَّنَّا.

﴿١٨٢﴾ أَوْ لَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ نَظَرَ اعْتِبَارٍ إِلَى مُلْكِ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَنْظُرُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِمَا مِنْ حَيَوَانَ وَنَبَاتٍ وَغَيْرِهِمَا، وَيَنْظُرُوا فِي أَجَالِهِمُ الَّتِي عَسَى أَنْ تَكُونَ نَهَايَتُهَا قُرْبَتْ فَيَتُوبُوا قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، فَإِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ قَبَايَ كِتَابِ غَيْرِهِ يُؤْمِنُونَ؟!

﴿١٨٣﴾ مَنْ يَخْذِلْهُ اللَّهُ عَنِ الْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، وَيُضِلَّهُ اللَّهُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَلَا هَادِيَ لَهُ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ، وَيَتْرَكُهُمُ اللَّهُ فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ يَتَحِيرُونَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى شَيْءٍ.

﴿١٨٤﴾ يَسْأَلُكَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ الْمُتَعَتِّتُونَ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى وَقْتُهَا الْمَحْدَدُ لَهَا؟ قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: لَيْسَ عِلْمُهَا عِنْدِي وَلَا عِنْدَ غَيْرِي، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا يَظْهَرُهَا لَوْقْتُهَا الْمَقْدَرُ لَهَا إِلَّا اللَّهُ، خَفِيَ أَمْرُ ظَهْوَرِهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا فُجَاءَةً، يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ كَأَنَّكَ حَرِيصٌ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا، وَمَا عَلِمُوا أَنَّكَ لَا تَسْأَلُ عَنْهَا لِكَمَالِ عِلْمِكَ بِرَبِّكَ، قُلْ لَهُمْ - يَا مُحَمَّدٌ -: إِنَّمَا عِلْمُ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿١٨٥﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - خَلَقَ اللَّهُ لِلْبَشَرِ آلَاتِ الْإِدْرَاكِ وَالْعِلْمِ - الْقُلُوبَ وَالْأَعْيُنَ وَالْآذَانَ -؛ لِتَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ.
٢ - الدُّعَاءُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى سَبَبٌ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَيُذْعَى فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ بِمَا يَنْسَبُ ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، مِثْلُ: اَللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيَّ يَا تَوَّابُ.

٣ - التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالتَّوَصُّلُ بِهَذَا التَّفَكُّرِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْأُلُوهِيَةِ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالصَّنْعِ.

﴿١٨٨﴾ قل - يا محمد -: لا أملك القدرة على جلب نفع لنفسي، ولا كشف ضرر عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علمني الله، فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد؛ لعلمي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولاً من عند الله، أخوف من عقابه الأليم، وأبشّر بثوابه الكريم قوماً يؤمنون بأني رسول منه ﷺ، ويصدقون بما جئت به.

﴿١٨٩﴾ هو الذي خلقكم - أيها الرجال والنساء - من نفس واحدة هي آدم ﷺ، وخلق من آدم ﷺ زوجته حواء، خلقها من ضلعه لئانس إليها، ويطمئن بها، فلما جامع زوج زوجته حملت حملاً خفيفاً لا تشعر به؛ لأنه كان في بدايته، واستمرت على حملها هذا تمضي في حوائجها لا تجد ثقلاً، فلما أثقلت به حين كبر في بطنها دعا الزوجان ربهما قائلين: لئن أعطيتنا - يا ربنا - ولداً صالح الخلقة تامها لتكونن من الشاكرين لنعمك. ﴿١٩٠﴾ فلما استجاب الله دعاءهما، وأعطاهما ولداً صالحاً كما دعوا صبراً الله شركاء فيما وهبهما فعبداً ولدهما لغيره، وسُمّيَا عبد الحارث، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك، فهو المنفرد بالربوبية والألوهية.

﴿١٩١﴾ أيجعلون هذه الأصنام وغيرها شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أنها لا تخلق شيئاً فتستحق العبادة، بل هي مخلوقة، فكيف يجعلونها شركاء لله؟! ﴿١٩٢﴾ ولا تستطيع هذه المعبودات من دون الله نصر عابديها، ولا تستطيع نصر أنفسها، فعبادتها من دون الله من

﴿١٨٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩١﴾ أَيْشُرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩٢﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٣﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاةِ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٤﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٥﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٦﴾

﴿١٩٣﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى لا يجيبوكم إلى ما دعوتموهم إليه ولا يتبعونكم، فسواء عندها دعاؤكم لها وسكونكم عنها؛ لأنها مجرد جمادات، لا تعقل، ولا تسمع، ولا تنطق.

﴿١٩٤﴾ إن الذين تعبدونهم - أيها المشركون - من دون الله هم مخلوقون لله، مملوكون له، فهم أمثالكم في ذلك مع أنكم أفضل حالاً؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون، وأصنامكم ليست كذلك، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين فيما تدعونهم لهم.

﴿١٩٥﴾ أهؤلاء الأصنام الذين اتخذتموهم آلهة: أرجل يمشون بها؟ أم لهم أيد يعملون بها ويبطشون؟ أم لهم آذان يبصرون بها؟ أم لهم آذان يسمعون بها؟ فإن كانت معطلة من ذلك كله فكيف تعبدونها رجاء جلب نفع أو دفع ضرر؟! قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا شركاءكم جميعاً، ثم اصنعوا أنتم وهم ما شئتم من كيد، ولا تمهلوني.

﴿١٩٦﴾ فاذكر من الآيات:

- ١ - في الآيات بيان جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر؛ لأن النفع إنما يحصل من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة.
- ٢ - جعل الله بمشئ من نوع الرجل وزوجه؛ ليألفها ولا يجفو قربها ويأنس بها؛ لتحقيق الحكمة الإلهية في التناسل.
- ٣ - لا يليق بالأفضل الأكمل الأشرف من المخلوقات وهو الإنسان أن يشتغل بعبادة الأخس والأرذل من الحجارة والخشب وغيرها من الآلهة الباطلة.
- ٤ - الواجب على العاقل عبادة الله تعالى؛ لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإنزال الكتاب المشتمل على العلوم العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرتهم إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم.

﴿١٦٦﴾ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي يَحْفَظُنِي، فَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَا أَخَافُ شَيْئًا مِنْ أَصْنَامِكُمْ، فَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ هَدًى لِلنَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَحْفَظُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ.

﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرِكُمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرِ أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ عَاجِزُونَ، فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! ﴿١٦٨﴾ وَإِنْ تَدْعُوا - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - أَصْنَامَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، وَتَرَاهُمْ يَقَابِلُونَكَ بِأَعْيُنٍ مَصُورَةٍ، وَهِيَ جَمَادٍ لَا تَبْصُرُ، فَقَدْ كَانُوا يَصْنَعُونَ تَمَاثِيلَ عَلَى هَيْئَةِ بَنِي آدَمَ أَوْ الْحَيَوَانَاتِ، وَلَهَا أَيْدٍ وَأَرْجُلٍ وَأَعْيُنَ، لَكِنَّا جَامِدَةٌ، لَا حَيَاةَ فِيهَا وَلَا حَرَكَةَ.

﴿١٦٩﴾ أَقْبَلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنَ النَّاسِ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَمَا سَهَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَلَا تَكْلِفُهُمْ مَا لَا تَسْمَحُ بِهِ طِبَائِعُهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفَرُهُمْ، وَأُمُرٌ بِكُلِّ قَوْلٍ جَمِيلٍ وَفِعْلٍ حَسَنٍ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ، فَلَا تَقَابِلُهُمْ بِجَهْلِهِمْ، فَمَنْ أَذَاكَ فَلَا تَوْذُهُ، وَمَنْ حَرَمَكَ فَلَا تَحْرَمُهُ.

﴿١٧٠﴾ وَإِذَا أَحْسَسْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنَّ الشَّيْطَانَ أَصَابَكَ بِوَسْوَسَةٍ أَوْ تَشْطِيطٍ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرِ فَالْتَجِئْ إِلَى اللَّهِ، وَاعْتَصِمْ بِهِ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُهُ، عَلِيمٌ بِالتَّجَانُّكِ، فَسَيَحْمِيكَ مِنَ الشَّيْطَانِ.

﴿١٧١﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّقُوا اللَّهَ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَادْخَبُوا؛

تَذَكَّرُوا عِظَمَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ لِلْعَصَاةِ وَثَوَابَهُ لِلْمَطِيعِينَ، فَتَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، فَإِذَا هُمْ قَدْ اسْتَقَامُوا عَلَى الْحَقِّ، وَصَحَّوْا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَانْتَهَوْا.

﴿١٧٢﴾ وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْفَجَارِ لَا يَزَالُ الشَّيَاطِينُ يَمْدُونَهُمْ فِي الضَّلَالِ بِذَنْبٍ بَعْدَ ذَنْبٍ، وَلَا يَأْلُوا الْجَمِيعَ جَهْدًا، لَا الشَّيَاطِينُ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، وَلَا الْفَجَارُ مِنَ الْإِنْسِ بِالْإِنْقِيَادِ وَفِعْلِ الشَّرِّ.

﴿١٧٣﴾ وَإِذَا جِئْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِآيَةٍ كَذَبُوكَ وَأَعْرَضُوا عَنْهَا، وَإِنْ لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا: هَذَا اخْتَرَعْتَ آيَةً مِنْ عِنْدِكَ وَاخْتَلَقْتَهَا، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: لَيْسَ لِي أَنْ آتِيَ بِآيَةٍ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي، وَلَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيَّ، هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ حُجَجَ وَبَرَاهِينَ مِنْ اللَّهِ خَالِقِكُمْ وَمُدَبِّرُ شُؤْنِكُمْ، وَإِرْشَادٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ ضَلَالٌ أَشْقِيَاءُ.

﴿١٧٤﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لِقِرَائَتِهِ، وَلَا تَكَلَّمُوا، وَلَا تَتَشَغَّلُوا بِغَيْرِهِ؛ رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ.

﴿١٧٥﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - اللَّهُ رَبُّكَ مُتَخَشِّعًا مُتَوَاضِعًا خَائِفًا، وَاجْعَلْ دَعَاءَكَ وَسَطًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَخَافَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ لِفَضْلِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ، بَلْ يَتَقَادُونَ لَهَا مُذْعِنِينَ لَا يَفْتَرُونَ، وَهُمْ يُنْزِلُونَ اللَّهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ وَحْدَهُ يَسْجُدُونَ.

﴿١٧٧﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - فِي الْآيَاتِ بَشَارَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى صِرَاطِ نَبِيِّهِمْ ﷺ بِأَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ كَمَا نَصَرَ نَبِيَّهُ وَأَوْلِيَاءَهُ. ٢ - فِي الْآيَاتِ جَمَاعُ الْأَخْلَاقِ، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْفُو عَنْ ظَلَمِهِ، وَيُعْطِيَ مِنْ حَرَمِهِ، وَيَصِلَ مِنْ قَطْعِهِ. ٣ - عَلَى الْعَبْدِ إِذَا مَسَّهُ سُوءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَذْنَبَ بِفِعْلِ مُحْرَمٍ، أَوْ تَرَكَ وَاجِبًا أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَسْتَدْرِكَ مَا فَرَطَ مِنْهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنَ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ۝
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
۝ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

بيان أحكام الجهاد وعوامل النصر والهزيمة من خلال غزوة بدر.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ يسألك أصحابك - أيها الرسول - عن الغنائم، كيف قسمتها؟ وعلى من تكون القسمة؟ قل - أيها الرسول - مجيباً سؤالهم: الغنائم لله ورسوله، وحكمها لله ورسوله في التصرف والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد والاستسلام، فاتقوا - أيها المؤمنون - الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابير بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو، والزُّمُّوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقاً؛ لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية. وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر.

﴿٢﴾ إنما المؤمنون حقاً الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم؛ فانسأقت قلوبهم وأبدانهم للطاعة، وإذا قرئت عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مفاسدهم.

﴿٣﴾ الذين يداومون على أداء الصلاة بصفاتها التامة في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون النفقات الواجبة والمستحبة.

﴿٤﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لجمعهم بين خصال الإيمان والإسلام الظاهرة، وجزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم وورزق كريم، وهو ما أعد الله لهم من النعيم.

﴿٥﴾ كما أن الله جلَّ انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله ﷺ، كذلك أمرك ربك - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحى أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.

﴿٦﴾ تُجَادِلُكُ - أيها الرسول - هذه الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وهم ينظرون إليه عياناً، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أهبة، ولم يعدوا له عدته.

﴿٧﴾ واذكروا - أيها المؤمنون المجادلون - إذ يعدكم الله إحدى طائفتي المشركين أن سيكون لكم الظفر بها، وهي إما العير وما تحمله من أموال فتأخذونه غنيمة، وإما النيفر فتقاتلونهم وتُضَرُّونَ عليهم، وتحبون أن تكون الطائفة هي العير لسهولة الاستيلاء عليها ويسره دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال؛ لتقتلوا صناديد المشركين، وتأسروا كثيراً منهم حتى تظهر قوة الإسلام.

﴿٨﴾ ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر من البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فالله مُظْهِرُهُ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه ويؤمنه؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.
- ٢ - الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضع وبان فليس إلا الانقياد والإذعان.
- ٣ - أمر قسمة الغنائم متروك للرسول ﷺ، والأحكام مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما.
- ٤ - إرادة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

﴿١﴾ واذكروا يوم بدر حين طلبتم الغوث من الله بالنصر على عدوكم، فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم - أيها المؤمنون - ومعينكم بألف من الملائكة، متتابعين يتبع بعضهم بعضاً.

﴿٢﴾ وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم - أيها المؤمنون - بأنه ناصركم على عدوكم، ولتسكن قلوبكم موقنة بالنصر، وليس النصر بكثرة العدد، وتوفر العدو، وإنما النصر من عند الله سبحانه، إن الله عزيز في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في شرعه وقدره.

﴿٣﴾ اذكروا - أيها المؤمنون - إذ يُلقِي الله النعاس عليكم أمناً مما حصل لكم من الخوف من عدوكم، وينزل عليكم مطراً من السماء؛ ليظهركم من الأحداث، وليزيل عنكم وساوس الشيطان، وليثبت به قلوبكم لتثبت أبدانكم عند اللقاء، وليثبت به الأقدام بتلييد الأرض الرملية حتى لا تسبخ فيها الأقدام.

﴿٤﴾ إذ يوحى ربك - أيها النبي - إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين في بدر: أني معكم - أيها الملائكة - بالنصر والتأييد، فقفوا عزائم المؤمنين على قتال عدوهم، سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد؛ فاضربوا - أيها المؤمنون - أعناق الكافرين ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم ليتعطلوا عن قتالكم.

﴿٥﴾ ذلك الواقع بالكفار من القتل وضرب الأطراف سببه أنهم خالفوا الله ورسوله، فلم يأتروا بما أمروا به، ولم ينتهوا عما نهوا عنه، ومن يخالف الله ورسوله في ذلك فإن الله شديد العقاب له في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار.

﴿٦﴾ ذلكم العذاب المذكور لكم - أيها المخالفون لله ورسوله - فذوقوه مُعْجَلاً لكم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة لكم عذاب النار إن متم على كفركم وعنادكم.

﴿٧﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متقاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقائهم، فالله معكم بنصره وتأييده.

﴿٨﴾ ومن يولهم ظهره فاراً منهم غير منعطف لقتالهم بأن يريهم القرّ مكيدة منه، وهو يريد الكرّ عليهم، أو غير مُنضم إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستنجد بها؛ فقد رجع بغضب من الله، واستحققه، ومقامه في الآخرة جهنم، وبئس المصير مصيره، وبئس المُثْقَل مُثْقَله.

﴿٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ:

١ - في الآيات اعتناء الله العظيم بحال عباده المؤمنين، وتيسير الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

٢ - أن النصر بيد الله، ومن عنده سبحانه، وهو ليس بكثرة عددٍ ولا عددٍ مع أهمية هذا الإعداد.

٣ - الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر.

٤ - في الآيات تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، ومنها: طاعة الله والرسول، والثبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، وذكر الله كثيراً.

﴿٧﴾ فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - يوم بدر المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله أعانكم على ذلك، وما رميت - أيها النبي - المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم، وليخبر المؤمنين بما أنعم عليهم من إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة العدد والعدو ليذكروه، إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم، عليم بأعمالكم، وبما فيه صلاحكم.

﴿٨﴾ ذلك المذكور من قتل المشركين، ورميهم حتى انهزموا وولوا هاربين، والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على عدوهم؛ هو من الله، والله مُضِيعُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ.

﴿٩﴾ إن تطلبوا - أيها المشركون - أن يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم، فأنزل بكم ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين، وإن تكفوا عن طلب ذلك فهو خير لكم، فربما أمهلكم ولم يعجل انتقامه منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال المؤمنين نعد بإيقاع العذاب عليكم وننصر المؤمنين، ولن تغني عنكم جماعتكم ولا أنصاركم ولو كانت كثيرة العدد والعدد مع قلة المؤمنين، وإن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلا غالب له.

﴿١٠﴾ يا أيها الذين صدّقوا الله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامثال أمره واجتناب نهيه، ولا تعرضوا عنه بمخالفة أمره وإتيان نهيه، وأنتم تسمعون آيات الله تقرأ عليكم.

﴿١١﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل المنافقين والمشركين الذين إذا ثلّيت عليهم آيات الله قالوا: سمعنا بأذننا ما يتلى علينا من القرآن، وهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ؛ فيستفحوا بما سمعوه.

﴿١٢﴾ إن شر من يدب على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعَ قَبُولِ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يُقَرُّونَ بِهِ وَلَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ، فهم الذين لا يعقلون عن الله وأمره ولا نواهي.

﴿١٣﴾ ولو علم الله أن في هؤلاء المشركين المكذبين خيرا لَأَسْمَعَهُمْ سَمَاعًا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ، ويتعقلون عنده الحجج والبراهين، ولكنه علم أنه لا خير فيهم، ولو أنه سبحانه أسمعهم - على سبيل الفرض والتقدير - لتولوا عن الإيمان عنادا، وهم معرضون.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين صدّقوا الله واتبعوا رسوله، استجيبوا لله ولرسوله بالانقياد لما أمراه والاجتناب لما نهاها عنه، إذا دعاكم لما فيه حياتكم من الحق، وأيقنوا أن الله قادر على كل شيء، فهو قادر أن يحول بينكم وبين الانقياد للحق إذا أردتموه بعد رفضكم له، فبادروا إليه، وأيقنوا أنكم إلى الله وحده تحشرون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

﴿١٥﴾ واحذروا - أيها المؤمنون - عذابا لا ينال العاصي منكم وحده، بل يناله وينال غيره، وذلك حين يظهر الظلم فلا يُعَيَّرُ، وأيقنوا أن الله قوي العقاب لمن عصاه؛ فاحذروا من معصيته.

﴿١٦﴾ فَوَاظِبُوا مِنَ الْآيَاتِ: ١ - من كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية تكون بحسب ما قام به المؤمنون من أعمال الإيمان. ٢ - المؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب المادية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل على الله، ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك لله ﷻ. ٣ - إن كل قُوَى الْكُفَّارِ تتبدد أمام قدرة الله وإرادته ونصرته لعباده المؤمنين، حين يبطل سبحانه كيد الكافرين ويلقي الرعب في قلوبهم. ٤ - في الآيات دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عمن لا خير فيه، وهو الذي لا يزكو لديه هذا الإيمان ولا يثمر عنده. ٥ - على العبد أن يكثر من الدعاء: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ. ٦ - أمر الله المؤمنين ألا يُقَرِّبُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَيَعْمَهُمُ الْعَذَابُ.

﴿٦٦﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى مأوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملتها الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفروا به فيسلبها منكم، ويعذبكم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول بترك الامتثال للأوامر وعدم اجتناب النواهي، ولا تخونوا ما أنتمون عليه من الدين وغيره، وأنتم تعلمون أن ما قمتم به خيانة؛ فتكونوا من الخائنين.

ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أخبر الله أنهما فتنة، فقال:

﴿٦٨﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدكم عن العمل للأخرة، وتحملكم على الخيانة، واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تفوتوا عليكم هذا الثواب بمراعاة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، فلا يلتبسان عليكم، ويمح عنكم ما اجتريحتموه من السيئات، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل

وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ فَشَاوَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ آلِهَتِنَا قَالَوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَمَا كَانَتْ لَإِلَهِكُمْ أَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لَإِلَهِكُمْ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٣﴾

العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمتقين من عباده.

﴿٧٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين تمالأ عليك المشركون ليكيدوا لك بقتلك أو حبسك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدونك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

﴿٧١﴾ وإذا قرأت عليهم آياتنا قالوا عنادًا للحق وترفعًا عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلناه، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا أكاذيب الأولين؛ فلن نؤمن به.

﴿٧٢﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال المشركون: اللهم إن كان ما جاء به محمد حقًا فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو انتننا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.

﴿٧٣﴾ وما كان الله ليعذب أمتك - سواء من كان منهم من أمة الاستجابة أو من أمة الدعوة - بعذاب يستأصلهم وأنت - يا محمد - حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.

٢ - للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أفعالها.

٣ - ما عند الله من الأجر على كُفِّ النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.

٤ - في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، وأنه مانع من موانع وقوع العذاب.

٥ - في الآيات بيان سفة عقول المعرضين؛ لأنهم لم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

﴿٣٤﴾ وَأَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُ مِنْ عَذَابِهِمْ وَقَدْ ارْتَكَبُوا مَا يوجب عذابهم من صدهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يصلُّوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياء الله إلا المتقين الذين يتقونه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياءه، وهم ليسوا بأوليائه.

﴿٣٥﴾ وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صَفِيرًا وَتَصْفِيقًا، فذوقوا - أيها المشركون - العذاب بالقتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.

﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم ابتغاء صد الناس عن دين الله، فسينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم ندامة؛ لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغْلَبُونَ بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله إلى جهنم يوم القيامة يُسَاقُونَ، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين.

﴿٣٧﴾ يُسَاق هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متراكبًا متراكمًا، فيجعلها في نار جهنم، أولئك هم الخاسرون؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْكَيْتِ إِلَّا أُمُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَدْ لَوْهُمْ حَقٌّ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا نَتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

﴿٣٨﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن ينتهوا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن صدهم عن سبيل الله من آمن به؛ يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.

﴿٣٩﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله وحده لا شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوه، فإن الله بما يعملون بصير، لا تخفى عليه خافية.

﴿٤٠﴾ وإن انصرفوا عما أمروا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فَأَيَّقُوا - أيها المؤمنون - أن الله ناصرهم عليهم، نعم المولى والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.
- ٢ - عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلا أولياء الله المتقون.
- ٣ - في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.
- ٤ - دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.
- ٥ - من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدوًّا له فلا عزَّ له.



وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ عَبْدٍ نَّايَوْمَ الْفَرْقَانِ
يَوْمَ التَّلَقَّى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِلْفَتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا أَلْفَيْتَهُمْ وَلَنُنَزِّلُهُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً
فَأْتِبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٤١﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقراية النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لليتامى، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم.

﴿٤٢﴾ واذكروا حين كنتم بالجانب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والغير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضاً، حيث تُبْطِطُكُمْ أنتم قتلتم وكثرة عدوكم، ويثبُطُهم هم الرعب من لقاء رسول الله ﷺ، فقد نُصِرَ بالرعب، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإذلال الشرك؛ ليهلك من هلك منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر

المؤمنين عليهم مع قلة عددهم وعدتهم، ويحيى من حيي عن بيته وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٤٣﴾ اذكروا - أيها الرسول - من نعم الله عليكم وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلي العدد، فأطلعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به خيراً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال، ولكنه سلّم من ذلك، فعصمهم من الفشل، فقللهم في عين رسوله ﷺ، إنه عليم بما تنطوي عليه القلوب، وبما تخفيه النفوس.

﴿٤٤﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - إذ يريكم الله المشركين حين التقيتم بهم قليلاً، فجرأكم على الإقدام على قتالهم، ويقللهم في أعينهم فيتقدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمراً كان مفعولاً بالانتقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه.

﴿٤٥﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، إذا قاتلت جماعة من الكفار فأتبوا عند لقاءهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيراً وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم؛ رجاء أن يُبْلِغَكُمْ ما تطلبون، ويجنبكم ما تحذرون.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.

٢ - من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر.

٣ - الصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.

﴿٤٦﴾ وَالزَّمُوا طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ، وَلَا تَخْتَلَفُوا فِي الرَّأْيِ؛ فَإِنَّ الْاِخْتِلَافَ سَبَبٌ لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمتنصر لا محالة.

﴿٤٧﴾ وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ كِبَرًا وَمِرَاءةَ لِلنَّاسِ، وَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. ﴿٤٨﴾ وَاذْكُرُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنَّ زَيْنَ الشَّيْطَانِ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْمَالَهُمْ، فَشَجَعَهُمْ عَلَى مُلَاقَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَقِتَالِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ، وَإِنِّي نَاصِرُكُمْ، وَمُجِيرُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فَلَمَّا التَقَى الْفَرِيقَانِ: فَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَنْصُرُونَهُمْ، وَفَرِيقَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهُمُ الشَّيْطَانُ الَّذِي سَيَخْذِلُهُمْ؛ وَلَى الشَّيْطَانُ هَارِبًا، وَقَالَ لِلْمُشْرِكِينَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ، إِنِّي أَرَى الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ جَاؤُوا لِنَصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَهْلِكَنِي اللَّهُ، وَاللَّهُ قَوِي الْعِقَابِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْمِيلِ عِقَابِهِ أَحَدٌ.

﴿٤٩﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ، وَضَعْفَةُ الْإِيمَانِ: خَدَعَهُ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ دِينُهُمُ الَّذِي يَعِدُهُمْ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ

وضعف العدة، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُدْرِكْ هَؤُلَاءِ أَنَّ مِنْ يَعْتَمِدُ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُثِقُ بِمَا وَعَدَ بِهِ مِنَ النَّصْرِ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ، وَلَنْ يَخْذِلَهُ مَهْمَا كَانَ ضَعْفُهُ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَشَاهَدَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ حِينَ تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَهُمْ، وَتَنْزَعُهَا وَهُمْ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ إِذَا أَقْبَلُوا، وَيَضْرِبُونَ أَذْيَارَهُمْ إِذَا وَلَّوْا هَارِبِينَ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا - أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - الْعَذَابَ الْمَحْرُوقِ، لَوْ تَشَاهَدَ ذَلِكَ لَشَهِدْتَ أَمْرًا عَظِيمًا تَقَطَّرُ لَهُ الْأَكْبَادُ.

﴿٥١﴾ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْمُؤَلَّمُ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِكُمْ، وَالْعَذَابُ الْمَحْرُوقِ فِي قُبُورِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، سَبَبُهُ مَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَاللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ فَهُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ.

﴿٥٢﴾ وَلَيْسَ هَذَا الْعَذَابُ النَّازِلُ بِهِؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ خَاصًّا بِهِمْ، بَلْ هُوَ سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي أَمْضَاهَا عَلَى الْكَافِرِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَقَدْ أَصَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالْأُمَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ حِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، فَأَنْزَلَ بِهِمْ عِقَابَهُ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لَا يَقْهَرُ وَلَا يَغْلِبُ، قَوِيٌّ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ.

﴿٥٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - البُطْرُ مَرَضٌ خَطِيرٌ يَنْخَرُ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَةِ الْإِنْسَانِ، وَيُجَلُّ فِي تَدْمِيرِ كَيَانِ صَاحِبِهِ. ٢ - الصَّبْرُ يَعِينُ عَلَى تَحْمِيلِ الشَّدَائِدِ وَالْمُصَاعِبِ، وَلِلصَّبْرِ مَنَفْعَةٌ إِلَهِيَّةٌ، وَهِيَ إِعَانَةُ اللَّهِ لِمَنْ صَبَرَ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَهَذَا مَشَاهِدٌ فِي تَصَرُّفَاتِ الْحَيَاةِ. ٣ - التَّنَازُعُ وَالْاِخْتِلَافُ مِنْ أَسْبَابِ انْقِسَامِ الْأُمَمِ، وَإِنْذَارٌ بِالْهَزِيمَةِ وَالتَّرَاجُعِ، وَذِهَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ وَالِدَوْلَةِ. ٤ - فِي الْآيَاتِ أَنَّ اسْتِحْقَاقَ النِّعَمِ مَنْوُطٌ بِصَلَاحِ الْعُقَاثِدِ، وَحَسَنِ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعَةِ الْأَخْلَاقِ. ٥ - الْإِيمَانُ يَوْجِبُ لِصَاحِبِهِ الْإِقْدَامَ عَلَى الْأُمُورِ الْهَائِلَةِ الَّتِي لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهَا الْجِيُوشُ الْعَظَامُ. ٦ - مِنْ سُنَنِ اللَّهِ الْجَارِيَةِ أَخَذَ الظَّالِمِينَ بِذُنُوبِهِمْ.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَبَ آلُ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
يَذُوبُهُمْ وَاعْرِقْنَاهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾
إِنْ شَرَّ اللَّوَاثِبِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَنْقَضَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ
مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّا نَخَافُ مِنْ
قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا أَيُّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جُنَحُوا
لِلسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿٥٣﴾ ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أنعم
على قوم نعمة من عنده لم ينزعها منهم حتى يغيروا
أنفسهم من حالها الطيب من الإيمان والاستقامة
وشكر النعم إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته
وكفران نعمه، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليهم
بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٥٤﴾ شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر
بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم،
كذبوا بآيات ربهم، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبوه
من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في
البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا
ظالمين بسبب كفرهم بالله وشركهم به،
فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.

﴿٥٥﴾ إن شر من يذب على الأرض هم الذين
كفروا بالله وبرسله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل آية؛ لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت
فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر.

﴿٥٦﴾ فمن هؤلاء الذين لا يؤمنون: اليهود الذين
عاهدتهم - أيها الرسول - أن لا يقتلوك، ولا
يعينوا على قتالك أحدًا، ثم ينقضون ما
عاهدتهم عليه في كل مرة عاهدتهم فيها، وهم
لا يخافون الله، فلا يوفون بعهودهم، ولا
يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم.

﴿٥٧﴾ فإن قابلت - أيها الرسول - هؤلاء الناقضين
لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى

يسمع بذلك غيرهم، لعلهم يعتبرون بحالهم، فيهاون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.

﴿٥٨﴾ وإن خفت - أيها الرسول - من قوم عاهدتهم غشًا ونقضًا للعهد بأمانة تظهر لك فأعلمهم بطرح عهدهم حتى
يستتروا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب
الخائنين، بل يمقتهم، فاحذر أنت من الخيانة.

﴿٥٩﴾ ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا عقاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدرِكهم
ولا حَاق بهم.

﴿٦٠﴾ وأعدوا - أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة، ومن ذلك حبس الخيل في سبيل الله، تُخَوِّفُونَ
أعداء الله وأعداءكم من الكافرين الذين يترصون بكم الدوائر، وتُخَوِّفُونَ به قومًا آخرين، لا تعلمونهم، ولا تعلمون
ما يضمرون لكم من عداوة، بل الله وحده هو الذي يعلمهم، ويعلم ما يضمرون في أنفسهم، وما تنفقوا من مال قلٍّ
أو كثر يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويعطكم ثوابه كاملاً غير منقوص في الآخرة، فبادروا إلى الإنفاق في سبيله.

﴿٦١﴾ وإن مالوا إلى الصلح وترك قتالك، فمِلْ - أيها الرسول - إليه، وعاهدهم، واعتمد على الله، وثق به، فلن
يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿٦٢﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرًا لمن
عملها أن لا يعاودها. ٢ - من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلا إن وُجِدَتْ منهم الخيانة
المحققة. ٣ - يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي
والسياسة. ٤ - جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين.

﴿١١﴾ وَإِنْ قَصِدُوا بِمِثْلِهِمُ لِلصَّلَاحِ وَتَرَكَ الْقِتَالَ أَنْ يَخْدَعُوكَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - بِذَلِكَ لَيْسَتْ عِدْوَةٌ لِقِتَالِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ مَكْرَهُمْ وَخِدَاعَهُمْ، هُوَ الَّذِي قَوَّاهُ بِنَصْرِهِ، وَقَوَّاهُ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

﴿١٢﴾ وَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَصَرَكَ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ لِتَجْمَعَ بَيْنَ قُلُوبِهِمُ الْمُتَفَرِّقَةَ مَا جَمَعْتَ بَيْنَهَا، لَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ جَمَعَ بَيْنَهَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ فِي مَلَكِهِ لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ اللَّهُ كَافِيكَ شَرَّ أَعْدَائِكَ، وَكَافِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، فَتَقِ بِاللَّهِ وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ.

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حُتُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، وَخُضُّهُمْ عَلَيْهِ بِمَا يَقْوِي عَزَائِمَهُمْ وَيَنْشِطُ هِمَمَهُمْ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَشْرُونَ صَابِرُونَ عَلَى مُقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكَافِرِينَ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْكَافِرِينَ قَوْمٌ لَا يَفْهَمُونَ سُنَّةَ اللَّهِ بِنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، وَدُخْرُ أَعْدَائِهِ، وَلَا يَدْرِكُونَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقِتَالِ، فَهُمْ يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ الْعُلُوِّ فِي الدُّنْيَا.

﴿١٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - لِمَا عَلِمَهُ مِنْ ضَعْفِكُمْ، فَخَفَّفَ عَنْكُمْ لَطْفًا مِنْهُ بِكُمْ، فَأَوْجِبَ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْكُمْ أَنْ يَثْبُتَ أَمَامَ اثْنَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ بَدَلَ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

﴿١٦﴾ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَهُ حَتَّى يُكْثِرَ الْقَتْلَ فِيهِمْ؛ لِيَدْخُلَ الرِّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى لَا يَعُودُوا إِلَى قِتَالِهِ، تَرِيدُونَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بِاتِّخَاذِ أَسْرَى بَدَلَ أَخْذِ الْفِدَاءِ، وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ الَّتِي تُنَالُ بِنَصْرِ الدِّينِ وَإِعْزَازِهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَهْرُهُ، لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿١٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ أَنَّهُ أَحَلَّ لَكُمْ الْغَنَائِمَ، وَأَبَاحَ لَكُمْ فِدَاءَ الْأَسْرَى لِأَصَابِكُمْ عَذَابَ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْفِدَاءِ مِنَ الْأَسْرَى قَبْلَ نَزُولِ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ.

﴿١٨﴾ فَكُلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِمَّا أَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ غَنِيمَةٍ فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ﴾

١ - فِي الْآيَاتِ وَعَدَ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَفَايَةِ وَالنَّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ.

٢ - الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِقْدَامُ عَلَى الْجِهَادِ بِرُوحٍ وَثَابَةٍ عَالِيَةٍ، وَشَجَاعَةٍ فَائِثَةٍ، وَصَبْرٍ شَدِيدٍ، وَعَزِيمَةٍ لَا تَلِينُ.

٣ - الثَّبَاتُ أَمَامَ الْعَدُوِّ فَرَضٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ فِيهِ، مَا لَمْ يَحْدِثْ مَا يُرَخِّصُ لَهُمْ بِخِلَافِهِ.

٤ - اللَّهُ يَحِبُّ لِعِبَادِهِ مُعَالِي الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ مِنْهُمْ سَفَاسِفَهَا، وَلِذَلِكَ حَثَّهُمْ عَلَى طَلَبِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ الْبَاقِي وَالِدَائِمِ.

٥ - مُفَادَاةُ الْأَسْرَى أَوْ الْمَنْ عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَوَافُرِ الْغَلْبَةِ وَالسُّلْطَانِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَإِظْهَارِ هَيْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي وَجْهِ الْآخَرِينَ.

(٧٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٦) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا تُكَنُّ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٨٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٨١)

وغيره ممن أسلم. (٧٦) وإن يقصدوا - يا محمد - خيانتك بما يظهرون لك من القول فقد خانوا الله من قبل، وقد نصرك الله عليهم، فقتل منهم من قتل وأسير من أسير، فلينتظروا مثل ذلك إن عادوا، والله عليم بخلقه وبما يصلحهم، حكيم في تدبيره. (٧٧) إن الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، أو إلى مكان يعبدون الله فيه آمنين، وجاهدوا ببذل أموالهم وبذل أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوهم في منازلهم، ونصروهم، أولئك المهاجرون والذين نصروهم من أهل الدار بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، والذين آمنوا بالله، ولم يهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ليس عليكم - أيها المؤمنون - أن تنصروهم وتحملوهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم على عدوهم، لا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم ينقضوه، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

(٧٨) والذين كفروا بالله يجمعهم الكفر، فيوالي بعضهم بعضًا، فلا يوالىهم مؤمن، إن لم توالوا المؤمنين، وتعادوا الكافرين تكن فتنة للمؤمنين حيث لم يجدوا من ينصرهم من إخوانهم في الدين، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصدق عن سبيل الله. (٧٩) والذين آمنوا بالله وهاجروا في سبيله، والذين آووا المهاجرين في سبيل الله ونصروهم، أولئك هم المتصفون بصفة الإيمان حقًا، وجزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم منه، وهو الجنة. (٨٠) والذين آمنوا من بعد إيمان السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أولئك منكم أيها المؤمنون، لهم ما لكم من الحقوق، وعليهم ما عليكم من الواجبات، وأصحاب القرابة في حكم الله بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة الذي كان موجودًا سابقًا، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما يصلح لعباده، فيشرعه لهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

- ١ - يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان.
- ٢ - تضمنت الآيات بشارة للمؤمنين باستمرار النصر على المشركين ما داموا آخذين بأسباب النصر المادية والمعنوية.
- ٣ - إن المسلمين إذا لم يكونوا يداً واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير.
- ٤ - فضيلة الوفاء بالعهود والمواثيق في شرعة الإسلام، وإن عارض ذلك مصلحة بعض المسلمين.
- ٥ - الموالاة بين المسلمين سبب في قوتهم وضعف عدوهم.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الْبُرْجُ الْخَالِصُ

رَبِّهَا

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مَخْرِجُ الْكَافِرِينَ ٢ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَاثًا تَبَوَّءُوا لِيَهُمْ عَهْدُهُمْ إِلَى
مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥
وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ائْتِ بِهٖ مَّأْمُومًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ٦

﴿مَقْصَلُ السُّورَةِ﴾

كشف أحوال الطوائف، بالمفاصلة مع الكافرين، وفضح المنافقين، وتمييز المؤمنين.

﴿التَّفْسِيرُ﴾

١ هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهود إلى الذين عاهدتم - أيها المسلمون - عليها المشركين.

٢ فسيروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر آمينين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، وبدخول النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يتم له عهده إلى مدته.

٣ وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم - أيها المشركون - من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تقوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر - أيها الرسول - الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجه ينتظرهم.

٤ إلا الذين عاهدتم من المشركين، ووفوا بعهدكم، ولم ينقضوا منه شيئاً، فهم مُسْتَنْوُونَ من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تنقضي مدته، إن الله يحب المتقين بامتثال أوامره، ومنها الوفاء بالعهد، وباجتناب نواهيه، ومنها الخيانة.

٥ فإذا انتهت الأشهر الحرم (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب) التي أتممت فيها أعداءكم فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وحاصروهم في معابليهم، وترصدوا لهم طرقهم، فإن تابوا إلى الله من الشرك، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم؛ فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام؛ فاتركوا قتالهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به.

٦ وإن دخل أحد من المشركين مباح الدم والمال وطلب جوارك - أيها الرسول - فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السلم والأمن والتفاهم. ٢ - الإسلام يُقَدِّرُ العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نابعاً من الإيمان، وملازماً لتقوى الله تعالى. ٣ - جواز عقد الهدنة والعهد والاتفاقيات مع غير المسلمين من باب تحقيق المصالح إذا التزموا ما فيها من أحكام. ٤ - أن إقامة الصلاة أو إيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدِّمَّ والمال، وبوجوب لمن يؤذيهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام؛ كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزَّانِي الْمُحْصَن، والرَّذَّة إلى الكفر بعد الإيمان. ٥ - مشروعية الأمان؛ أي: جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين؛ ليسمع ما يدل على صحة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إثارة السلم.

﴿٧﴾ لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم - أيها المسلمون - عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿٨﴾ كيف يكون لهم عهد وأمان وهم أعداؤكم، وإن يظفروا بكم لا يراعوا فيكم الله ولا قرابة، ولا عهداً، بل يسومونكم سوء العذاب؟! يرضونكم بالكلام الحسن الذي تنطق به ألسنتهم، لكن قلوبهم لا تطاوع ألسنتهم، فلا يَفُونَ بما يقولون، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد.

﴿٩﴾ اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهد ثمناً حقيراً من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون.

﴿١٠﴾ لا يراعون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهداً؛ لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله؛ لما يتصفون به من الظلم والعدوان.

﴿١١﴾ فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم فقد صاروا مسلمين، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ونبين الآيات، ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين ينتفعون بها، وينفعون بها غيرهم.

﴿١٢﴾ وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهودهم ومواثيقهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أئمة الكفر وقادته، ولا عهود لهم، ولا مواثيق تحقن دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهد وانتقاصهم للدين.

﴿١٣﴾ لم لا تقاتلون - أيها المؤمنون - قوماً نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة، وهم يدؤوكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بكرّاً حلفاء قريش على خِزَاعَةِ حلفاء الرسول ﷺ، أتخافونهم، فلا تقدموا على قتالهم؟! فالله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

﴿١٤﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - دلت الآيات على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لأسباب كثيرة، أهمها: نقضهم العهد.
- ٢ - أن العهد المحترم عند الله وعند الرسول هو عهد غير الناكثين، وأن من استقام على عهده يعامل بمقتضاه.
- ٣ - في الآيات دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يُقاتَل حتى يؤديهما، كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ.
- ٤ - استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ على وجوب قتل كل من طعن في الدين عامداً مستهزئاً به.
- ٥ - في الآيات دلالة على أن المؤمن الذي يخشى الله وحده يجب أن يكون أشجع الناس وأجرأهم على القتال.

﴿١٤﴾ قَاتِلُوا - أَيَهَا الْمُؤْمِنُونَ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتَهُمْ يَعِزُّهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَذَلِكَ بِقَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَيَذْلَهُم بِالْهَزِيمَةِ وَالْأَسْرِ، وَينصركم عليهم يجعل الغلبة لكم، وَيَشْفِ صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال بما حصل لعدوهم من القتل والأسر والهزيمة ونصر المؤمنين عليهم.

﴿١٥﴾ وَيُبْعِدُ الْغَيْظَ عَنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النِّصْرِ عَلَيْهِمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ إِنْ تَابُوا كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِصَدَقِ الثَّائِبِ مِنْهُمْ، حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيعِهِ.

﴿١٦﴾ أَظَنَنْتُمْ - أَيَهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَتْرَكَكُمْ اللَّهُ دُونَ ابْتِلَاءٍ؟ فَالْإِبْتِلَاءُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِهِ، سَتَبْتَلُونَهُ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلْعِبَادِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ بِإِخْلَاصِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ بَطَانَةً مِنَ الْكَفَّارِ يُوَلِّوْنَهُمْ، وَأَصْفِيَاءَ مِنْهُمْ يُوَادُّوْنَهُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٧﴾ مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ، وَهُمْ مُقِرُّونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ بِمَا يظهرونه منه، وَأُولَئِكَ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ لِفَقْدِ شَرْطِ قَبُولِهَا الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ مَآكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا إِنْ تَابُوا مِنَ الشَّرْكِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ وَيَقُومُ بِحَقِّهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ، وَلَمْ يَخَفْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرْجَى أَنْ يَكُونُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿١٩﴾ أَجْعَلْتُمْ - أَيَهَا الْمُشْرِكُونَ - الْقَائِمِينَ عَلَى سَقَايَةِ الْحَاجِّ وَعَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِثْلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أَجْعَلْتُمُوهُمْ سَوَاءً فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟! لَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوْفِقُ الظَّالِمِينَ بِالْبَشَرِ، وَلَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ خَيْرِ كَسَقَايَةِ الْحَاجِّ.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْهَجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَعْظَمَ رَتَبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ يَفُوزُونَ بِنَبْلِ مَا يَطْلُبُونَهُ، وَتَجَنَّبَ مَا يَرِهْبُونَهُ.

﴿٢١﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتِنَائِهِ بِأَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ شِفَاءَ مَا فِي صُدُورِهِمْ وَذَهَابَ غَيْظِهِمْ.
- ٢ - شَرَعَ اللَّهُ الْجِهَادَ لِيَحْصَلَ بِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَيَّزَ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ لَا يَتَحَيَّزُونَ إِلَّا لِلدِّينِ وَاللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ.
- ٣ - عُمَارُ الْمَسَاجِدِ الْحَقِيقِيَّةِ هُمُ مَنْ وَصُفُوا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَبِالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أُمُّهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَبِخَشْيَةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.
- ٤ - الْجِهَادُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سَقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلُ الدِّينِ، وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ.

﴿٦١﴾ يُخَبِّرُهُمُ اللَّهُ بِرَبِّهِمْ بِمَا يَسِرُّهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَمِنْ إِحْلَالِ رِضْوَانِهِ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَبِدُخُولِ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ دَائِمٌ لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا.

﴿٦٢﴾ مَا كَثُرْنَ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ مُكْثًا لَا نِهَايَةَ لَهُ، ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ امْتَلَأَ أَوَامِرُهُ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ، لَا تُصَيِّرُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ فِي النِّسْبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قُرَابَتِكُمْ أَصْفِيَاءَ تَوَالُونَهُمْ بِإِفْسَاءِ أَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِمْ، وَالتَّشَاوُرِ مَعَهُمْ؛ إِنْ أَثَرُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ يَصَيِّرُهُمْ أَوْلِيَاءَ مَعَ بَقَائِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَيُظْهِرُ لَهُمُ الْمَوَدَّةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَظَلَمَ نَفْسَهُ بِإِيرَادِهَا مَوَارِدَ الْهَلَاكِ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ.

﴿٦٤﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَقْرَبَاؤُكُمْ، وَأَمْوَالُكُمْ الَّتِي اكْتَسَبْتُمُوهَا، وَتِجَارَتُكُمْ الَّتِي تُحِبُّونَ رَوَاجَهَا، وَتَخَافُونَ كَسَادَهَا، وَبَيْوتُكُمْ الَّتِي تَرْضَوْنَ الْمَقَامَ فِيهَا، إِنْ كَانَ كُلُّ أَوْلَيْكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِنْ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَانْتَظِرُوا مَا يَنْزِلُهُ اللَّهُ بِكُمْ مِنَ الْعِقَابِ وَالنَّكَالِ، وَاللَّهُ لَا يُوقِفُ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ لِلْعَمَلِ بِمَا يَرْضَاهُ.

يُخَبِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّعَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٦٦﴾

﴿٦٥﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى عَدُوِّكُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فِي غَزَوَاتٍ كَثِيرَةٍ عَلَى قَلَّةٍ عِدَدَكُمْ وَضَعْفِ عِدَّتِكُمْ حِينَ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ وَأَخَذْتُمْ بِالْأَسْبَابِ، وَلَمْ تُغْجَبُوا بِكَثْرَتِكُمْ، فَلَمْ تَكُنْ الْكَثْرَةُ سَبَبَ نَصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ، فَقُلْتُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ، فَلَمْ تَتَفَعَّكُمُ كَثْرَتُكُمْ الَّتِي أَعْجَبَتْكُمْ شَيْئًا، فَتَغْلِبَ عَلَيْكُمْ عَدُوُّكُمْ، وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ عَنْ أَعْدَائِكُمْ فَارِينَ مُنْهَزِمِينَ.

﴿٦٦﴾ ثُمَّ بَعْدَ فِرَارِكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ الطَّمَأْنِينَةَ عَلَى رَسُولِهِ، وَأَنْزَلَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَثَبَّتُوا لِلْقِتَالِ، وَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً لَمْ تَرَوْهُمْ، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَأَخَذِ الْأَمْوَالِ وَسَبِي الذَّرَارِيِّ، وَذَلِكَ الْجَزَاءُ الَّذِي جُوزِيَ بِهِ هَؤُلَاءِ هُوَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ لِرَسُولِهِمُ الْمَعْرُضِينَ عَمَّا جَاءَ بِهِ.

﴿٦٧﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمزية العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين ييسرهم ربهم بالنعيم.
- ٢ - في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- ٣ - تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إظهار الحظوظ العاجلة على الامتثال.
- ٤ - في الآيات دليل على أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة، فلا يغلبون بكثرتهم.
- ٥ - فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجَزَع والخوف.

﴿٧٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي - ومن ضمنه المسجد الحرام - ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتهم - أيها المؤمنون - فقراً بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكشفكم من فضله إن شاء، إن الله عليكم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يدره لكم.

﴿٧٩﴾ قاتلوا - أيها المؤمنون - الكافرين الذين لا يؤمنون بالله رباً لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مقهورين.

﴿٨٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عزيزاً ابن الله، والنصارى أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابن الله، ذلك القول الذي اقتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكهم الله، كيف يضرّون عن الحق البين إلى الباطل؟!

﴿٨١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى ابن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى، وما أمر عزيزاً وعيسى ابن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من أكبر المنن على المسلمين أن يصبح عدوهم المحارب لهم مسلماً معهم، كما حدث مع هوازن، والتتار.
- ٢ - في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.
- ٣ - في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.
- ٤ - الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.
- ٥ - في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتنقصوا من عظمتهم سبحانه.
- ٦ - في أخلاق اليهود وتصرفاتهم ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتال اليهود والاجتهاد وبذل الوسع فيه.

﴿٣٢﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم ممن هم على ملة من ملل الكفر بافترائهم هذه وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من الحجج الواضحة والبراهين الجلية على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن يكمل دينه ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه فإن الله مُتِمُّهُ وَمُظْهِرُهُ وَمُعْلِيهِ، وإذا أراد الله أمراً بطلت إرادة غيره.

﴿٣٣﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ بالقرآن الذي هو هدى للناس، وبدين الحق الذي هو دين الإسلام ليُعْلِيَهُ بما فيه من الحجج والبراهين والأحكام على غيره من الأديان، ولو كره المشركون ذلك.

﴿٣٤﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما شرعه الله لهم، إن كثيراً من علماء اليهود، وكثيراً من عبّاد النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة وغيرها، وهم يمنعون الناس من الدخول في دين الله، والذين يجمعون الذهب والفضة، ولا يؤدون ما يجب عليهم من زكاتها، فأخبرهم - أيها الرسول - بما يسوؤهم يوم القيامة من عذاب موحج.

﴿٣٥﴾ يوم القيامة يُحْمَى على ما جمعه ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا اشتدت حرارتها وُضِعَتْ على جباههم وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، كلما بردت أعيدت، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي أموالكم التي جمعتموها، ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيها، فدوقوا وبال وعاقبة ما كنتم تجمعون، ولا تؤدون حقوقه.

﴿٣٦﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً، لا أقل ولا أكثر، فيما أثبت الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض، من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة حُرُم، أشهر حُرُم الله فيها القتال، وهي ثلاثة سر: (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم)، وواحد فرد، وهو (رجب)، ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرُم أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقاتلوا المشركين جميعاً كما أنهم يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد.

﴿٣٧﴾ فَوَالَّذِينَ آتَيْنَا:

- ١ - دين الله ظاهر ومتصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسداً من عند أنفسهم.
- ٢ - ظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم بدخول كثير من الناس من بقاع الأرض في هذا الدين، على الرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة.
- ٣ - تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- ٤ - تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- ٥ - الحرص على استعمال تقوى الله في السر والعلن، خصوصاً عند قتال الكفار؛ لأن المؤمن يتقي الله في كل أحواله.

﴿٣٦﴾ إن التأخير لحرمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم، وجعله مكانه كما كان يفعل العرب في الجاهلية، زيادة في الكفر على كفرهم بالله؛ حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرُم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سنَّ لهم هذه السُنَّة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور الحل، ويقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، زين لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسيء، والله لا يوفق الكافرين المُضِرِّين على كفرهم.

﴿٣٧﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعِيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم تباطأتم، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟ أرضيتُم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله؟ فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لعاقِل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟!

﴿٣٨﴾ إلا تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في

سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويبدلكم بقوم مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبيه من دونكم.

﴿٣٩﴾ إلا تنصروا - أيها المؤمنون - رسول الله ﷺ، وتستجيروا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجه المشركون هو وأبا بكر ﷺ، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصيِّر كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عادات حسنة.

٢ - عدم النفي في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.

٣ - فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

٤ - أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

﴿٤١﴾ **سَيُورُوا** - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شابًا وشيخًا، خَفَافًا وثَقَلًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.

﴿٤٢﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمة سهلة وسفرًا لا مشقة فيه لاتبعوك - أيها النبي -، ولكن بَعُدَتْ عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿٤٣﴾ عفا الله عنك - أيها الرسول - اجتهادك في الإذن لهم في التخلف، فلم أذنت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أعذارهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿٤٤﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، وبيوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم،

ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمؤمنين من عباده الذين لا يستأذنوك إلا لأعذار تمنعهم من الخروج معك.

﴿٤٥﴾ إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿٤٦﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فأخرجهم عنه، وأهانهم فقبل لهم: اقعدا مع القاعدين من النساء والصبيان والمرضى.

ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمأنهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال:

﴿٤٧﴾ من الخير أن لا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخاذيل والفاء الشبه، ولا أسرعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم - أيها المؤمنون - من يستمع إلى ما يروجونه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدسائس والشكوك بين المؤمنين.

﴿٤٨﴾ **فَوَالَّذِينَ كَذَبُوا:**

١ - وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة. ٢ - العبادة الصادقة التي يكرم الله أصحابها تلكم العبادة التي يتحقق فيها الإخلاص والمتابعة وتكون على كل حال. ٣ - للجهاد ثمرة يانعة عظيمة، فهو يحقق إحدى الحسنين: إما النصر بإعلاء كلمة الله وإعزاز المسلمين، وإما الشهادة في سبيل الله، فيتحقق القرار في نعيم الآخرة والاستمتاع بالخلود في الجنة. ٤ - الأيمان الكاذبة توجب الهلاك. ٥ - وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب الثبوت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والترثيث. ٦ - المؤمنون بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم. ٧ - من عناية الله بالمؤمنين تبيطه ومنعه المنافقين من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بهم ولطفًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم.

﴿٤٨﴾ لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوعوا وصرفوا لك - أيها الرسول - الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد حتى جاء نصر الله وتأييده لك، وأعز الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

﴿٤٩﴾ ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المختلفة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب ذنباً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد سقطوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، إن جهنم يوم القيامة لمحيطه بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

﴿٥٠﴾ إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهليهم مسرورين بالسلامة.

﴿٥١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وعليه وحده يتوكل المؤمنون، فهو كافيههم، ونعم الوكيل.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - لهم: هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة، وهما عاقبتان حُسْنِيَان؟ ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله إحدى مساءتين: مساءة بغذاب من عنده يهلككم، أو مساءة بتعذيبكم بأيدينا بقتلكم وأسرکم إذا أذن لنا بقتلكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

﴿٥٣﴾ قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخروجكم عن طاعة الله.

﴿٥٤﴾ وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتثاقلهم إذا صلُّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

﴿٥٥﴾ فإِذَا مَنِ الْآيَاتِ:

١ - دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.

٢ - التخلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظيمة محققة، وهي معصية الله ومعصية لرسوله.

٣ - في الآيات تعليم للمسلمين أن لا يحزنوا لما يصيبهم؛ لثلاث يهنوا وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدر الله لهم، ويرجوا رضى ربهم؛ لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه.

٤ - التوكل على الله - بمعنى تفويض الأمر إليه بعد اتخاذ الأسباب - من أصول الإيمان.

٥ - من علامات ضعف الإيمان وقلة القوى التكاسل في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضى ورجاء للثواب.

﴿٥٥﴾ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، ولا تستحسنها، فعاقة أموالهم وأولادهم سيئة، والله يجعلها عذاباً عليهم بالكذب والتعب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿٥٦﴾ ويحلف المنافقون لكم - أيها المؤمنون - كاذبين: إنهم لمن جملتكم، وهم ليسوا منكم في بواطنهم، وإن أظهروا أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون، فهم جنباء في القتال، ويخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركين من القتل والسي، فيظهرون الإسلام تقية.

﴿٥٧﴾ لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأً من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفاً في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقاً يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون سرعة الفرس الجامح.

﴿٥٨﴾ ومن المنافقين من يعيبك - أيها الرسول - في قسمة الصدقات عندما لا ينالون منها ما يريدون، فإن أعطيتهم منها ما يطلبون رضوا عنك، وإن لم تعطهم ما يطلبون منها أظهروا التذمر.

﴿٥٩﴾ ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إنا إلى الله وحده راغبون أن يعطينا من فضله، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم من أن يعيبوك.

ولما عابوا رسول الله ﷺ في قسمتها بين لهم مصارفها ومستحقها ثبوتاً لرسوله، فقال:

﴿٦٠﴾ إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا يُنتَبَه لحالهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئاً ولا يخفون على الناس بسبب حالهم أو مقالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللكفار الذين يُتَأَلَّفون بها ليسلموا، أو لضعفة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يُدفع بها شره، وتصرف في الأرقاء ليعتقوا بها، وللمدنيين في غير إسراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت نفقته. قُصِر صرف الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٦١﴾ ومن المنافقين من يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، فيقولون لما شاهدوا حلمه ﷺ: إنه يسمع من كل أحد ويصدق، ولا يميز بين الحق والباطل، قل لهم - أيها الرسول -: إن الرسول لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون، والذين يؤذونه ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجه.

﴿٦٢﴾ فإيا من الآيات:

١ - الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة، فليتعامل العبد معهما بما يرضي مولاه، فتنجح بهما النجاة. ٢ - ينبغي للعبد أن يكون هواه تبعاً لمرضاة مولاه. ٣ - حين يعطي الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي لن يبقى فقير بين المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الشغور، ويُجَاهَد به الكفار، وتحصل به جميع المصالح الدينية. ٤ - توزيع الزكاة موكول لاجتهاد ولالة الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال. ٥ - أن إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسالته كفر، يترتب عليه العقاب الشديد. ٦ - ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويعرض ترفعاً وإباء عن سماع الشر والفساد.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتُمْ أَرْأَيْتُمْ خَلِيلَهُمْ فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٧﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا رَبَّكَ إِنَّ اللَّهَ خَرَجَ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَلَعَلَّ قُلُوبَنَا بَالِغَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِنِّي لَهُ رَسُولٌ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٩﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْقُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٧٢﴾

﴿٦٦﴾ يحلف المنافقون بالله لكم - أيها المؤمنون - أنهم لم يقولوا شيئاً يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم، والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين حقاً.

﴿٦٧﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم بعملهم هذا معادون لله ولرسوله، وأن من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار جهنم ماكثاً فيها أبداً؟ ذلك الهوان والذل الكبير.

﴿٦٨﴾ يخاف المنافقون أن ينزل الله على رسوله سورة تطلع المؤمنين على ما يضمرونه هم من الكفر، قل - أيها الرسول -: استمروا - أيها المنافقون - على استهزائكم وسخرتكم، فالله مخرج ما تخافون بإنزال سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

﴿٦٩﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المنافقين عما قالوا من الطعن وسب المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولن: كنا في حديث نمزح فيه ولم نكن جادين، قل - أيها الرسول -: أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟!

﴿٧٠﴾ لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة، فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد أن كنتم تضمرونه، إن تتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعذب فريقاً منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.

﴿٧١﴾ المنافقون رجالاً ونساء متفقون في أحوال النفاق، وهم على النقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، أعرضوا عن الله فغفلوا عنه، فلا يذكرونه إلا قليلاً، فأغفلهم الله من رحمته، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

﴿٧٢﴾ وعدَّ الله المنافقين والكفار الذين لم يتوبوا أن يدخلهم نار جهنم ماكثين فيها أبداً، هي كافيتهم عقاباً، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب مستمر.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

١ - قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الأيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين، والتخوف من نزول سورة في القرآن تفضح شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.

٢ - لا يقبل الهزل في الدين وأحكامه، ويعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفراً.

٣ - التوبة من النفاق أو الكفر مقبولة، فمن تاب عفي عنه، ومن أصر على الكفر أو النفاق عوقب في جهنم.

﴿٦٩﴾ أنتم - يا معشر المنافقين - في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا بنصيبهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم - أيها المنافقون - بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضتم في التكذيب بالحق والطعن في الرسول مثل خوضهم في التكذيب به والطعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

﴿٧٠﴾ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجليلة، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

﴿٧١﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض؛ لجمع الإيمان بينهم، يأمرون بالمعروف، وهو كل محبوب لله تعالى من وجه طاعته كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر، وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله، أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.

﴿٧٢﴾ وعد الله المؤمنين بالله والمؤمنات به أن يدخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار ماكثين فيها دائماً، لا يموتون فيها ولا ينقطع نعيمهم، ووعدهم أن يدخلهم مساكن حسنة في جنات إقامة، ورضوان يحله الله عليهم أكبر من ذلك كله، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿٧٣﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ يُسْأَلُونَ لِمَا كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَوْلًا

- ١ - التفاق: مرض عضال متأصل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقُبض أيديهم وإساکهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- ٢ - الجزاء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته.
- ٣ - سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إثارة الدنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والغدر بهم.
- ٤ - إهلاك الأمم والأقوام الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.
- ٥ - لا عقوبة إلا بذنب.
- ٦ - أهل الإيمان رجالاً ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف.
- ٧ - رضا رب الأرض والسموات أكبر من نعيم الجنات؛ لأن السعادة الروحانية أفضل من الجسمانية.

﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِقِتَالِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ، وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهُمْ أَهْلُ لَدُنْكَ، وَمَقَرُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمْ.

﴿٧٤﴾ يَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ كَاذِبِينَ: مَا قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِنَ السَّبِّ لَكَ وَالْعَيْبِ لَدَيْنَكَ، وَلَقَدْ قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِمَّا يَكْفُرُهُمْ، وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ، وَلَقَدْ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَظْفَرُوا بِهِ مِنَ الْفِتَنِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَنْكَرُوا شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا لَا يَنْكَرُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِإِعْثَائِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الَّتِي مِنْ بَها عَلَى نَبِيِّهِ، فَإِنْ يَتَوَبَّعُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ نِفَاقِهِمْ تَكُنْ تَوْبَتُهُمْ مِنْهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ عَلَيْهِ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ يَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا مُوجِعًا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا مُوجِعًا فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَتَوَلَّاهُمْ فَيَنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا نَاصِرٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

﴿٧٥﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ قَائِلًا: لَنْ أُعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنْتَصِدَّقَنَّ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ، وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ.

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أُعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَضْلِهِ لَمْ يَفُوا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، بَلْ بَخِلُوا فَلَمْ يَتَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ، وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿٧٧﴾ فَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ نِفَاقًا ثَابِتًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى إِخْلَافِهِمْ لِعَهْدِ اللَّهِ، وَعَلَى كَذِبِهِمْ.

﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَخْفُونَ مِنَ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ؟ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَعْثُبُونَ الْمُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَذْلِ الصَّدَقَاتِ الْيَسِيرَةِ، الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا هُوَ حَاصِلٌ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ قَائِلِينَ: مَاذَا تَجْدِي صَدَقَتَهُمْ؟! سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جَزَاءً عَلَى سَخَرِيَّتِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿٨٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.

٢ - المنافقون من شرِّ الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.

٣ - في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.

٤ - في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جِهَدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا عَنْهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعِدَائِهِمْ وَهُمْ وَمَا لَمْ يَتَوَلَّوْا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتَوْبُوا يَكْخَيْرُ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقِبَهُمُ النَّفَاقُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَذَبُوا ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنْ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿٨٠﴾ لن يغفر الله للمنافقين أبداً حتى لو استغفر لهم الرسول؛ لأنهم ليسوا أهلاً للمغفرة مهما كثر الاستغفار، فهم كافرون بالله وبرسوله وخارجون على شرع الله عن عمد وقصد.

﴿٨١﴾ فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما يجاهد المؤمنون، وقالوا مثبطين لإخوانهم من المنافقين: لا تسيروا في الحر، وكانت غزوة تبوك في زمن الحر، قل لهم - أيها الرسول -: نار جهنم التي تنتظر المنافقين أشد حراً من هذا الحر الذي فروا منه لو يعلمون.

﴿٨٢﴾ فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في حياتهم الآخرة الباقية؛ جزاء على ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والأثام في الدنيا.

﴿٨٣﴾ فإن أعادك الله - أيها النبي - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المنافقون - معي في الجهاد في سبيل الله أبداً عقوبة لكم، وحذراً من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك،

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا

جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ

تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّ

عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِم

بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ أَمْسُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ

أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَاقْعُدُوا

وَابْقُوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان. ﴿٨٧﴾ ولا تصل - أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبداً، ولا تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله وكفروا برسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصَلَّى عليه ولا يُدعى له.

﴿٨٨﴾ ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم.

﴿٨٩﴾ وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب السَّار منهم، وقالوا: اتركنا تتخلف مع أصحاب الأعداء كالضعفاء والزَّمنى.

﴿٩٠﴾ فَوَلِّهِمْ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً. ٢ - أن فرح المنافقين زائل، وأن بكاءهم دائم. ٣ - الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالباً إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يَتَمَحَّض عنه من أحداث. ٤ - لا تدل الآيات على منع الضحك الخفيف، ولكن الإكثار منه وملازمته تमित القلب. ٥ - في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين. ٦ - عدم الاعتراض بما أعطى الله في الدنيا من الأموال والأولاد للكافرين والمنافقين، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك مكر منه لهم واستدراج.

﴿٨٧﴾ رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم الذلة والمهانة حين رضوا أن يتخلفوا مع أصحاب الأعداء، وختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فهم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم، فهم مثل الأنعام.

﴿٨٨﴾ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالنصر والغنائم، وحصول المنافع الأخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

﴿٨٩﴾ هيا الله لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار ماكين فيها أبداً، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الذي لا يدانيه فلاح.

﴿٩٠﴾ وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يعتذرون إلى رسول الله ﷺ؛ ليأذن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وقد قوم آخرون لم يعتذروا أصلاً عن الخروج؛ لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعده الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجه.

﴿٩١﴾ ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة من الزمنى والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميعاً إثم في التخلف عن الخروج؛ لأن أعمارهم قائمة إذا أخلصوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعداء طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور رحيم بهم.

﴿٩٢﴾ ولا إثم كذلك على المتخلفين عنك الذين إن جاؤوك - أيها الرسول - يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب؛ تولوا عنك وقد فاضت دموعهم أسفاً على أنهم لم يجدوا ما ينفقون من عند أنفسهم أو من عندك.

﴿٩٣﴾ إنما العقوبة والمواخذة على أولئك الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرين عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الذلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالم في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تتأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنبوه.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - أن المجاهدين سيحصلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.
- ٢ - الأصل أن المحسن إلى الناس تكرمًا منه لا يؤاخذ إن وقع منه تقصير.
- ٣ - أن من نوى الخير، واقرن بينه الجازمة سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر فإنه يُنزَلْ منزلة الفاعل له.
- ٤ - الإسلام دين عدل ومنطق، لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالمال والنفس.

﴿٩٤﴾ يُقَدِّمُ الْمُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ
أَعْدَارًا واهية للمسلمين حين عودتهم من
الجهاد، ويوجه الله نبيه والمؤمنين بالرد عليهم:
لا تعتذروا بالأعدار الكاذبة، لن نصدقكم فيما
أخبرتمونا به منها، قد أعلمنا الله ما اختلقتم من
أعدار، وسيرى الله ورسوله: هل ستؤوبون،
فيقبل الله توبتكم، أم تستمرون على نفاقكم؟ ثم
تردون إلى الله الذي يعلم كل شيء، فيخبركم
بما كنتم تعملون، ويجازيكم عليه، فبادروا إلى
التوبة والعمل الصالح.

﴿٩٥﴾ سيحلف هؤلاء المتخلفون بالله إذا رجعت
- أيها المؤمنون - إليهم تأكيداً لأعدارهم
الباطلة؛ لتكفوا عن لومهم وتوبيخهم،
فاتركوهم ترك ساخط واهجروهم، إنهم أنجاس
خبثاء الطوية، ومستقرهم الذي يأوون إليه هو
جهنم؛ جزاء لهم على ما يكسبونه من النفاق
والآثام.

﴿٩٦﴾ يحلف هؤلاء المتخلفون لكم - أيها
المؤمنون - لترضوا عنهم، وتقبلوا أعدارهم،
فلا ترضوا عنهم، فإن ترضوا عنهم فقد خالفتم
ربكم، فإنه لا يرضى عن القوم الخارجين عن
طاعته بالكفر والنفاق؛ فاحذروا - أيها
المسلمون - أن ترضوا عمن لا يرضى الله عنه.

﴿٩٧﴾ أهل البادية إن كفروا أو نافقوا كان كفرهم
ونفاقهم أشد من كفر ونفاق غيرهم من أهل
الحضر، وهم أخرى بالجهل بالدين، وأحق بأن لا يعلموا الفرائض والسنن وضوابط الأحكام التي أنزلها على
رسوله؛ لما هم عليه من الجفاء والغلظة وقلة المخالطة، والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في
تدبيره وشرعه.

﴿٩٨﴾ ومن سكان البادية المنافقين من يعتقد أن ما ينفقه من مال في سبيل الله خسران وغرامة؛ لتوهمه أنه لا يؤجر
إن أنفق، ولا يعاقبه الله إن أمسك، ولكنه مع هذا ينفق أحياناً رياءً وتقية، ويبتغى أن ينزل بكم - أيها المؤمنون -
شر فيتخلص منكم، بل جعل الله ما يتمنونه أن يقع على المؤمنين من الشر ودوران الزمان بما لا تحمد عقباه واقعاً
عليهم هم لا على المؤمنين، والله سميع لما يقولونه، عليم بما يضمرونه.

﴿٩٩﴾ ومن سكان البادية من يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة، ويجعل ما ينفقه من مال في سبيل الله قربات يتقرب بها
إلى الله، ووسيلة للظفر بدعاء الرسول ﷺ واستغفاره له، ألا إن إنفاقه في سبيل الله ودعاء الرسول له قربات له
عند الله، سيجد ثوابها عنده بأن يدخله الله في رحمته الواسعة التي تشمل مغفرته وجنته، إن الله غفور لمن تاب من
عباده، رحيم بهم.

﴿١٠٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.
- ٢ - المنافقون أنجاس خبثاء، فالواجب هجرهم وعدم محبتهم والرضا عنهم.
- ٣ - أهل البادية إن كفروا فهم أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر؛ لتأثير البيئة.
- ٤ - الحض على النفقة في سبيل الله مع إخلاص النية، وعظم أجر من فعل ذلك.
- ٥ - فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.

﴿١٠٠﴾ والسابقون إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصرروا نبيه ﷺ، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعد لهم جنات تجري تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم.

﴿١٠١﴾ ومن بين من هم حول المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم - أيها الرسول -، الله هو الذي يعلمهم، سيعذبهم الله مرتين: مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسرهم، ومرة في الآخرة بعذاب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار.

﴿١٠٢﴾ ومن أهل المدينة قوم آخرون تخلفوا عن الغزو من غير عذر، فأقروا على أنفسهم بأنهم لم يكن لهم عذر، ولم يأتوا بأعذار كاذبة، مزجوا أعمالهم الصالحة السابقة من القيام بطاعة الله، والتمسك بشرائعه، والجهاد في سبيله بعمل سيئ يرجون من الله أن يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٠٣﴾ خذ - أيها الرسول - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُنمي حسانتهم بها، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائك، عليم بأعمالهم ونياتهم.

﴿١٠٤﴾ ليعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد والتائبون إلى الله أن الله يقبل التوبة من عباده التائبين إليه، وأنه يقبل الصدقات وهو غني عنها، ويشب المتصدق على صدقته، وأنه سبحانه هو التواب على من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٠٥﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المُتَخَلِّفِينَ عن الجهاد والتائبين من ذنبهم: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسيرى الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الذي يعلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٠٦﴾ ومن المُتَخَلِّفِينَ عن غزوة تبوك قوم آخرون لم يكن لهم عذر، فهؤلاء مُؤَخَّرُونَ لقضاء الله وحكمه فيهم، يحكم فيهم بما يشاء: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا، والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفو، حكيم في شرعه وتدبيره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - فضل المهاجرين والأنصار على غيرهم من الناس.

٢ - فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح.

٣ - استئثار الله ﷻ بعلم الغيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله.

٤ - الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بتوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.

٥ - وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات.

٦ - كل إنسان مرهون بعمله، فالله مطلع عليه وسيجزيه على ذلك يوم القيامة.

﴿١٧٦﴾ ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتنوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الفرق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿١٧٧﴾ مسجد هذه صفته لا تستجب - أيها النبي - لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الذي أسس أول ما أسس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الذي أسس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخبار بالماء، ومن المعاصي بالتوبة والاستغفار، والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخبار والذنوب.

﴿١٧٨﴾ أيستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟! لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة متداعٍ للسقوط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَمَنْ أُسِّسَ بُيْتَكُمْ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيْتَكُمْ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨١﴾

ذلك.

﴿١٨٢﴾ لا يزال مسجدهم الذي بنوه ضرارًا شكا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتى تقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده، حكيم فيما يحكم به من جزاء على الخير أو الشر.

ولما بين الله فضائح المنافقين المتخلفين عن الجهاد ذكر جزاء المجاهدين في سبيله فقال: ﴿١٨٣﴾ إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملكه؛ تفضلاً منه - بثمن غال هو الجنة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعد الله بذلك وعدًا صدقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب عيسى عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد ﷺ، ولا أحد أوفى بعهد من الله سبحانه؛ فافرحوا وسروا - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

﴿١٨٤﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - لا ينبغي تصديق المنافقين فيما يقولون؛ لأن الله شهد على كذبهم.
- ٢ - محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنجاس البدنية والروحية.
- ٣ - لا يستوي من عمل عملاً قصد به وجه الله؛ فهذا العمل هو الذي سيقى ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين؛ وهذا العمل هو الذي سيفنى ويشقى به صاحبه.
- ٤ - الحث على الجهاد وبيان أن جزاءه الجنة.
- ٥ - مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا.
- ٦ - كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واقتلاهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها.

﴿١٣٧﴾ هؤلاء الحاصلون على هذا الجزاء هم التائبون إلى الله من الشرك والنفاق والمعاصي، المخلصون لله في العبادة، الحامدون لربهم على كل حال، المسافرون جهاداً في سبيل الله، الصائمون، المصلون، الآمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، الناهون عما نهى الله عنه ورسوله، الحافظون لأوامر الله بالاتباع، ولنواهيه بالاجتناب، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بما يسرهم في الدنيا والآخرة.

﴿١٣٨﴾ لا ينبغي للنبي ولا ينبغي للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله للمشركين، ولو كانوا أقرباءهم، من بعدما اتضح لهم أنهم من أصحاب النار؛ لموتهم على الشرك.

﴿١٣٩﴾ وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعده إياه لطلبته؛ له رجاء أن يسلم، فلما اتضح لإبراهيم أن أباه عدو لله لعدم نفع النصيح فيه، أو لعلمه بوحى أنه يموت كافراً تبرأ منه، وكان استغفاره له اجتهداً منه، لا مخالفة لحكم أوحى الله إليه به، إن إبراهيم ﷺ كثير التضرع إلى الله، كثير الصبح والتجاوز عن قومه الظالمين.

﴿١٤٠﴾ وما كان الله ليحكم على قوم بالضلال بعد أن وفقهم للهداية حتى يبين لهم

التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكِنُونَ
الْمَكِينُونَ الْمُتَجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٣٨﴾ وَمَا كَانِ
أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ
فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
﴿١٣٩﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى
يُبَيِّنَ لَهُمْ مَآيَتَقُونَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٤١﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٢﴾

المحرمات التي يجب اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلال، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿١٤٣﴾ إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُحْيِي من شاء إحياء، ويميت من شاء إماتة، وما لكم - أيها الناس - غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم السوء، وينصركم على عدوكم.

﴿١٤٤﴾ لقد تاب الله على النبي محمد ﷺ إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتخلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم هموا بترك الغزو؛ لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم.

﴿١٤٥﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المؤمنون حتى يستحقوا البشارة بما يسرهم.
- ٢ - حرمة الاستغفار لمن مات مشركاً.
- ٣ - بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشركين بفعل إبراهيم ﷺ.
- ٤ - أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.
- ٥ - أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.
- ٦ - بيان فضل أصحاب النبي ﷺ على سائر الناس.
- ٧ - رحمة الله ﷻ بأهل الإيمان حاصلة بعصمتهم من الضلال وتوفيقهم للهداية.

﴿١٨﴾ ولقد تاب على الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فأمر النبي ﷺ الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم يلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشرعه، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا منجاة لكم إلا في الصدق.

﴿٢٠﴾ ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يشحوا بأنفسهم، ويصونها عن نفسه ﷺ، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه؛ ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يدوسون بلداً من بلاد الكفار بأقدامهم وحوافر خيلهم وأخفاف إبلهم، بحيث يثيرون به غيظ

الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيهم إياه كاملاً، ويزيدهم عليه.

﴿٢١﴾ ولا يبذلون مالا قليلاً كان أو كثيراً، ولا يتجاوزون وادياً إلا كتب لهم ما عملوه من بذل ومن سفر ليكاftهم الله، فيعطيه في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون.

﴿٢٢﴾ وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعاً حتى لا يُستأصلوا إذا ظهر عليهم عدوهم، كما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنه جميعاً، فهلاً خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله ﷺ، ويتفقوا في الدين بما يسمعون منه ﷺ من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه؛ رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه.

﴿٢٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - وجوب تقوى الله وملازمة الصادقين.

٢ - وجوب إثارة الله ورسوله على كل شيء.

٣ - ثبوت فضل الثقة في سبيل الله.

٤ - وجوب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد.

٥ - قيام الدين يكون بأهل العلم وأهل الجهاد.

﴿١٣٣﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار؛ لما يسببون من خطر على المؤمنين بسبب قربهم، وأمرهم كذلك أن يُظهروا قوة وبطشاً من أجل إرهابهم ودفع شرهم، والله تعالى مع المؤمنين المتقين بعونه وتأييده.

﴿١٣٤﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فمن المنافقين من يسأل مستهزئاً ساخراً: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيماناً بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيماناً إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي؛ لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٣٥﴾ وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصص يزيدهم مرضاً وخبثاً بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيصبح الأمر مطرداً بالنسبة إليهم، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن؛ لأنهم كلما نزل شيء شكوا بما فيه.

﴿١٣٦﴾ أولاً يعتبر المنافقون بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين، ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله.

﴿١٣٧﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين لهم: هل يراكم أحد؟ فإن لم يره أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.

﴿١٣٨﴾ لقد جاءكم - يا معشر العرب - رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاقٌ عليه ما يشقُّ عليكم، حريصٌ عليكم حيث يدعوكم للإيمان بربكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

﴿١٣٩﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم - أيها الرسول -: يكفيني الله الذي لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

﴿١٤٠﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.

٢ - بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقب والاضطراب.

٣ - بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.

٤ - في الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجده وينميهِ؛ ليكون دائماً في صعود.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِلَاءِ أَيَّتَ الْكَتَبِ الْحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
 لَسَجْرٌ مُّبينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا
 تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
 أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
 وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ٦

بهذه الصفات هو الله ربكم، فأخلصوا له العبادة وحده، فهلاً تذكرتم كل هذه البراهين والحجج على وحدانيته؟ فمن كان له أدنى تذكُّر علم ذلك، وآمن به.

١ إليه وحده رجوعكم يوم القيامة؛ ليجازيكم على أعمالكم، وعد الله الناس بذلك وعداً صادقاً لا يخلفه، إنه على ذلك قادر، يبدأ الخلق على غير مثال سابق من طين، ثم يعيده بعد موته؛ ليجزي سبحانه الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات بالعدل فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم، والذين كفروا بالله وبرسله لهم شراب من ماء متناهي الحرارة، يقطع أمعاءهم، ولهم عذاب موجه بسبب كفرهم بالله وبرسله.

٢ هو الذي جعل الشمس تشع الضوء وتنشره، وجعل القمر نوراً يُستنار به، وقَدَّرَ سيره بعدد منازل الثمانية والعشرين، والمنزلة هي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة؛ لتعلموا - أيها الناس - بالشمس عدد الأيام، وبالقمر عدد الشهور والسنين، ما خلق الله السماوات والأرض وما فيها إلا بالحق؛ ليظهر قدرته وعظمته للناس، يبين الله هذه الأدلة الواضحة والبراهين الجلية على وحدانيته لقوم يعلمون الاستدلال بها على ذلك.

٣ إن في تعاقب الليل والنهار على العباد، وما يصحب ذلك من ظلمة وضياء، وقصر أحدهما وطوله والمخلوقات التي في السماوات والأرض لعلامات دالة على قدرة الله لقوم يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

فوائد من الآيات:

١ - إثبات نبوة النبي ﷺ وأن إرساله أمر معقول لا عجب فيه. ٢ - مهمة الرسول هي تبشير المؤمنين بالجنة، وإنذار العصاة من النار. ٣ - إثبات الربوبية والألوهية لله ﷻ. ٤ - إثبات العرش واستواء الله عليه استواء يليق بجلاله وكماله. ٥ - الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله، ورضي قوله وفعله. ٦ - إثبات يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب. ٧ - تقدير الله ﷻ لحركة الشمس ولمنازل القمر يساعد على ضبط التاريخ والأيام والسنين.

٧) إن الكافرين الذين لا يتوقعون لقاء الله فيخافوه أو يطمعوا فيه، وارتضوا الحياة الدنيا الفانية بدلاً من الحياة الأخروية الباقية، وسكنت أنفسهم إليها فرحة بها، والذين لا يعتبرون بآياتنا.

٨) أولئك المتصفون بهذه الصفات مستقرهم الذي يأوون إليه هو النار؛ بسبب ما اكتسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.

٩) إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة يرزقهم الله الهداية إلى العمل الصالح الموصل إلى رضاه؛ بسبب إيمانهم، ثم يدخلهم الله يوم القيامة في جنات النعيم الدائم، تجري من تحتهم الأنهار.

١٠) دعائهم في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وتحية الله لهم وتحية الملائكة وتحية بعضهم لبعض سلام، وخاتمة دعائهم الشاء على الله رب المخلوقات كلها.

١١) ولو يعجل الله سبحانه استجابة دعاء الناس على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالشر عند الغضب مثل ما يستجيب لهم في دعائهم بالخير لهلكوا، ولكن الله يمهلهم، فيترك الذين لا ينتظرون لقاءه؛ لأنهم لا يخافون عقاباً ولا يرجون ثواباً، يتركهم مترددين حائرين مرتابين في يوم الحساب.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ٧ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانَ لِأُولَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٨ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٩ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَ اللَّهُ بِهِمْ إِذَا هُمْ أَجْلُهُمْ فَتَذَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٠ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٣

١٢) وإذا أصاب الإنسان المسرف على نفسه مرض أو سوء حال دعانا مثلاً متضرعاً مضطجعاً على جنبه أو قاعداً أو قائماً؛ رجاء أن يُزال ما به من ضرر، فلما استجبنا دعاءه، وأزلنا ما به من ضرر مضى على ما كان عليه كأنه لم يدعنا لكشف ضرر أصابه، كما زُيِّن لهذا المعرض الاستمرار في ضلاله زُيِّن للمتجاوزين للحدود بكفرهم ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي، فلا يتركونه.

١٣) ولقد أهلكنا الأمم من قبلكم - أيها المشركون - لتكذيبهم برسول الله وارتكابهم المعاصي، وقد جاءتهم رسلهم الذين أرسلناهم إليهم بالبراهين الواضحة الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من عند ربهم، فما استقام لهم أن يؤمنوا؛ لعدم استعدادهم للإيمان، فخذلهم الله، ولم يوفقههم له، كما جازينا تلك الأمم الظالمة نجزي أمثالهم في كل زمان ومكان.

١٤) ثم صَيَّرْنَاكَ - أيها الناس - خَلِيفَةً لتلك الأمم المكذبة التي أهلكناها؛ لننظر كيف تعملون، هل تعملون خيراً فتثابون عليه، أم تعملون شراً فتعاقبون عليه؟

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الكافرون جزاؤهم النار؛ بسبب ما كسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.
- ٢ - المؤمنون جزاؤهم الجنة؛ بسبب ما فعلوا من الأعمال الصالحة.
- ٣ - لطف الله ﷻ بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالشر.
- ٤ - بيان حال الإنسان بالدعاء في الضراء والإعراض عند الرخاء والتحذير من الاتصاف بذلك.
- ٥ - هلاك الأمم السابقة كان سببه ارتكابهم المعاصي والظلم.

﴿١٥﴾ وإذا تُقْرَأ عليهم الآيات القرآنية الواضحة الدالة على توحيد الله، قال منكرو البعث الذين لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً: جئ - يا محمد - بقرآن غير هذا القرآن المشتمل على سب عبادة الأصنام أو غيره بنسخ بعضه أو كله بما يوافق أهواءنا، قل لهم - أيها الرسول -: لا يصح أن أغیره أنا، ولا أستطيع - بالأولى - الإتيان بغيره، بل الله وحده هو الذي يبدل منه ما يشاء، فلست أتبع إلا ما يوحيه الله إلي، إني أخاف إن عصيت الله بإجابتكم إلى ما طلبتم عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول -: لو شاء الله أن لا أقرأ القرآن عليكم ما قرأته عليكم، وما بلغتكم إياه، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن على لساني، فقد مكثت بينكم زمناً طويلاً - هو أربعون سنة - لا أقرأ ولا أكتب، ولا أطلب هذا الشأن ولا أبحث عنه، أفلا تدركون بعقولكم أن ما جئتكم به هو من عند الله، ولا شأن لي فيه؟!

﴿١٧﴾ فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف لي أن أبدل القرآن افتراء عليه، إن الشأن أن المتجاوزين لحدود الله بالافتراء عليه لا يفوزون بمطلوبهم.

﴿١٨﴾ ويعبد المشركون من دون الله آلهة مزعومة، لا تنفع ولا تضر، والمعبود بالحق ينفع ويضر متى شاء، ويقولون عن معبوداتهم: هؤلاء وسطاء يشفعون لنا عند الله فلا يعذبنا بذنوبنا، قل لهم - أيها الرسول -: أنخبرون الله العليم أن له شريكاً، وهو لا يعلم له شريكاً في السماوات ولا في الأرض، تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عما يقوله المشركون من الباطل والكذب.

﴿١٩﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة مؤمنة موحدة فاختلفوا، فمنهم من بقي مؤمناً، ومنهم من كفر، ولولا ما مضى من قضاء الله أنه لا يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا، وإنما يحكم بينهم فيه يوم القيامة، لولا ذلك لحكم بينهم في الدنيا فيما يختلفون فيه، فبين المتهدي من الضال.

﴿٢٠﴾ ويقول المشركون: هلاً أنزل على محمد آية من ربه دالة على صدقه؟ فقل لهم - أيها الرسول -: نزول الآيات غيب يختص الله بعلمه، فانتظروا ما اقترحتموه من الآيات الحسية، إني معكم من المنتظرين لها.

﴿٢١﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - القرآن كلام الله، ولا يمكن لأحد أن يبدله ويحرفه؛ لأنه محفوظ.
- ٢ - عظم الافتراء على الله والكذب عليه وتحريف كلامه كما فعل اليهود بالتوراة.
- ٣ - النفع والضرر بيد الله ﷻ وحده دون ما سواه.
- ٤ - بطلان قول المشركين بأن آلهتهم تشفع لهم عند الله.
- ٥ - اتباع الهوى والاختلاف على الدين هو سبب الفرقة.

﴿١٦﴾ وإذا أذقنا المشركين نعمة من مطر وخصب بعد جذب وبؤس أصابهم إذا لهم مكر بالتكذيب بآياتنا، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله أعجل مكرًا، وأسرع استدراجًا لكم وعقوبة، إن الحفظة من الملائكة يكتبون ما تُدبرون من مكر، لا يفوتهم منه شيء، فكيف يفوت خالقهم؟! وسيجازيكم الله على مكركم.

﴿١٧﴾ الله هو الذي يُسيركم - أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فبينما هم في فرحهم جاءتهم ريح قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعوا الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لئن أنقذتنا من هذه المحنة المهلكة ل نكون من الشاكرين لك على ما أنعمت به علينا.

﴿١٨﴾ فلما استجاب دعاءهم، وأنقذهم من تلك المحنة، إذا هم يفسدون في الأرض بارتكاب الكفر والمعاصي والآثام. أفبقوا أيها الناس، إنما عاقبة بغيكم السيئة على أنفسكم، فالله لا يضره بغيكم، تتمتعون به في الحياة الدنيا

وهي فانية، ثم إلينا رجوعكم يوم القيامة، فنخبركم بما كنتم تعملون من المعاصي، ونجازيكم عليها.

﴿١٩﴾ إنما مثل الحياة الدنيا التي تتمتعون فيها في سرعة انقضائها كمثل مطر اختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس من الحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام من الحشيش وغيره، حتى إذا أخذت الأرض لونها الزاهي، وتجمّلت بما تنبت من أنواع النبات، وظن أهلها أنهم قادرون على حصاد ما أنبت وقطافه، جاءها قضاؤنا بإهلاكها، فصيرناها محصودة كأن لم تكن عامرة بالأشجار والنباتات في عهد قريب، كما بينا لكم حال الدنيا وسرعة انقضائها نبين الأدلة والبراهين لمن يتفكرون ويعتبرون.

﴿٢٠﴾ والله يدعو جميع الناس إلى جنته التي هي دار السلام، يسلم فيها الناس من المصائب والهموم، ويسلمون من الموت، والله يوفق من شاء من عباده إلى دين الإسلام الموصل إلى دار السلام هذه.

﴿٢١﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - الله أسرع مكرًا بمن مكر بعباده المؤمنين.

٢ - بيان ضعف الإنسان وإخلاصه لله الدعاء في الشدائد ونسيانه في الرخاء.

٣ - بغي الإنسان عائد على نفسه ولا يضر إلا نفسه.

٤ - بيان حقيقة الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها، وما فيها من النعيم فهو فان.

٥ - ينبغي للإنسان ألا يغترّ بالدنيا، ويعمل لآخرته.

٦ - الجنة هي مستقر المؤمنين؛ لما فيها من النعيم والسلامة من المصائب والهموم.

١٦) للذين أحسنوا بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، وترك ما حرم عليهم من المعاصي؛ المثوبة الحسنى، وهي الجنة، ولهم زيادة عليها، وهي النظر إلى وجهه الكريم، ولا يغشى وجوههم غبار، ولا يغشاها هوان ولا خزي، أولئك المتصفون بالإحسان أصحاب الجنة هم فيها ماكثون.

١٧) والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي لهم جزاء السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتغشى وجوههم ذلة وهوان، ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا أنزل بهم، كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم من كثرة ما يغشاها من دخان النار وسوادها، أولئك المتصفون بتلك الصفات أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً.

١٨) واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة حين نحشر جميع الخلائق، ثم نقول للذين أشركوا بالله في الدنيا: الزموا - أيها المشركون - مكانكم أنتم ومعبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله. ففرقنا بين المعبودين والعابدين، وتبرأ المعبودون من العابدين قائلين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

١٩) هنا تتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله قائلة: فאלله شاهد - وكفى به - أنا لم نرض بعبادتكم لنا، ولم نأمركم بها، وأنا لم

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ لَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ وَفَرِّقْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿١٨﴾ فَكُفِّي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمَلِكِ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٢٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾

نشعر بعبادتك.

٢٠) في ذلك الموقف العظيم تخبر كل نفس ما أمضت من عمل في حياتها الدنيا، ورد المشركون إلى ربهم الحق الذي هو الله الذي يتولى حسابهم، وذهب عنهم ما افتروه من شفاعة أصنامهم.

٢١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: من يرزقكم من جهة السماء بإنزال المطر عليكم، ومن يرزقكم من الأرض بما ينبت فيها من نبات، وبما تحويه من معادن، ومن يُخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ومن يُخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان، والبيضة من الطير، ومن يدبر أمر السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات؟ فسيجيبون بأن فاعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تعلمون ذلك، وتتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؟

٢٢) فذلكم - أيها الناس - الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق خالقكم، ومدير أمركم، فماذا بعد الحق غير الضلال والضياغ؟! فكيف تصرفون عن الحق الجلي بأدلتة إلى الباطل المحفوف بالشهوات والأهواء؟!

٢٣) كما ثبتت الربوبية الحققة لله وجبت - أيها الرسول - كلمة ربك القُدْرية على الذين خرجوا عن الحق عناداً أنهم لا يؤمنون.

٢٤) فَوَلِّهِمُ الْآيَاتِ:

١ - الترغيب في إتيان الحسنات؛ لما يعقبها من النعيم والنظر إلى وجهه الكريم. ٢ - التحذير من عمل السيئات؛ لما يعقبها من العذاب والذل والهوان. ٣ - تتبرأ كل آلهة أيًا كانت ممن عبدها يوم القيامة. ٤ - يوم القيامة تنبأ كل نفس بما قدمت من خير أو شر. ٥ - بيان قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير. ٦ - التوحيد في الربوبية والإشراك في الإلهية باطل، فلا بد من توحيدهما معاً. ٧ - إذا قضى الله بعدم إيمان قوم فإنهم لا يؤمنون.

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يُنشئ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته؟ قل لهم: الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق إلى الباطل؟!

﴿٢٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يرشد إلى الحق؟ قل لهم: الله وحده يرشد إلى الحق، فهل من يرشد الناس إلى الحق، ويدعوهم إليه أولى بأن يتبع أم معبوداتكم التي لا تهتدي بنفسها إلا أن يهديها غيرها؟ فما لكم كيف تحكمون بالباطل حين تزعمون أنهم شركاء لله؟! تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً.

﴿٢٨﴾ وما يتبع معظم المشركين إلا ما لا علم لهم به، فما يتبعون إلا وهماً وشكاً، إن الشك لا يقوم مقام العلم، ولا يغني عنه، إن الله عليم بما يفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٩﴾ وما يصح لهذا القرآن المعجز في بلاغته وتشريعه أن يختلق، وينسب إلى غير الله لعجز الناس ضرورة عن الإتيان بمثله، ولكن كان مصداقاً لما نزل من الكتب قبله، ومبيناً لما أجمل فيها من الأحكام، فهو لا شك فيه أنه منزل من رب المخلوقات ﷻ.

﴿٣٠﴾ بل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: إن كنت قد أتيت به من عندي وأنا بشر مثلكم فأتوا بسورة من مثله، وادعوا من استطعتم دعاءه لمظاهرتكم إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن القرآن مفترى، ولن تستطيعوا ذلك، وعجزكم - وأنتم أصحاب اللسان وأرباب الفصاحة - دال على أن القرآن منزل من عند الله.

﴿٣١﴾ فلم يجيبوا، بل كذبوا بهذا القرآن قبل أن يتدبروه، وما فهموه وما عرفوه، ولم يأتهم بعد ما أنذروا به العذاب، وقد اقترب إتيان ذلك، مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة، فنزل بها ما نزل من العذاب، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأمم المكذبة، فقد أهلكهم الله.

﴿٣٢﴾ ومن المشركين من سيصدق بالقرآن قبل موته، ومنهم من لا يصدق به عناداً ومكابرة حتى يموت، وربك - أيها الرسول - أعلم بالمصرين على كفرهم، وسيجازيهم على كفرهم.

﴿٣٣﴾ فإن كذبك - أيها الرسول - قومك فقل لهم: لي ثواب عملي وأنا أتحمل تبعة عملي، ولكم ثواب عملكم وعليكم عقابه، أنتم بريئون من عقاب ما أعمل، وأنا بريء من عقاب ما تعملون.

﴿٣٤﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن استماعاً غير مقبول واذعان، أفأنت تقدر على إسماع الصم؟! فكذاك لن تقدر على هداية هؤلاء الذين صموا عن سماع الحق فلا يعقلونه.

﴿٣٥﴾ فإلزام الآيات:

١ - إثبات عقيدة البعث بعد الموت. ٢ - الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ٣ - الواجب في العقائد اتباع اليقين دون الظن. ٤ - إعجاز القرآن في بلاغته وتشريعه دليل على أن القرآن من عند الله. ٥ - ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بآية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ٦ - بيان حال المشركين وتكذيبهم للنبي ﷺ وكبرهم وعنادهم.

﴿٤٣﴾ ومن المشركين من ينظر إليك - أيها الرسول - ببصره الظاهر لا ببصيرته، أفأنت تستطيع تبصير العمي؟! إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة.

﴿٤٤﴾ إن الله تنزه عن ظلم عباده، فهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك؛ بسبب التعصب للباطل والمكابرة والعناد.

﴿٤٥﴾ ويوم يحشر الله الناس يوم القيامة لحسابهم كان لم يمكنوا في حياتهم الدنيا وفي برزخهم إلا ساعة من نهار لا أزيد، يعرف بعضهم بعضاً فيها، ثم تنقطع معرفتهم لشدة ما شاهدوا من أهوال القيامة، قد خسر الذين يكذبون بقاء ربهم يوم القيامة، وما كانوا مؤمنين في الدنيا بيوم البعث حتى يسلموا من الخسران.

﴿٤٦﴾ وإما نُرِيَنَّكَ - أيها الرسول - بعضاً مما وعدناهم به من العذاب قبل موتك، أو نتوفيناك قبل ذلك، ففي كلتا الحالتين إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على ما كانوا يعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم. ولكل أمة من الأمم السابقة رسول أرسل إليهم، فإذا بلغهم ما أمر بتبليغه، وكذبه حكم بينهم وبينه بالعدل، فتجاه الله فضله، وأهلكهم بعدله، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئاً. ﴿٤٧﴾ ويقول هؤلاء الكفار معاندين ومتحدين:

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتُوفِيَنَّكَ فَإِنَّمَا زَمْرُجُهمُ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَنْتُمْ كُنتُمْ عَذَابِي بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمِرُّونَ أَمَّا مَا مَقَّعْنَاهُمْ بِهِمْ أَلْتُنَّ قُلُوبَكُمْ يَوْمَ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

متى زمن ما وعدتمونا به من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون؟

﴿٤٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لا أملك لنفسي نفعا نفعها به، ولا ضرا أضرها به، فكيف بنفع غيري أو ضرره؟ إلا ما شاء الله من ذلك، فكيف لي أن أعلم غيبه؟ لكل أمة من الأمم توعدها الله بهلاك زمن محدد لهلاكها، لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء زمن هلاكها لم تتقدم عنه طرفة عين، ولم تتأخر.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين للعذاب: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في أي وقت من ليل أو نهار، ما الذي تستعجلونه من هذا العذاب: الفرح والمسرّة أم الحزن والندم؟ فلا تستعجلوه.

﴿٥١﴾ أبعد أن يقع عليكم العذاب الذي وعدتموه تؤمنون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل؟ أتؤمنون الآن، وقد كنتم تستعجلون العذاب من قبل على وجه التكذيب به؟

﴿٥٢﴾ ثم بعد إدخالهم في العذاب وطلبهم الخروج منه يقال لهم: ذوقوا العذاب الدائم في الآخرة، فهل تجزون إلا وفق ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي؟

﴿٥٣﴾ ويستخبرك - أيها الرسول - المشركون: أهذا العذاب الذي وعدنا به حق؟ قل لهم: نعم، إنه - والله - لحق، ولستم بمفلقين منه.

﴿٥٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - الإنسان هو الذي يورد نفسه موارد الهلاك، فإله مُّزَّه عن الظلم. ٢ - الواجب على المؤمن إعداد العدة ليوم القيامة وما فيه من أهوال ومشاهد. ٣ - خسران من كذب بيوم القيامة ولقاء الله. ٤ - مهمة الرسول هي التبليغ، والله يحكم بينه وبين قومه إن هم كذبوه يوم القيامة. ٥ - النفع والضرر بيد الله ﷻ، فلا أحد من الخلق يملك لنفسه أو لغيره ضرا ولا نفعاً. ٦ - لكل أمة أجل لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء لا يتقدم طرفة عين ولا يتأخر. ٧ - لا ينفع الإيمان صاحبه عند معاينة الموت.

﴿٥٤﴾ ولو أن لكل مشرك بالله جميع ما في الأرض من أموال نفيسة لجعله فدية له من عذاب الله لو أتيح له أن يفتدي به، وأخفى المشركون الندم على كفرهم لما شاهدوا العذاب يوم القيامة، وقضى الله بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون، وإنما يجزون على أعمالهم. ﴿٥٥﴾ ألا إن الله وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، ألا إن وعد الله بعقاب الكافرين واقع لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك فيشكّون.

﴿٥٦﴾ هو سبحانه يبعث الموتى، ويميت الأحياء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٥٧﴾ يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن فيه تذكير وترغيب وترهيب، وهو شفاء لما في القلوب من مرض الشك والارتباب، وإرشاد لطريق الحق، وفيه رحمة للمؤمنين، فهم المتفتعون به.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - للناس: ما جاءكم به محمد ﷺ من القرآن هو فضل من الله عليكم، ورحمة منه بكم، بفضل الله عليكم ورحمته بكم بإنزال هذا القرآن فافرحوا لا بسواهما، فما جاءهم به محمد ﷺ من ربه خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الزائل.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين:

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَلَّهُ لَذَوُّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

أخبروني عما من الله به عليكم من إنزال الرزق، فعملتم فيه بأهوائكم، فحرمتم بعضه، وأحللتم بعضه، قل لهم: هل الله أذن لكم في تحليل ما أحللتم، وتحريم ما حرمتم، أم أنكم تختلقون عليه الكذب؟ وأي شيء يظنه مختلقو الكذب عليه واقعاً بهم يوم القيامة؟ أيقنون أن يغفر لهم؟ هيهات، إن الله لذو إفضال على الناس بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها. ﴿٦١﴾ وما تكون - أيها الرسول - في أمر من الأمور، وما تقرأ من قرآن، وما تعملون - أيها المؤمنون - من عمل إلا كنا نراكم عالمين بكم ونسمعكم حين تقبلون عليه وتندفعون فيه، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة في السماء أو في الأرض، ولا أصغر من وزنها ولا أكبر، إلا وهو مسجل في كتاب واضح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - عظم ما ينتظر المشركين بالله من عذاب، حتى إنهم يتمنون دفعه بكل ما في الأرض، ولن يُقبل منهم.
- ٢ - عقاب الله واقع على الكافرين لا محالة.
- ٣ - القرآن شفاء للمؤمنين من الأمراض القلبية لما فيه من الهدى والموعظ.
- ٤ - ينبغي للمؤمن أن يفرح بنعمة الإسلام والإيمان دون غيرهما من حطام الدنيا.
- ٥ - تشريع الأحكام بالجلل والحرمة هو من عند الله وحده.
- ٦ - ينبغي الشعور بمراقبة الله لنا في السر والعلن، فالله مطلع على كل أعمالنا.
- ٧ - كل ما يقوم به الإنسان فهو مسجل عند الله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿١٦﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا.

﴿١٧﴾ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَصَفَّوْنَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِلَّهِ بِأَمْتَالٍ أَوْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿١٨﴾ لَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنْ رَبِّهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا بِمَا يَسْرَهُمْ بِرُؤْيَا صَالِحَةٍ أَوْ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْحَشْرِ، لَا خُلْفَ لِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ هُوَ النِّجَاحُ الْعَظِيمُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَيْلِ الْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

﴿١٩﴾ وَلَا تَحْزَنُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْقَدْحِ فِي دِينِكَ، إِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلْبَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، هُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِهِمْ، الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٢٠﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَلِكٌ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟ لَا يَتَّبِعُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا الشُّكَّ، وَمَا هُمْ إِلَّا يَكْذِبُونَ فِي نَسَبِهِمْ الشُّرَكَاءَ إِلَى اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿٢١﴾ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْعَبَثِ، وَجَعَلَ

النَّهَارَ مَضِيًّا لِتَسْعَوْا فِيهِ بِمَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ بِنَفْعٍ فِي مَعَاشِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالًا وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سَمَاعَ اعْتِبَارٍ وَقَبُولٍ. ﴿٢٢﴾ قَالَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ، تَقْدُسُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ الْغَنِيِّ عَنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، لَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مَا فِي الْأَرْضِ، لَيْسَ عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بُرْهَانٌ عَلَى قَوْلِكُمْ هَذَا، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا - إِذْ تَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْوِلْدَ - لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ دُونَ بُرْهَانٍ؟!

﴿٢٣﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَلِقُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِنَسَبِ الْوِلْدِ إِلَيْهِ لَا يَنْظُرُونَ بِمَا يَطْلُبُونَهُ، وَلَا يَنْجُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ. ﴿٢٤﴾ فَلَا يَغْتَرَوُا بِمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ مِلْدَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ، ثُمَّ إِلَيْنَا رُجُوعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الْقَوِيَّ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ.

﴿٢٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ:

- ١ - أَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ يَأْمَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ.
- ٢ - وَلَايَةُ اللَّهِ تَكُونُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ، وَامْتَثَلَ أَوْامِرَهُ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ، وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ ﷺ.
- ٣ - الْمُؤْمِنُونَ لَهُمُ الْبَشَرَى مِنْ رَبِّهِمْ إِمَّا بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ أَوْ عِنْدَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهَا.
- ٤ - الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا وَحْدَهُ، فَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَمَا عُجِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.
- ٥ - الْحِثُّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقُودُ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ.
- ٦ - عَظُمَ كُفْرٌ مِنْ نَسَبِ إِلَى اللَّهِ الْوِلْدَ.
- ٧ - حَرَمَةُ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ لَنْ يَفْلَحَ.
- ٨ - مَا عِنْدَ الْكُفَّارِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ؛ لِمَا يَنْتَظَرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِذَلِكَ.

﴿٧١﴾ واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء المشركين المكذبين خبر نوح عليه السلام حين قال لقومه: يا قوم، إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم، وشق عليكم تكديري بآيات الله ووعظي، وعزمت على قتلي، فعلى الله وحده اعتمدت في إحباط ما تكيدون، فأحكموا أمركم، واعزموا على إهلاكه، وادعوا آلهتكم لتستعينوا بها، ثم لا يكن كيدكم سرًا مبهمًا، ثم بعد تدبيركم لقتلي أنهوا إلي ما تضرعون، ولا تؤخروني لحظة.

﴿٧٢﴾ فإن كنتم قد عرضتم عن دعوتي فقد علمتم أنني ما طلبت منكم جزاء على تبليغكم رسالة ربي، ليس ثوابي إلا على الله، أنتم بي، أم كفرتم، وأمرني الله أن أكون من المتقادين له بالطاعة والعمل الصالح.

﴿٧٣﴾ فكذب قومه، ولم يصدقوا به، فنجيناه هو ومن كان معه في السفينة من المؤمنين، وصبرناهم خلفًا لمن كان قبلهم، وأهلكنا الذين كذبوا بما جاء به من الآيات والحجج بالطوفان، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية أمر القوم الذين أنذرهم نوح عليه السلام، فلم يؤمنوا.

﴿٧٤﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهم بالمعجزات الباهرة والشرائع الطاهرة، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، فحتم الله على قلوبهم. مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين نختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيَّكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَخْرَجْتُ آلِي عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَبَاءَ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَمَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٨١﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِصْيَانًا عَلَيْنَا يَا أَبْنَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهم بالمعجزات الباهرة والشرائع الطاهرة، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، فحتم الله على قلوبهم. مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين نختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالمعجزات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قومًا مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الحق الذي جاء به موسى وهارون عليهما السلام قالوا: إن هذا الذي جاء به موسى من معجزتي العصا واليد لسحر واضح، وليس حقًا موحى به.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستنكرًا عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟! كلا، ما هو بسحر، وإنني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبدًا، فكيف لي بتعاطيه؟!

﴿٧٨﴾ أجاب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أجئتنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمصدقين.

﴿٧٩﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - الحث على التأسى بالسابقين؛ ففي سيرتهم العبر والمواعظ. ٢ - سلاح المؤمن في مواجهة أعدائه هو التوكل على الله. ٣ - ينبغي للمؤمن أن يطلب أجر دعوته من الله إلا للضرورة. ٤ - المؤمن عاقبته النجاة والفوز، والكافر عاقبته الخسران والنكال. ٥ - الإصرار على الكفر والتكذيب بالرسل يوجب الختم على القلوب فلا تؤمن أبدًا. ٦ - حال أعداء الرسل واحد، فهم دائمًا يصفون الهدى بالسحر أو الكذب. ٧ - إن الساحر لا يفلح أبدًا.

﴿٧٦﴾ وقال فرعون لقومه: جيئوني بكل ساحر خبير بالسحر متقن له.

﴿٨٠﴾ فلما جاؤوا فرعون بالسحرة قال لهم موسى ﷺ: واتقوا بانتصاره عليهم: اطرحوا - أيها السحرة - ما أنتم طارحوه.

﴿٨١﴾ فلما طرخوا ما عندهم من السحر قال لهم موسى ﷺ: الذي أظهرتموه هو السحر، إن الله سيصير ما صنعتم باطلا لا أثر له، إنكم بسحركم مفسدون في الأرض، والله لا يصلح عمل من كان مفسداً.

﴿٨٧﴾ وبشئت الله الحق، ويمكن له بكلماته القدرية، وبما في كلماته الشرعية من الحجج والبراهين، ولو كره ذلك الكافرون المجرمون من آل فرعون.

﴿٨٣﴾ صمّم القوم على الإعراض، فما صدّق بموسى ﷺ مع ما جاء به من المعجزات الظاهرة، والحجج الواضحة إلا شباب من قومه بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وكبراء قومه أن يصرفوهم عن إيمانهم بما يذيقونهم من العذاب إن كشف أمرهم، وإن فرعون لمتكبر متسلط على مصر وأهلها، وإنه لمن المتجاوزين للحد في الكفر والتقتيل والتعذيب لبني إسرائيل.

﴿٨٤﴾ وقال موسى ﷺ لقومه: يا قوم، إن كنتم أنتم بالله إيماناً حقاً، فعلى الله وحده اعتمدوا

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَمَاءٌ أَمِنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهَ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُونَ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

إن كنتم مسلمين، فالتوكل على الله يدفع عنكم سوء، ويجلب لكم الخير. ﴿٨٥﴾ فأجابوا موسى ﷺ، فقالوا: على الله وحده توكلنا، ربنا لا تسلط علينا الظالمين، فيفتنونا عن ديننا بالتعذيب والقتل والإغراء.

﴿٨١﴾ وخلصنا برحمتك - ربنا - من أيدي قوم فرعون الكافرين، فقد استعبدونا وآذونا بالتعذيب والقتل. ﴿٨٧﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون ﷺ أن اختاروا واتخذوا لقومكما بيوتاً لعبادة الله وحده، وصيروا بيوتكم متجهة إلى جهة القبلة (بيت المقدس)، واتوا بالصلاة كاملة، وأخبر - يا موسى - المؤمنين بما يسرهم من نصر الله وتأيدهم، وإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض.

﴿٨٨﴾ وقال موسى ﷺ: ربنا، إنك أعطيت فرعون والأشراف من قومه من زخرف الدنيا وبهارجها زينة، وأعطيتهم أموالاً في هذه الحياة الدنيا، فلم يشكروك على ما أعطيتهم، بل استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم بالمحو والمحو، واجعل قلوبهم قاسية، فلا يؤمنون إلا حين يشاهدون العذاب الموجه حين لا ينفعهم إيمانهم.

﴿٩٠﴾ فَوَلِّدْنِي مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الثقة بالله وينصره ينبغي أن تكون من صفات المؤمن القوي.

٢ - في النهاية النصر للحق مهما علا الباطل وطمع.

٣ - وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه وحده.

٤ - بيان أهمية الدعاء، وأنه من صفات المتوكلين.

٥ - تأكيد أهمية الصلاة ووجوب إقامتها في كل الأديان السماوية وفي كل الأحوال.

٦ - مشروعية الدعاء على الظالم.

٨٩ قال الله: قد أجبت دعاءكما - يا موسى وهارون - على فرعون وأشراف قومه، فائتبا على دينكما، ولا تنحرفا عنه إلى اتباع سبيل الجهال الذين لا يعلمون طريق الحق.

٩٠ ويسرنا لبني إسرائيل عبور البحر بعد فلقه حتى جاوزوه سالمين، فلحقهم فرعون وجنوده ظلمًا واعتداء، حتى إذا انطبق عليه البحر، وناله الغرق، ويش من النجاة. قال: آمنت أنه لا معبود بحق إلا الذي صدقت به بنو إسرائيل، وأنا من المتقادين لله بالطاعة. ولما كانت معاناة الموت مانعة من قبول التوبة قال الله تعالى:

٩١ أتؤمن الآن بعد اليأس من الحياة؟! وقد عصيت - يا فرعون - الله قبل نزول العذاب بالكفر به، والصد عن سبيله، وكنت من المفسدين بسبب ضلالك في نفسك وإضلالك لغيرك.

٩٢ فاليوم نخرجك - يا فرعون - من البحر، ونجعلك على مرتفع من الأرض؛ ليعتبر بك من يأتي بعدك، وإن كثيرًا من الناس عن حجبتنا ودلائل قدرتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها.

٩٣ ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلًا محمودًا ومكانًا مرضيًا في بلاد الشام المباركة،

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوِزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْكَفَرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدِيكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءَاصِدٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا لِيَكُونَ فَتْكُوكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٦﴾

ورزقناهم من الحلال الطيب، فما اختلفوا في أمر دينهم حتى جاءهم القرآن مصدقًا لما قرؤوه في التوراة من نعت محمد ﷺ، فلما أنكروا ذلك سلبت أوطانهم، إن ربك - أيها الرسول - يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي المحق والمبطل منهم بما يستحقه كل منهما.

٩٤ فإن كنت - أيها الرسول - في ارتياب وحيرة من حقيقة ما أنزلنا إليك من القرآن فاسأل من آمن من اليهود الذين يقرؤون التوراة، والنصارى الذين يقرؤون الإنجيل، فسيخبرونك بأن الذي أنزل عليك حق؛ لما يجدون من نفعه في كتابيهما، لقد جاءك الحق الذي لا مزية فيه من ربك، فلا تكونن من الشاكين.

٩٥ ولا تكونن من الذين كذبوا بحجج الله وبراهينه فتكون بذلك من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وكل هذا التحذير لبيان خطورة الشك والتكذيب، وإلا فإن النبي معصوم عن أن يصدر منه شيء من هذا.

٩٦ إن الذين ثبت عليهم قضاء الله بأنهم يموتون على الكفر لإصرارهم عليه لا يؤمنون أبدًا.

٩٧ ولو أتتهم كل آية بيانية أو كونية حتى يشاهدوا العذاب الموعود، فيؤمنوا حين لا ينفعهم الإيمان.

فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - وجوب الثبات على الدين، وعدم اتباع سبيل المجرمين.

٢ - لا تقبل توبة من حشرت روحه، أو عاين العذاب.

٣ - إن اليهود والنصارى كانوا يعلمون صفات النبي ﷺ، لكن الكبر والعناد هو ما منعهم من الإيمان.

﴿٩٨﴾ لم يحدث أن آمنّت قرية من القرى التي أرسلنا إليها رسلنا إيماناً مُعْتَدّاً به قبل معاينة العذاب، فينفعها إيمانها لمجيئه قبل معاينته، إلا قوم يونس حين آمنوا إيماناً صادقاً رفعنا عنهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى وقت انقضاء آجالهم.

﴿٩٩﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - إيمان جميع من في الأرض لأمنوا، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة، فهو يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضل، فليس باستطاعتك إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين، فتوفيقهم للإيمان بيد الله وحده.

﴿١٠٠﴾ وما ينبغي لنفس أن تؤمن من تلقاء نفسها إلا أن يأذن الله، فلا يقع إيمان إلا بمشيئته، فلا تذهب نفسك حشرات عليهم، ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون عنه حجيجه وأوامره ونواهي.

﴿١٠١﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يسألونك الآيات: تأملوا ماذا في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته، وما ينفع إنزال الآيات وبعث الرسل في قوم ليس لهم استعداد أن يؤمنوا؛ لإصرارهم على الكفر.

﴿١٠٢﴾ فهل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا مثل الوقائع التي أوقعها الله على الأمم المكذبة

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفَخِ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِمَّنِ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُسْمِينِ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُم وَآمُرُكُمْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَن أَقْرِعَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿١٠٧﴾

السابقة، قل - أيها الرسول - لهم: انتظروا عذاب الله، إني معكم من المنتظرين لوعد ربي.

﴿١٠٨﴾ ثم نُزِّلْ بِهِم الْعِقَابَ، وَنُنَجِّي رُسُلَنَا، وَنُنَجِّي الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، فَلَا يَصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ قَوْمَهُمْ، كَمَا أَنْجَيْنَا أُولَئِكَ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمْ نُنَجِّي رُسُلَ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ إِنْجَاءً حَقًّا ثَابِتًا عَلَيْنَا.

﴿١٠٩﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه وهو دين التوحيد، فأنا على يقين من فساد دينكم فلا أتبعه، فلا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله، ولكني أعبد الله الذي يميّتكم، وأمرني أن أكون من المخلصين له الدين.

﴿١١٠﴾ وأمرني كذلك أن أستقيم على الدين الحق، وأثبت عليه مائلاً عن كل الأديان إليه، ونهاني أن أكون من المشركين به.

﴿١١١﴾ ولا تعبد - أيها الرسول - من دون الله من الأوثان والأصنام وغيرها ما لا يملك نفعا فينفعك، ولا ضرا فيضرك، فإن عبدتها فإنك إذن من الظالمين المعتدين على حق الله وحق أنفسهم.

﴿١١٢﴾ فَإِنَّكَ مِنَ الْإِيمَانِ:

١ - الإيمان هو السبب في رفعة صاحبه إلى الدرجات العلى والتمتع في الحياة الدنيا.

٢ - ليس في مقدور أحد حمل أحد على الإيمان؛ لأن هذا من اختصاص الله وحده.

٣ - إثبات مشيئة الله، وأنه لا يكون شيء إلا بإذنه ومشيئته.

٤ - لا تنفع الآيات والنذر من أصر على الكفر وداوم عليه.

٥ - الإيمان ينجي صاحبه، والكفر يهلك صاحبه.

٦ - وجوب الاستقامة على الدين الحق، والبعد كل البعد عن الشرك والأديان الباطلة.

﴿١٧﴾ وَإِنْ يَصْبِك - أيها الرسول - الله ببلاء، وطلبت صرفه عنك فلا صارف له إلا هو سبحانه، وإن يردك برخاء فلا أحد يرد فضله، يصيب بفضله من يشاء من عباده، فلا مكره له، وهو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن منزلاً من ربكم، فمن اهتدى وآمن به فنفع ذلك عائد إليه؛ لأن الله غني عن طاعة عباده، ومن ضل فإن أثر ضلاله عليه وحده، فالله لا تضره معصية عباده، ولست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأحاسبكم عليها.

﴿١٩﴾ واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك واعمل به، واصبر على إيذاء من خالفك من قومك، وعلى تبليغ ما أمرت بتبليغه، واستمر على ذلك حتى يحكم الله فيهم بحكمه بنصرك عليهم في الدنيا، وبعذابهم في الآخرة إن ماتوا على كفرهم.

سُورَةُ هُودٍ

— مَكِّيَّة —

﴿١﴾ مقصد السورة:

بيان منهج الرسل في مواجهة قومهم المكذبين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿الر﴾ تقدم الكلام على نظائرها في سورة البقرة. القرآن كتاب أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ، وأُثْقِنَ نَظْمُهَا، فلا ترى فيها خللاً ولا نقصاً، ثم بُيِّنَتْ

بذكر الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص وغير ذلك، من عند حكيم في تدبيره وتشريعه، خبير بأحوال عباده، وبما يصلحهم.

﴿١﴾ مضمون هذه الآيات المنزلة على محمد ﷺ: نهى العباد أن يعبدوا مع الله غيره، إنني - أيها الناس - مُخَوِّفٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ كَفَرْتُمْ بِهِ وَعَصَيْتُمُوهُ، ومبشركم بثوابه إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ، وعلمتم بشرعه.

﴿٢﴾ واطلبوا - أيها الناس - مغفرة ذنوبكم من ربكم، وارجعوا إليه بالندم على ما فرطتم في جنبه، يمتعكم في حياتكم الدنيا متاعاً حسناً إلى وقت انقضاء آجالكم المحددة، ويعطى كل من له فضل في الطاعة والعمل جزاء فضله كاملاً غير منقوص، وإن تعرضوا عن الإيمان بما جئت به من ربي فإني أخاف عليكم عذاب يوم شديد الأحوال وهو يوم القيامة.

﴿٣﴾ إلى الله وحده رجوعكم - أيها الناس - يوم القيامة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجزه إحيائكم وحسابكم بعد موتكم وبعثكم.

﴿٤﴾ ألا إن هؤلاء المشركين يحتنون ظهورهم، وينكسون رؤوسهم من رسول الله ﷺ، ألا حين يغطون رؤوسهم بشياهم حتى لا يرى رسول الله ﷺ إعراضهم عما جاء به، يعلم الله ما يكتُمون وما يظهرون، إنه عليم بالنيات التي تكون في الصدور، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

١ - إن الخير والشر والنفع والضر بيد الله دون ما سواه. ٢ - وجوب اتباع الكتاب والسنة والصبر على الأذى وانتظار الفرج من الله. ٣ - آيات القرآن محكمة لا يوجد فيها خلل ولا باطل، وقد فُصِّلَت الأحكام فيها تفصيلاً تاماً. ٤ - مقصد آيات القرآن هو نهى العباد عن عبادة غير الله. ٥ - وجوب المسارعة إلى التوبة والندم على الذنوب للنيل بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

① وما من مخلوق يدب على وجه الأرض مهما كان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه، ويعلم سبحانه موضع استقراره في الأرض، ويعلم موضع موته الذي يموت فيه، فكل من الدواب ورزقها ومواقع استقرارها ومواقع موتها، في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ. ⑦ وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملاً بما يسخطه، فيجازي كلا بما يستحقه، ولئن قلت - أيها الرسول -: إنكم - أيها الناس - مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث: ما هذا القرآن الذي تتلوه إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

⑧ ولئن أخرنا عن المشركين ما يستحقون من العذاب في الحياة الدنيا إلى مدة أيام معدودة ليقولن مستعجلين له مستهزئين: أي شيء يحبس عنا العذاب؟ ألا إن العذاب الذي يستحقونه له أمد عند الله، ويوم يأتيهم لن يجدوا صارقاً يصرفه عنهم، بل يقع عليهم، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وسخرية.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ⑥ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑦ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ⑧ الْأَيُّومَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑨ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافِرٌ ⑩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْزِئٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ⑪ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑫ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ⑬ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑭

④ ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة كنعمة الصحة والغنى، ثم سلبنا منه تلك النعمة إنه لكثير اليأس من رحمة الله، عظيم الكفران بنعمه، ينساها إذا سلبها.

⑤ ولئن أذقناه سعة في الرزق وصحة بعد فقر ومرض أصابه ليقولن: ذهب السوء عني، وزال الضر، ولم يشكر الله على ذلك، إنه لكثير الفخر بطراً، وكثير التناول على الناس بما أنعم الله عليه.

⑥ إلا الذين صبروا على المكاره والطاعات وعن المعاصي، وعملوا الأعمال الصالحات، فلهم حال آخر، حيث لا يصيبهم يأس، ولا كفر بنعم الله، ولا تناول على الناس، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم، ولهم جزاء كبير في الآخرة.

⑦ فلعلك - أيها الرسول - لِمَا واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وضائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يصدق، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبلغ ما أمرك الله بتبليغه، وليس عليك الإتيان بما يقترحوه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

⑧ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

- ١ - سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان وغيرهما.
- ٢ - بيان علة الخلق؛ وهي اختبار العباد بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- ٣ - لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
- ٤ - بيان حال الإنسان في حالتي السعة والشدة، ومدح موقف المؤمن المتمثل في الصبر والشكر.

﴿١٣﴾ بل أيقول المشركون: اختلق محمد القرآن، وليس وحياً من الله، قل - أيها الرسول - متحدياً بإهام: فأتوا بعشر سور مثله هذا القرآن مُخْتَلَفَات لا تلتزمون فيها بصدق مثل القرآن الذي زعمتم أنه مُخْتَلَق، وادعوا من استطعتم دعاء؛ لتستعينوا به على ذلك، إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن مُخْتَلَق. ﴿١٤﴾ فإن لم يأتوا بما طلبتم منهم لعجزهم عنه فاعلموا - أيها المؤمنون - علم يقين أن القرآن إنما أنزله الله بعلمه على رسوله، وليس مُخْتَلَقاً، واعلموا أن لا معبود بحق إلا الله، فهل أنتم مسلمون لله متقادون له بعد هذه الحجج القاطعة؟

﴿١٥﴾ من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتَعَمَّا الفانية، ولا يريد به الآخرة نعتهم ثواب أعمالهم في الدنيا: صحة، وأماناً، وسعة في الرزق، لا ينقصون من ثواب عملهم شيئاً.

﴿١٦﴾ أولئك المتصفون بهذا القصد الذميمة ليس لهم يوم القيامة ثواب إلا النار يدخلونها، وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة؛ لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح، فلم يريدوا بها وجه الله، والدار الآخرة.

﴿١٧﴾ لا يستوي النبي محمد ﷺ الذي معه برهان من ربه تعالى، ويشهد على صدقه القرآن

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ اللَّهَ
إِلَٰهَهُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَىٰ يَمِينِ رَبِّهِ يُدْعَىٰ بِشَاهِدٍ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلْتَأْتِ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَمَ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصْذُونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

الكريم، ويشهد على نبوته التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ لهداية الناس ورحمتهم، لا يستوي هو ومن آمن معه مع أولئك الكافرين المُتَحَبِّطِينَ فِي الضَّلَالِ، أولئك يصدقون بالقرآن، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه، ومن يكفر به من أصحاب الملل فالنار موعده يوم القيامة، فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب من القرآن ومن موعدهم، فهو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع تضافر الأدلة الواضحة والبراهين الجلية. ﴿١٨﴾ ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يختلقون الكذب على الله يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

﴿١٩﴾ الذين يصرفون الناس عن سبيل الله المستقيم، ويطلبون لسبيله الاعوجاج عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وهم ينكرون البعث بعد الموت، ويجحدونه.

﴿٢٠﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تحدي الله تعالى للمشركين بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وبيان عجزهم عن الإتيان بذلك.
- ٢ - إذا أُعْطِيَ الكافر مبتغاه من الدنيا فليس له في الآخرة إلا النار.
- ٣ - بيان أنه لا يستوي من معه بينة من ربه وهم المسلمون، ومن لا بينة له إلا التقليد والجهل كالكفار بأصنافهم.
- ٤ - عظم ظلم من يفترى على الله الكذب.

﴿١٠﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات لم يكونوا لينجوا من الله في الدنيا إن أراد إنزال العذاب بهم، وليس لهم أولياء من دون الله يدفعون عقاب الله عنهم؛ يزداد عليهم العذاب يوم القيامة بسبب صرْفهم أنفسهم وصرْفهم غيرهم عن سبيل الله، ما كانوا في الدنيا يستطيعون سماع الحق والهدى سماع قبول، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون إحصاراً يفيدهم؛ لإعراضهم الشديد عن الحق.

﴿١١﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك باتخاذ الشركاء مع الله، وذهب عنهم ما كانوا يخلقونه من الشركاء والشفعاء.

﴿١٢﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الأخسرون صفقة، حيث استبدلوا الكفر بالإيمان، والدنيا بالآخرة، والعذاب بالرحمة.

﴿١٣﴾ إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وخضعوا وخشعوا لله أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها ماكون أبداً.

﴿١٤﴾ مثل فريق الكفار والمؤمنين مثل الأعمى الذي لا يبصر، والأصم الذي لا يسمع، وهذا مثل فريق الكفار الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، ولا يبصرونه إحصاراً ينفعهم، ومثل السميع البصير، وهذا مثل فريق المؤمنين الذي

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِني لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَاذِبُوا الرَّاْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي وَءَاْنَسِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَفَعِمْتِ عَلَيْكُمْ أَنزَلْتُ مُكْرِمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ ﴿١٨﴾

يجمع بين السمع والإبصار، هل يستوي هذان الفريقان حالاً وصفة؟! لا يستويان، أفلا تعتبرون بعدم استوائهما؟ ولما ظهر ما ظهر من إعراض المشركين عن الإيمان سلى الله نبيه ﷺ بأنه ليس هو أول من كُذِّب، وذلك بذكر قصص الأنبياء، فقال سبحانه:

﴿١٥﴾ ولقد بعثنا نوحاً ﷺ رسولاً إلى قومه، فقال لهم: يا قوم، إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم.

﴿١٦﴾ وأدعوكم إلى عبادة الله وحده، فلا تعبدوا إلا إياه، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم.

﴿١٧﴾ فقال الأشراف والرؤساء من قومه: لن نستجيب لدعوتك؛ لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثلنا، ولأننا لا نراك اتبعك إلا سفلتنا من أول الرأي من غير تثبت ولا تحقق من أمرك، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن نتبعكم، بل نظنكم كاذبين فيما تدعون.

﴿١٨﴾ قال لهم نوح: يا قوم، أخبروني إن كنت علي برهان من ربي يشهد لصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم لجهلكم بها؛ أنجبركم على الإيمان بها، وندخله في قلوبكم كرهاً؟ لا تقدر على ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله.

﴿١٩﴾ فإِذَا مِنْ آلَاءِ:

١ - الكافر لا ينتفع بسمعه وبصره انتفاعاً بقود للإيمان، فهي كالمُتَنَفِّية عنه بخلاف المؤمن.

٢ - سَنَّ الله في أتباع الرسل أنهم الفقراء والضعفاء، وخُصُّوهم الأشراف والرؤساء.

٣ - تكبر الأشراف والرؤساء واحتقارهم لمن دونهم في غالب الأحيان.

﴿١٩﴾ ويا قوم، لا أطلبكم على تبليغ الرسالة مالا، فما ثوابي إلا على الله، ولست بطارد عن مجلسي الفقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، وهو مجازيهم على إيمانهم، ولكني أراكم قوما لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين.

﴿٢٠﴾ ويا قوم، من يدفع عني عذاب الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلما بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، وتسعون إلى ما هو أصح لكم وأنفع؟

﴿٢١﴾ ولا أقول لكم - يا قومي -: عندي خزائن الله، أنفقها عليكم إن أمتم، ولا أقول لكم: إني أعلم الغيب، ولا أقول لكم: إني من الملائكة، بل أنا بشر مثلكم، ولا أقول عن الفقراء الذين تحقرهم أعينكم وتستصغروهم: لن يعطيهم الله توفيقا ولا هداية، الله أعلم بنياتهم وأحوالهم، إني إن ادعيت ذلك لمن الظالمين الذين يستحقون عذاب الله.

﴿٢٢﴾ قالوا نعتنا وتكبرنا: يا نوح، قد خاصمتنا وناظرتنا، فأكثرنا مخاصمتنا ومناظرتنا، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٢٣﴾ قال لهم نوح: أنا لا آتيكم بالعذاب، إنما يأتاكم به الله إن شاء، وما أنتم بقادرين على الإفلات من عذاب الله إن أراد بكم عذابا.

﴿٢٤﴾ ولا ينفعكم نصحي وتذكيري لكم، إن كان الله يريد أن يضلكم عن الصراط المستقيم، ويخذلكم عن الهداية بسبب عنادكم، هوربكم، فهو الذي يملك أمركم، فيضلكم إن شاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٢٥﴾ وسبب كفر قوم نوح أنهم يزعمون أنه افترى على الله بهذا الدين الذي جاء به، قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته، فأنا إذا مجرم، وعليّ وحدي عقاب إجرامي، وإن كذبت بما جئت به من الحق عنادا وتكبرا فأنتم إذا مجرمون، ولا أتحمّل من إجرامكم شيئا، فأنا بريء منه.

﴿٢٦﴾ وأوحى الله إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك - يا نوح - إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن - يا نوح - بسبب ما كانوا يفعلونه من التكذيب والاستهزاء خلال تلك المدة الطويلة.

﴿٢٧﴾ واصنع السفينة بمرأى منا محفوظا منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالبا إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، إنهم مُغرَقون - لا محالة - بالطوفان؛ عقابا لهم على إصرارهم على الكفر.

﴿٢٨﴾ فإذ من الآيات:

١ - الداعية إلى الله يرجو منه الثواب وحده.

٢ - حرمة طرد فقراء المؤمنين، ووجوب إكرامهم واحترامهم.

٣ - استئثار الله تعالى وحده بعلم الغيب.

٤ - مشروعية جدال الكفار ومناظرتهم.

٥ - لا ينفع النصيح لمن لم يرد الله هدايته.

وَيَقُومُوا لَكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رِبِّهِمْ وَلَكَيْفَ آرَكُمْ قَوْمًا بَٰتِلُونَ ﴿٢١﴾ وَيَقُومُونَ مِنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأُنَادِي بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَبْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَحْمِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَ كَبُوعًا بَاغِيْنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٩﴾

(٣٨) فامتثل نوح أمر ربه، وطفق يصنع السفينة، وكلما مر عليه كبراء قومه وسادتهم استهزؤوا به؛ لما يقوم به من صنع السفينة وليس في أرضه ماء ولا أنهار، فلما تكرر استهزؤوا به؛ قال: إن تستهزؤوا - أيها الملأ - منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم لجهلكم بما يصير إليه أمركم من الغرق. (٣٩) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله وبهينه، وينزل عليه يوم القيامة عقاب دائم لا ينقطع.

(٤٠) وأنهى نوح ﷺ صنع السفينة التي أمره الله بصنعها، حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم، وفار الماء من التنور الذي كانوا يخبزون فيه؛ إعلاماً ببدء الطوفان؛ قلنا لنوح ﷺ: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوان فوق الأرض زوجين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك إلا من سبق الحكم بأنه مغرق؛ لكونه لم يؤمن، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه من قومه إلا عدد قليل على طول المدة التي مكث فيها يدعوهم إلى الإيمان بالله.

(٤١) وقال نوح لمن آمن من أهله وقومه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جري السفينة، وباسمه يكون رؤسوها، إن ربي غفور

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَ مَرْعِيَهُ مَلَأْمِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلَ الْخُلُوفَ رِجَالًا يَمْشُونَ عَلَى الْمَاءِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَعَلِيمٌ (٤١) وَجَعَلَ الْخُلُوفَ رِجَالًا يَمْشُونَ عَلَى الْمَاءِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَعَلِيمٌ (٤٢) قَالَ سَوَاءٌ إِنْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَتَّزِجُ آبَاؤُكُمْ وَمَاءُكُمُ السَّمَاءُ أَفَتِلَعُونَ وَعِصْ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)

وَالْقَوْمُ الْكَافِرِينَ (٤٦) وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ الَّذِي كَفَرَ أَنِ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٧) وَكَانَ الْكَافِرِينَ فِي الْفُلِ يَنْفِرُونَ (٤٨) وَكَانَ الْكَافِرِينَ فِي الْفُلِ يَنْفِرُونَ (٤٩) وَكَانَ الْكَافِرِينَ فِي الْفُلِ يَنْفِرُونَ (٥٠)

لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته بالمؤمنين أن أنجاهم من الهلاك.

(٤٦) والسفينة تجري بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، ونادى نوح ﷺ ابنه، وكان كافراً، وكان منفرداً عن أبيه وقومه في مكان: يا بني، آمن واركب معنا في السفينة؛ لتنجو من الغرق، ولا تكن مع الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالغرق.

(٤٧) قال ابن نوح لنوح: سألجأ إلى جبل مرتفع؛ ليمنعني من وصول الماء إلي، قال نوح لابنه: لا مانع اليوم من عذاب الله بالغرق بالطوفان إلا من رحمه الله، فإنه يمنعه منه، وفرق الموج بين نوح وابنه الكافر، فكان ابنه من المغرقين بالطوفان لكفره.

(٤٨) وقال الله للأرض بعد نهاية الطوفان: يا أرض، اشربي ما عليك من ماء الطوفان، وقال للسماء: يا سماء أمسكي، ولا ترسلي المطر، ونقص الماء حتى جفت الأرض، وأهلك الله الكافرين، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وقيل: بُعداً وهلاكاً للقوم المتجاوزين لحدود الله بالكفر.

(٤٩) ونادى نوح ﷺ ربه مستغيثاً به، فقال: يا رب، إن ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، وإن وعدك هو الصدق الذي لا تخلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين وأعلمهم.

فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - بيان عادة المشركين في الاستهزاء والسخرية بالأنبياء وأتباعهم.

٢ - بيان سُنَّة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون.

٣ - بيان قصة نوح مع قومه، وصدق وعد الله فيهم بالغرق والهلاك.

﴿٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ لَنُوحٍ: يَا نُوحُ، إِنَّ ابْنَكَ الَّذِي سَأَلْتَنِي إِنْجَاءَهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الَّذِينَ وَعَدْتُكَ بِإِنْجَائِهِمْ؛ لِأَنَّهُ كَافِرٌ، إِنَّ سَوَالِكَ يَا نُوحُ عَمَلٌ غَيْرُ مَنَاسِبٍ مِنْكَ، وَلَا يَصْلَحُ لِمَنْ هُوَ فِي مَقَامِكَ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَتَسْأَلْنِي مَا يَخَالَفُ عِلْمِي وَحُكْمِي.

﴿٤٧﴾ قَالَ نُوحٌ ﷺ: رَبِّ، إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ أَنْ تَعْصِمَنِي مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَا عِلْمَ لِي بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَتَرْحَمَنِي بِرَحْمَتِكَ، أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا حُظُوظَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٤٨﴾ قَالَ اللَّهُ لَنُوحٍ ﷺ: يَا نُوحُ، أَنْزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ عَلَى الْأَرْضِ بِسَلَامَةٍ وَأَمْنٍ، وَبِنِعْمٍ مِنَ اللَّهِ كَثِيرَةٍ عَلَيْكَ، وَعَلَى ذُرِّيَّةٍ مِنْ كَانُوا مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِكَ، وَثَمَّةُ أُمَمٍ أُخْرَى مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ كَافِرُونَ سَنَمْتَعُهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنُعْطِيهِمْ مَا يَعِيشُونَ بِهِ، ثُمَّ يَنَالُهُمْ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿٤٩﴾ قِصَّةُ نُوحٍ هَذِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ، مَا كُنْتُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - تَعْلَمُهَا أَنْتَ، وَمَا كَانَ قَوْمُكَ يَعْلَمُونَهَا مِنْ قَبْلِ هَذَا الْوَحْيِ الَّذِي أَوْحَيْنَاهُ إِلَيْكَ، فَاصْبِرْ عَلَى أَدَى قَوْمِكَ وَتَكْذِيبِهِمْ كَمَا

صَبَرَ نُوحٌ ﷺ، إِنْ النُّصْرَ وَالْغَلْبَةَ لِلَّذِينَ يَمْتَثِلُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيهِ.

﴿٥٠﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا ﷺ، قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا، لَيْسَ لَكُمْ مَعْبُودٌ بِحَقِّ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَسْتُ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ لَهْ شَرِيكًا إِلَّا كَاذِبِينَ.

﴿٥١﴾ يَا قَوْمِ، لَا أَطْلِبُكُمْ ثَوَابًا عَلَى مَا أَبْلَغَكُمْ مِنْ رَبِّي، وَأَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، لَيْسَ ثَوَابِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ذَلِكَ، وَتَسْتَجِيبُونَ لِمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ؟

﴿٥٢﴾ وَيَا قَوْمِ، اطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ - وَأَكْبَرُهَا الشَّرْكُ - يَشْكُمُ عَلَى ذَلِكَ بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ الْكَثِيرِ، وَيزِدْكُمْ عِزًّا إِلَى عِزِّكُمْ بِإِكْثَارِ الذَّرِيَّةِ وَالْأَمْوَالِ، وَلَا تَعْرَضُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَتَكُونُوا مِنَ الْمَجْرُمِينَ بِإِعْرَاضِكُمْ عَنْ دَعْوَتِي، وَكَفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِكُمْ بِمَا جِئْتُ بِهِ.

﴿٥٣﴾ قَالَ قَوْمُهُ: يَا هُودُ، مَا جِئْتَنَا بِحُجَّةٍ جَلِيلَةٍ تَجْعَلُنَا نُؤْمِنُ بِكَ، وَلَسْنَا بِتَارِكِي عِبَادَةِ آلِهَتِنَا مِنْ أَجْلِ قَوْلِكَ الْخَالِي مِنْ حُجَّةٍ، وَلَسْنَا بِمُصْذِقِينَ لَكَ فِيمَا تَدْعِينَا مِنْ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - لَا يَمْلِكُ الْأَنْبِيَاءُ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ حَتَّى لَوْ كَانُوا أَبْنَاءَهُمْ.
- ٢ - بَيَانُ الْغَرَضِ مِنْ سَرْدِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ.
- ٣ - فَضْلُ الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَأَنَّهُمَا سَبَبُ إِزْثَالِ الْمَطَرِ وَزِيَادَةِ الذَّرِيَّةِ وَالْأَمْوَالِ.

٥٤ ما نقول إلا أنه أصابك بعض آلهتنا
بجنون لما كنت تنهانا عن عبادتهم، قال
هود: إني أشهد الله، وأشهدوا أنتم أنني بريء
من عبادة آلهتكم التي تعبدونها من دون الله،
فامكروا بي أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها
أصابتني بجنون، ثم لا تمهلوني.

٥٥ إني توكلت على الله وحده، واعتمدت
عليه في أمري، فهو ربي وربكم، ما من شيء
يدب على وجه الأرض إلا وهو تحت ملكه
وسلطانه، يصرفه كيف يشاء، إن ربي على
الحق والعدل، فلن يسطكم علي؛ لأنني على
الحق وأنتم على الباطل.

٥٦ فإن تتمادوا في الإعراض عما جئت به
فما علي إلا إبلاغكم، وقد أبلغتكم كل ما
أرسلني الله به، وأمرني بإبلاغه، وقد قامت
عليكم الحجة، وسهّل لكم ربي، ويأتي بقوم
غيركم يخلفونكم، ولا تضرون الله ضرراً
كبيراً ولا صغيراً بتكذيبكم وإعراضكم؛ لأنه
غني عن عبادته، إن ربي على كل شيء
رقيب، فهو الذي يحفظني من السوء الذي
تكيدونني به.

٥٧ ولما جاء أمرنا بإهلاكهم سلّمنا هوداً
والذين آمنوا معه برحمة منا نالتهم،
وسلّمناهم من عذاب شديد عذبنا به قومه

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا يُسْوِئُ قَالَ إِنْ شَهِدَ اللَّهُ
وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي
جَمِيعًا لَا تَنْظُرُونَ ٥٥ إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ ربي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
٥٦ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ ربي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
٥٧ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٨ وَتِلْكَ آدَاءُ جَعَدُوا يُشَاقِقُ
رَبَّهُمْ وَعَصَوْا أَرْسَالَهُ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٥٩ وَأَتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا
بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٌ ٦٠ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَقُومُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ
٦١ قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكَّنَتْ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ
نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٦٢

الكافرين.

٥٩ وتلك عاد كفروا بآيات الله ربهم، وعصوا رسولهم هوداً، وأطاعوا أمر كل متكبر على الحق، طاغ لا
يقبله، ولا يذعن له.

٦٠ ولحقهم في هذه الحياة الدنيا الخزي والطرده من رحمة الله، وكذلك يوم القيامة هم مُبعدون من
رحمة الله، وذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، ألا فأبعدهم الله من كل خير، وقربهم من كل شر.

٦١ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة
غيره، هو خلقكم من تراب الأرض بخلق أبيكم آدم منه، وجعلكم عمارها، فاطلبوا منه المغفرة، إن ربي
قريب ممن أخلص له العبادة، مجيب من دعاء.

٦٢ قال له قومه: يا صالح، قد كنت فينا صاحب مكانة عالية قبل دعوتك هذه، فقد كنا نرجو أن تكون
عاقلاً صاحب نصح ومشورة، أتنهانا - يا صالح - عن عبادة ما كان آبائنا يعبدونه؟ وإننا لفي شك مما تدعونا
إليه من عبادة الله وحده، يجعلنا تنهمك بالكذب على الله.

٦٣ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - دعوة الرسل جميعاً واحدة، وهي الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

٢ - بيان جحود ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.

﴿١٢﴾ قال صالح ردًا على قومه: يا قوم، أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، وأعطاني منه رحمة وهي النبوة، فمن يمنعني من عقابه إن أنا عصيته بترك تبليغ ما أمرني بتبليغه إليكم؟ فما تزيدوني غير تضليل وبعد عن مرضاته.

﴿١٣﴾ ويا قوم، هذه ناقة الله معجزة ظاهرة لكم وعلامة على صدقي، فاتركوها ترعى في أرض الله، ولا تتعرضوا لها بأي أذى فينالكم عذاب قريب من وقت عقركم لها.

﴿١٤﴾ فكذبوه وعقروها إمعانًا في التكذيب، فقال لهم صالح: استمتعوا بالحياة في أرضكم مدة ثلاثة أيام من عقركم إياها، ثم يأتيكم عذاب الله، فإتيان عذابه بعد ذلك وعد واقع لا محالة غير مكذوب، بل هو وعد صدق.

﴿١٥﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وسلمناهم من هوان ذلك اليوم، وذلتهم، إن ربك - أيها الرسول - هو القوي العزيز الذي لا يغالبه أحد، ولذلك أهلك الأمم المكذبة.

﴿١٦﴾ وأخذت الصيحة الشديدة ثمود فماتوا من شدتها، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿١٧﴾ قَالَ يَنْقُورِمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ مَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْصِيرٍ ﴿١٨﴾ وَيَنْقُورِمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَاْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٩﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنِي سَالِحَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢١﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٢٢﴾ كَانُوا يَنْعَتُونَهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدَا لَثَمُودَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا أَنْذِرَهُمْ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُمُ آيِدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٢٥﴾ وَأَمْرًا تُقَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾ كَانَ لَمْ يَقِيمُوا فِي بِلَادِهِمْ فِي نِعْمَةٍ وَرَغْدٍ عِيشَ، أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا بِاللَّهِ رَبِّهِمْ، لَا زَالُوا مُبْعِدِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي هَيْئَةِ رِجَالٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ؑ؛ مُبَشِّرِينَ إِيَّاهُ وَزَوْجَتَهُ بِإِسْحَاقَ ثُمَّ بِيَعْقُوبَ، فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ: سَلَامًا، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ: سَلَامٌ، وَذَهَبَ مُسْرِعًا، فَجَاءَهُمْ بِعِجْلٍ مَشْوِيٍّ؛ لِیَأْكُلُوا مِنْهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنْهُمْ رِجَالٌ.

﴿٢٩﴾ فَلَمَّا رَأَى إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَى الْعِجْلِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ اسْتَنَكَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَلَائِكَةُ خَوْفَهُ مِنْهُمْ قَالُوا: لَا تَخَفْ مِنَّا، نَحْنُ بَعَثْنَا اللَّهُ إِلَى قَوْمِ لُوطٍ لِنُعَذِّبَهُمْ.

﴿٣٠﴾ وَامْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ سَارَةُ قَائِمَةٌ، فَأَخْبَرْنَاهَا بِمَا يَسْرُهَا، وَهُوَ أَنَّهَا تَلِدُ إِسْحَاقَ، وَيَكُونُ لِإِسْحَاقَ وَلَدٌ هُوَ يَعْقُوبُ، فَضَحَكَتْ وَاسْتَبْشَرَتْ بِمَا سَمِعَتْ.

﴿٣١﴾ فَلَمَّا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - بَيَانُ سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ أَنَّهُ يَبْعَثُ لَهُمُ الرِّسَالَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ حَتَّى تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَهْلِكُ الْكَافِرِينَ، وَيُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ.

٢ - آيَةُ صَالِحٍ ؑ مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا قَوْمُهُ.

٣ - اسْتِحْبَابُ تَبْشِيرِ الْمُؤْمِنِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ.

٤ - مَشْرُوعِيَّةُ السَّلَامِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيْرِهِ، وَوُجُوبُ الرَّدِّ.

٥ - وَجُوبُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ.

﴿٧٦﴾ قالت سارة لما بشرتها الملائكة بتلك البشري متعجبة: كيف ألد وأنا عجوز، وهذا بعلي بلغ سن الشيخوخة؟! إن إنجاب ولد في هذه الحالة شيء عجيب، لم تجر العادة به.

﴿٧٧﴾ قال الملائكة لسارة لماذا تعجبت من البشري: أتعجبين من قضاء الله وقدره؟ فمثلك لا يخفى عليه أن الله قادر على مثل هذا، رحمة الله وبركاته عليكم - يا أهل بيت إبراهيم - إن الله حميد في صفاته وأفعاله، ذو مجد ورفعة.

﴿٧٨﴾ فلما ذهب عن إبراهيم ﷺ الخوف الذي أصابه من ضيوفه الذين لم يأكلوا طعامه بعد علمه أنهم ملائكة، وجاء الخبر السار بأنه سيولد له إسحاق، ثم يعقوب، طفق يجادل رسلنا في شأن قوم لوط؛ لعلهم يؤخرون عنهم العذاب، ولعلهم ينجون لوطاً وأهله.

﴿٧٩﴾ إن إبراهيم حليم، يحب تأخير العقوبة، كثير التضرع إلى ربه، كثير الدعاء، تائب إليه.

﴿٨٠﴾ قال الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدل في قوم لوط، إنه قد جاء أمر ربك بإيقاع العذاب الذي قدره عليهم، وإن قوم لوط آتتهم عذاب عظيم، لا يرد جلال ولا دعاء.

﴿٨١﴾ ولما جاءت الملائكة لوطاً في هيئة رجال ساءه مجيئهم، وضاق صدره بسبب الخوف عليهم من قومه الذين يأتون الرجال

قَالَتْ يَوْنِلَيْكَ أَلَدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ

وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾

إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَتَذَكَّرُ لَهُمْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ

قَدْ جَاءَهُ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرَّةٍ دُونَ ذَلِكَ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا

جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَافَى بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا

يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا

يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَفْقَهُمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ

﴿٨٢﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِبَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَفَعْلٌ مَا نُرِيدُ

﴿٨٣﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا

يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ

مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا

مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

﴿٨٦﴾

شهوة من دون النساء، وقال لوط: هذا يوم شديد؛ لظنه أن قومه سيغالبنه على ضيوفه.

﴿٨٧﴾ وجاء قوم لوط لوطاً مسرعين قاصدين فعل الفاحشة بضيوفه، ومن قبل ذلك كان عاداتهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، قال لوط مدافعاً قومه: يا قوم، هؤلاء نساء قومي فتزوجوهن؛ فهن أطهر لكم من فعل الفاحشة، فخافوا من الله، ولا تجلبوا لي العار في ضيوفي، أليس منكم - يا قوم - رجل ذو رشد ينهاكم عن هذا الفعل القبيح؟!

﴿٨٨﴾ قال له قومه: لقد علمت - يا لوط - أنه ليس لنا حاجة في نساء قومك، ولا شهوة، وإنك لتعلم ما نريده، فلا نريد إلا الرجال.

﴿٨٩﴾ قال لوط: ليت لي قوة أدفعكم بها، أو عشيرة تمنعني، فأحول بينكم وبين ضيوفي.

﴿٩٠﴾ قالت الملائكة للوط ﷺ: يا لوط، إنا رسلُ الله، لن يصل إليك قومك بسوء، فاخرج بقومك من هذه القرية ليلاً في ساعة مظلمة، ولا ينظر أحدكم إلى ما وراءه إلا امرأتك ستلتفت مخالفة؛ لأنه سينالها ما نال قومك من العذاب، إن موعد إهلاكهم الصبح، وهو موعد قريب.

﴿٩١﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - بيان فضل ومنزلة أهل بيت إبراهيم ﷺ.

٢ - مشروعية الجدل عمن يُرجى له الإيمان قبل الرفع إلى الحاكم.

٣ - بيان منزلة خليل الله إبراهيم ﷺ.

٤ - بيان فضاة وقبح عمل قوم لوط.

﴿٨٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ صَبَرْنَا عَالِي قَرَاهِمٍ سَافِلَهَا بِرَفْعِهَا وَقَلْبِهَا بِهِمْ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُتَصَلِبٍ مَصْفُوفٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ بَتَّاعٍ.

﴿٨٧﴾ هَذِهِ الْحِجَارَةُ مُعَلَّمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ بِعَلَامَةٍ خَاصَّةٍ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْحِجَارَةُ مِنَ الظَّالِمِينَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ بِبَعِيدَةٍ، بَلْ هِيَ قَرِيبَةٌ مَتَى قَدَّرَ اللَّهُ إِنْزَالَهَا عَلَيْهِمْ نَزَلَتْ.

﴿٨٨﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ: يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرِهِ، وَلَا تَنْقُصُوا الْكِيلَ وَالْوِزْنَ إِذَا كَلْتُمْ النَّاسَ أَوْ وَزَنْتُمُوهُمْ، إِنِّي أَرَاكُمْ فِي سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ وَنِعْمَةٍ، فَلَا تَغْيِرُوا عَلَيْكُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ بِالْمَعَاصِي، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٌ يَدْرِكُ كُلَّ أَحَدٍ مِنْكُمْ، لَا تَجْدُونَ مِنْهُ مَهْرَبًا وَلَا مَلْجَأً.

﴿٨٩﴾ وَيَا قَوْمِ، أَتُمُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْعَدْلِ إِنْ كَلْتُمْ أَوْ وَزَنْتُمْ لِغَيْرِكُمْ، وَلَا تَنْقُصُوا النَّاسَ مِنْ حَقْوَقِهِمْ شَيْئًا بِالْتَّطْفِيفِ وَالْغَشِّ وَالْخِدَاعِ، وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَاصِي.

﴿٩٠﴾ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي يَبْقِيهَا لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ بَعْدَ إِيْفَاءِ حَقِّ النَّاسِ بِالْعَدْلِ أَكْثَرَ نَفْعًا وَبَرَكَةً مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَاصِلَةِ بِالْتَّطْفِيفِ وَالْإِفْسَادِ فِي

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٦﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٧﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيِّرُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٨﴾ وَيَتَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٩﴾ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٩١﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٩٢﴾

الأرض، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا فَارْضُوا بِتِلْكَ الْبَقِيَّةِ، وَلَسْتُ عَلَيْكُمْ بِرَقِيبٍ أَحْصَى أَعْمَالَكُمْ، وَأَحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا، إِنَّمَا الرَّقِيبُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى.

﴿٩٣﴾ قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لِشُعَيْبٍ: يَا شُعَيْبُ، أَصْلَاتُكَ الَّتِي تَصْلِيهَا اللَّهُ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ عِبَادَةَ مَا كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَتَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ التَّصَرُّفَ فِي أَمْوَالِنَا بِمَا نَشَاءُ، وَنَنْمِيهَا بِمَا نَشَاءُ! إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَاقِلُ الْحَكِيمُ كَمَا عَرَفْنَاكَ قَبْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَمَا الَّذِي أَصَابَكَ؟

﴿٩٤﴾ قَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، أَخْبَرُونِي عَنْ حَالِكُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَرَهَانٍ وَاضِحٍ مِنْ رَبِّي، وَبَصِيرَةٍ مِنْهُ، وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَلَالًا، وَمِنْهُ النَّبُوءَةُ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَخَالَفَكُمْ فِي فِعْلِهِ، لَا أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحَكُمْ بِدَعْوَتِكُمْ إِلَى تَوْحِيدِ رَبِّكُمْ وَطَاعَتِهِ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِي، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَى الْحَصُولِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، عَلَيْهِ وَحْدَهُ تَوَكَّلْتُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ.

﴿٩٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ:

- ١ - مَنْ سَنَّ اللَّهُ إِهْلَاكَ الظَّالِمِينَ بِأَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ وَأَفْظَعِهَا.
- ٢ - حَرَمَةَ نَقْصِ الْكِيلِ وَالْوِزْنِ وَبُخْسِ النَّاسِ حَقْوَقَهُمْ.
- ٣ - وَجُوبَ الرِّضَا بِالْحَلَالِ وَإِنْ قَلَّ.
- ٤ - حَرَمَةَ السَّعْيِ بِالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْفُسَادِ.
- ٥ - فَضْلَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَوَجُوبَ الْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ، وَالِانْتِهَاءَ عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ.

﴿٨٩﴾ ويا قوم، لا تحمِلْنكم عداوتي على التكذيب بما جئت به؛ خوف أن ينالكم من العذاب مثل ما نال قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد، لا زماناً ولا مكاناً، وقد علمتم ما أصابهم، فاعتبروا.

﴿٩٠﴾ واطلبوا المغفرة من ربكم، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، إن ربي رحيم بالتائبين، كثير المحبة لمن تاب منهم.

﴿٩١﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب، ما نفهم كثيراً مما جئت به، وإنا لنراك فينا ضعيفاً، فلست من الكبراء والسادة، ولولا أن عشيرتك على ملتنا لقتلناك بالرمي بالحجارة، ولست علينا بعزيز حتى نهاب قتلك، وإنما تركنا قتلك احتراماً لعشيرتك.

﴿٩٢﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أعشيرتي أكرم عندهم وأعز من الله ربكم؟! وتركتم الله وراءكم منبوءاً حين لم تؤمنوا بنبية الذي بعثه إليكم، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٩٣﴾ ويا قوم، اعملوا ما تستطيعونه على طريقته التي ارتضيتها، إنني عامل على طريقتي التي ارتضيتها بما أستطيعه، سوف تعلمون من منا يأتيه عذاب يذله عقاباً له، ومن منا هو كاذب فيما يدعيه، فانتظروا ما يقضي به الله، إنني معكم منتظر.

﴿٩٤﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب أنقذنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأصابنا الذين ظلموا من قومه الصيحة الشديدة فماتوا، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٩٥﴾ كأن لم يقيموا فيها من قبل، ألا بُعدت مدين من رحمة الله بحلول نعمته عليهم، كما طردت منها ثمود بإنزال سخطه عليهم.

﴿٩٦﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الدالة على توحيد الله، وبحججنا الواضحة الدالة على صدق ما جاء به. أرسلناه إلى فرعون والأشرف من قومه، فاتبع هؤلاء الأشراف أمر فرعون لهم بالكفر بالله، وليس أمر فرعون بأمر ذي رشد حتى يتبع.

﴿٩٧﴾ فإلزام الأياد:

١ - ذم الجهلة الذين لا يفقهون عن الأنبياء ما جاؤوا به من الآيات.

٢ - ذم وتسفيه من اشتغل بأوامر الناس، وأعرض عن أوامر الله.

٣ - بيان دور العشرة في نصره الدعوة والدعاة.

٤ - طرد المشركين من رحمة الله تعالى.

﴿٩٨﴾ يتقدم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار وإياه، وساء المَورِد الذي يوردهم إليه.

﴿٩٩﴾ وأتبعهم الله في الحياة الدنيا لعنة وطردًا وإبعادًا من رحمته مع ما أصابهم من الهلاك بالغرق، وأتبعهم طردًا وإبعادًا منها يوم القيامة، ساء ما حصل لهم من ترادف اللعنتين والعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٠﴾ ذلك المذكور في هذه السورة من أخبار القرى نخبرك - أيها الرسول - به، من هذه القرى ما هو قائم المعالم، ومنها ما مُجِيت معالمه، فلم يبق له أثر.

﴿١٠١﴾ وما ظلمناهم بما أصبناهم به من هلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بكفرهم بالله، فما دفعت عنهم ألتهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ما نزل بهم من عذاب حين جاء أمر ربك - أيها الرسول - بإهلاكهم، وما زادتهم ألتهتهم هذه إلا خسرانًا وهلاكًا.

﴿١٠٢﴾ وكذلك الأخذ والاستصال الذي أخذ الله به القرى المكذبة في كل زمان ومكان، إن أخذه للقرى الظالمة أخذ مؤلم قوي.

﴿١٠٣﴾ إن في أخذ الله الشديد لتلك القرى الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عذاب يوم

القيامة، ذلك اليوم الذي يجمع الله له الناس لمحاسبتهم، وذلك يوم مشهود يشهده أهل المحشر.

﴿١٠٤﴾ ولا تؤخر ذلك اليوم المشهود إلا لأجل معلوم العدد.

﴿١٠٥﴾ يوم يأتي ذلك اليوم لا تتكلم أي نفس بحجة أو شفاعة إلا بعد إذنه، والناس فيه نوعان: شقي يدخل النار، وسعيد يدخل الجنة.

﴿١٠٦﴾ فأما الأشقياء لكفرهم وفساد أعمالهم فيدخلون في النار، ترتفع فيها أصواتهم وأنفاسهم من شدة ما يعانون من لهيبها.

﴿١٠٧﴾ ماكثون فيها أبدًا، لا يخرجون منها ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إخراجهم من عصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - فعّال لما يريد، فلا مُسْتَكْرَه له سبحانه.

﴿١٠٨﴾ وأما السعداء الذين سبقت لهم السعادة من الله لإيمانهم وصلاح أعمالهم فهم في الجنة ماكثون فيها أبدًا ما دامت السماوات والأرض إلا من شاء الله إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين، إن نعيم الله لأهل الجنة غير مقطوع عنهم.

﴿١٠٩﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابَ الْأَيْمَانِ:

١ - التحذير من اتباع رؤساء الشر والفساد، وبيان شؤم اتباعهم في الدارين.

٢ - تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.

٣ - لا تنفع آلهة المشركين عابديها يوم القيامة، ولا تدفع عنهم العذاب.

٤ - انقسام الناس يوم القيامة إلى: سعيد خالد في الجنان، وشقي خالد في النيران.

﴿١٤﴾ فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب وشك

من فساد ما يعبد هؤلاء المشركون، فليس لهم على صحته برهان عقلي ولا شرعي، وإنما الحامل لهم على عبادة غير الله تقليدهم لا بائتهم، وإنا لُمُتُّونَ لهم نصيبهم من العذاب دون نقص.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فاختلف الناس فيها، فأمن بعضهم بها، وكفر بعض، ولولا قضاء من الله سبق أنه لا يُعَجَّلُ العذاب، بل يؤخره إلى يوم القيامة لحكمة، لنزل بهم ما يستحقون من العذاب في الدنيا، وإن الكافرين من يهود ومشركين لفي شك من القرآن مُوقِع في الارتياب.

﴿١٦﴾ وإن كل من ذُكِر من المختلفين لِيُتِمَّنَ له ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم، فما كان خيرا كان جزاؤه خيرا، وما كان شرا كان جزاؤه شرا، إن الله بما يعملونه خبير، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿١٧﴾ فاستقم - أيها الرسول - كما أمرك الله، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وليستقم من تاب معك من المؤمنين، ولا تتجاوزوا الحد بارتكاب المعاصي، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٨﴾ ولا تميلوا إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة، فتصيبكم النار بسبب ذلك الميل، وليس لكم من دون الله أولياء ينقذونكم منها، ثم لا تجدون من ينصركم.

﴿١٩﴾ وأقم - أيها الرسول - الصلاة على أحسن وجه في طرفي النهار وهما أول النهار وآخره، وأقمها في ساعات من الليل، إن الأعمال الصالحات يمحو صغائر الذنوب، ذلك المذكور موعظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين.

﴿٢٠﴾ واصبر على فعل ما أمرت به من الاستقامة وغيرها، وعلى ترك ما نهيت عنه من الطغيان والركون إلى الظلمة، إن الله لا يطل ثواب المحسنين، بل يتقبل منهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿٢١﴾ فهلا كان من الأمم المعذبة قبلكم بقية من أهل الفضل والصلاح يتهون تلك الأمم عن الكفر، وعن الفساد في الأرض بالمعاصي، لم تكن منهم تلك البقية، إلا قليل منهم كانوا يتهون عن الفساد، فأنجيناهم حين أهلكنا قومهم الظالمين، واتباع الظالمون من أقوامهم ما هم فيه من النعيم، وكانوا ظالمين باتباعهم ذلك.

﴿٢٢﴾ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض، إنما يهلكها إن كان أهلها مفسدين بالكفر والظلم والمعاصي.

﴿٢٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ:

١ - سبق قضاء الله بتأخر العذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، لحكمة أرادها سبحانه.

٢ - وجوب الاستقامة على دين الله تعالى.

٣ - التحذير من الركون إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة.

٤ - بيان أوقات الصلوات الخمس في طرفي النهار وفي زلف من الليل.

٥ - بيان سُنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة.

٦ - الحث على إيجاد جماعة من أولي الفضل يأمرهم بالمعروف، وينهون عن الفساد والشر.

٧ - سُنة الله تعالى في أنه لا يهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض.

﴿١٧٨﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - أن يجعل الناس أمة واحدة على الحق لفعل، لكنه لم يشأ ذلك، فلا يزالون مختلفين فيه بسبب اتباع الهوى والبغي.

﴿١٧٩﴾ إلا من رحمهم الله بالتوفيق للهداية، فإنهم لا يختلفون في توحيده سبحانه، ولذلك الاختبار باختلاف خلقهم سبحانه، فمنهم شقي وسعيد، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - التي قضاه في الأزل بملء جهنم من اتباع الشيطان من الجن والناس.

﴿١٨٠﴾ وكل خبر نقصه عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك نقصه لنثبت به قلبك على الحق ونقويه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءتك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين ينتفعون بالذكرى.

﴿١٨١﴾ وقل - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون بالله، ولا يوحّدونه: اعملوا على طريقكم في الإعراض عن الحق والصد عنه، إنا عاملون على طريقنا من الثبات عليه، والدعوة له، والصبر عليه.

﴿١٨٢﴾ وترقبوا ما ينزل بنا، إنا مترقبون ما ينزل بكم. ﴿١٨٣﴾ والله وحده علم ما غاب في السماوات، وما غاب في الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبد - أيها الرسول - وحده، وتوكل عليه في كل أمورك، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو عليم به، وسيجازي كلا بما عمل.

﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَاكَ مُخْتَلِفِينَ

﴿١٧٩﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٠﴾ وَكَلا نَقُصُّ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ

الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٨٢﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ

﴿١٨٣﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

١١٢ آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّةَ أَيَّتْ أَكْتَبَ الْمُتَمِينُ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ

لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

مَكِّيَّةٌ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

هذه السورة تركز على الوعد بالتمكين بعد الابتلاء المبين، تثبيتاً ووعداً للنبي ﷺ وللمؤمنين.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ ﴿الر﴾ سبق الكلام عليها وعلى نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات التي أنزلت في هذه السورة من آيات القرآن الواضح فيما اشتمل عليه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا القرآن بلغة العرب لعلمكم - أيها العرب - تفهمون معانيه.

﴿٣﴾ نحن نقص عليك - أيها الرسول - أحسن القصص لصدقها وسلامة ألفاظها وبلاغتها، بإنزالنا عليك هذا القرآن، وإنك كنت من قبل إنزاله من الغافلين عن هذا القصص، لا علم لك به.

﴿٤﴾ نخبرك - أيها الرسول - حين قال يوسف لأبيه يعقوب: يا أبت، إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً، ورأيت الشمس والقمر، رأيت كل أولئك لي ساجدين، فكانت هذه الرؤيا عاجل بشرى ليوسف ﷺ.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - ذم الخلاف. ٢ - بيان الحكمة من القصص القرآني، وهي تثبيت قلب النبي ﷺ وموعظة المؤمنين. ٣ - انفراد الله تعالى بعلم الغيب لا يشركه فيه أحد. ٤ - الحكمة من نزول القرآن عربياً أن يعقله العرب؛ ليلغوه إلى غيرهم. ٥ - اشتمال القرآن على أحسن القصص.

٥ قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني، لا تذكر رؤياك لإخوتك، فيفهموها، ويحسدوك، فيدبروا لك مكيدة حسداً منهم، إن الشيطان للإنسان عدو واضح العداوة.

٦ وكما رأيت تلك الرؤيا يختارك - يا يوسف - ربك، ويعلمك تعبير المرائي، ويكمل نعمته عليك بالجمع بين النبوة والملك كما أتم نعمته على أبويك من قبلك: إبراهيم وإسحاق بما أنعم عليهما من النعم الدينية والدنيوية، إن ربك عليم بخلقه، حكيم في تدبيره.

٧ لقد كان في خبر يوسف، وخبر إخوته عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم.

٨ حين قال إخوته فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة ذوو عدد، فكيف فضلهما علينا؟ إنا لنراه في خطأ بين حين فضلهما علينا من غير سبب يظهر لنا.

٩ اقتلوا يوسف، أو غيبوه في أرض بعيدة يخلص لكم وجه أبيكم فيحبكم حباً كاملاً، وتكونوا من بعد ما تقدمون عليه من قتله أو نفيه قوماً صالحين، حين تتوبون من ذنبكم.

١٠ قال أحد الإخوة: لا تقتلوا يوسف، ولكن ارموه في قعر البئر يأخذه بعض

قال يئس لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً
إن الشيطان للإنسان عدو مبين ٥ وكذلك يجنيبك
ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك
وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق
إن ربك عليم حكيم ٦
آيت للسائلين ٧ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلينا
أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلل مبين ٨
يوسف أو أطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من
بعده قوماً صالحين ٩ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف
والقوه في غيبت الحب يلقطه بعض السياره إن كنتم
فعلين ١٠ قالوا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له
لنصحون ١١ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له
لحافظون ١٢ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف
أن يأكله الذئب وأنتم عنه غفلون ١٣ قالوا لئن
أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخسرون ١٤

الجزء الثاني من تفسير

الجزء الثاني من تفسير

المسافرين الذين يملكون به، فهذا أخف ضرراً من قتله، إن كنتم عازمين على ما قلتم بشأنه.

١١ ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لأبيهم يعقوب: يا أبانا، ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف؟ وإنا لمشفقون عليه نراه مما يضره، ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالماً، فما الذي يمنعك من إرساله معنا؟

١٢ اسمح لنا نأخذه معنا غداً يتنزه ويستأنس، وإنا له لحافظون من كل أذى يصيبه.

١٣ قال يعقوب لأبنائه: إني ليحزنني ذهابكم به؛ لأنني لا أصبر على فراقه، وأخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم لاهون عنه بالرتع واللعب.

١٤ قالوا لأبيهم: لئن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فينا، فنحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب.

فلازمنا الأيات:

- ١ - ثبوت الرؤيا شرعاً، وجواز تعبيرها.
- ٢ - مشروعية كتمان بعض الحقائق إن ترتب على إظهارها شيء من الأذى.
- ٣ - بيان فضل ذرية آل إبراهيم واصطفائهم على الناس بالنبوة.
- ٤ - الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة والحسد بين الإخوة.

﴿١٥﴾ فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيداً، وعزموا على رميه في قعر البئر، وأوحينا إلى يوسف في هذه الحال: لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم.

﴿١٦﴾ وجاء إخوة يوسف أباهم وقت العشاء يتباكون ترويحاً لمكرهم.

﴿١٧﴾ قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا تسابق على الأرجل ونترامى بالنبال، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأزوادنا ليحفظها، فأكله الذئب، ولست بمصدق لنا، وإن كنا في الواقع صادقين فيما أخبرناك به.

﴿١٨﴾ وأكدوا خبرهم بحيلة، فجاؤوا بقميص يوسف ملطخاً بدم غير دمه، موهمين أنه أكل الذئب له، ففطن يعقوب - بقرينة أن القميص لم يُمزق - لكذبهم، فقال لهم: ليس الأمر كما أخبرتم، بل زينت لكم أنفسكم أمراً سيئاً صنعتموه به، فأمرني صبر جميل لا جزع فيه، والله المطلوب منه العون على ما تذكرونه من أمر يوسف.

﴿١٩﴾ وجاءت قافلة مارة، فبعثوا من يستقي لهم الماء، فأرسل دلوه في البئر، فتعلق يوسف بالحبل، فلما أبصره مرسلها قال مسروراً: يا بشراي هذا غلام، وأخفاه

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَاجْتَمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَّبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشَرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَزَقْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

واردهم وبعض أصحابه عن بقية القافلة زاعمين أنه بضاعة استبضعوها، والله عليم بما يفعلونه بيوسف من الابتذال والبيع، لا يخفى عليه من عملهم شيء.

﴿٢٣﴾ وباعه الوارد وأصحابه بمصر بثمان زهيد، فهو دراهم سهلة العد لقلتها، وكانوا من الزاهدين فيه لحرصهم على التخلص منه سريعاً، فقد علموا من حاله أنه ليس بمملوك، وخافوا على أنفسهم من أهله، وهذا من تمام رحمة الله به حتى لا يبقى معهم طويلاً.

﴿٢٤﴾ وقال الرجل الذي اشتراه من مصر لامرأته: أحسني إليه، وأكرمي في مقامه معنا؛ نعله ينفعنا في القيام ببعض ما نحتاج إليه، أو نُصَيِّرَهُ وَلَدًا بِالنَّبِيِّ، وكما أنجينا يوسف من القتل، وأخرجناه من البئر، وعطفنا عليه قلب العزيز مكناً له في مصر، ولنعلمه تأويل الرؤيا، والله غالب على أمره، فأمره نافذ، فلا مكره له سبحانه، ولكن غالب الناس - وهم الكفار - لا يعلمون ذلك.

﴿٢٥﴾ ولما بلغ يوسف كمال قوته المعنوية والحسية أعطيناه فهماً وعلمًا، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين بطاعة الله.

﴿٢٦﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْأَيَّامِ:

١ - بيان خطورة الحسد الذي جرّ إخوة يوسف إلى الكيد به والمؤامرة على قتله.

٢ - مشروعية العمل بالقرينة في الأحكام.

٣ - تدبير الله ليوسف ﷺ وتمكينه في الأرض وتعليمه تأويل الرؤى.

﴿٣٣﴾ وطلبت امرأة العزيز برفق وإعمال حيلة من يوسف عليه السلام فعل الفاحشة، وعلقت الأبواب إمعاناً في الخلوة، وقالت له: هَلُمَّ وتعال إلي، فقال يوسف: أعتصم بالله مما دعوتني إليه، إن سيدي أحسن إلي في مقامي عنده فلن أخونه، فإن خنته كنت ظالماً، إنه لا يفوز الظالمون.

﴿٣٤﴾ ولقد رغبت نفسها في فعل الفاحشة، وخطر على نفسه هو ذلك، لولا أنه رأى من آيات الله ما يكفه عن ذلك ويبعده، وقد أريناه ذلك لنكشف عنه السوء، ونبعده عن الزنى والخيانة، إن يوسف من عبادنا المختارين للرسالة والنبوة.

﴿٣٥﴾ وتسابقا إلى الباب: يوسف لينجو بنفسه، وهي لتمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه لتمنعه من الخروج، فشقت من خلفه، ووجدت زوجها عند الباب، قالت امرأة العزيز للعزيز محتالة: ليس عقاب من قصد بزوجتك - يا عزيز - فعل الفاحشة إلا السجن، أو أن يُعَذَّبَ عذاباً موجعاً.

﴿٣٦﴾ قال يوسف عليه السلام: هي التي طلبت مني الفاحشة، ولم أردها منها، وجعل الله صبيّاً من أهلها يتكلم في المهد، فشهد بقوله: إن كان قميص يوسف شقاً من أمامه فذلك قرينة

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَقْبَلُحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب.

﴿٣٧﴾ وإن كان قميصه شقاً من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تُراوده وهو هارب عنها، فهي كاذبة. ﴿٣٨﴾ فلما شاهد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شقاً من خلفه تحقق من صدق يوسف، وقال: إن هذا القذف الذي قذفته به من جملة مَكْرُكُنَّ - معشر النساء - إن مَكْرُكُنَّ مكر قوي.

﴿٣٩﴾ وقال ليوسف: يا يوسف، أضرب عن هذا الأمر صفحاً، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنت المغفرة لأنك، إنك كنت من الأثمين بسبب مراودة يوسف عن نفسه.

﴿٤٠﴾ وانتشر خبرها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حبه شغاف قلبها (أي غلافه)، إنا لنراها بسبب مراودتها له وحبا إياه - وهو عبدها - في ضلال واضح.

﴿٤١﴾ فَوَالَّذِينَ بِالْآيَاتِ:

١ - تقرير أن كيد النساء عظيم في بعض المواقف.

٢ - قبح خيانة المحسن في أهله وماله، الأمر الذي ذكره يوسف من جملة أسباب رفض الفاحشة.

٣ - بيان عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم من الوقوع في السوء والفحشاء.

٤ - وجوب دفع الفاحشة والهرب والتخلص منها.

٥ - مشروعية رد التهمة والدفاع عن النفس.

٦ - مشروعية العمل بالقرائن في الأحكام.

﴿٣١﴾ فلما سمعت امرأة العزيز إنكارهن عليها واغتيالهن إياها بعثت إليهن تدعوهن ليرين يوسف فيعذرنها، وهيات لهن محلاً فيه فراش ووسائد، وأعطت كل واحدة من المدعوات سكيناً تقطع به الطعام، وقالت ليوسف ﷺ: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعظمته، واندھشن لحسنه، وانبهرن بجماله، وقطعن أيديهن من شدة الانبهار به بالسكاكين المعدة لقطع الطعام، وقلن: تنزه الله، ليس هذا الغلام بشراً، فما هو فيه من الجمال لم يُعهد في البشر، ليس إلا ملكاً كريماً من الملائكة الكرام.

﴿٣٢﴾ قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأت ما أصابهن: هذا هو الفتى الذي غيرتني بسبب حبه، ولقد طلبته، واحتلت لإغوائه، فاستعف وامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلاً ليدخلن السجن، وليكونن من الأذلاء.

﴿٣٣﴾ قال يوسف ﷺ داعياً ربه: يا رب، السجن الذي هددتني به أحب إليّ مما يدعونني إليه من فعل الفاحشة، وإذا لم تكشف عني مكرهن أمل إليهن، وأكن من الجاهلين إن ملئت إليهن، وطاوعتهن فيما يردن مني.

﴿٣٤﴾ فأجاب الله دعوته، وكشف عنه مكر امرأة العزيز ومكر نسوة المدينة، إنه ﷺ السميع لدعاء يوسف، ولدعاء كل داع، العليم بحاله وحال غيره.

﴿٣٥﴾ ثم كان من رأي العزيز وقومه لما شاهدوا الأدلة على براءته أن يسجنوه، حتى لا تنكشف الفضيحة، إلى مدة غير معلومة.

﴿٣٦﴾ فسجنوه، ودخل معه غلامان في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمراً، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطيور منه، وأخبرنا - يا يوسف - بتأويل ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان، فأحسن إلينا بتعبير ما رأينا.

﴿٣٧﴾ قال يوسف ﷺ: لا يأتیکما طعام يجري علیكما من الملك أو غيره إلا بينت لكما حقيقته وكيفيته قبل أن يأتیکما، ذلکما التأویل الذي أعلمه هو مما علمني ربي، لا من الكهانة ولا من التنجيم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة جاحدون مع إقرارهم بها في أنفسهم.

- ﴿٣٨﴾ **قوله من الآيات:**
- ١ - بيان جمال يوسف ﷺ الذي كان سبب افتتان النساء به.
 - ٢ - إيثار يوسف ﷺ السجن على معصية الله.
 - ٣ - تعبير الرؤى عند يوسف ﷺ من جملة ما أكرمه الله به.

﴿٣٩﴾ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن مثكراً واتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأته أكرهه وقطعن أيديهن وقلن حش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴿٣٧﴾ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد رددت عنه نفسي فاستعصم ولئن لم يفعل ماءً أمره لیسجنن وليكونا من الصغرين ﴿٣٢﴾ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴿٣٣﴾ فاستجاب لربيه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴿٣٤﴾ ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننهم حتى حين ﴿٣٥﴾ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أرأيت أعصر خمراً وقال الآخر إني أرأيت أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نيتنا بئاً وبله إنا نرناك من المحسنين ﴿٣٦﴾ قال لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأئكما بئاً وبله قبل أن يأتیکما ذلکما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾ واتبعت دين آبائي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو دين التوحيد لله، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره، وهو المنفرد بالوحدانية، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه وآبائي هو من فضل الله علينا أن وفقنا له، ومن فضله على الناس جميعًا حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.

﴿٣٩﴾ ثم خاطب يوسف الغلامين في السجن قائلاً: أعبادة آلهة متعددة خير، أم عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لغيره، الذي لا يقهر؟

﴿٤٠﴾ ما تعبدون من دون الله إلا أسماء على غير مسميات، سميتوها أنتم وآبائكم آلهة، ليس لها في الألوهية نصيب، لم يُنزل الله بتسميتكم لها حجة تدل على صحتها، ليس الحكم في جميع المخلوقات إلا لله وحده، لا لهذه الأسماء التي سميتوها أنتم وآبائكم، أمر الله سبحانه أن توحده بالعبادة، ونهى أن تشركوا معه غيره، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ولذلك يشركون بالله، فيعبدون بعض مخلوقاته.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْدَحِي السَّجْنَاءُ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْدَحِي السَّجْنَاءُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ لِلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَابَسَاتٍ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٌ فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤١﴾ أيها الرفيقان في السجن، ها أنا أعبر لكليهما رؤياه، أما الذي رأى أنه يعصر عنبًا ليصير خمرًا فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله، فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه فإنه يقتل ويصلب، فتأكل الطير من لحم رأسه، فرغ الأمر الذي طلبتما الفتيا فيه وتم، فهو واقع لا محالة.

﴿٤٢﴾ وقال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما - وهو ساقى الملك - اذكر قصتي وشأني عند الملك؛ لعله يخرجني من السجن، فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك عدة سنوات.

﴿٤٣﴾ وقال الملك: إني رأيت في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والأشراف، أخبروني بتأويل رؤيائي هذه إن كنتم عالمين بتأويل الرؤيا.

﴿٤٤﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - وجوب اتباع ملة إبراهيم، والبراءة من الشرك وأهله.
- ٢ - وجوب إفرااد الله تعالى بالعبادة والحكم.
- ٣ - كل الآلهة التي تُعبد من دون الله ما هي إلا أسماء على غير مسميات، ليس لها في الألوهية نصيب.
- ٤ - استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسف ﷺ في السجن.

﴿٤٤﴾ قالوا: رؤياك أخلط أحلام، وما كان كذلك فلا تأويل له، ولسنا عالمين بتأويل الأحلام المختلطة.

﴿٤٥﴾ وقال الساقى الذي نجا من الغلامين السجينين، وتذكر يوسف ﷺ وما هو عليه من علم تأويل الرؤيا بعد مدة: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك بعد سؤال من له علم بتأويلها، فابعثني - أيها الملك - إلى يوسف ليأول رؤياك.

﴿٤٦﴾ فلما وصل التاجي إلى يوسف قال له: يا يوسف، أيها الصديق، أخبرنا عن تأويل من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر، ورأى سبع سنبلات يابسات؛ لعلني أرجع إلى الملك ومن عنده لعلهم يعلمون تعبير رؤيا الملك، ويعلمون فضلك ومكانتك.

﴿٤٧﴾ قال يوسف ﷺ معبراً هذه الرؤيا: تزرعون سبع سنين متتابعة بجد، فما حصدتم في كل سنة من تلك السنين السبع فاتركوه في سنابله منعاً له من التسوس، إلا قليلاً مما تحتاجون لأكله من الحبوب.

﴿٤٨﴾ ثم تجيء من بعد تلك السنين السبع المُخَصَّبة التي زرعتم فيها سبع سنين مجدبة يأكل الناس فيها كل ما حُصد في السنين المُخَصَّبة إلا قليلاً مما تحفظونه مما يكون بذراً.

﴿٤٩﴾ ثم يجيء بعد تلك السنين المجدبة عام تنزل فيه الأمطار، وتنبت الزروع، ويعصر فيه الناس ما يحتاج للعصر كالعنب والزيتون والقصب.

﴿٥٠﴾ وقال الملك لأعوانه لما بلغه تعبير يوسف لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأتوني به، فلما جاء يوسف رسول الملك قال له: أرجع إلى سيدك الملك فاسأله عن قصة النسوة اللاتي جرّحن أيديهن، حتى تظهر براءته قبل الخروج من السجن، إن ربي بما صنع بي من المُرادة عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٥١﴾ قال الملك مخاطباً النسوة: ما شأنكن حين طلبتن يوسف بحيلة، ليعمل الفاحشة معكن؟ قالت زوجة العزيز مُؤمّرة بما صنعت: الآن يظهر الحق، أنا حاولت إغواءه، ولم يحاول إغوائي، وإنه لمن الصادقين فيما ادعاه من براءته مما رميته به.

﴿٥٢﴾ قالت امرأة العزيز: ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق أنني لم أفتّر عليه في غيابه، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - كمال علم يوسف ﷺ في حسن تعبير الرؤى.
- ٢ - مشروعية تبرئة النفس مما نُسب إليها ظلمًا، وطلب تقضي الحقائق لإثبات الحق.
- ٣ - فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

﴿٥٦﴾ وواصلت امرأة العزيز كلامها قائلة: وما أنزه نفسي عن إرادة السوء، وما أردت بذلك تزكية نفسي؛ لأن شأن النفس البشرية كثرة الأمر بالسوء لميلها إلى ما تشتهيه وصعوبة كفها عنه، إلا ما رحمه الله من النفوس، فعصمها من الأمر بالسوء، إن ربي غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٧﴾ وقال الملك لأعوانه لما تبين براءة يوسف وعلمه: جيئوني به أبعمله خالصاً لنفسي، فجاؤوه به، فلما كلمه، وتبين له علمه وعقله قال له: إنك - يا يوسف - قد صرت اليوم عندنا صاحب مكانة وجاه وموثماً.

﴿٥٨﴾ قال يوسف للملك: ولني على حفظ خزائن المال والأقوات في أرض مصر، فيأني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتوا له.

﴿٥٩﴾ وكما مننا على يوسف بالبراءة والخلاص من السجن منناً عليه بالتمكين له في مصر، ينزل ويقيم في أي مكان شاء، نعطي من رحمتنا في الدنيا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم إياه كاملاً غير منقوص.

﴿٦٠﴾ ولثواب الله الذي أعده في الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله وكانوا يتقونه بامثال أوامره واجتتاب نواهيه.

﴿٦١﴾ وقدم إخوة يوسف إلى أرض مصر ببضاعة لهم، فدخلوا عليه، فعرف أنهم إخوته، ولم يعرفوا أنه أخوهم؛ لطول المدة وتغير هيئته؛ لأنه كان صبياً حين رموه في البئر.

﴿٦٢﴾ ولما أعطاهم ما طلبوه من الميرة والزاد، وقال بعد أن أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند أبيه: جيئوني بأخيكم من أبيكم أزدكم حمل بعير، ألا ترون أنني أكمل الكيل ولا أنقصه، وأنا خير المضيفين.

﴿٦٣﴾ فإن لم تجيئوني به تبين كذبكم في دعواكم أن لكم أخاً من أبيكم، فلن أكيل لكم طعاماً، ولا تقربوا بلدي.

﴿٦٤﴾ فأجابه إخوته قائلين: سنطلبه من أبيه، ونجتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به دون تقصير.

﴿٦٥﴾ وقال يوسف لعماله: ردوا بضاعة هؤلاء إليهم حتى يعرفوا عند عودتهم أننا لم نبتعها منهم، وهذا يجبرهم على الرجوع ثانية ومعهم أخوهم؛ ليشتوا ليوسف صدقهم، ويقبل منهم بضاعتهم.

﴿٦٦﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم قالوا: يا أبانا مُنِعَ منا الكيل إن لم نأت بأخيना معنا فابعثه معنا، فإنك إن بعثته معنا نكتل الطعام، وإنا لنتعهد لك بحفظه حتى يرجع إليك سالمًا.

﴿٦٧﴾ فإنا من الآيات:

- ١ - من أعداء المؤمن: نفسه التي بين جنبيه؛ لذا وجب عليه مراقبتها وتقويم اعوجاجها.
- ٢ - من محاسن الأخلاق: التواضع والاعتراف بالذنب والتقصير إن وقع.
- ٣ - اشتراط العلم والأمانة فيمن يتولى منصباً يصلح به أمر العامة.
- ٤ - عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على المحسن الصابر في الدارين.
- ٥ - بيان أن ما في الآخرة من فضل الله، إنما هو خير وأبقى وأفضل لأهل الإيمان.
- ٦ - جواز طلب الرجل المنصب ومدحه لنفسه إن دعت الحاجة، وكان مريداً للخير والصلاح.

﴿١٤﴾ قال لهم أبوهم: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه الشقيق: يوسف من قبل؟! فقد أمنتكم عليه، وتعهدهم بحفظه، ولم تفرو بما تعهدتم به، فلا ثقة عندي بتعهدهم بحفظه، وإنما ثقتي بالله، فهو خير الحافظين لمن أراد حفظه، وأرحم الراحمين بمن أراد رحمته.

﴿١٥﴾ ولما فتحوا أوعية طعامهم الذي جلبوه وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد هذا الإكرام؟ وهذا ثمن طعامنا رده الملك تفضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا مما تخافه عليه، ونزداد كيل بعير بسبب اصطحابه، فزيادة كيل بعير أمر سهل عند الملك.

﴿١٦﴾ قال لهم أبوهم: لن أبعثه معكم حتى تؤتوني عهد الله مؤكداً أن تردوه إليّ إلا إن أحاط هلاك بكم جميعاً، ولم يبق منكم أحداً، ولم تقدرُوا على دفعه ولا الرجوع، فلما أعطوه عهد الله المؤكد على ذلك، قال: الله شهيد على ما نقول، فتفكيها شهادته.

﴿١٧﴾ وقال لهم أبوهم موصياً إليهم: لا تدخلوا مصر من باب واحد مجتمعين، لكن ادخلوا من أبواب متفرقة، فذلك أسلم من أن يعتمكم أحد بضرر إن أراد بهكم، ولا أقول

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۚ قَالَ اللَّهُ حَيْرُ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۚ قَالُوا بَٰئَنَآ مَا بَنَيْنَا هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَّسِيرٌ ﴿١٥﴾ أَرْسِلْهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ۚ إِنَّا مُحَاطٌ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَنَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَٰجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۚ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

لكم ذلك لأدفع عنكم ضرراً أراد الله بكم، ولا لأجلب لكم نفعاً لم يرد الله، فالقضاء ليس إلا قضاء الله، والأمْر ليس إلا أمره، عليه وحده توكلت في كل أموري، وعليه وحده فليتوكل المتوكلون في أمورهم.

﴿١٨﴾ فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة شيئاً مما قدره الله عليهم، إنما هي شفقة يعقوب على أولاده، أظهرها، ووصاهم بها، وهو يعلم أن لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما علمناه من الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

﴿١٩﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف، ومعهم أخوه الشقيق، ضم إليه أخاه الشقيق، وقال له سرّاً: إني أنا أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوانك من الأعمال الطائشة؛ من إيذاء وحقد علينا، وإلقائهم إياي في البئر.

﴿٢٠﴾ فَوَلَّاهُم مِّنَ الْأَيْمَانِ:

- ١ - الأمر بالاحتياط والحذر ممن أثّر عنه غدر (لا يُلدَغ مؤمن من جُحر واحد مرتين).
- ٢ - من وجوه الاحتياط التأكد بأخذ المواثيق المؤكدة باليمين، وجواز استحلاف المخوف منه على حفظ الودائع والأمانات.
- ٣ - يجوز لطالب اليمين أن يستثني بعض الأمور التي يرى أنها ليست في مقدور من يحلف اليمين.
- ٤ - من الأخذ بالأسباب الاحتياط من المعاطب.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا نَفَقِدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغْنِيَنَّكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٨﴾ قَالُوا فَمَا جِزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا جِزَاؤُهُ
مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جِزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٨٠﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَجَهَا مِنْ
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنْ لَهُ آبَاءٌ شَاكِرُونَ
فَنُحِذُّ أَحَدَنَا مَكَانَهُ وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٥﴾ فلما أمر يوسف خُذَّامه بتحميل إبل
إخوته بالطعام جعل مكيال الملك الذي يكيل
به الطعام للمُتَّارين في وعاء أخيه الشقيق
دون علمهم توصلاً إلى إبقائه معه، فلما
ارتحلوا عائدِينَ إلى أهلهم نادى مناد في
إثرهم: يا أصحاب الإبل المحملة بالْمِيرَةِ،
إنكم لسارقون.

﴿٧٦﴾ قال إخوة يوسف، وأقبلوا على المنادي
في إثرهم ومن معه من أصحابه: ماذا ضاع
منكم حتى تتهموننا بالسرقة؟

﴿٧٧﴾ قال المنادي ومن معه من أصحابه لإخوة
يوسف: ضاع منَّا صاع الملك الذي يكيل
به، ولمن جاء بصاع الملك قبل التفتيش
جُعل، وهو حمل جمل، وأنا ضامن له
ذلك.

﴿٧٨﴾ قال لهم إخوة يوسف: والله لقد علمتم
نزاهتنا وبراءتنا، كما رأيتموه من أحوالنا،
وأنا ما جئنا أرض مصر لنفسد فيها، وما كنا
في حياتنا سارقين.

﴿٧٩﴾ قال المنادي وأصحابه: فما جزاء من
سرقه عندكم إن كنتم كاذبين في دعواكم
البراءة من السرقة؟

﴿٨٠﴾ قال لهم إخوة يوسف: جزاء السارق
عندنا أن من وُجِدَ المسروق في وعائه يسلم

برقبته للمسروق منه يسترقه، مثل هذا الجزاء بالاسترقاق نجزي السارقين.

﴿٨١﴾ فأرجعهم إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم، فبدأ بتفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء قبل تفتيش وعاء أخيه الشقيق
ستراً للحيلة، ثم قتش وعاء شقيقه، وأخرج صاع الملك منه، كما كدنا ليوسف بتدبير وضع الصاع في وعاء أخيه،
كدنا له أمراً آخر أن يأخذ إخوته بعقاب بلدهم باسترقاق السارق، هذا الأمر لا يتحقق لو عمل بعقاب الملك
للسارق الذي هو الضرب والتغريم، إلا أن يشاء الله تدبيراً آخر فهو قادر عليه، نرفع مراتب من نشاء من عبادنا كما
رفعنا مرتبة يوسف، وفوق كل صاحب علم من هو أعلم منه، وفوق علم الجميع علم الله الذي يعلم كل شيء.

﴿٨٢﴾ قال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق أخ له شقيق من قبل سرقته هو، يعنون يوسف ﷺ،
فأخفى يوسف تأذيه بقولتهم هذه، ولم يظهرها لهم، قال لهم في نفسه: ما أنتم عليه من حسدٍ وصنيع سوء
سبق منكم هو الشر بعينه في هذا المقام، والله تعالى أعلم بهذا الافتراء الذي يصدر منكم.

﴿٨٣﴾ قال إخوة يوسف ليوسف: أيها العزيز، إن له والدًا شيخًا طاعناً في السن يحبه كثيراً، فأمسك أحدنا بدلاً
منه، إنا نراك من المحسنين في معاملتنا ومعاملة غيرنا، فأحسن إلينا بذلك.

﴿٨٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

١ - جواز الحيلة التي يتوصل بها لإحقاق الحق، بشرط عدم الإضرار بالغير.

٢ - يجوز لصاحب الضالة أو الحاجة الضائعة رصد جُعل «مكافأة» مع تعيين قدره وصفته لمن عاونه على
ردها.

﴿٧٩﴾ قال يوسف ﷺ: عيادًا بالله أن نظلم بريئًا بجرم ظالم، فتمسك غير من وجدنا صاع الملك في وعائه، إنا إن فعلنا ذلك لظالمون، حيث عاقبنا بريئًا، وتركنا جانيًا.

﴿٨٠﴾ فلما يئسوا من إجابة يوسف لطلبهم انفردوا عن الناس للتشاور، قال أخوهم الكبير: أذكركم أن أباكم قد أخذ عليكم عهد الله مؤكدًا على أن تردوا إليه ابنه إلا أن يحاط بكم بما لا تقدرون على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرطتم في يوسف، ولم تفوا بعهدكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، والله خير القاضين، فهو يقضي بالحق والعدل.

﴿٨١﴾ وقال الأخ الكبير: عودوا إلى أبيكم، فقولوا له: إن ابنك سرق، فاسترقه عزيز مصر عقوبة له على سرقة، وما أخبرنا إلا بما علمناه من مشاهدتنا للصاع يخرج من وعائه، وما كان لنا علم بأنه يسرق، ولو علمنا ذلك ما عاهدناك على رده.

﴿٨٢﴾ ولتتحقق من صدقنا اسأل - يا أبانا - أهل مصر التي كنا فيها، واسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها يخبروك بما أخبرناك به، وإنا لصادقون حقًا فيما أخبرناك به من سرقة.

﴿٧٩﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدَهُ إِذَا أَظْلَمُوا ۖ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مَنَّهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۖ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۖ ﴿٨١﴾ وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۖ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْضَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۖ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۖ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَاتِي ۖ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۖ ﴿٨٦﴾

﴿٨٣﴾ قال لهم أبوهم: ليس الأمر كما ذكرتم من كونه سرق، بل زينت لكم أنفسكم أن تمكروا به كما مكرتم بأخيه يوسف من قبل، فصبري صبر جميل، لا شكوى فيه إلا إلى الله، عسى الله أن يعيدهم إلي جميعًا: يوسف وشقيقه، وأخاهما الكبير، إنه سبحانه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره لأمري.

﴿٨٤﴾ وابتعد معرضًا عنهم، وقال: يا أسفي على يوسف، وصار سواد عينيه بياضًا من كثرة ما بكى عليه، فهو مملوء حزنًا وهماً، يكتم حزنه عن الناس.

﴿٨٥﴾ قال إخوة يوسف لأبيهم: تالله لا تزال - يا أبانا - تذكر يوسف، وتتفجع عليه حتى يشتد بك المرض، أو تهلك فعلاً.

﴿٨٦﴾ قال لهم أبوهم: ما أشكو ما أصابني من الهم والحزن إلا إلى الله وحده، وأعلم من لطف الله وإحسانه وإجابته للمضطر وجزائه للمصاب ما لا تعلمونه أنتم.

﴿٨٧﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ أَكْبَارَ سِنِيهِمْ إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ لِيَافِهُوا أَهْلَ الْاَلْبَابِ ۚ

- ١ - لا يجوز أخذ بريء بجريرة غيره، فلا يؤخذ مكان المجرم شخص آخر.
- ٢ - الصبر الجميل هو ما كانت فيه الشكوى لله تعالى وحده.
- ٣ - على المؤمن أن يكون على تمام يقين بأن الله تعالى يفرج كربته.

(٨٧) قال لهم أبوهم: يا أبنائي، اذهبوا فتعرفوا من أخبار يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من تفريج الله وتنفيسه عن عباده، إنه لا يقنط من تفريجه وتنفيسه إلا القوم الكافرون؛ لأنهم يجهلون عظيم قدرة الله وخفي إفضاله على عباده.

(٨٨) فامتثلوا أمر أبيهم، وذهبوا بحثًا عن يوسف وأخيه، فلما دخلوا على يوسف قالوا له: أصابتنا الشدة والفقر، وأتيننا ببضاعة حقيرة زهيدة، فكل لنا كيلاً وافياً كما كنت تكيل لنا من قبل، وتصدق علينا بزيادة على ذلك أو بالتغاضي عن بضاعتنا الحقيرة، إن الله يجازي المتصدقين بأحسن الجزاء.

(٨٩) فلما سمع كلامهم رق لهم رحمة بهم، وعرفهم بنفسه قال لهم: قد علمتم ما فعلتم بيوسف وشقيقه حين كنتم جاهلين عاقبة ما فعلتم بهما.

(٩٠) فتفاجؤوا، وقالوا: أإنك أنت يوسف؟! قال لهم يوسف: نعم أنا يوسف، وهذا الذي ترون معي: أخي الشقيق، قد تفضل الله علينا بالخلاص مما كنا فيه، وبرفع القدر، إنه من يتق الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ويصبر على البلاء؛ فإن عمله من الإحسان، والله لا يضيع أجر المحسنين، بل يحفظه لهم.

(٩١) قال له إخوته معتردين عما صنعوا به: تالله لقد فضلك الله علينا بما أعطاك من صفات الكمال، ولقد كنا فيما صنعنا بك مسيئين ظالمين.

(٩٢) فقبل يوسف اعتذارهم، وقال: لا لوم عليكم اليوم يقتضي عقابكم ولا توبيخ، أسأل الله أن يغفر لكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين.

(٩٣) فأعطاهم قميصه لما أعلموه بما آل إليه بصر أبيه، وقال: اذهبوا بقميصي هذا، فاطرحوه على وجه أبي يعُدَّ له بصره، وأحضروا إلي أهليكم كلهم.

(٩٤) ولما خرجت القافلة منطلقاً من مصر، وفارقت العامر منها قال يعقوب ﷺ لأبنائه ولمن عنده في أرضه: إني لأشم رائحة يوسف، لولا أنكم تجهلونني وتسبونني إلى الخرف بقولكم: هذا شيخ خرف، يقول ما لا يعلم.

(٩٥) قال من عنده من الناس: والله إنك لا تزال في توهمك السابق بشأن منزلة يوسف عندك وإمكانية رؤيته ثانية.

﴿فَوَارِدَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - بذل الأسباب في تحصيل المطلوبات، مع الوثوق بالله تعالى، وعدم القنوط من رحمته.
- ٢ - من محاسن الأخلاق: اعتذار المسيء، واعترافه على نفسه، وطلبه الصفح ممن تضرر منه.
- ٣ - أن من خُلِقَ المعتذر الصادق أن يطلب المغفرة من الله تعالى.
- ٤ - قبول اعتذار المسيء وترك الانتقام، خاصة عند التمكن منه، وترك تأنيبه على ما سلف منه.

﴿٩٦﴾ فلما جاء المُخْبِرُ بما يسرّ يعقوب ألقى قميص يوسف على وجهه فصار بصيراً، عندئذ قال لأبنائه: ألم أقل لكم إني أعلم من لطف الله وإحسانه ما لا تعلمونه أنتم؟

﴿٩٧﴾ قال أبنأوه معتردين لأبيهم يعقوب ﷺ عما فعلوه بيوسف وأخيه: يا أبانا، اطلب من الله المغفرة لذنوبنا السابقة، إنا كنا مذبذبين مسيئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

﴿٩٨﴾ قال لهم أبوهم: سوف أطلب لكم المغفرة من ربي، إنه هو الغفور للذنوب النائبين من عباده، الرحيم بهم.

﴿٩٩﴾ وخرج يعقوب وأهله من أرضهم قاصدين يوسف في مصر، فلما دخلوا عليه ضم إليه أباه وأمه، وقال لإخوته وأهلهم: ادخلوا مصر بمشيئة الله آمين لا يصيبكم فيها أذى.

﴿١٠٠﴾ وأجلس أبويه على السرير الذي يجلس عليه، وحيّاه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود (وكان ذلك جائزاً في شريعتهم)،

وقال يوسف ﷺ لأبيه: هذه التحية بالسجود لي منكم هي تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل وقصصتها عليك، قد صيرها ربي حقاً بوقوعها، وقد أحسن إليّ ربي حين أخرجني من السجن، وحين جاء بكم من البادية من

بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إن

ربي لطيف في تدبيره لما يشاء، إنه هو العليم بأحوال عباده، الحكيم في تدبيره.

﴿١٠١﴾ ثم دعا يوسف ربه، فقال: يا رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبیر المرائي، يا خالق السماوات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، أنت متولي جميع أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقضني عند انتهاء أجلي مسلماً، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿١٠٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول -، لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضراً عند إخوة يوسف حين عزموا على إلحاقه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك.

﴿١٠٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٠٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - استجاب البشارة بما يدخل السرور على قلب المسلم ويفرحه.

٢ - بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب.

٣ - أن الرؤيا قد يقع تعبيرها بعد سنين طويلة من رؤيتها.

٤ - التحذير من نزغ الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحباب؛ ليفرق بينهم.

٥ - مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإن ذلك كله مرجعه إلى تفضل الله تعالى وإنعامه عليه.

٦ - سؤال الله حسن الخاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.

﴿١٤﴾ ولو عقلوا لآمنوا بك؛ لأنك لم تطلب منهم - أيها الرسول - على القرآن ولا على ما تدعوههم إليه ثواباً، فليس القرآن إلا تذكيراً لجميع الناس. ﴿١٥﴾ وكثيرة هي الآيات الدالة على توحيده سبحانه مبثوثة في السماوات وفي الأرض، يمدون عليها وهم عن التأمل فيها والاعتبار بها معرضون، لا يلفتون إليها.

﴿١٦﴾ وما يقر أكثر الناس بالله أنه الخالق الرازق المحيي المميت إلا وهم يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويدعون أن له ولذاً، سبحانه. ﴿١٧﴾ أقامن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة في الدنيا تغمرهم وتجللهم، لا يستطيعون دفعها، أو تأتيهم الساعة فجأة، وهم لا يحسون بآياتها فيستعدوا لها، فلذلك لم يؤمنوا؟!

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول - لمن تدعوه: هذه طريقي التي أدعو الناس إليها، على حجة واضحة أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، واهتدى بهديي، واستن بسنتي، ولست من المشركين بالله، بل أنا من الموحدين له سبحانه.

﴿١٩﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر لا ملائكة، نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل المدن لا من أهل البوادي، فكذبهم أمهم فأهلكناها، أفلم يسر هؤلاء المكذبون بك في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية المكذبين من قبلهم فيعتبروا بهم،

وما في الدار الآخرة من النعيم خير للذين اتقوا الله في الدنيا، أفلا تعقلون أن ذلك خير فتقوا الله بامتثال أوامره - وأعظمها الإيمان - وباجتناب نواهيه، وأكبرها الشرك بالله.

﴿٢٠﴾ هؤلاء الرسل الذين نرسلهم نهمل أعداءهم، ولا نعالجهم العقوبة استدراجاً لهم، حتى إذا تأخر إهلاكهم، وبش الرسل من هلاكهم، وظن الكفار أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العقاب للمكذبين، وإنقاذ المؤمنين؛ جاء نصرنا لرسلنا، ونجى الرسل والمؤمنون من الهلاك الواقع على المكذبين، ولا يرد عذابنا عن القوم المجرمين عندما ننزل بهم.

﴿٢١﴾ لقد كان في قصص الرسل وقصص أمهم، وفي قصة يوسف وإخوته موعظة يتعظ بها أصحاب العقول السليمة، ما كان القرآن المشتمل على ذلك كلاماً مختلفاً مكتوباً على الله، ولكن كان تصديقاً للكتب السماوية المنزلة من عند الله، وتفصيلاً لكل ما يحتاج إلى تفصيله من الأحكام والشرائع، وإرشاداً لكل خير، ورحمة لقوم يؤمنون به، فهم الذين يتفجعون بما فيه.

﴿٢٢﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - ليس للعبد مهما ارتفع مكانه أن يطلع على الغيب من تلقاء نفسه، وإنما ذلك مما اختص الله به نفسه. ٢ - من فضل الله تعالى أنه يُطلع أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم. ٣ - إن الداعية لا يملك تصريف قلوب العباد وحملها على الطاعات، وإن أكثر الخلق ليسوا من أهل الهداية. ٤ - ذم المعرضين عن آيات الله الكونية ودلائل توحيده المبثوثة في صفحات الكون. ٥ - شملت هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ذكر بعض أركان الدعوة، ومنها: أ - وجود منهج: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾. ب - ويقوم المنهج على العلم: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾. ج - وجود داعية: ﴿ادْعُوا﴾ (أنا). د - وجود مدعوين: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. ٦ - بشرية الأنبياء والمرسلين وكونهم من جنس الذكور، لا من جنس الإناث. ٧ - من وسائل الإقناع في الدعوة: التأمل في أحوال الماضين، والاعتبار بقصصهم التي يذكرها القرآن الكريم. ٨ - قصص القرآن محض حق لا تشوبه شوائب الاصطناع والتأليف، ولا تتسلل إليه مفتريات الوضاعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْبَيْلَ النَّهَارُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْمُكُمْ أَذًا كَأَنْتَرَبَاءٌ نَأَلْفَى خَلْقَ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

﴿١﴾ مقصد السورة :

بيان حقيقة القوة والقدرة الإلهية ومظاهرها، وإثبات الوعد والوعيد وسنة الله في التغيير والتبديل.

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ المَرَّ . تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات الرفيعة في هذه السورة، والقرآن الذي أنزله الله عليك - أيها الرسول - هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به عنادًا وتكبرًا.

﴿٢﴾ الله هو الذي خلق السماوات مرفوعات دون دعائم تشاهدونها، ثم استوى على العرش استواء يليق به سبحانه من غير تكيف ولا تمثيل، وذلل الشمس والقمر لمانع خلقه، كل من الشمس والقمر يجري لأمد محدد في علم الله، يصرف سبحانه الأمر في السماوات والأرض بما يشاء، يبين الآيات الدالة على قدرته رجاء أن توقنوا بقاء ربكم يوم القيامة، فتستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿٣﴾ وهو سبحانه الذي بسط الأرض، وخلق فيها جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بالناس، ومن كل أنواع الشمرات جعل فيها صنفين

كالذكر والأنثى في الحيوان، يلبس الليل النهار، فيصير مظلمًا بعدما كان منيرًا، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يتفكرون في صنع الله، ويتأملون فيه، فهم الذين ينتفعون بتلك الأدلة والبراهين.

﴿٤﴾ وفي الأرض بقاع متقاربة، وفيها بساتين من أعناب، وفيها زرع، ونخلات مجتمعة في أصل واحد، ونخلات منفردات بأصلها، تُسقى هذه البساتين وتلك الزروع بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الطعم وغيره من الفوائد على رغم تجاورها وسقيها بماء واحد، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بذلك. ﴿٥﴾ وإن تتعجب - أيها الرسول - من شيء، فأحق ما تتعجب منه تكذيبهم بالبعث، وقولهم احتجاجًا لإنكاره: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية نخرة أنبثت ونُعَاد أحياء؟! أولئك المنكرون للبعث بعد الموت الذين كفروا بربهم فأنكروا قدرته على بعث الموتى، وأولئك توضع السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك هم أصحاب النار، وهم فيها ماكثون أبدًا، لا يلحقهم فناء، ولا ينقطع عنهم العذاب.

﴿٦﴾ إخراج من الآيات :

- ١ - إثبات قدرة الله ﷻ والتعجب من خلقه للسماوات على غير أعمدة تحملها، وهذا مع عظيم خلقها واتساعها.
- ٢ - إثبات قدرة الله وكمال ربوبيته ببرهان الخلق، إذ ينبت النبات الضخم، ويخرجه من البذرة الصغيرة، ثم يسقيه من ماء واحد، ومع هذا تختلف أحجام ألوان ثمراته وطعمها.
- ٣ - إن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، وبعثها من جديد، بعد أن كانت موجودة، هو بمنزلة أسهل من إخراج المعلوم من البذرة.

١ - ويستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعقوبة، ويستبطنون نزولها بهم قبل استكمالهم النعم التي قدرها الله لهم، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من الأمم المكذبة، فلم لا يعتبرون بها؟ وإن ربك - أيها الرسول - لذو تجاوز للناس مع ظلمهم، فلا يعاجلهم بالعقاب ليثوبوا إلى الله، وإنه لقوي العقاب للمُصِرِّين على كفرهم إن لم يتوبوا.

٢ - ويقول الذين كفروا بالله - تمادياً في الصدود والعتاد -: هلاً أنزل على محمد آية من ربه مثل ما أنزل على موسى وعيسى. إنما أنت - أيها الرسول - منذر تخوف الناس من عذاب الله، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله، ولكل قوم نبي يرشدكم إلى طريق الحق، ويدلهم عليه. ٣ - الله يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، يعلم كل شيء عنه، ويعلم ما يحصل في الأرحام من نقص وزيادة وصحة واعتلال، وكل شيء عنده سبحانه مُقَدَّرٌ بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

٤ - لأنه سبحانه عالم كل ما غاب عن حواس خلقه، وعالم كل ما تدركه حواسهم، العظيم في صفاته وأسمائه وأفعاله، المستعلي على كل مخلوق من مخلوقاته بذاته وصفاته.

٥ - يعلم السر وأخفى، يستوي في علمه من أخفى منكم - أيها الناس - القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ٧ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٨ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٩ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَالشَّهَادَةَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ ١٠ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلُ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ١١ لَمْ نَعْقِبْتُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٣ وَيَسْجِعُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ١٤

في وَضَحِ النَّهَارِ.

١ - له ملائكة يعقب بعضهم بعضاً على الإنسان، فيأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار، يحفظون الإنسان بأمر الله، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم من حال طيبة إلى حال غيرها لا تسرهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال الشكر، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكاً فلا راد لما أَرَادَهُ، وما لكم - أيها الناس - من دون الله من متول يتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء.

٢ - هو الذي يريكم - أيها الناس - البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب المثلث بماء المطر الغزير.

٣ - ويسجع الرعد ربّه تسبيحاً مقروناً بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربّه خوفاً منه وإجلالاً وتعظيماً له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، قوي العقاب لمن عصاه.

٤ - فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - عظيم مغفرة الله وحلمه عن خطايا بني آدم، فهم يستكبرون ويتحدون رسله وأنبياءه، ومع هذا يرزقهم ويعافهم ويحلم عنهم.

٢ - سعة علم الله تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وصيرورتها إلى تخليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أم سعيد، فعلمه بها عام شامل.

٣ - عظيم عناية الله ببني آدم، وإثبات وجود الملائكة التي تحرسه وتوصونه وغيرهم مثل الحفظة.

٤ - أن الله تعالى يغير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعاً لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان.

٥ - إثبات تسبيح الرعد لله ﷻ.

⑬ لله وحده دعوة التوحيد لا يشاركه فيها أحد، والأصنام التي يدعوها المشركون من دونه لا تستجيب دعاء من يدعوها في أي مسألة، وما دعاؤهم لها إلا مثل عطشان ييسط يده إلى الماء ليصل إلى فيه فيشرب منه، وما الماء بواصل إلى فيه، وما دعاء الكافرين لأصنامهم إلا في ضياع ويُعَدُّ عن الصواب؛ لأنها لا تملك لهم جلب نفع، ولا دفع ضرر.

⑭ والله وحده يخضع بالسجود جميع من في السماوات ومن في الأرض، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، غير أن المؤمن يخضع له ويسجد طوعاً، وأما الكافر فيخضع له كرهاً، وتَمْلِي عليه فطرته أن يخضع له طوعاً، وله يقاد ظل كل ما له ظل من المخلوقات أول النهار وآخره.

⑮ قل - أيها الرسول - للكفار الذين يعبدون مع الله غيره: من خالق السماوات والأرض ومدبر أمرهما؟ قل - أيها الرسول -: الله هو خالقهما ومدبر أمرهما، وأنتم تقرون بذلك، قل - أيها الرسول - لهم: أفأخذتم لأنفسكم أولياء من دون الله عاجزين، لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا كشف ضرر عنها، فإني لهم أن يستطيعوا ذلك لغيرهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي الكافر الذي هو أعمى البصيرة، والمؤمن الذي هو البصير المهتدي؟ أم هل يستوي الكفر الذي هو ظلمات، والإيمان الذي هو نور؟ أم جعلوا لله سبحانه

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبْسَطُ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ⑭ وَلِلَّهِ سَجْدٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ⑮ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُنْفِقُوا لَاحِظًا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⑯ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ ⑰ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ⑱ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ⑲ أُولَئِكَ هُمُ سَوَاءُ الْحِسَابِ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ وَنِشْنُ الْمَهَادِ ⑳

شركاء معه في الخلق خلقوا مثل خلق الله، فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: الله وحده هو خالق كل شيء، لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالألوهية، الذي يستحق أن يفرَّد بالعبادة، القهار.

⑳ ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بماء مطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كل حسب حجمه صغيراً وكبيراً، فحمل السيل الغثاء والرغوة مرتفعاً فوق الماء، وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يتزين الناس به، بمثل هذين المثليين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل الغثاء والزبد الطافي على الماء، ومثل ما ينفية صهر المعدن من الصدا، والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه، وينبت الثمار والكلاء والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فيتتبع الناس به، كما ضرب الله هذين المثليين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل.

㉑ للمؤمنين الذين أجابوا ربهم لما دعاهم لتوحيده وطاعته المشوبة الحسنى وهي الجنة، والكفار الذين لم يجيبوا دعوته إلى توحيده وطاعته لو اتفق أن لهم ما في الأرض من أنواع المال، ولهم مثله مضاعفاً إليه؛ لبدلوا كل ذلك فداءً لأنفسهم من العذاب، أولئك الذين لم يجيبوا دعوته يحاسبون على سيئاتهم كلها، ومسكنهم الذي يأوون إليه جهنم، وساء فراشهم ومستقرهم الذي هو النار.

❁ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - بيان ضلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب فييسط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة؛ لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك. ٢ - أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال، وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد. ٣ - إثبات سجود جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تمليه الفطرة من الخضوع له سبحانه.

أَفَن يَعْلَمُونَ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ
أُولَئِكَ الْآلِيبِ ١٦ الَّذِينَ يُوَفُّونَ وَعْدَهُ اللَّهُ وَلَا يَتَقَصُّونَ الْيَمِثَ ١٧
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ١٨ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ ١٩ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٠ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عِشَى الدَّارِ ٢١
وَالَّذِينَ يَتَقَصُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٢٢ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ٢٣ وَيَقُولُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ٢٤ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٥

١٦ لا يستوي الذي يعلم أن ما أنزله الله
عليك - أيها الرسول - من ربك هو الحق الذي
لا مرية فيه، وهو المؤمن المستجيب لله، ومن
هو أعمى، وهو الكافر غير المستجيب لله، إنما
يعتبر ويتعظ بذلك أصحاب العقول السليمة.
١٧ الذين استجابوا لله هم الذين يوفون بما
عاهدوا الله عليه أو عاهدوا عليه عباده، ولا
ينكثون العهود الموثقة مع الله، أو مع غيره.
١٨ وهم الذين يصلون كل ما أمر الله بوصله
من الأرحام ومن إخوانهم في الله، ويخشون
ربهم خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب
نواهيه، ويخافون أن يحاسبهم الله على كل ما
اكتسبوه من الإثم، فمن نوقش الحساب هلك.
١٩ وهم الذين صبروا على طاعة الله، وعلى ما
قدره الله عليهم مما يسر أو يسوء، وصبروا عن
معصيته طلباً لمرضاة الله، وأدوا الصلاة على أكمل
وجه، وبذلوا مما أعطيناهم من الأموال الحقوق
الواجبة، وبذلوا منها تطوعاً خفية للبعد عن الرياء،
وجهاً ليتأسى بهم غيرهم، ويدفعون سوء من أساء
إليهم بالإحسان إليه، أولئك المتصفون بهذه
الصفات لهم العاقبة المحمودة يوم القيامة.
٢٠ هذه العاقبة المحمودة هي جنات يقيمون
فيها متعمين إقامة دائمة، ومن تمام نعيمهم فيها
أن يدخلها معهم من استقام من آبائهم وأمهاتهم
وأزواجهم وأولادهم إكمالاً لأنسهم بلقائهم،
والملائكة يدخلون عليهم مهتئين من جميع
أبواب منازلهم في الجنة.

٢١ وتحبيهم الملائكة كلما دخلوا عليهم بقولهم: سلام عليكم؛ أي: سلمتم من الآفات بسبب صبركم على
طاعة الله، وعلى مر أقداره، وصبركم عن معصيته، فنعمة عاقبة الدار التي كانت عاقبتكم.
ولما ذكر الله صفات المؤمنين ثنى بصفات الكفار المعرضين، فقال:
٢٢ والذين ينكثون عهد الله من بعد توكيده، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأرحام، أولئك البعداء الأشقياء لهم
الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهو النار.
٢٣ الله يوسع في الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء من عباده، وليس توسيع الرزق علامة على السعادة ولا
على محبة الله، ولا ضيقه علامة على الشقاء، وفرح الكفار بالحياة الدنيا فركنوا واطمأنوا إليها، وليست الحياة
الدنيا في جنب الآخرة إلا متاعاً قليلاً ذاهباً.
٢٤ ويقول الذين كفروا بالله وبآياته: هلاً أنزل على محمد آية حسنة من ربه تدل على صدقه، فنؤمن به، قل - أيها الرسول - لهؤلاء
المقترحين: إن الله يضل من يشاء بعدله، ويهدي إليه من رجع إليه بالتوبة بفضله، وليست الهداية بأيديهم حتى يربطوها بإنزال الآيات.
٢٥ هؤلاء الذين يهديهم الله هم الذين آمنوا، وتستأنس قلوبهم بذكر الله بتسبيحه وتحميده، وبتلاوة كتابه وسماعه،
ألا بذكر الله وحده تستأنس القلوب، خليق بها ذلك.
٢٦ فإبراهيم من الآيات: ١ - إثبات فضيلة العلم والعلماء، وذلك بنفي مساواة العالم لغيره. ٢ - الترغيب في جملة من فضائل
الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهود، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة
بالحسنه. ٣ - التحذير من بعض الخصال الموجبة للعدو والطرد من رحمة الله تعالى، ومنها: نقض عهد الله، وقطع ما أمر الله
تعالى بوصله، والإفساد في الأرض. ٤ - أن مقاليد الرزق بيد الله تعالى، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبداً لا ينبغي
أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضى الله أو سخطه على ذلك العبد. ٥ - أن الهداية ليست بالضرورة مبروطة
بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. ٦ - من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿١٩﴾ وهؤلاء الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله لهم عيش طيب في الآخرة، ولهم العاقبة الحسنة وهي الجنة.

﴿٢٠﴾ مثل هذا الإرسال الذي أرسلنا به الرسل السابقين إلى أممهم؛ أرسلناك - أيها الرسول - إلى أمتك؛ لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، فهو كاف في الدلالة على صدقك، لكن حال قومك أنهم يجحدون هذه المعجزة؛ لأنهم يكفرون بالرحمن حيث يشركون معه غيره، قل لهم - أيها الرسول -: الرحمن الذي تشركون به غيره هو ربي الذي لا معبود بحق غيره، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه توبتي.

﴿٢١﴾ ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى، فيصيروا أحياء لكان هذا القرآن المنزل عليك - أيها الرسول -، فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل الله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أن لو يشاء الله هداية الناس جميعاً دون إنزال معجزات لهداهم جميعاً دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يزال الذين كفروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تفرعهم، أو تنزل تلك الداهية قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب المتصل، إن الله لا يترك إنجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدد له.

﴿٢٢﴾ ولست أول رسول كذب به قومه وسخروا منه، فقد استهزأت أمم من قبلك - أيها الرسول - برسلاها وكذبوا بهم، فأهملت الذين كفروا برسلمهم حتى ظنوا أنني غير مهلكهم، ثم أخذتهم بعد الإمهال بصنوف العذاب، فكيف رأيت عقابي لهم؟ لقد كان عقاباً شديداً.

﴿٢٣﴾ أفمن هو رقيب على كل نفس بما كسبت من عمل، فيجازيها على أعمالها، أولى أن يُعبد، أم هذه الأصنام التي لا حق لها أن تعبد؟ وقد جعلها الكفار شركاء لله ظلماً وزوراً، قل لهم - أيها الرسول -: سمو لنا الشركاء الذين عبدتموهم مع الله إن كنتم صادقين في دعواكم، أم تخبرون الله بما لا يعلم في الأرض من الشركاء، أم تخبرونه بظاهر من القول لا حقيقة له؟ بل حسن الشيطان للذين كفروا تدبيرهم السيئ، فكفروا بالله، وصرفهم عن سبيل الرشاد والهداية، ومن يضلل الله عن سبيل الرشاد فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٤﴾ لهم عذاب في الحياة الدنيا بما ينالهم من القتل والأسر على أيدي المؤمنين، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد عليهم وأثقل من عذاب الدنيا؛ لما فيه من الشدة والدوام الذي لا ينقطع، وليس لهم مانع يحميهم من عذاب الله يوم القيامة.

﴿٢٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أن الأصل في كل كتاب منزل أنه جاء للهداية، وليس لاستئزال الآيات والمعجزات، فذاك أمر الله تعالى يقدره متى شاء، وكيف شاء.

٢ - تسلية الله تعالى للنبي ﷺ، وإحاطته علماً أن ما يسلكه معه المشركون من طرق التكذيب ليس حديثاً، بل واجهه أنبياء سابقون.

﴿٢٥﴾ صفة الجنة التي وعد الله المتقين له بامثال أوامره واجتناب نواهيه أنها تجري من تحت قصورها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، عكس ثمار الدنيا، وظلها دائم لا يزول، ولا يتقلص، تلك هي عاقبة الذين اتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين النار يدخلونها ماكثين فيها أبداً.

﴿٢٦﴾ والذين أعطيناهم التوراة من اليهود، والذين أعطيناهم الإنجيل من النصارى، يفرحون بما أنزل عليك - أيها الرسول -؛ لموافقته لبعض ما أنزل عليهم، ومن طوائف اليهود والنصارى من ينكر بعض ما أنزل إليك مما لا يتفق مع أهوائهم، أو مما يفهم بالتبديل والتحريف، قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرني الله أن أعبد وحده، ولا أشرك به غيره، إليه وحده أدعو ولا أدعو لغيره، وإليه وحده مرجعي، وبهذا جاءت التوراة والإنجيل. ومثل إنزالنا الكتب السابقة بألسنة أقوامها أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن قولاً فصلاً مبيناً للحق عربياً، ولئن اتبعت - أيها الرسول - أهواء أهل الكتاب في مساومتهم لك بحذف ما لا يتفق مع أهوائهم بعدما جاءك من العلم الذي علمك الله إياه، فليس لك من الله ولي يتولى أمرك، وينصرك على أعدائك، وليس لك مانع يمنعك من عذابه.

﴿٢٧﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك - أيها الرسول - من البشر، فلست بدعاً من الرسل، وجعلنا لهم أزواجاً، وجعلنا لهم أولاداً كسائر البشر، ولم نجعلهم ملائكة لا يتزوجون ولا ينجبون، وأنت من هؤلاء الرسل الذين هم بشر يتزوجون وينجبون، فلماذا يعجب المشركون من كونك كذلك؟ ولا يصح لرسول أن يأتي من عنده بمعجزة إلا إن أذن الله بإتيانه بها، لكل أمر قضاه الله كتاب ذكر فيه ذلك، وأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿٢٨﴾ يزيل الله ما يشاء إزالته من خير أو شر أو سعادة أو شقاء وغيرها، ويثبت ما يشاء منها، وعنده اللوح المحفوظ، فهو مرجع كل ذلك، وما يظهر من محو أو إثبات مطابق لما هو فيه.

﴿٢٩﴾ وإن أريناك - أيها النبي - بعض ما نعدهم به من العذاب قبل موتك فذلك إليّ، أو أمتناك قبل أن نريك إياه فليس عليك إلا تبليغ ما أمرك بتبليغه، وليس عليك مجازاتهم ولا محاسبتهم، فذلك علينا.

﴿٣٠﴾ أولم يشاهد هؤلاء الكفار أنا نأتي أرض الكفر ننقصها من أطرافها بنشر الإسلام، وفتح المسلمين لها، والله يحكم ويقضي بما يشاء بين عباده، ولا أحد يتعقب حكمه بنقض أو تغيير أو تبديل، وهو سبحانه سريع الحساب، يحاسب الأولين والآخرين في يوم واحد.

﴿٣١﴾ وقد مكرت الأمم السابقة بأبائياتها، وكادت لهم، وكذبوا بما جاؤوا به، فماذا فعلوا بتدبيرهم لهم؟ لا شيء؛ لأن التدبير الفاعل هو تدبير الله لا غيره، كما أنه سبحانه هو الذي يعلم ما تكسبه نفوسهم ويجازيهم عليه، وعندئذ سيعلمون كم كانوا مخطئين في عدم الإيمان بالله، وكم كان المؤمنون مصيبين، فحازوا بذلك الجنة والعاقبة الحسنة.

﴿٣٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الترغيب في الجنة ببيان صفتها، من جريان الأنهار وديمومة الرزق والظل. ٢ - بيان أن الرسل بشر، لهم أزواج وذريات، وأن نبينا ﷺ ليس بدعاً بينهم، فقد كان مماثلاً لهم في ذلك.

﴿٤٢﴾ ويقول الذين كفروا: لست - يا محمد - مرسلًا من الله، قل لهم - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم على أنني مرسل من ربي إليكم، ومن عنده علم من الكتب السماوية التي جاء فيها نعتي، ومن كان الله شاهدًا بصدقه، فلا يضره تكذيب من كذب.

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ —

﴿٤٣﴾ مقصد السورة:

بيان وظيفة الرسل وحرصهم على إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، في مقابل إعراض أقوامهم، تثبيتًا للنبي ﷺ وتوعدًا للظالمين.

﴿٤٤﴾ التفسير:

﴿١﴾ الرَّسُولُ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية إلى دين الإسلام الذي هو طريق الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿٢﴾ الله الذي له وحده ملك ما في السماوات، وله وحده ملك ما في الأرض، فهو المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء من خلقه، وسينال الذين كفروا عذاب قوي.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

الأنبياء

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ

لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُلْسِنَانِ قَوْمَهُ لِئَلْيَبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَاقِبَتِنَا أَنْ أَخْرِجْ

قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ

اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

﴿٦﴾ الذين كفروا يؤثرون الحياة الدنيا وما فيها من نعيم زائل على الآخرة وما فيها من نعيم دائم، ويصرفون الناس عن طريق الله، ويطلبون لطيفه التشويه والزيغ عن الحق والميل عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وأولئك المتصفون بتلك الصفات في ضلال بعيد عن الحق والصواب.

﴿٧﴾ وما بعثنا من رسول إلا بعثناه مُتَحَدِّثًا بلغته قومه؛ ليسهل عليهم فهم ما جاء به من عند الله، ولم نبعثه لإجبارهم على الإيمان بالله، فالله يضل من يشاء بعدله، ويوفق من يشاء للهداية بفضلله، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتديبره.

﴿٨﴾ ولقد بعثنا موسى وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأنه مرسل من ربه، وأمرناه أن يُخْرِجَ قومه من الكفر والجهل والاسترقاق إلى الإيمان والعلم والحرية من استعباد فرعون وملئه لهم، وأمرناه أن يذكرهم بأيام الله التي أنعم عليهم فيها، وبأيام نقمه التي انتقم فيها من المكذبين، إن في تلك الأيام دلالات جلية على توحيد الله وعظيم قدرته، وإنعامه على المؤمنين، وانتقامه من المجرمين المكذبين، وهذا ما ينتفع به الصابرون على طاعة الله المداومون على شكر نعمه وآلاته.

﴿٩﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أن وظيفة القرآن والمقصد من إنزاله هو الهداية بإخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق. ٢ - أن إرسال الرسل يكون بلسان أقوامهم ولغتهم؛ لأنه أبلغ في الفهم عنهم، فيكون أدعى للقبول والامتثال. ٣ - وظيفة الرسل تلخص في إرشاد وقيادة الناس للخروج من الظلمات إلى النور.

❶ واذكر - أيها الرسول - حين امثل موسى أمر ربه فقال لقومه من بني إسرائيل مُذَكِّرًا إياهم بنعم الله عليهم: يا قوم، اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من آل فرعون، وسلمكم من بأسهم، يذيقونكم شر العذاب، حيث كانوا يذبحون أبناءكم الذكور حتى لا يولد فيكم من يستولي على ملك فرعون، ويبقون نساءكم على قيد الحياة لإذلالهن وإهانتهم، وفي أفعالهم هذه اختبار لكم عظيم على الصبر، فكافأكم الله على صبركم على هذا البلاء بإنقاذكم من بأس آل فرعون.

❷ وقال لهم موسى: اذكروا حين أعلمكم ربكم إعلامًا بليغًا: لئن شكرتم الله على ما أنعم به عليكم من تلك النعم المذكورة ليزيدنكم عليها من إنعامه وفضله، ولئن جحدتم نعمه عليكم ولم تشكروها، فإن عذابه لمن يجحد نعمه ولا يشكرها لشديد.

❸ وقال موسى لقومه: يا قوم، إن تكفروا أنتم، ويكفر معكم جميع من في الأرض فضرر كفركم يعود عليكم؛ فإن الله غني بنفسه، مستوجب الحمد بذاته، لا ينفعه إيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين.

❹ ألم يجنكم - أيها الكفار - خبر إهلاك الأمم المكذبة من قبلكم: قوم نوح، وعاد

قوم هود، وثمود قوم صالح، والأمم الذين جاؤوا من بعدهم، وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله؟ أنتهم رسلهم بالدلائل الواضحة، ومنها المعجزات، فلم يستجيبوا لرسلمهم ولم يصدقوهم، ولم ينطقوا بشيء يدل على إيمانهم، وقالوا لرسلمهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه باعث على الريبة.

❺ قالت لهم رسلهم ردًا عليهم: أفي توحيد الله وإفراده بالعبادة شك، وهو خالق السماوات وخالق الأرض، وموجدهما على غير مثال سابق؟! يدعوكم إلى الإيمان به ليمحو عنكم من ذنوبكم السابقة، ويؤخركم إلى حين استيفائكم لآجالكم المحددة في حياتكم الدنيا. قالت لهم أقوامهم: لستم إلا بشرًا مثلنا، لا مزية لكم علينا، تريدون صرفنا عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا، فأتونا بحجة واضحة تدل على صدقكم فيما تدعونه من أنكم رسل من الله إلينا.

❻ فإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ❾ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا سُلْطٰنَ مُّبِينٍ

- ❶ - من وسائل الدعوة تذكير المدعويين بنعم الله تعالى عليهم، خاصة إن كان ذلك مرتبطًا بنعمة كبيرة، مثل نصر على عدو أو نجاة منه.
- ❷ - من فضل الله تعالى أنه وعد عباده مقابلة شكرهم بمزيد الإنعام، وفي المقابل فإن وعيده شديد لمن يكفر به.
- ❸ - كفر العباد لا يضر الله البتة، كما أن إيمان العباد لا يضيف له شيئًا، فهو غني حميد بذاته.

﴿١١﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أَدْثَبْتُمُونَا ۖ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ مِّن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ لِسَفْغِهِ ۖ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمُسْتَسْقَىٰ ۖ وَرَأَيْهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٌ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾

﴿١٢﴾ وأي مانع وأي عذر يحول بيننا وبين التوكل عليه؟ وقد أرشدنا لأقوم الطرق وأوضحها، ولنصبرن على إيذائكم لنا بالتكذيب والسخرية، وعلى الله وحده يتوكل المتوكلون في جميع أمورهم.

﴿١٣﴾ وقال الذين كفروا من أقوام الرسل لما عجزوا عن مُحَاجَّةِ رسلهم: لنخرجنكم من قريتنا، أو لترجعن عن دينكم إلى ديننا، فأوحى الله إلى الرسل تثبيتاً لهم: لنهلكن الظالمين الذين كفروا بالله وبرسله.

﴿١٤﴾ ولنسكننكم - أيها الرسل - الأرض من بعد إهلاكهم، ذلك المذكور من إهلاك الكفار المكذبين، وإسكان رسلهم والمؤمنين الأرض من بعد إهلاكهم هو لمن استحضر عظمتي ومراقبتي له، وخاف إنذاري له بالعذاب.

﴿١٥﴾ وطلب الرسل من ربهم أن ينصرهم على أعدائهم، وخسر كل متكبر معاند للحق، لا يتبعه مع ظهوره له. ﴿١٦﴾ من أمام هذا المتكبر جهنم، فهي له بالمرصاد، ويُسْقَى فيها من قيح أصحاب النار الذي يسيل منهم، فلا يروي عطشه، فلا يزال يُعَذَّبُ بالعطش وغيره من صنوف العذاب.

﴿١٧﴾ يَتَحَسَّاهُ مرة بعد مرة لشدة مرارته وحرارته ونتاجته، ولا يقدر على ابتلاعه، ويأتيه الموت من كل جهة من شدة ما يقاسيه من العذاب، وليس هو بميت فيستريح، بل يبقى حياً يعاني العذاب، ومن أمامه عذاب آخر شديد ينتظره.

﴿١٨﴾ مثل ما يقدمه الكفار من أعمال البر كالصدقة والإحسان والرحمة بالضعيف مثل رماد اشتدت به الرياح في يوم شديد هبوب الرياح، فحملته بقوة، وفترقه في كل مكان حتى لم يبق له أثر، وهكذا أعمال الكفار عصف بها الكفر، فلم تنفع أصحابها يوم القيامة، ذلك العمل الذي لم يؤسس على الإيمان هو الضلال البعيد عن طريق الحق.

﴿١٩﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابُ الْآيَاتِ:

١ - أن الأنبياء والرسل بشر من بني آدم، غير أن الله تعالى فضلهم بحمل الرسالة واصطفاهم لها من بين بني آدم.
٢ - على الداعية الذي يريد التغيير أن يتوقع أن هناك صعوبات جمة سوف تقابله، ومنها الطرد والنفي والإيذاء القولي والفعل.

٣ - أن الدعاة والصالحين موعودون بالنصر والاستخلاف في الأرض.

٤ - قيح مصير العصاة وأعداء الرسل، وبيان ما أعد الله لهم من النكال والعذاب في الآخرة.

٥ - بيان إبطال أعمال الكافرين الصالحة، وعدم اعتبارها بسبب كفرهم.

﴿١٦﴾ ألم تعلم - والخطاب لكل من يصلح له - أن الله خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، إن يشأ إذهابكم - أيها الناس - والإتيان بخلق آخر يعبدوه ويطيعه بدلاً منكم لأذهبكم وجاء بخلق آخر يعبدوه ويطيعه، فهو أمر سهل يسير عليه.

﴿١٧﴾ وليس إهلاككم والإتيان بخلق غيركم بمعجزة سبحانه، فهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿١٨﴾ وخرج الخلائق من قبورهم إلى الله يوم الميعاد، فقال الأتباع الضعفاء للسادة الرؤساء: إنا كنا لكم - أيها السادة - أتباعاً، نأتمر بأمركم، وننتهي بنهيكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً؟ قال السادة الرؤساء: لو وقفنا الله للهداية لأرشدناكم إليها، فنحن جميعاً من عذابه، ولكن ضللنا فأضللناكم، يستوي علينا وعليكم أن ضعفنا عن تحمل العذاب أم صبرنا، ليس لنا مهرب من العذاب.

﴿١٩﴾ وقال إبليس حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم الوعد الحق، فأنجزكم ما وعدكم، ووعدتكم وعد الباطل فلم أف بما وعدتكم به، وما كان لي من قوة أقهركم بها في الدنيا على الكفر

والضلال، لكن دعوتكم إلى الكفر، وزينت لكم المعاصي، فسارعتم إلى اتباعي، فلا تلموني على ما حصل لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمغيثكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمغيثي بدفعه عني، إني كفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين بالشرك بالله في الدنيا والكفر به لهم عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

ولما ذكر الله مصير الكفار يوم القيامة ترهيباً منه ذكر مصير المؤمنين ترغيباً فيه، فقال:

﴿٢٠﴾ وبخلاف مصير الظالمين أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً بإذن ربهم وحوله، يُحَيِّي بعضهم بعضاً، وتحييهم الملائكة، ويحييهم ربهم سبحانه بالسلام.

﴿٢١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد التي هي: لا إله إلا الله، حين مثلها بشجرة طيبة هي النخلة، جذعها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء يشرب من الندى، ويستنشق الهواء الطيب.

﴿٢٢﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان سوء عاقبة التابع والمتبوع إن اجتماعاً على الباطل.

٢ - بيان أن الشيطان أكبر عدو لبني آدم، وأنه كاذب مخذول ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لأتباعه شيئاً يوم القيامة.

٣ - اعتراف إبليس أن وعد الله تعالى هو الحق، وأن وعد الشيطان إنما هو محض الكذب.

٤ - تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة الثمر، العالية الأغصان، الثابتة الجذور.

﴿٥٥﴾ تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله ﷻ الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

﴿٥٦﴾ ومثل كلمة الشوك الخبيثة مثل شجرة خبيثة، وهي شجرة الحنظل، اقتُلعت من أصلها، ليس لها ثبات على الأرض، ولا ارتفاع إلى السماء، فتموت وتذروها الرياح، فكلمة الكفر مآلها الفناء، ولا يصعد لصاحبها إلى الله عمل طيب.

﴿٥٧﴾ يُثَبِّتُ الله المؤمنين بكلمة التوحيد الثابتة إيماناً تاماً في الحياة الدنيا حتى يموتوا وهم على الإيمان، وفي البرزخ في قبورهم عند السؤال، ويثبتهم يوم القيامة، ويضلل الله الظالمين بالشرك بالله والكفر به عن الصواب والرشد، ويفعل الله ما يشاء من إضلال من أراد إضلاله بعدله، ومن هداية من شاء هدايته بفضله، فلا مُكره له سبحانه.

﴿٥٨﴾ لقد رأيت حال الذين كفروا بالله وبرسوله من قريش حين اعتاضوا عن إنعام الله عليهم بالأمن في الحرم، وبيعته محمد ﷺ فيهم، اعتاضوا عن ذلك الكفر بنعمه حين كذبوا بما جاءهم به من ربه، وأنزلوا من اتبعهم في الكفر من أقوامهم دار الهلاك.

﴿٥٩﴾ ودار الهلاك هي جهنم يدخلونها، يقاسون حرَّها، وساء المستقر مستقرهم.

﴿٦٠﴾ وجعل المشركون لله أمثالاً ونظراء ليلضلوا من اتبعهم عن سبيل الله بعد أن ضلوا هم عنها، قل لهم - أيها الرسول -: تمتعوا بما أنتم فيه من الشهوات، ونشر الشبهات في هذه الحياة الدنيا، فإن مرجعكم يوم القيامة إلى النار، ليس لكم مرجع غيرها.

﴿٦١﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين: أيها المؤمنون، أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأنفقوا مما رزقكم الله النفقات الواجبة والمستحبة خفية خوفاً من الرياء، وجهراً ليقنتي بكم غيركم، من قبل أن يجيء يوم لا بيع فيه ولا فداء فيُقْتَدَى من عذاب الله، ولا صداقة حتى يشفع الصديق لصديقه.

﴿٦٢﴾ الله الذي أنشأ السماوات وأنشأ الأرض على غير مثال سابق، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرج بذلك الماء المنزل من أصناف الثمار رزقاً لكم - أيها الناس -، وذلك لكم السفن تجري على الماء وفق تقديره، وذلك لكم الأنهار لشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم.

﴿٦٣﴾ وذلك لكم الشمس والقمر يجريان باستمرار، وذلك لكم الليل والنهار يتعاقبان، الليل لنومكم وراحتكم، والنهار لنشاطكم وكدكم.

﴿٦٤﴾ فَوَلِّدْ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تشبيه كلمة الكفر بشجرة الحنظل الزاحفة، فهي لا ترتفع، ولا تنتج طيباً، ولا تدوم.

٢ - الرابط بين الأمر بالصلاة والزكاة مع ذكر الآخرة فيه إشعار بأنهما مما تكون به النجاة يومئذ.

﴿٢٤﴾ وأعطاكم من جميع ما طلبتموه، ومما لم تطلبوه، وإن تعدوا نعم الله لا تقدروا على حصرها؛ لكثرتها وتعددتها، فما ذكر لكم أمثلة منها، إن الإنسان لظلوم لنفسه، كثير الجحود لنعم الله ﷻ.

﴿٢٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة: يا رب، اجعل هذا البلد الذي أسكنت فيه أهلي - وهو مكة - بلداً ذا أمن، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وأبعدني وأبعد أولادي من عبادة الأصنام.

﴿٢٦﴾ يا رب، إن الأصنام أضللن كثيراً من الناس، حيث ظنوا أنها تشفع لهم، ففتنوا بها، وعبدوها من دون الله، فمن تبني من الناس في توحيد الله وطاعته فإنه من شيعتي وأتباعي، ومن عصاني فلم يتبعني في توحيده وطاعته فإنك - يا رب - غفور لذنوب من شئت أن تغفر له، رحيم بهم.

﴿٢٧﴾ ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم ابني إسماعيل وأبنائه بواي (وهو مكة) لا زرع فيه ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا أسكنتهم بجواره ليقموا الصلاة فيه، فصير - يا رب - قلوب الناس تحن إليهم، وإلى هذا البلد، وارزقهم من الثمرات رجاء أن يشكروك على إنعامك عليهم.

﴿٢٨﴾ ربنا، إنك تعلم كل ما نسرّه، وكل ما نجهر به، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمه، فلا يخفى عليه احتياجنا وفقرنا إليه.

﴿٢٩﴾ الشكر والثناء لله سبحانه الذي أجاب دعائي أن يهب لي من الصالحين، فأعطاني على كبر سني إسماعيل هاجر، وإسحاق من سارة، إن ربي سبحانه سمع دعاء من دعاه.

﴿٣٠﴾ يا رب، اجعلني مؤدياً للصلاة على أكمل وجه، واجعل ذريتي ممن يؤديها كذلك، يا ربنا، وأجب دعائي واجعله مقبولاً عندك.

﴿٣١﴾ ربنا، اغفر لي ذنوبي، واغفر ذنوب والدي (قالها قبل أن يعلم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)، واغفر للمؤمنين ذنوبهم يوم يقوم الناس لحسابهم أمام ربهم.

﴿٣٢﴾ ولا تنظن - أيها الرسول - أن الله إذ يؤخر عذاب الظالمين غافل عما يعمل الظالمون من التكذيب والصد عن سبيل الله وغير ذلك، بل هو عالم بذلك، لا يخفى عليه منه شيء، إنما يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ترتفع فيها الأبصار خوفاً من هول ما تشاهده.

﴿٣٣﴾ فَايِلُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الإشارة لشدة كفر بعض بني آدم مع ما وهبهم الله تعالى من نعم وافرة.
- ٢ - بيان فضيلة مكة التي دعا لها نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- ٣ - أن الإنسان مهما ارتفع شأنه في مراتب الطاعة والعبودية ينبغي له أن يخاف على نفسه وذريته من جليل الشرك ودقيقه.
- ٤ - دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدل على أن العبد مهما ارتفع شأنه يظل مفتقراً إلى الله تعالى ومحتاجاً إليه.
- ٥ - من أساليب الترية: الدعاء للأبناء بالصالح وحسن المعتقد والتوفيق في إقامة شعائر الدين.

١٣ حين يقوم الناس من قبورهم مسرعين إلى الداعي، رافعي رؤوسهم ينظرون جزعاً إلى السماء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى شاخصة من هول ما يشاهدونه، وقلوبهم فارغة لا عقل لها، ولا فهم من فزع المشهد.

١٤ وخوف - أيها الرسول - امتك من عذاب الله يوم القيامة، فيقول عند ذلك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به: يا ربنا، أمهلنا، وأخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا مدة يسيرة نؤمن بك، ونتبع الرسل الذين بعثتهم إلينا، فيجابون توبيخاً لهم: ألم تكونوا حلفتُمْ في الحياة الدنيا أنكم لا انتقال لكم من الحياة الدنيا إلى الآخرة منكرين البعث بعد الموت؟!!

١٥ ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة من قبلكم لأنفسها بالكفر بالله، مثل قوم هود وقوم صالح، واتضح لكم ما أوقعناه بهم من الهلاك، وضربنا لكم الأمثال في كتاب الله لتتظفروا، فما اتعظتم بها.

١٦ وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكائد لقتل النبي محمد ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضعفه، خلافاً لمكر الله بهم. ١٧ فلا تظنن - أيها الرسول - أن الله الذي وعد رسله بالنصر وإظهار الدين مُخلف ما وعد

به رسله، إن الله عزيز لا يغلبه شيء، وسيعز أوليائه، ذو انتقام شديد من أعدائه وأعداء رسله.

١٨ هذا الانتقام من الكفار يحصل يوم تقوم القيامة، يوم تبدل هذه الأرض أرضاً أخرى بيضاء نقية، وتبدل السماوات سماوات غيرها، وظهر الناس من قبورهم بأبدانهم وأعمالهم للوقوف بين يدي الله المنفرد بملكه وعظمته، القهار الذي يقهر ولا يقهر، ويغلب ولا يغلب.

١٩ وتُبصر - أيها الرسول - يوم تبدل الأرض غير الأرض، وتبدل السماوات؛ الكفار والمشركين قد سُدَّ بعضهم إلى بعض في القيود، قُرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل، ثيابهم التي يلبسونها من القِطران (وهي مادة شديدة الاشتعال)، وتعلو وجوههم الكالحة النار.

٢٠ ليشيب الله كل نفس ما عملت من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، فهو يحاسب الأولين في يوم واحد، لا يشغله حساب أحد عن حساب آخر.

٢١ هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ إعلام من الله إلى الناس، وليخوفوا بما فيه من الترهيب والوعيد الشديد، وليعلموا أن المعبود بحق هو الله وحده فيعبده ولا يشركوا به أحداً، وليتعظ به ويعتبر أصحاب العقول السليمة؛ لأنهم هم الذين يتفنون بالعظات والعبر.

❁ فَوَلاَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تصوير مشاهد يوم القيامة وجزع الخلق وخوفهم وضعفهم ورهبتهم، وتبدل الأرض والسماوات.
- ٢ - وصف شدة العذاب والذل الذي يلحق بأهل المعصية والكفر يوم القيامة.
- ٣ - إن العبد في سعة من أمره في حياته في الدنيا، فعليه أن يجتهد في الطاعة، فإن الله تعالى لا يتيح له فرصة أخرى إذا بعثه يوم القيامة.

سُورَةُ الْحَجَرِ

— مَكِّيَّةٌ —

الْأَيَّاتُ
١٩

سُورَةُ الْحَجَرِ

مَكِّيَّةٌ
١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتَّلَاءِ أَتَيْتَ الْكِتَابَ وَقُرَّانِ ثَمِينٍ ۝ رُبِمَا يُودُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَّهُمْ يَا كُتُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا بِبُلْهِمِ الْأَمَلِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكَنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرٍ
أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا نَزَّلْنَا الذِّكْرَ عَلَى
الَّذِ كُرِّمْنَا لَمَجْنُونٍ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نَزَّلْنَا الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ ۝

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :
تركز على إنذار المكذبين بالعقاب من خلال
عرض مشاهد المهلكين، تحذيرًا للمخاطبين
وتثبيتًا للمؤمنين.

﴿التفسير﴾ :

﴿الر﴾ : تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة
البقرة، هذه الآيات رقيقة الشأن الدالة على أنها منزلة
من عند الله هي آيات قرآن موضح للتوحيد والشرائع.

﴿١﴾ : سيتمنى الكفار يوم القيامة لو كانوا مسلمين
عندما يتضح لهم الأمر، وينكشف لهم بطلان
ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا.

﴿٢﴾ : اترك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين
ياكلوا كما تاكل الأنعام، ويتمتعوا بملذات
الدنيا المنقطعة، ويشغلهم طول الأمل عن
الإيمان والعمل الصالح، فسوف يعلمون ما هم
فيه من الخسران إذا وردوا على الله يوم القيامة.
﴿٣﴾ : وما أنزلنا الهلاك على قرية من القرى الظالمة إلا كان
لها أجل محدد في علم الله، لا تتقدم عنه ولا تتأخر.

﴿٤﴾ : لا يأتي أمة من الأمم هلاكها قبل أن يحين
أجلها، ولا يتأخر عنها الهلاك إذا حان أجلها،
فعلى الظالمين أن لا يغترون بإمهال الله لهم.

﴿٥﴾ : وقال الكفار من أهل مكة للرسول ﷺ :
يا أيها الذي نزل عليه - كما يدعي - الذكر إنك
بدعواك هذه لمجنون تتصرف تصرف المجانين.

﴿٦﴾ : هلا جئتنا بالملائكة يشهدون لك، أو طلبت إهلاكنا بسبب كفرنا.
﴿٧﴾ : قال الله ردًا على ما اقترحوه من مجيء الملائكة: لا ننزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه الحكمة حين يحين
إهلاككم بالعذاب، وليسوا إذا جئنا بالملائكة ولم يؤمنوا بمبشرين، بل سيعاجلون بالعقاب.
﴿٨﴾ : إنا نحن وحدنا الذين نزلنا هذا القرآن على قلب محمد ﷺ تذكيرًا للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الزيادة
والنقصان والتبديل والتحريف.

﴿٩﴾ : ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في جماعات الكفر السابقة فكذبوهم، فلست بدعًا من الرسل في تكذيب أمثلك لك.
﴿١٠﴾ : وما يأتي جماعات الكفر السابقة رسول إلا كذبوه وسخروا منه.
﴿١١﴾ : كما تركنا التكذيب في قلوب تلك الأمم نتركه كذلك في قلوب مشركي مكة بإعراضهم وعنادهم.
﴿١٢﴾ : لا يؤمنون بهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ، وقد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين بما جاءت به رسلهم،
فليعتبر المكذبون بك.

﴿١٣﴾ : وهؤلاء المكذبون معاندون حتى لو اتضح لهم الحق بالأدلة الجلية، فلو فتحنا لهم بابًا من السماء فظلوا يصعدون.
﴿١٤﴾ : لما صدقوا، ولقالوا: إنما سُدَّتْ أبصارنا عن الإبصار، بل ما نراه هو بتأثير السحر، فتحن مسحورون.

﴿١٥﴾ : ﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾ : ١ - القرآن الكريم جامع بين صفة الكمال في كل شيء، والوضوح والبيان. ٢ - سيندم الكفار
يوم القيامة على كفرهم، ويتمنون أن لو كانوا مسلمين. ٣ - يهتم الكفار عادة بالماديات، فتراهم مُنْغَمَّسِينَ فِي
الشهوات والأهواء، مغترين بالأمانى الزائفة، منشغلين بالدنيا عن الآخرة. ٤ - إهلاك الأمم الكافرة المكذبة
لرسل بسبب جحودها وكفرها وتكذيبها بآيات الله ورسله. ٥ - هلاك الأمم مُقَدَّرٌ بتاريخ معين، ومقرر في أجل
محدد، لا تأخير فيه ولا تقديم، وإن الله لا يعجل لعجلة أحد. ٦ - تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التغيير
والتبديل، والزيادة والنقص، إلى يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ولقد جعلنا في السماء نجومًا عظيمة يهتدي بها الناس في أسفارهم في ظلمات البر والبحر، وجعلناها للمتأملين فيها؛ ليستدلوا بها على قدرة الله سبحانه.

﴿١٧﴾ وحفظنا السماء من كل شيطان مطرود عن رحمة الله.

﴿١٨﴾ إلا من استمع للملأ الأعلى خلسة فيلحقه كوكب مضىء، فيحرقه.

﴿١٩﴾ والأرض بسطناها ليستقر الناس عليها، وجعلنا فيها جبالًا ثوابت حتى لا تتبدد بالناس، وأنبتنا فيها من أنواع النبات ما هو مقدر محدد بما تقتضيه الحكمة.

﴿٢٠﴾ وجعلنا لكم - أيها الناس - في الأرض ما يعيشكم من المأكول والمشرب ما دمتم في الحياة الدنيا، وجعلنا لغيركم ممن لا ترزقونه من الناس والحيوان ما يعيشهم.

﴿٢١﴾ وما من شيء يتنفع به الناس والدواب إلا نحن قادرون على إيجاده ونفع الناس به، وما نوجد ما نوجده من ذلك إلا بمقدار محدد تقتضيه حكمتنا ومشيتنا.

﴿٢٢﴾ وأرسلنا الرياح تُلَفِّحُ السحاب، فأنزلنا من السحاب المُلَفِّحُ بها مطرًا، فسقيناكم من ماء المطر، ولستم - أيها الناس - بخازنين لهذا الماء في الأرض ليكون عيونًا وآبارًا، وإنما الله هو الذي يخزنه فيها.

﴿٢٣﴾ وإنا لنحن نحیی الموتى بخلقهم من العدم وبيعثهم بعد الموت، ونمیت الأحياء إذا استوفوا آجالهم، ونحن الباقون الذين نرث الأرض ومن عليها.

﴿٢٤﴾ ولقد علمنا من تقدم منكم ولادة وموتًا، وعلمنا من تأخر فيهما، لا يخفى علينا من ذلك شيء.

﴿٢٥﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو يحشرهم جميعًا يوم القيامة؛ ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٦﴾ ولقد خلقنا آدم من طين يابس إن تُقَرَّ صَوْتٌ، وهذا الطين الذي خُلِقَ منه أسود متغير الريح لطول مكثه.

﴿٢٧﴾ وخلقنا أبا الجن من قبل خلق آدم ﷺ من نار شديدة الحرارة.

﴿٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال ربك للملائكة وإبليس - وكان معهم -: إني سأخلق بشرًا من طين يابس له صوت إذا تُقَرَّ، أسود متغير الريح.

﴿٢٩﴾ فإذا عدلت صورته، وكمّلت خلقه فاسجدوا له امتثالًا لأمری وتحية له.

﴿٣٠﴾ فامثل الملائكة، فسجدوا كلهم له كما أمرهم ربهم.

﴿٣١﴾ لكن إبليس - الذي كان مع الملائكة، ولم يكن منهم - امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة.

﴿٣٢﴾ فإِذَا مِنْ الْأَمْرِ:

﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظَرِ بِرُجْمٍ
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٣٤﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَرٍ أَسْفَعَ
فَأَنْبَعَثُ شُهَابٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رُوسًى وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٣٦﴾ وَجَعَلْنَا الْكَرْهَ فِيهَا
مَعِيشًى وَمَنْ لَنْسْتَمُ لَكُمْ بَرِزْقِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ
لُوفُجٍ فَنَازِلُنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَقَيْنَاكُمْ وَمَا أَنْشَرْنَاهُ
بِحُزْنَيْنٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٤١﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٤٣﴾ وَالْجِبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السُّمُورِ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٤٥﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٤٧﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٨﴾

﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مِنْ تَدْرِيهِمْ وَأَنَّهُمْ أَهْلُ عِلْمٍ لَوْلَا غُطَّاءُ السَّمَاءِ لَأَبْهَأُوا مِنْ الْبَشَرِ كُلِّ شَيْءٍ

﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو بَرٍّ وَكِيعٍ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ لِشَيْءٍ عَلِيمًا

﴿٣٦﴾ قال الله لإبليس بعد امتناعه من السجود
لآدم: ما حملك ومنعك من أن تسجد مع
الملائكة الذين سجدوا امتثالاً لأمرى؟

﴿٣٧﴾ قال إبليس متكبراً: ما يصح لي أن أسجد
لبشر خلقت من طين يابس كان طيناً أسود متغيراً.

﴿٣٨﴾ قال الله لإبليس: أخرج من الجنة فإنك
مطرود.

﴿٣٩﴾ وإن عليك اللعنة والطرود من رحمتي إلى
يوم القيامة.

﴿٤٠﴾ قال إبليس: يا رب، أ مهلني ولا تمنني
إلى يوم يبعث آدم وذريته.

﴿٤١﴾ قال الله له: فإنك من الممهّلين الذين
أخرت آجالهم.

﴿٤٢﴾ إلى الوقت الذي يموت فيه جميع
الخلائق عند النفخة الأولى.

﴿٤٣﴾ قال إبليس: يا رب، بسبب إضلالك لي
لأحسنّ لهم المعاصي في الأرض،
ولأضلنهم كلهم عن الصراط المستقيم.

﴿٤٤﴾ إلا من اصطفتهم من عبادك لعبادتك.

﴿٤٥﴾ قال الله: هذا طريق معتدل موصل إليّ.

﴿٤٦﴾ إن عبادي المخلصين ليس لك قدرة ولا
تسلط على إغوائهم إلا من اتبعك من الضالين.

﴿٤٧﴾ وإن جهنم لموعده إبليس ومن اتبعه من
الضالين كلهم.

﴿٤٨﴾ قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ

لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٥٠﴾ قَالَ

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ

الَّذِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٥٤﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٥٥﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا

أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٦﴾

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٥٧﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٦١﴾ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٢﴾ أَذْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿٦٣﴾

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٦٤﴾

﴿٦٥﴾ نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٦﴾ وَأَنَّ عَذَابِي

هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٦٧﴾ وَيُنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٨﴾

﴿٦٩﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ إِنَّهُمْ غَاوِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٧١﴾ لَجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ يَدْخُلُونَ مِنْهَا، لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسِ قَدَرٌ مَعْلُومٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ مِنْهُ.

﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأَمْثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.

﴿٧٣﴾ يُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهَا: ادْخُلُوا بِسَلَامَةٍ مِنَ الْآفَاتِ، وَأَمِنْ مِنَ الْمَخَافِ.

﴿٧٤﴾ وَأَزَلْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ حَقْدٍ وَعَدَاوَةٍ، إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ يَجْلِسُونَ عَلَى أَسْرَةٍ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

﴿٧٥﴾ لَا يَصِيبُهُمْ فِيهَا تَعَبٌ، وَلَيْسُوا بِمُخْرَجِينَ مِنْهَا، بَلْ هُمْ خَالِدُونَ فِيهَا.

﴿٧٦﴾ أَعْلِمُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ لِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ، الرَّحِيمُ بِهِ.

﴿٧٧﴾ وَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْمَوْجِعُ، فَلْيَتُوبُوا إِلَيَّ لِيُنَالُوا مَغْفِرَتِي، وَيَأْمَنُوا مِنْ عَذَابِي.

﴿٧٨﴾ وَأَعْلَمُهُمْ بِخَبَرِ ضَيْوَفِ إِبْرَاهِيمَ ؑ مِنْ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جَاءُوهُ بِالْبَشَرِ بِالْوَلَدِ، وَيَاهْلَاكَ قَوْمُ لُوطَ.

﴿٧٩﴾ فَإِنَّكَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أَمَرَ الله للملائكة بالسجود لآدم تكريم للجنس البشري.

٢ - فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى تَزَاوُرِ الْمُتَّقِينَ وَاجْتِمَاعِهِمْ وَحَسَنَ أَدَبِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمْ مُقَابِلًا لِلْآخَرِ لَا مُسْتَدْبِرًا لَهُ.

٣ - يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ دَائِمًا بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

٤ - سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ إِلَّا إِبْلِيسَ رَفَضَ وَأَبَى.

٥ - لَا سُلْطَانَ لِإِبْلِيسَ عَلَى الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَاجْتَبَاهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ فِي أَنْ يُلْقِيَهُمْ فِي ذَنْبٍ يَمْنَعُهُمْ عَفْوُ اللهِ.

٦ - تَعْلِيمُ أَدَبِ الضَّيْفِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ حِينَ الْقُدُومِ عَلَى الْآخَرِينَ.

٥١ حين دخلوا عليه، فقالوا له: سلامًا، فأجابهم بأحسن من تحيتهم، وقدم لهم عجلًا مشويًا ليأكلوه، فقد ظن أنهم بشر، فلما لم يأكلوا منه، قال: إنا منكم خائفون.

٥٢ قال الرسل من الملائكة: لا تخف، إنا نخبرك بما يسرك، أنه سيكون لك ولد ذكر عليم.

٥٣ قال لهم إبراهيم - وقد تعجب من تبشيرهم إياه بولد -: أبشروني بولد مع ما أصابني من الكبر والشيخوخة، فعلى أي وجه تبشرونني؟

٥٤ قال الرسل من الملائكة لإبراهيم: بشراك بالحق الذي لا مرية فيه، فلا تكن من اليائسين مما بشراك به.

٥٥ قال إبراهيم: وهل ييأس من رحمة ربه إلا المنحرفون عن صراط الله المستقيم؟!

٥٦ قال إبراهيم: فما شأنكم الذي جاء بكم - أيها المرسلون - من الله تعالى؟

٥٧ قال الرسل من الملائكة: إنا أرسلنا الله لإهلاك قوم عظيمي الفساد، عظيمي الشر، وهم قوم لوط.

٥٨ إلا أهل لوط وأتباعه من المؤمنين، فلا يشملهم الإهلاك، إنا مسلموهم جميعًا منه.

٥٩ إلا زوجته، فقد حكمنا أنها من الباقيين الذين يشملهم الهلاك.

٦٠ فلما قدم الملائكة المرسلون إلى آل لوط في صور رجال.

٦١ قال لهم لوط ﷺ: لا أعرفكم، ولا أعلم من أنتم.

٦٢ قال الرسل من الملائكة للوط: لا تخف، بل جئناك - يا لوط - بما كان يشك فيه قومك من العذاب المهلك لهم، وجئناك بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

٦٣ فسر بأهلك بعد مضي جانب من الليل، وسر خلفهم، ولا يلتفت أحد منكم إلى الوراء لينظر ما حل بهم، وامضوا إلى حيث أمركم الله أن تمضوا.

٦٤ وأنهيها إلى لوط عن طريق الوحي ذلك الأمر الذي قدرناه، وهو أن هؤلاء القوم سيستأصلون بإهلاك آخرهم إذا دخلوا في الصبح.

٦٥ وجاء أهل سدوم مستبشرين بضيوف لوط؛ طمعًا في فعل الفاحشة.

٦٦ قال لهم لوط: إن هؤلاء القوم ضيوفي، فلا تفضحوني بما تريدون بهم.

٦٧ وخافوا الله بترك هذه الفاحشة، ولا تذلوني بصنيعكم الشنيع.

٦٨ قال له قومه: ألم تنهك عن إضافة أحد من الناس؟ وقد أعذر من أنذر.

٦٩ فوالله من الآيات:

١ - ضرورة الإرشاد إلى الشيء المباح غير الحرام، كما أرشد لوط قومه إلى الزواج.

٢ - من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم لا سبيل له إلى القنوط من رحمة الله.

٣ - يسر الإسراع حين المرور بآثار القوم الذين دمرهم الله؛ لأنها أماكن غضب ولعنة.

٤ - نهى الله تعالى لوطًا وأتباعه عن الالتفات أثناء نزول العذاب بقوم لوط حتى لا تأخذهم الشفقة عليهم.

٥ - تصميم قوم لوط على ارتكاب الفاحشة مع هؤلاء الضيوف دليل على طمس فطرتهم، وشدة فحشهم.

﴿٧٦﴾ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ ﷺ: هَؤُلَاءِ نِسَاءُ قَوْمِي، وَهَنَ بِمَنْزِلَةِ بَنَاتِي، فَتَزَوَّجُوهُنَّ إِن كُنْتُمْ قَاصِدِينَ قَضَاءَ شَهْوَتِكُمْ.

﴿٧٧﴾ وَحَيَاتُكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِن قَوْمَ لُوطٍ لَفِي طَغْيَانٍ شَهْوَتُهُمْ يَتَرَدَّدُونَ.

﴿٧٨﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ الْمَهْلِكُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٧٩﴾ فَقَلَبْنَا قَرَاهِمَ بِجَعْلِهَا سَافِلًا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُتَحَجَّرٍ.

﴿٨٠﴾ إِن فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِمَّا حَلَّ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ هَلَاكِ لَعَلَّمَاتٍ لِلْمُتَأَمِّلِينَ.

﴿٨١﴾ وَإِنْ قَرَى قَوْمَ لُوطٍ لَعَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ، يَرَاهَا مِنْ يَمْرِ بِهَا مِنَ الْمَسَافِرِينَ.

﴿٨٢﴾ إِن فِي ذَلِكَ الَّذِي حَدَثَ لِدَلَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿٨٣﴾ وَقَدْ كَانَ قَوْمُ شُعَيْبٍ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْمَلْتَفِ ظَالِمِينَ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ ﷺ.

﴿٨٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ حَيْثُ أَخَذَهُمُ الْعَذَابُ، وَإِنْ قَرَى قَوْمَ لُوطٍ، وَمَوَاطِنَ أَصْحَابِ شُعَيْبٍ لِبَطْرِيقٍ وَاضِحٍ لِمَنْ مَرَّ بِهِ.

﴿٨٥﴾ وَلَقَدْ كَذَبْتَ ثَمُودُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْحِجْرِ (مَكَانَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ) جَمِيعَ الرُّسُلِ حِينَ كَذَبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا ﷺ.

﴿٨٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٧٦﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٨﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ وَإِنْ كَانُوا أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٨١﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُمَا إِلَهًا مَرْمِيِّنَ ﴿٨٢﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٣﴾ وَءَايَاتُهُمْ ءَايَاتُنَا فَأَكُونُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨٤﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا لِامْتِنِيتِ ﴿٨٥﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٦﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّصَبَ الْجَعِيلَ ﴿٨٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٩٠﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٨٧﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٨٨﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٨٩﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٠﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩١﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٢﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٣﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٤﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٥﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٧﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٨﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿٩٩﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٠﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠١﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٢﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٣﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٤﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٥﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

﴿١٠٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحُجْجَ وَالِدَلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةِ

الذين صَبَرُوا القرآنَ أجزاءً، فقالوا: هو سحر، أو كهانة، أو شعر.

فوربك - أيها الرسول - لنسألنَّ يومَ القيامة جميع الذين صَبَرُوهُ أجزاءً.

لنسألنَّهم عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا.

فأعلن - أيها الرسول - ما أمرك الله به من الدعوة إليه، ولا تلتفت إلى ما يقوله، ويفعله المشركون.

ولا تخف منهم، فقد كفيناك الساعرين من أئمة الكفر من قريش.

الذين يتخذون مع الله معبودًا، فسوف يعلمون عاقبة شركهم السيئة.

ولقد نعلم أنك - أيها الرسول - يضيق صدرك بما يصدر منهم من تكذيبهم لك وسخريتهم منك.

فالجأ إلى الله بتنزيهه عما لا يليق به، والثناء عليه بصفات كماله، وكن من العابدين لله، المصلين له، ففي ذلك علاج لضيق صدرك.

وداوم على عبادة ربك، واستمر عليها ما دمت حيًا حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:
تركز على التذكير بالنعم الدالة على المنعم، إلزامًا بعبوديته وتحذيرًا من جحود نعمته.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ اقتربت الساعة وما قضى الله به من عذابكم - أيها الكفار -، فلا تطلبوا تعجيله قبل أوانه، تنزه الله وتعالى عما يجعل له المشركون من الشركاء.

﴿٢﴾ ينزل الله الملائكة بالوحي الذي تحيا به النفوس على من يشاء من رسله: أن خوفوا - أيها الرسل - الناس من الشرك بالله، فلا معبود بحق إلا أنا، فاتقوني - أيها الناس - بامثال أوامري واجتناب نواهي.

﴿٣﴾ خلق الله السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق بالحق، فلم يخلقهما باطلا، بل خلقهما ليُسَدَّلَ بهما على عظمتها، تَنَزَّهَ عن إشراكهم به غيره.

﴿٤﴾ خلق الإنسان من نطفة مهينة، فمنما خلقًا من بعد خلق، فإذا هو شديد الجدال بالباطل ليطمس به الحق، مبين في جداله به.

﴿٥﴾ والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها لمصالحكم - أيها الناس -، ومن هذه المصالح الدفء بأصوافها وأوبارها، ومصالح أخرى في ألبانها وجلودها وظهورها، ومنها تأكلون.

﴿٦﴾ ولكم فيها زينة حين تدخلون في المساء، وحين تخرجونها للمرعى في الصباح.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - في الآيات دليل على أن الجميع من الناس يُسأل: كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب. ٢ - عناية الله ورعايته بصُور النبي ﷺ وحمايته من أذى المشركين. ٣ - التسبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان، وطريق الخروج من الأزمات والمآزق والكروب. ٤ - المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى يأتيه الموت، ما لم يغلب الغشيان أو فقد الذاكرة على عقله. ٥ - إن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجوده ووحدانيته. ٦ - وكذلك خلق الأنعام بما فيها من منافع امتن الله بها على الإنسان دليل آخر على قدرة الله وتوحيده. ٧ - ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب ودلَّلنا لنا، وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها؛ رحمة منه تعالى بنا.

﴿٧﴾ وتحمل هذه الأنعام التي خلقناها لكم أمتعتكم الثقلية في أسفاركم إلى بلد لم تكونوا واصليه إلا بمشقة عظيمة على الأنفس، إن ربكم - أيها الناس - لرؤوف، رحيم بكم حيث سخر لكم هذه الأنعام.

﴿٨﴾ وخلق الله لكم الخيل والبغال والحمير لكي تركبوها، وتحملوا عليها أمتعتكم، ولتكون جمالا لكم تتجملون به في الناس، ويخلق ما لا تعلمون مستقبلا من وسائل الركوب وغيرها.

﴿٩﴾ وعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو من طرق الشيطان المائلة عن الحق، وكل طريق غير طريق الإسلام فهو مائل، ولو شاء الله أن يوفقكم جميعا للإيمان لوفقكم له جميعا.

﴿١٠﴾ هو سبحانه الذي أنزل لكم من السحاب ماء، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه وتشربه أنعامكم، ومنه ما يحصل به نبات الشجر الذي فيه ترعون مواشيتكم.

﴿١١﴾ ينبت الله لكم بذلك الماء الزروع التي تأكلون منها، وينبت لكم به الزيتون والنخل والأعنان، وينبت لكم من جميع الثمرات، إن في ذلك الماء وما ينشأ عنه لدلالة على قدرة الله لقوم يتفكرون في خلقه، فيستدلون به على عظمته سبحانه.

﴿١٢﴾ وذلل الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نورًا، والنجوم مذللات لكم بأمره القدري، بها تهتدون في ظلمات البر والبحر، وتعلمون الأوقات وغير ذلك، إن في تسخير ذلك كله لدلالات واضحة على قدرة الله لقوم يعلمون عقولهم، فهم الذين يدركون الحكمة منها.

﴿١٣﴾ وسخر لكم ما خلق سبحانه في الأرض مما اختلف ألوانه من المعادن والحيوان والنبات والزروع، إن في ذلك المذكور من الخلق والتسخير لدلالة جلية على قدرة الله سبحانه لقوم يعتبرون به، ويدركون أن الله قادر ومنعم.

﴿١٤﴾ وهو سبحانه الذي ذلل لكم البحر، فمكنكم من ركوبه واستخراج ما فيه؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحما غصا ليئا، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها وتلبسها نساؤكم مثل اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن تشق عباب البحر، وتركبون هذه السفن طلبا لفضل الله الحاصل من ربح التجارة، ورجاء أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتفردوه بالعبادة.

﴿١٥﴾ فإند من الآيات:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يشمل كل وسائل النقل والركوب الحديثة.
- ٢ - خلق الله النجوم لزينة السماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة.
- ٣ - الثناء والشكر على الله الذي أنعم علينا بما يصلح حياتنا ويعيننا على أفضل معيشة.
- ٤ - الإنزال والإنبات دلالة على قدرة الله وجوده ووحدايته لقوم يتأملون ويتفكرون.
- ٥ - الله سبحانه أنعم علينا بتسخير البحر لتناول اللحوم (الأسماك)، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وللركوب، والتجارة، وللدفاع عن البلاد من أذى محتل وعدوان مستعمر.

﴿١٥﴾ وبث في الأرض جبالاً تثبتها حتى لا تضطرب بكم وتميل، وأجرى فيها أنهاراً لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم، وشق فيها طرقاً تسلكونها، فتصلون إلى مقاصدكم دون أن تضلوا. ﴿١٦﴾ وجعل لكم في الأرض معالم ظاهرة تهتدون بها في السير نهاراً، وجعل لكم النجوم في السماء رجاء أن تهتدوا بها ليلاً. ﴿١٧﴾ أفمن يخلق هذه الأشياء وغيرها كمن لا يخلق شيئاً؟! أفلا تتذكرون عظمة الله الذي يخلق كل شيء، وتفردوه بالعبادة، ولا تشركوا به ما لا يخلق شيئاً؟ ﴿١٨﴾ وإن تحاولوا - أيها الناس - عد نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليكم، وحضرها لا تستطيعوا ذلك لكثرتها وتنوعها، إن الله لغفور حيث لم يؤاخذكم بالغفلة عن شكرها، رحيم حيث لم يقطعها عنكم بسبب المعاصي والتقصير في شكره. ﴿١٩﴾ والله يعلم ما تخفون - أيها العباد - من أعمالكم، ويعلم ما تظهرون منها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها. ﴿٢٠﴾ والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولو كان قليلاً، ومن عبدوهم من دون الله هم الذين يصنعونهم، فكيف يعبدون من دون الله ما يصنعونه بأيديهم من الأصنام؟! ﴿٢١﴾ ومع كون عابديهم صنعوهم بأيديهم فهم جمادات لا حياة فيها ولا علم، فهم لا يعلمون متى يبعثون مع عابديهم يوم القيامة؛ ليرموا معهم في نار جهنم.

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ يَحِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلِمْتَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَأَجْرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُمْ وَمَا تَعْلَنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾ معبودكم بحق هو معبود واحد لا شريك له وهو الله، والذين لا يصدقون بالبعث للجزاء قلوبهم جاحدة وحدانية الله لعدم خوفها، فهي لا تؤمن بحساب ولا عقاب، وهم متكبرون لا يقبلون الحق، ولا يخضعون له. ﴿٢٨﴾ حقاً إن الله يعلم ما يسره هؤلاء من الأعمال، ويعلم ما يظهره منها، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم عليها، إنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن عبادته والخضوع له، بل يمقتهم أشد المقت. ﴿٢٩﴾ وإذا قيل لهؤلاء الذين ينكرون وحدانية الخالق، ويكذبون بالبعث: ماذا أنزل الله على محمد ﷺ؟ قالوا: لم ينزل عليه شيئاً، وإنما جاء من نفسه بقصص الأولين وأكاذيبهم. ﴿٣٠﴾ ليكون مآلهم أن يحملوا آثامهم دون نقص، ويحملوا من آثام الذين أضلوهم عن الإسلام جهلاً وتقليداً، فما أشد قبح ما يحملونه من آثامهم وآثام أتباعهم. ﴿٣١﴾ لقد أتى الكفار من قبل هؤلاء بالمكائد لرسولهم، فهدم الله أبنيتهم من أسسها، فسقطت عليهم سقوفهم من فوقهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، فقد كانوا يتوقعون أن أبنيتهم تحميهم، فأهلكوا بها.

﴿٣٢﴾ فَوَالَّذِينَ الْآيَاتُ: ١ - في الآيات دليل على استعمال الأسباب، وقد كان الله قادراً على تسكين الأرض دون الجبال. ٢ - في الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ودعائه. ٣ - طبيعة الإنسان الظلم والتجروء على المعاصي والتقصير في حقوق ربه، كفار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هده الله. ٤ - من شفقة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام دعوته للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله. ٥ - إبطال الله مكر أعدائه؛ فيصير مكرهم وبالأعلى عليهم، ويصير تدبيرهم فيه تدميرهم. ٦ - مساواة المضلل للضال في جريمة الضلال؛ إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين. ٧ - أخذ الله للمجرمين فجأة أشد نكاية؛ لما يصحبه من الرعب الشديد، بخلاف الشيء الوارد تدريجياً.

﴿٧٧﴾ ثم يوم القيامة يهينهم الله بالعذاب، ويذلهم به، ويقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة، وكنتم تعادون أنبيائي والمؤمنين بسببهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الهوان والعذاب يوم القيامة واقع على الكافرين.

﴿٧٨﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم وهم متلبسون بظلم أنفسهم بالكفر بالله، فانقادوا مستسلمين لما نزل بهم من الموت، وأنكروا ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي؛ ظنًا منهم أن الإنكار ينفعهم، فيقال لهم: كذبتُم، قد كنتم كافرين تعملون المعاصي، إن الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٧٩﴾ ويقال لهم: ادخلوا حسب أعمالكم أبواب جهنم ما كنتم فيها أبدًا، فلأسأت مقررًا للمتكبرين عن الإيمان بالله وعبادته وحده.

﴿٨٠﴾ وقيل للذين اتقوا ربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه: ماذا أنزل ربكم على نبيكم محمد ﷺ؟ أجابوا: أنزل الله عليه خيرًا عظيمًا، للذين أحسنوا عبادة الله، وأحسنوا التعامل مع خلقه في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة، منها النصر وسعة الرزق، وما أعد الله لهم من الثواب في الآخرة خير مما عجله لهم في الدنيا، ولنعم دار المتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه دار الآخرة.

﴿٨١﴾ جنات إقامة واستقرار يدخلونها، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، لهم في هذه الجنات ما تشتهي أنفسهم من المأكول والمشرب وغيرهما، بمثل هذا الجزاء الذي يجزي به المتقين من أمة محمد ﷺ يجزي المتقين من الأمم السابقة. ﴿٨٢﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم في حال طهارة قلوبهم من الكفر، تخاطبهم الملائكة بقولهم: سلام عليكم، سلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح. ﴿٨٣﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم وضرب وجوههم وأدبارهم، أو يأتي أمر الله باستئصالهم بالعذاب في الدنيا؟ مثل هذا الفعل الذي يفعله المشركون في مكة فعله المشركون من قبلهم فأهلكهم الله، وما ظلمهم حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله.

﴿٨٤﴾ فنزلت عليهم عقوبات أعمالهم التي كانوا يعملونها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه إذا دُكروا به.

﴿٨٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه.
- ٢ - من كرم الله وجوده أنه يعطي أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يذكّرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.
- ٣ - العمل هو السبب والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك يحصل برحمة الله ومنته على المؤمنين لا بحولهم وقوتهم.
- ٤ - من أدب الملائكة مع الله أنهم أسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، وإشعارًا بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.

﴿٣٥﴾ وقال الذين أشركوا مع الله غيره في عبادتهم: لو شاء الله أن نعبد وحده، ولا نشرك به لما عبدنا أحدًا غيره، لا نحن ولا آباؤنا من قبلنا، ولو شاء أن لا نُحَرِّم شيئًا ما حَرَّمنا، بمثل هذه الحجة الباطلة قال الكفار السابقون، فما على الرسل إلا التبليغ الواضح لما أمروا بتبليغه وقد بَلَّغُوا، ولا حجة للكفار في الاعتذار بالقدر بعد أن جعل الله لهم مشيئة واختيارًا، وأرسل إليهم رسله.

﴿٣٦﴾ ولقد بعثنا في كل أمة سابقة رسولًا يأمر أمته بأن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والشياطين وغيرهم، فكان منهم من وفقه الله فأمن به، واتبع ما جاء به رسوله، وكان منهم من كفر بالله وعصى رسوله فلم يوفقه، فوجبت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض لتروا بأعينكم كيف كان مصير المكذابين بعدما حل بهم من عذاب وهلاك.

﴿٣٧﴾ إن تجتهد - أيها الرسول - بما تستطيع من دعوتك لهؤلاء، وتحرص على هدايتهم، وتأخذ بأسباب ذلك؛ فإن الله لا يوفق للهداية من يضلّه، وليس لهم من دون الله من أحد ينصرهم بدفع العذاب عنهم.

﴿٣٨﴾ وحلف هؤلاء المكذبون بالبعث بأقصى أيمانهم التي يحلفون بها للتأكيد: لا يبعث الله من يموت؛ دون أن تكون لهم حجة على ذلك،

بلى، سيبعث الله كل من يموت، وعدًا عليه حقًا؛ لأن من أوجدهم من العدم على غير مثال سابق قادر على إحياهم بعد إماتتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يبعث الموتى، فينكرون البعث.

﴿٣٩﴾ يبعثهم الله جميعًا يوم القيامة ليوضح لهم حقيقة ما كانوا يختلفون فيه من التوحيد والبعث والنبوة، وليعلم الكفار أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم شركاء مع الله وفي إنكارهم للبعث.

﴿٤٠﴾ إنا إذا أردنا إحياء الموتى وبعثهم فلا مانع يمنعنا من ذلك، إنما نقول لشيء إذا أردناه: (كن)، فيكون لا محالة. والذين تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم مهاجرين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله من بعد ما عذبهم الكفار وضيقوا عليهم لنُزِّلَ عليهم في الدنيا دارًا يكونون فيها أعزّة، وثواب الآخرة أعظم لأن منه الجنة، لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ثواب المهاجرين لما تخلفوا عنها.

﴿٤١﴾ هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أذى أقوامهم ومفارقة أهلهم وأوطانهم، وصبروا على طاعة الله، وهم على ربهم وحده يعتمدون في كل أمورهم، فأعطاهم الله هذا الجزاء العظيم.

﴿٤٢﴾ فَوَلِّهِمْ أَصْحَابَ الْبَيْتِ:

١ - بعثة الرسل في كل الأمم عامة شاملة وهدفها واحد، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الطاغوت.
٢ - العاقل من يعتبر ويتعظ بما حل بالضالين المكذابين كيف آل أمرهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك. ٣ - الحكمة من البعث والمعاد إظهار الله الحق فيما يختلف فيه الناس من أمر البعث وكل شيء. ٤ - فضيلة الصبر والتوكل، أما الصبر فلما فيه من قهر النفس، وأما التوكل فللعزوف عن الخلق والاتجاه إلى الحق. ٥ - جزاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وصبروا على الأذى، وتوكلوا على ربهم، هو الموطن الأفضل، والمنزلة الحسنة، والعيشة الرضية، والرزق الطيب الوفير، والتصر على الأعداء، والسيادة على البلاد والعباد.

﴿٤٣﴾ وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر نوحى إليهم، فلم نرسل رسلاً من الملائكة، وهذه سنتنا المطردة، وإن كنتم تنكرون ذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة يخبروكم أن الرسل كانوا بشرًا، ولم يكونوا ملائكة، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر.

﴿٤٤﴾ أرسلنا هؤلاء الرسل من البشر بالدلائل الواضحة، وبالكتب المنزل، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن لتوضح للناس ما يحتاج منه إلى توضيح، ولعلمهم يعملون أفكارهم، فيتعظوا بما تضمنه.

﴿٤٥﴾ أفأمن الذين دبروا المكائد ليصدوا عن سبيل الله أن يخسف الله بهم الأرض كما خسفها بقارون، أو يجيئهم العذاب من حيث لا ينتظرون مجيئه.

﴿٤٦﴾ أو يصيبهم العذاب في حال تقلبهم في أسفارهم وسعيهم لمكاسبهم، فليسوا بفائتين ولا ممتنعين.

﴿٤٧﴾ أو آمنوا أن ينالهم عذاب الله حال خوفهم منه، فالله قادر على تعذيبهم في كل حال، إن ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجل بالعقوبة لعل عباده يتوبون إليه.

﴿٤٨﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذوبون نظر تأمل إلى مخلوقاته، تميل ظلالها يمينًا وشمالًا تبعًا لحركة الشمس وسيرها نهارًا وللقمر ليلاً، خاضعة لربها ساجدة، وهي ذليلة تحت تسخير الله وقهره.

﴿٤٩﴾ والله وحده يسجد جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض من دابة، وله وحده يسجد الملائكة، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله وطاعته.

﴿٥٠﴾ وهم - مع ما هم عليه من العبادة والطاعة الدائمة - يخافون ربهم الذي هو فوقهم بذاته وقهره وسلطانه، ويفعلون ما يأمرهم به ربهم من الطاعة.

﴿٥١﴾ وقال الله سبحانه لجميع عباده: لا تتخذوا معبودين اثنين، إنما هو معبود بحق واحد لا ثاني له ولا شريك، فإياي فخافوني، ولا تخافوا غيري.

﴿٥٢﴾ وله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتديبًا، وله وحده الطاعة والخضوع والإخلاص ثابتًا، أغير الله تخافون؟! لا، بل خافوه وحده.

﴿٥٣﴾ وما بكم - أيها الناس - من نعمة دينية أو دنيوية فمن الله سبحانه لا من غيره، ثم إذا أصابكم بلاء أو مرض أو فقر فإليه وحده تتضرعون بالدعاء؛ ليكشف عنكم ما أصابكم، فمن يمنح النعم ويكشف النقم هو الذي يجب أن يُعبد وحده.

﴿٥٤﴾ ثم إذا استجاب دعوتكم فصرف ما بكم من ضر إذا طائفة منكم بربهم يشركون، حيث يعبدون معه غيره، فأى لؤم هذا؟! ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عِزَّ اللَّهِ** ١ - فضل أهل العلم، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم. ٢ - على المجرم أن يستحي من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات. ٣ - ينبغي لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي الخوف من الله تعالى أن يأخذهم بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون. ٤ - جميع النعم من الله تعالى، سواء المادية كالرزق والسلامة والصحة، أو المعنوية كالأمان والجاه والمنصب ونحوها. ٥ - لا يجد الإنسان ملجأ لكشف الضر عنه في وقت الشدائد إلا الله تعالى، فيضج بالدعاء إليه؛ لعل أنه لا يقدر أحد على إزالة الكرب سواه.

﴿٥٥﴾ شَرِكْهُمْ بِاللَّهِ جَعَلَهُمْ يَجْحَدُونَ نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ومنها كشف الضر، ولهذا قيل لهم: تمتعوا بما أنتم فيه من نعيم حتى يأتيكم عذاب الله الآجل والعاجل. ﴿٥٦﴾ ويجعل المشركون لأصنامهم التي لا تعلم شيئاً - لأنها جمادات، ولا تنفع ولا تضر - قسماً من أموالهم التي رزقناهم، يتقربون به إليها، والله لتسألن - أيها المشركون - يوم القيامة عما كنتم تزعمون من أن هذه الأصنام آلهة، وأن لها قسماً من أموالكم. ﴿٥٧﴾ وينسب المشركون لله البنات، ويعتقدون أنها الملائكة، فينسبون إليه النبوة، ويختارون له ما لا يحبونه لأنفسهم، تنزه سبحانه وتقدس عما يجعلونه له منها، ويجعلون لهم ما تميل إليه أنفسهم من الأولاد الذكور، فأى جرم أعظم من هذا؟! ﴿٥٨﴾ وإذا أخبر أحد هؤلاء المشركين بميلاد أنثى أسود وجهه من شدة كراهية ما أخبر به، وامتلأ قلبه همًا وحزنًا، ثم هو ينسب إلى الله ما لا يرضاه لنفسه!

﴿٥٩﴾ يخفي ويتغيب عن قومه من سوء ما أخبر به من ميلاد أنثى، تحدثه نفسه: أيمسك هذه البنت التي أخبر بها على ذل وانكسار أو يئدها، فيخفيها في التراب؟ ما أقبح ما يحكم به المشركون، حيث حكموا لربهم بما يكرهون لأنفسهم. ﴿٦٠﴾ للكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة صفة السوء من الحاجة للولد والجهل والكفر، والله الصفات الحميدة من الجلال والكمال والغنى والعلم، وهو سبحانه العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿٦١﴾ ولو يعاقب الله سبحانه الناس بسبب ظلمهم وكفرهم به ما ترك على الأرض من إنسان ولا حيوان يدب على وجهها، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أمد محدد في علمه، فإذا جاء ذلك الأمد المحدد في علمه لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون، ولو وقتًا يسيرًا. ﴿٦٢﴾ ويجعلون لله سبحانه ما يكرهون نسبته إليهم من الإناث، وتنطق السننهم بالكذب أن لهم عند الله المنزل الحسنى إن صح أنهم سيعثون كما يقولون، حقًا أن لهم النار، وأنهم متروكون فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٦٣﴾ تالله لقد بعثنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشرك والكفر والمعاصي، فهو نصيرهم المزعوم يوم القيامة فليستنصروه، ولهم يوم القيامة عذاب موعج. ﴿٦٤﴾ وما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن إلا لتبين لجميع الناس ما اختلفوا فيه من التوحيد والبعث وأحكام الشرع، وأن يكون القرآن هداية ورحمة للمؤمنين بالله وبرسله، وبما جاء به القرآن، فهم الذين ينتفعون بالحق.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من جهالات المشركين: • نسبة البنات إلى الله تعالى، ونسبة البنين لأنفسهم، وأفنتهم من البنات. • تغير وجوههم حزنًا وغمًا بالبنات، واستخفاء الواحد منهم وتغيبه عن مواجهة القوم من شدة الحزن وسوء الخزي والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنات. ٢ - من سنن الله إيهال الكفار وعدم معاجلتهم بالعقوبة ليرك الفرصة لهم للإيمان والتوبة. ٣ - أجل موت الإنسان ومنتهى عمره لا يتقدم ولا يتأخر ساعة أو لحظة واحدة. ٤ - سنة الله في عباده إرسال الرسل بالحجة الواضحة والبيان الشافي، وما محمد ﷺ إلا كغيره من الرسل. ٥ - مهمة النبي ﷺ الكبرى هي تبين ما جاء في القرآن، وبيان ما اختلف فيه أهل الملل والأهواء من الدين والأحكام، فتقوم الحجة عليهم ببيانه.

﴿١٥﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَاخِرَاجِ النَّبَاتِ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَاحِلَةً جَافَةً، إِنَّ فِي إِنْزَالِ الْمَطَرِ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ، وَإِخْرَاجِ نَبَاتِ الْأَرْضِ بِهِ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ.

﴿١٦﴾ وَإِنْ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ لَعِظَةٌ تَتَعَلَّقُونَ بِهَا، حَيْثُ نَسْقِيكُمْ مِنْ ضُرُوعِهَا لَبَنًا خَارِجًا مِنْ بَيْنِ مَا يَحْتَوِيهِ الْبَطْنُ مِنْ فَضْلَاتٍ وَمَا فِي الْجِسْمِ مِنْ دَمٍ، وَمَعَ هَذَا يَخْرُجُ لَبَنًا خَالِصًا نَقِيًّا لِلذَّيْدِ يَطِيبُ لِلشَّارِبِينَ.

﴿١٧﴾ وَلَكُمْ عِظَةٌ فِيمَا نَرْزُقُكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْلِ وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْأَعْنَابِ، فَتَتَخَذُونَ مِنْهُ مَسْكِرًا يَذْهَبُ بِالْعَقْلِ، وَهُوَ غَيْرُ حَسَنِ، وَتَتَخَذُونَ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا تَتَفَنَّعُونَ بِهِ مِثْلَ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ وَالخَلِّ وَاللَّدْبِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لَدَلَالَةً عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَهَمُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ.

﴿١٨﴾ وَالْهَمُّ رَبُّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - النَّحْلُ، وَأَرْشَدُهَا أَنْ تَأْخُذَ لَكَ بَيُوتًا فِي الْجِبَالِ، وَتَأْخُذَ بَيُوتًا فِي الشَّجَرِ، وَفِيمَا بَيْنَهُ النَّاسُ وَيَسْقِفُونَهُ.

﴿١٩﴾ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهُنَّ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَاسْلُكِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَلْهَمْتُكَ رَبُّكَ سُلُوكَهَا مُذَلَّلَةً، يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِ تِلْكَ النَّحْلِ عَسَلٌ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانُ، فِيهِ الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ وَغَيْرُهُمَا، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، يَعَالِجُونَ بِهِ الْأَمْرَاضَ، إِنَّ فِي إِلْهَامِ النَّحْلِ ذَلِكَ، وَفِي الْعَسَلِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا لَدَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَدْبِيرِهِ لَشُؤْنِ خَلْقِهِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، فَهَمُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ.

﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَمْتَدُّ عَمْرُهُ إِلَى أَسْوَأِ مَرَاهِلِ الْعُمُرِ وَهُوَ الْهَرَمُ، فَلَا يَعْلَمُ مِمَّا كَانَ يَعْلَمُهُ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ، قَدِيرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿٢١﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِيمَا مَنَحَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ، فَجَعَلَ مِنْكُمْ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالسَّيِّدَ وَالْمَسْجُودَ، فَلَيْسَ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ فِي الرِّزْقِ بَرَادِيٍّ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَلَى عِبِيدِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا شُرَكَاءَ بِالسُّوِيَةِ مَعَهُمْ فِي الْمُلْكِ، فَكَيْفَ يَرْضُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِ، وَلَا يَرْضُونَ لَأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُرَكَاءَ مِنْ عِبِيدِهِمْ يَسْتَوُونَ مَعَهُمْ؟ فَأَيُّ ظُلْمٍ هَذَا، وَأَيُّ جُحُودٍ لِنِعْمِ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟!

﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ جَنْسِكُمْ أَزْوَاجًا تَأْنِسُونَ بِهِمْ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادًا، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ - كَاللَّحْمِ وَالْحَبُوبِ وَالْفَوَاكِه - طَيِّبَهَا، أَفْبَالِبَاطِلٍ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ يُؤْمِنُونَ، وَبِنِعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ حَصْرَهَا يَجْحَدُونَ وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَحْدَهُ؟!

﴿٢٣﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - جَعَلَ تَعَالَى لِعِبَادِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ مَنَافِعَ لِلْعِبَادَةِ، وَمَصَالِحَ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّزْقِ الْحَسَنِ الَّذِي يَأْكُلُهُ الْعِبَادُ طَرِيًّا وَنَضِيجًا وَحَاضِرًا وَمُدْخَرًا وَطَعَامًا وَشَرَابًا. ٢ - فِي خَلْقِ النَّحْلَةِ الصَّغِيرَةِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا مِنْ عَسَلٍ لَذِيذٍ مُخْتَلِفٍ الْأَلْوَانُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَرْضِهَا وَمَرَاغِبِهَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ عَنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَامِ لَطْفِهِ بِعِبَادِهِ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُحِبَّ غَيْرَهُ وَيُدْعَى سِوَاهُ. ٣ - مِنْ مَنَنِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ جَعَلَ لَهُمْ أَزْوَاجًا لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْلَادًا تَقَرُّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ، وَيَخْدُمُونَهُمْ وَيَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ، وَيَتَفَنَّعُونَ بِهِمْ مِنْ وَجْهِهِ كَثِيرَةً. ٤ - فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْأَلْبَانِ مِنَ الشَّرْبِ وَغَيْرِهِ. ٥ - فِي النَّحْلِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لِلْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ نَفْسَهَا، وَلِلْإِنْسَانِ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ فِي الْعَسَلِ مَنَافِعُ لِلْإِنْسَانِ وَشِفَاءٌ.

﴿٧٦﴾ ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله أصنامًا، لا يملكون أن يرزقوهم أي رزق من السماوات ولا من الأرض، ولا يتأتى منهم أن يملكوا ذلك؛ لكونهم جمادات لا حياة لها ولا علم.

﴿٧٧﴾ فلا تجعلوا - أيها الناس - لله أشباهًا من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فليس لله شبيه حتى تشركوه معه في العبادة، إن الله يعلم ما له من صفات الجلال والكمال، وأنتم لا تعلمون ذلك، فتقعون في الشرك به، وادعاء مماثلته لأصنامكم.

﴿٧٨﴾ ضرب الله سبحانه مثلًا للرد على المشركين: عبدًا مملوكًا عاجزًا عن التصرف، ليس له ما ينفقه، وحرًا أعطيتاه من لدنا ما لا حلالًا، يتصرف فيه بما يشاء، فهو يبذل منه في الخفاء والجهر ما يشاء، فلا يستوي هذان الرجلان؟ فكيف تسوون بين الله المالك المتصرف في ملكه بما يشاء، وبين أصنامكم العاجزة؟ الثناء لله المستحق للثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون انفراد الله بالالوهية واستحقاق أن يعبد وحده.

﴿٧٩﴾ وضرب الله سبحانه مثلًا آخر للرد عليهم هو مثل رجلين: أحدهما أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يفهم؛ لصممه وبكمه، عاجز عن نفع نفسه وعن نفع غيره، وهو حمل ثقيل على من يعوله، ويتولى أمره، أينما يبعثه لجهة لا يأت بخير، ولا

ويعبدون من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَتْبَعَهُمْ لِيَفْقِرَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ الْبَصِيرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٨١﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾

يظفر بمطلوب، هل يستوي من هذه حاله مع من هو سليم السمع والنطق، نفعه مُتَعَدِّ، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، فهو على طريق واضح لا لبس فيه ولا عوج، فكيف تسوون - أيها المشركون - بين الله المتصف بصفات الجلال والكمال وبين أصنامكم التي لا تسمع ولا تنطق، ولا تجلب نفعًا، ولا تكشف ضرًا؟! ٩

﴿٨٣﴾ والله وحده علم ما غاب في السماوات، وعلم ما غاب في الأرض، فهو المختص بعلم ذلك دون أحد من خلقه، وما شأن القيامة التي هي من الغيوب المختصة به في سرعة مجيئها إذا أَرَادَهُ إِلَّا مِثْلَ انْطِبَاقِ جَفْنِ عَيْنٍ وَفَتْحِهِ، بل هو أقرب من ذلك، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، إذا أَرَادَ أَمْرًا قَالَ لَهُ: (كُنْ)، فيكون.

﴿٨٤﴾ والله أخرجكم - أيها الناس - من بطون أمهاتكم بعد انقضاء وقت الحمل أطفالًا لا تدركون شيئًا، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها؛ رجاء أن تشكروه على ما أنعم به عليكم منها.

﴿٨٥﴾ ألم ينظر المشركون إلى الطير مُدَلَّلَاتٍ مُهَيَّاتٍ للطيران في الهواء بما منحها الله من الأجنحة ورقة الهواء، وألهمها قبض أجنحتها وبسطها، ما يمسكهن في الهواء عن السقوط إلا الله القادر، إن في ذلك التذليل والإسكان عن السقوط لدلالات لقوم يؤمنون بالله؛ لأنهم الذين يتنفعون بالدلالات والعبر.

﴿٨٦﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الله تعالى الحكمة البالغة في قسمة الأرزاق بين العباد، إذ جعل منهم الغني والفقير والمتوسط؛ ليتكامل الكون، ويتعاش الناس، ويخدم بعضهم بعضًا. ٢ - دَلَّ المثلان في الآيات على ضلالة المشركين وبطلان عبادة الأصنام؛ لأن شأن الإله المعبود أن يكون مالكا قادرا على التصرف في الأشياء، وعلى نفع غيره ممن يعبدونه، وعلى الأمر بالخير والعدل. ٣ - أن علم الغيب في السماوات والأرض مختص بالله تعالى، لا يعلم به أحد، إلا من أطلعه الله عليه من نبي أو ملك. ٤ - أن من نعمه تعالى ومن مظاهر قدرته خلق الناس من بطون أمهاتهم لا علم لهم بشيء، ثم تزويدهم بوسائل المعرفة والعلم، وهي السمع والأبصار والأفئدة، فيها يعلمون ويدركون.

﴿٨٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَصَرَفُوا غَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا - بسبب فسادهم وإفسادهم بإضلالهم لغيرهم - على العذاب الذي استحقوه لكفرهم.

﴿٨٩﴾ وَاذْكُرْ - أيها الرسول - يوم نبعث في كل أمة رسولاً يشهد عليهم بما كانوا عليه من كفر أو إيمان، هذا الرسول من جنسهم، ويتكلم بلسانهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيداً على الأمم جميعاً، ونزلنا عليك القرآن لتبين كل ما يحتاج إلى تبين من الحلال والحرام والثواب والعقاب وغير ذلك، ونزلناه هداية للناس إلى الحق، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، وتبشيراً للمؤمنين بالله بما ينتظرون من النعيم المقيم.

﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ عَبْدَهُ بِالْعَدْلِ بِأَنْ يُوْدِيَ الْعَبْدَ حَقُّوقَ اللَّهِ وَحَقُّوقَ الْعِبَادِ، وَأَنْ لَا يَفْضَلَ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ فِي الْحُكْمِ إِلَّا بِحَقٍّ يُوْجِبُ ذَلِكَ التَّفْضِيلَ، وَيَأْمُرُ بِالْإِحْسَانِ بِأَنْ يَتَفَضَّلَ الْعَبْدُ بِمَا لَا يُلْزِمُهُ إِلَّا نَفَاقَ تَطَوُّعًا وَالْعَفْوَ عَنِ الظَّالِمِ، وَيَأْمُرُ بِإِعْطَاءِ الْأَقْرَبَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ كُلِّ مَا قَبِحٍ، قَوْلًا كَفَحَشِ الْقَوْلِ، أَوْ فَعَلًا كَالزُّنَى، وَيَنْهَى عَمَّا يَنْكَرُهُ الشَّرْعَ، وَهُوَ كُلُّ الْمَعَاصِي، وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى النَّاسِ، يَعْظُمُ اللَّهُ بِمَا أَمَرَكُمْ

به، ونهاكم عنه في هذه الآية رجاء أن تعتبروا بما وعظكم به.

﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا بِكُلِّ عَهْدٍ عَاهَدْتُمُ اللَّهَ أَوْ عَاهَدْتُمُ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَغْلِيظِهَا بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ بِالْوَفَاءِ بِمَا حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ. ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا بِنَقْضِ الْعُهُودِ سَفَهَاءَ خِفَافِ الْعُقُولِ، مِثْلَ امْرَأَةٍ حَقَمَاءَ تَعَبَتْ فِي غَزْلِ صَوْفِهَا أَوْ قَطْنِهَا، وَأَحْكَمْتَ غَزْلَهُ، ثُمَّ نَقَضَتْهُ وَجَعَلْتَهُ مَحْلُولًا كَمَا كَانَ قَبْلَ غَزْلِهِ، فَتَعَبَتْ فِي غَزْلِهِ وَنَقَضَتْهُ، وَلَمْ تَحْصُلْ عَلَى مَطْلُوبٍ، تُصَيِّرُونَ إِيْمَانَكُمْ خَدِيعَةً يَخْدَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَا؛ لَتَكُونَ أَمْتَكُمْ أَكْثَرُ وَأَقْوَى مِنْ أَمَةِ أَعْدَائِكُمْ، إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمْ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، هَلْ تَقُونَ بِهَا، أَمْ تَنْقُضُونَهَا؟ وَلِيُوضَحَنَّ اللَّهُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَيُبَيِّنَ الْمَحْقُوقَ مِنَ الْمَبْطُلِ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ.

﴿٩٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مُتَّفِقِينَ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَضِلُّ مِنْ شِئَاءٍ بِخِلَافِهِ عَنِ الْحَقِّ وَعَنِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ بَعْدَهُ، وَيُوفِقُ مِنْ شِئَاءٍ بِفَضْلِهِ لَذَلِكَ، وَلِتُسَأَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا.

﴿٩٤﴾ فَوَازِلُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - للكفار الذين يصدون عن سبيل الله عذاب مضاعف بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية.
- ٢ - لا تخلو الأرض من أهل الصلاح والعلم، وهم أئمة الهدى خلفاء الأنبياء، والعلماء حفظة شرائع الأنبياء.
- ٣ - حدّدت هذه الآيات دعائم المجتمع المسلم في الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة والدولة.
- ٤ - وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، وحرمة نقضها.
- ٥ - النهي عن الرشوة وأخذ الأموال على نقض العهد.

﴿٩٦﴾ وَلَا تُصَيِّرُوا آيْمَانَكُمْ خُدَيْعَةً يَخْدَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَا، تَتَّبِعُونَ فِيهَا أَهْوَاءَكُمْ، فَتَنْقُضُونَهَا مَتَى شِئْتُمْ، وَتَقُونَ بِهَا مَتَى شِئْتُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَزِلْ أَقْدَامَكُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَيْهِ، وَتَذُوقُوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِضْلَالِكُمْ غَيْرِكُمْ عَنْهَا، وَلَكُمْ عَذَابٌ مُضَاعَفٌ.

﴿٩٧﴾ وَلَا تَسْتَبْدِلُوا بَعْدَ اللَّهِ عَوْضًا قَلِيلًا عَلَى نَقْضِكُمُ لِّلْعَهْدِ، وَتَرْكِ الْوَفَاءِ بِهِ، إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّصْرِ وَالْغَنَائِمِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكُمْ مِمَّا تَتَالَوْنَهُ مِنْ عَوْضٍ قَلِيلٍ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٩٨﴾ مَا عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْمَالِ وَاللَّذَاتِ وَالنِّعَمِ يَنْقُضِي وَلَوْ كَانَ كَثِيرًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ بَاقٍ، فَكَيْفَ تَوَثِّرُونَ فَانِيًا عَلَى بَاقٍ؟ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَهْدِهِمْ وَلَمْ يَنْقُضُوا ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَنَجْزِيَهُمُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

﴿٩٩﴾ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا صَالِحًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ ذِكْرًا كَانَ أَوْ أَثْنَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ؛ فَلَنَجْزِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِالْقَنَاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ثَوَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

﴿١٠٠﴾ فَإِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ - فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعْزِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

﴿١٠١﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَلَى رِبِّهِمْ وَحْدَهُ يِعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿١٠٢﴾ إِنَّمَا تَسَلُّطُهُ بِالْوَسْوَاسِ عَلَى الَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا، وَيَطِيعُونَهُ فِي إِغْوَائِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَائِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ بَعْدُونَ مَعَهُ غَيْرُهُ.

﴿١٠٣﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِآيَةٍ أُخْرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ لِحِكْمَةٍ، وَعَلِيمٌ بِمَا لَا يَنْسَخُ مِنْهُ - قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ - يَا مُحَمَّدُ - كَاذِبٌ تَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ لِحِكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ بِالْغَةِ.

﴿١٠٤﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: نَزَلَ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِبْرِيلٌ ؑ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ وَلَا تَحْرِيفَ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ كُلَّمَا نَزَلَ مِنْهُ جَدِيدٌ، وَنُسْخٌ مِنْهُ بَعْضٌ، وَلِيَكُونَ هُدَايَةً لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَبَشَارَةً لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْصِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ.

﴿١٠٥﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ آثَرَ الْفَانِي الْخَسِيسَ عَلَى الْبَاقِي الْنَفِيسِ. ٢ - الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْرُونُ بِالْإِيْمَانِ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ طَيِّبَةً. ٣ - وَجِبَ الزَّهْدُ فِيمَا يَكُونُ ضَرَرًا عَلَى الْعَبْدِ، وَيُوجِبُ لَهُ الْإِشْتِغَالَ عَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَى حَقِّ اللَّهِ. ٤ - الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ هُوَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ. ٥ - عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ إِمَامَهُمْ، فَيَتَرَبَّوْا بِعِلْمِهِ، وَيَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَيَسْتَضِيئُوا بِنُورِهِ، فَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ. ٦ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مَطْلُوبَةٌ عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى لَا يَعْزِضَ الشَّيْطَانُ بِوَسْوَاسَتِهِ لِلْقَارِئِ، فَيَصْهَدَ عَنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ. ٧ - لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ بِحَالِ سُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ بِالْإِغْوَاءِ وَالْكَفْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدِقِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَرَفَ سُلْطَانَهُ عَنْهُمْ. ٨ - نَسْخُ الْأَحْكَامِ وَاقِعٌ فِي الْقُرْآنِ زَمَنَ الْوَحْيِ لِحِكْمَةٍ، وَهِيَ مَرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَالْحَوَادِثِ، وَتَبْدِيلُ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ.

﴿١٣٢﴾ ونحن نعلم أن المشركين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنُ إِنْسَانًا، وهم كاذبون في دعواهم، فلغة من يزعمون أنه يعلمه أعجمية، وهذا القرآن نزل بلسان عربي واضح ذي بلاغة عالية، فكيف يزعمون أنه تَلَقَّاهُ مِنْ أَعْجَمِي؟! ﴿١٣٣﴾

﴿١٣٤﴾ إن الذين لا يصدقون بآيات الله أنها من عنده سبحانه لا يوفقههم الله للهداية ما داموا مُصِرِّينَ عَلَى ذَلِكَ، ولهم عذاب موجه بسبب ما هم فيه من الكفر بالله، والتكذيب بآياته. ﴿١٣٥﴾

ليس محمد ﷺ كاذباً فيما جاء به من ربه، إنما يختلق الكذب الذين لا يصدقون بآيات الله؛ لأنهم لا يخافون عذاباً، ولا يرجون ثواباً، وأولئك المتصفون بالكفر هم الكاذبون؛ لأن الكذب عادتهم التي اعتادوا عليها. ﴿١٣٦﴾

﴿١٣٧﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ بِهِ فَلَهُ حَالَتَانِ: أَنْ يَكُونَ كُفْرُهُ يَقُولُ أَوْ فِعْلٌ أَجْبِرَ عَلَيْهِ، وَقَلْبُهُ ثَابِتٌ عَلَى إِيمَانِهِ، فَهَذَا مُؤْمِنٌ، وَالْحَالَةُ الثَّانِيَةُ أَنْ يَرْضَى بِالْكَفْرِ، وَيَطْمَئِنُّ بِهِ، فَهَذَا وَمَنْ شَاكَهُ مَرْتَدُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ﴿١٣٨﴾

﴿١٣٩﴾ ذَلِكَ الْارْتِدَادُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَثَرُوا مَا يَنَالُونَهُ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا مَكَافَأَةً لِكُفْرِهِمْ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُوَفِّقُ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ إِلَى الْإِيمَانِ، بَلْ يَخْذِلُهُمْ. ﴿١٤٠﴾

﴿١٤١﴾ أولئك المتصفون بالردة بعد الإيمان الذين ختم الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ، وعلى أسماعهم فلا يسمعونها سماعاً يُتَفَقَّعُ بِهِ، وعلى أبصارهم فلا يبصرون الآيات الدالة على الإيمان، وأولئك هم الغافلون عن أسباب السعادة والشقاء، وعما أعد الله لهم من العذاب. ﴿١٤٢﴾

﴿١٤٣﴾ حَقًّا إِنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ الَّذِي لَوْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَدْخَلُوا الْجَنَّةَ. ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَغَفُورٌ وَرَحِيمٌ بِالمُتَضَعِّفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَمَا عَذَّبَهُمُ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَقُلُوبُهُمْ مَطْمَئِنَّةٌ بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَصَبَرُوا عَلَى مُشَاقَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الَّتِي فُتِنُوا بِهَا، وَالتَّعْذِيبِ الَّذِي عَذَّبُوا بِهِ حَتَّى نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ؛ لَغَفُورٌ لَهُمْ، رَحِيمٌ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ مَا نَطَقُوا بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ إِلَّا مُكْرَهِينَ. ﴿١٤٤﴾

﴿١٤٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَكُنُ:

١ - الترخيص للمُشْتَكِرِهِ بِالنَّطْقِ بِالْكَفْرِ ظَاهِرًا مَعَ اطمئنان القلب بالإيمان.

٢ - جزاء المرتدين في الدنيا القتل.

٣ - المرتدون استوجبوا غضب الله وعذابه؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرّموا من هداية الله، وطبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلوا من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيامة.

٤ - كَتَبَ اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَهَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا، وَصَبَرُوا عَلَى الْجِهَادِ.

﴿١١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يأتي كل إنسان يُحَاجُّ عن نفسه، لا يُحَاجُّ عن غيرها لعظم الموقف، وتُوفَّى كل نفس جزاء ما عملت من خير وشر، وهم لا يُظلمون بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿١١٧﴾ وضرب الله مثلاً قرية - وهي مكة - كانت آمنة لا يخاف أهلها، مستقرة والناس من حولها يُتَخَفُّونَ، يجيئها رزقها هنيئاً سهلاً من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروه، فجازاهم الله بالجوع والخوف الشديد الظاهر على أجسامهم فزعاً وهزاً، حتى صاروا كاللباس لهم بسبب ما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿١١٨﴾ ولقد جاء أهل مكة رسول منهم يعرفونه بالأمانة والصدق، وهو محمد ﷺ، فكذبوه فيما أنزله عليه ربه، فنزل بهم عذاب الله بالجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك حين أشركوا بالله، وكذبوا رسوله.

﴿١١٩﴾ فكلوا - أيها العباد - مما رزقكم الله سبحانه ما كان حلالاً من جنس ما يُسْتَطَابُ أكله، واشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم بالإقرار بهذه النعم لله وصرفها في مرضاته، إن كنتم تعبدونه وحده ولا تشركون به.

﴿١٢٠﴾ حَرَّمَ الله عليكم من المأكولات ما مات دون ذكاة مما يُذَكَّى، والدم المَسْفُوح، والخنزير بجميع أجزائه، وما ذبحه ذابحه قرباناً لغير الله، وهذا التحريم إنما هو في حالة الاختيار، فمن ألجأته الضرورة إلى أكل المذكورات، فأكل منها غير راجب في المحرم لذاته، ولا متجاوز لحد الحاجة؛ فلا إثم عليه، فإن الله غفور، يغفر له ما أكل، رحيم به حين أباح له ذلك عند الضرورة.

﴿١٢١﴾ ولا تقولوا - أيها المشركون - لما تصفه ألسنتكم من الكذب على الله: هذا الشيء حلال، وهذا الشيء حرام؛ بقصد أن تخلقوا على الله الكذب بتحريم ما لم يحرم، أو تحليل ما لم يحلل، إن الذين يخلقون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوب، ولا ينجون من مرهوب.

﴿١٢٢﴾ لهم متاع قليل حقير باتباعهم أهواءهم في الدنيا، ولهم يوم القيامة عذاب موجه.

﴿١٢٣﴾ ولما ذكر الله ما حرمه من المأكولات على هذه الأمة ذكر ما حرمه على اليهود فقال:

﴿١٢٤﴾ وعلى اليهود خاصة حرماً ما قصصناه عليك (كما في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام)، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين ارتكبوا أسباب العقاب، فجزيناهاهم ببغيهم، فحرماً عليهم ذلك عقوبة لهم.

﴿١٢٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الله تعالى ما حرم علينا إلا الخبائث تفضلاً منه، وصيانة عن كل مُسْتَقْدَرٍ.
- ٢ - وجوب الإيمان بالله وبالرسل، وعبادة الله وحده، وشكره على نعمه وآلائه الكثيرة، وأن العذاب الإلهي لاحقٌ بكل من كفر بالله وعصاه، وجحد نعمة الله عليه.
- ٣ - الجزاء من جنس العمل؛ فإن أهل القرية لما بطروا النعمة بُدِّلُوا بنقيضها، وهو مَحَقُّهَا وَسَلْبُهَا، ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع، وفي الخوف والهلع بعد الأمن والاطمئنان، وفي قلة موارد العيش بعد الكفاية.

﴿١٦﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - للذين عملوا السيئات جهلاً بعبادتها وإن كانوا متعدين، ثم تابوا إلى الله بعد ما عملوا من سيئات، وأصلحوا أعمالهم التي فيها فساد، إن ربك من بعد التوبة لغفور لذنبهم، رحيم بهم.

ولما كان المشركون يزعمون أنهم على ملة إبراهيم رد الله عليهم دعواهم، فقال:

﴿١٣﴾ وكان شاكراً لنعم الله التي أنعم بها عليه،
اختاره الله للنبوّة، وهداه إلى دين الإسلام القويم.

﴿٣٣﴾ وأعطيناه في الدنيا النبوة والثناء الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أعد الله لهم الدرجات العلا من الجنة.

﴿٦﴾ ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع
ملة إبراهيم في التوحيد والبراءة من المشركين
والدعوة إلى الله والعمل بشريعته، **مائلًا عن**
جميع الأديان إلى دين الإسلام، وما كان من
المشركين قط كما يزعم المشركون، بل كان
موحَّدًا لله.

﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا جُعِلَ تَعْظِيمُ السَّبْتِ فَرْضًا عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ لِيَتَفَرَّغُوا فِيهِ مِنْ مَشَاغِلِهِمْ لِلْعِبَادَةِ بَعْدَ أَنْ ضَلُّوا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّذِي أَمَرُوا بِالتَّفَرُّغِ فِيهِ، وَإِنْ رَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -

ليحكم بين هؤلاء المختلفين يوم القيامة فيما كانوا
 (١٦) ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أنت ومن
 المشتمل على الترفع والترهب، وجادلهم بالطريقة
 عليك إياهم، إن ركب هو أعلم بمن ضل عن دين الله
 (١٧) وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما ف
 فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعا

﴿١٧﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون

﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ بَتْرُكِ الْمَعَاصِي ، وَالَّذِينَ هُمْ

❁ **فوائد من الآيات: ١ -** إباحة الحلال الطيب (الذي هو الحلال الطيب) وذلك يقتضي شكر النعمة. **٢ -** أصول ما يحرم لغير الله من الأصنام وغيرها. **٣ -** يباح للضرورة شيء من الأطعمة المحرمة. **٤ -** تحذير المؤمنين شرعي. **٥ -** اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباد أعمالهم، فيغفر الله لهم. **٦ -** يحسن بالمسلم هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، وزيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم ومن قُتل بحجر قُتل به، ولا يتعدى قدر الواجب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ٢
ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبْدًا شَكُورًا ٣
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوقًا كَبِيرًا ٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ شِدِيدِينَ فَجَاسُوا خَلْلَ الدِّيَارِ
وَكَانُوا وَعْدًا مَفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلْفَكْرَةً عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْخَرُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا نَبِيرًا ٧

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:
التركيز على كمال الرسالة المحمدية، وفيها
إشارات وإشارات للرسالة مضموناً ومستقبلاً.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ تنزه الله سبحانه عن كل ما لا يليق به، فهو
الذي ستر عبده محمداً ﷺ روحاً وجسداً يقظة
بجزء من الليل من المسجد الحرام إلى مسجد
بيت المقدس الذي باركنا حوله بالثمار والزرع
وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى بعض آياتنا الدالة
على قدرة الله سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى
عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه مُبْصَر.
﴿٢﴾ وأعطينا موسى ﷺ التوراة وجعلناها هادية
ومرشدة لبني إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا
تتخذوا من دوني وكيلاً تفوضون إليه أموركم،
بل توكلوا علي وحدي.

﴿٣﴾ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم بالنجاة مع
نوح ﷺ من الغرق في الطوفان، فتذكروا هذه
النعمة، واشكروا الله تعالى بعبادته وحده
وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه كان كثير
الشكر لله تعالى.

﴿٤﴾ وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم في التوراة
أنه لا بد أن يقع منهم فساد في الأرض بفعل
المعاصي والبطر مرتين، وليستغلن على الناس بالظلم والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء عليهم.

﴿٥﴾ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عباداً لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجالوا
بين ديارهم يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعاً لا محالة.

﴿٦﴾ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سُلطوا عليكم عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال
بعد نهيبها، وأولاداً بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعاً من أعدائكم.

﴿٧﴾ إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجئتم بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فالله غني
عن أعمالكم، وإن أسأتم أفعالكم فعاقبة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا
حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم ليخزوكم، ويجعلوا المساء ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من
صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من
البلاد تدميراً كاملاً.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - فضيلة المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

٣ - بيان فضيلة الشكر، والافتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين.

٤ - إن نفع الإحسان والاستقامة على الطاعة لله عائد للإنسان نفسه، وكذلك سوء الإساءة ومخالفة أوامر الله
مردود على الإنسان ذاته.

٥ - من حكمة الله وسنته أن يبعث على المفسدين من يمنهم من الفساد؛ لتحقيق حكمة الله في الإصلاح.

٦ - التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تتحول.

عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتم إليه، وأحسنت أعمالكم، وإن رجعتم إلى الفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعتنا إلى الانتقام منكم، وصبرنا جهنم للكافرين بالله محبساً يُحبسون فيه، لا يجدون منه مخلصاً.

١٤١ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن السبل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسره، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

١٤٢ ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

١٤٣ ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشرور، مثل دعائه نفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشر لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولاً على العجلة، ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

١٤٤ وخلقنا الليل والنهار علامتين دالتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلماً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضيئاً يبصر فيه الناس فيسعون لمعاشهم، رجاء أن تعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام

والساعات، وكل شيء بيناه تبييناً لتتيمز الأشياء، ويتضح المحق من المبطل.

١٤٥ وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للنعق، لا يتفصل عنه حتى يحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

١٤٦ ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتول حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك.

١٤٧ من اهتدى إلى الإيمان فثواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قوماً حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

١٤٨ وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فحق عليهم القول بالعذاب المستأصل، فأهلكناهم هلاك استئصال.

١٤٩ وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود، وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ﴾ ١ - من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره. ٢ - القرآن مشتمل على البشارة والنذارة وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة. ٣ - التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر. ٤ - اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته. ٥ - دورة الليل والنهار تعرفنا عدد السنوات والأشهر والأيام المتماثلة. ٦ - النهار وقت مناسب للعمل والحركة والتقلب في الأرض لكسب المعاش وتحصيل الأرزاق. ٧ - كل إنسان معلق بعمله، وعمله مختص به ولازم له، خيراً أو شراً. ٨ - تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

١٨ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقِي لها بالاً، عَجَلْنَا له فيها ما نشأه نحن لا ما يشأه هو من نعيم، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعاني حرها، مذموماً على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطروداً من رحمة الله.

١٩ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولاً عند الله، وسيجزيهم عليه.

٢٠ كلاً من هذين الفريقين - الفاجر والبرّ - نزيده من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعاً عن أحد، برّاً كان أو فاجراً.

٢١ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتاً في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلاً، فليحرص المؤمن عليها.

٢٢ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبوداً آخر تعبده، فتصير مذموماً عند الله، وعند عباده الصالحين، مخذولاً منه.

٢٣ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب أن لا يُعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة، فلا تتضرع منهما بالتفوّه بما يدل على ذلك،

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَوْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لِمِجْهَمٍ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ١٩ كَلَّا نُمَدِّدُ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ٢٢ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفِي وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَأَخْوِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧

عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتضرع منهما بالتفوّه بما يدل على ذلك، ولا تزجرهما ولا تغلظ عليهما في القول، وقل لهما قولاً كريماً فيه لين ولطف.

٢٨ وتواضع لهما ذلاً ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري. ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نيّاتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجّاعين إليه بالتوبة غفوراً، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

٢٩ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المنقطع في سفره، ولا تنفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

٣٠ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطيعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفوراً.

٣١ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليُثاب على ذلك.
٢ - اقتضت حكمة الله ورحمته أن يرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا، فلا يكون عطاؤه محبوساً ممنوعاً عن أحد.
٣ - إن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُستدل بها على رضا الله تعالى؛ لأن الدنيا قد تحصل مع أن عاقبتها المصير إلى عذاب الله.

٤ - الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما بشكره لعظيم فضلهما.

٥ - يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

﴿٢٨﴾ وَإِنْ أَمْنَعْتَ عَنْ إِعْطَاءِ هَؤُلَاءِ؛ لَعَدَمُ وَجُودِ مَا تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ مُنْتَظَرًا مَا يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقٍ، فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا لَيِّنًا سَهْلًا، مِثْلَ أَنْ تَدْعُو لَهُمْ بِسَعَةِ الرِّزْقِ، أَوْ تَعِدُهُمْ بِالْعَطَاءِ إِنْ رَزَقَكَ اللَّهُ مَا لَا. ﴿٢٩﴾ وَلَا تَمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ، فَتَصِيرَ مَلُومًا يُلُومُكَ النَّاسُ عَلَى بَخْلِكَ إِنْ أَمْسَكَتَ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، مُنْقَطِعًا عَنِ الْإِنْفَاقِ لِإِسْرَافِكَ، فَلَمْ تَجِدْ مَا تَفْقَهُ. ﴿٣٠﴾ إِنْ رَبِّكَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، فَيَصْرِفُ أَمْرَهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ.

﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا إِذَا أَنتَقَمْتُمْ عَلَيْهِمْ، نَحْنُ نَتَكْفَلُ بِرِزْقِهِمْ، وَنَتَكْفَلُ بِرِزْقِكُمْ أَنْتُمْ، إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ إِثْمًا كَبِيرًا؛ إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ وَلَا سَبَبَ يَسْتَوْجِبُ قَتْلَهُمْ.

﴿٣٢﴾ وَاحْذَرُوا الزَّوْنَا، وَتَجَنَّبُوا مَا يَشْجَعُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ مُتَنَاهِيًا فِي الْقُبْحِ، وَسَاءَ طَرِيقًا لِمَا يُوْدِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي عَصَمَ اللَّهُ دَمَهَا بِإِيْمَانٍ أَوْ بِأَمَانٍ إِلَّا إِنْ اسْتَحَقَّتِ الْقَتْلُ بِرَدَّةٍ، أَوْ بِزَنَّا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ بِقَصَاصٍ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا دُونَ سَبَبٍ يَبِيحُ قَتْلُهُ فَقَدْ جَعَلْنَا لِمَنْ يَلِي أَمْرَهُ مِنْ وَرَثَتِهِ تَسْلُطًا عَلَى قَاتِلِهِ، فَلَهُ أَنْ يَطَالِبَ بِقَتْلِهِ قَصَاصًا، وَلَهُ الْعَفْوُ دُونَ مِقَابِلٍ، وَلَهُ الْعَفْوُ وَأَخَذُ الدِّيَةِ، فَلَا يَسْرِفُ بِالْتَّمِثِ بِالْقَاتِلِ أَوْ بِقَتْلِهِ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ أَوْ بِقَتْلِ غَيْرِ الْقَاتِلِ، إِنَّهُ كَانَ مُؤَيَّدًا مَعَانًا.

﴿٣٤﴾ وَلَا تَصْرِفُوا فِي مَالٍ مِنْ مَاتَ وَالِدُهُ مِنَ الْأَطْفَالِ إِلَّا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُ مِنْ تَنْمِيَّتِهِ وَحِفْظِهِ حَتَّى يَبْلُغَ كِمَالَ عَقْلِهِ وَرُشْدِهِ، وَأَوْفُوا بِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَبِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ عَهْدٍ دُونَ نَقْضٍ أَوْ نَقْصٍ، إِنْ اللَّهُ يَسْأَلُ مُعْطِيَ الْعَهْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلْ وَفَى بِهِ فَيْثِيهِ أَوْ لَمْ يَفْ بِهِ فَيْعَاقِبِهِ.

﴿٣٥﴾ وَأَتَمُّوا الْكَيْلَ إِذَا كَلِمْتُ لَغَيْرِكُمْ وَلَا تَخْسِرُوهُ، وَزِنُوا بِالْمِيزَانِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَنْقُصُ شَيْئًا وَلَا يَبْخُسُهُ، ذَلِكَ الْإِيفَاءُ لِلْكَيْلِ وَالْوِزْنِ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً مِنَ التَّطْفِيفِ بِنَقْصِ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ.

﴿٣٦﴾ وَلَا تَتَّبِعْ - يَا ابْنَ آدَمَ - مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَتَّبِعَ الظُّنُونُ وَالْحَدْسُ، إِنْ الْإِنْسَانُ مَسْؤُولٌ عَمَّا اسْتَعْدَمَ فِيهِ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَفُؤَادُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيُثَابَ عَلَى الْخَيْرِ، وَيُعَاقَبُ عَلَى الشَّرِّ.

﴿٣٧﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ تَكْبَرًا وَاخْتِيَالًا، إِنَّكَ إِنْ تَمْشِ فِيهَا مُتَعَالِيًا لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِمَشْيِكَ، وَلَنْ تَصِلَ قَامَتَكَ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْجِبَالُ طَوْلًا وَارْتِفَاعًا، فَعَلَامُ التَّكْبَرِ إِذَا؟!

﴿٣٨﴾ كُلُّ مَا سَبَقَ ذِكْرَهُ كَانَ السَّيِّئُ مِنْهُ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مَنُوعًا، لَا يَرْضَى اللَّهُ عَنْ مَرْتَكِبِهِ، بَلْ يَبْغِضُهُ.

﴿٣٩﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الْأَدَبَ الرَّفِيعَ هُوَ رَدُّ ذَوِي الْقُرْبَى بِلُطْفٍ، وَوَعْدَهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا بِالصَّلَةِ عِنْدَ الْيَسْرِ، وَالْإِعْتَادَارِ إِلَيْهِمْ بِمَا هُوَ مَقْبُولٌ. ٢ - الْإِنْفَاقَ الْمَحْمُودَ هُوَ التَّوَسُّطُ وَالْإِعْتِدَالُ مِنْ غَيْرِ بَخْلٍ وَلَا إِسْرَافٍ. ٣ - اللَّهُ أَرْحَمُ بِالْأَوْلَادِ مِنَ وَالِدِهِمْ؛ فَهِيَ الْوَالِدِينَ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ وَتَكْفُلَ بِرِزْقِ الْجَمِيعِ. ٤ - النَّهْيُ عَنْ قُرْبَانِ الزَّوْنَا أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ مَجْرَدِ فَعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ مَقْدَمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ. ٥ - فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِي الْقَتْلِ لِلْوَلِيِّ، فَلَا يُقْتَصُّ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِنْ عَفَا سَقَطَ الْقَصَاصُ. ٦ - مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْيَتِيمِ أَنْ أَمَرَ أَوْلِيَائِهِ بِحِفْظِهِ وَحِفْظِ مَالِهِ وَإِصْلَاحِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشَدَّهُ. ٧ - ضَرُورَةُ الْعَدْلِ وَإِيفَاءِ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ بِالْقِسْطِ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ وَلَا نَقْصٍ، حَتَّى تَحُلَّ عَلَى الْعَبْدِ الْبَرَكَاتُ. ٨ - الْعَبْدُ مَسْؤُولٌ عَنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿٢٩﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا مَيْسُورًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا مَيْسُورًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا إِذَا أَنتَقَمْتُمْ عَلَيْهِمْ، نَحْنُ نَتَكْفَلُ بِرِزْقِهِمْ، وَنَتَكْفَلُ بِرِزْقِكُمْ أَنْتُمْ، إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَ إِثْمًا كَبِيرًا؛ إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ وَلَا سَبَبَ يَسْتَوْجِبُ قَتْلَهُمْ. ﴿٣٢﴾ وَاحْذَرُوا الزَّوْنَا، وَتَجَنَّبُوا مَا يَشْجَعُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ مُتَنَاهِيًا فِي الْقُبْحِ، وَسَاءَ طَرِيقًا لِمَا يُوْدِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي عَصَمَ اللَّهُ دَمَهَا بِإِيْمَانٍ أَوْ بِأَمَانٍ إِلَّا إِنْ اسْتَحَقَّتِ الْقَتْلُ بِرَدَّةٍ، أَوْ بِزَنَّا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ بِقَصَاصٍ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا دُونَ سَبَبٍ يَبِيحُ قَتْلُهُ فَقَدْ جَعَلْنَا لِمَنْ يَلِي أَمْرَهُ مِنْ وَرَثَتِهِ تَسْلُطًا عَلَى قَاتِلِهِ، فَلَهُ أَنْ يَطَالِبَ بِقَتْلِهِ قَصَاصًا، وَلَهُ الْعَفْوُ دُونَ مِقَابِلٍ، وَلَهُ الْعَفْوُ وَأَخَذُ الدِّيَةِ، فَلَا يَسْرِفُ بِالْتَّمِثِ بِالْقَاتِلِ أَوْ بِقَتْلِهِ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ أَوْ بِقَتْلِ غَيْرِ الْقَاتِلِ، إِنَّهُ كَانَ مُؤَيَّدًا مَعَانًا. ﴿٣٤﴾ وَلَا تَصْرِفُوا فِي مَالٍ مِنْ مَاتَ وَالِدُهُ مِنَ الْأَطْفَالِ إِلَّا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُ مِنْ تَنْمِيَّتِهِ وَحِفْظِهِ حَتَّى يَبْلُغَ كِمَالَ عَقْلِهِ وَرُشْدِهِ، وَأَوْفُوا بِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَبِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ عَهْدٍ دُونَ نَقْضٍ أَوْ نَقْصٍ، إِنْ اللَّهُ يَسْأَلُ مُعْطِيَ الْعَهْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلْ وَفَى بِهِ فَيْثِيهِ أَوْ لَمْ يَفْ بِهِ فَيْعَاقِبِهِ. ﴿٣٥﴾ وَأَتَمُّوا الْكَيْلَ إِذَا كَلِمْتُ لَغَيْرِكُمْ وَلَا تَخْسِرُوهُ، وَزِنُوا بِالْمِيزَانِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَنْقُصُ شَيْئًا وَلَا يَبْخُسُهُ، ذَلِكَ الْإِيفَاءُ لِلْكَيْلِ وَالْوِزْنِ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً مِنَ التَّطْفِيفِ بِنَقْصِ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ. ﴿٣٦﴾ وَلَا تَتَّبِعْ - يَا ابْنَ آدَمَ - مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَتَّبِعَ الظُّنُونُ وَالْحَدْسُ، إِنْ الْإِنْسَانُ مَسْؤُولٌ عَمَّا اسْتَعْدَمَ فِيهِ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَفُؤَادُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيُثَابَ عَلَى الْخَيْرِ، وَيُعَاقَبُ عَلَى الشَّرِّ. ﴿٣٧﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ تَكْبَرًا وَاخْتِيَالًا، إِنَّكَ إِنْ تَمْشِ فِيهَا مُتَعَالِيًا لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِمَشْيِكَ، وَلَنْ تَصِلَ قَامَتَكَ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْجِبَالُ طَوْلًا وَارْتِفَاعًا، فَعَلَامُ التَّكْبَرِ إِذَا؟! ﴿٣٨﴾ كُلُّ مَا سَبَقَ ذِكْرَهُ كَانَ السَّيِّئُ مِنْهُ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مَنُوعًا، لَا يَرْضَى اللَّهُ عَنْ مَرْتَكِبِهِ، بَلْ يَبْغِضُهُ. ﴿٣٩﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الْأَدَبَ الرَّفِيعَ هُوَ رَدُّ ذَوِي الْقُرْبَى بِلُطْفٍ، وَوَعْدَهُمْ وَعْدًا جَمِيلًا بِالصَّلَةِ عِنْدَ الْيَسْرِ، وَالْإِعْتَادَارِ إِلَيْهِمْ بِمَا هُوَ مَقْبُولٌ. ٢ - الْإِنْفَاقَ الْمَحْمُودَ هُوَ التَّوَسُّطُ وَالْإِعْتِدَالُ مِنْ غَيْرِ بَخْلٍ وَلَا إِسْرَافٍ. ٣ - اللَّهُ أَرْحَمُ بِالْأَوْلَادِ مِنَ وَالِدِهِمْ؛ فَهِيَ الْوَالِدِينَ أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَهُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ وَتَكْفُلَ بِرِزْقِ الْجَمِيعِ. ٤ - النَّهْيُ عَنْ قُرْبَانِ الزَّوْنَا أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ مَجْرَدِ فَعْلِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَشْمَلُ النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ مَقْدَمَاتِهِ وَدَوَاعِيهِ. ٥ - فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِي الْقَتْلِ لِلْوَلِيِّ، فَلَا يُقْتَصُّ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِنْ عَفَا سَقَطَ الْقَصَاصُ. ٦ - مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْيَتِيمِ أَنْ أَمَرَ أَوْلِيَائِهِ بِحِفْظِهِ وَحِفْظِ مَالِهِ وَإِصْلَاحِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشَدَّهُ. ٧ - ضَرُورَةُ الْعَدْلِ وَإِيفَاءِ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ بِالْقِسْطِ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ وَلَا نَقْصٍ، حَتَّى تَحُلَّ عَلَى الْعَبْدِ الْبَرَكَاتُ. ٨ - الْعَبْدُ مَسْؤُولٌ عَنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ.

٣٩ ذلك الذي وضحناء من الأوامر والنواهي والأحكام مما أوحاه إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبوداً آخر، فترمى في جهنم يوم القيامة ملوماً تلومك نفسك ويلومك الناس، مطروداً عن كل خير.

٤٠ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأختصكم ربكم - أيها المشركون - بالذكور من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولاً بالغ القبح حيث تنسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعاناً في الكفر به.

٤١ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواعظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتروكوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعداً عن الحق وكراهية له.

٤٢ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذباً إذا طلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقاً لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

٤٣ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علواً كبيراً.

٤٤ تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارناً تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم،

فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح بلسانكم، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً لمن تاب إليه.

٤٥ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواعظ جعلنا بينك وبين الذين لا يصدقون يوم القيامة حجاباً ساتراً يمنعهم من فهم القرآن عقاباً لهم على إعراضهم.

٤٦ وصيرنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفهموا القرآن، وصيرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله.

٤٧ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تتبعون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحوراً اختلط عقله.

٤٨ تأمل - أيها الرسول - لتعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنحرفوا عن الحق، وচারوا فلم يهتدوا إلى طريق الحق.

٤٩ وقال المشركون إنكاراً للبعث: إذا متنا وصرنا عظاماً، ولبيت أجسامنا، أنبعثبعثاً جديداً؟ إن هذا لمستحيل.

٥٠ فإلزمنا الآيات: ١ - الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. ٢ - أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفوراً؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. ٣ - ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح. ٤ - من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه. ٥ - المشركون منكرون وقوع البعث والمعاد. ٦ - يُقدّر الناس بعد البعث أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا زمناً قليلاً؛ لطول لبثهم في الآخرة. ٧ - من يتعجب من إعادة الحياة للعظام البالية والزفات الفاني، فلقصور إدراكه، وضعف قدراته، ونقص قواه العقلية.

﴿٥٦﴾ قل لهم - أيها الرسول -: كونوا - أيها المشركون - إن استطعتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥٧﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله معيذكم كما بدأكم، ومحبيكم كما خلقكم أول مرة، فسيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا، قل لهم: يعيدكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون رؤوسهم ساخرين من ردك عليهم، ويقولون مستعدين: متى هذه الإعادة؟ قل لهم: لعلها قرية، فكل ما هو آت قريب.

﴿٥٨﴾ يعيدكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكثتم في البرزخ إلا زمناً قليلاً. ﴿٥٩﴾ وقل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويحتشوا الكلمة السيئة المنفردة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدواً واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٦٠﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم عذابكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم

وكيلاً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه. ﴿٦١﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكل من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثرة الأتباع ولبازال الكتب، وأعطينا داود كتاباً هو الزبور. ﴿٦٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضرر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزاً لا يكون إلهاً. ﴿٦٣﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٦٤﴾ وما من قرية أو مدينة إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلوا بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاءً إلهياً مكتوباً في اللوح المحفوظ.

﴿فَوَارِ لَمِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - لا يسع البشر حين دعوتهم بالخروج من قبورهم إلا الامتثال والطاعة والانقياد، وذلك يحصل بلحظة سريعة جداً.
- ٢ - القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.
- ٣ - فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.
- ٤ - الله لا يريد عباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.
- ٥ - علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.
- ٦ - لا يملك أحد غير الله ﷻ كشف الضر من فقر أو مرض أو بلاء أو غيره.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَلَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَنْ رُسِلَ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخَوَّفَ ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ بَيْنَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتُ عَلَىٰ لَيْنٍ آخَرَتِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ٦٣ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ
مِنْهُمْ بَصُوتَكَ وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكِ وَرِجَالِكَ وَشَارِكِهِمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
عُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْأَنْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

٥٩ وما تركنا إنزال المعجزات الحسية التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود الناقة عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالمعجزات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلهم يسلمون.

٦٠ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أم يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكور في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين فلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتماديًا في الضلال.

٦١ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟! فأنأ أشرف منه.

٦٢ قال إبليس لربه: أرايت هذا المخلوق الذي كرّمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

٦٣ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم. ٦٤ واستخف من استطعت أن تستخفه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصيخ عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

٦٥ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلط؛ لأن الله يدفع عنهم شرّك، وكفى بالله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

٦٦ ربكم - أيها الناس - هو الذي يُسَيِّر لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا حيث يسر لكم هذه الوسائل.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.

٢ - ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.

٣ - من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

﴿٦٧﴾ وَإِذَا أَصَابَكُمْ - أيها المشركون - بلاء ومكروه في البحر حتى خشيتم الهلاك غاب عن خاطركم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرت في البر أعرضتم عن توحيدِه ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان جحودًا لنعم الله.

﴿٦٨﴾ أَفَأَمْنَم - أيها المشركون - حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أم أمنت أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا حافظًا يحفظكم، ولا ناصرًا يمنعكم من الهلاك.

﴿٦٩﴾ أم أمنت أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحًا شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولًا، ثم لا تجدوا لكم مطالبًا يطالبنا بما فعلنا بكم انتصارًا لكم.

﴿٧٠﴾ ولقد كرمتنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك، وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والمراكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ورزقناهم من طيات المأكَل والمشارب والمناحك وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلًا عظيمًا، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

﴿٧١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطى كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئًا، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

﴿٧٢﴾ ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

﴿٧٣﴾ ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتخلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيبًا.

﴿٧٤﴾ ولولا أن منّا عليك بالثبوت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

﴿٧٥﴾ ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصبناك بعداب مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيرًا يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

﴿٧٦﴾ فَوَلِّهِمُ الْآيَاتِ:

١ - الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.

٢ - كل أمة تُدعى إلى دينها وكتابتها، هل عملت به أم لا؟ والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

٣ - أهل الخير يعطون كتبهم بإيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وإن أهل الشر بعكس ذلك.

٤ - عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة بسبب الحق الذي يحملونه، وليس لذواتهم.

٥ - الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهداه الصراط المستقيم، ولورثته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

﴿٦٦﴾ ولقد أوشك الكفار أن يزعجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً. ﴿٦٧﴾ ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمناً يسيراً سنة الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجه قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

﴿٦٨﴾ أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿٦٩﴾ ومن الليل قم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحريراً أن يبعثك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمد الأولون والآخرين.

﴿٧٠﴾ وقل - أيها الرسول - رب، اجعل مداخلتي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرنى بها على عدوي.

﴿٧١﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتَلَاشٍ لا يثبت أمام الحق.

﴿٧٢﴾ ونزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغیظهم، ويزيدهم تكديراً وإعراضاً عنه.

﴿٧٣﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

﴿٧٤﴾ قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

﴿٧٥﴾ ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: الروح من أمر ربي، وما أعطيتم أتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه.

﴿٧٦﴾ والله لو شئنا لذهب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبن به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى رده.

﴿٧٧﴾ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُحَوَّلُونَ وَلَا تُبَدَّلُ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ أَنْ كُلَّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ رَسُولَهَا وَأَخْرَجَتْهُ عَاجِلُهَا** الله بالعقوبة. ٢ - في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يشته على الإيمان. ٣ - عند ظهور الحق يَضْمَحِلُّ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. ٤ - الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والمقاصد السيئة. ٥ - في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

﴿٨٧﴾ لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظًا، إن فضل ربك كان عليك عظيمًا حيث جعلك رسولًا، وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن.

ولما كان المشركون يتذرعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحذاهم الله بالإتيان بمثله، فقال:

﴿٨٨﴾ قل - أيها الرسول -: لئن اجتمع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمته، وجزالتها، لن يأتوا به أبدًا ولو كان بعضهم لبعض معينًا ونصيرًا.

﴿٨٩﴾ ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ونوعنا فيه من كل ما يُعتبر به من المواعظ والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحودًا وإنكارًا لهذا القرآن.

ولما عجزوا بدأوا يقدمون مقترحات للتعجيز، فاقترحوا ما يلي:

﴿٩٠﴾ وقال المشركون: لن نصدق بك حتى تُخرج لنا من أرض مكة عينا جارية لا تضب.

﴿٩١﴾ أو يكون لك بستان كثير الأشجار، فتجري فيه الأنهار بغزارة.

﴿٩٢﴾ أو تُسقط علينا السماء - كما ذكرت - قطعًا من العذاب، أو تجيء بالله والملائكة عيانًا حتى يشهدوا لك بصحة ما تدعيه.

﴿٩٣﴾ أو يكون لك بيت مُزخرف بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نصدق بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله. قل لهم - أيها الرسول -: سبحان ربي، هل كنت إلا بشرًا رسولًا كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحتموه؟! ﴿٩٤﴾ وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكروا: أبعث الله إلينا رسولًا من البشر؟! ﴿٩٥﴾ - قل أيها الرسول - ردًا عليهم: لو كان على الأرض ملائكة يسكنونها ويسرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولًا ملكًا من جنسهم؛ لأنه الذي يستطيع أن يفهمهم ما أُرسل به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولًا من جنس البشر، وكذلك حالكم أتم.

﴿٩٦﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿٩٧﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿٩٨﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿٩٩﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿١٠٠﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿١٠١﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿١٠٢﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿١٠٣﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عباده محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿٨٧﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ

لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ

صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ

إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ

الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْ يَدِ

فَفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ

لِرَفِيقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ

كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ

الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا

فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ

مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ

شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

﴿٩٧﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿٩٨﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿٩٩﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿١٠٠﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿١٠١﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿١٠٢﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿١٠٣﴾ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرْسِلَ بِهِ فَإِنْ أَبَى

بَعْضُ النَّاسِ فَمَا بَالُ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُ إِذَا هُمْ كَانُوا مِنْكُمْ

﴿١٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلُمْ أَوْلِيَاءُ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عَمِيقًا وَيُكَا وَصَمًا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا حَبَتِ رِدْنُهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِإِيعَانِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَوِ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذَا جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿٢١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَلْفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿٢٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٢٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جُنَّابِكُمْ لَقِيفًا ﴿٢٤﴾

﴿١٧﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، ويقولهم استبعادًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتة أُنِيعت بعد ذلك خلقًا جديدًا؟

ولما ذكروا ما يتشبثون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿١٨﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على عظمهما قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محدودًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلاً لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد، ومن طبع الإنسان أنه يخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿٢٠﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك المعجزات، فقال له فرعون: إني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

﴿٢١﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت - يا فرعون - ما أنزل هذه المعجزات إلا الله رب السماوات والأرض، أنزلهن دلائل على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإني لأعلم أنك - يا فرعون هالك خاسر.

﴿٢٢﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالغرق.

﴿٢٣﴾ وقلنا من بعد إهلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة أتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله ويخذله فلا هادي له.

٢ - مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارًا تلتهب.

٣ - وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.

٤ - الطغاة والمُستبدون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

﴿١٥﴾ وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً أهل التقوى بالجنة، ومخوفاً أهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٦﴾ وأنزلناه قرآناً فصلناه، وبيّناه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسل في التلاوة؛ لأنه أدعى للفهم والتدبر، ونزلناه منجماً مفزحاً حسب الحوادث والأحوال.

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول -: آمنوا به، فلا يزيد إيمانكم شيئاً، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كفركم شيئاً، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكراً.

﴿١٨﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

﴿١٩﴾ ويقعون على وجوههم ساجدين لله بكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشية له.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله - سبحانه - الأسماء الحسنى، وهذان منها فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسرّ بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقاً وسطاً بين الأمرين.

﴿٢١﴾ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله المستحق لأنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن ينصره ويعزّزه، وعظمته تعظيماً كثيراً، فلا تنسب له ولداً ولا شريكاً في الملك ولا مناصراً معيناً.

سُورَةُ الْكَهْفِ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

التركيز على منهج التعامل مع الفتن وتمييز القيم الصحيحة فيها، وضرب النماذج لذلك.

﴿١﴾ الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعم الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن أعوجاجاً وميلاً عن الحق. ﴿٢﴾ بل جعله مستقيماً لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظرهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بما يسرهم من أن لهم ثواباً حسناً لا يدانيه ثواب. ﴿٣﴾ خالدين في هذا الثواب أبداً، فلا ينقطع عنهم. ﴿٤﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

﴿٥﴾ فَوَائِدُ الْآيَاتِ: ١ - أنزل الله القرآن متضمناً الحق والعدل والشرعة والحكم الأمثل. ٢ - جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. ٣ - الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. ٤ - القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

⑤ ليس لهؤلاء المفترين من علم على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

⑥ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

⑦ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنتخبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزى كلًا بما يستحقه.

⑧ وإنا لمصبرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراباً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

⑨ لا تظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كُتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

⑩ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تغفر ذنوبنا، وتنجيننا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار، والإيمان اهتداءً إلى طريق الحق وسداداً.

⑪ ثم بعد سيرهم ولجوئهم إلى الكهف ضربنا على آذانهم حجاباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

⑫ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم علم ظهور؛ أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

⑬ نحن نطلعك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مرية معه، إنهم شبان صدقوا ربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتبتيلاً على الحق.

⑭ وقوينا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمنا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا إن عبدنا غيره قولاً جائراً بعيداً عن الحق.

⑮ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

⑯ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف. ٢ - في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. ٣ - في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. ٤ - ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أزكى قلوباً، وأنقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم. ٥ - جمع الشباب بين الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية والتزام ذلك، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم.

﴿١٦﴾ وَحِينَ تَنْخَيْتُمْ عَنْ قَوْمِكُمْ، وَتَرْكَبُوا مَعَهُ، فَلَمْ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَالْجُؤُا إِلَى الْكَهْفِ فَرَارًا بِدِينِكُمْ يُبْسَطْ لَكُمْ رِبِكُمْ سَبْحَانَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا يَحْفَظُكُمْ بِهِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَيَحْكُمُكُمْ، وَيُسِّرْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْعَيْشِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ مِمَّا يَعُوضُكُمْ عَنِ الْعَيْشِ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِكُمْ.

﴿١٧﴾ فَامْتَثِلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ، وَأَلْقَى اللَّهُ النُّومَ عَلَيْهِمْ، وَحَفَظَهُمْ مِنْ عَدُوهِمْ، وَتَرَى - أَيُّهَا الْمَشَاهِدُ لَهُمْ - الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَشْرِقِهَا تَمِيلُ عَنْ كَهْفِهِمْ جِهَةً يَمِينِ الدَّخَلِ فِيهِ، وَإِذَا غَابَتْ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَعْدِلُ عَنْهُ جِهَةً شِمَالَهُ فَلَا تَصِيبُهُ، فَهَمْ فِي ظِلِّ دَائِمٍ لَا يُوْذِيهِمْ حَرُّ الشَّمْسِ، وَهَمْ فِي مُتَسِّعٍ مِنَ الْكَهْفِ يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، ذَلِكَ الْحَاصِلُ لَهُمْ مِنْ إِيْوَانِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ، وَالْقَاءِ النَّوْمِ عَلَيْهِمْ، وَانْحِرَافِ الشَّمْسِ عَنْهُمْ، وَاتِّسَاعِ مَكَانِهِمْ وَانْجَائِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنْ عَجَائِبِ صَنِعِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ، مِنْ يَوْفَقِهِ اللَّهُ لَطَرِيقِ الْهَدَايَةِ فَهُوَ الْمَهْتَدِي حَقًّا، وَمَنْ يَخْذُلُهُ عَنْهَا وَيَضِلُّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَاصِرًا يَوْفِقُهُ لِلْهَدَايَةِ، وَيُرْشِدُهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْهَدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ بِيَدِهِ هُوَ.

﴿١٨﴾ وَتَنْظُرُهُمْ - أَيُّهَا النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ - مُسْتَيْقِظِينَ لَانْفِتَاحِ أَعْيُنِهِمْ، وَالْوَاقِعِ أَنَّهُمْ نِيَامٌ، وَنَقْلُهُمْ فِي نَوْمِهِمْ تَارَةً يَمِينًا، وَتَارَةً شِمَالًا حَتَّى لَا تَأْكُلِ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ، وَكُلْبُهُمُ الْمُرَافِقُ لَهُمْ مَا ذُرَاعِيهِ بِمَدْخَلِ الْكَهْفِ، لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَشَاهَدَتْهُمْ لَأَدْبَرَتْ عَنْهُمْ هَارِبًا خَوْفًا مِنْهُمْ، وَلَا تَمَاتَلَتْ نَفْسُكَ رَعْبًا مِنْهُمْ.

﴿١٩﴾ وَكَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ مِمَّا ذَكَرْنَا مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِنَا أَتَقَنُّنَاهُمْ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لِيَسْأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْمَدَّةِ الَّتِي مَكَّنُوها نَائِمِينَ، فَأَجَابَ بَعْضُهُمْ: مَكَّنَّا نَائِمِينَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَأَجَابَ بَعْضُ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَظْهَرْ لَهُ مَدَّةٌ مَكَّنْتُهُمْ نَائِمِينَ: رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَدَّةِ مَكَّنْتُمْ نَائِمِينَ، فَفَوَّضُوا إِلَيْهِ عِلْمَ ذَلِكَ وَانْشَغَلُوا بِمَا يَعْنِيكُمْ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَكُمْ بِنَقُودِكُمْ الْفُضِيَّةِ هَذِهِ إِلَى مَدِينَتِنَا الْمَعْهُودَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّ أَهْلِهَا أَطِيبُ طَعَامًا وَأَطِيبُ مَكْسَبًا، وَلْيَتَنَا فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ وَمُعَامَلَتِهِ، وَلِيَكُنْ لِبَقَا، وَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَعْلَمُ بِمَكَانِكُمْ؛ لِمَا يَتَرَبَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ضَرَرٍ عَظِيمٍ.

﴿٢٠﴾ إِنْ قَوْمُكُمْ إِنْ يَطْلَعُوا عَلَيْكُمْ وَيَعْلَمُوا بِمَكَانِكُمْ يَقْتُلُوكُمْ بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ، أَوْ يَرْجِعُوكُمْ إِلَى مِلَّتِهِمُ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْهَدَايَةِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا فَلَنْ تَفُوزُوا أَبَدًا، لَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، بَلْ سَتُخْسِرُونَ فِيهِمَا الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ بِسَبَبِ تَرْكِكُمْ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي هَدَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَرَجُوعِكُمْ إِلَى تِلْكَ الْمِلَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ.

﴿٢١﴾ فَوَارِزُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ أَنْ قَلْبَهُمْ عَلَى جَنُوبِهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا بِقَدْرِ مَا لَا تَفْسُدُ الْأَرْضُ أَجْسَادَهُمْ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.
- ٢ - جَوَازُ اتِّخَاذِ الْكِلَابِ لِلْحَاجَةِ وَالصِّيدِ وَالْحِرَاسَةِ.
- ٣ - انْتِفَاعُ الْإِنْسَانِ بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ وَمُخَالَطَةِ الصَّالِحِينَ حَتَّى لَوْ كَانَ أَقَلُّ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً، فَقَدْ حَفِظَ ذِكْرَ الْكَلْبِ لِأَنَّهُ صَاحِبُ أَهْلِ الْفَضْلِ.
- ٤ - دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْوَكَالَةِ، وَعَلَى حَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّلَطُّفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.

﴿١٨﴾ وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنامتهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبإلغاث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُطَّلِعُونَ عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لننتخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

﴿١٩﴾ سيقول بعض الخاضعين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالته تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جдалاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على من نزل عليك وحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

﴿٢٠﴾ ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

﴿٢١﴾ إلا أن تعلق فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها -، وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

﴿٢٢﴾ ومكث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين.

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السماوات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمع! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

ولما بين أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال:

﴿٢٤﴾ واقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته؛ لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به سواه.

﴿٢٥﴾ فإذن من الآيات:

١ - اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.

٢ - في القصة إقامة الحجّة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.

٣ - دلت الآيات على أن المرء والجدال المحمود المتصف بالتي هي أحسن.

٤ - السنّة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

﴿٢٨﴾ لازم وقرب الفقراء من أصحابك الذين يدعون ربهم دعاء عبادة ودعاء مسألة أول النهار وآخره، مخلصين له، لا تتجاوز عينك عنهم، تريد مجالسة أهل الغنى والشرف، ولا تطع من صبرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بختنا عليه، فأمرك بتنحية الفقراء عن مجلسك، وقدم اتباع ما تهواه نفسه على طاعة ربه، وكانت أعماله وأفعاله سفهاً وتفريطاً وضياًعاً.

﴿٢٩﴾ وقال - أيها الرسول -: لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لغفلة قلوبهم: ما جئتمكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرد المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيسر بجزائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر ناراً عظيمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فراراً منها، وإن يطلبوا غوثاً بماء من شدة ما يلاقون من العطش يغاثوا بماء كالزيت العكبر شديد الحرارة، يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شرباً هذا الشراب الذي يغاثون به، فهو لا يغني من عطش بل يزيده، ولا يطفئ اللهب الذي يلفح جلودهم، وساءت النار منزلاً ينزلونه، ومقاماً يقيمون فيه.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

وَأَصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَرْقٍ وَمُتْكَيْنَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ يَنْتَعِشْنَ أَرْحَامُهُمَا وَلَهُمَا لَمَعَةٌ تَظْلِمُ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُمَا شَعْرٌ فَسَقَا لَصَحْبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَأَى كُتِرَ مِنْكَ مَا لَا وَعَزَّنَا فَنَفَرًا ﴿٣٤﴾

﴿٣٠﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات قد أحسنوا عملهم فلمهم ثواب عظيم، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

﴿٣١﴾ أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزنون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير وغلظه، يتكئون على الأسرة المزيّنة بالستائر الجميلة، حسن الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

﴿٣٢﴾ واضرب - أيها الرسول - مثلاً لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين، وأحطنا الحديقتين بنخل، وأثبتنا في الفارغ من مساحتها زروعاً.

﴿٣٣﴾ فأثمرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافيّاً كاملاً، وأجرنا بينهما نهراً لسقيهما بيسر.

﴿٣٤﴾ وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مُعْتَرَاً: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك جانباً، وأقوى عشيرة.

﴿٣٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى. ٢ - الإسلام دين المساواة، فلا فرق في نظامه بين شريف ووضيع، وغني وفقير، ورئيس ومرؤوس. ٣ - قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿٣٥﴾ ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالعُجْب، قال الكافر: ما أظن أن تقني هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٣٦﴾ وما أظن أن القيامة قائمة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بُعثت وأُرْجِفت إلى ربي لأجدن بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديقتي هذه، فكوني غنياً في الدنيا يقتضي أن أكون غنياً بعد البعث.

﴿٣٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجع الكلام: أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من ميني، ثم صيرك إنساناً ذكراً، وعدل أعضائك وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٣٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحداً في العبادة.

﴿٣٩﴾ ليتك حين دخلت حديقتك قلت: ما شاء الله، لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، إن ترني أفقر منك وأقل أولاداً.

﴿٤٠﴾ فأنا أتوقع أن يعطيني الله خيراً من حديقتك، وأن يبعث على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح حديقتك أرضاً لا نبات فيها تنزل فيها الأقدام لملوستها.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكَ سَاءَ مَا أَنْشُرَكَ بِرَبِّ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَنُؤَلِّقَهُ آدَمًا ﴿٣٩﴾ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٠﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ

جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤١﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٢﴾ وَأُحِيطْ بِشَرِّهِ فَيَصْبِحَ يَقْلُوبُ كَيْفَهُ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَنْشُرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَبْصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٤﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٥﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٦﴾

أَوْ يَذْهَبَ مَاؤُهَا غَائِرًا فِي الْأَرْضِ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها.

﴿٤٧﴾ وَتَحَقَّقْ مَا تَوَقَّعَهُ الْمُؤْمِنُ، فأحاط الهلاك بشار حديقة الكافر، فأصبح الكافر يقبل كفيه من شدة الحسرة والندم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائهما التي تُمدد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحداً في العبادة.

﴿٤٨﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو ممتنعاً من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤٩﴾ في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خير ثواباً لأولياه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب، وخير عاقبة لهم.

﴿٥٠﴾ وأضرب - أيها الرسول - للمُعْتَرِّين بالدنيا مثلاً، فمثلها في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وأُتِنِعَ، فأصبح هذا النبات متكسراً متفتتاً، تحمل الرياح أجزائه إلى نواح أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدرًا، وفيه ما شاء.

﴿٥١﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ: ١ - على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديته، وشكر نعمه وأفضاله عليه. ٢ - ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى مولئها ومُسْئِديها بأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. ٣ - إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا. ٤ - جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه. ٥ - ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجورهم. ٦ - المال والولد لا ينفعان إن لم يعينا على طاعة الله. ٧ - سرعة زوال الدنيا وفنائها، والله وحده هو الباقي المقتدر على كل شيء من الإنشاء والإفناء والإحياء.

﴿٤٦﴾ المال والأولاد مما يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا، ولا نفع للمال في الآخرة إلا إن أنفق فيما يرضي الله، والأعمال والأقوال المرضية عند الله خير ثواباً من كل ما في الدنيا من زينة، وهي خير ما يؤمله الإنسان؛ لأن زينة الدنيا فانية وثواب الأعمال والأقوال المرضية عند الله باق.

﴿٤٧﴾ واذكر يوم نزيل الجبال من مواطنها، وترى الأرض ظاهرة لزوال ما عليها من جبال وشجر وبناء، وجمعنا جميع المخلوقات، فلم نترك منهم أحداً إلا بعثناه.

﴿٤٨﴾ وعرض الناس على ربك صفوفًا فيحاسبهم، ويقال لهم: لقد جئتمونا فرادى حفاة عراة غرلاً كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أنكم لن تبعثوا، وأنا لن نجعل لكم زماناً ومكاناً نجازيكم فيه على أعمالكم.

﴿٤٩﴾ ووضِع كتاب الأعمال، فَمِنْ أَحْزَى كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْ أَحْزَى إِيَّاهُ بِشِمَالِهِ، وَتَرَى - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - الْكَافِرِينَ خَائِفِينَ مِمَّا فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَا قَدِمُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَيَقُولُونَ: يَا هَلَاكُنَا وَمَصِيبَتُنَا! مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرِكُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنْ أَعْمَالِنَا إِلَّا حَفَظَهَا وَعَدَّهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي مَكْتُوبًا مُبْتِئًا، وَلَا يَظْلِمُ رِبْكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - أَحَدًا، فَلَا يَعاْقِبُ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَلَا يَنْقُصُ الْمُطِيعُ مِنْ أَجْرِ طَاعَتِهِ شَيْئًا.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ تُسْرى الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿٥٠﴾ واذكر - أَيُّهَا الرُّسُولُ - إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: اسْجُدُوا لِآدَمَ سَجُودَ تَحِيَّةٍ، فَسَجَدُوا كُلُّهُمْ لَهُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ عَنِ السَّجُودِ، فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ وَأَوْلَادُهُ أَوْلِيَاءَ تَوَلَّوْنَهُمْ مِنْ دُونِي وَهُمْ أَعْدَاءُ لَكُمْ، فَكَيْفَ تَتَّخِذُونَ أَعْدَاءَكُمْ أَوْلِيَاءَ لَكُمْ؟ بئسَ وقبح صنيع الظالمين الذين جعلوا الشيطان ولياً لهم بدلاً من موالاته الله تعالى.

﴿٥١﴾ هؤلاء الذين اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي هُمُ عِبِيدُ امْتِثَالِكُمْ، مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَلَا خَلْقَ الْأَرْضِ حِينَ خَلَقْتَهُمَا، بَلْ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ، وَمَا أَشْهَدْتُ بَعْضَهُمْ خَلْقَ بَعْضٍ، فَأَنَا الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَعْوَانًا، فَأَنَا غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْوَانِ.

﴿٥٢﴾ واذكر لهم - أَيُّهَا الرُّسُولُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا: ادْعُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ لِي لَعَلَّهُمْ يَنْصُرُونَكُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعَائِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ، وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ مَهْلَكًا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَهُوَ نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿٥٣﴾ وعاین المشركون النار، فأيقنوا تمام اليقين أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا عنها مكاناً ينصرفون إليه.

﴿٥٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

- ١ - على العبد الإكثار من الباقيات الصالحات، وهي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.
- ٢ - على العبد تذكر أهوال القيامة، والعمل لهذا اليوم حتى ينجو من أهواله، وينعم بجنة الله ورضوانه.
- ٣ - كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَانَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ بِأَجْمَعِهِ بِأَمْرِهِ الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ فِي بَدْءِ الْخَلِيقَةِ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.
- ٤ - في الآيات الحث على اتخاذ الشيطان عدواً.

﴿٤٦﴾ ولقد بينّا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويتعظروا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق.

﴿٤٧﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نقص البيان، فقد ضُربت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعنت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاناة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٤٨﴾ وما نبعث من نبعث من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، ويخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصبروا القرآن وما خُوفوا به أضحوكة وسخرية.

﴿٤٩﴾ ولا أحد أشد ظلمًا ممن دُكر بآيات ربه، فلم يعبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاعتاظ بها، ونسي ما قدّم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم غُطية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم صمًا عنه، فلا يسمعون سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبداً ما دامت

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا ﴿٤٦﴾ وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ أَتَاهُدى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٤٧﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا نُذِرُوا هُزُوًا ﴿٤٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٤٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَنَّمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقِسَّةَ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَيْلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٥٣﴾

على قلوبهم غُطية، وفي آذانهم صم.

﴿٥٤﴾ وثلاثا يتسوّف النبي ﷺ إلى معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلیم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محدّدان يجازون فيه على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا عن ذلك منْدوحة.

﴿٥٥﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قرى قوم هود وصالح وشعيب أهلكتناهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتًا محدّدًا.

﴿٥٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمناً حتى ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه.

﴿٥٧﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا حوتهما الذي اتخذاه زادًا لهما، فأحيا الله الحوت، واتخذ الحوت طريقًا في البحر مثل السُرّاب، لا يلتصم الماء معه.

﴿٥٨﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - عظمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر. ٢ - من حكمة الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين الباطل وفساده. ٣ - في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهَبٍ وزاجر عن ذلك. ٤ - لا أحد أظلم ممن وُعظ بآيات ربه فتهاون بها وأعرض عن قبولها، وترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها. ٥ - من سنّة الله في الأولين والآخرين أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة، فإن تابوا غفر لهم ورحمهم، وإلا أنزل بهم بأسه. ٦ - فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.

﴿٦٢﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: آتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً شديداً.

﴿٦٣﴾ قال الغلام: أرايت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد حَيَّي الحوت، واتخذ له طريقاً في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٤﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ لئلا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٥﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبداً من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطينا رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علماً لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٦٦﴾ قال له موسى في تواضع وتلطف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٦٧﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟!

﴿٦٩﴾ قال موسى: ستجديني إن شاء الله صابراً على ما أرى منك من أفعال، ملتزماً بطاعتك، لا أعصي لك أمراً أمرني به.

﴿٧٠﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه. فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجرة تَكْرَمَة للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجرة رجاء أن تُغرق أهلها، لقد أتيت أمراً مُحِيراً يُتَعَجَّبُ منه.

﴿٧١﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقل: إنك لن تطيق معي صبراً على ما ترى مني؟!

﴿٧٢﴾ قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسياناً، ولا تضيق علي وتشدّد في صحبتك.

﴿٧٣﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلاماً لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفساً طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟ لقد أتيت أمراً مُنْكَرًا!!

﴿٧٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر؛ لكفاية المؤن، وطلب الراحة. ٢ - استحباب كون خادم الإنسان ذكياً فطناً كَيْساً ليتم له أمره الذي يريده. ٣ - أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره. ٤ - التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب. ٥ - النسيان لا يقتضي المؤاخذة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم. ٦ - تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يَتَمَهَّر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. ٧ - إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها. ٨ - العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير. ٩ - فضيلة الصبر فمن استعمل الصبر، ولأزمه أدرك به كل أمر سعى فيه.

﴿٧٥﴾ قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ - يَا مُوسَى - لَنْ تَسْتَطِيعَ الصَّبْرَ عَلَى مَا أَقُومُ بِهِ مِنْ أَمْرٍ.

﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَامَحْنِي مَرَّةً ثَانِيَةً، فَإِنْ سَأَلْتُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ فَفَارِقْنِي، فَقَدْ وَصَلْتُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي تُعَذِّرُ فِيهَا عَلَى تَرْكِ مَصَاحِبِي؛ لَكُونِي خَالَفتُ أَمْرَكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ.

﴿٧٧﴾ فَسَارَا حَتَّى إِذَا جَاءَ أَهْلَ قَرْيَةٍ طَلَبَا مِنْ أَهْلِهَا طَعَامًا، فَامْتَنَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ مِنْ إِطْعَامِهِمَا، وَتَأْدِيَةِ حَقِّ الضِّيَافَةِ إِلَيْهِمَا، فَوَجَدَا فِي الْقَرْيَةِ حَائِطًا مَائِلًا قَارِبَ أَنْ يَسْقُطَ وَيَنْهَضَ، فَسَوَّاهُ الْخَضِرُ حَتَّى اسْتَقَامَ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَضِرِ: لَوْ شِئْتَ اتَّخَذَ أَجْرَ عَلَى إِصْلَاحِهِ لَا تَخَذْتَهُ؛ لِحَاجَتِنَا إِلَيْهِ بَعْدَ امْتِنَاعِهِمْ مِنْ ضِيَافَتِنَا.

﴿٧٨﴾ قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: هَذَا الْإِعْتِرَاضُ عَلَى عَدَمِ أَخْذِي أَجْرًا عَلَى إِقَامَةِ الْحَائِطِ هُوَ مُحَلُّ الْفِرَاقِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، سَأَخْبِرُكَ بِتَفْسِيرِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَصْبِرَ عَلَيْهِ مِمَّا شَاهَدْتَنِي قَمْتُ بِهِ.

﴿٧٩﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ الَّتِي أَنْكَرْتَ عَلَيَّ خَرْقَهَا؛ فَكَانَتْ لَضِعْفَاءٍ يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا فِي الْبَحْرِ لَا يَسْتَطِيعُونَ الدَّفْعَ عَنْهَا، فَأَرَدْتُ أَنْ تُصِيرَ مَعِيَةً بِمَا أَحْدَثْتَهُ فِيهَا؛ حَتَّى لَا يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا مَلِكٌ كَانَ أَمَامَهُمْ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ كَرِهًا مِنْ أَصْحَابِهَا، وَيَتْرَكُ كُلَّ سَفِينَةٍ مَعِيَةٍ.

﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ الَّذِي أَنْكَرْتَ عَلَيَّ قَتْلَهُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، وَكَانَ هُوَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَافِرًا، فَخَفْنَا إِنْ بَلَغَ أَنْ يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ.

﴿٧٥﴾ قَالَ أَمَّا أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعُوا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْحِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

والطغيان من فرط محبتهم له، أو من فرط حاجتهم إليه.

﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُعَوِّضَهُمَا اللَّهُ وَلَدًا خَيْرًا مِنْهُ دِينًا وَصَالِحًا وَطَهَارَةً مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَقْرَبَ رَحْمَةً بِوَالِدَيْهِ مِنْهُ.

﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْحَائِطُ الَّذِي أَصْلَحْتَهُ وَأَنْكَرْتَ عَلَيَّ إِصْلَاحَهُ فَكَانَ لِصَغِيرَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي جَنَّتَاهَا قَدْ مَاتَ أَبُوهُمَا، وَكَانَ تَحْتَ الْحَائِطِ مَالٌ مَدْفُونٌ لَهُمَا، وَكَانَ أَبُو هَذَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ صَالِحًا، فَأَرَادَ رَبُّكَ - يَا مُوسَى - أَنْ يَبْلُغَا سِنَ الرُّشْدِ وَيَكْبُرَا، وَيَخْرِجَا مَالَهُمَا الْمَدْفُونَ مِنْ تَحْتِهِ، إِذْ لَوْ سَقَطَ الْحَائِطُ الْآنَ لَانْكَشَفَ مَالَهُمَا وَتَعَرَّضَ لِلضِّيَاعِ، وَكَانَ هَذَا التَّدْبِيرُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ بِهِمَا، وَمَا فَعَلْتَهُ مِنْ اجْتِهَادِي، ذَلِكَ تَفْسِيرُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ الصَّبْرَ عَلَيْهِ.

ولما ذكر الله قصة الْخَضِرِ ذكر قصة ذِي الْقَرْنَيْنِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَرَابُطٍ، إِذْ إِنْ كَلَّا مِنْهُمَا سَعَى لِحِمَايَةِ الضَّعْفَاءِ، فَقَالَ:

﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْمَشْرُكُونَ وَالْيَهُودُ مُتَمَنِّحِينَ عَنْ خَبَرِ صَاحِبِ الْقَرْنَيْنِ، قُلْ: سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرِهِ جَزْءًا تَعْتَبِرُونَ بِهِ وَتَتَذَكَّرُونَ.

قوله من الآيات:

- ١ - وجوب التَّأَنِّي والتَّثَبُّتِ وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حَتَّى يُعْرَفَ مَا يَرَادُ مِنْهُ وَمَا الْمَقْصُودُ.
- ٢ - تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة. ٣ - أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتُتَعَلَّقُ بِهَا الْأَحْكَامُ الدُّنْيَوِيَّةُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْدِمَاءِ وَغَيْرِهَا. ٤ - يُدْفَعُ الشَّرُّ الْكَبِيرُ بِارْتِكَابِ الشَّرِّ الصَّغِيرِ، وَيُرَاعَى أَكْبَرُ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَصْغَرِهِمَا. ٥ - يجوز عمل الإنسان في مال غيره إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْمَصْلَحَةِ وَإِزَالَةِ الْمَفْسَدَةِ، وَلَوْ بِلَا إِذْنٍ، حَتَّى لَوْ تَرْتَبَ عَلَى عَمَلِهِ إِتْلَافُ بَعْضِ مَالِ الْغَيْرِ. ٦ - خدمة الصالحين أو من يتعلَّقُ بِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا. ٧ - أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال ويترك صحبته حَتَّى يُغَيِّبَهُ، وَيُعَذِّرُ مِنْهُ. ٨ - استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ بنسبة الخير إليه وعدم نسبة الشر إليه. ٩ - أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته.

﴿٨٤﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَطْلُوبُهُ طَرِيقًا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَرَادِهِ.

﴿٨٥﴾ فَأَخَذَ بِمَا أُعْطِيَناه مِنَ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَطْلُوبِهِ فَاتَّجَهَ غَرْبًا.

﴿٨٦﴾ وَسَارَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى نَهَايَةِ الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ رَأَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَارَةٍ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ قَوْمًا كُفَّارًا، قُلْنَا لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ: يَا صَاحِبَ الْقُرْنَيْنِ، إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ هَؤُلَاءِ بِالْقَتْلِ أَوْ بغيره، وَإِمَّا أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ.

﴿٨٧﴾ قَالَ صَاحِبُ الْقُرْنَيْنِ: أَمَا مِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَأَصْرَ عَلَى ذَلِكَ فَسَنَعَاقِبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا فَظِيمًا.

﴿٨٨﴾ وَأَمَا مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ جَزَاءً مِنْ رَبِّهِ عَلَى إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا فِيهِ يَسِرُ وَلِينِ.

﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ الْأُولَى مُتَّجِهًا إِلَى جِهَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٩٠﴾ وَسَارَ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَجَدَ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَى أَقْوَامٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِ الشَّمْسِ مَا يَاقِيهِمْ مِنَ الْبُيُوتِ وَمِنْ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ.

﴿٩١﴾ كَذَلِكَ أَمَرَ صَاحِبَ الْقُرْنَيْنِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُنَا بِمَا لَدَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ.

﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقَيْنِ الْأُولَيْنِ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

﴿٩٣﴾ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ ثَغْرَةً بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَوَجَدَ مِنْ قَبْلِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ.

﴿٩٤﴾ قَالُوا: يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ، إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ (يَعْنُونَ أُمَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ) مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ مَالًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا؟

﴿٩٥﴾ قَالَ ذُو الْقُرْنَيْنِ: مَا رَزَقْنِي رَبِّي مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ خَيْرَ لِي مِمَّا تَعْطُونَنِي مِنْ مَالٍ، فَأَعِينُونِي بِرِجَالٍ وَأَلَاتٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا.

﴿٩٦﴾ أَحْضَرُوا قِطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضَرُوهَا فَطَفَقَ يَبْنِي بِهَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، حَتَّى إِذَا سَاوَاهُمَا بِنَائِهِ قَالَ لِلْعَمَلَةِ: أَشْعَلُوا النَّارَ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعِ، حَتَّى إِذَا احْمَرَّتْ قِطْعَ الْحَدِيدِ قَالَ: أَحْضَرُوا نَحَاسًا أَصْبَهُ عَلَيْهِ.

﴿٩٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعَ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنْ يَعلُوا عَلَيْهِ لارتفاعه، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَثْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لصلابته.

﴿٩٨﴾ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ:

١ - أَنْ ذَا الْقُرْنَيْنِ أَحَدَ الْمُلُوكِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَلَكَوا الدُّنْيَا وَسَيَّطَرُوا عَلَى أَهْلِهَا، فَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مَلَكًا وَاسِعًا، وَمَنْحَهُ حِكْمَةً وَهِيَّةً وَعِلْمًا نَافِعًا.

٢ - مَنْ وَاجِبَ الْمَلِكِ أَوْ الْحَاكِمِ أَنْ يَقُومَ بِحِمَايَةِ الْخَلْقِ فِي حِفْظِ دِيَارِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ثُغُورِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

٣ - أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْإِخْلَاصِ يَحْرُصُونَ عَلَى إِنْجَازِ الْأَعْمَالِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ.

﴿٩٨﴾ قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة صَيَّرَهُ مستويًا بالأرض، وكان وعد الله بتسويته بالأرض ويخرج يأجوج ومأجوج ثابتًا، لا خُلف فيه.

﴿٩٩﴾ وتركنا يأجوج ومأجوج يوم يُهدم السد يضطربون ويختلطون لكثرتهم، ونفخ في الصور النفخة الثانية فأحييناهم جميعًا، وجمعنا ما تفرق من عظامهم ولحومهم، ثم جئنا بهم إلى المحشر.

﴿١٠٠﴾ وأظهرنا جهنم للكافرين إظهارًا لا لبس معه ليشاهدوها عيانًا.

﴿١٠١﴾ أظهرناها للكافرين الذين كانوا في الدنيا عميًا عن ذكر الله؛ لما على أعينهم من حجاب مانع من ذلك، وكانوا لا يستطيعون سماع آيات الله سماع قبول.

﴿١٠٢﴾ أفضن الذين كفروا بالله أن يجعلوا عبادي من ملائكة ورسل وشياطين معبودين من دوني؟! إنا هيأنا جهنم للكافرين منزلًا لإقامتهم.

﴿١٠٣﴾ قل - أيها الرسول -: هل نخبركم - أيها الناس - بأعظم الناس خسارًا لعمله؟

﴿١٠٤﴾ الذين يرون يوم القيامة أن سعيهم الذي كانوا يسعون في الدنيا قد ضاع، وهم يظنون

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ

يَحْسِنُونَ ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِلَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَوْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

أنهم محسنون في سعيهم، وسيستفون بأعمالهم، والواقع خلاف ذلك.

﴿١٠٦﴾ أولئك هم الذين كفروا بآيات ربهم الدالة على توحيده، وكفروا ببقائه، فبطلت أعمالهم لكفرهم بها، فلا يكون لهم يوم القيامة قدر عند الله.

﴿١٠٧﴾ ذلك الجزاء المعد لهم هو جهنم؛ لكفرهم بالله، واتخاذهم آياتي المنزلة ورسلي سخرية.

﴿١٠٨﴾ ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين، فقال:

﴿١٠٩﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات كانت لهم أعلى الجنان منزلًا لإكرامهم.

﴿١١٠﴾ ماكنين فيها أبدًا، لا يطلبون عنها تحوّلًا؛ لأنها لا يداينها جزاء.

﴿١١١﴾ قل - أيها الرسول -: إن كلمات ربي كثيرة، فلو كان البحر حبرًا لها تكتب به لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلماته سبحانه، ولو أتينا ببحور أخرى لنفدت أيضًا.

﴿١١٢﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم، يوحى إليّ أن معبودكم بحق معبود واحد لا شريك له، وهو الله، فمن كان يخاف لقاء ربه فيعمل عملاً موافقًا لشعره، مخلصًا فيه لربه، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

﴿١١٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿١١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿١١٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿١١٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

بيان مظاهر رحمة الله بأوليائه؛ كهبة الولد الصالح، وتنزهه تعالى عن الولد والمعين، ردًا على المفترين.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

﴿كَهَيْعَصَ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ هذا ذكر رحمة ربك بعبدك زكريا عليه السلام، نقضه عليك للاعتبار به.

﴿٢﴾ إذ دعا ربه سبحانه دعاء خفيًا ليكون أقرب إلى الإجابة.

﴿٣﴾ قال: يا رب، إني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائبًا في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبتني.

﴿٤﴾ وإني خفت قرباتي أن لا يقوموا بعد موتي بحق الدين لانشغالهم بالدنيا، وكانت امرأتي عقيمًا لا تلد، فأعطني من عندك ولدًا معيًّا.

﴿٥﴾ يرث النبوة عني، ويرثها من آل يعقوب عليه السلام، وصيِّره - رب - مرضيًا في دينه وخلقه وعلمه.

﴿٦﴾ فاستجاب الله دعاءه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرك بما يسرك، فقد أجبتنا دعاءك، وأعطيناك غلامًا اسمه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسم.

﴿٧﴾ قال زكريا متعجبًا من قدرة الله: كيف يولد لي ولد وامرأتي عاقرة لا تلد، وقد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام؟!.

﴿٨﴾ قال المَلَكُ: الأمر كما قلت من أن امرأتك عاقرة، وأنت قد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام، لكن ربك قال: خلُق ربك ليحيى من أم عاقرة، ومن أب بلغ نهاية العمر سهل، وقد خلقتك - يا زكريا - من قبل ذلك ولم تكن شيئًا يذكرك؛ لأنك كنت عديمًا.

﴿٩﴾ قال زكريا عليه السلام: يا رب، اجعل لي علامة أطمئن بها تدل على حصول ما بشرتني به الملائكة، قال: علامتك على حصول ما بشرت به أن لا تستطيع كلام الناس ثلاث ليالٍ من غير علة، بل أنت صحيح معافى.

﴿١٠﴾ فخرج زكريا على قومه من مصلاه، فأشار إليهم من غير كلام: أن سَبَّحُوا اللَّهَ سبحانه أول النهار وآخره.

﴿فَوَالِدٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره. ٢ - الضعف والعجز من أحب وسائل التوسل إلى الله؛ لأنه يدل على التَّيَرُّي من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته. ٣ - يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع. ٤ - الحرص على مصلحة الدين وتقديمها على بقية المصالح. ٥ - يجوز الدعاء بطلب الولد، ويجوز التضرع إلى الله في هداية الولد، اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفضلاء. ٦ - تستحب الأسماء ذات المعاني الطيبة. ٧ - في الآيات دليل على قدرة الله الباهرة، فكما أن الله خلق الإنسان من العدم ولم يك شيئًا، فهو القادر على خلق يحيى وإيجاده. ٨ - جواز العمل بالإشارة المفهومة.

﴿١٢﴾ فولد له يحيى، فلما بلغ سنًا يخاطب فيها قلنا له: يا يحيى، خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه الفهم والعلم والجد والعزم وهو في سنّ الصبا.

﴿١٣﴾ ورحمنه رحمة من عندنا، وطهرناه من الذنوب، وكان تقياً ياتمر بأوامر الله، ويجتنب نواهيه.

﴿١٤﴾ وكان براً بوالديه، لطيفاً بهما، محسناً إليهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه ولا طاعتهما، ولا عاصياً لربه أو لوالديه.

﴿١٥﴾ وسلام عليه من الله وأمان له منه يوم ولد، ويوم يموت ويخرج من هذه الحياة، ويوم يعث حياً يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثة هي أوحش ما يمر به الإنسان، فإذا أمن فيها فلا خوف عليه فيما عداها.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر مريم عليها السلام إذ نتخت عن أهلها، وانفردت بمكان على جهة الشرق منهم.

﴿١٧﴾ فاتخذت لنفسها من دون قومها ساتراً يسترها حتى لا يروها حال عبادتها لربها، فبعثنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها في صورة إنسان سوي الخلق، فظنت أنه يريد بها بسوء.

﴿١٨﴾ فلما رآته في صورة إنسان سوي الخلق يتجه إليها قالت: إني أستجير بالرحمن منك

يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ

يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ

مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي

غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِيَّ بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً ۖ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَوَادَّهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ الْجِذْعَ ۖ فَجَعَلَ رَبُّكَ عَلَيْكَ رَبطًا جَبِينًا ﴿٢٥﴾

أن ينالني منك سوء - يا هذا - إن كنت تقياً تخاف الله.

﴿١٨﴾ قال جبريل عليه السلام: أنا لست بشراً، إنما أنا رسول من ربك أرسلني إليك لأهب لك ولداً طيباً طاهراً.

﴿١٩﴾ قالت مريم متعجبة: كيف يكون لي ولد ولم يقربني زوج ولا غيره، ولست زانية حتى يكون لي ولد؟!

﴿٢٠﴾ قال لها جبريل: الأمر كما ذكرت من أنك لم يمسسك زوج ولا غيره ولم تكوني زانية، لكن ربك سبحانه قال: خلقت ولد من غير أب سهل عليّ، وليكون الولد الموهوب لك علامة للناس على قدرة الله، ورحمة منا بهم لما ينالونه بسببه من الخير، وكان خلقت ولدك هذا قضاء من الله مقدراً، مكتوباً في اللوح المحفوظ.

﴿٢١﴾ فحملت به بعد نفخ الملك، فنتخت به إلى مكان بعيد عن الناس.

﴿٢٢﴾ فضربها المخاض، والجأها إلى ساق نخلة، قالت مريم عليها السلام: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُذكر حتى لا يُظن بي السوء.

﴿٢٣﴾ فناداها جبريل من أسفل الوادي بقوله: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جدول ماءٍ تشربين منه.

﴿٢٤﴾ وأمسكي بجذع النخلة وهزّيه تساقط عليك رطباً طرياً جني من ساعته.

﴿٢٥﴾ فوالله من الآيات:

١ - الصبر على القيام بالتكاليف الشرعية مطلوب. ٢ - عناية الله بأنبيائه وأصفياؤه. ٣ - العاق لوالديه جبار شقي. ٤ - علو منزلة بر الوالدين ومكانتها عند الله، فالله قرنه بشكره. ٥ - ثناء الله على المطيعين له.

﴿٢١﴾ فكلني من الرطب، واشربي من الماء، وطيبني نفساً بمولودك ولا تحزني، فإن رأيت من الناس أحداً فسألك عن خبر المولود فقل لي: إني أوجبت على نفسي لربي صمتاً عن الكلام، فلن أكلم اليوم أحداً من الناس.

﴿٢٢﴾ فجاءت مريم بابنها إلى قومها تحمله، قال لها قومها مستنكرين: يا مريم، لقد جئت أمراً عظيماً مفترى، حيث جئت بولد من غير أب.

﴿٢٣﴾ يا شبيهة هارون في العبادة (وهو رجل صالح) ما كان أبوك زانياً، ولا كانت أمك زانية، فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح، فكيف تأتين بولد من غير أب؟!

﴿٢٤﴾ فأشارت إلى ابنها عيسى عليه السلام وهو في المهد، فقال لها قومها متعجبين: كيف نكلّم صبيّاً وهو في المهد؟!

﴿٢٥﴾ قال عيسى عليه السلام: إني عبد الله، أعطاني الإنجيل، وجعلني نبياً من أنبيائه.

﴿٢٦﴾ وجعلني كثير النفع للعباد أينما كنت، وأمرني بأداء الصلاة وإعطاء الزكاة طيلة حياتي.

﴿٢٧﴾ وجعلني براً بأمي، ولم يجعلني متكبراً عن طاعة ربي، ولا عاصياً له.

﴿٢٨﴾ والأمان من الشيطان وأعوانه عليّ يوم ميلادي ويوم موتي ويوم بعثي حياً يوم القيامة، فلم يتخطني الشيطان في هذه المواقف الثلاثة الموحشة.

﴿٢٩﴾ فكلني واشربي وقرري عيساً فإماتين من البشر أحداً فقول لي: إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً.

﴿٣٠﴾ فأتت به قومها تحمله، قالوا لئيمريم لقد جئت شيئاً فريباً.

﴿٣١﴾ يتأخت هرون ما كان أبوك أمراً سوءاً وما كانت أمك بغياً.

﴿٣٢﴾ فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً.

﴿٣٣﴾ قال إني عبد الله أتتني الكتب وجعلني نبياً.

﴿٣٤﴾ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً.

﴿٣٥﴾ وبرّاً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقيّاً.

﴿٣٦﴾ والسلم على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً.

﴿٣٧﴾ ذلك عيسى ابن مريم قولك الحق الذي فيه يمترون.

﴿٣٨﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه.

﴿٣٩﴾ وإذا قضى أمراً فإنما يقول له أن يكون.

﴿٤٠﴾ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم.

﴿٤١﴾ فأخلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم.

﴿٤٢﴾ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين.

﴿٤٣﴾ ذلك الموصوف بتلك الصفات هو عيسى ابن مريم، وهذا الكلام هو قول الحق فيه، لا ما يقوله الضالون الذين يشكون في أمره ويختلفون.

﴿٤٤﴾ ما ينبغي لله أن يتخذ من ولد، تقدس عن ذلك وتنزه، إذا أراد أمراً، فإنما يكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون لا محالة، فمن كان كذلك فهو منزّه عن الولد.

﴿٤٥﴾ وإن الله سبحانه هو ربي وهو ربكم جميعاً، فأخلصوا له العبادة وحده، هذا الذي ذكرت لكم هو الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة الله.

﴿٤٦﴾ فاختلفت طوائف اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام، فقال عنه اليهود: هو ساحر، وقال عنه بعض النصارى: هو ابن الله، فويل للمختلفين في شأنه من شهود يوم القيامة العظيم بما فيه من مشاهد وحساب وعقاب.

﴿٤٧﴾ ما أقيح ما يسمعون ويبصرون يوم القيامة، وما أشده عليهم، وما أعجب ما ترى من أحوالهم، لكن الظالمون في الحياة الدنيا في ضلال واضح عن الصراط المستقيم، فلا يستعدون للآخرة حتى تأتهم بغته وهم على ظلمهم.

﴿٤٨﴾ فإذن من الآيات:

١ - كمال قدرة الله تعالى، وأن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله. ٢ - في أمر مريم بالسكوت عن الكلام دليل على فضيلة الصمت في بعض المواطن. ٣ - لا يجوز نذر الصمت في شرعنا. ٤ - حظي عيسى بالسلامة من الله تعالى يوم ولادته في الدنيا من همز الشيطان، ويوم الموت في القبر، ويوم البعث في الآخرة. ٥ - إن ما أخبر به القرآن عن كيفية خلق عيسى هو الحق القاطع الذي لا شك فيه، وكل ما عداه من تقولات باطل لا يليق بالرسول. ٦ - في الدنيا يكون الكافر أصم وأعمى عن الحق، ولكنه سيبصر ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولن ينفعه ذلك.

﴿٤١﴾ وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يندم المسيء على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الطاعة، إذ طويت صحف العباد، وفرغ من حسابهم، وصار كل إلى ما قدم، وهم في حياتهم الدنيا مُعْتَرُونَ بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يصدقون بيوم القيامة.

﴿٤٢﴾ إنا نحن الباقون بعد فناء الخلائق، نرث الأرض، ونرث من عليها لفنائهم وبقائنا بعدهم، وملكننا لهم، وتصرفنا فيهم بما نشاء، وإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إبراهيم عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات الله.

﴿٤٤﴾ إذ قال لأبيه آزر: يا أبت؛ لم تعبد من دون الله صنماً لا يسمع دعاءك إن دعوته، ولا يبصر عبادتك إن عبدته، ولا يكشف عنك ضراً، ولا يجلب لك نفعاً.

﴿٤٥﴾ يا أبت، إني قد جاءني من العلم عن طريق الوحي ما لم يأتك، فاتبعني أرشدك إلى طريق مستقيم.

﴿٤٦﴾ يا أبت، لا تعبد الشيطان بطاعتك له، إن الشيطان كان للرحمن عاصياً، حيث أمره بالسجود لآدم فلم يسجد.

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٢﴾ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٥﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٦﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ عَالِيَّتِ اللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٨﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٩﴾ وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا دَعُوتُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ وَسِعَ الْكُفْرُ عَنْهُمْ وَقَدَّرْنَا لَهُمْ سَخَطًا وَلَقَدْ جَعَلْنَا لِبَنِي إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ طَوَافِقًا ﴿٥١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٢﴾ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

﴿٤٩﴾ يا أبت، إني أخاف أن يصيبك عذاب من الرحمن إن مت على كفرك، فتكون قريباً له في العذاب لمولاتك له.

﴿٥٠﴾ قال آزر لابنه إبراهيم عليه السلام: أعرض أنت عن أصنامي التي أعبدتها يا إبراهيم؟! لئن لم تكف عن سب أصنامي لأرميتك بالحجارة، وفارقتي زماناً طويلاً فلا تكلمني، ولا تجتمع معي.

﴿٥١﴾ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: سلام عليك مني، لا ينالك ما تكره مني، سأطلب لك المغفرة من ربي والهداية، إنه سبحانه كان كثير اللطف بي.

﴿٥٢﴾ وأفارقكم وأفارق معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربي وحده لا أشرك به شيئاً، عسى أن لا يمتنعني إذا دعوته، فأكون بدعائه شقيّاً.

﴿٥٣﴾ فلما تركهم وترك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، عوضناه عن فقد أهله فوهبنا له ابنه إسحاق، ووهبنا له حفيده يعقوب، وكل واحد منهما جعلناه نبياً.

﴿٥٤﴾ وأعطيناهم من رحمتنا مع النبوة خيراً كثيراً، وجعلنا لهم ثناءً حسناً مستمراً على ألسنة العباد.

﴿٥٥﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر موسى عليه السلام، إنه كان مختاراً مصطفًى، وكان رسولاً نبياً.

﴿٥٦﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - يوم القيامة يوم حسرة للكافرين، ويوم فرح بالنسبة للصلحين. ٢ - التأدب واللطف والرفق في محاوره الوالدين واختيار أفضل الأسماء في مناداتهما. ٣ - المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته. ٤ - الله وعد كل محسن أن ينشر له ثناءً صادقاً بحسب إحسانه، وإبراهيم عليه السلام وذريته من أئمة المحسنين.

﴿٥١﴾ ونادينه من جانب الجبل الأيمن بالنسبة لموقع موسى عليه السلام، وقرينه مناجياً، حيث أسمعه الله كلامه.

﴿٥٢﴾ وأعطيناه من رحمتنا وإنعامنا عليه أخاه هارون عليه السلام؛ استجابة لدعائه حين سأل ربه ذلك.

﴿٥٣﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادق الوعد، لا يعد وعداً إلا وفى به، وكان رسولاً نبياً.

﴿٥٤﴾ وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وبإعطاء الزكاة، وكان عند ربه مرضياً.

﴿٥٥﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إدريس عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات ربه، وكان نبياً من أنبياء الله.

﴿٥٦﴾ ورفعنا ذكره بما أعطيناه من النبوة، فكان عالي المنزلة.

﴿٥٧﴾ أولئك المذكورون في هذه السورة ابتداءً بذكرنا، وختاماً بإدريس عليه السلام هم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من أبناء آدم عليه السلام، ومن أبناء نوح عليه السلام في السفينة مع نوح عليه السلام، ومن أبناء إبراهيم وأبناء يعقوب عليه السلام، ومنهم وفقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياء، كانوا إذا سمعوا آيات الله تقرأ سجوداً لله باكين من خشيته.

﴿٥٨﴾ فجاء من بعد هؤلاء الأنبياء المصطفين أتباع سوء وضلال، ضيعوا الصلاة، فلم يأتوا بها على الوجه المطلوب، وارتكبوا ما تشبهه أنفسهم من المعاصي كالزنا، فسوف يلقون شرّاً في جهنم وخيبة.

﴿٥٩﴾ إلا من تاب من تقصيره وتفرطه، وآمن بالله وعمل عملاً صالحاً فأولئك الموصوفون بهذه الصفات يدخلون الجنة، ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئاً ولو قلّ.

﴿٦٠﴾ جنات إقامة واستقرار التي وعد الرحمن عباده الصالحين بالغيب أن يدخلهم فيها، وهم لم يروها فآمنوا بها، فوعد الله بالجنة - وإن كان غيباً - آت لا محالة.

﴿٦١﴾ لا يسمعون فيها فضولاً، ولا كلام فحش، بل يسمعون سلام بعضهم على بعض، وسلام الملائكة عليهم، ويأتينهم ما يشتهون من الطعام فيها صباحاً ومساءً.

﴿٦٢﴾ هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات هي التي نورثها من عبادنا من كان ممثلاً للأوامر، مجتنباً للنواهي.

﴿٦٣﴾ ولما ذكر سبحانه ثواب المتقين ذكر أن التقوى هي الوقوف مع أمره، فقال:

﴿٦٤﴾ وقل - يا جبريل - لمحمد عليه السلام: إن الملائكة لا تنزل من تلقاء أنفسها، وإنما تنزل بأمر الله، الله ما نستقبله من أمر الآخرة، وما خلفناه من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، وما كان ربك - أيها الرسول - ناسياً شيئاً.

﴿٦٥﴾ فإن من الآيات:

١ - حاجة الداعية دوماً إلى أنصار يساعده في دعوته. ٢ - إثبات صفة الكلام لله تعالى. ٣ - صدق الوعد محمود، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخُلُف مذموم. ٤ - إن الملائكة رسل الله بالوحي لا تنزل على أحد من الأنبياء والرسل من البشر إلا بأمر الله.

﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذْ أَنْتَلْنَاهُمْ عَلَىٰ هَذِهِ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ أَجْرٌ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا نُنَادِيهِمْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقَوْا أَسْلَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦١﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٢﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَأْكِنٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا ﴿٦٣﴾



﴿١٥﴾ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَخَالِقُ الْأَرْضِ،
ومالكهما ومدير أمرهما، وخالق ما بينهما
ومالكه ومديره، فاعبده وحده، فهو المستحق
للعبادة، واثبت على عبادته، فليس له مثل ولا
نظير يشاركه في العبادة.

﴿١٦﴾ ويقول الكافر المنكر للبعث؛ استهزاء:
أإذا مت فاني سوف أخرج من قبري حيًّا حياة
ثانية؟ إن هذا لبعيد.

﴿١٧﴾ أولاً يتذكر هذا المنكر للبعث أنا خلقناه من
قبل ولم يكن شيئاً؟ فيستدل بالخلق الأول على
الخلق الثاني، مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر.

﴿١٨﴾ فوربك - أيها الرسول - لنخرجتهم من
قبورهم إلى المحشر مصحوبين بشياطينهم الذين
أضلّوهم، ثم لنسوقهم إلى أبواب جهنم أذلاء،
باركين على ركبهم.

﴿١٩﴾ ثم لنجذبهم بشدة وعنف من كل طائفة من
طوائف الضلال أشدهم عصيًّا، وهم قادتهم.

﴿٢٠﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بدخول
النار ومقاساة حرّها ومعاناته.

﴿٢١﴾ وما منكم - أيها الناس - أحد إلا سيعبر فوق
الصراط المضروب على متن جهنم، كان هذا
العبور قضاءً مُبرماً قضاه الله، فلا رادّ لقضائه.

﴿٢٢﴾ ثم بعد هذا العبور على الصراط نسلّم
الذين اتقوا ربهم بامتنال أوامره واجتناب
نواهيه، وترك الظالمين باركين على ركبهم، لا
يستطيعون الفرار منها.

﴿٢٣﴾ وإذا تُقرأ على الناس آياتنا المنزلة على رسولنا واضحات قال الكفار للمؤمنين: أي فريقنا خير إقامة ومسكنًا،
وأحسن مجلسًا ومجتمعًا: فريقنا أم فريقكم؟

﴿٢٤﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكتها قبل هؤلاء الكفار المفتخرين بما هم فيه من تفوق مادي، هي أحسن منهم
أموالًا، وأحسن منظرًا لنفاسة ثيابهم، وتتم أبدانهم.

﴿٢٥﴾ قل - أيها الرسول -: من كان يتخط في ضلاله فسيمهله الرحمن حتى يزداد ضلالًا، حتى إذا عابوا ما كانوا يوعدون به من
العذاب المعجل في الدنيا، أو المؤجل يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من هو شر منزلًا وأقل ناصراً، أهو فريقهم أم فريق المؤمنين؟

﴿٢٦﴾ ومقابل الإمهال لأولئك حتى يزدادوا ضلالًا يزيد الله الذين اهتدوا إيمانًا وطاعة، والأعمال الصالحات
المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عند ربك - أيها الرسول - جزاءً، وخير عقابة.

﴿٢٧﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ: ١ - على المؤمنين الاشتغال بما أمروا به والاستمرار عليه في حدود المستطاع. ٢ - الحشر
وجمع الخلائق للحساب أمر ثابت بعد البعث من القبور. ٣ - يُخْضِر الله الكفار جاثين على ركبهم حول جهنم،
فهم لشدة ما هم فيه من الأهوال لا يقدرّون على القيام. ٤ - يستخرج الله من كل أمة وأهل دين باطل أعنى الناس
وأعصاهم، وهم القادة والرؤساء؛ لمضاعفة العذاب عليهم. ٥ - ورود جميع الخلائق على النار - أي: المرور
على الصراط، لا الدخول في النار - أمر واقع لا محالة. ٦ - ينجي الله المتقين، ويخلصهم من نار جهنم، ويترك
الكافرين فيها قعودًا مخلصين على الدوام. ٧ - إن معايير الدين ومفاهيمه الصحيحة تختلف عن تصورات الجهلاء
والعوام. ٨ - أهلك الله تعالى كثيرًا من الأمم والجماعات هم أكثر متاعًا وأموالًا بسبب كفرهم. ٩ - من كان غارقًا
في الضلالة متأصلًا في الكفر يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه.
١٠ - يثبت الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم توفيقًا ونصرة، وينزل من الآيات ما يكون سببًا لزيادة اليقين مجازاة لهم.

﴿٧٧﴾ أفرأيت - أيها الرسول - الذي كفر بحججنا، وأنكر وعيدنا، وقال: إن مت، وبعثت لأعطين مالا كثيرا وأولادا.

﴿٧٨﴾ أعلم الغيب فقال ما قال عن بيته؟ أم جعل عند ربه عهدا ليدخلته الجنة، ويعطينه مالا وأولادا؟

﴿٧٩﴾ ليس الأمر كما زعم، سنكتب ما يقوله وما يعمل، ونزيده عذابا فوق عذابه لما يدعيه من الباطل.

﴿٨٠﴾ ونرث ما تركه من مال وولد بعد إهلاكنا له، ويجيئنا يوم القيامة فردا قد سلب منه ما كان يتمتع به من مال ومن جاه.

﴿٨١﴾ واتخذ المشركون لهم معبودات من دون الله؛ ليكونوا لهم ظهيرا ومعينا ينتصرون بها.

﴿٨٢﴾ ليس الأمر كما زعموا، فهذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله ستجحد عبادة المشركين لها يوم القيامة، وتبترأ منهم، وتكون لهم أعداء.

﴿٨٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - أنا بعثنا الشياطين، وسلطانهم على الكفار تهيجهم إلى فعل المعاصي والصد عن دين الله تهيجًا؟

﴿٨٤﴾ فلا تعجل - أيها الرسول - بطلب الله أن يعجل هلاكهم، إنما نحصى أعمارهم إحصاء، حتى إذا انتهى وقت إهلاكهم عاقبناهم بما يستحقون.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة يوم نجمع المتقين ربهم - بامثال أوامره واجتتاب نواهيه - إلى ربهم وفداً مكرمين معززين.

﴿٨٦﴾ ونسوق الكفار إلى جهنم عطاشاً.

﴿٨٧﴾ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لبعضهم إلا من اتخذ عند الله في الدنيا عهداً بالإيمان به وبرسله.

﴿٨٨﴾ وقال اليهود والنصارى وبعض المشركين: اتخذ الرحمن ولداً.

﴿٨٩﴾ لقد جئتم - أيها القائلون بهذا - شيئاً عظيماً.

﴿٩٠﴾ تكاد السماوات تتشقق من هذا القول المنكر، وتكاد الأرض تتصدع، وتكاد الجبال تسقط منهزمة.

﴿٩١﴾ كل ذلك من أجل أن نسبوا للرحمن ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿٩٢﴾ وما يستقيم للرحمن أن يتخذ ولداً لتنتزه عن ذلك.

﴿٩٣﴾ إن كل من في السماوات من الملائكة والإنس والجن إلا يأتي ربه يوم القيامة خاضعاً.

﴿٩٤﴾ لقد أحاط بهم علماً، وعدهم عداً، فلا يخفى عليه منهم شيء.

﴿٩٥﴾ وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً لا ناصر له ولا مال.

﴿٩٦﴾ فإلا من الآيات:

١ - تدل الآيات على سخف الكافر وسداجة تفكيره، وتَمْنِيهِ الأمانى المعسولة، وهو سيجد نقيضها تماماً في عالم الآخرة. ٢ - سَلَطَ الله الشياطين على الكافرين بالإغواء والإغراء بالشر، والإخراج من الطاعة إلى المعصية. ٣ - أهل الفضل والعلم والصالح يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

﴿١٦﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ الْمَرْضِيَّةَ عِنْدَ اللَّهِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ مَحَبَّةَ بَحْبِهِ إِيَّاهُمْ، وَبَتَحْيِيهِمْ إِلَى عِبَادِهِ.

﴿١٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا هَذَا الْقُرْآنُ بِإِنْزَالِهِ بِلِسَانِكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أَوَامِرِي، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِي، وَتَخَوْفُ بِهِ قَوْمًا أَشَدَّاءَ فِي الْخُصُومَةِ وَالْمَكَابِرَةِ فِي الْإِدْعَانِ لِلْحَقِّ.

﴿١٨﴾ وَمَا أَكْثَرَ الْأُمَمَ الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا مِنْ قَبْلِ قَوْمِكَ، فَهَلْ تَشْعُرُ الْيَوْمَ بِأَحَدٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمَمِ؟ وَهَلْ تَسْمَعُ لَهُمْ صَوْتًا خَفِيًّا؟ فَمَا أَصَابَهُمْ قَدْ يَصِيبُ غَيْرَهُمْ حِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ.

سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ

● مقصد السورة :

تقوية النبي ﷺ لحمل الرسالة والصبر عليها.

● التفسير :

﴿١﴾ طه ﴿٢﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٣﴾ ما أنزلنا عليك - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْقُرْآنَ لِنَتَعَبَ بِالتَّحَسُّرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِكَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ.

﴿٤﴾ ما أنزلناه إِلَّا لِيَكُونَ تَذَكِيرًا لِمَنْ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لَخِشْيَتِهِ.

﴿٥﴾ نَزَّلَهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْمَرْفُوعَةَ، فَهُوَ قُرْآنٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ عَظِيمٍ.

﴿٦﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ﷻ.

﴿٧﴾ لَهُ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ التُّرَابِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا.

﴿٨﴾ وَإِنْ تَعْلَنَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْقَوْلَ، أَوْ تَخْفَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ السِّرَ وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ مِثْلَ خَوَاطِرِ النَّفْسِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٩﴾ اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، لَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْبَالِغَةُ الْكَمَالِ فِي الْحَسَنِ.

ولما كان النبي ﷺ يعاني من قومه الإعراض، جاءت تسليته بقصة موسى ﷺ، فقال سبحانه:

﴿١٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - خَبَرُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ.

﴿١١﴾ حِينَ عَايَنَ فِي سَفَرِهِ نَارًا، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَقِيمُوا فِي مَكَانِكُمْ هَذَا، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا لِعَلِّي آتِيكُمْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ بِشِعْلَةٍ، أَوْ أَجِدُ مِنْ يَهْدِينِي إِلَى الطَّرِيقِ.

﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ النَّارَ نَادَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: يَا مُوسَى.

﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْزِعْ نَعْلَيْكَ اسْتِعْدَادًا لِمَنَاجَاتِي، إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُطَهَّرِ (طُوًى).

● قولاً من الآيات: ١ - ليس إنزال القرآن العظيم لإتعايب النفس في العبادة، وإذاقتها المشقة الفادحة، وإنما هو كتاب تذكرة ينتفع به الذين يخشون ربهم. ٢ - قرّن الله بين الخلق والأمر، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة. ٣ - على الزوج واجب الإنفاق على الأهل (المرأة) من غذاء وكساء ومسكن ووسائل تدفئة وقت البرد.

﴿١٣﴾ وأنا اصطفتيك - يا موسى - لتبليغ رسالتي، فاستمع لما أوحى إليك.

﴿١٤﴾ إني أنا الله لا معبود بحق غيري، فاعبدني وحدي، وأذ الصلاة على أكمل وجه لتذكرني فيها.

﴿١٥﴾ إن الساعة آتية لا محالة وواقعة، أكاد أخفيها فلا يعلم وقتها مخلوق، ولكن يعرفون علاماتها بإخبار النبي لهم؛ لكي تجازي كل نفس بما عملته، خيراً كان أو شراً.

﴿١٦﴾ فلا يصرفك عن التصديق بها والاستعداد لها بالعمل الصالح من لا يؤمن بها من الكفار، واتباع ما تهواه نفسه من المحرمات، فتهلك بسبب ذلك.

﴿١٧﴾ وما تلك التي بيدك اليمنى يا موسى؟

﴿١٨﴾ قال موسى ﷺ: هي عصاي؛ أعتمد عليها في المشي، وأخبط بها الشجر ليسقط ورقها لغنمي، ولي فيها منافع غير ما ذكرت.

﴿١٩﴾ قال الله: ألقها يا موسى.

﴿٢٠﴾ فألقها موسى، فانقلبت حية تمشي بسرعة وخفة.

﴿٢١﴾ قال الله لموسى ﷺ: خذ العصا، ولا تخف من انقلابها حية، سنعيدها إذا أخذتها إلى حالتها الأولى.

﴿٢٢﴾ واضمم يدك إلى جنبك تخرج بيضاء من غير برص؛ علامة ثانية لك.

﴿٢٣﴾ أريناك هاتين علامتين لنريك - يا موسى - من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا، وعلى أنك رسول من عند الله.

﴿٢٤﴾ سر - يا موسى - إلى فرعون، فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله.

﴿٢٥﴾ قال موسى ﷺ: رب، وسع لي صدري لأتحمل الأذى.

﴿٢٦﴾ وسهل لي أمري.

﴿٢٧﴾ وأفقرني على النطق بالفصح من الكلام.

﴿٢٨﴾ يفهموا كلامي إذا بلغتهم رسالتك.

﴿٢٩﴾ واجعل لي معيئاً من أهلي يعينني في أموري.

﴿٣٠﴾ هارون بن عمران أخي.

﴿٣١﴾ واجعله شريكاً لي في الرسالة.

﴿٣٢﴾ ونذكرك ذكراً كثيراً.

﴿٣٣﴾ إنك كنت بنا بصيراً، لا يخفى عليك شيء من أمرنا.

﴿٣٤﴾ قال الله: قد أعطيناك ما طلبت يا موسى.

﴿٣٥﴾ ولقد أنعمنا عليك مرة أخرى.

﴿٣٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. ٢ - اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ٣ - التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبياً ليعاونه في أداء الرسالة. ٤ - أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإقناع للمدعوين.

﴿٣٨﴾ إِذْ أَلْهَمْنَا أُمَّكَ مَا أَلْهَمْنَاهَا مَا حَفَظَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَكْرِ فِرْعَوْنَ.

﴿٣٩﴾ فَقَدْ أَمَرْنَاهَا حِينَ أَلْهَمْنَاهَا: أَنْ أَرْمِيهِ بَعْدَ وَلادته فِي الصَّنَدُوقِ، وَاطْرَحِي الصَّنَدُوقَ فِي الْبَحْرِ، فَسَيَطْرَحُهُ الْبَحْرُ بِالشَّاطِئِ بِأَمْرِ مِنَّا، فَيَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَلِهِ، وَهُوَ فِرْعَوْنُ، وَوَضَعْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي، فَأَحْبَبَكَ النَّاسُ، وَلِتَتَرَبَّيَ عَلَى عَيْنِي وَفِي حَفَظِي وَرِعَايَتِي.

﴿٤٠﴾ إِذْ خَرَجْتَ أَخْتُكَ تَسِيرُ كُلَّمَا سَارَ التَّابُوتُ تَتَابَعَهُ، فَقَالَتْ لِمَنْ أَخَذُوهُ: هَلْ أُرْشِدُكُمْ إِلَى مَنْ يَحْفَظُهُ وَيَرْضَعُهُ وَيَرْبِيهِ؟ فَمِنَّا عَلَيْكَ بِإِرْجَاعِكَ إِلَى أُمِّكَ لِتَسِرَّ بِرُجُوعِكَ إِلَيْهَا، وَلَا تَحْزَنَ مِنْ أَجْلِكَ، وَقَتْلَتِ الْقَبْطِيَّ الَّذِي وَكَرَّهَتْهُ، فَمِنَّا عَلَيْكَ بِإِنْجَاكَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَخَلَصْنَاكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ كُلِّ امْتِحَانٍ تَعَرَّضْتَ لَهُ، فَخَرَجْتَ وَمَكُثْتَ أَعْوَامًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ، ثُمَّ أَتَيْتَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ فِيهِ لَتَكَلِّمَكَ يَا مُوسَى.

﴿٤١﴾ وَاخْتَرْتُكَ لِتَكُونَ رَسُولًا عَنِّي تَبْلُغُ النَّاسَ مَا أَوْحَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ.

﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ - يَا مُوسَى - وَأَخُوكَ هَارُونُ، بِآيَاتِنَا الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا تَضَعُفَا عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَيَّ، وَعَنْ ذِكْرِي.

﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ.

﴿٣٨﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٩﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ

فِي الْيَمِّ فَيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوْلَهُمْ وَالْقَيْتُ

عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ

فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا

فَلَمِيتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى ﴿٤٠﴾

وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا نَبِيَّا

فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا

لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا

أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى

﴿٤٦﴾ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ

الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ

وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَّى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾

﴿٥٢﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَطِيفًا لَا عَنفَ فِيهِ؛ رَجَاءُ أَنْ يَتَذَكَّرَ، وَيَخَافَ اللَّهُ فَيَتُوبَ.

﴿٥٣﴾ قَالَ مُوسَى وَهَارُونُ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُعَجِّلَ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ إِتِمَامِ دَعْوَتِهِ، أَوْ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي ظَلْمِنَا بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿٥٤﴾ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: لَا تَخَافَا؛ إِنِّي مَعَكُمَا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، أَسْمَعُ وَأَرَى مَا يَحْدُثُ بَيْنَكُمَا وَبَيْنَهُ.

﴿٥٥﴾ فَأَيُّهَا، فَقُولَا لَهُ: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ - يَا فِرْعَوْنَ - فَابْعَثْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا تَعْذِيبُهُمْ بِقَتْلِ أَبْنَائِهِمْ، وَاسْتِحْيَاءِ

نِسَائِهِمْ، قَدْ أَتَيْنَاكَ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ عَلَى صِدْقِنَا، وَالْأَمَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِمَنْ آمَنَ، وَاتَّبَعَ هُدَى اللَّهِ.

﴿٥٦﴾ إِنَّا قَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

﴿٥٧﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ مُنْكَرًا لِمَا جَاءَ بِهِ: فَمَنْ رَبُّكُمَا الَّذِي زَعَمْتُمَا أَنَّهُ أَرْسَلَكُمْ إِلَيَّ يَا مُوسَى؟

﴿٥٨﴾ قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا هُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ صُورَتَهُ وَشَكْلَهُ الْمُنَاسِبَ لَهُ، ثُمَّ هَدَى الْمَخْلُوقَاتِ لِمَا خَلَقَهَا لَهُ.

﴿٥٩﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ: فَمَا شَأْنُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْكُفْرِ؟

﴿٦٠﴾ قَوْلًا مِنْ الْآيَاتِ:

١ - كَمَالُ اعْتِنَاءِ اللَّهِ بِكَلِمَتِهِ مُوسَى ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَلَوَرِثْتُمْ نَصِيبَ مِنْ هَذَا الْإِعْتِنَاءِ عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ

مَعَ اللَّهِ. ٢ - مِنْ اتَّبَعَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَاهْتَدَى بِالشَّرْعِ الْمُبِينِ حَصَلَتْ لَهُ السَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ٣ - مِنْ

الْهَدَايَةِ الْعَامَّةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ أَنْ تَجِدَ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَسْعَى لِمَا خُلِقَ لَهُ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَفِي دَفْعِ الْمَضَارِعِ عَنْهُ. ٤ - بَيَانُ

فَضِيلَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ بِاللِّينِ مِنَ الْقَوْلِ لِمَنْ مَعَهُ الْقُوَّةُ، وَضُمِّتْ لَهُ الْعِصْمَةُ.

٥ - يَجِبُ عَلَى الْمُحَقِّ اسْتِمَاعُ كَلَامِ الْمُبْطَلِ، وَالْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ إِذْيَاءٍ وَلَا إِحْشَاشٍ. ٦ - اللَّهُ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِعِلْمِ الْغَيْبِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

٥٢ قال موسى ﷺ لفرعون: عِلْمُ ما كانت عليه تلك الأمم عند ربي، مثبت في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علمها، ولا ينسى ما علمه منها.

٥٣ عند ربي الذي صَيَّر لكم الأرض مُمَهَّدة للعيش عليها، وجعل لكم فيها طرقاً صالحة للسير عليها، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء أصنافاً من النباتات مختلفة.

٥٤ كلوا - أيها الناس - مما أخرجنا لكم من الطيبات، وارعوا أنعامكم، إن في ذلك المذكور من النعم لدلائل على قدرة الله ووحدانيته لأصحاب العقول.

٥٥ من تراب الأرض خلقنا أباكم آدم ﷺ، وفيها نرجعكم بالدفن إذا مُتُّم، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث يوم القيامة.

٥٦ ولقد أظهرنا لفرعون آياتنا التسع كلها، وشاهدناها فكذب بها، وامتنع أن يستجيب إلى الإيمان بالله.

٥٧ قال فرعون: أجبنا لتخرجنا من مصر بما جئت به من السحر يا موسى، ليقى لك ملكها؟
٥٨ فلنأتيتك - يا موسى - بسحر مثل سحرِك، فأجعل بيننا وبينك موعداً في زمان معلوم ومكان محدد، لا تتخلف نحن ولا تتخلف أنت عنه، وليكن المكان وسطاً بين الفريقين معتدلاً.

٥٩ قال موسى ﷺ لفرعون: الموعد بيننا وبينكم يوم العيد حيث يجتمع الناس محتفلين بعيدهم ضحى.

٦٠ فأدبر فرعون منصرفاً، وجمع مكره وحيله، ثم جاء في الزمان والمكان المحددين للمغالبة.

٦١ قال موسى يعظ سحرة فرعون: احذروا، لا تختلفوا على الله كذباً بما تخذعون به الناس من السحر فيستأصلكم بعذاب من عنده، وقد خسر من اختلق على الله الكذب.

٦٢ فتناظر السحرة لما سمعوا كلام موسى ﷺ، وتناجوا بينهم سرّاً.

٦٣ قال بعض السحرة لبعضهم سرّاً: إن موسى وهارون ساحران، يريدان أن يخرجاك من مصر بسحرهما الذي جاء به، ويذهبا بسُتُتكم العليا في الحياة، ومذهبكم الأرقى.

٦٤ فأحكموا أمركم، ولا تختلفوا فيه، ثم تقدموا مُصْطَفَيْن، وارموا ما عندكم دفعة واحدة، وقد ظفر بالمطلوب اليوم من غلب خصمه.

﴿فَإِلَهِ الْإِلَهِاتِ﴾

١ - من نعم الله تعالى أن جعل الأرض ممهدة كالفراش، وقراراً للاستقرار عليها، لتصلح للعيش. ٢ - إخراج أصناف من النبات المختلفة الأنواع والألوان من الأرض دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجود الصانع.

٣ - ذكرت الآيات دليلين عقليين واضحين على الإعادة: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم. ٤ - أوّل النهى هم المنتفعون بالآيات، الناظرون إليها نظر اعتبار. ٥ - كفر فرعون كفر عناد؛ لأنه رأى الآيات عياناً لا خبراً، واقتنع بها في أعماق نفسه. ٦ - اختار موسى يوم العيد؛ لتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويكبت الكفر، أمام الناس قاطبة في المجمع العام ليُشيع الخبر. ٧ - شعار الأنبياء، الصدق في الدعوة، وانتهاز الفرص المناسبة لإعلان دعوتهم.

١٥ قال السحرة لموسى عليه السلام: يا موسى، اختر أحد أمرين: أن تكون البادئ بإلقاء ما لديك من سحر، أو نكون نحن البادئين بذلك.

١٦ قال موسى عليه السلام: بل اطرحوا أنتم ماosلكم أولاً، فطرحوا ما عندهم، فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها يُخَيَّل إلى موسى من سحرهم أنها تعيين تتحرك بسرعة.

١٧ فأسر موسى في نفسه الخوف ظناً منه أنها تقصده.

١٨ قال الله لموسى عليه السلام: مطمئناً إياه: لا تخف مما خيَّل إليك، إنك - يا موسى - أنت المستغلي عليهم بالغلبة والنصر.

١٩ واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تبلع ما صنعه من السحر، فما صنعه ليس إلا كيداً سحرى، ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان.

٢٠ فطرح موسى عصاه فانقلبت حية، وابتلعت ما صنعه السحرة، فسجد السحرة لله لما علموا أن ما عند موسى ليس سحراً، إنما هو من عند الله، قالوا:

أما برب موسى وهارون، رب جميع المخلوقات.

٢١ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم ومتوعداً: أصدقتُم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك؟ إن موسى لهو رئيسكم - أيها السحرة - الذي علمكم السحر، فلا قطعن من كل واحد منكم رجلاً ويداً مخالفاً بين جهتيهما، ولا صلبن أبدانكم على جذوع النخل حتى تموتوا، وتكونوا عبرة لغيركم، ولتعلمن عند ذلك أننا أقوى عذاباً، وأدوم: أنا أو رب موسى؟

٢٢ قال السحرة لفرعون: لن نفضل اتباعك - يا فرعون - على اتباع ما جاءنا من الآيات الواضحات، ولن نفضلك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع بنا، ما لك سلطان علينا إلا في هذه الحياة الفانية، وسيزل سلطانك.

٢٣ إنا آمنا بربنا رجاء أن يمحو عنا معاصينا السالفة من الكفر وغيره، ويمحو عنا ذنب السحر الذي أجبرتنا على تعلمه وممارسته ومغالبة موسى به، والله خير جزاء مما وعدتنا به، وأدوم عذاباً مما توعدتنا به من العذاب.

٢٤ إن الشأن والحاصل أن من يأتي ربه يوم القيامة كافراً به أن له نار جهنم يدخلها ماكثاً فيها أبداً، لا يموت فيها فيستريح من عذابها، ولا يحيى حياة طيبة.

٢٥ ومن يأت ربه يوم القيامة مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحات فأولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة لهم المنازل الرفيعة، والدرجات العلية.

٢٦ تلك الدرجات هي جنات إقامة تجري من تحت قصورها الأنهار ماكثين فيها أبداً، وذلك الجزاء المذكور جزاء كل من تطهر من الكفر والمعاصي.

٢٧ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الأدب الحسن يفيد في الدنيا والآخرة، فلما خيَّر السحرة موسى بين أن يلقي أولاً أو يلقوا هم أفادهم ذلك في التوفيق للإيمان. ٢ - لا يفوز ولا ينجو الساحر حيث أتى من الأرض أو حيث احتال، ولا يحصل مقصوده بالسحر خيراً كان أو شراً. ٣ - ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ٤ - الإيمان يصنع المعجزات؛ فقد كان إيمان السحرة أرسخ من الجبال، فهان عليهم عذاب الدنيا، ولم يبالوا بتهديد فرعون. ٥ - دأب الطغاة التهديد بالعذاب الشديد لأهل الحق والإمعان في ذلك للإذلال والإهانة. ٦ - الكافر المكذب الجاحد في جهنم لا يموت فيها ولا يحيى. ٧ - جزاء من تطهر من الكفر والمعاصي جنات الخلد التي تجري من تحت غرفها وسرورها الأنهار من الخمر والعسل واللبن والماء.

﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا لِّئَلَّا مِنْ مِصْرَ حَتَّى لَا يَشْعُرَ بِهِمْ أَحَدٌ، وَاجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَابَسًا بَعْدَ ضَرْبِ الْبَحْرِ بِالْعَصَا، آمَنَّا لَا تَخَافُ أَنْ يُلْحَقَ بِكَ فِرْعَوْنُ وَمَلُؤُهُ، وَلَا تَخْشَى مِنَ الْفِرْقِ فِي الْبَحْرِ.

﴿٧٨﴾ فَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ مَصْحُوبًا بِجُنُودِهِ، فَغَمَرَهُ وَغَمَرَ جُنُودَهُ مِنَ الْبَحْرِ مَا غَمَرَهُمْ مِمَّا لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَغَرَقُوا جَمِيعًا وَهَلَكُوا، وَنَجَّى مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ.

﴿٧٩﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ بِمَا حَسَنَهُ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَخَدَعَهُمْ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَمْ يَرْشُدْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْهَدَايَةِ.

﴿٨٠﴾ وَقُلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذْنَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ أَنْقَذْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَوَعَدْنَاكُمْ أَنْ نَكَلِّمَ مُوسَى بِالْجَهَةِ الَّتِي مِّنَ الْوَادِي الْوَاقِعِ بِجَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ فِي اللَّيْلِ مَا تَكُلُونَهُ مِمَّا هُوَ حَلَوُ الطَّعْمِ يَشْبَهُ الصَّمْغِ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ طَيْرًا يَشْبَهُ السَّمَانِيِّ.

﴿٨١﴾ كُلُوا مِنَ الْمَسْتَلَذَّاتِ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ الْحَلَالِ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا مَا أَبْحَنَاهُ لَكُمْ إِلَى مَا حَرَّمْنَاهُ عَلَيْكُمْ، فَيَنْزِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبِي، وَمَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَلَكَ وَسَقَطَ فِي النَّارِ. ﴿٨٢﴾ وَإِنِّي لَكَثِيرٌ لِّلْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ لِمَنْ تَابَ إِلَيَّ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، ثُمَّ اسْتَقَامَ عَلَى الْحَقِّ.

﴿٨٣﴾ وَمَا الَّذِي جَعَلْتُكَ تَعْجَلُ عَنْ قَوْمِكَ - يَا مُوسَى تَارِكًا إِيَّاهُمْ خَلْفَكَ؟

﴿٨٤﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ: هَا هُمْ وَرَائِي وَسَيُلْحِقُونِي، وَسَبَقَتْ قَوْمِي إِلَيْكَ لَتَرْضَى عَنِّي بِمَسَارِعَتِي إِلَيْكَ.

﴿٨٥﴾ قَالَ اللَّهُ: فَإِنَّا قَدْ ابْتَلَيْنَا قَوْمَكَ الَّذِينَ خَلَفْتَهُمْ وَرَاءَكَ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ، فَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ السَّامِرِيِّ، فَاضْلَمَهُمْ بِذَلِكَ.

﴿٨٦﴾ فَعَادَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانِ لِعِبَادَتِهِمُ الْعَجَلِ، حَزِينًا عَلَيْهِمْ، قَالَ مُوسَى ﷺ: يَا قَوْمَ، أَمَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَعَدًا حَسَنًا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ التَّوْرَةُ، وَيَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةُ، فَهَلْ طَالَ عَلَيْكُمْ الزَّمَانُ فَنَسِيتُمْ؟ أَمْ أَرَدْتُمْ بِفَعْلِكُمْ هَذَا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبُ مَنْ رَبِّكُمْ، وَيَقَعَ عَلَيْكُمْ عَذَابُهُ، فَلِذَلِكَ أَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي بِالثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ؟

﴿٨٧﴾ قَالَ قَوْمُ مُوسَى: مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ - يَا مُوسَى - بِاخْتِيَارٍ مَّنَّا، بَلْ بِاضْطِرَارٍ، فَقَدْ حَمَلْنَا أَحْمَالًا وَأَنْثَالًا مِنْ حُلِيِّ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَرَمَيْنَاهَا فِي حَفْرَةٍ لِلتَّلْخُصِ مِنْهَا، فَكَمَا رَمَيْنَاهَا فِي الْحَفْرَةِ رَمَى السَّامِرِيِّ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ تَرْتِيبِ حَافِرِ فِرْعَوْنَ جَبْرِيلَ ﷺ.

﴿٨٨﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ انتقامه من المجرمين بما يشفي صدور المؤمنين، ويقر أعينهم، ويذهب غيظ قلوبهم. ٢ - الإهلاك سُنَّةُ اللَّهِ فِي عَاقِبَةِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، وَعَدَمُ الْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِ اللَّهِ. ٣ - مِنْ سَلَكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَتَابَعَ الرُّسُولَ الْكَرِيمَ، وَاقْتَدَى بِالْأَيِّدِ الْقَوِيمِ، يَغْفِرُ اللَّهُ أَوْزَارَهُ، وَيَعْفُو عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَإِصْرَارِهِ. ٤ - الطَّاعِيَةُ شَوْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ يَضِلُّهُمْ عَنِ الرَّشَدِ، وَمَا يَهْدِيهِمْ إِلَى خَيْرٍ وَلَا إِلَى نَجَاةٍ. ٥ - النِّعَمُ تَقْتَضِي الْحِفْظَ وَالشُّكْرَ الْمَقْرُونِ بِالْمَزِيدِ، وَجُحُودُهَا يُوجِبُ حُلُولَ غَضَبِ اللَّهِ وَنَزْوَلَهُ. ٦ - اللَّهُ غَفُورٌ عَلَى الدَّوَامِ لِمَنْ تَابَ مِنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَأَمَّنْ بِهِ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ ثَبَّتَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ. ٧ - إِنْ الْعَجَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْجُمْلَةِ مَذْمُومَةً فَهِيَ مَمْدُوحَةٌ فِي الدِّينِ. ٨ - حُقِّقَ لِمُوسَى ﷺ أَنْ يَعُودَ إِلَى قَوْمِهِ شَدِيدِ الْغَضَبِ وَالْأَسَى بِسَبَبِ مَا أَحْدَثُوا بَعْدَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ.

﴿٨٨﴾ فَأَخْرَجَ السَّامِرِيُّ مِنْ تِلْكَ الْحَلِيِّ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ جَسَدًا عَجَلًا رُوحَ فِيهِ، لَهُ صِيَاغُ كَصِيَاغِ الْبَقْرِ، فَقَالَ الْمُفْتَنُونَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ السَّامِرِيِّ: هَذَا هُوَ مَعْبُودُكُمْ وَمَعْبُودُ مُوسَى، نَسِيهِ وَتَرَكَهُ هُنَا.

﴿٨٩﴾ أَفَلَا يَرَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُتِنُوا بِالْعَجَلِ فَعِيدُوهُ أَنَّ الْعَجَلَ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يُجِيبُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ ضَرِّ عَنْهُمْ وَلَا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا جَلْبِ نَفْعٍ لَهُ، أَوْ لغيره؟

﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ قَبْلَ رَجُوعِ مُوسَى إِلَيْهِمْ: مَا فِي صِيَاغَةِ الْعَجَلِ مِنَ الذَّهَبِ وَخَوَارِهِ إِلَّا اخْتِبَارٌ لَكُمْ لِيُظْهِرَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، وَإِنْ رَبَّكُمْ - يَا قَوْمَ - هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَاتَّبِعُونِي فِي عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي بِتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ.

﴿٩١﴾ قَالَ الْمُفْتَنُونَ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ: لَنْ نَزَالَ مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْنَا مُوسَى.

﴿٩٢﴾ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ حِينَ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿٩٣﴾ أَنْ تَتْرَكَهُمْ وَتُلْحِقَ بِي؟ أَفَعَصَيْتُ أَمْرِي لَكَ حِينَ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَيْهِمْ؟

﴿٩٤﴾ وَلَمَّا أَخَذَ مُوسَى بِلَحْيَةِ أَخِيهِ وَرَأْسِهِ يَسْحِكُهُ إِلَيْهِ مُسْتَكْرِبًا عَلَيْهِ صَنِيعَهُ قَالَ لَهُ هَارُونُ مُسْتَغْطَفًا إِيَّاهُ: لَا تَمْسِكْ بِلَحْيَتِي وَلَا بِشَعْرِ رَأْسِي، فَإِنْ لِي عَذْرًا فِي بَقَائِي مَعَهُمْ، فَقَدْ خِفْتُ إِنْ تَرَكْتَهُمْ

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ

وَالِلَّهِ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا

يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ

يَقُومُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عِدَفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى

﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ بِمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي

أَفَعَصَيْتُ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي

إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ

قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُنِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ

بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ

فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ

فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ

مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ

عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ

إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

وَحَدَّهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا، فَتَقُولُ: إِنِّي فَارَقْتُ بَيْنَهُمْ، وَإِنِّي لَمْ أَحْفَظْ وَصِيَّتَكَ فِيهِمْ.

﴿٩٩﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ لِلْسَّامِرِيِّ: فَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ يَا سَامِرِيُّ؟ وَمَا الَّذِي دَفَعْتُكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ؟

﴿١٠٠﴾ قَالَ السَّامِرِيُّ لِمُوسَى ﷺ: رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَوْهُ، فَقَدْ رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَى فَرَسٍ، فَأَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنْ أَثَرِ فَرَسِهِ، فَطَرَحَتْهَا عَلَى الْحَلِيِّ الْمَذَابِ الْمَسْبُوكِ عَلَى صُورَةِ عَجَلٍ، فَنَشَأَ عَنْ ذَلِكَ عَجَلٌ جَسَدٌ لَهُ خُورٌ، وَكَذَلِكَ حَسَنْتُ لِي نَفْسِي مَا صَنَعْتُهُ.

﴿١٠١﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ لِلْسَّامِرِيِّ: فَاذْهَبْ أَنْتَ فَإِنَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ مَا دَمْتَ حَيًّا: لَا أَمْسَ وَلَا أَمْسَ، فَتَعِيشَ مُنْبُودًا، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَاسَبُ فِيهِ وَتُعَاقَبُ، لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ هَذَا الْمَوْعِدَ، وَانْظُرْ إِلَى عَجَلِكَ الَّذِي

اتَّخَذْتَهُ مَعْبُودَكَ، وَأَقَمْتَ عَلَى عِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَنَشْعَلَنَّ عَلَيْهِ نَارًا حَتَّى يَنْصَهَرَ، ثُمَّ لَنُذَرِّيَنَّهُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ.

﴿١٠٢﴾ إِنَّمَا مَعْبُودُكُمْ بِحَقِّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا يَفُوتُهُ سُبْحَانَهُ عِلْمُ شَيْءٍ.

﴿١٠٣﴾ فَوَارِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - خَدَاعُ النَّاسِ بِتَزْوِيرِ الْحَقَائِقِ مُسْلِكِ أَهْلِ الضَّلَالِ.

٢ - الْغَضَبُ مُحْمُودٌ إِذَا اتَّهَمْتَ مُحَارِمَ اللَّهِ.

٣ - فِي الْآيَاتِ أَصْلٌ فِي نَفْيِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمَعَاصِي وَهَجْرَانِهِمْ، وَأَلَّا يُخَاطَبُوا.

٤ - فِي الْآيَاتِ وَجُوبُ التَّفَكُّرِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خِلَالِ مَفْعُولَاتِهِ فِي الْكُونِ.

﴿٩٩﴾ مثل ما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون، وخبر قومهما نقض عليك أخبار من سبقوك من الأنبياء والأمم لتكون تسلية لك، وقد أعطيتك من عندنا قرآنًا يتذكر به من تذكر.

﴿١٠٠﴾ من أعرض عن هذا القرآن المنزل عليك فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه؛ فإنه يأتي يوم القيامة حاملاً إثمًا عظيمًا، ومستحقًا عقابًا أليمًا.

﴿١٠١﴾ ماكثين في ذلك العذاب دائمًا، وبئس الحمل الذي يحملونه يوم القيامة.

﴿١٠٢﴾ يوم ينفخ المَلَكُ في الصور النفخة الثانية للبعث، ونحشر الكفار في ذلك اليوم رزقًا لتغير ألوانهم وعيونهم من شدة ما لاقوه من أهوال الآخرة.

﴿١٠٣﴾ يحدث بعضهم بعضًا خُفْيَةً بقوله: ما ليستم في البرزخ بعد الموت إلا عشر ليال.

﴿١٠٤﴾ نحن أعلم بما يتحدثون به بينهم سرًا، لا يفوتنا منه شيء، إذ يقول أوفرهم عقلًا: ما ليستم في البرزخ إلا يومًا واحدًا لا أكثر.

﴿١٠٥﴾ ويسألونك - أيها الرسول - عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: الجبال يقتلعها ربي من أصولها ويُذَرِّبُها، فتكون هباءً.

﴿١٠٦﴾ فيترك الأرض التي كانت تحملها مستوية لا بناء عليها ولا نبات.

﴿١٠٧﴾ لا ترى - أيها الناظر إليها - في الأرض من تمام استوائها ميلًا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا.

﴿١٠٨﴾ في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر، لا معدل لهم عن اتباعه، وسكتت الأصوات للرحمن رهبة، فلا تسمع في ذلك اليوم إلا صوتًا خفيًا.

﴿١٠٩﴾ في ذلك اليوم العظيم لا تنفع الشفاعة من أي شافع إلا شافعًا أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة. ﴿١١٠﴾ يعلم الله سبحانه ما يستقبله الناس من أمر الساعة، ويعلم ما استدبروه في دنياهم، ولا يحيط جميع العباد بذات الله وصفاته علمًا.

﴿١١١﴾ وذلت وجوه العباد، واستكانت للحي الذي لا يموت، القائم بأمور عباده بتدبيرها وتصريفها، وقد خسر من حمل الإثم بإيراده نفسه موارد الهلاك.

﴿١١٢﴾ ومن يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله ورسله فسينال جزاءه وافيًا، ولا يخاف ظلمًا بأن يعذب بذنب لم يفعله، ولا نقصًا لثواب عمله الصالح.

﴿١١٣﴾ ومثل ما أنزلنا من قصص السابقين أنزلنا هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبيّنا فيه أنواع الوعيد من تهديد وتخويف؛ رجاء أن يخافوا الله، أو تنشئ لهم مواظ القرآن اعتبارًا.

﴿١١٤﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا

﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْفَتُونَ

بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَنَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ

فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ

لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ

عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

﴿١١٤﴾

﴿١١٥﴾

﴿١١٦﴾

﴿١١٧﴾

﴿١١٨﴾

﴿١١٩﴾

﴿١٢٠﴾

﴿١٤﴾ فتعالى الله وتقّس وجَلَّ الملك الذي له ملك كل شيء، الذي هو حق وقوله حق، تعالى عما يصفه به المشركون، ولا تسرع - أيها الرسول - بقراءة القرآن مع جبريل قبل أن ينهي إليك إبلاغه، وقل: رب زدني إلى ما علّمتني علماً. ولما ذكر الله قصة موسى وما اشتملت عليه من إعراض فرعون وغفلة بني إسرائيل ذكر قصة آدم ﷺ حثاً على رجوع من نسي إلى طاعة الله فقال:

﴿١٥﴾ ولقد وصينا آدم من قبل بعدم الأكل من الشجرة، ونهيناه عن ذلك، وبيّنا له عاقبته، فنسي الوصية وأكل من الشجرة، ولم يصبر عنها، ولم نر له قوة عزم على حفظ ما وصيناه به.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس - الذي كان معهم ولم يكن منهم - امتنع من السجود تكبراً.

﴿١٧﴾ فقلنا: يا آدم، إن إبليس عدوّ لك وعدو لزوجك، فلا يخرجك أنت وزوجك من الجنة بطاعته فيما يوسوس به، فتتحمل أنت المشاق والمكاره.

﴿١٨﴾ إن لك على الله أن يطعمك في الجنة فلا تجوع، ويكسوك فلا تعري.

﴿١٩﴾ وأن يسقيك فلا تعطش، ويظلك فلا يصيبك حر الشمس.

﴿٢٠﴾ فوسوس الشيطان إلى آدم، وقال له: هل أرشدك إلى شجرة، من أكل منها لا يموت أبداً، بل يبقى حياً مخلداً، ويملك ملكاً مستمراً لا ينقطع ولا ينتهي؟

﴿٢١﴾ فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاها عن الأكل منها، فظهرت لهما عوراتهما بعد أن كانت مستورة، وشرعا ينزعان من أوراق شجر الجنة، ويستتران بها عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه إذ لم يمتثل أمره باجتناب الأكل من الشجرة، فتعدى إلى ما لا يجوز له.

﴿٢٢﴾ ثم اختاره الله وقبل توبته، ووفقه إلى الرشاد.

﴿٢٣﴾ قال الله لآدم وحواء: انزلا من الجنة أنتما وإبليس، فهو عدو لكما وأنتما عدوان له، فإن جاءكم مني بيان لسبيلي فمن اتبع منكم بيان سبيلي، وعمل به ولم ينحرف عنه؛ فلا يضلّ عن الحق، ولا يشقى في الآخرة بالعذاب، بل يدخله الله الجنة.

﴿٢٤﴾ ومن تولى عن ذكري ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البرزخ، ونسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقد البصر والحجة.

﴿٢٥﴾ يقول هذا المعرض عن الذكر: يا رب، لم حشرتني اليوم أعمى، وقد كنت في الدنيا بصيراً.

﴿٢٦﴾ فإذن من الآيات: ١ - الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المُعلِّم والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض. ٢ - نسي آدم فنسيت ذريته، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة فغفر الله له، ومن يشابه أباه فما ظلم. ٣ - فضيلة التوبة؛ لأن آدم ﷺ كان بعد التوبة أحسن منه قبلها. ٤ - ضرورة الحذر من الشيطان عدو الإنسان المرابط الملازم له ليلاً ونهاراً. ٥ - المعيشة الضنك في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لأهل الكفر والضلال.

❁ قال الله تعالى ردًا عليه: مثل ذلك فعلته في الدنيا، فقد جاءتك آياتنا فأعرضت عنها وتركتها، وكذلك فإنك تُتْرَك اليوم في العذاب.

﴿٧٧﴾ ومثل هذا الجزاء نجزي من انهمك في الشهوات المحرمة، وأعرض عن الإيمان بالادلة الواضحة من ربه. ولعذاب الله في الآخرة أقطع وأقوى من المعيشة الضئيلة في الدنيا والبرزخ وأدوم.

أفلم يتبين للمشركين كثرة الأمم التي
أهلكناها من قبلهم، يمشون في مساكن تلك
الأمم المهلكة، ويعانون آثار ما أصابهم؟ إن
فيما أصاب تلك الأمم الكثيرة من الهلاك
والدمار عبراً لأصحاب العقول..

﴿١٦٩﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك - أيها الرسول - أنه لا يعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، ولولا أجل مُقَدَّر عنده لهم لعاجلهم العذاب؛ لاستحقاقهم إياه.

﴿٢٣﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله
المكذبون بك من أوصاف باطلة، وسبح بحمد
ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي
صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة المغرب
والعشاء من ساعات الليل، وفي صلاة الظهر
عند الزوال الذي هو نهاية الطرف الأول من
النهار وبداية الطرف الثاني؛ رجاء أن تنال
عند الله من الثواب ما ترضى به.

❦ ولا تنظر إلى ما جعلناه لأصناف هؤلاء
المكذابين متعة يتمتعون بها من زهرة الحياة
الدنيا لنختبرهم، فإن ما جعلناه لهم من ذلك

زائل، وثواب ربك الذي وعدك به حتى ترضى خ
 ﴿١٧﴾ وأمر- أيها الرسول- أهلك بأداء الصلاة، واصد
 برزقك، والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأصح

﴿١١٦﴾ وقال هؤلاء الكفار المكذبون بالنبي ﷺ: هـ
يأت هؤلاء المكذبين القرآنُ الذي هو تصديق للكتاب

(١٧) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَنُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا لَقَالُوا لَقَالُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعْتَدِينَ ع وَتَتَّبِعَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ آيَاتٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْلِبَ بَنُو الْهَوَىٰ

﴿١٢٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: كل و
محالة - من أصحاب الطريق المستقيم، ومن الم

وقدرته ووجوب العمل بشرعه. ٢ - سيعلم الك
تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأ

٤- من الأسباب المعنية على تحمل إيداء المعسر على العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الد
٦- على العبد أن يقيم الصلاة حق الإقامة،

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِيَّاَنَا فَتَسِينَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ تُنْفِى ۖ وَكَذَلِكَ

نَحْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ

وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ

فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْمَا وَاجِلٌ مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ

مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا

وَمِنْ أَنَايَ إِلَيَّ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٢﴾ وَلَا

تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ ۖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ

﴿١٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِيَنَا بَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ ؕ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي

الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ

لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ وَنَخْزِي ﴿١٢٤﴾ قُلْ كُلُّ مَتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا

فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ
أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِثْ آيَةً كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوْا أَهْلَ
الَّذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

وقالوا تارة: لا، بل اختلقه من غير أن يكون له أصل، وقالوا تارة: هو شاعر، وإن كان صادقاً في دعواه فليجئنا بمعجزة مثل الأولين من الرسل، فقد جاؤوا بالمعجزات، مثل عصا موسى، وناقاة صالح.

﴿١﴾ ما آمنتم قبل هؤلاء المقترحين قرية اقترحوا نزول الآيات فأعطوها كما اقترحوها، بل كذبوا بها فأهلكناهم، أفيؤمن هؤلاء؟
﴿٢﴾ وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، ولم نبعثهم ملائكة، فاسألوا أهل الكتاب من قبلكم إن كنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٣﴾ وما جعلنا الرسل الذين نرسلهم ذوي جسد لا يأكلون الطعام، بل يأكلون كما يأكل غيرهم، وما كانوا باقين في الدنيا لا يموتون.

﴿٤﴾ ثم صدقنا رسلنا ما وعدناهم به حيث أنقذناهم وأنقذنا من نشاء من المؤمنين من الهلاك، وأهلكنا المتجاوزين للحد بكفرهم بالله، وارتكابهم المعاصي.

﴿٥﴾ لقد أنزلنا إليكم القرآن فيه شرفكم وفخركم إن صدقتم به، وعلمتم بما فيه، أفلا تعقلون ذلك، فتسارعوا إلى الإيمان به، والعمل بما تضمنه؟!

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - قُرب القيامة مما يستوجب الاستعداد لها. ٢ - أن القرآن مُحدث التنزيل حسب الأحداث والوقائع. ٣ - انشغال القلوب باللهو يصرفها عن الحق. ٤ - عجز الباطل عن مواجهة الحق بالحجة. ٥ - إحاطة علم الله بما يصدر من عباده من قول أو فعل. ٦ - اختلاف المشركين في الموقف من النبي ﷺ يدل على تخبطهم واضطرابهم. ٧ - المعاند لا تنفع معه الحجج ولا المعجزات. ٨ - أن الله مع رسله والمؤمنين بالتأييد والعون على الأعداء. ٩ - القرآن شرف وعز لمن آمن به وعمل به.

﴿١١﴾ وما أكثر القرى التي أهلكناها بسبب ظلمها بالكفر، وخلقنا بعدها قومًا آخرين.
 ﴿١٢﴾ فلما شاهد المهلكون عذابنا المُستأصل، إذا هم من قريتهم يسرعون هربًا من الهلاك.
 ﴿١٣﴾ فينادون على وجه السخرية: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعم بملذاتكم، وإلى مساكنكم؛ لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا.
 ﴿١٤﴾ قال هؤلاء الظالمون معترفون بذنبهم: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين لكفرنا بالله.
 ﴿١٥﴾ فما زال اعترافهم بذنبهم ودعاؤهم على أنفسهم بالهلاك دعوتهم التي يكررونها حتى صيرناهم مثل الزرع المحصود، ميتين لا حراكَ بهنَّ.

﴿١٦﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لعبًا وعبثًا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا.
 ﴿١٧﴾ لو أردنا اتخاذ صاحبة أو ولد لاتخذناه مما عندنا، وما كنا فاعلين ذلك لتنزهنا عنه.
 ﴿١٨﴾ بل نرمي بالحق الذي نوحيه به إلى رسولنا على باطل أهل الكفر فيدحضه، فإذا باطلهم ذاهب زائل، ولكم - أيها القائلون باتخاذ صاحبة وولدًا - الهلاك لو صفكم له بما لا يليق به.

ولما كان اتخاذ صاحبة والولد منبئًا عن الافتقار بين يحيون الموتى أنه مالك هذا الكون، فقال:

﴿١٩﴾ وله سبحانه وحده ملك السماوات وملك الأرض، ومن عنده من الملائكة لا يتكبرون عن عبادته، ولا يتعبون منها.
 ﴿٢٠﴾ يواظبون على تسبيح الله دائمًا، لا يملون منه.

﴿٢١﴾ بل اتخذ المشركون آلهة من دون الله، لا يحيون الموتى، فكيف يعبدون عاجزًا عن ذلك؟!
 ﴿٢٢﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة لفسدنا بتنازع المعبودات في الملْك، والواقع خلاف ذلك، فتنزه الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.
 ﴿٢٣﴾ والله هو المتفرد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.
 ﴿٢٤﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حجتكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٢٥﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ:

- ١ - الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.
- ٢ - ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه مُنزه عن العبث.
- ٣ - غلبة الحق، ودحر الباطل سُنَّةُ إلهية.
- ٤ - الملائكة مجبولون على طاعة الله، مخلوقون لها.
- ٥ - إبطال عقيدة الشرك بدليل التَّمَانَع.

﴿٢٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا أنا فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بنات، ننزهه سبحانه وتقدس عما يقولونه من الكذب، بل الملائكة عباد الله، مكرمون منه، مقربون إليه.

﴿٢٧﴾ لا يتقدمون ربهم بقول، فلا ينطقون به حتى يأمرهم، وهم بأمره يعملون، فلا يخالفون له أمراً.

﴿٢٨﴾ يعلم سابق أعمالهم ولاحقها، ولا يسألون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى الشفاعة له، وهم من خوفه سبحانه حذرون، فلا يخالفونه في أمر ولا نهي.

﴿٢٩﴾ ومن يقل من الملائكة من باب الافتراض: إني معبود من دون الله، فإننا نجزيه على قوله بعداب جهنم يوم القيامة خالداً فيها، ومثل هذا الجزء نجزي الظالمين بالكفر والشرك بالله.

﴿٣٠﴾ أولم يعلم الذين كفروا بالله أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزل منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك، ويؤمنون بالله وحده؟

﴿٣١﴾ وخلقنا في الأرض جبلاً ثابتة حتى لا

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْخَفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا نَفْثًا فَفَنَقَّهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يُمَيِّدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

تضطرب بمن عليها، وجعلنا فيها مسالك وطرقاً واسعة لعلمهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم. ﴿٣٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً من السقوط من غير عمد، ومحفوظاً من اشتراق السمع، والمشركون عما في السماء من الآيات كالشمس والقمر معرضون لا يعتبرون.

﴿٣٣﴾ والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا يتحرف عنه ولا يميل.

﴿٣٤﴾ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها الرسول - البقاء في هذه الحياة؟ أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة ومِتْ فهو لا باقون بعدك؟ كلا.

﴿٣٥﴾ كل نفس مؤمنة، أو كافرة ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم - أيها الناس - في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم إلينا لا إلى غيرنا ترجعون، فنجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - اتفاق جميع الأنبياء على الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

٢ - تنزيه الله عن الولد.

٣ - منزلة الملائكة عند الله أنهم عباد خلقهم لطاعته، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، بل عباد مكرمون.

٤ - الشفاعة لا تحصل إلا بإذن من الله، ورصاً عن المشفوع له.

٥ - خلقت السماوات والأرض وفق سنة التدرج، فقد خلقتا ملتزقتين، ثم فصل بينهما.

٦ - الموت سبيل كل حي، لا ينجو منه صالح ولا طالح.

٧ - الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير.

﴿٣٦﴾ وإذا رآك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون لا يتخذونك إلا سخرية منقرين أتباعهم بقولهم: أهذا هو الذي يسب آلهم التي تعبدونها؟ وهم مع السخرية بك بما أنزل الله عليهم من القرآن، وبما أعطاهم من النعم جاحدون، فهم أولى بالغيب لجمعهم كل سوء. ﴿٣٧﴾ طبع الإنسان على العجلة، فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، ومن ذلك استعجال المشركين للعذاب، سأريكم - أيها المستعجلون لعذابي - ما استعجلتموه منه، فلا تطلبوا تعجيله.

﴿٣٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث على وجه الاستعجال: متى يكون ما تعدوننا به - أيها المسلمون - من البعث إن كنتم صادقين فيما تدعون من وقوعه؟

﴿٣٩﴾ لو يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث حين لا يصرفون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، وأن لا ناصر ينصرهم بدفع العذاب عنهم، لو تيقنوا ذلك لما استعجلوا العذاب.

﴿٤٠﴾ لا تأتيهم هذه النار التي يُعذبون بها عن علم، بل تأتيهم فجأة، فلا يقدرّون على ردها عنهم، ولا هم يؤخّرون حتى يتوبوا فتنالهم الرحمة.

ولما عانى رسول الله ﷺ من استهزاء قومه به وتكذيبهم له سلاه الله بقوله:

﴿٤١﴾ ولئن سخر بك قومك فلست بدعاً في ذلك، فقد استهزئ برسل من قبلك - أيها الرسول - فأحاط بالكفار الذين كانوا يسخرون منهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا عندما تخوفهم رسلهم به.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم بالليل والنهار مما يريد بكم الرحمن من إنزال العذاب والهلاك بكم؟ بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه معرضون، لا يتدبرون شيئاً منها جهلاً وسفهاً.

﴿٤٣﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم بدفع ضرعنا، ولا بجلب نفع لها، ومن لا ينصر نفسه فكيف ينصر غيره؟! ولا هم يُجَارون من عذابنا.

﴿٤٤﴾ بل متعنا هؤلاء الكفار، ومتعنا آباءهم بما بسطنا عليهم من نعمنا؛ استدراجاً لهم حتى تطاول بهم الزمن فاغترؤوا بذلك، وأقاموا على كفرهم، أفلا يرى هؤلاء المغترّون بنعمنا المستعجلون بعذابنا أننا نأتي الأرض نقصها من جوانبها بقهرنا لأهلها، وغلبتنا لهم، فيعتبروا بذلك حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم؟ فليس هؤلاء غاليين، بل هم مغلوبون.

﴿٤٥﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان كفر من يستهزئ بالرسول، سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة.

٢ - من طبع الإنسان الاستعجال، والأناة خلق فاضل.

٣ - السخرية من الحق وأهله سلوك الكفار قديماً وحديثاً.

٤ - لا يحفظ من عذاب الله إلا الله.

٥ - النعم للكافر استدراج له.

٦ - مآل الباطل الزوال، ومآل الحق البقاء.

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً

هذا الذي يدعركم الهتكم وهم يدعركم الرحمن

هم كفروا ﴿٣٦﴾ خلق الإنسان من عجلٍ سأوريكم

آياتي فلا تستعجلوني ﴿٣٧﴾ ويقولون متى هذا الوعد

إن كنتم صادقين ﴿٣٨﴾ لو يعلم الذين كفروا حين

لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا

هم ينصرون ﴿٣٩﴾ بل تأتيهم بغتة فتبهمهم فلا

يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴿٤٠﴾ ولقد استهزئ

برسل من قبلك فحاق بالذين سخرُوا منهم ما كانوا به

يستهزئون ﴿٤١﴾ قل من يكلوكم بالليل والنهار من

الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴿٤٢﴾ أم

لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر

أنفسهم ولا هم متאיضحون ﴿٤٣﴾ بل متعنا هؤلاء

وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أننا نأتي

الأرض نقصها من أطرافها أفهم الغالبون ﴿٤٤﴾

٤٥ قل - أيها الرسول -: إنما أخوفكم - أيها الناس - من عذاب الله بالوحي الذي يوحى إليه ربي، ولا يسمع الصم عن الحق ما يدعون إليه سماع قبول إذا خُوفوا من عذاب الله.

٤٦ ولئن مسّ هؤلاء المستعجلين بالعذاب نصيب من عذاب ربك - أيها الرسول - ليقولنّ عندئذ: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين بالشرك بالله والتكذيب بما جاء به محمد ﷺ.

٤٧ ونصيب الموازين العادلة لأهل القيامة لتوزن بها أعمالهم، فلا تُظلم في ذلك اليوم نفس بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، وإن كان الموزون قليلاً مثل ما تزنه حبة خردل جثنا به، وكفى بنا مُحْصِينَ نحصي أعمال عبادنا.

٤٨ ولقد أعطينا موسى وهارون ﷺ التوراة فارقة بين الحلال والحرام، وهداية لمن آمنوا بها، وتذكيراً للمتقين لربهم.

٤٩ الذين يخافون عقاب ربهم الذي يؤمنون به مع أنهم لم يشاهدوه، وهم من الساعة وجلون.

٥٠ وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ ذكر لمن أراد أن يتذكر به وموعظة، كثير النفع والخير، أفأنتم له مع ذلك منكرون؟ غير مقرّين بما فيه، ولا عاملين به؟

٥١ ولقد أعطينا إبراهيم الحجة على قومه في صغره وكنا به عالمين، فأعطيناه ما يستحقّه في علمنا من الحجة على قومه.

٥٢ إذ قال لأبيه آزر ولقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها بأيديكم، والتي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣ قال له قومه: وجدنا آباءنا يعبدونها، فعبدناها تأسياً بهم.

٥٤ قال لهم إبراهيم: لقد كنتم - أيها التابعون - أنتم وآباؤكم المتبعون في ضلال عن طريق الحق واضح.

٥٥ قال له قومه: أجئنا بالجد حين قلت ما قلت، أم أنت من الهازلين؟

٥٦ قال إبراهيم: بل جئتمكم بالجد لا بالهزل، فربكم هو رب السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق، وأنا على أنه ربكم ورب السماوات والأرض من الشاهدين، وليس لأصنامكم حظ من ذلك.

٥٧ وقال إبراهيم بحيث لا يسمعه قومه: والله لأدبرنّ لأصنامكم ما تكرهون بعد أن تذهبوا عنها إلى عيدكم.

٥٨ فإذن من الآيات:

١ - الجحود مانع من قبول الحق. ٢ - لا صبر للكفار على أقلّ درجات العذاب، فكيف بأشدّها؟ ٣ - نفع الإقرار بالذنب مشروط بمصاحبة التوبة قبل فوات أوانها. ٤ - ثبوت الميزان الذي توزن به أعمال العباد. ٥ - إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. ٦ - أهمية قوة الحجة في الدعوة إلى الله. ٧ - ضرر التقليد الأعمى. ٨ - الدعوة إلى الله دعوة جد لا دعوة هزل. ٩ - التدرج في تغيير المنكر، والبدء بالأسهل فالأسهل، فقد بدأ إبراهيم بتغيير منكر قومه بالقول والصدع بالحجة، ثم انتقل إلى التغيير بالفعل.

﴿٥٨﴾ فَحَطَّمُوا إِصْنَامَهُمْ أَصْنَامَهُمْ حَتَّى صَارَتْ قَطَعًا صَغِيرَةً، وَأَبْقَى كَبِيرَهَا رَجَاءً أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ عَنْ حُطْمِهَا.

﴿٥٩﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا وَوَجَدُوا أَصْنَامَهُمْ قَدْ حُطِّمَتْ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: مَنْ حَطَّمْ أَصْنَامَنَا؟ إِنْ مِنْ حُطْمِهَا لَمَنْ الظَّالِمِينَ، حَيْثُ حَقَّرَ مَا يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ وَالتَّقْدِيرَ.

﴿٦٠﴾ قَالَ مَنْ سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ (لِيَكِيدَنَّ أَصْنَامَهُمْ): سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ بِسُوءٍ وَيَعْبَهُمْ يُدْعَى إِبْرَاهِيمَ، لَعَلَّهُ هُوَ الَّذِي حَطَّمَهُمْ.

﴿٦١﴾ قَالَ سَادَتُهُمْ: جِئْتُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ وَمَرَأَى؛ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَى إِقْرَارِهِ بِمَا صَنَعَ، فَيَكُونُ إِقْرَارُهُ حُجَّةً لَكُمْ عَلَيْهِ.

﴿٦٢﴾ فَجَاؤُوا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ فَسَأَلُوهُ مُنْكَرِينَ عَلَيْهِ: أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا الْفِعْلَ الشَّنِيعَ بِأَصْنَامِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟!

﴿٦٣﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ - مُتَهَكِّمًا بِهِمْ، مَظْهَرًا عَجْزَ أَصْنَامِهِمْ عَلَى مَرَأَى مِنَ النَّاسِ -: مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُ الْأَصْنَامِ، فَاسْأَلُوا أَصْنَامَكُمْ إِنْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ.

﴿٦٤﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْتَفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، فَهُمْ ظَالِمُونَ حِينَ عَبْدُوها مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿٦٥﴾ ثُمَّ عَادُوا لِلْعُنَادِ وَالْجُحُودِ، فَقَالُوا: لَقَدْ أَبْقَيْتَ - يَا إِبْرَاهِيمُ - أَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَنْطِقُ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَسْأَلَهَا؟ أَرَادُوا ذَلِكَ حُجَّةً لَهُمْ، فَكَانَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ.

﴿٦٦﴾ قَالَ إِبْرَاهِيمُ - مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ -: أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا لَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا تَضُرُّكُمْ، فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنْ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهَا، أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ لَهَا.

﴿٦٧﴾ فُبْحًا لَكُمْ، وَقُبْحًا لِمَا تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ذَلِكَ، وَتَتْرَكُونَ عِبَادَتَهَا؟!

﴿٦٨﴾ فَلَمَّا عَجِزُوا عَنْ مُوَاجَهَتِهِ بِالْحُجَّةِ لَجَأُوا إِلَى الْقُوَّةِ، فَقَالُوا: حَرِّقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ؛ ائْتَصَارًا لِأَصْنَامِكُمُ الَّتِي هَدَمَهَا وَكَسَرَهَا إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ بِهِ عِقَابًا رَادِعًا.

﴿٦٩﴾ فَأَوْقَدُوا نَارًا وَرَمَوْهُ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا نَارُ، كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ، فَلَمْ يُصَبِّ بِأَذَى.

﴿٧٠﴾ وَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ كَيْدًا بِأَنْ يَحْرِقُوهُ، فَأَبْطَلْنَاهُ كَيْدَهُمْ، وَجَعَلْنَاهُمْ الْهَالِكِينَ الْمَغْلُوبِينَ.

﴿٧١﴾ وَأَنْقَذْنَاهُ وَأَنْقَذْنَا لُوطًا، وَأَخْرَجْنَاهُمَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا؛ بِمَا بَعَثْنَا فِيهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِمَا بَشَّاهُ فِيهَا لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْخَيْرَاتِ.

﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ حِينَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، وَوَهَبْنَا لَهُ يَعْقُوبَ زِيَادَةً، وَكُلَّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِيهِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ صَيِّرْنَاهُمْ صَالِحِينَ مَطِيعِينَ لِلَّهِ.

﴿٧٣﴾ فَوَالِ اللَّهِ مِنَ الْآيَاتِ:

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدَ إِبْرَاهِيمَ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَأْذِنُواهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ ثَكَّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ذَلِكَ، وَتَتْرَكُونَ عِبَادَتَهَا؟!

﴿٦٧﴾ فَلَمَّا عَجِزُوا عَنْ مُوَاجَهَتِهِ بِالْحُجَّةِ لَجَأُوا إِلَى الْقُوَّةِ، فَقَالُوا: حَرِّقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ؛ ائْتَصَارًا لِأَصْنَامِكُمُ الَّتِي هَدَمَهَا وَكَسَرَهَا إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ بِهِ عِقَابًا رَادِعًا.

﴿٦٩﴾ فَأَوْقَدُوا نَارًا وَرَمَوْهُ فِيهَا، فَقَالُوا: يَا نَارُ، كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ، فَلَمْ يُصَبِّ بِأَذَى.

﴿٧٠﴾ وَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ كَيْدًا بِأَنْ يَحْرِقُوهُ، فَأَبْطَلْنَاهُ كَيْدَهُمْ، وَجَعَلْنَاهُمْ الْهَالِكِينَ الْمَغْلُوبِينَ.

﴿٧١﴾ وَأَنْقَذْنَاهُ وَأَنْقَذْنَا لُوطًا، وَأَخْرَجْنَاهُمَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا؛ بِمَا بَعَثْنَا فِيهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِمَا بَشَّاهُ فِيهَا لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْخَيْرَاتِ.

﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ حِينَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، وَوَهَبْنَا لَهُ يَعْقُوبَ زِيَادَةً، وَكُلَّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِيهِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ صَيِّرْنَاهُمْ صَالِحِينَ مَطِيعِينَ لِلَّهِ.

١ - جواز استخدام الحيلة لإظهار الحق وإبطال الباطل. ٢ - تمسك أهل الباطل بباطلهم عائد إلى عنادهم، لا إلى قوة حجبتهم، ولا إلى ضعف حجة أهل الحق. ٣ - تعلق أهل الباطل بحجج يحسبونها لهم، وهي عليهم. ٤ - التعنيف في القول وسيلة من وسائل التغيير للمنكر إن لم يترتب عليه ضرر أكبر. ٥ - اللجوء لاستخدام القوة برهان على العجز عن المواجهة بالحجة. ٦ - نصر الله لعباده المؤمنين، وإنقاذه لهم من المحن من حيث لا يحتسبون.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آيَاتُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَحِينَهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَسَاقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

﴿٧٣﴾ وصيّرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، واثتوا بالصلاة على أكمل وجه، وأدوا الزكاة، وكانوا لنا مُتْقَادِينَ.

﴿٧٤﴾ ولوطًا أعطيناه فصل القضاء بين الخصوم، وأعطيناه علمًا بأمر دينه، وسلّمناه من العذاب الذي أنزلناه على قريته (سدُوم) التي كان أهلها يأتون الفاحشة، إنهم كانوا قوم فساد خارجين عن طاعة ربهم.

﴿٧٥﴾ وأدخلناه في رحمتنا إذ أنجيناه من العذاب الذي أصاب قومه، إنه من الصالحين الذين يأترون بأمرنا، ويتهون بنهينا.

﴿٧٦﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة نوح؛ إذ نادى الله من قبل إبراهيم ووط، فاستجبنا له بإعطائه ما طلب، فأنقذناه وأنقذنا أهله المؤمنين من الغمّ العظيم.

﴿٧٧﴾ ونجيناه من مكر القوم الذين كذبوا بما أيدناه به من الآيات الدالة على صدقه، إنهم كانوا قوم فساد وشر، فأهلكناهم أجمعين بالغرق.

﴿٧٨﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة داود وابنه سليمان عليهما السلام إذ يحكمان في قضية رُفِعَتْ إليهما بشأن خصمين: لأحدهما غنم انتشرت

ليلاً في حرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود وسليمان شاهدين، لم يغب عنا من حكمهم شيء. ﴿٧٩﴾ ففهمنا القضية سليمان دون أبيه داود، وكلاً من داود وسليمان أعطيناه النبوة والعلم بأحكام الشرع، لم نخص به سليمان وحده، وطوّعنا مع داود الجبال تسبح بتسبيحه، وطوّعنا له الطير، وكنا فاعلين لذلك التفهيم وإعطاء الحكم والعلم والتسخير.

﴿٨٠﴾ وعلمنا داود دون سليمان صناعة الدروع لتحميكم من فتك السلاح بأجسامكم، فهل أنتم - أيها الناس - شاكرون لهذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.

﴿٨١﴾ وطوّعنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تجري بأمره إذا أمرها إلى أرض الشام التي باركنا فيها بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بسط فيها من الخيرات، وكنا بكل شيء عالمين، لا يخفى علينا منه شيء.

﴿٨٢﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فعل الخير والصلاة والزكاة، مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.
- ٢ - إنجاء أهل الحق، وإهلاك أهل الباطل سُنَّةَ إلهية.
- ٣ - ارتكاب الفواحش سبب في وقوع العذاب المُسْتَأْصِل.
- ٤ - الصلاح سبب في الدخول في رحمة الله.
- ٥ - النصر نصيب أهل الحق على أهل الباطل.
- ٦ - الدعاء سبب في النجاة من الكروب.

﴿٥٧﴾ وسَخَّرْنَا مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فِي
الْبَحَارِ يَسْتَخْرِجُونَ اللُّكَّ وَغَيْرَهَا، وَيَعْمَلُونَ
غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ كَالْبَنَاءِ، وَكُنَّا لِأَعْدَائِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ حَافِظِينَ، لَا يَفُوتُنَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

واذكر - أيها الرسول - قصة أيوب عليه السلام، إذ دعا ربه سبحانه حين أصابه البلاء قائلاً: يا رب، إني أصبْتُ بالمرض وفَقَدْتُ الأهل، وأنت أرحم الراحمين جميعاً، فاصرف عني ما أصابني من ذلك.

﴿٤٨﴾ فَأَجِنَا دَعْوَتَهُ، وَصَرَفْنَا عَنْهُ مَا أَصَابَهُ مِنْ
ضُرٍّ، وَأَعْطَيْنَاهُ مَا فَقَدَ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ،
وَأَعْطَيْنَاهُ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، كُلَّ ذَلِكَ فَعَلْنَاهُ رَحْمَةً
مِنْ عِنْدِنَا، وَتَذْكِيرًا لِكُلِّ مُنْقَادٍ لِلَّهِ بِالْعِبَادَةِ؛
لِيَصْبِرَ كَمَا صَبَرَ أَيُّوبُ.

﴿٥٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إسماعيل وإدريس
وذا الكفل ؑ، كل واحد منهم من الصابرين
على البلاء، وعلى القيام بما كلفهم الله به .
﴿٥٦﴾ وأدخلناهم في رحمتنا، فجعلناهم أنبياء،
وأدخلناهم الجنة، إنهم من عباد الله الصالحين
الذين عملوا بطاعة ربهم، وصلحت سرائرهم
وعلاجاتهم .

واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب
الحوت يونس عليه السلام، إذ ذهب دون إذن من ربه
مغاضباً قومه لتعاديتهم في العصيان، فظن أننا
لن نُضَيِّقَ عليه بعقابه على ذهابه، فابتلي بشدة
الضيق والحبس حين التقمه الحوت، فدعا في
الظلمة فقال: لا معبود بحق غيرك، تزهت وتقدس، إذ

﴿٣٨﴾ فَأَجْبِنَا دَعْوَتَهُ، وَنَجِّنَاهُ مِنْ كَرْبِ الشَّدَةِ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، وَمِنْ بَطْنِ الْحَوْتَ، وَمِثْلُ إِنْجَاءِ يُونُسَ مِنْ كَرْبِهِ هَذَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ إِذَا وَقَعُوا فِي كَرْبٍ وَدَعَا اللَّهَ.

واذكر - أيها الرسول - قصة زكريا عليه السلام إذ دعا ربه سبحانه قائلًا: رب، لا تتركني منفردًا لا ولد لي، وأنت خير الباقيين، فارزقني ولدًا يبقيني بعدى.

﴿٩﴾ فَأَجَبْنَا لَهُ دَعْوَتَهُ، وَأَعْطَيْنَاهُ يَحْيَىٰ وَلَدًا، وَأَصْلَحْنَا زَوْجَهُ، فَصَارَتْ وَلَدًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَا تَلِدُ، إِنْ زَكَرِيَّا وَزَوْجُهُ وَابْنُهُ كَانُوا يَسَارِعُونَ إِلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَكَانُوا يَدْعُونَنَا رَاغِبِينَ فِيمَا عِنْدَنَا مِنَ الثَّوَابِ، خَائِفِينَ مِمَّا عِنْدَنَا مِنَ الْعِقَابِ، وَكَانُوا لَنَا مُتَضَرِّعِينَ.

❁ فوائد من الآيات:

- ١ - الصبر خلق الأنبياء ﷺ .
- ٢ - الصلاح سبب للرحمة .
- ٣ - الإقرار بالذنب أدب من آداب الدعاء .
- ٤ - الالتجاء إلى الله وسيلة لكشف الكروب .
- ٥ - فضل طلب الولد ليبقي بعد الإنسان إذا مات .
- ٦ - من تعرّف إلى الله في الرخاء عرفه الله في الشدة .

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة مريم عليها السلام التي صانت فرجها من الزنا، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنسخ فيها فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت هي وابنها عيسى علامة للناس على قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء حيث خلقه من غير أب.

﴿٩٢﴾ إن هذه ملتكم - أيها الناس - ملة واحدة، وهي التوحيد الذي هو دين الإسلام، وأنا ربكم، فأخلصوا العبادة لي وحدي.

﴿٩٣﴾ وتفرق الناس، فصار منهم الموحّد والمشرک والكافر والمؤمن، وكل هؤلاء المتفرقين إلينا وحدنا راجعون يوم القيامة، فنجازيهم على أعمالهم.

﴿٩٤﴾ فمن عمل منهم الأعمال الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فلا جحود لعمله الصالح، بل يضاعف الله له ثوابه، ويرجده في كتاب عمله يوم يبعث، فيسرّ به.

﴿٩٥﴾ ومستحيل على أهل قرية أهلكتها بسبب كفرها أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليتوبوا وتقبل توبتهم.

﴿٩٦﴾ لا يرجعون أبداً حتى إذا فُتح سدّ يأجوج والأرض يخرجون مسرعين.

﴿٩٧﴾ واقتربت القيامة بخروجهم، وظهرت أهوالها وشدائدها، فإذا أبصار الكفار مفتوحة من شدة هولها يقولون: يا هلاکنا، قد كنا في الدنيا في لهو وانشغال عن الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بل كنا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٩٨﴾ إنكم - أيها المشركون - وما تعبدونه من دون الله من الأصنام، وممن يرضى بعبادتكم له من الإنس والجن وقود جهنم، أنتم ومعبوداتكم لها داخلون.

﴿٩٩﴾ لو كانت هذه المعبودات آلهة تُعبد بحق ما دخلوا النار مع من عبدوهم، وكل من العابدين والمعبودين في النار، ما كانوا فيها أبداً لا يخرجون منها.

﴿١٠٠﴾ لهم فيها من شدة ما يلاقونه من الآلام أنين وتنفس شديد، وهم في النار لا يسمعون الأصوات من شدة الهول المُفرع الذي أصابهم.

﴿١٠١﴾ ولما قال المشركون: (إن عيسى والملائكة الذين عُبدوا سيدخلون النار) قال الله: إن الذين سبق في علم الله أنهم من أهل السعادة مثل عيسى عليه السلام مبعدون عن النار.

﴿١٠٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التنويه بالعفاف وبيان فضله.

٢ - اتفاق الرسالات السماوية في التوحيد وأسس العبادات.

٣ - الإيمان شرط لقبول العمل الصالح.

٤ - فُتح سدّ يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.

٥ - الغفلة عن الاستعداد ليوم القيامة سبب لمعاناة أهوالها.

﴿١٢٦﴾ لَا يَصِلُ إِلَى سَمْعِهِمْ صَوْتُ جَهَنَّمَ، وَهُمْ فِيمَا اَشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَلَذَاتِ مَآكُثُونَ، لَا يَنْقُطُ نَعِيمُهُمْ اَبَدًا.

﴿١٢٧﴾ لَا يَخِيفُهُمُ الْهَوْلُ الْعَظِيمُ حِينَ تَطْبِقُ النَّارُ عَلَى اَهْلِهَا، وَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّهْنِئَةِ قَائِلِينَ: هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تَوْعَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَبْشُرُونَ بِمَا تَلَاقُونَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ.

﴿١٢٨﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا اَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا اِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ.

﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَانِ الْاَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٣٠﴾ اِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ قُلْ اِنَّمَا يُوحِي الَيَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ اِلٰهُ وَاحِدٌ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ اَدْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَاِنْ اَدْرِيْ اَقْرَبُ اَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٣٤﴾ اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَاِنْ اَدْرِيْ لَعَلَّكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ اِلَيَّ حِينٍ ﴿١٣٦﴾ قُلْ رَّبِّ اَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعٰنُ عَلٰى مَا نَصِفُوْنَ ﴿١٣٧﴾

﴿١٣٨﴾ اِنْ فِيمَا اَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْوَعظِ لَبَلَاغٌ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ رَبِّهِمْ بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، فَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِهِ.

﴿١٣٩﴾ وَمَا بَعَثْنَاكَ - يَا مُحَمَّد - رَسُوْلًا اِلَّا رَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ لِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنَ الْحُرْصِ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ وَانْقَاذِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿١٤٠﴾ قُلْ - اَيُّهَا الرَّسُولُ -: اِنَّمَا يُوحِي اِلَيَّ مِنْ رَبِّيْ اَنَّمَا مَعْبُودُكُمْ بِحَقِّ مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ اللَّهُ، فَانْقَادُوا لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ.

﴿١٤١﴾ فَاِنْ اَعْرَضَ هَؤُلَاءُ عَمَّا جِئْتُهُمْ بِهِ، فَقُلْ - اَيُّهَا الرَّسُولُ - لَهُمْ: اَعْلَمْتُكُمْ اَنَّنِيْ وَاِيَاكُمْ عَلَى اَمْرِ مُّسْتَوٍ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْمَفَاصِلَةِ، وَلَسْتُ اَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ بِكُمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ عَذَابِهِ.

﴿١٤٢﴾ اِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا اَعْلَنْتُمْ مِنَ الْقَوْلِ، وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَهُ مِنْهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيَجْزِيْكُمْ عَلَيْهِ.

﴿١٤٣﴾ وَلَسْتُ اَدْرِيْ هَلْ اِمْهَالُكُمْ بِالْعَذَابِ اخْتِبَارٌ لَّكُمْ، وَاسْتِدْرَاجٌ، وَتَمْتِيعٌ لَّكُمْ اِلَى اَمَدٍ مُّقَدَّرٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ لِتَتِمَادُوا فِي كُفْرِكُمْ وَضَلَالِكُمْ؟

﴿١٤٤﴾ قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ دَاعِيًا رَبَّهُ: رَبِّ، اِفْصَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا الَّذِيْنَ اَصْرَوْا عَلٰى الْكُفْرِ بِالْقَضَاءِ الْحَقِّ، وَبَرَبْنَا نَسْتَعِيْنُ عَلٰى مَا تَقُوْلُوْنَ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيْبِ.

﴿١٤٥﴾ فَاِذَا مِنْ اٰيَاتٍ:

١ - الصَّلَاحُ سَبَبٌ لِلتَّمَكِّيْنِ فِي الْاَرْضِ.

٢ - النَّبِيُّ ﷺ رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِيْنَ.

٣ - الرَّسُوْلُ ﷺ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ.

٤ - عِلْمُ اللَّهِ بِمَا يَصْدُرُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ قَوْلٍ.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اَشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٢٦﴾ لَا يَخْزِيْهُمْ الْفَزَعُ الْاَكْبَرُ وَنَلْقَاهُمْ اَلْمَلٰٓئِكَةَ هٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِيْ كُنْتُمْ تَوْعَدُونَ ﴿١٢٧﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا اَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا اِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٢٨﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَانِ الْاَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٢٩﴾ اِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ قُلْ اِنَّمَا يُوحِي الَيَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ اِلٰهُ وَاحِدٌ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ اَدْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَاِنْ اَدْرِيْ اَقْرَبُ اَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٣٣﴾ اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٣٤﴾ وَاِنْ اَدْرِيْ لَعَلَّكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ اِلَيَّ حِينٍ ﴿١٣٥﴾ قُلْ رَّبِّ اَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعٰنُ عَلٰى مَا نَصِفُوْنَ ﴿١٣٦﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

اَنَابَا ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِتَّ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَوْ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَهُ فَاِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ٤ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقِصْرُ الْإِرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدِّدْ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٥

﴿مقصد السورة:﴾
تركز على قضية التعظيم والاستسلام لله من خلال عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية، ولذلك افتتحت بالتخويف وتضمنت سجدين.

﴿التفسير:﴾

﴿١﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم بامتنال ما أمركم به، والكف عما نهاكم عنه، إن ما يصاحب القيامة من زلزلة الأرض وغيرها من الأحوال أمر عظيم، يجب الاستعداد له بالعمل بما يرضي الله، يوم تشاهدونها تغفل كل مرضعة عن رضيعها، وتُسْقِطُ كل صاحبة حمل حملها من شدة الخوف، وترى الناس من غياب عقولهم مثل السكرارى من شدة هول الموقف، وليسوا سكارى من شرب الخمر، ولكن عذاب الله شديد، فقد أفقدهم عقولهم. ولما ذكر الله ما يصاحب قيام الساعة من أحوال ردة على الذين ينكرون القيامة والبعث، فقال: ﴿٢﴾ ومن الناس من يخاصم في قدرة الله على بعث الأموات دون علم يستند إليه، ويتبع في اعتقاده وقوله كل متمرد على ربه من الشياطين، ومن أئمة الضلال.

﴿٣﴾ كُتِبَ على ذلك المتمرد من شياطين الإنس والجن أن من اتبعه وصدق به فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويسوقه إلى عذاب النار بما يقوده إليه من الكفر والمعاصي. ﴿٤﴾ يا أيها الناس إن كان لديكم شك في قدرتنا على بعثكم بعد الموت، فتأملوا في خلقكم؛ فقد خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم خلقنا ذريته من مني يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتحول المني دماً جامداً، ثم يتحول الدم الجامد إلى قطعة لحم، ثم تتحول قطعة اللحم إما إلى خلق سوي يبقى في الرحم حتى يخرج مولوداً حياً، وإما إلى خلق غير سوي يسقطه الرحم؛ لنبين لكم قدرتنا بخلقكم أطواراً، ونثبت في الأرحام ما نشاء من الأجنة حتى يولد في أجل محدد وهو تسعة أشهر، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتصلوا إلى كمال القوة والعقل، ومنكم من يموت قبل ذلك، ومنكم من يعيش حتى يبلغ سن الهرم حيث تضعف القوة ويضعف العقل، حتى يصير أسوأ حالاً من الصبي، لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر فتفتحت عن النبات، وارتفعت بسبب نمو نباته، وأخرجت من كل صنف من النبات جميل المنظر.

﴿فوائد الآيات:﴾

- ١ - وجوب الاستعداد ليوم القيامة بزيادة التقوى.
- ٢ - ثبوت الحنان للأمهات لا سيما في حالة الإرضاع.
- ٣ - شدة أحوال القيامة.
- ٤ - منكر البعث لا يستند إلى حجة.
- ٥ - التدرج في الخلق سنة إلهية.
- ٦ - دلالة الخلق الأول على إمكان البعث.
- ٧ - ظاهرة المطر وما يتبعها من إنبات الأرض دليل ملموس على بعث الأموات.

① ذلك الذي ذكرنا لكم - من بدء خلقكم وأطواره وأحوال من يولد منكم - لأجل أن تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم هو الحق الذي لا شك فيه، بخلاف ما تعبدون من أصنامكم، ولتؤمنوا بأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

② ولتؤمنوا بأن الساعة آتية لا شك في إتيانها، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم.

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال:

③ ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، وفي إرساله رسوله بالهدى بغير مستند من عقل صحيح، أو نقل صحيح صريح، بل لمجرد هواه.

④ لاويًا عنقه تكبرًا ليعصرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وصفه ذلك في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

⑤ ويقال له: ذلك العذاب الذي ذقته بسبب ما اكتسبته من الكفر والمعاصي، والله لا يعذب أحدًا من خلقه إلا بذنب.

⑥ ومن الناس مضطرب يعبد الله على شك، فإن أصابه خير من صحة وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقير تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر دنياه، فلن يزيده كفره حطًا من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

⑦ يعبد من دون الله أصنامًا لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق.

⑧ يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرًا لمن يستنصره، وصاحبًا لمن يصحبه.

⑨ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحات جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

⑩ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى سماء بيته، ثم ليختنق به بقطع نفسه عن الأرض، ثم لينظر هل يذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فالله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبى.

﴿فَوَالَّذِينَ الْآيَاتِ﴾

١ - الكبر خلق يمنع من التوفيق للحق.

٢ - من عدل الله أنه لا يعاقب إلا على ذنب.

٣ - الإيمان والعمل الصالح سبب دخول الجنة.

٤ - الله ناصر نبيه ودينه ولو كره الكافرون.

﴿١٦﴾ وكما بيّنا لكم الحجج الواضحة على البعث أنزلنا على محمد ﷺ القرآن آيات واضحة، وأن الله يوفق بفضلته من يشاء لسبيل الهداية والرشاد.

﴿١٧﴾ إن الذين آمنوا بالله وهم: المؤمنون من هذه الأمة، واليهود، والصابئين (طائفة من أتباع بعض الأنبياء)، والنصارى، والمجوس (عبدة النار)، وعبدة الأوثان، إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل غيرهم النار، إن الله على كل شيء من أقوال عباده وأعمالهم شهيد، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٨﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسجد له سجد طاعة من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من مؤمني الإنس والجن، وتسجد له الشمس، ويسجد له القمر، وتسجد له النجوم في السماء، والجبال والشجر والدواب في الأرض؛ سجدوا انقياداً، ويسجد له كثير من الناس سجد طاعة، وكثير يمتنع عن السجود له طاعة، فحقّ عليهم عذاب الله لكفرهم، ومن يقض الله عليه بالذلة والمهانة لكفره فليس له أحد يكرمه، إن الله يفعل ما يشاء، فلا مكره له سبحانه.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْمُغْضُوبِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُمِّن بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْطِعٌ مِّنْ حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾



ولما بيّن الله ﷻ من يسجد له طاعة ومن يمتنع، عقّب ذلك بمصير كل منهما فقال:

﴿١٨﴾ هذان فريقان متخاصمان في ربهم أيهم المُنِج: فريق الإيمان، وفريق الكفر، وفريق الكفر تحيط بهم النار مثل إحاطة الثياب بلباسها، ويصّب من فوق رؤوسهم الماء المتناهي في الحرارة. ﴿١٩﴾ يُذاب به ما في بطونهم من الأحشاء من شدة حرّه، ويصل إلى جلودهم فيذيبها. ﴿٢٠﴾ ولهم في النار مطارق من حديد تضرب الملائكة بها رؤوسهم. ﴿٢١﴾ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة ما يلاقونه فيها من الكرب رُدُّوا إليها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

﴿٢٢﴾ وفريق الإيمان وهم الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات يدخلهم الله في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يزينهم الله بتحليتهم بأسورة من الذهب، ويزينهم بالتحلية باللؤلؤ، ويكون لباسهم فيها الحرير.

﴿٢٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الهداية بيد الله يمنحها من يشاء من عباده.
- ٢ - رقابة الله على كل شيء من أعمال عباده وأحوالهم.
- ٣ - خضوع جميع المخلوقات لله قدراً، وخضوع المؤمنين له طاعة.
- ٤ - العذاب نازل بأهل الكفر والعصيان، والرحمة ثابتة لأهل الإيمان والطاعة.

﴿١٤﴾ وأرشدهم الله في الحياة الدنيا إلى طيب الأقوال كشهادة أن لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد، وأرشدهم إلى طريق الإسلام المحمود.

﴿١٥﴾ إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية، ذلك المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكاً من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكي المقيم فيه، والطارئ فيه من غير أهل مكة، ومن يهّم فيه بأمر قطع من المعاصي عامداً نذقه من عذاب مؤلم.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ بينا لإبراهيم مكان البيت وحدوده بعد أن كان مجهولاً، وأوحينا إليه أن لا تشرك بعبادتي شيئاً، بل اعبدني وحدي، وطهر بيتي من الأنجاس الحسية والمعنوية للطائفين به، والمصلين فيه.

﴿١٧﴾ وناد في الناس داعياً إياهم إلى حج هذا البيت الذي أمرناك ببنائه؛ بأتوك مشاةً أو ركباناً على كل بعير مهزول مما عانى من السير، تأتي بهم الإبل تحملهم من كل طريق بعيد.

﴿١٨﴾ ليحضروا ما يعود لهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك، وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله

على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من هذه الهدايا، وأطعموا منها من كان شديد الفقر.

﴿١٩﴾ ثم ليقضوا ما بقي عليهم من مناسك حجهم، ويتحللوا بحلق رؤوسهم وقص أظفارهم وإزالة الوسخ المتراكم عليهم بسبب الإحرام، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت الذي أعتقه الله من تسلط الجبابرة عليه.

﴿٢٠﴾ ذلك الذي أمرتم به من التحلل بحلق الرأس وقص الأظفار وإزالة الأوساخ، والوفاء بالنذر والطواف بالبيت هو ما أوجبه الله عليكم، فعظموا ما أوجبه الله عليكم، ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه؛ تعظيمًا منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمانها أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عند ربه سبحانه، وأبيحت لكم - أيها الناس - الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فلم يحرم عليكم منها حامياً ولا بحيرة ولا وصيلة، فلم يحرم منها إلا ما تجدونه في القرآن من حرمة الميتة والدم وغيرهما، فابتعدوا عن القلتر الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن الكذب وشهادة الزور.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - خلو الجنة من المنغصات القولية والفعلية.
- ٢ - حرمة البيت الحرام تقتضي الاحتياط من المعاصي فيه أكثر من غيره.
- ٣ - وجوب تطهير بيوت الله من النجاسات المعنوية والحسية.
- ٤ - بيت الله مأوى أفئدة المؤمنين في كل زمان ومكان.
- ٥ - منافع الحج عائدة إلى الناس سواء الدنيوية أو الأخروية.
- ٦ - شكر النعم يقتضي العطف على الضعفاء.
- ٧ - وجوب تطهير القلوب من العقائد الفاسدة، وتطهير الألسنة من الكذب.

﴿٣١﴾ اجتنبوا ذلك مائلين عن كل دين سوى دينه المُرْتَضَى عنده، غير مشركين به في العبادة أحداً، ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فإما أن تخطف الطير لحمه وعظامه، أو تقذفه الريح في مكان بعيد.

﴿٣٢﴾ ذلك ما أمر الله به من توحيده والإخلاص له، واجتناب الأوثان وقول الزور. ومن يعظم معالم الدين - ومنها الهدى ومناسك الحج - فإن تعظيمها من تقوى القلوب لربها.

﴿٣٣﴾ لكم في الهدايا التي تنحرونها بالبيت منافع، مثل الركوب والصوف والنسل واللبن إلى أجل محدد بوقت ذبحها عند القرب من بيت الله الذي أعتقه من تسلط الجبابة.

﴿٣٤﴾ ولكل أمة ماضية جعلنا منسكاً لإراقة الدماء قرباناً لله؛ رجاء أن يذكروا اسم الله على ما يذبحونه من تلك القرابين عند الذبح؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فمعبودكم بحق - أيها الناس - معبود واحد لا شريك له، فله وحده انقادوا بالإذعان والطاعة، وأخبر - أيها الرسول - الخاشعين المخلصين بما يسرهم.

﴿٣٥﴾ الذين إذا ذُكِرَ الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، وأدوا الصلاة تامة، ويصبرون إن أصابهم بلاء، وينفقون في وجوه

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

﴿٣٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

﴿٣٧﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ

﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَاذِبُونَ

﴿٣٩﴾ فَلَهُمْ أَسْلُمٌ أَوْ بَشِيرٌ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

﴿٤٠﴾ وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٤١﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ

﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ

﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾

﴿٤٦﴾

﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾

﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾

البر مما رزقهم الله.

﴿٣١﴾ والبُذُن التي تُهْدَى إلى البيت جعلناها لكم من شعائر الدين وأعلامه، لكم فيها منافع دينية ودنيوية، فقولوا: (بسم الله) عند نحرها بعد أن تصف قوائمها وهي قائمة قد عقلت إحدى يديها حتى لا تشرد، فإذا سقطت بعد النحر على جنبها، فكلوا - أيها المُهْدُونَ - منها، وأعطوا منها الفقير الذي يتعفف عن السؤال، والفقير الذي يتعرض ليعطى منها، كما ذللناها لكم لتحملوا عليها وتركبوها ذللناها لكم فانقادت إلى حيث تنحرونها؛ تقريباً لله لعلكم تشكرون الله على نعمة تذليلها لكم.

﴿٣٦﴾ لن يصل إلى الله لحوم ما تقدمونه من هدايا ولا دماؤها، ولن تُرْفَعَ إليه، لكن يرفع إليه اتقاؤكم الله فيها؛ بأن تخلصوا له في امثالكم للتقرب بها إليه، كذلك ذللها الله لكم لتكبروا الله شاكرين إياه على ما وفقكم له من الحق، وأخبر - أيها الرسول - المحسنين في عبادتهم لربهم، وفي تعاملهم مع خلقه بما يسرهم.

﴿٣٨﴾ إن الله يدفع عن الذين آمنوا بالله شر أعدائهم، إن الله لا يحب كل خوان لأمانته، جحود لنعم الله، بل يبعضه.

﴿٣٩﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - ضَرْب المثل لتقريب الصور المعنوية بجعلها في ثوب حسي مقصد تربوي عظيم. ٢ - تعظيم شعائر الدين نابع من تقوى القلوب. ٣ - المتعفف بالطاعة هو العبد. ٤ - فضل التواضع. ٥ - الهدى من شعائر الله. ٦ - إطعام الفقير المتعفف والسائل مقصد من مقاصد تشريع الهدى. ٧ - قبول الأعمال منوط بالإخلاص لله. ٨ - الإحسان سبب للسعادة. ٩ - الإيمان سبب لدفع الله عن العبد ورعايته له.

ولما بين الله ﷻ أنه يدافع عن المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم أذن لهم في قتال الكفار، فقال:

﴿٤١﴾ أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بالقتال؛ لما وقع عليهم من ظلم أعدائهم لهم، وإن الله على نصر المؤمنين على عدوهم دون قتال لقدير، لكن حكمته اقتضت أن يختبر المؤمنين بقتال الكافرين.

﴿٤٢﴾ الذين أخرجهم الكفار من ديارهم ظلماً، لا لحرم ارتكوبه إلا أنهم قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، ولولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين من قتال أعدائهم لاعتدوا على مواطن العبادة، فهدموا صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المعدة للصلاة، فيها يذكر المسلمون الله ذكراً كثيراً، ولينصرون الله من ينصر دينه ونبية، إن الله لقوي على نصر من ينصر دينه، عزيز لا يغالبه أحد.

﴿٤٣﴾ هؤلاء الموعودون بالنصر هم الذين إن مكناهم في الأرض بالنصر على أعدائهم أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالهم، وأمروا بما أمر به الشرع، ونهوا عما نهى عنه، والله وحده مرجع الأمور في الشواب عليها والعقاب.

﴿٤٤﴾ وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه قومه من الرسل، فقد كذب قومك قبل قومك قوم نوح، وكذبت عاد هوداً، وثمود صالحاً.

﴿٤٥﴾ وكذب قوم إبراهيم إبراهيم، وكذب قوم لوط لوطاً.

﴿٤٦﴾ وكذب أصحاب مدين شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخترت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٧﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مستأصل، فديارها مهتمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من ورائها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٤٨﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذوبين بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض؛ ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن الثابت أن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المهلك المُردي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاض.

❁ فوائد من الآيات:

- ١ - الجهاد امتحان للمؤمن.
- ٢ - إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- ٣ - إثبات مشروعية الجهاد؛ للحفاظ على مواطن العبادة.
- ٤ - النصر حليف من ينصر الدين.
- ٥ - إقامة الدين سبب لنصر الله لعيبيه المؤمنين.
- ٦ - تسلية الرسول ﷺ بأنه ليس الوحيد الذي كذبه قومه، وبأن مصير المكذبين الهلاك.
- ٧ - عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

﴿٤٧﴾ ويستعجلك - أيها الرسول - الكفار من قومك بالعذاب المُعَجَّل في الدنيا وبالعذاب المُؤَجَّل في الآخرة لما أنذروا بهما، ولن يخلفهم الله ما وعدهم به منه، ومن المُعَجَّل ما حل بهم يوم بدر، وإن يوماً من العذاب في الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من سني الدنيا بسبب ما فيه من العذاب.

﴿٤٨﴾ وما أكثر القرى التي أمهلتها بالعذاب وهي ظالمة لكفرها، ولم أعاجلها به استدراجاً لها، ثم أخذتها بعذاب مُسْتَأْصِل، وإلى وحدي مرجعهم يوم القيامة، فأجازهم على كفرهم بالعذاب الدائم.

﴿٤٩﴾ يا أيها الناس، إنما أنا لكم منذر أبلغكم ما أرسلت به، واضح في إنذاري.

﴿٥٠﴾ فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم من ربهم مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة لا يقطع أبداً.

﴿٥١﴾ والذين سعوا في التكذيب بآياتنا مُقَدَّرِينَ أنهم سيعجزون الله ويفوتونه فلا يعذبهم، أولئك أصحاب الجحيم يلازمونها كما يلازم صاحب صاحبه.

﴿٥٢﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته ما يكون شبهة، فيبطل الله ما يلقى الشيطان

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَيْتَ نَحْنُ وَآلُكُمْ عَلَى الْصَّالِحِينَ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ مَغْفِرَةً وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ ﴿٥٥﴾

﴿٥٦﴾

من الوسواس، وبشت آياته، والله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، حكيم في خلقه وتقديره وتديره.

﴿٥٦﴾ يُلْقِي الشيطان في قراءة النبي ليصير الله ما يلقى امتحاناً للمنافقين، وللذين قست قلوبهم من المشركين، وإن الظالمين من المنافقين والمشركين لفي عداوة لله ورسوله ويُبعد عن الحق والرشاد.

﴿٥٧﴾ وليتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو الحق الذي أوحى به الله إليك - أيها الرسول - فيزدادوا إيماناً به، وتخضع له قلوبهم وتخضع، وإن الله لهادي الذين آمنوا به إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ جزاء لهم على خضوعهم له.

﴿٥٨﴾ ولا يزال الذين كفروا بالله وكذبوا برسوله في شك مما أنزل الله عليك من القرآن، مستمرين حتى تأتيهم الساعة فجأة وهم على ذلك، أو يأتيهم عذاب يوم لا رحمة فيه ولا خير، وهو يوم القيامة بالنسبة لهم.

﴿٥٩﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الظلم من أسباب هلاك الأمم.
- ٢ - استدراج الظالم حتى يتمادى في ظلمه سُنَّةَ إلهية.
- ٣ - حفظ الله لكتابه من التبديل والتحريف وصرف مكاييد أعوان الشيطان عنه.
- ٤ - النفاق وقسوة القلوب مرضان قاتلان.
- ٥ - العلم وسيلة للتفريق بين الحق والباطل.
- ٦ - الإيمان ثمرة للعلم، والخشوع والخضوع لأوامر الله ثمرة للإيمان.

﴿٥٦﴾ الملك يوم القيامة - يوم يأتي هؤلاء ما كانوا يوعدون به من العذاب - الله وحده، لا منازع له فيه، هو سبحانه يحكم بين المؤمنين والكافرين، فيحكم لكل منهم بما يستحقه، فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب عظيم هو جنات النعيم المقيم الذي لا ينقطع.

﴿٥٧﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزل على رسولنا لهم عذاب مذل يلهم الله به في جهنم.

﴿٥٨﴾ والذين تركوا ديارهم وأوطانهم طلباً لمرضاة الله وإعزازاً لدينه، ثم قُتِلُوا في الجهاد في سبيله، أو ماتوا ليرزقهم الله في الجنة رزقاً حسناً دائماً لا ينقطع، وإن الله سبحانه لهو خير الرازقين.

﴿٥٩﴾ ليدخلهم الله موضعاً يرصونه وهو الجنة، وإن الله لعليم بأفعالهم ونياتهم، حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة على ما فرطوا فيه.

﴿٦٠﴾ ذلك المذكور؛ من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتدائه فإن الله ينصر الْمُعْتَدَى عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم.

﴿٦١﴾ ذلك النصر للمُعْتَدَى عليه لأن الله قادر

الْمَلِكُ يَوْمَ يَمِزُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ فِيهِمْ مُدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٢﴾ ذلك المذكور من إدخال الله الليل في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق، فدينه حق، ووعدته حق، ونصره للمؤمنين حق، وأن ما يعبد المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتاً وقدرًا وقهرًا، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

﴿٦٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض بعد نزول المطر عليها خضراء بما أنبتته من نبات، إن الله لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنبت لهم الأرض، خير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿٦٤﴾ له وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، وإن الله لهو الغني الذي لا يفتقر إلى أي مخلوق من مخلوقاته، المحمود في كل حال.

﴿فَوَالَّذِينَ الْآيَاتِ﴾

١ - مكانة الهجرة في الإسلام وبيان فضلها.

٢ - جواز العقاب بالمثل.

٣ - نصر الله للمُعْتَدَى عليه يكون في الدنيا أو الآخرة.

٤ - إثبات الصفات العُلَى لله بما يليق بجلاله؛ كالعلم والسمع والبصر والعلو.

﴿٦٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله ذلّل لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات لمنافعكم وحاجاتكم، وذلّل لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخيره من بلد إلى بلد، ويمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث سخر لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم.

﴿٦٦﴾ والله هو الذي أحياكم حيث أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجحد لنعم الله مع أنها ظاهرة.

﴿٦٧﴾ لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا يُنازعنك - أيها الرسول - المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم؛ لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلی طريق مستقيم، لا اعوجاج فيه.

﴿٦٨﴾ وإن امتنعوا إلا أن يجادلوك بعد ظهور الحجة فيك أمرهم إلى الله قائلًا على سبيل الوعيد: الله أعلم بما تعملون من عمل، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعًا إِلَىٰ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ قُلْ أَفَأَنْتُمْ شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْأَلُ الْمَصِيرَ ﴿٧٢﴾

﴿٧١﴾ الله يحكم بين عباده: مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من أمر الدين.

﴿٧٢﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، إن علم ذلك مُسَجَّل في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك كله على الله سهل.

﴿٧٣﴾ ويعبد المشركون من دون الله أصنامًا لم ينزل الله حجة على عبادتها في كتبه، وليس لهم عليها دليل من علم، وإنما مستندهم التقليد الأعمى لأبائهم، وليس للظالمين من نصير يمنعهم مما يحلّ بهم من عذاب الله.

﴿٧٤﴾ وإذا قرأ عليهم آياتنا في القرآن واضحات تعرف في وجوه الذين كفروا بالله إنكارها من عبوسهم عند سماعهم لها، يكادون من شدة الغضب يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آياتنا، قل لهم - أيها الرسول -: أفأخبركم بما هو شر من غيظكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها، وساء المصير الذي يصيرون إليه.

﴿٧٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - من نعم الله على الناس تسخير ما في السماوات وما في الأرض لهم.
- ٢ - إثبات صفتي الرأفة والرحمة لله.
- ٣ - إحاطة علم الله بما في السماوات والأرض وما بينهما.
- ٤ - التقليد الأعمى هو سبب تمسك المشركين بشركهم بالله.
- ٥ - لجوء أهل الباطل إلى العنف؛ لعجزهم عن مواجهة الحجة بالحجة.

﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، واعتبروا به، إن ما تعبدون من أصنام وغيرها من دون الله لن يخلقوا ذبابًا على صغره لعجزهم، ولو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوه ما خلقوه، وإذا أخذ الذباب شيئًا مما عليهم من طيب وما أشبهه لم يقدرُوا على إنقاذه منه، وبِعِزَّتِهِمْ عن خلق الذباب، وإنقاذ أشياءهم منه؛ تبين عجزهم عما هو أكبر من ذلك، فكيف تعبدونها - مع عجزها - من دون الله؟! ضَعُفَ هذا الطالب وهو الصنم المعبود الذي لا يستطيع إنقاذ ما استلبه الذباب منه، وَضَعُفَ هذا المطلوب الذي هو الذباب.

﴿٧٧﴾ ما عظموا الله حق تعظيمه حين عبدا معه بعض مخلوقاته، إن الله لقوي، ومن قوته وقدرته خلق السماوات والأرض ومن فيهما، عزيز لا يغالبه أحد بخلاف أصنام المشركين فهي ضعيفة ذليلة لا تخلق شيئًا.

﴿٧٨﴾ الله ﷻ يختار من الملائكة رسلًا، ويختار من الناس رسلًا كذلك، فيرسل بعض الملائكة إلى الأنبياء مثل جبريل أرسله إلى الرسل من البشر، ويرسل الرسل من البشر إلى الناس، إن الله سميع لما يقوله المشركون في رسله، بصير بمن يختاره لرسالته.

﴿٧٩﴾ يعلم سبحانه ما عليه رسله من الملائكة والناس قبل خلقهم وبعد موتهم، وإلى الله وحده ترجع الأمور يوم القيامة، حيث يبعث عباده فيجازيهم على ما قدموا من عمل.

﴿٨٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا فِي صَلَاتِكُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وافعلوا الخير من صدقة وصلة؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٨١﴾ وجاهدوا في سبيل الله جهادًا خالصًا لوجهه، هو اختاركم وجعل دينكم سَمَحًا لا ضيق فيه ولا شدة، هذه الملة السَّخِيَّةُ هي ملة أبيكم إبراهيم ﷺ، وقد سماكم الله المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن؛ ليكون الرسول شهيدًا عليكم أنه بلغكم ما أمر بتبليغه، ولتكونوا أنتم شهودًا على الأمم السابقة أن رسلها بَلَّغَتْها، فاشكروا الله على ذلك بالإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، والجؤوا إلى الله، واعتمدوا عليه في أموركم، فهو سبحانه نِعَمُ المولى لمن تولاه من المؤمنين، ونِعَمُ النصير لمن استنصره منهم، فتولَّوه يتولكم، واستنصروه ينصركم.

﴿٨٢﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعاني، وهي طريقة تربوية جلييلة.

٢ - عجز الأصنام عن خلق الأدنى دليل على عجزها عن خلق غيره.

٣ - الإشراف بالله سببه عدم تعظيم الله.

٤ - إثبات صفتي القوة والعزة لله، وأهمية أن يستحضر المؤمن معاني هذه الصفات.

٥ - عبادة الله وفعل الخيرات سبب للفلاح.

٦ - رفع الحرج في الدين.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِمْ وَما خَلَفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٨٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٨١﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

آيَاتُهَا

٢٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَافِضُونَ ﴿٥﴾ إِذَا عَلَيَ
أَزْوَاجَهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً وَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَعِينُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿١﴾ مقصد السورة :
قضية الإيمان وحقيقته وثماره وعواقب مخالفته
وذم الكافرين، ولذلك افتتحت بفلاح المؤمنين
وعدم فلاح الكافرين.

﴿٢﴾ التفسير :
﴿١﴾ قد فاز المؤمنون بالله العاملون بشرعه
بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما
يرهبون.

﴿٢﴾ الذين هم في صلاتهم متدللون، قد سكنت
فيها جوارحهم، وفرغت قلوبهم من الشواغل.

﴿٣﴾ والذين هم عن الباطل واللهو وما فيه
معصية من الأقوال والأفعال معرضون.

﴿٤﴾ والذين هم لتطهير أنفسهم من الرذائل،
وتطهير أموالهم بإخراج زكاتها فاعلون.

﴿٥﴾ والذين هم لفروجهم بإبعادها عن الزنا
واللواط والفواحش حافظون، فهم أعتا
طاهرون.

﴿٦﴾ إلا على زوجاتهم أو ما يملكون من الإماء،
فإنهم لا يلامون في الاستمتاع بهن بالوط
وغيره.

﴿٧﴾ فمن طلب الاستمتاع بما عدا الزوجات أو
إمائه اللاتي يملكها فهو متجاوز لحدود الله

بتجاوز ما أحله من التمتع إلى ما حرمه منه.

﴿٨﴾ والذين هم لما اتتمهم الله عليه، أو اتتمهم عباده، ولعهدهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.

﴿٩﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أداؤها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها.

﴿١٠﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.

﴿١١﴾ الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ماكثون أبداً، لا ينقطع نعيمهم فيها.

﴿١٢﴾ ولقد خلقنا أبا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.

﴿١٣﴾ ثم خلقنا ذريته متناسلين من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.

﴿١٤﴾ فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم علقة حمراء، ثم خلقنا تلك العلقة الحمراء قطعة لحم، فخلقنا
قطعة اللحم تلك عظماً متصلية، فألبسنا تلك العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه إلى
الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿١٥﴾ ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مررتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.

﴿١٦﴾ ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.

﴿١٧﴾ ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات بعضها فوق بعض، وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياه.

﴿١٨﴾ فإله من الآيات:

١ - للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها.

٢ - التدرج في الخلق والشرع سنة إلهية.

٣ - إحاطة علم الله بمخلوقاته.

﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَإِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَذْهَبَ بِهِ فَلََّا تَتَفَعَّلُونَ.

﴿٢٠﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِذَلِكَ الْمَاءِ بَسَاتِينَ مِّنَ النَّخِيلِ وَالْعُنَبِ، لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ مُتَعَدَّةُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَالثِّينِ وَالرَّمَانِ وَالتَّفَاحِ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.

﴿٢١﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَخْرُجُ فِي أَصْلِهَا مِّنْ أَرْضٍ طُورِ سَيْنَاءَ، تَنْبُتُ الدَّهْنَ الَّذِي يَسْتَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهَا يُدْهَنُ بِهِ وَيُؤْتَدَمُ.

﴿٢٢﴾ وَإِن لَّكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْأَنْعَامِ (الْإِبِلِ، الْبَقَرِ، الْغَنَمِ) لَعِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ تَسْتَدْلُونَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَلَطْفِهِ بِكُمْ، نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ تَنْتَفِعُونَ بِهَا مِنْهَا، كَالرُّكُوبِ وَالصُّوفِ وَالْوَبْرِ وَالشَّعْرِ، وَتَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِهَا. ﴿٢٣﴾ وَعَلَى الْإِبِلِ مِنَ الْأَنْعَامِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى الْسُفُنِ فِي الْبَحْرِ تَحْمَلُونَ.

﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نُوحًا ؑ إِلَى قَوْمِهِ يُدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، مَا لَكُمْ مِنْ مَّعْبُودٍ بِحَقِّ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٥﴾ فَقَالَ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَتْبَاعِهِمْ وَعَامَتِهِمْ: مَا هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ إِلَا بُشْرٍ مِّثْلَكُمْ يَرِيدُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ عَلَيْكُمْ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْنَا رَسُولًا لِأَرْسَلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يُرْسَلْهُ مِنَ الْبَشَرِ، مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَا ادَّعَاهُ عِنْدَ أَسْلَافِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا.

﴿٢٦﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنُونٌ، لَا يَعْصِي مَا يَقُولُ، فَانظُرُوا بِهِ حَتَّى يَبْضَحَ أَمْرَهُ لِلنَّاسِ.

﴿٢٧﴾ قَالَ نُوحٌ ؑ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَنْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ.

﴿٢٨﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ السَّفِينَةَ بِمَرَأَىٰ مِنَّا وَتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ كَيْفَ تَصْنَعُهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ، وَنَبْعِ الْمَاءِ بَقْوَةً مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْبِئُ فِيهِ، فَأَدْخِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْأَحْيَاءِ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ لِيَسْتَمِرَّ النَّسْلُ، وَأَدْخِلْ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ بِالْإِهْلَاكِ مِثْلَ زَوْجَتِكَ وَابْنِكَ، وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكَفْرِ بِطَلَبِ نَجَاتِهِمْ وَتَرَكُوا إِهْلَاكَهُمْ، إِنَّهُمْ مُهْلَكُونَ - لَا مُحَالَةَ - بِالْغُرْقِ فِي مَاءِ الطُّوفَانِ.

﴿٢٩﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - لطف الله بعباده ظاهر بإزالة المطر وتيسير الانتفاع به.

٢ - التنويه بمنزلة شجرة الزيتون.

٣ - تسخير الأنعام للناس عبرة للمعتبر.

٤ - اعتقاد المشركين ألوهية الحجر، وتكذيبهم بنبوة البشر، دليل على سخف عقولهم.

٥ - نصر الله لرسوله ثابت عندما تكذبهم أممهم.

(٢٨) فَإِذَا عَلَوْتَ عَلَى الْسَفِينَةِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ، فَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَأَهْلَكَهُمْ. (٢٩) وَقُلْ: رَبِّ أَنْزِلْنِي أَنْزَالًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ.

(٣٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ إِنْجَاءِ نُوحٍ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَإِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ؛ لِدَلَالَاتٍ جَلِيَّةٍ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى نَصْرِ رُسُلِنَا وَإِهْلَاكِ الْمَكِيدِينَ بِهِمْ، وَإِنْ كُنَّا لِمُخْتَبِرِينَ قَوْمِ نُوحٍ بِإِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ لِيَتَضَحَّ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ وَالْمُطِيعُ مِنَ الْعَاصِي.

(٣١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ جِيلًا آخَرَ، وَهُمْ عَادُ قَوْمِ هُودَ.

(٣٢) فَبَعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، وَهُوَ هُودٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ بِحَقِّ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ؟

(٣٣) وَقَالَ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِالْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَأَطَاعَهُمْ مَا وَسَّعْنَا لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قَالُوا لِأَتْبَاعِهِمْ وَعَامَتِهِمْ: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ مِنْهُ، فَلَيْسَ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُعْثَ رَسُولًا إِلَيْكُمْ.

(٣٤) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذْنٌ لِمُغَيَّبُونَ لَتُرَكَّبَنَّ أَلْهَتُكُمْ، وَاتَّبَاعٌ مِنْ لَا فَضِيلَةَ لَهُ عَلَيْكُمْ.

(٣٥) أَيْعِدُكُمْ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَصَرْتُمْ تَرَابًا وَعِظَامًا بِأَلِيَّةِ أَنْكُمْ قُبُورُكُمْ أَحْيَاءُ؟

(٣٦) أَيْعَقِلُ هَذَا؟

(٣٧) بَعِيدٌ مَا تَوَعَدُونَ بِهِ مِنْ إِخْرَاجِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَمُصِيرِكُمْ تَرَابًا وَعِظَامًا بِأَلِيَّةِ.

(٣٨) لَيْسَتْ الْحَيَاةُ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، لَا الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ، مَوْتُ الْأَحْيَاءِ مَنَا وَلَا تَحْيَى، وَيُولَدُ آخَرُونَ فِيحْيُونَ، وَلَسْنَا بِمُخْرِجِينَ بَعْدَ مَوْتِنَا لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٣٩) مَا هُودُ الَّذِي يَدْعِي أَنَّهُ رَسُولُ إِلَيْكُمْ إِلَّا رَجُلٌ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بِأَدْعَائِهِ هَذَا، وَلَسْنَا لَهُ بِمُصَدِّقِينَ.

(٤٠) قَالَ هُودٌ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَنْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ.

(٤١) فَأَجَابَهُ اللَّهُ قَائِلًا: بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ سَيُصْبِحُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذُوبُونَ بِمَا جِئْتُ بِهِ نَادِمِينَ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ.

(٤٢) فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ الشَّدِيدَةُ مَصْحُوبَةٌ بِرِيحٍ بَاسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ لَتَعْنَتِهِمْ، فَصَيَّرَتْهُمْ هَلَكَى مِثْلَ غَشَاءِ السَّيْلِ، فَهَلَكَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

(٤٣) ثُمَّ بَعْدَ إِهْلَاكِهِمْ أَنْشَأْنَا أَقْوَامًا وَمِثْلَ آخَرِينَ مِثْلَ قَوْمِ لُوطَ، وَقَوْمِ شُعَيْبَ، وَقَوْمِ يُونُسَ.

(٤٤) فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - وجوب حمد الله على النعم.

٢ - الترف في الدنيا ظاهره نعمة وباطنه نقمة.

٣ - إنكار المشركين للبعث ناتج عن تفكيرهم المادي.

٤ - عاقبة الكافر الندامة والخسران.

٥ - الظلم سبب في البعد عن رحمة الله.

﴿٤٣﴾ لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لمجيء هلاكها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها من الوسائل.

﴿٤٤﴾ ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم رسولها المبعوث إليها كذبوه، فأتبعنا بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلاكاً لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم من عند ربهم.

﴿٤٥﴾ ثم بعثنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع: (المصا، اليد، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، نقص الثمرات)، وبحجة واضحة.

﴿٤٦﴾ بعثناهما إلى فرعون والأشرف من قومه فاستكبروا، فلم ينقادوا للإيمان لهما، وكانوا قوماً مُسْتَعْلِينَ على الناس بالقهر والظلم.

﴿٤٧﴾ فقالوا: أنصدق بشرين مثلنا، لا مزية لهما علينا، وقومهما (بنو إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟

﴿٤٨﴾ فكذبوهما فيما جاءا به من عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالغرق.

﴿٤٩﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء أن يهدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا بها.

﴿٥٠﴾ وصيرنا عيسى ابن مريم وأمه مريم علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به من غير أب،

وأويناها إلى مكان مرتفع من الأرض، مستو صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.

﴿٥١﴾ يا أيها الرسل، كلوا مما أحللت لكم مما يُسْتَطَاب أكله، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرع، إني بما تعملون من عمل عليم، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء.

﴿٥٢﴾ وإن ملتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامثال أوامري، واجتنب نواهي.

﴿٥٣﴾ فتفرق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزاباً وشيعاً، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٤﴾ فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٥﴾ أَيْظَنَ هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطيه من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟! ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطيه ذلك إِمْلَاءً واستدراجاً لهم، لكنهم لا يحسّون بذلك.

﴿٥٦﴾ إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم وجِلون من ربهم.

﴿٥٧﴾ والذين هم بايات ربهم الكونية والشرعية يؤمنون.

﴿٥٨﴾ والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئاً.

﴿٥٩﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - رعاية الله لعباده بإرسال الرسل إليهم رسولاً بعد رسول إلى أن ختمهم بنبينا عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام. ٢ - الاستكبار مانع من التوفيق للحق. ٣ - إطابة المأكّل شأن عباد الله المتقين. ٤ - التوحيد ملة جميع الأنبياء ودعوتهم. ٥ - الإنعام على الفاجر ليس إكراماً له، وإنما هو استدراج.

﴿١٥﴾ والذين يجتهدون في أعمال البر، وتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة وهم خائفون أن لا يتقبل الله منهم إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا إليه يوم القيامة.

﴿١٦﴾ أولئك الموصوفون بهذه الصفات العظيمة يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن أجلها سبقوا غيرهم.

﴿١٧﴾ ولا نكلف نفساً إلا قدر ما تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق الذي لا مرية فيه، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

﴿١٨﴾ بل قلوب الكفار في غفلة من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى دون ما هم عليه من الكفر هم لها عاملون.

﴿١٩﴾ حتى إذا عاقبنا منعيمهم في الدنيا بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون أصواتهم مستغيثين.

﴿٢٠﴾ فيقال لهم تيسساً لهم من رحمة الله: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم يمنعكم من عذاب الله.

﴿٢١﴾ قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

﴿٢٢﴾ تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرم ولستم أهله؛ لأن

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمَ قُلُوبِهِمْ وَجِلَّةً أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَجْعِهِمْ رَجِعُونَ ﴿١٥﴾
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا نَكُفُّ
نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَامِلُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّعِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَرُونَ ﴿١٩﴾
لَا يَخْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّا كَرِهْنَا لَأَنصُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَكَانَتْ ءَايَتِي
نُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٢١﴾ مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَمِيرَاتِهِمْ يَجُرُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَمْنُكِرُونَ ﴿٢٤﴾
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ
ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٨﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَعَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٢٩﴾

أهله هم المتقون، وتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

﴿٣٠﴾ أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

﴿٣١﴾ أم إنهم لم يعرفوا محمداً ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته.

﴿٣٢﴾ بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا مزية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون للحق، مبغضون له حسداً من عند أنفسهم، وتعصباً لباطلهم.

﴿٣٣﴾ ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السماوات والأرض، وفسد من فيهن لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والفاسد من التدبير.

﴿٣٤﴾ هل طلبت - أيها الرسول - أجراً من هؤلاء على ما جئتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

﴿٣٥﴾ وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

﴿٣٦﴾ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لماثلون إلى غيرها من الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

﴿٣٧﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. ٢ - سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. ٣ - الترف مانع من موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. ٤ - الكبر مانع من وصول الهداية إلى القلوب. ٥ - قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح. ٦ - عدم الإيمان بالثواب والعقاب سبب من أسباب الانحراف والضلال.

﴿٧٥﴾ ولو رحمناهم ورفعنا عنهم ما بهم من قطع وجوع لتمادوا في ضلالهم عن الحق يترددون ويتخبطون.

﴿٧٦﴾ ولقد اختبرناهم بأنواع المصائب، فما تذللوا الربهم ولا خضعوا له، وما دعوه خاشعين ليرفع عنهم المصائب عند نزولها.

﴿٧٧﴾ حتى إذا فتحنا عليهم باباً من العذاب الشديد إذا هم فيه آيسون من كل فرج وخير.

﴿٧٨﴾ ولما كان إنكار البعث لا يصدر ممن له وسائل الإدراك من سمع وبصر وعقل ذكّرهم الله بما أنعم عليهم به منها، فقال:

﴿٧٩﴾ والله سبحانه هو الذي أحدث لكم - أيها المكذبون بالبعث - السمع لتسمعوا به،

والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتفقهوا بها، ومع ذلك لا تشكرونه على هذه النعم إلا قليلاً.

﴿٨٠﴾ وهو الذي خلقكم - أيها الناس - في الأرض، وإليه وحده يوم القيامة تحشرون للحساب والجزاء.

﴿٨١﴾ وهو وحده سبحانه الذي يحيي فلا محيي غيره، وهو وحده الذي يميت فلا مميت سواه،

وإليه وحده تقدير اختلاف الليل والنهار ظلمة وإنارة وطولاً وقصراً، أفلا تعقلون قدرته، وتفردّه بالخلق والتدبير؟!

﴿٨٢﴾ بل قالوا مثل ما قال آبائهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٣﴾ قالوا على وجه الاستبعاد والإنكار: إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلية أنا لمبعوثون أحياء للحساب؟!

﴿٨٤﴾ لقد وعدنا هذا الوعد - وهو البعث بعد الموت - ووعد أسلافنا من قبل بذلك، ولم نر ذلك الوعد تحقق، ما هذا إلا أباطيل الأقدمين وأكاذيبهم.

﴿٨٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث: لمن هذه الأرض، ولمن من هم عليها إن كان لكم علم؟

﴿٨٦﴾ سيقولون: الأرض ومن عليها لله، فقل لهم: ألا تتذكرون أن من له الأرض ومن عليها قادر على إحيائكم بعد موتكم؟

﴿٨٧﴾ قل لهم: من رب السماوات السبع؟ ومن رب العرش العظيم الذي لا يوجد مخلوق أعظم منه؟

﴿٨٨﴾ سيقولون: السماوات السبع والعرش العظيم ملك لله، فقل لهم: أفلا تتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه لتسلموا من عذابه؟

﴿٨٩﴾ قل لهم: من الذي بيده ملك كل شيء، لا يشذ عن ملكه شيء، وهو يغيث من شاء من عباده، ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه العذاب، إن كان لكم علم؟

﴿٩٠﴾ سيقولون: ملك كل شيء بيده سبحانه، فقل لهم: فيكيف تفقدون عقولكم، وتعبدون غيره مع إقراركم بذلك؟!

﴿٩١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرتهم.

٢ - كفران النعم صفة من صفات الكفار.

٣ - التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق.

٤ - الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالألوهية لا ينجي صاحبه.

﴿٩٧﴾ ليس الأمر كما يدعون، بل جئناهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعونه لله من الشريك والولد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٩٨﴾ ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود بنصيبه من الخلق الذي خلقه، وَلَقَالَبَ بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل على أن المعبود بحق هو الله وحده، تنزهه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

﴿٩٩﴾ عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه أن يكون له شريك.

﴿١٠٠﴾ قل - يا أيها الرسول -: رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

﴿١٠١﴾ رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني مما أصابهم من العذاب.

﴿١٠٢﴾ وإنا على أن نجعلك تشاهد وترى ما نعدهم به من العذاب لقادرون، لا نعجز عن ذلك ولا عن غيره.

﴿١٠٣﴾ ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٧﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ رَبِّ

إِمَّا تَرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٠٢﴾

أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿١٠٣﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٠٤﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٠٥﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

أَرْجِعُونِ ﴿١٠٦﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٧﴾ فَإِذَا نُفِخَ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٨﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٠﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١١﴾

﴿٩٧﴾ وقل: رب اعتصم بك من تزغات الشياطين ووساوسهم. وأعوذ بك رب أن يحضروني في شيء من أموري.

﴿٩٨﴾ حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندماً على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله: رب أرجعني إلى الحياة الدنيا.

﴿٩٩﴾ لعلي أعمل عملاً صالحاً إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلبت، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلو رُدَّ إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوَقِّون في حاجز بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه.

﴿١٠٠﴾ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية المؤذنة بالقيامة فلا أنساب بينهم يتفاخرون بها لانشغالهم بأهوال الآخرة، ولا يسأل بعضهم بعضاً لانشغالهم بما يهمهم.

﴿١٠١﴾ فمن ثقلت موازينه برجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما يتأولونه من مطلوبهم، وما يجتنبون من مروههم. ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها من الكفر والمعاصي، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ماكثون أبداً، لا يخرجون منها.

﴿١٠٢﴾ تحرق وجوههم النار، وهم فيها قد تقلصت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم من شدة العبوس.

﴿١٠٣﴾ فوالله من الآيات: ١ - الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. ٢ - إحاطة علم الله بكل شيء. ٣ - معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. ٤ - ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته. ٥ - ندم الكافر حين لا ينفع الندم. ٦ - الاعتبار في القيامة بالعمل لا بالنسب. ٧ - شدة أهوال يوم القيامة تنسي علائق النسب والقرابة. ٨ - كثرة الحسنات سبب السعادة، وكثرة السيئات سبب الشقاء.

﴿١٠٤﴾ فوالله من الآيات: ١ - الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. ٢ - إحاطة علم الله بكل شيء. ٣ - معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. ٤ - ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته. ٥ - ندم الكافر حين لا ينفع الندم. ٦ - الاعتبار في القيامة بالعمل لا بالنسب. ٧ - شدة أهوال يوم القيامة تنسي علائق النسب والقرابة. ٨ - كثرة الحسنات سبب السعادة، وكثرة السيئات سبب الشقاء.

١٥٥) ويقال لهم تقريباً لهم: ألم تكن آيات القرآن
تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟!
١٥٦) قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك
من شقاوتنا، وكنا قومًا ضالين عن الحق.
١٥٧) ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما
كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون
لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.
١٥٨) قال الله: اقعِدُوا في النار، وامكثُوا فيها
أذلاء، ولا تكلموني أبدًا.
١٥٩) إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي
يقولون: ربنا آمنا بك فاعفُ لنا ذنوبنا،
وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.
١٦٠) فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم
محلًا للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهزئون بهم
حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله،
وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.
١٦١) إني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة
يوم القيامة؛ لصبرهم على طاعة الله وعلى ما
كانوا يتلقونه منكم من الأذى.
ولما سألوا الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما
أفسدوا ذكرهم بما عمروا فيها مما يمكنهم
من التوبة لو أرادوا ذلك.
١٦٢) قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟
وكم أضعتم فيها من وقت؟

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتَنِي عَلَيْهِمْ فَكَثَرْتُمْ بَهَاثِكُمْ بُوتَ ١٥٥ قَالُوا
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٥٦
أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٥٧ قَالُوا اخْسَوْا فِيهَا
وَلَا تَكْلِمُونَ ١٥٨ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَامِنًا فَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٥٩ فَاتَّخَذْتَهُمْ
سَخِرَ بِنَا حَتَّىٰ أَنْصَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١٦٠
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١٦١ قُلْ
كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عِدَدُ سِنِينَ ١٦٢ قَالُوا لَيْسَ نَوْمًا أَوْ بَعْضُ
يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ١٦٣ قُلْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَشْيَاءَ وَأَنْتُمْ
إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ١٦٥ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ١٦٦ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْكَافِرُونَ ١٦٧ وَقُلْ رَبِّ اعْفُرْ وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٦٨

١٦٨

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

١٦٨

١٦٣) فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يعنون بحساب الأيام والشهور.
١٦٤) قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كنتم تعلمون مقدار مكثكم.
١٦٥) أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لعباً دون حكمة، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا
ترجعون إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء؟!
١٦٦) فتنزه الله الملك المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق
غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.
١٦٧) ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ
عند ربه سبحانه، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يفوز الكافرون بنيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يرهبون.
١٦٨) وقل - أيها الرسول -: رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير الراحمين.

فَوَارِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الكافر حقير عند الله مهان.
- ٢ - الاستهزاء بالصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب.
- ٣ - الصبر على الأذى من صفات المؤمنين.
- ٤ - تضييع العمر لازم من لوازم الكفر.
- ٥ - الفوز من نصيب المؤمنين، والخسران من نصيب الكافرين.
- ٦ - الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الزَّانِيَةِ وَأَنْزَلْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

١ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ

عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ

مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ ٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ٥ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ زَوْجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ

فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦

وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَدْرَأُ

عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨

وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

٢١

٢٢

٢٣

٢٤

٢٥

٢٦

٢٧

● مقصد السورة :

التركيز على قضية العفاف والستر وصفاء

المجتمع المسلم وتحصينه من أسباب الفاحشة

وكيد المنافقين في نشرها .

● التفسير :

١ هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا العمل

بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات بينات؛ رجاء أن

تذكروا ما فيها من الأحكام فتعملوا به .

٢ الزانية والزاني البكران فاجلدوا كل واحد

منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رقة ورحمة

بحيث لا تقيمون عليهما الحد أو تخففونه

عنهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر،

وليحضر إقامة الحد عليهما جمع من المؤمنين

إمعاناً في التشهير بهما، وردعاً لهما ولغيرهما .

٣ الزاني لا يرغب في الزواج إلا من زانية مثله

أو مشركة لا تتوقى الزنا، والزانية لا ترغب في

الزواج إلا من زان مثله أو مشرك لا يتوقاه،

وحرم نكاح الزانية وإنكاح الزاني على المؤمنين .

٤ والذين يرمون بالفاحشة العفاف من

النساء، (والأعفاء من الرجال مثلهن)، ثم لم

يأتوا بأربعة شهود على ما رموه به من

الفاحشة فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين

جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين يرمون

العفاف هم الخارجون عن طاعة الله .

٥ إلا الذين تابوا إلى الله بعد الذي أقدموا عليه من ذلك،

وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم وشهادتهم،

إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم .

٦ والذين يرمون من الرجال زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم

يشهدون على صحة ما رموه به؛ يشهد

الواحد منهم أربع شهادات بالله : إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنا .

﴿١١﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْبُهْتَانِ (وهو رمي أم المؤمنين عائشة عليها السلام بالفاحشة) جماعة تنتسب إليكم - أيها المؤمنون -، لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الشواب والتمحيص للمؤمنين، ولما يصحبه من ثبرة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي تحمّل معظم ذلك ببذته به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿١٢﴾ هَلَّا إِذْ سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ هَذَا الْإِفْكَ الْعَظِيمَ ظَنُّوا سَلَامَةً مِنْ أَفْثَرِي عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالُوا: هَذَا كَذِبٌ وَاضِحٌ.

﴿١٣﴾ هَلَّا أَتَى الْمَفْتَرُونَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ عليها السلام عَلَى فَرِيْتِهِمُ الْعَظِيمَةِ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صَحَّةٍ مَا نَسَبُوا إِلَيْهَا، فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ عَلَى ذَلِكَ وَلَنْ يَأْتُوا بِهِمْ أَبَدًا فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي حُكْمِ اللَّهِ.

﴿١٤﴾ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أيها المؤمنون - وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ حَيْثُ لَمْ يَعْجَلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَابَ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْكُمْ؛ لِأَصَابِكُمْ عَذَابُ عَظِيمٍ بِسَبَبِ مَا خَضَعْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْكِ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿١٥﴾ إِذْ يَرُويهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَتَتَنَاقَلُونَهُ بِأَفْوَاهِكُمْ مَعَ بَطْلَانِهِ، فَمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ هَيِّنٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ؛ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْكُذْبِ وَرَمِي بَرِيءٌ.

﴿١٦﴾ وَهَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْإِفْكَ قُلْتُمْ: مَا يَصِحُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْأَمْرِ الشَّنِيعِ، تَنْزِيْهَا لَكُمْ رَبَّنَا، هَذَا الَّذِي رَمَوْا بِهِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَذِبٌ عَظِيمٌ.

﴿١٧﴾ يَذْكُرْكُمْ اللَّهُ وَيَنْصَحْكُمْ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِ هَذَا الْإِفْكِ فَتَرْمُوا بَرِيئًا بِالْفَاحِشَةِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ.

﴿١٨﴾ وَيُوضِّحُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى أَحْكَامِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ وَشَرْعُهُ.

﴿١٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَنْتَشِرَ الْمُنْكَرَاتُ - وَمِنْهَا الْقَذْفُ بِالزَّنَا - فِي الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ حَدِّ الْقَذْفِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ، وَمَا يُؤْوِلُ إِلَيْهِ أَمْرَ عِبَادِهِ، وَيَعْلَمُ مَصَالِحَهُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أيها الواقعون في الإفك - وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ بِكُمْ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٢١﴾ فَلَا مَرَاةَ الْآيَاتِ:

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿٢١﴾ فَلَا مَرَاةَ الْآيَاتِ:

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

﴿٢١﴾ فَلَا مَرَاةَ الْآيَاتِ:

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

﴿٢١﴾ فَلَا مَرَاةَ الْآيَاتِ:

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

﴿٢١﴾ فَلَا مَرَاةَ الْآيَاتِ:

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسيئاته، ورفع لدرجته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة عليها السلام بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعائه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَا تَتَّبِعُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ فِي تَرْبِيئِهِ لِلْبَاطِلِ، وَمَنْ يَتَّبِعْ طَرِيقَهُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمِمَّا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مَا طَهَّرَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا بِالتَّوْبَةِ إِنْ تَابَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَطْهَرُ مَنْ يَشَاءُ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِ الْكُفَرِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٢﴾ وَلَا يَحْلِفُ أَهْلُ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَأَصْحَابُ السَّعَةِ فِي الْمَالِ عَلَى تَرْكِ إِعْطَاءِ أَقْرَبَائِهِمُ الْمُحْتَاجِينَ - لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - لِذَنْبِ ارْتِكَابِهِ، وَلِيَعْفُوا عَنْهُمْ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْهُمْ، أَلَا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِذَا عَفَوْتُمْ عَنْهُمْ صَفَحْتُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلْيَتَأَسَّ بِهٖ عِبَادَهُ. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه لِمَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مِسْطَحٍ لِمُشَارَكَتِهِ فِي الْإِفْكِ.

﴿٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْعَافِيَةَ الْغَافِلَاتِ عَنْ الْفَاحِشَةِ الَّتِي لَا يَفْطِنُ لَهَا الْمُؤْمِنَاتِ، طَرَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٤﴾ يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَسْتُمْ بِمَا نَطَقُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿٥﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ بَعْدَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ هُوَ الْحَقُّ، فَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ خَبَرٍ أَوْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ حَقٌّ وَاضِحٌ لَا مَرِيَةَ فِيهِ.

﴿٦﴾ كُلُّ خَبِيثٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مُنَاسِبٌ لِمَا هُوَ خَبِيثٌ وَمُوَافِقٌ لَهُ، وَكُلُّ طَيِّبٍ مِنْ ذَلِكَ مُنَاسِبٌ لِمَا هُوَ طَيِّبٌ مُوَافِقٌ لَهُ، أُولَئِكَ الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُهُ عَنْهُمْ الْخَبِيثُونَ وَالْخَبِيثَاتُ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ يَغْفِرُ بِهَا ذُنُوبَهُمْ، وَلَهُمْ رِزْقٌ كَرِيمٌ وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿٧﴾ وَلَمَّا كَانَ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْعَوْرَاتِ سَبَبًا لِإِثَارَةِ الشَّهْوَةِ الْمُؤْدِي إِلَى ارْتِكَابِ الزُّنَا الْمَذْكُورِ فِي بَدَايَةِ السُّورَةِ، أَمَرَ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَى الْبُيُوتِ؛ حِمَايَةَ لِلنَّظَرِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْعَوْرَاتِ، فَقَالَ:

﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا سَاكِنِيهَا فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِمْ، وَتَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَقُولُوا فِي السَّلَامِ وَالِاسْتِئْذَانِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟ ذَلِكَ الْاسْتِئْذَانُ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدَّخُولِ فَجَاءَةً، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَمَتَّشِلُوهُ.

﴿٩﴾ فَوَافِقُ الْآيَاتِ: ١ - إغراءات الشيطان وسوسه داعية إلى ارتكاب المعاصي، فليحذرها المؤمن.

٢ - التوفيق للتوبة والعمل الصالح من الله لا من العبد.

٣ - يُعَدُّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ عَنِ الْإِتْقَانِ، وَمُعَامَلَةُ الْمُسِيءِ بِالْمِثْلِ.

٤ - العفو والصفح عن المسيء سبب لغفران الذنوب.

٥ - قذف العفائف من كبائر الذنوب.

٦ - اللاتق بالخيث مثله، وبالطيب مثله.

٧ - مشروعية الاستئذان لحماية النظر، والحفاظ على حرمة البيوت.

﴿٢٨﴾ فإن لم تجدوا في تلك البيوت أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن، وإن قال لكم أربابها: (ارجعوا) فارجعوا ولا تدخلوها، فإنه أظهر لكم عند الله، والله بما تعملون عليم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٩﴾ ليس عليكم حرج أن تدخلوا دون استئذان بيوتًا عامة لا تختص بأحد، أعدت للانتفاع العام؛ كالمكتبات والحوانيت في الأسواق، والله يعلم ما تظهرون من أعمالكم وأحوالكم وما تخفون، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليه.

ولما كان النظر بريداً إلى الزنا أمر الله بغض
البصر للوقاية منه، فقال:

﴿٣٥﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين يكفوا من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم من الوقوع في المحرم، ومن كشفها، ذلك الكف عن النظر إلى ما حرمه الله أظهر لهم عند الله، إن الله خبير بما يصنعون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيهم عليه.

﴿٢١﴾ وقل للمؤمنات يكففن من أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحلّ لهن النظر إليه من العورات، ويحفظن فروجهن بالبعد عن

الفاحشة وبالستر، ولا يُظْهَرُ زِينَتَهُنَّ للأجانب إلا ما ظهر منها مما لا يمكن إخفاؤه كالثياب، وليضربن بأغطينتهنَّ على فتحات أعلى ثيابهنَّ ليسترنَّ شعورهنَّ ووجوههنَّ وأعناقهنَّ، ولا يُظْهَرْنَ زِينَتَهُنَّ الخفية إلا لأزواجهنَّ، أو آبائهنَّ، أو آبائ أزواجهنَّ، أو أبنائهنَّ، أو أبناء أزواجهنَّ، أو إخوانهنَّ، أو أبناء أخواتهنَّ، أو نسائهنَّ المأمونات، مسلمات كنَّ أو كافرات، أو ما ملكن من العبيد ذكوراً أو إناثاً، أو التابعين الذين لا غرض لهم في النساء، أو الأطفال الذين لم يطلّعوا على عورات النساء لصغرهم، ولا يضرب النساء بأرجلهنَّ قصد أن يُعْلَمَ ما يسترنَّ من زِينَتَهُنَّ مثل الخلخال وما شابهه، وتوبوا إلى الله جميعاً - أيها المؤمنون - مما يحصل لكم من النظر وغيره؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

فوائد من الآيات:

- ١ - جواز دخول المباني العامة دون استئذان.
- ٢ - وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحلّ لهم.
- ٣ - وجوب الحجاب على المرأة.
- ٤ - جواز إبداء المرأة زينتها للأزواج ومن تحرّم عليه لقراءة أو مصاهرة.
- ٥ - منع استخدام وسائل الإثارة.

ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنا أمر الله بإعانة الأيامي على النكاح، فقال:

﴿٣١﴾ وَزُوجُوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وزوجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إمائكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليهم بأحوال عبادهم.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأيامي أمر الأيم أن يستعفف إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

﴿٣٢﴾ وليطلب العفة عن الزنا الذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكاتبه أسيادهم من العبيد على دفع مال ليتحرروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحفظوا عنهم جزءاً مما كتبواهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنا بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبي بأمية حين طلبتا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تكسبه بفرجها، ومن يجبرهن منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهن غفور لذنبهن، رحيم بهن؛ لأنهن مكروهات، والاثم على مكروههن.

﴿٣٣﴾ ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة لا لبس فيها، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم موعظة يتعظ بها الذين يتقون ربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٣٤﴾ الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيهما، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة غير نافذة فيها ذبالة، الذبالة في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، توقد الذبالة من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفاءه يضيء، ولو لم تمسسه نار، فكيف إذا مسته؟ نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشباها بضربه للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٣٥﴾ يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن تنزه عن الأنجاس والأقذار، وأن يرفع شأنها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصَلِّي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

﴿٣٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الحد من العنوسة بإعانة أصحابها على التخلص منها حتى لا تصبح سبباً لانتشار الفاحشة. ٢ - أمر العاجز عن النكاح لفقره بالبعد عن الفاحشة. ٣ - التخلص من الرِّق عن طريق المكاتب وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستَرَدَّة تمتنع الفاحشة. ٤ - محاربة المتاجرة بالأعراض عن طريق امتحان البغاء. ٥ - قلب المؤمن نير بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية. ٦ - المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها ليعبد فيها، فيجب إعادتها عن الأقذار الحسية والمعنوية.

﴿٣٧﴾ رجال لا يلهيهم شراء ولا بيع عن ذكر الله سبحانه، والإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف من العذاب، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

﴿٣٨﴾ عملوا ذلك ليشبههم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطهم أضعاف ما عملوا. ﴿٣٩﴾ والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه عطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاءه ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وبُعث لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوفاه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

﴿٤٠﴾ أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكد يبصرها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر،

رجال لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴿٣٧﴾ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿٣٨﴾ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفى حسابه والله سريع الحساب ﴿٣٩﴾ أو ظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور ﴿٤٠﴾ القرآن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صفت كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴿٤١﴾ والسموات والأرض وإلى الله المصير ﴿٤٢﴾ القرآن الله يرحي سحباً ثم يؤلف بينهم ثم يجعلهم ركاً ما ترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ﴿٤٣﴾

فقد تراكت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلمًا بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به.

﴿٤١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبح له الطيور قد صفت أجنتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلي منها كالإنسان، وتسبح من يسبح منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء.

﴿٤٢﴾ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحباً، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكماً يركب بعضه بعضاً، فتري المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من قطع مثل الجبال برداً، فيصيب بذلك البرد من يشاء من عباده، ويصرفه عن من يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالأبصار.

﴿٤٤﴾ فائدة من الآيات:

- ١ - موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخروية أمر لازم.
- ٢ - بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان.
- ٣ - أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسبحة المطيعة.
- ٤ - جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره.

﴿٤٤﴾ يُعَاقِبُ اللَّهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طَوْلًا وَقَصْرًا،
 إن في ذلك التعاقب الواقع بينهما عظة
 لأصحاب البصائر على قدرة الله ووحدانيته.
 ﴿٤٥﴾ والله خلق كل ما يدب على وجه الأرض
 من الحيوان من نطفة، فمنهم من يمشي على
 بطنه زحفا كالحيات، ومنهم من يمشي على
 رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على
 أربع كالأنعام، يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما
 لم يذكر، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه
 شيء.

﴿٤٦﴾ لقد أنزلنا على محمد ﷺ آيات واضحة لا
 لبس فيها، والله يوفق من يشاء إلى طريق مستقيم
 لا اعوجاج فيه، فيوصله ذلك الطريق إلى الجنة.
 ﴿٤٧﴾ ويقول المنافقون: آمنا بالله، وآمنا
 بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله، ثم
 تتولى طائفة منهم، فلا يطيعون الله ورسوله في
 الأمر بالجهاد في سبيل الله وغيره بعد ما زعموه
 من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، وما أولئك
 المتولون عن طاعة الله ورسوله بالمؤمنين وإن
 ادعوا أنهم مؤمنون.

﴿٤٨﴾ وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى الله، وإلى
 الرسول ليحكم الرسول بينهم فيما يختصمون
 فيه، إذا هم معرضون عن حكمه لنفاقهم.
 ﴿٤٩﴾ وإن علموا أن الحق لهم، وأنه سيحكم
 لصالحهم بأنوا إليه متقادين خاضعين.

﴿٥٠﴾ أفي قلوب هؤلاء مرض لازم لها، أم شكوا في أنه رسول الله، أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله في
 الحكم؟ ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لعدة في أنفسهم بسبب إعراضهم عن حكمه وعنادهم له.

ولما ذكر موقف المنافقين الرافض لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضي به، فقال:
 ﴿٥١﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله، وأطعنا أمره،
 وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿٥٢﴾ ومن يطع الله ويطع رسوله، ويستسلم لحكمهما، ويخف ما تجرّه المعاصي، ويتق عذاب الله بامثال أمره،
 واجتناب نهيهِ، فأولئك وحدهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٣﴾ وحلف المنافقون بالله أقصى أيمانهم المغلظة التي يستطيعون الحلف بها: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد
 ليخرجن، قل لهم - أيها الرسول -: لا تحلفوا، فكذبكم معروف، وطاعتكم المزعومة معروفة، والله خبير بما
 تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.

﴿٥٤﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تنوع المخلوقات دليل على قدرة الله.

٢ - من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب
 والشك، وسوء الظن بالله.

٣ - من صفات المؤمنين الإذعان لحكم الله، ولو كان عليهم.

٤ - طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين.

٥ - الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين.

﴿٥٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول في الظاهر والباطن، فإن تتولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله، وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٥﴾ وعد الله الذين آمنوا منكم بالله، وعملوا الأعمال الصالحات أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو دين الإسلام مكيثاً عزيزاً، ووعدهم أن يُبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٦﴾ وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تنجوا مما ترهبون، وتقوزوا بما تطلبون.

﴿٥٧﴾ لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتوني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، ومأواهم يوم القيامة جهنم، ولسواء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال:

﴿٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماءكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام ثلاث مرات في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم لليلولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة وليس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان بينكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

﴿٥٩﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء.
- ٢ - التبليغ مسؤولية الرسول، والهداية من الله.
- ٣ - على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والنتائج بيد الله.
- ٤ - الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن.
- ٥ - إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول: أسباب لحصول الرحمة.
- ٦ - تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس.
- ٧ - المشقة تجلب التيسير.

﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِشُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿٦٢﴾ وَالْعَجَازُ اللَّاتِي قَعَدْنَ عَنِ الْحَيْضِ وَالْحَمْلُ لِكِبَرِهِنَّ، اللَّاتِي لَا يَطْمَعْنَ فِي النِّكَاحِ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ إِثْمٌ أَنْ يَضَعْنَ بَعْضَ ثِيَابِهِنَّ كَالرَّدَاءِ وَالْقِنَاعِ، غَيْرَ مَظْهَرَاتٍ لِلزِّينَةِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي أُمِّرْنَ بِسِتْرِهَا، وَأَنْ يَتْرُكْنَ وَضْعَ تِلْكَ الثِّيَابِ خَيْرٌ لَهُنَّ مِنْ وَضْعِهَا إِمْعَانًا فِي السِّتْرِ وَالتَّعْفُفِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٦٣﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى الَّذِي فَقَدَ بَصَرَهُ إِثْمٌ؛ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ إِثْمٌ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ إِثْمٌ؛ إِنْ تَرَكُوا مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِثْمٌ فِي الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِكُمْ، وَمِنْهَا بُيُوتُ أَبْنَائِكُمْ، وَلَا فِي الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ إِخْوَانِكُمْ أَوْ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ أَعْمَامِكُمْ أَوْ عَمَّاتِكُمْ، أَوْ أَخْوَالِكُمْ أَوْ خَالَاتِكُمْ، أَوْ مَا وَكَلْتُمْ عَلَى

حَفَظِهِ مِنَ الْبُيُوتِ مِثْلَ حَارِسِ الْبُسْتَانِ، وَلَا حَرَجٌ فِي الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ لَطِيبِ نَفْسِهِ عَادَةً بِذَلِكَ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ أَنْ تَأْكُلُوا مَجْتَمِعِينَ أَوْ فُرَادَى، إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِثْلَ الْبُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا فَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ فِيهَا بِأَنْ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِأَنْ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَرَعَهَا لَكُمْ مُبَارَكَةٌ؛ لِمَا تَنْشُرُهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالْأَلْفَةِ بَيْنَكُمْ، طَيِّبَةٌ تَطِيبُ بِهَا نَفْسَ سَامِعِهَا، بِمِثْلِ هَذَا التَّبْيِينِ الْمَتَقَدِّمِ فِي السُّورَةِ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْآيَاتِ رَجَاءً أَنْ تَعْقِلُوهَا، وَتَعْمَلُوهَا بِمَا فِيهَا.

﴿٦٤﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - جواز وضع العجائز بعض ثيابهنّ لانتفاء الريبة من ذلك.
- ٢ - الاحتياط في الدين شأن المتقين.
- ٣ - الأعداء سبب في تخفيف التكليف.
- ٤ - المجتمع المسلم مجتمع التكافل والتآزر والتآخي.

ولما ذكر الله الاستئذان عند الدخول ذكر الاستئذان عند الانصراف، فقال:

﴿١٧﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَمَنُوا بِرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرٍ يَجْمَعُهُمْ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ يَنْصَرَفُوا حَتَّى يَطْلُبُوا مِنْهُ الْإِذْنَ فِي الْانْصِرَافِ، إِنْ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْإِذْنَ عِنْدَ الْانْصِرَافِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِرَسُولِهِ حَقًّا، فَإِذَا طَلَبُوا مِنْكَ الْإِذْنَ لِبَعْضِ أَمْرِ يَهْمُهُمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ مِنْهُمْ، وَاطْلُبْ لَهُمُ الْمَغْفِرَةَ لَذُنُوبِهِمْ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لَذُنُوبٍ مِنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٨﴾ شَرُّفُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - رَسُولَ اللَّهِ، فَإِذَا نَادَيْتُمُوهُ فَلَا تَنَادُوهُ بِاسْمِهِ مِثْلَ: يَا مُحَمَّد، أَوْ بِاسْمِ أَبِيهِ مِثْلَ: يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَلَكِنْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِذَا دَعَاكُمْ لِأَمْرٍ عَامٍ فَلَا تَجْعَلُوا دَعْوَتَهُ كَدَعْوَةِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فِي الْأُمُورِ التَّافِهَةِ عَادَةً، بَلْ سَارِعُوا إِلَى الْاسْتِجَابَةِ لَهَا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَنْصَرِفُونَ مِنْكُمْ خَفِيَّةً دُونَ إِذْنٍ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِمُحَنَةٍ وَبِلَاءٍ، أَوْ يُصِيبَهُمْ بِعَذَابٍ مُوجِعٍ لَا صَبْرَ لَهُمْ عَلَيْهِ.

﴿١٩﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا، يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ يُخْبِرُهُمْ بِمَا عَمَلُوا مِنْ أَعْمَالٍ فِي الدُّنْيَا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

— مَكِّيَّةٌ —

● مقصد السورة:

التركيز على قضية الانتصار للرسول ﷺ بعد تناول المشركين عليه.

● التفسير:

﴿١﴾ تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَارْقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ لِيَكُونَ رَسُولًا إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، مُخَوِّفًا لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٢﴾ الَّذِي لَهُ وَحْدَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَمَلِكُ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي مَلِكِهِ، وَخَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، فَقَدَّرَ خَلْقَهَا وَفَقَّ مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ وَحُكْمَتُهُ تَقْدِيرًا، كُلٌّ بِمَا يَنْاسِبُهُ.

● **فوائد من الآيات:** ١ - دين الإسلام دين النظام والآداب.

٢ - في الالتزام بالآداب بركة وخير.

٣ - منزلة رسول الله ﷺ تقتضي توقيره واحترامه أكثر من غيره.

٤ - شؤم مخالفة سنة النبي ﷺ.

٥ - إحاطة ملك الله وعلمه بكل شيء.

﴿٤﴾ وَاتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ خَلْقَهُمْ اللَّهُ مِنْ عَدَمٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ ضَرِّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ لَهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِمَاتَةَ حَيٍّ، وَلَا إِحْيَاءَ مَيِّتٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ بَعثَ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ.
ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم من كتابه ومن رسوله، فقال:

﴿٥﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتاناً إلى الله، وأعاناه على اختلاقه أناس آخرون، فقد افترى هؤلاء الكافرون قولاً باطلاً، فالقرآن كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن بمثله.

﴿٦﴾ وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن: القرآن أحاديث الأولين وما يسطرونه من الأباطيل، استنسخها محمد، فهي تُقرأ عليه أول النهار وآخره.

﴿٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أنزل القرآن الله الذي يعلم كل شيء في السماوات والأرض، وليس مُخْتَلَقًا كما زعمتم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٨﴾ وقال المشركون المكذبون بالنبي ﷺ: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول من عند الله يأكل الطعام كما يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثاً عن المعاش، هلاً أنزل الله معه ملكاً يكون رفيقه يصدقه ويساعده.

﴿٩﴾ أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها، فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولاً، وإنما تتبعون رجلاً مغلوباً على عقله بسبب السحر.
﴿١٠﴾ انظر - أيها الرسول - لتعجب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا: مجنون، فضلوا بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق الهداية، ولا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في صدقك وأمانتك.

﴿١١﴾ تبارك الله الذي إن شاء أن يجعل لك خيراً مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا حقائق تجري من تحت أشجارها الأنهار تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصوراً تسكن فيها مُتَعَمِّاً.
﴿١٢﴾ ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلباً للحق وبحثاً عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة، وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة نازراً عظيمة شديدة الاستعار.

﴿١٣﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَذَبُوا:

١ - اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإماتة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك.

٢ - إعراض الكفار عن الحق مستندين إلى شبهات لا أساس لها.

٣ - إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله.

٤ - الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول.

٥ - تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس.

﴿١٢﴾ إِذَا أَشْرَفَ الْكَافَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّارِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا غَلِيانًا شَدِيدًا، وَصَوْتًا مَزَعَجًا مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهَا عَلَيْهِمْ.

﴿١٣﴾ وَإِذَا رُمِيَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ فِي جَهَنَّمَ فِي مَكَانٍ ضِيقٍ مِنْهَا مَقْرُونَةٌ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالسَّلَاسِلِ دَعَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْهَلَاكِ؛ رَجَاءَ الْخَلَاصِ مِنْهَا.

﴿١٤﴾ لَا تَدْعُوا - أَيُّهَا الْكَافِرُ - الْيَوْمَ هَلَاكًا وَاحِدًا، وَادْعُوا هَلَاكًا كَثِيرًا، لَكِنْ لَنْ تَجَابُوا إِلَى مَا تَطْلُبُونَ، بَلْ سَتَبْقُونَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ خَالِدِينَ.

﴿١٥﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: أَذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي وُصِفَ لَكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي يَدُومُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا؟ وَهِيَ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ ثَوَابًا، وَمَرْجَعًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦﴾ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ مَا يَشَاءُونَ مِنَ النَّعِيمِ، كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ وَعْدًا، يَسْأَلُهُ إِيَّاهُ عِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ، وَوَعَدَ اللَّهُ مُتَحَقِّقًا، فَهُوَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ.

﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ، وَيُحْشَرُ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَقُولُ لِلْمُعْبُودِينَ تَقْرِيعًا لِعَابِدِيهِمْ: أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي بِأَمْرِكُمْ لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوكُمْ، أَمْ هُمْ ضَلُّوا مِنْ تَلَقَّاءِ أَنْفُسِهِمْ؟

﴿١٨﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَا لَكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاؤَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمَ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿١٨﴾ قَالَ الْمُعْبُودُونَ: تَنَزَّهْتَ - رَبَّنَا أَنْ يَكُونَ لَكَ شَرِيكٌ - مَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ أَوْلِيَاءَ نَتَوَلَّاهُمْ، فَكَيْفَ نَدْعُو عِبَادَكَ أَنْ يَعْبُدُونَا مِنْ دُونِكَ؟ وَلَكِنْ مَتَّعْتَ - رَبَّنَا - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمُلذَّاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْتَ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ حَتَّى نَسُوا ذِكْرَكَ، فَعْبَدُوا مَعَكَ غَيْرَكَ، وَكَانُوا قَوْمًا هَلَكًا بِسَبَبِ شِقَائِهِمْ.

﴿١٩﴾ فَقَدْ كَذَّبَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - مِنْ عِبَدَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيمَا تَدَّعُونَهُ عَلَيْهِمْ، فَمَا تَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَلَا نَصْرَهَا لِعُجْزِكُمْ، وَمَنْ يظْلِمُ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بِالْشُرْكِ بِاللَّهِ نَذِقْهُ عَذَابًا عَظِيمًا مِثْلَ مَا أَذَقْنَاهُ مِنْ ذِكْرِ.

وَلَمَّا اسْتَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

﴿٢٠﴾ وَمَا بَعَثْنَا قَبْلَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا بَشَرًا كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، فَلَسْتُ بِدُعَا مِنْ الرِّسْلِ فِي ذَلِكَ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ اخْتِبَارًا فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ بِسَبَبِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ، أَتَصْبِرُونَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِ؟ فَيُثَبِّتُكُمْ اللَّهُ عَلَى صَبْرِكُمْ، وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا بِمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ لَا يَصْبِرُ، وَبِمَنْ يَطِيعُهُ وَمَنْ يَعِصِيهِ.

﴿٢١﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الجمع بين التهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه.
- ٢ - تبرؤ المعبُودين من عبادتهم يوم القيامة.
- ٣ - متع الدنيا مُنْسِيَةً لذكر الله.
- ٤ - بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم.
- ٥ - تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده.

﴿١١﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمَلُونَ لِقَاءَنَا، وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابَنَا: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ الْمَلَائِكَةَ، فَتُخْبِرُنَا عَنْ صَدَقِ مُحَمَّدٍ، أَوْ نَشَاهِدَ رَبَّنَا عَيَانًا، فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ؟ لَقَدْ عَظُمَ الْكِبَرُ فِي نَفْسِهِ هَؤُلَاءِ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَتَجَاوَزُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ.

﴿١٢﴾ يَوْمَ يَعَايِنُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، وَفِي الْبَرْزَخِ، وَعِنْدَ بَعْثِهِمْ، وَحِينَ يُسَاقُونَ لِلْحِسَابِ، وَحِينَ يَدْخُلُونَ فِي النَّارِ، لَا بَشَارَةَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: حَرَامًا مُحَرَّمًا عَلَيْكُمْ الْبَشَرَى مِنْ اللَّهِ.

﴿١٣﴾ وَعَمَدُنَا إِلَى مَا عَمِلَهُ الْكَافَرُ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ فَصَيَّرْنَاهُ فِي بَطْلَانِهِ وَعَدَمِ نَفْعِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ مِثْلَ الْغُبَارِ الْمَفْرُوقِ يَرَاهُ النَّازِرُ فِي الْكُوَّةِ.

﴿١٤﴾ الْمُؤْمِنُونَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَفْضَلُ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ مَكَانَ رَاحَةٍ وَنَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافَرِ؛ ذَلِكَ لِإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ.

﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ عَنْ سَحَبٍ بَيْضَاءٍ رَقِيقَةٍ، وَتُنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَرْضِ الْمُحْشَرِّ تَنْزِيلًا كَثِيرًا لِكَثْرَتِهِمْ.

﴿١٦﴾ الْمُلْكُ الَّذِي هُوَ الْمُلْكُ الْحَقُّ الثَّابِتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى الْكَافَرِ صَعِبًا بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ سَهْلٌ عَلَيْهِمْ.

﴿١٧﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ بِسَبَبِ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ شِدَّةِ النَّدَمِ قَائِلًا: يَا لَيْتَنِي اتَّبَعْتُ الرَّسُولَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَاتَّخَذْتُ مَعَهُ طَرِيقًا إِلَى النِّجَاةِ.

﴿١٨﴾ وَيَقُولُ مِنْ شِدَّةِ الْأَسَفِ دَاعِيًا عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَيْلِ: يَا وَيْلِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ الْكَافِرَ فَلَانًا صَدِيقًا.

﴿١٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي هَذَا الصَّدِيقُ الْكَافِرُ عَنِ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَنِي عَنْ طَرِيقِ الرَّسُولِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ كَثِيرَ الْخِذْلَانِ، إِذَا نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

﴿٢٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَاكِيًا حَالِ قَوْمِهِ: يَا رَبِّ، إِنَّ قَوْمِي الَّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ تَرَكُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ.

﴿٢١﴾ وَمِثْلُ مَا لَا قِيَتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْإِيْذَاءِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ عَدُوًّا مِنْ مَجْرَمِي قَوْمِهِ، وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَكَفَى بِهِ نَصِيرًا يَنْصُرُكَ عَلَى عَدُوِّكَ.

﴿٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: هَلَّا نُزِّلَ عَلَى الرَّسُولِ هَذَا الْقُرْآنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ مَفْرَقًا، نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ كَذَلِكَ مَفْرَقًا لَتُثَبِّتَ قَلْبَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِنَزُولِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَأَنْزَلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ لِتُسَهِّلَ فَهْمَهُ وَحِفْظَهُ.

﴿٢٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الْكَبِيرُ مَانِعٌ مِنَ الْهَدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ. ٢ - الْكُفْرُ مَانِعٌ مِنْ قَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. ٣ - الْكُفْرُ سَبَبُ النَّدَمِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٤ - خَطَرُ قِرْنَاءِ السُّوءِ. ٥ - ضَرَرُ هَجْرِ الْقُرْآنِ. ٦ - عِدَاوَةُ أَهْلِ الْبَاطِلِ لِأَهْلِ الْحَقِّ مُسْتَمِرَّةٌ. ٧ - مِنْ حُكْمِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ مَفْرَقًا طَمَآنَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَتَيْسِيرُ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ. ٨ - الرَّدُّ عَلَى شَبهِ الْكَافَرِ الَّتِي يَثِيرُوهَا عَلَى التَّدْرِجِ فِي نَزُولِ الْقُرْآنِ.

﴿٤٤﴾ بل أتَحْسَب - أيها الرسول - أن أكثر الذين تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته يسمعون سماع قبول أو يعقلون الحجج والبراهين؟ ليسوا إلا مثل الأنعام في السماع والتعقل والفهم، بل هم أضل طريقاً من الأنعام.

﴿٤٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى آثار خلق الله حين بسط الظل على وجه الأرض، ولو شاء أن يجعله ساكناً لا يتحرك لجعله كذلك، ثم صيرنا الشمس دلالة عليه، يطول بها ويقصر.

﴿٤٦﴾ ثم قبضنا الظل بالتقص يتدرج شيئاً فشيئاً قبضاً قليلاً حسب ارتفاع الشمس.

﴿٤٧﴾ والله هو الذي صير لكم الليل بمنزلة لباس يستركم، ويستر الأشياء، وهو الذي صير لكم النوم راحة تستريحون به من أشغالكم، وهو الذي صير لكم النهار وقتاً تتطلقون فيه إلى أعمالكم.

﴿٤٨﴾ وهو الذي بعث الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو من رحمته بعباده، وأنزلنا من السماء ماء المطر طاهراً يتطهرون به.

﴿٤٩﴾ لنحيي بذلك الماء النازل أرضاً قاحلة لا نبات فيها بإنبيائها بأنواع النبات وبث الخضرة فيها، ولنسقي بذلك الماء مما خلقنا أنعاماً وبشراً كثيراً.

﴿٥٠﴾ ولقد بيّنا ونوعنا في القرآن الحجج والبراهين ليعتبروا بها، فأبى معظم الناس إلا جحوداً بالحق وتنكراً له.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية رسولاً ينذرهم ويخوفهم من عقاب الله، لكننا لم نشأ ذلك، وإنما بعثنا محمداً ﷺ رسولاً إلى جميع الناس.

﴿٥٢﴾ فلا تطع الكفار فيما يطالبونك به من مدهانتهم، وفيما يقدمونه من اقتراحات، وجاهدهم بهذا القرآن المنزّل عليك جهاداً عظيماً بالصبر على أذاهم وتحمل المشاق في دعوتهم إلى الله.

﴿٥٣﴾ والله سبحانه هو الذي خلط ماء البحرين، خلط العذب منهما بالمالح، وصير بينهما حاجزاً وسترًا ساترًا يمنعهما من التمازج.

﴿٥٤﴾ وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة بشراً، ومن خلق البشر أنشأ علاقة القرابة وعلاقة المصاهرة، وكان ربك - أيها الرسول - قديراً لا يعجزه شيء، ومن قدرته خلق الإنسان من مني الذكر والمرأة.

﴿٥٥﴾ ويعد الكفار من دون الله أصناماً لا تنفعهم إن أطاعوها، ولا تضرهم إن عصوها، وكان الكافر تابعاً للشيطان على ما يسخط الله سبحانه.

﴿٥٦﴾ فَإِنَّ مِنْ آلَايَاتِهِ:

١ - انحطاط الكافر إلى مستوى دون مستوى الحيوان بسبب كفره بالله.

٢ - ظاهرة الظل آية من آيات الله الدالة على قدرته.

٣ - خلق الليل للراحة والنهار للعمل نعمة من نعم الله.

٤ - المطر رحمة من الله بخلقه.

٥ - تنوع الحجج والبراهين أسلوب تربوي ناجح.

٦ - الدعوة بالقرآن من صور الجهاد في سبيل الله.

﴿٥٦﴾ وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً من أطاع الله بالإيمان والعمل الصالح، ومنذراً من عصاه بالكفر والعصيان.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول -: لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إلا من شاء منكم أن يتخذ طريقاً إلى مرضاة الله بالإنفاق فليفعل.

﴿٥٨﴾ وتوكل - أيها الرسول - في جميع أمورك على الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ونزهه مثنيًا عليه سبحانه، وكفى به بذنوب عباده خبيراً لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ الذي خلق السماوات وخلق الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، وهو الرحمن، فاسأل - أيها الرسول - به خبيراً، وهو الله الذي يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

﴿٦٠﴾ وإذا قيل للكفار: اسجدوا للرحمن، قالوا: لا نسجد للرحمن، وما الرحمن؟ لا نعرفه ولا نقر به، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟! وزادهم أمره لهم بالسجود له بُعداً عن الإيمان بالله.

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء منازل للكواكب والنجوم السيارة، وجعل في السماء شمساً تشع النور، وجعل فيها قمراً ينير الأرض بما يعكسه من ضوء الشمس.

﴿٦٢﴾ والله هو الذي صير الليل والنهار متعاقبين يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، لمن أراد أن يعتبر بآيات الله فيهدي، أو أراد شكر الله على نعمه.

ولما ذكر الله في هذه السورة الكفار المعرضين عن الإيمان بالله وطاعته، ذكر صفات عباده الصالحين المقبلين على طاعته فقال:

﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض بوقار متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهل لم يقابلوهم بالمثل، بل يقولون لهم قولاً يسلمهم من شرهم.

﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً على جباههم، وقياماً على أقدامهم يصلون لله.

﴿٦٥﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أبعد عنا عذاب جهنم، إن عذاب جهنم كان دائماً ملازماً لمن مات كافراً.

﴿٦٦﴾ إنها ساءت مكان استقرار لمن استقر فيها، وساءت مقاماً لمن يقيم فيها.

﴿٦٧﴾ والذين إذا بذلوا أموالهم لم يصلوا في بذلهم لها إلى حد التبذير، ولم يضيقوا في بذلها على من تجب عليهم نفقته من أنفسهم أو غيرها، وكان إنفاقهم بين التبذير والتقتير مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٦٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ:

١ - الداعي إلى الله لا يطلب الجزاء من الناس.

٢ - ثبوت صفة الاستواء لله بما يليق به ﷻ.

٣ - أن الرحمن اسم من أسماء الله لا يشاركه فيه أحد قط، دال على صفة من صفاته وهي الرحمة.

٤ - إعانة العبد بتعاقب الليل والنهار على ما فاته من الطاعة في أحدهما.

٥ - من صفات عباد الرحمن التواضع والحلم، وطاعة الله عند غفلة الناس، والخوف من الله، والتزام التوسط في الإنفاق وفي غيره من الأمور.

﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَعْبُودًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِمَا أَذْنُ اللَّهِ بِهِ مِنْ قَتْلِ الْقَاتِلِ أَوْ الْمُرْتَدِّ أَوْ الزَّانِيِ الْمُحْصَنِ، وَلَا يَزْنُونَ، وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الْكِبَائِرَ يَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِقَابَهُ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الْإِثْمِ.

﴿٧٧﴾ يَضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُخْلَدُ فِي الْعَذَابِ ذَلِيلًا حَقِيرًا.

﴿٧٨﴾ لَكِنْ مَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ تَوْبَتِهِ، فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ مَا عَمِلُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا بِهِمْ.

﴿٧٩﴾ وَمَنْ تَابَ إِلَى اللَّهِ، وَبَرَّهَنْ عَلَى صِدْقِ تَوْبَتِهِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي فَإِنَّ تَوْبَتَهُ تَوْبَةٌ مَقْبُولَةٌ.

﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ لَا يَحْضُرُونَ الْبَاطِلَ كَمُوَاطِنِ الْمَعَاصِي وَالْمَلَاهِيِ الْمَحْرَمَةِ، وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغُوِّ مِنْ سَاقِطِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَرُّوا مَرُورًا عَابِرًا، مُكْرِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِتَنْزِيهِهَا عَنْ مَخَالَطَتِهِ.

﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ الْمَسْمُوعَةَ وَالْمَشْهُودَةَ لَمْ يَصْمُوا أَذَانَهُمْ عَنِ الْآيَاتِ الْمَسْمُوعَةِ، وَلَمْ يَعْمُوا عَنِ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ.

﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ فِي دَعَائِهِمْ لِرَبِّهِمْ: رَبَّنَا، أَعْطِنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا، وَمِنْ أَوْلَادِنَا مِنْ يَكُونُ قَرَّةَ عَيْنٍ لَنَا لَتَقْوَاهُ وَاسْتَقَامَتَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَصَبِّرْنَا لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً فِي الْحَقِّ يُقْتَدَى بِهَا.

﴿٨٣﴾ أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ يَجْزُونَ الْغُرَفَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُلْقُونَ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالنَّحِيَةِ وَالسَّلَامِ، وَيَسْلُمُونَ فِيهَا مِنَ الْآفَاتِ.

﴿٨٤﴾ مَا كُنِينَ فِيهَا أَبَدًا، حَسَنَتْ مَكَانَ اسْتِقْرَارِ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَمَكَانَ مَقَامِ يَقِيمُونَ فِيهِ.

﴿٨٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِلْكَافِرِ الْمُصْرِئِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ: مَا يَبَالِي بِكُمْ رَبِّي لِنَفْعِ يَعُودَ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِكُمْ، لَوْلَا أَنَّهُ يَدْعُوكُمْ لِمَا يَنْفَعُكُمْ لِمَا بَالِي بِكُمْ، فَقَدْ كَذَبْتُمْ الرُّسُلَ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ، فَسَوْفَ يَكُونُ جَزَاءُ التَّكْذِيبِ مُلَازِمًا لَكُمْ.

﴿٨٦﴾ فَإِنَّ مِنْ الْآيَاتِ:

١ - مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: الْبَعْدُ عَنِ الشُّرْكِ، وَتَجَنُّبُ قَتْلِ الْإِنْفُسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالْبَعْدُ عَنِ الزِّنَا، وَالْبَعْدُ عَنِ الْبَاطِلِ، وَالْإِعْتِبَارُ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَالِدَّعَاءُ.

٢ - التَّوْبَةُ النَّصُوحُ تَقْتَضِي تَرْكَ الْمَعْصِيَةِ وَفِعْلَ الطَّاعَةِ.

٣ - الصَّبْرُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

٤ - غِنَى اللَّهِ عَنِ إِيْمَانِ الْكَافِرِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ١ تَلَاءَ يَأْتِ الْكِتَابَ الْمُبِينُ ٢ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ شَأْنُنَا زِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ٦ وَلَمْ يَرْوُا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهًا فَلَتَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ
كِتَابٍ ٧ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩ وَلَئِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمُ
الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمُ فِرْعَوْنَ لَا يَسْمَعُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَيَّ هَرُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ
كَلَّا فَادْهَبْ بِأَخِيئِنَّا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٥ فَأَتَا فِرْعَوْنَ
فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَمَّا كُنَّا مِنْ عَمْرِكَ سِنِينَ ١٨
وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

التركيز على مواجهة المُصْرِّين على التكذيب بالرسول، الطاعنين برسائله وتوهين شأنهم.

﴿التفسير﴾:

﴿طَسَّرَ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ تلك آيات القرآن المبين للحق من الباطل.

﴿٢﴾ لعلك - أيها الرسول - لحرصك على هدايتهم قاتل نفسك خوفاً عليهم إن لم يؤمنوا بالله.

﴿٣﴾ إن نشأ إنزال معجزة عليهم من السماء أنزلناها عليهم، فتظل أعناقهم خاضعة لها ذليلة، لكننا لم نشأ ذلك ابتلاء لهم: هل يؤمنون بالغيب؟

﴿٤﴾ وما يجيء هؤلاء المشركين من تذكير مُحَدَّثٍ إنزاله من الرحمن بحججه الدالة على توحيده وصدق نبيه إلا أعرضوا عن سماعه والتصديق به.

﴿٥﴾ فقد كذبوا بما جاءهم به رسولهم، فسيأتيهم تحقيق أنباء ما كانوا به يسخرون، ويحل عليهم العذاب.

﴿٦﴾ أبقى هؤلاء مُصْرِّين على كفرهم فلم ينظروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل نوع من أنواع

النبات حسن المنظر كثير المنافع.

﴿٧﴾ إن في إنبات الأرض بأنواع مختلفة من

النبات للدلالة واضحة على قدرة من أنبتها على إحياء الموتى، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، الرحيم بالمؤمنين من عباده.

﴿٩﴾ واذكر - أيها الرسول - حين نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

﴿١٠﴾ وهم قوم فرعون، فيأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿١١﴾ قال موسى ﷺ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك.

﴿١٢﴾ ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بالدعوة إلى الله، فأرسل جبريل ﷺ إلى أخي هارون ليكون معياني.

﴿١٣﴾ ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

﴿١٤﴾ قال الله لموسى ﷺ: كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بأياتنا الدالة على صدقكما، فإننا معكما بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.

﴿١٥﴾ فأتيا فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.

﴿١٦﴾ أن ابعت معنا بني إسرائيل.

﴿١٧﴾ قال فرعون لموسى ﷺ: أَلَمْ نُرَبِّكَ لَدُنَا صَغِيرًا، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟

﴿١٨﴾ وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ٢ - إثبات صفة العزة والرحمة لله. ٣ - اللين مع المدعوين مطلوب مرغوب. ٤ - أهمية سعة الصدر والفصاحة للدعاية. ٥ - دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ٦ - توظيف الكفار خدماتهم للصمد عن سبيل الله.

﴿٢٥﴾ قال موسى ﷺ لفرعون: قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين حرمة قتله قبل أن يأتيني وحي بحرمة القتل.

﴿٢٦﴾ فهربت منكم بعد قتله إلى مدين لما خفت من قتلكم إياي به، فأعطاني ربي علماً، وصيرني من رسله الذين يرسلهم إلى الناس.

﴿٢٧﴾ وتربيتك إياي من غير أن تستعبدني مع استعبادك بني إسرائيل نعمة تمنّ بها علي؟

﴿٢٨﴾ قال فرعون لموسى ﷺ: وما رب المخلوقات الذي زعمت أنك رسوله؟

﴿٢٩﴾ قال موسى مجيباً فرعون: رب المخلوقات هو رب السماوات ورب الأرض، ورب ما بينهما إن كنتم موقنين أنه ربهم فاعبدوه وحده.

﴿٣٠﴾ قال فرعون لمن حوله من سادة قومه: ألا تستمعون إلى جواب موسى، وما فيه من زعم كاذب.

﴿٣١﴾ قال لهم موسى: الله ربكم ورب آبائكم السابقين.

﴿٣٢﴾ قال فرعون: إن الذي يزعم أنه رسول إليكم لمجنون لا يعي كيف يجيب، ويقول ما لا يعقل.

﴿٣٣﴾ قال موسى: الله الذي أدعوكم إليه هو رب المشرق، ورب المغرب، ورب ما بينهما إن كانت لكم عقول تعقلون بها.

﴿٣٤﴾ قال فرعون لموسى بعد عجزه عن

قَالَ لَعَلَّهَا إِذَا وُأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٥﴾ فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ

فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٧﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٣٨﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

﴿٣٩﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ

الْأَوَّلِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٢﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قَالَ

لِيِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ

أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّثِينٍ ﴿٤٥﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِينَ ﴿٤٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّثِينٌ ﴿٤٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ

فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ

عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

تَأْمُرُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْعُفْ فِي الدِّينِ حَشِيرِينَ

﴿٥١﴾ يَا تَوَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٥٢﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ

لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٣﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٥٤﴾

مُحَاجَّجَةً: لئن عبت معبوداً غيبي لأصيرنك من المسجونين.

﴿٣٥﴾ قال موسى ﷺ لفرعون: أتصيرني من المسجونين حتى لو جئتك بما يبين صدقي فيما جئتك به من عند الله؟

﴿٣٦﴾ قال: فأت بما ذكرت أنه يدل على صدقك إن كنت من الصادقين فيما تدّعيه.

﴿٣٧﴾ فرمى موسى عصاه في الأرض فانقلبت فجأة ثعباناً واضحاً للعيان.

﴿٣٨﴾ وأدخل يده في جيبه غير بيضاء، فأخرجها بيضاء نوراياً لا يبيض برص، يشاهده الناظرون كذلك.

﴿٣٩﴾ قال فرعون لسادة قومه من حوله: إن هذا الرجل لساحر عليم بالسحر.

﴿٤٠﴾ يريد بسحره أن يخرجكم من أرضكم، فما رأيكم فيما نتخذه فيه؟

﴿٤١﴾ قالوا له: أخرّه وأخر أخاه، ولا تبادر بعقوبتهما، وأرسل في مدائن مصر من يجمعون السحرة.

﴿٤٢﴾ يأتوك بكل سحار عليم بالسحر.

﴿٤٣﴾ فجمع فرعون سحرته لمباراة موسى في مكان وزمان محددين.

﴿٤٤﴾ وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتروا الغالب أهو موسى أم السحرة؟

﴿٤٥﴾ فوالله من الآيات:

١ - اتخاذ الأسباب للحماية من العدو لا ينافي الإيمان والتوكل على الله.

٢ - دلالة مخلوقات الله على ربوبيته ووحدانيته.

٣ - ضعف الحجة سبب من أسباب ممارسة العنف.

٤ - إثارة العامة ضد أهل الدين أسلوب الطغاة.

﴿٤٠﴾ رجاء أن نتبع السحرة في دينهم إن كانت الغلبة لهم على موسى .

﴿٤١﴾ فلما جاء السحرة إلى فرعون ليغالبا موسى قالوا له : هل لنا جزاء مادي أو معنوي إن كانت الغلبة لنا على موسى ؟

﴿٤٢﴾ قال لهم فرعون : نعم لكم جزاء ، وإنكم في حال فوزكم عليه لمن المقربين عندي بإعطائكم المناصب الرفيعة .

﴿٤٣﴾ قال لهم موسى واثقا بتصر الله ومبيناً أن ما عنده ليس سحراً : ألقوا ما أنتم ملقونه من حبالكم وعصيكم .

﴿٤٤﴾ فألقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا عند إلقائها : بعظمة فرعون إنا لنحن الغالبون ، وموسى هو المغلوب .

﴿٤٥﴾ فألقى موسى عصاه فانقلبت حية ، فإذا هي تتلعق ما يَمْوَهُونَ به على الناس من السحر .

﴿٤٦﴾ فلما أبصر السحرة عصا موسى تتلعق ما ألقوه من سحرهم سقطوا ساجدين .

﴿٤٧﴾ قالوا : آمنا برب المخلوقات كلها .

﴿٤٨﴾ رب موسى ورب هارون .

﴿٤٩﴾ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم : أصدقتهم بموسى قبل أن آذن لكم بذلك ، إن موسى لهو كبيركم الذي علمكم السحر ، وقد تأمرتم جميعاً على إخراج أهل مصر منها ، فليسوف تعلمون ما أوقعه بكم من عقاب ،

فلاقطعن رجل كل واحد ويده مخالفاً بينهما ، ولأصلبنكم أجمعين على جذوع النخل ، لا أستبقي منكم أحداً .

﴿٥٠﴾ قال السحرة لفرعون : لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا ، فعذابك يزول ، ونحن إلى ربنا متقبلون ، وسيدخلنا في رحمته الدائمة .

﴿٥١﴾ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبتها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصدّق به .

﴿٥٢﴾ وأوحينا إلى موسى آمرين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً ، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم .

﴿٥٣﴾ فبعث فرعون بعض جنوده في المدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر .

﴿٥٤﴾ قال فرعون مقللاً من شأن بني إسرائيل : إن هؤلاء لطائفة قليلة .

﴿٥٥﴾ وإنهم لفاعلون ما يغظنا عليهم .

﴿٥٦﴾ وإنا لمستعدون لهم متيقظون .

﴿٥٧﴾ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحداائق الغناء ، والعيون الجارية بالماء .

﴿٥٨﴾ وذات خزائن المال ، والمساكن الحسنة .

﴿٥٩﴾ وكما أخرجنا فرعون وقومه منها صيرناها من بعدهم لبني إسرائيل .

﴿٦٠﴾ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس .

﴿٦١﴾ فإذ من الآيات :

١ - العلاقة بين أهل الباطل هي المصالح المادية . ٢ - ثقة موسى بالنصر على السحرة تصديقاً لوعده . ٣ - إيمان السحرة برهان على أن الله مُصْرِفُ القلوب يصرفها كيف يشاء . ٤ - أهل الطغيان يلجؤون إلى العنف لعجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة . ٥ - الطغيان والظلم من أسباب زوال الملك .

﴿٦١﴾ فلما تقابل فرعون وقومه مع موسى وقومه بحيث صار يرى كل فريق الفريق الآخر قال أصحاب موسى: إن فرعون وقومه سيلحقوننا، ولا قبل لنا بهم.

﴿٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما تصورت، فإن معي ربي بالتأييد والنصر، سيرشدني ويدلني إلى طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ فأوحينا إلى موسى آمرين إياه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه بها، فانشق البحر وتحول إلى اثني عشر مسلكا بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة منشقة من البحر مثل الجبل العظيم في العظم والنبات بحيث لا يسيل منها ماء.

﴿٦٤﴾ وقربنا فرعون وقومه حتى دخلوا البحر ظانين أن الطريق سالك.

﴿٦٥﴾ وأنقذنا موسى ومن معه من بني إسرائيل، فلم يهلك منهم أحد.

﴿٦٦﴾ ثم أهلكنا فرعون وقومه بالغرق في البحر.

﴿٦٧﴾ إن في انفلاق البحر لموسى ونجاته وهلاك فرعون وقومه لمعجزة دالة على صدق موسى، وما كان أكثر من مع فرعون بمؤمنين، بل كانوا مكذبين.

﴿٦٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿٦٩﴾ واتل عليهم - أيها الرسول - قصة إبراهيم.

﴿٧٠﴾ حين قال لأبيه أزر وقومه: ما الذي تعبدونه من دون الله؟

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

وَأَرْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَابْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا

نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ لَهَا عَنْ كِبَاهِنَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا نَاعِبُونَ

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ

وَعِبَاءُ آبَائِكُمُ الْأَوَّلُونَ ﴿٧٦﴾ فَاتَّبَعُوا عِدْوَتِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُ لَهَا عَنْ كِبَاهِنَ عَلَى عِبَادَتِهَا مَلَازِمِينَ لَهَا.

قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: هَلْ تَسْمَعُ الْأَصْنَامُ دَعَاءَكُمْ حِينَ تَدْعُونَهُمْ؟

أَوْ يَنْفَعُونَكَ إِنْ أَطْعَمْتَهُمْ، أَوْ يَضُرُّونَكَ إِنْ عَصَيْتَهُمْ؟

قَالُوا: لَا يَسْمَعُونَكَ إِذَا دَعَوْنَاهُمْ، وَلَا يَنْفَعُونَا إِنْ أَطْعَمْنَاهُمْ، وَلَا يَضُرُّونَا إِنْ عَصَيْنَاهُمْ، بَلِ الْحَاصِلُ أَنَا وَجَدْنَا

أَبَاءَنَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، فَنَحْنُ نَقْلُدُهُمْ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَتَأْمَلْتُمْ فَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ الْأَوَّلُونَ.

فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَعْدَاءُ لِي؛ لِأَنَّهُمْ بَاطِلٌ إِلَّا اللَّهَ رَبَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا.

الَّذِي خَلَقَنِي، فَهُوَ يَرْشِدُنِي إِلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالَّذِي هُوَ وَحْدَهُ يُطْعِمُنِي إِذَا جَعْتُ، وَيَسْقِينِي إِذَا عَطَشْتُ.

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَشْفِينِي مِنَ الْمَرَضِ لَا شَافِيَ لِي غَيْرِهِ.

وَالَّذِي هُوَ وَحْدَهُ يَتَوَفَّانِي إِذَا انْقَضَى أَجَلِي، وَيَحْيِينِي بَعْدَ مَوْتِي.

وَالَّذِي أَرْجُوهُ وَحْدَهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الْجَزَاءِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِبًا رَبِّهِ: رَبِّ اعْطِنِي فَهْماً فِي الدِّينِ، وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي بِأَنْ تَدْخُلَنِي الْجَنَّةَ مَعَهُمْ.

﴿٨٤﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - ثقة المؤمن بربه. ٢ - الله مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والإنجاء من الشدائد. ٣ - ثبوت صفتي العزة والرحمة لله. ٤ - سفة المشركين حيث يعبدون أصناماً لا تسمع ولا تنفع ولا تضر. ٥ - خطر التقليد الأعمى. ٦ - أمل المؤمن في ربه عظيم.

٨٤) واجعل لي ثناء صدق في الذين يأتون من بعدي .
 ٨٥) واجعلني ممن يرث منازل الجنة التي يتنعم فيها عبادك المؤمنون، وأسكني فيها .
 ٨٦) واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين عن الحق بسبب الشرك، دعا إبراهيم لأبيه قبل أن يتبين له أنه من أصحاب الجحيم، فلما تبين له ذلك تبرأ منه ولم يدع له .
 ٨٧) ولا تفضحني بالعذاب يوم يبعث الناس للحساب .
 ٨٨) يوم لا ينفع فيه مال قد جمعه الإنسان في دنياه، ولا بنون كان يتنصر بهم .
 ٨٩) إلا من جاء الله بقلب سليم؛ لا شرك فيه ولا نفاق ولا رياء ولا عجب، فإنه يتنفع بماله الذي أفنقه في سبيل الله، وبأبنائه الذين يدعون له .
 ٩٠) وقربت الجنة للمتقين لربهم بامثال أوامره، واجتنب نواهيه .
 ٩١) وأظهرت النار في المحشر للضالين الذين ضلوا عن دين الحق .
 ٩٢) وقيل لهم تقريباً لهم: أين ما كنتم تعبدونه من الأصنام؟
 ٩٣) تعبدونه من دون الله؟ هل ينصرونكم بمنعكم من عذاب الله، أو ينتصرونهم لأنفسهم؟
 ٩٤) فَرَمِي بعضهم في الجحيم فوق بعضهم ومن أضلهم .
 ٩٥) وأعوان إبليس من الشياطين كلهم، لا يُسْتَنَى منهم أحد .
 ٩٦) قال المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله، ويتخذونهم شركاء من دونه، وهم يتخاصمون مع من كانوا يعبدونهم من دونه:
 ٩٧) تالله لقد كنا في ضلال عن الحق واضح .
 ٩٨) إذ نعدلكم رب المخلوقات كلها، فنجدكم كما نعبده . ٩٩) وما أضلنا عن طريق الحق إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادتهم من دون الله . ١٠٠) فليس لنا شافعون يشفعون لنا عند الله لينجينا من عذابه . ١٠١) وليس لنا صديق خالص المودة يدافع عنا ويشفع لنا . ١٠٢) فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا فنكون من المؤمنين بالله . ١٠٣) إن في ذلك المذكور من قصة إبراهيم عليه السلام، ومصير المكذبين لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين بما جاءهم به إبراهيم من ربه . ١٠٤) وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم . ١٠٥) كذبت قوم نوح المرسلين حين كذبوا نوحاً عليه السلام . ١٠٦) إذ قال لهم نوح: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟ ١٠٧) إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أوحاه الله إلي ولا أنقص . ١٠٨) فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه . ١٠٩) وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات لا على غيره . ١١٠) فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه . ١١١) قال له قومه: أنصداً لك - يا نوح - ونتبع ما جئت به ونعمل؟ والحال أن أتباعك إنما هم السفلة من الناس، فلا يوجد فيهم السادة والأشراف .

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ٨٤) وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ٨٥) وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّكَ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩) وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ ٩٠) وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ٩٣) فَكَبَّكَرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ٩٤) وَخَنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٩٧) إِذْ سَوَّيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ١٠٠) وَلَا صِدِّيقٍ حَسْبُ ١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٠٤) كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحًا الْمُرْسَلِينَ ١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١١٠) قَالُوا أَتَوْنَكُمْ وَكُنتُمْ أَكْثَرُ الظَّالِمِينَ ١١١) فَاتَّقُوا اللَّهَ

١- أهمية سلامة القلب من الأمراض كالحسد والرياء والعجب . ٢- الإقرار بالحق يوم القيامة لا ينفع . ٣- تعليق المسؤولية عن الضلال على المضلين لا تنفع الضالين . ٤- الداعية ينتظر الأجر من الله لا من عباده .

﴿١٥١﴾ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ ۖ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ إِنِّي حَسِبُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ إِنِّي أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٥٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٥٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاوَجَجِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ﴿١٥٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَابَةٍ تَغْبِثُونَ ﴿١٦٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٧٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامِهِ وَبَنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَحَبْنَتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٧٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٧٦﴾

﴿١٥١﴾ ما أنا إلا نذير واضح النذارة أحذرکم عذاب الله. ﴿١٥٢﴾ قال له قومه: لئن لم تكف عما تدعوننا إليه لنتكون من المقتولين بالرمي بالحجارة وبالشتم. ﴿١٥٣﴾ قال نوح داعيًا ربه: رب إن قومي كذبوني، ولم يصدقوني فيما جئت به من عندك. ﴿١٥٤﴾ فاحكم بيني وبينهم حكمًا يهلكهم لإصرارهم على الباطل، وأنقذني ومن معي من المؤمنين مما تهلك به الكفار من قومي. ﴿١٥٥﴾ فاستجبنا له دعاءه، وأنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس والحيوان. ﴿١٥٦﴾ ثم أغرقنا بعدهم الباقين، وهم قوم نوح. ﴿١٥٧﴾ إن في ذلك المذكور من قصة نوح وقومه، ونجاة نوح ومن معه من المؤمنين، وهلاك الكافرين من قومه لعلهم للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين. ﴿١٥٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿١٥٩﴾ كذبت عاد المرسلين حين كذبوا رسولهم هودًا ۖ ﴿١٦٠﴾ اذكر حين قال لهم نبيهم هود: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفًا منه؟ ﴿١٦١﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أمرني الله بتبليغه ولا أنقصه. ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله؛ بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه. ﴿١٦٣﴾ وما أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره. ﴿١٦٤﴾ أتبنون بكل ريع آبية تغيثون؟ ﴿١٦٥﴾ ولا تتقونون؟ ﴿١٦٦﴾ واتقوا الله وأطيعوا. ﴿١٦٧﴾ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون. ﴿١٦٨﴾ أمدكم بآتئامه وبنين. ﴿١٦٩﴾ وحبنت وعيون. ﴿١٧٠﴾ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. ﴿١٧١﴾ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين. ﴿١٧٢﴾

﴿١٧٣﴾ كذبت عاد المرسلين حين كذبوا رسولهم هودًا ۖ ﴿١٧٤﴾ اذكر حين قال لهم نبيهم هود: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفًا منه؟ ﴿١٧٥﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أمرني الله بتبليغه ولا أنقصه. ﴿١٧٦﴾ فاتقوا الله؛ بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه. ﴿١٧٧﴾ وما أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره. ﴿١٧٨﴾ أتبنون بكل مكان مشرف مرتفع بنيانًا علمًا عينا دون فائدة تعود عليكم في دنياكم أو آخرتكم؟ ﴿١٧٩﴾ وتتخذون حصونًا وقصورًا كأنكم تخذلون في هذه الدنيا، ولا تتقونون عنها؟ ﴿١٨٠﴾ وإذا سطوتم بالقتل أو الضرب سطوتم جبارين من غير رافة ولا رحمة. ﴿١٨١﴾ فاتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه. ﴿١٨٢﴾ وخافوا من سخط الله الذي أعطاكم من نعمه ما تعلمون. ﴿١٨٣﴾ أعطاكم أنعامًا، وأعطاكم أولادًا. ﴿١٨٤﴾ أعطاكم بساتين وعيونًا جارية. ﴿١٨٥﴾ إني أخاف عليكم - يا قومي - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة. ﴿١٨٦﴾ قال له قومه: يستوي عندنا تذكيرك لنا وعدم تذكيرك، فلن نؤمن بك، ولن نرجع عما نحن عليه. ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٨﴾ فوالله من الآيات: ﴿١٨٩﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿١٩٠﴾

﴿١٩١﴾ فوالله من الآيات: ﴿١٩٢﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿١٩٣﴾

﴿١٩٤﴾ فوالله من الآيات: ﴿١٩٥﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿١٩٦﴾

﴿١٩٧﴾ فوالله من الآيات: ﴿١٩٨﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿١٩٩﴾

﴿٢٠٠﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٠١﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٠٢﴾

﴿٢٠٣﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٠٤﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٠٥﴾

﴿٢٠٦﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٠٧﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٠٨﴾

﴿٢٠٩﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢١٠﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢١١﴾

﴿٢١٢﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢١٣﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢١٤﴾

﴿٢١٥﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢١٦﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢١٧﴾

﴿٢١٨﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢١٩﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٢٠﴾

﴿٢٢١﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٢٢﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٢٣﴾

﴿٢٢٤﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٢٥﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٢٦﴾

﴿٢٢٧﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٢٨﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٢٩﴾

﴿٢٣٠﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٣١﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٣٢﴾

﴿٢٣٣﴾ فوالله من الآيات: ﴿٢٣٤﴾ ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر الركود إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه. ﴿٢٣٥﴾

ليس هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم.
 ولسنا بمُعَذِّبين.
 فاستمروا على تكذيب نبيهم هود عليه السلام،
 فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بالريح العقيم، إن
 في ذلك الإهلاك عبرة للمعتبرين، وما كان
 معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين.
 وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي
 ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.
 كذبت ثمود الرسل بتكذيبهم نبيهم
 صالحاً عليه السلام.
 إذ قال لهم أخوهم في النسب صالح: ألا
 تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟
 إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين
 فيما أبلغه عنه لا أزيد عليه ولا أنقص منه.
 فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه،
 وأطيعوني فيما أمرتكم به، ونهيكم عنه.
 وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من
 ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات،
 لا على غيره.
 أتطمعون أن تُتركوا فيما أنتم فيه من
 الخيرات والنعم آمين لا تخافون؟
 في بساتين وعيون جارية.
 وزروع ونخل ثمرها لين لطيف.
 وتنتحون من الجبال بيوتاً تسكنونها حاذقين
 بنحتها.
 فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.
 ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصي.
 الذين يفسدون في الأرض بما ينشرونه من المعاصي، ولا يصلحون أنفسهم بالتزام طاعة الله.
 قال له قومه: إنما أنت ممن سُحِّروا مراراً حتى غلب السحر على عقولهم فأذهبها.
 لست إلا بشراً مثلاً فلا مزية لك علينا حتى تكون رسولاً، فأت بعلامة تدل على أنك رسول إن كنت صادقاً
 فيما تدعيه من أنك رسول.
 قال لهم صالح - وقد أعطاه الله علامة، وهي ناقة أخرجها الله من الصخرة -: هذه ناقة ترى وتلمس، لها نصيب
 من الماء، ولكم نصيب معلوم، لا تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تشربون أنتم في اليوم الذي هو نصيبها.
 ولا تمسوها بما يسوؤها من عُقْرِ أو ضرب، فَيَنَالَكُم بِسَبَبِ ذَلِكَ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ يَهْلِكُكُمْ بِهِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ لَمَّا
 فيه من البلاء النازل عليكم.
 فاتفقوا على عُقْرِهَا، فَعَقَرُهَا أَشْقَاهُمْ، فأصبحوا نادمين على ما أقدموا عليه لَمَّا علموا أن العذاب نازل بهم لا
 محالة، لكن الندم عند معاناة العذاب لا ينفع.
 فأخذهم العذاب الذي وُعِدُوا به وهو الزلزلة والصيحة، إن في ذلك المذكور من قصة صالح وقومه لبرة
 للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين.
 وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ ١ - التكذيب بنبي واحد يعني التكذيب بكل الرسل. ٢ - التذكير بالنعم يُرتجى منه الإيمان
 والعودة إلى الله من العبد. ٣ - المعاصي هي سبب الفساد في الأرض.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣٧ ﴿وَمَنْ يَمْعَدْ يَمْدِدْ﴾ ١٣٨ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾
 ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ ١٣٩ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٠ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٤١ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٤٢ ﴿إِذْ قَالَ﴾
 ﴿لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالَتُنْقُونَ﴾ ١٤٣ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٤٤ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٤٥ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَعْرَى﴾
 ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٤٦ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينٍ﴾ ١٤٧ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ١٤٨ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاهُنَا حُضَيْمٌ﴾ ١٤٩
 ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ ١٥٠ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٥١ ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ١٥٢ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾
 ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ١٥٣ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ١٥٤ ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ١٥٥ ﴿قَالَ﴾
 ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ١٥٦ ﴿وَلَا تَمْسُوهَا﴾ ١٥٧ ﴿يَسُوءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٥٨ ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا﴾
 ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ١٥٩ ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ١٦٠ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٦١ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦٢

﴿١٦٦﴾ كَذَبَ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ لَتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَهُمْ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿١٦٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ لُوطُ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بَتَرَكَ الشَّرْكَ بِهِ خَوْفًا مِنْهُ؟

﴿١٦٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ، أَمِينَ فِيمَا أُبَلِّغُهُ عَنْهُ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا أَنْقُصُ.

﴿١٦٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَفِيمَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿١٧٠﴾ وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ ثَوَابًا عَلَى مَا أُبَلِّغُكُمْ مِنْ رَبِّي، لَيْسَ ثَوَابِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا عَلَى غَيْرِهِ.

﴿١٧١﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَورَ مِنَ الْعَالَمِينَ؟ أَتَأْتُونَ الذَّكَورَ مِنَ النَّاسِ فِي أَدْبَارِهِمْ؟ وَتَسْرُكُونَ إِيَّانَا مَا خَلَقَهُ اللَّهُ لَتَقْضُوا شَهَوَاتِكُمْ مِنْهُ مِنْ فُرُوجِ زَوَجَاتِكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ مُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ بِهَذَا الشُّذُودِ الْمُنْكَرِ.

﴿١٧٢﴾ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَئِنْ لَمْ تَكْتَفِ يَا لُوطُ عَنْ نَهْيِنَا عَنْ هَذَا الْفِعْلِ وَإِنْ كَارَهُ عَلَيْنَا لَتَكُونَنَّ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ مِنْ قَرْيَتِنَا.

﴿١٧٣﴾ قَالَ لَهُمْ لُوطُ: إِنِّي لَعَمَلِكُمْ هَذَا الَّذِي تَعْمَلُونَهُ لِمَنِ الْكَارِهِينَ الْمُبْغِضِينَ.

﴿١٧٤﴾ قَالَ دَاعِيَا رَبِّهِ: رَبِّ نَجِّنِي، وَنَجِّ أَهْلِي مِمَّا سَيَصِيبُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ مَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

﴿١٧٥﴾ فَأَجَبْنَا دَعَاءَهُ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ كُلَّهُمْ. إِلَّا زَوْجَتَهُ فَقَدْ كَانَتْ كَافِرَةً، فَكَانَتْ مِنَ الذَّاهِبِينَ الْهَالِكِينَ.

﴿١٧٦﴾ ثُمَّ بَعَدَمَا خَرَجَ لُوطُ وَأَهْلُهُ مِنْ قَرْيَةِ (سَدُومَ) أَهْلَكْنَا قَوْمَهُ الْبَاقِينَ بَعْدَهُ أَشَدَّ إِهْلَاكًا.

﴿١٧٧﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ مِثْلَ إِنْزَالِ الْمَطَرِ، فَجَبَّحَ مَطَرُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْذَرُهُمْ لُوطُ وَيَحْذَرُهُمْ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ هُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ.

﴿١٧٨﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكَورِ مِنَ الْعَذَابِ النَّازِلِ عَلَى قَوْمِ لُوطَ سَبَبٌ فَعَلِ الْفَاحِشَةَ لَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُؤْمِنِينَ، بَلْ كَانُوا مَكْذِبِينَ.

﴿١٧٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَهْوُ الْعَزِيزِ الَّذِي يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ بِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿١٨٠﴾ كَذَبَ أَصْحَابُ الْغِيضَةِ قَرِبَ مَدِينِ الْمُرْسَلِينَ حِينَ كَذَبُوا نَبِيَهُمْ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿١٨١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيَهُمْ شُعَيْبٌ: أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بَتَرَكَ الشَّرْكَ بِهِ خَوْفًا مِنْهُ؟

﴿١٨٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ، أَمِينَ فِيمَا أُبَلِّغُهُ عَنْهُ، لَا أَزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ وَلَا أَنْقُصُ.

﴿١٨٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَأَطِيعُونِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَفِيمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ.

﴿١٨٤﴾ وَمَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ ثَوَابًا عَلَى مَا أُبَلِّغُكُمْ مِنْ رَبِّي، لَيْسَ ثَوَابِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا عَلَى غَيْرِهِ.

﴿١٨٥﴾ اتَّبِعُوا لِلنَّاسِ الْكِيلَ عِنْدَمَا تَتَّبِعُونَهُمْ، وَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ يَنْقُصُ الْكِيلَ إِذَا بَاعَ النَّاسُ.

﴿١٨٦﴾ وَزِنُوا إِذَا زَنَنْتُمْ لِعَمَلِكُمْ بِالْمِيزَانِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿١٨٧﴾ وَلَا تَقْضُوا النَّاسَ حَقُّوْقَهُمْ، وَلَا تَكْتُرُوا فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

﴿١٨٨﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - اللُّوْطُ شَذُوذٌ عَنِ الْفِطْرَةِ وَمُنْكَرٌ عَظِيمٌ. ٢ - إِهْلَاكُ أَهْلِ الْفُسَادِ وَالْبَاطِلِ، وَإِنْجَاءُ أَهْلِ الْحَقِّ سُنَّةُ الْهَيْلَةِ. ٣ - الْعِلَاقَاتُ الْأَرْضِيَّةُ مَا لَمْ يَصْحَبْهَا الْإِيمَانُ، لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا إِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ. ٤ - وَجُوبُ وَفَاءِ الْكِيلِ وَحُرْمَةُ التَّظْفِيفِ.

﴿٢٧﴾ أي شيء ينفعهم ما كانوا عليه من نعم في الدنيا؟ فقد انقطعت تلك النعم، ولم تُجد شيئاً. ﴿٢٨﴾ وما أهلكننا من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليها بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ﴿٢٩﴾ عظة وتذكيراً لهم، وما كنا ظالمين بتعذيبهم بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ﴿٣٠﴾ وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على قلب الرسول ﷺ:

﴿٣١﴾ وما يصح أن ينزلوا على قلبه، وما يستطيعون ذلك.

﴿٣٢﴾ ما يستطيعونه لأنهم معزولون عن مكانه من السماء، فكيف يصلون إليه، ويتنزلون به؟ ﴿٣٣﴾ فلا تعبد مع الله معبوداً آخر تشركه معه، فتكون بسبب ذلك من المعذيين.

﴿٣٤﴾ وأنذر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك حتى لا يصيبهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

﴿٣٥﴾ والآن جانبك فعلاً وقولاً لمن اتبعك من المؤمنين رحمة بهم ورفقاً.

﴿٣٦﴾ فإن عصوك، ولم يستجيبوا لما أمرتهم به من توحيد الله وطاعته، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٣٧﴾ واعتمد في أمورك كلها على العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن أناب منهم إليه.

﴿٣٨﴾ الذي يراك سبحانه حين تقوم إلى الصلاة. ﴿٣٩﴾ ويرى سبحانه قلبك من حال إلى حال في المصلين، لا يخفى عليه شيء مما تقوم به، ولا مما يقوم به غيرك.

﴿٤٠﴾ إنه هو السميع لما تتلوه من قرآن وذكر في صلاتك، العليم بنيتك.

ولما زعموا أن الشياطين تنزلت بالقرآن، وأن محمداً ﷺ شاعر رد الله عليهم زعمهم فقال:

﴿٤١﴾ هل أخبركم على من تنزل الشياطين الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن؟

﴿٤٢﴾ تنزل الشياطين على كل كذاب كثير الإثم والمعصية من الكهان.

﴿٤٣﴾ يسترق الشياطين السمع من الملأ الأعلى، فيلقونه إلى أوليائهم من الكهان، وأكثر الكهان كاذبون، إن صدقوا في كلمة كذبوا معها مائة كذبة.

﴿٤٤﴾ والشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم يتبعهم المنحرفون عن طريق الهدى والاستقامة، فيروون ما يقولونه من شعر.

﴿٤٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن من مظاهر غوايتهم أنهم تائهون في كل واد يمضون في المدح تارة، وفي الذم تارة، وفي غيرهما تارات.

﴿٤٦﴾ وأنهم يكذبون، فيقولون: فعلنا كذا، ولم يفعلوه.

﴿٤٧﴾ إلا الذين آمنوا من الشعراء وعملوا الأعمال الصالحات، وذكروا الله ذكراً كثيراً، وانتصروا من أعداء الله بعدما ظلموهم مثل حسان بن ثابت رضي الله عنه، وسيعلم الذين ظلموا بالشرك بالله والاعتداء على عباده أي مرجع يرجعون إليه، فيسرجعون إلى موقف عظيم، وحساب دقيق.

﴿٤٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. ٢ - تنزيه القرآن عن قرب الشياطين منه. ٣ - أهمية اللين والرفق للدعاة إلى الله. ٤ - الشعر حسنٌ حسن، وقيحه قبيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على الامتنان على النبي ﷺ بالمعجزة القرآنية وشكرها والصبر على تبليغها.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

﴿طَسَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات المنزلة عليك هي آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه، من تدبره علم أنه من عند الله.

﴿٢﴾ هذه الآيات هادية إلى الحق مرشدة إليه، ومبشرة للمؤمنين بالله ورسله.

﴿٣﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم بصرفها إلى مصارفها، وهم موقنون بما في الآخرة من ثواب وعقاب.

﴿٤﴾ إن الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، حسنتا لهم أعمالهم السيئة، فاستمروا على فعلها، فهم متحIRON لا يهتدون إلى صواب ولا رشد.

﴿٥﴾ أولئك الموصوفون بما ذكرهم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والأسر، وهم في الآخرة أكثر الناس خسراناً، حيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بتخليدهم في النار.

﴿٦﴾ وإنك - أيها الرسول - لتتلقى هذا القرآن

المنزل عليك من عند حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، عليم لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده.

﴿٧﴾ اذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لأهله: إني أبصرت نارا، سأتيكم منها بخبر من موقدها يرشدنا إلى الطريق، أو آتيكم بشعلة نار مأخوذة منها رجاء أن توقدوا أنتم منها نارا تستدفئون بها من البرد.

﴿٨﴾ فلما وصل إلى مكان النار التي أبصرها ناداه الله أن قدس من في النار، ومن حولها من الملائكة، وتنزيها لله رب العالمين مما لا يليق به من الصفات التي يصفه بها الفضالون.

﴿٩﴾ قال له الله: يا موسى، إنه أنا الله العزيز الذي لا يغالبني أحد، الحكيم في خلقي وتقديري وشرعي.

﴿١٠﴾ وألق عصاك، فامتثل موسى، فلما رآها موسى تضطرب وتحرك كأنها حية ولّى مدبراً عنها ولم يرجع، فقال له الله: لا تخف منها، فإني لا يخاف عندي المرسلون من حية ولا من سواها.

﴿١١﴾ لكن من ظلم نفسه بارتكاب ذنب، ثم تاب بعد ذلك فإني غفور له، رحيم به.

﴿١٢﴾ وأدخل يدك في طوق قميصك تخرج بعد إدخالك لها بيضاء مثل الثلج من غير برص، ضمن تسع آيات تشهد بصدقك هي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر به.

﴿١٣﴾ فلما جاءتهم آياتنا هذه التي أيدنا بها موسى واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - القرآن هداية وبشرى للمؤمنين. ٢ - الكفر بالله سبب في اتباع الباطل من الأعمال والأقوال، والحيرة، والاضطراب. ٣ - تأمين الله لرسله وحفظه لهم سبحانه من كل سوء.

﴿١٤﴾ وكفروا بهذه المعجزات ولم يقرؤا بها، واستيقنت أنفسهم أنها من عند الله؛ بسبب ظلمهم واستكبارهم عن الحق، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت عاقبة المفسدين في الأرض بكفرهم ومعاصيهم، فقد أهلكناهم، ودمرناهم كلهم.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا داود وابنه سليمان علماً، ومنه علم كلام الطير، وقال داود وسليمان شاكرين الله ﷻ: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بالنبوة، وبتسخير الجن والشياطين.

﴿١٦﴾ وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال متحدثاً بنعمة الله عليه وعلى أبيه: يا أيها الناس، علمنا الله فهم أصوات الطير، وأعطانا من كل شيء أعطاه الأنبياء والملوك، إن هذا الذي أعطانا الله سبحانه لهو الفضل الواضح البين.

﴿١٧﴾ وجمع لسليمان جنوده من البشر والجن والطير، فهم يُساقون بنظام.

﴿١٨﴾ فلم يزالوا يُساقون حتى إذا جاؤوا إلى وادي النمل (موضع بالشام) قالت نملة من النمل: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يهلككم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون بكم، إذ لو علموا بكم لما داسوكم.

وَحَصَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰ إِيَّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ

وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰ إِيَّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِيَ إِسْلَاطٌ مِّنْ رَبِّي ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ كَلَامَهَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا هَٰذَا، وَقَالَ دَاعِيًا رَبِّهِ سُبْحَانَهُ: رَبِّ وَفَّقْنِي وَالْهَمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ، وَوَفَّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا تَرْضَاهُ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي جُمْلَةِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

﴿٢٠﴾ وتعهَّد سليمان الطير فلم ير الهدهد، فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أمعني من رؤيته مانع، أم كان من الغائبين؟

﴿٢١﴾ فقال لما تبين له غيابه: لأعذبه عذاباً شديداً، أو لأذبحه عذاباً له على غيابه، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين عذره في الغياب.

﴿٢٢﴾ فمكث الهدهد في غيابه زمناً غير بعيد، فلما جاء قال لسليمان ﷺ: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتك من أهل سبأ بخبر صادق لا شك فيه.

﴿٢٣﴾ فَوَإِلَٰهُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الكبر مانع من الاهتداء إلى الحق.

٢ - شكر النعم أدب الأنبياء والصالحين مع ربهم.

٣ - نصح القوم بما يجنبهم الهلاك ميسلك الأفراد العقلاء.

٤ - الاعتذار عن أهل الصلاح بظهر الغيب.

٥ - التيسم ضحك أهل الوقار.

٦ - سياسة الرعية بإيقاع العقاب على من يستحقه، وقبول عذر أصحاب الأعداء.

٧ - قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر.

﴿٣١﴾ إني وجدت امرأة تحكمهم، وأعطيت هذه المرأة من كل شيء من أسباب القوة والملك، ولها سرير عظيم تدير من عليه شؤون قومها.

﴿٣٢﴾ وجدت هذه المرأة، ووجدت قومها يسجدون للشمس من دون الله ﷻ، وحسن لهم الشيطان ما هم عليه من أعمال الشرك والمعاصي، فصرفهم عن طريق الحق، فهم لا يهتدون إليه.

﴿٣٣﴾ حسن لهم الشيطان أعمال الشرك والمعاصي؛ لئلا يسجدوا لله وحده الذي يخرج ما ستره في السماء من المطر، وفي الأرض من النبات، ويعلم ما تخفونه من الأعمال وما تظهرونه، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

﴿٣٤﴾ الله لا معبود بحق غيره، رب العرش العظيم.

﴿٣٥﴾ قال سليمان ﷺ للهدد: سننظر أصدقت فيما تدعيه، أم كنت من الكاذبين.

﴿٣٦﴾ فكتب سليمان كتاباً، وسلمه للهدد، وقال له: اذهب بكتابي هذا فارمه إلى أهل سبأ وسلمهم إياه، وتبع عنهم جانباً بحيث تسمع ما يرددون بشأنه.

﴿٣٧﴾ واستلمت الملكة الكتاب، وقالت: يا أيها الأشراف إني ألقى إلي كتاب كريم جليل.

﴿٣٨﴾ مضمون هذا الكتاب المرسل من سليمان المفتوح ببسم الله الرحمن الرحيم:

﴿٣٩﴾ ألا تكبروا، وأتوني منقادين مستسلمين لما أدعوكم إليه من توحيد الله وترك ما أنتم عليه من الشرك به، حيث عبدتم الشمس معه.

﴿٤٠﴾ قالت الملكة: يا أيها الأشراف والسادة، بينوا لي وجه الصواب في أمري، ما كنت قاضية أمراً حتى تحضروني، وتظهروا رأيكم فيه.

﴿٤١﴾ قال لها الأشراف من قومها: نحن أصحاب قوة عظيمة، وأصحاب بأس قوي في الحرب، والرأي ما تريه فانظري ماذا تأمرينا به فنحن قادرون على تنفيذه.

﴿٤٢﴾ قالت الملكة: إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى أفسدوها بما يقومون به من القتل والسلب والنهب، وصيروا ساداتها وأشرافها أدلاء بعد ما كانوا فيه من العزة والمنعة، وكذلك يفعل الملوك دائماً إذا تغلبوا على أهل قرية؛ ليزرعوا الهيبة والرعب في النفوس.

﴿٤٣﴾ وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بهم يرجع المرسلون.

﴿٤٤﴾ فوالله من الآيات:

١ - إنكار الهدد على قوم سبأ ما هم عليه من الشرك والكفر دليل على أن الإيمان فطري عند الخلائق.

٢ - التحقيق مع المتهم والتثبت من حججه.

٣ - مشروعية الكشف عن أخبار الأعداء.

٤ - من آداب الرسائل افتتاحها بالبسملة.

٥ - إظهار عزة المؤمن أمام أهل الباطل أمر مطلوب.

﴿٣٦﴾ فلما جاء رسولها ومن معه من أعوانه يحملون الهدية إلى سليمان أنكر عليهم سليمان إرسال الهدية قائلاً: أتمدوني بالأموال لتثوني عنكم، فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال خير مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بما يهدي إليكم من حطام الدنيا.

﴿٣٧﴾ قال سليمان ﷺ لرسولها: ارجع إليهم بما جئت من هدية، فلنأتينها وقومها بجنود لا طاقة لهم بمواجهتهم، ولنخرجهم من سبأ وهم أذلة بعدما كانوا فيه من العزة مهانين إن لم يأتوني منقادين.

﴿٣٨﴾ قال سليمان ﷺ مخاطباً أعيان أهل ملكه: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني منقادين؟

﴿٣٩﴾ أجابه مارد من الجن قائلاً: أنا أتيك بسريرها قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي أنت فيه، وإني لقوي على حملي أمين على ما فيه، فلن أنقص منه شيئاً.

﴿٤٠﴾ قال رجل صالح عالم عند سليمان، عنده علم من الكتاب، ومن ضمنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: أنا أتيك بسريرها قبل أن يرجع إليك بصرك؛ بأن أدعو الله فيأتي به، فدعا فاستجاب الله له دعاءه، فلما رأى سليمان سريرها مستقراً عنده قال: هذا من فضل ربي سبحانه؛ ليختبرني أشكر نعمه أم أكفرها؟ ومن شكر الله فإنما نفع شكره عائد إليه، فالله غني لا يزيده شكر العباد، ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن ربي غني عن شكره كريم، ومن كرمه إفضاله على من يجحدها.

﴿٤١﴾ قال سليمان ﷺ: غيروا لها سرير ملكها عن هيئته التي كان عليها نظركم: هل تهتدي إلى معرفة أنه سريرها، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة أشياءهم؟

﴿٤٢﴾ فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان قيل لها اختباراً لها: أهكذا عرشك؟ فأجابت طبق السؤال: كأنه هو، وأعطانا الله العلم من قبلها، وكنا منقادين لأمر الله مطيعين له.

﴿٤٣﴾ وصرفها عن توحيد الله ما كانت تعبد من دون الله اتباعاً لقومها، وتقليداً لهم، إنها كانت من قوم كافرين بالله، فكانت كافرة مثلهم.

﴿٤٤﴾ قيل لها: ادخلي الصرح وهو كهيئة السطح، فلما رأت أنه ظننه ماءً فكشفت عن ساقيتها لتخوضه، قال سليمان ﷺ: إنه صرح مملس من زجاج، ودعاها إلى الإسلام، فأجابته إلى ما دعاها إليه قائلة: رب إني ظلمت نفسي عبادة غيرك معك، وانقذت مع سليمان الله رب المخلوقات جميعها.

﴿٤٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - عزة الإيمان تحصن المؤمن من التأثير بحطام الدنيا.

٢ - الفرح بالمدائيات والركون إليها صفة من صفات الكفار.

٣ - الخوارق للصالحين كرامات، وهي للفاجرين استدراج.

٤ - بقطعة شعور المؤمن تجاه نعم الله.

٥ - اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يناسب.

٦ - إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

﴿٤٥﴾ ولقد بعثنا إلى نوح أخاهم في النسب صالحاً عليه السلام أن اعبدوا الله وحده، فإذا هم بعد دعوته إياهم طائفتان: طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة يتنازعون أيهم على الحق.

﴿٤٦﴾ قال لهم صالح عليه السلام: لِمَ تطلبون تعجيل العذاب قبل الرحمة؟ هَلَّا تطلبون المغفرة من الله لذنوبكم رجاء أن يرحمكم.

﴿٤٧﴾ قال له قومه في نعت عن الحق: تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين، قال لهم

صالح عليه السلام: ما زجرتم من الطير لما يصيكم من المكاره عند الله علمه لا يخفى عليه منه شيء، بل أنتم قوم تختبرون بما يبسط لكم من الخير وبما ينالكم من الشر.

﴿٤٨﴾ وكان في مدينة الحجر تسعة رجال يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا يصلحون فيها بالإيمان والعمل الصالح.

﴿٤٩﴾ قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منكم بالله لثأنيته هو ومن معه من المؤمنين ليلاً، فلنقتلنهم، ثم لنقولن لولي دمه: ما حضرنا قتل صالح ولا قتل أتباعه، وإنا لصادقون فيما قلنا.

﴿٥٠﴾ ودبروا مكيده خفية لإهلاك صالح وأتباعه من المؤمنين، ومكرنا مكرًا لنصره وإنجائه من مكرهم وإهلاك الكافرين من قومه، وهم لا يعلمون بذلك.

﴿٥١﴾ فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل ونهاية تدبيرهم ومكرهم؛ هل حصل لهم ما يريدون؟ لا، بل استأصلناهم بعذاب من عندنا فهلکوا عن آخرهم.

﴿٥٢﴾ فتلک بیوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم، إنَّ فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لعة لقوم يؤمنون، فهم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٥٣﴾ وأنقذنا الذين آمنوا بالله من قوم صالح عليه السلام، وكانوا يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٥٤﴾ واذكر - أيها الرسول - لو طًا حين قال لقومه موبخًا إياهم ومنكرًا عليهم: أتأتون الخصلة القبيحة، وهي اللواط في أنديتكم جهارًا يبصر بعضكم بعضًا؟! ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ أئنكم لتأتون الرجال على سبيل الاشتها دون النساء، لا تريدون إعفافًا ولا ولدًا، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

﴿٥٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الاستغفار من المعاصي سبب لرحمة الله. ٢ - التشاؤم بالأشخاص والأشياء ليس من صفات المؤمنين. ٣ - عاقبة التماثل على الشر والمكر بأهل الحق سيئة. ٤ - الظلم سبب نزول العذاب في الدنيا. ٥ - الإيمان والتقوى سبب النجاة من عذاب الله. ٦ - إعلان المنكر أقبح من الاستتار به. ٧ - الإنكار على أهل الفسوق والفجور واجب.

﴿٥٦﴾ فما كان لقومه من جواب إلا قولهم: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتنزهون عن الأقدار والأنجاس، قالوا ذلك استهزاءً بآل لوط الذين لا يشاركونهم فيما يرتكبونه من الفواحش، بل ينكرون عليهم ارتكابها. ﴿٥٧﴾ فسلمناه وسلمنا أهلها، إلا امرأته حكمتنا عليها أن تكون من الباقين في العذاب لتكون من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وأمطرنا على قوم لوط حجارة من سجيل منضود، فقبح مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم لوط فلم يستجيبوا له، بل بقوا مستمرين على كفرهم وضلالهم، وفعلهم للفاحشة.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه، وأمنة منه على رسله الذين اختارهم لتبليغ دينه، الله المعبود بحق الذي بيده ملكوت كل شيء خير أم ما يعبد المشركون من معبودات لا تملك نفعا ولا ضرا؟!

﴿٦٠﴾ أم من خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وأنزل لكم - أيها الناس - من السماء ماء المطر، فأنبتنا لكم به حقائق ذات حسن وجمال، ما كان لكم أن تنبتوا شجر تلك الحقائق لعجزكم عن ذلك، فالله هو الذي أنبتنا، أمعبود بحق مع الله؟! لا، بل هم قوم ينحرفون عن الحق فيسئون الخالق بالمخلوقين ظلما.

﴿٦١﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَدَرَزْنَاهَا مِنَ الْغَيْبِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ مَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لِرُؤَسَىٰ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمِنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٦١﴾ أَمْ مَنْ صَبَّرَ الْأَرْضَ مُسْتَقَرَّةً ثَابِتَةً لَا تَضْطَرُّ بِمَنْ عَلَيْهَا، وَصَبَّرَ دَاخِلَهَا أَنْهَارًا تَجْرِي، وَصَبَّرَ لَهَا جِبَالًا ثَوَابِتَ، وَصَبَّرَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ: الْمَالِحَ وَالْعَذْبَ فَاصِلًا يَمْنَعُ اخْتِلَاطَ الْمَالِحِ بِالْعَذْبِ حَتَّى لَا يَفْسُدَ، فَلَا يَصْلَحُ لِلشَّرْبِ، أَمْعَبُودُ بِحَقِّ مَعَ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي ذَلِكَ كُلُّهُ؟! لا، بل معظمهم لا يعلمون، ولو كانوا يعلمون لما أشركوا بالله أحداً من مخلوقاته.

﴿٦٢﴾ أَمْ مَنْ يُحِبُّ دَعَاءَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَا طَالِبًا كَشَفَ ضَرَّهُ، وَيَصْرِفُ مَا يَسُوءُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَرَضٍ وَفَقْرٍ، وَيَصْبِرُكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا جِبَالًا بَعْدَ جِبَلٍ، أَمْعَبُودُ بِحَقِّ مَعَ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي ذَلِكَ كُلُّهُ؟! لا، قليلاً ما تتعظون وتعتبرون.

﴿٦٣﴾ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَظُلُمَاتِ الْبَحْرِ بِمَا يَنْصِبُهُ لَكُمْ مِنْ مَعَالِمٍ وَنُجُومٍ، وَمَنْ يَبْعَثُ الرِّيحَ مِشْرَاتٍ بِقَرَبِ نَزُولِ الْمَطَرِ الَّذِي يَرْحَمُ بِهِ عِبَادَهُ، أَمْعَبُودُ بِحَقِّ مَعَ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي ذَلِكَ وَيَقْدِرُهُ؟! تنزه الله، وتقدس عما يشركون به من مخلوقاته.

﴿٦٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم حجج الحق.
- ٢ - رابطة الزوجية دون الإيمان لا تنفع في الآخرة.
- ٣ - ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التذكير بنعم الله.
- ٤ - الاضطراب سبب من أسباب استجابة الدعاء.

﴿١٤﴾ أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميته، ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبت فيها! أمعبود بحق غير الله الذي يجري ذلك ويقدره؟! قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿١٥﴾ قل - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الناس، لكن الله وحده هو الذي يعلمه، وما يعلم جميع من في السماوات ومن في الأرض متى يبعثون للجزاء إلا الله.

﴿١٦﴾ بل تكامل علمهم في الآخرة لما رأوها رأي عين بعد أن كانت الرسل تخبرهم بها وهي غيب، فينكرونها لأنهم لم يروها، وكانوا في شك وحيرة من الآخرة في حياتهم الدنيا، فقد عميت بصائرهم وقلوبهم عنها.

﴿١٧﴾ وقال الذين كفروا مستنكرين: إذا متنا وكنا تراباً أيمكن أن نبعث أحياء؟

﴿١٨﴾ لقد وعدنا نحن، ووعد آبائنا من قبل أننا نبعث جميعاً، فلم نر تحقيقاً لذلك الوعد، ما هذا الوعد الذي وعدناه جميعاً إلا أكاذيب الأولين التي دونوها في كتبهم.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث:

سيروا في أي جهة من الأرض فتأملوا كيف كانت نهاية المجرمين المكذبين بالبعث، فقد أهلكناهم لتكذيبهم به. ﴿٢٠﴾ ولا تحزن بسبب إعراض المشركين عن دعوتك، ولا يضق صدرك، وتهتم لما يقومون به من مكر تجاهك، فإن الله معك، وسينصرك عليهم.

﴿٢١﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث من قومك: متى يتحقق ما تعدنا به أنت والمؤمنون من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من ذلك؟

﴿٢٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: عسى أن يكون اقرب لكم بعض ما تستعجلون به من العذاب.

﴿٢٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لذو فضل على الناس حيث يترك معاجلتهم بالعقوبة مع ما هم عليه من الكفر والمعاصي، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله على ما ينعم به عليهم.

﴿٢٤﴾ وإن ربك ليعلم ما تضرع قلوب عباده وما يظهره، لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٥﴾ وما من شيء غائب عن الناس في السماء، ولا غائب عنهم في الأرض إلا هو في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿٢٦﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يقص على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه، ويكشف انحرافاتهم.

﴿٢٧﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - علم الغيب مما اختص به الله، فادعاه كفر.
- ٢ - الاعتبار بالأمم السابقة من حيث مصيرها وأحوالها طريق النجاة.
- ٣ - تسلية الرسول ﷺ وتبشيره في وجه مكر المشركين.
- ٤ - إحاطة علم الله بأعمال عباده.
- ٥ - تصحيح القرآن لانحرافات بني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم.

٧٧) وإنه لهداية ورحمة للمؤمنين العاملين بما جاء فيه.

٧٨) إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين الناس مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة بحكمه العدل، فيرحم المؤمن، ويعذب الكافر، وهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه. ولا يغالبه أحد، العليم الذي لا يلتبس عليه محق بمبطل.

٧٩) فتوكل على الله، واعتمد عليه في جميع أمورك، إنك على الحق الواضح.

٨٠) إنك - أيها الرسول - لا تسمع الموتى الذين ماتت قلوبهم بسبب الكفر بالله، ولا تسمع فاقد السمع ما تدعوهم إليه إذا رجعوا معرضين عنك.

٨١) ولست بهادي من عميت بصائرهم عن الحق، فلا تحزن عليهم وتتعب نفسك، لا تسمع دعوتك إلا من يؤمن بآياتنا فهم منقادون لأوامر الله.

٨٢) وإذا وجب العذاب وثبت عليهم لإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وبقي شرار الناس، أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

٨٣) واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر من كل أمة من الأمم جماعة من كبرائهم ممن يكذب

وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا السَّمْعُ الْأَصَمَ ۚ إِذَا وَلَوْ أُمْدِدْتَهُمْ ٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٨١) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا ۚ أَمْ أَفَأَعَذَّبُ الْأَذَلَّ ۙ أَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْشَبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

٨٨) صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨)

بآياتنا، يرد أولهم إلى آخرهم ثم يساقون إلى الحساب.

٨٩) ويستمر سوقهم حتى إذا جاؤوا مكان حسابهم قال لهم الله توبيخاً لهم: أكذبتُم بآياتي الدالة على توحيدتي والمشملة على شريعتي، ولم تحيطوا علماً بأنها باطلة فيسوغ لكم تكذيبها، أم ماذا كنتم تعملون بها من التصديق أو التكذيب؟

٩٠) ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم بالكفر بالله وتكذيب آياته، فهم لا يتكلمون للدفاع عن أنفسهم لعجزهم عن ذلك، وبطلان حججهم.

ولما كانوا ينكرون البعث تنبههم الله بما يدل عليه في حياتهم، وهو نومهم الذي هو بمنزلة الموت، واستيقاظهم الذي هو بمنزلة البعث، فقال:

٩١) ألم ينظر هؤلاء المكذوبون بالبعث أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم، وصيرنا النهار مضيقاً لبيصروا فيه، فبسعوا إلى أعمالهم، إن في ذلك الموت المتكرر والبعث بعده لبراهين على البعث بعد الموت.

٩٢) واذكر - أيها الرسول -: يوم ينفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من استثناه الله من الفزع؛ تفضلاً منه، وكل من مخلوقات الله يأتونه في ذلك اليوم مطيعين ذليين.

٩٣) وترى الجبال في ذلك اليوم تحسبها ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير مسرعة سير السحاب، صنع الله، فهو الذي يحركها، إنه خبير بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

فَوَايِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أهمية التوكل على الله. ٢ - تزكية النبي ﷺ بأنه على الحق الواضح. ٣ - هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ. ٤ - دلالة النوم على الموت، والاستيقاظ على البعث.

٨٩ من جاء يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح فله الجنة، وهم آمنون بتأمين الله لهم من فزع يوم القيامة.

٩٠ ومن جاء بالكفر والمعاصي فلهم النار يلقون فيها على وجوههم، ويقال لهم توبيحاً لهم وإهانة: هل تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي؟

٩١ قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة (مكة) الذي حرّمها، فلا يُسفك فيها دم، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُقتل صيدها، ولا يُقطع شجرها، وله سبحانه ملك كل شيء، وأُمرت أن أكون من المستسلمين لله المتقادين له بالطاعة.

٩٢ وأُمرت أن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه، وعمل بما فيه، فتنفع هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المنذرين أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم.

٩٣ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، سيريكم الله آياته في الآفاق والأنفس، فتعرفونها معرفة ترشدكم إلى الإذعان للحق، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

سورة القصص

— مكة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

التركيز على قضية الموازين الحقيقية للقوى والقيم، من خلال إظهار قدرة الله وسنّته بنصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين.

﴿التفسير﴾:

﴿طَسَّرَ﴾. تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿طَسَّرَ﴾. هذه آيات القرآن الواضح.

﴿٢﴾ نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين يتنفعون بما فيه.

﴿٣﴾ إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصير أهلها طوائف مفرقة بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نسائهم للخدمة إمعاناً في إذلالهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والطغيان والتكبر.

﴿٤﴾ ونريد أن نمنّ على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر؛ بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، وبجعلهم ورثة يرثون ملك فرعون في مصر بعد أن أهلكه الله، وأهلك جنوده بالفرق.

﴿فَوَازِلَ الْأَيَّاتِ﴾:

١ - الإيمان والعمل الصالح سببا للنجاة من الفزع يوم القيامة. ٢ - الكفر والعصيان سبب في دخول النار. ٣ - تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم. ٤ - الهلاك عاقبة المتسلطين المتكبرين. ٥ - النصر والتمكين عاقبة المؤمنين.

وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمُ عَدُوٌّ وَاحِزٌ إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَهَمْلَنَ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِيهِ قُصِّيبَةُ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿٦﴾ ونريد أن نمكّن لهم في أرض مصر بجعلهم أصحاب التسلط عليها، والحكم فيها، ونري فرعون ومسانده الأكبر في الملك هامان وجنودهما المعاوين لهما في ملكهما ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

ولما ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيكرم به موسى وقومه ذكر نشأة موسى ﷺ إلى أن بعثه الله رسولا، فقال:

﴿٧﴾ وألهمنا أم موسى ﷺ أن أَرْضِعِيهِ حتى إذا خشيت عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميه في البحر، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيّا، ومصبروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

﴿٨﴾ فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في البحر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أَرَادَهُ اللهُ من أن موسى سيكون عدواً لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالباً لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا أئمنين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

﴿٩﴾ ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولداً بالتبني، وهم لا

يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

﴿١٠﴾ وأصبح قلب أم موسى ﷺ خالياً من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتبنيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقضي به.

﴿١١﴾ وقالت أم موسى ﷺ لأختها بعد إلقائها له في البحر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرت به عن بعد حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تتفقد خبره.

﴿١٢﴾ وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

﴿١٣﴾ فرجعنا موسى إلى أمه رجاء أن تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم.
- ٢ - تدبير الظالم يؤول إلى تدميره.
- ٣ - قوة عاطفة الأمهات تجاه أبنائهن.
- ٤ - الاحتياط من الأعداء بإخفاء الوسائل والمقاصد.
- ٥ - جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم.
- ٦ - تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر مرحلة شبابه، فقال:

﴿١٤﴾ ولما حان اشتداد بدنه وقواه، وانتهى ذلك منه، وتناهى شبابه أعطيناه فهمًا في الدين وعلمًا، وكما جزيانا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

﴿١٥﴾ ودخل موسى المدينة في وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من بني إسرائيل قوم موسى ﷺ، والآخر من القبط قوم فرعون أعداء موسى، فطلب الذي هو من قومه أن يعينه على الذي هو من القبط أعدائه، فضربه موسى بقبضة يده فقتله بتلك الضربة لقوته، قال موسى ﷺ: هذا من تزوين الشيطان وإغرائه، إن الشيطان عدو مضل لمن اتبعه، واضح العداوة، فما حصل مني بسبب عداوته، وبسبب أنه مضل يريد إضلائي.

﴿١٦﴾ قال موسى داعيًا ربه معترفًا بما حصل منه: رب إنني ظلمت نفسي بقتل هذا القبطي، فاغفر لي ذنبي، فغفر الله له، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ قال موسى: رب بسبب ما أنعمت علي به من التوبة وغيرها من النعم فلن أكون معيّنًا للمجرمين على إجرامهم.

﴿١٨﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْغَفْلَةِ فَاَسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ اأَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَّا لَا تَأْمُرُونَ بِكُفْرَتِكُمْ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٩﴾ فلما حصل منه ما حصل من قتل القبطي أصبح في المدينة خائفًا يتربص ماذا يحدث، فإذا الذي طلب منه العون والنصر على عدوه القبطي بالأمس يستعين به على قبطي آخر، قال له موسى: إنك ل ذو غواية وضلال واضح.

﴿٢٠﴾ فلما أن أراد موسى ﷺ أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وعدو لمن استغاثه، قال القبطي: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفسي بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿٢١﴾ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ويركض شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك.

﴿٢٢﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفًا يتربص ماذا يحدث له، قال داعيًا ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمُ:

١ - الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.

٢ - الشكر المحمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.

٣ - أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.

٤ - وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.

﴿٢٢﴾ ولما سار مقلًا بوجهه جهة مدين قال : عسى

ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضل عنها .

﴿٢٣﴾ ولما وصل ماء مدين الذي يستقون منه

وجد جماعة من الناس يسقون مواشيهم،

ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما

عن الماء حتى يسقي الناس، قال لهما

موسى ﷺ : ما شأنكما لا تسقيان مع

الناس؟ قالتا له : عادتنا أن نتأني فلا نسقي

حتى ينصرف الرعاة؛ حذرًا من مخالطتهم،

وأبونا شيخ كبير السن، لا يستطيع أن يسقي،

فاضطررنا لسقي غنمنا .

﴿٢٤﴾ فرحمهما فسقى لهما أغنامهما، ثم

انصرف إلى الظل فاستراح فيه، ودعا ربه

بالعريض بحاجته، فقال : رب إني لما أنزلت

إلي من أي خير محتاج ملتجئ إليك .

﴿٢٥﴾ فلما ذهبتا أخبرتأ أباهما به، فأرسل

إحدهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي في حياء،

قالت : إن أبي يدعوك أن تأتيه قصد أن

يجزيك أجرك على سقيك لنا، فلما جاء

موسى أباهما، وأخبره بأخباره، قال له مطمئنا

إياه : لا تخف نجوت من القوم الظالمين

فرعون وملته، فإنهم لا سلطان لهم على

مدين، فلا يستطيعون أن يصلوا إليك بأذى .

﴿٢٦﴾ قالت إحدى ابنتيه : يا أبت استأجره ليرعى

غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره؛ لجمعه بين القوة والأمانة، فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة يحفظ ما ائتمن عليه .

﴿٢٧﴾ قال أبوهما مخاطبًا موسى ﷺ : إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثمانين

سنتين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع،

وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدني - إن شاء الله - من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود .

﴿٢٨﴾ قال موسى ﷺ : ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأبي الأمدن عملت لك : ثمان سنوات،

أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه .

﴿٢٩﴾ فإله من الآيات:

١ - الانتجاع إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة .

٢ - حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها .

٣ - لا حرج في الكلام بين الأجنيين إن خلا من الريبة، وكان بقدر الحاجة .

٤ - جواز عمل المرأة إذا اضطرت إليه لعدم وجود من يقوم لها به مع البعد عن الاختلاط .

٥ - مشاركة البنت بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صوابًا أمر محمود .

٦ - القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح .

٧ - الحرص على إعفاف النفس .

٨ - جواز أن يكون المهر منفعة .

﴿٢٨﴾ فلما أكمل موسى الأجل المتفق عليه ثمان سنين أو عشر سنين، وسار بأهله من مدين إلى مصر أبصر من جانب الطور ناراً، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت ناراً، لعلي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشعلة من النار توقدون بها ناراً؛ لعلكم تستدفئون من البرد.

﴿٢٩﴾ فلما جاء موسى النار التي أبصرها ناداه ربه ﷻ من جانب الأيمن بالنسبة لموقع موسى ﷺ في البقعة المباركة من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٣٠﴾ وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالاً لأمر ربه، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولى هارباً خوفاً منها، ولم يرجع من هربه، فناداه ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها؛ فإنك من الآمنين منها ومن غيرها مما تخاف.

﴿٣١﴾ أدخل يدك اليمنى في طوق قميصك تخرج بيضاء من غير برص، فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج، واضمم إليك يدك ليهداً خوفك، فضمها موسى إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران: العصا واليد حجتان مرسلتان من ربك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٣٢﴾ قال موسى متوسلاً إلى ربه: إني قتلْتُ منهم نفساً وهو القبطي الذي استغاثه عليه الذي هو من شيعته، فأخاف أن يقتلوني به إن جئتهم لأبلغهم ما أرسلت به.

﴿٣٣﴾ وأخي هارون هو أبين مني كلاماً فابعثه معي معيماً، إن كذبتني فرعون وقومه، إني أخاف أن يكذبوني كما هي عادة الأمم التي بعثت إليها الرسل من قبلي فكذبوهم.

﴿٣٤﴾ قال الله مجيباً دعوة موسى: سنقولك - يا موسى - ببعث أخيك معك رسولاً معيماً، ونجعل لكما الغلبة على عدوكم، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، اذهبا بآياتنا، أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين هم الغالبون، وعدوكم فرعون وقومه هم المغلوبون.

﴿٣٥﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.

٢ - تكليم الله لموسى ﷺ ثابت على الحقيقة.

٣ - حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.

٤ - أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة.

٥ - غلبة الحق وبقاؤه سنّة إلهية.

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

﴿٣٧﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٣٨﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتْرَكَةً أَنَّىٰ جَاءَ وَلِيُّ مَدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَّ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

﴿٣٩﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَرَكَ بَرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

﴿٤١﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ

﴿٤٢﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتَ وَمَنْ أَتْبَعُكُمَا الْعَالِيُونَ

﴿٣٦﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

﴿٣٧﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٣٨﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتْرَكَةً أَنَّىٰ جَاءَ وَلِيُّ مَدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَّ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

﴿٣٩﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَرَكَ بَرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

﴿٤١﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ

﴿٤٢﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتَ وَمَنْ أَتْبَعُكُمَا الْعَالِيُونَ

﴿٣٦﴾ فلما جاءهم موسى عليه السلام بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين، فلو كان حقًا لسمعنا بمثله فيمن مضى من الأمم.

﴿٣٧﴾ وقال موسى مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحموده في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم.

﴿٣٨﴾ وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأوقد لي يا هامان الأجر فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، واني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله إليّ وإلى قومي.

﴿٣٩﴾ وتكبر فرعون عن الحق هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

﴿٤٠﴾ فأخذناه هو وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتى هلكوا جميعًا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

﴿٤١﴾ وجعلناهم قدوة للطغاة والضَّالَّال يدعون إلى النار بما يثبونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنَّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

﴿٤٢﴾ وأتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المُبْعَدِينَ عن رحمة الله المُبْغِضِينَ منه ومن عباده المؤمنين.

﴿٤٣﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة من بعدما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبْصِرُ الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونها ويؤمنون به.

﴿٤٤﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - ردُّ الحق بالشبه الواهية شأن أهل الطغيان.

٢ - الظلم سبب الخسران.

٣ - التكبر مانع من اتباع الحق.

٤ - سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.

٥ - للباطل أئمتة ودعائه وصوره ومظاهره.

﴿٤٤﴾ وما كنت - أيها الرسول - حاضراً بجانب الجبل الغربي بالنسبة لموسى ﷺ حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتى تعلم خبر ذلك فتقصه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك.

﴿٤٥﴾ ولكننا أنشأنا أمماً وخلائق من بعد موسى، فطال عليهم الأمد، وامتدت بهم الأعمال حتى نسوا عهد الله، وما كنت مقيماً في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قوماً ما جاءهم رسول من قبلك ينذرهم لعلمهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

﴿٤٧﴾ ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاً بعث إلينا رسولاً فننتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك

لعاجلناهم بالعقاب، لكننا أخرناهم عنهم حتى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

﴿٤٨﴾ فلما جاءهم محمد رسولاً من ربه قالوا: هلاً أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من المعجزات الدالة على أنه رسول من ربه كاليد والعصا والتميزة المتزلة جملة واحدة، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: ألم يكفر اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون؟

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتهم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدعون من أن التوراة والقرآن سحران.

﴿٥٠﴾ فإن لم يستجيبوا لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله ومحادثتهم لرسله، ومواجهتهم للحق الذي جاءهم من عند الله بالباطل.

﴿٥١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - نفي علم الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه. ٢ - اندراس العلم بتطاول الزمن. ٣ - قطع العذر عن أهل الباطل. ٤ - كفر اليهود بالتوراة والقرآن. ٥ - تحدي الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله. ٦ - ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
 ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمُ
 قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
 أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعُوا وَنَ بِالْحَسَنَةِ
 السَّيِّئَةِ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا لِلْغَوَى
 أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْصِصُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ قَدْ عَلِمْنَا
 لَا تَنْبَغِي الْجَهْلِيَّانِ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
 اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن
 نَبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكُمْ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ
 حَرَمَاءُ مِنَّا يَجْعَلِ إِلَيْهِ ثَمَرُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا فَنَلَّكَ مَسَكْنَهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
 إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
 الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا
 كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥١﴾ ولقد وصلناهم القول للمشركون واليهود من بني
 إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما
 أحلنا عليهم من العذاب لما كذبوا رسلنا رجاء
 أن يتعتلوا بذلك فيؤمنوا حتى لا يصيبهم ما
 أصابهم.
 ﴿٥٢﴾ الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل
 نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في
 كتبهم من الإخبار به ومن نعته.
 ﴿٥٣﴾ وإذا يقرأ عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق
 الذي لا مزية فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من
 قبل هذا القرآن مسلمين لإيماننا بما جاء به
 الرسل من قبله.
 ﴿٥٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر يعطيهم الله
 ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان
 بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد ﷺ حين بُعث،
 ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه
 من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
 الخير.
 ﴿٥٥﴾ وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب
 الباطل من القول أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه،
 وقالوا مخاطبين أصحابه: لنا جزاء أعمالنا،
 ولكم جزاء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم
 والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لما
 فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا.
 ﴿٥٦﴾ إنك - أيها الرسول - لا تهدي من أحببت
 مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في
 علمه أنه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٧﴾ وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الذي جئت به
 ينتزعنا أعدائنا من أرضنا بسرعة، أولم نمكن لهؤلاء المشركين حرماً يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من
 إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقاً من لدنا سقناه إليهم، ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به
 عليهم فيشكروه له.
 ﴿٥٨﴾ وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذاباً فأهلكناها به،
 فتلك مساكنهم مندثرة يمر الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلاً من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين
 الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما.
 ﴿٥٩﴾ ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها بعث رسول في أم تلك القرى كما بعثك أنت في أم
 القرى، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ، وأن له أجرين.
- ٢ - هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم.
- ٣ - اتباع الحق وسيلة للأمن لا مبعث على الخوف كما يدعي المشركون.
- ٤ - خطر الترف على الفرد والمجتمع.
- ٥ - من رحمة الله أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل.

ولما اعتذر المشركون عن اتباع الحق بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة أجابهم الله بقوله:

﴿١٥﴾ وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتزينون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فان.

﴿١٦﴾ أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المخضرين إلى نار جهنم؟!

﴿١٧﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿١٨﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿١٩﴾ وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقذوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، لو أنهم كانوا من المهتدين إلى الحق لما وقعوا في العذاب.

﴿٢٠﴾ ويوم يناديهم ربهم قائلًا: ماذا أحببتم به رسلتي الذين بعثتهم إليكم؟

﴿٢١﴾ فخفي عليهم ما يحتجون به فلم يذكروا شيئًا، فلا يسأل بعضهم بعضًا؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صاترون إليه من العذاب.

﴿٢٢﴾ فأما من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملاً صالحاً؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه.

﴿٢٣﴾ وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي ما يشاء لطاعته ونبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.

﴿٢٤﴾ وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٥﴾ وهو الله سبحانه لا معبود بحق غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مرد له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٢٦﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

١ - العاقل من يؤثر الباقي على الفاني. ٢ - تبرؤ الظالمين بعضهم من بعض يوم القيامة. ٣ - التوبة تجب ما قبلها. ٤ - الاختيار لله لا لعباده، فليس لعباده أن يعترضوا عليه. ٥ - إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صير الله عليكم الليل دائماً مستمراً، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بضياء مثل ضياء النهار؟ أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك.

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن صير الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه لتستريحوا من عناء العمل في النهار؟ أفلا تبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك كله.

﴿٧٣﴾ ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم - أيها الناس - الليل مظلماً؛ لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضئاً؛ لتسعوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم ولا تكفرونها.

﴿٧٤﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿٧٥﴾ وأحضرنا من كل أمة نبيها يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا مزية فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء له سبحانه.

ولما ذكر الله أن فرعون علا في الأرض بسبب السلطان ذكر طغيان قارون بسبب المال، فقال:

﴿٧٦﴾ إن قارون كان من قوم موسى ﷻ فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليشغل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البطر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البطر، بل يغيظهم ويعذبهم على ذلك.

﴿٧٧﴾ واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة؛ بأن تنفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يغيظهم.

﴿٧٨﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له. ٢ - الليل للراحة والنهار للكسب. ٣ - الطغيان كما يكون بالرياسة والملك يكون بالمال. ٤ - المال نعمة، لكنه ينقلب نقمة إذا لم يوظف فيما يرضي الله. ٥ - الفرح بطراً معصية يمجتها الله. ٦ - ضرورة النصح لمن يخاف عليه من الفتنة. ٧ - بغض الله للمفسدين في الأرض.

٧٨ قال قارون: إنما أعطيت هذه الأموال لعلم عندي وقدره، فأنا أستحقها لذلك. أولم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد قوة وأكثر جمعاً لأموالهم؟ فما نفعتهم قوتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال تبكيت وتوبيخ.

٧٩ فخرج قارون في زينته مظهرًا أبهته، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أعطينا من زينة الدنيا مثل ما أعطي قارون، إن قارون لذو نصيب واف كبير.

٨٠ وقال الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته وسمعوا ما تمناه أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعدّه من النعيم لمن آمن به وعمل عملًا صالحًا، خير مما أعطي قارون من زهرة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون الذين يصبرون على إثارة ما عند الله من ثواب على ما في الدنيا من متاع زائل.

٨١ فحسفنا الأرض به وبداره ومن فيها انتقامًا منه على بغيه، فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين بنفسه.

٨٢ وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون معتبرين: ألم نعلم

قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون ٧٨ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يلبت لنا مثل ما أوتى قنزون إنه لذو حظ عظيم ٧٩ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ٨٠ فحسفنا به وبداره الأرض فما كان لهم من فئة ينصرونه من دون الله وما كانت من المنتصرين ٨١ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ٨٢ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ٨٣ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ٨٤

أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، لولا أن من الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا؛ لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومآلهم الخسران فيها.

٨٢ تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يريدون تكبرًا في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يريدون فسادًا فيها، والعاقبة المحمودة المتمثلة بما في الجنة من نعيم، وما يحلّ فيها من رضا الله للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

٨٣ من جاء بالحسنة يوم القيامة - من صلاة وزكاة وصيام وغيره - فله جزاء خير من تلك الحسنات حيث تضاعف له الحسنات إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة - بالسيئة من كفر وأكل ربا وزنا وغير ذلك - فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

٨٤ فوازم من الآيات:

- ١ - كل ما في الإنسان من خير ونعم، فهو من الله خلقًا وتقديرًا.
- ٢ - على الإنسان العاقل أن يعتبر بأحوال من سبقه.
- ٣ - أهل الدنيا هم الأسرع للاغترار بها، والوقوع في الفتن.
- ٤ - أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن؛ لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب.
- ٥ - العلو والكبر في الأرض ونشر الفساد عاقبته الهلاك والخسران.
- ٦ - سعة رحمة الله وعدله بمضاعفة الحسنات للمؤمن وعدم مضاعفة السيئات للكافر.

﴿٨٥﴾ إِنْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَيْكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَاذِ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ ۚ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۚ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٦﴾ وما كنت - أيها الرسول - تأمل - قبل البعثة - أن يُلْقَىٰ إليك القرآن وحياً من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكونن معيئاً للكافرين على ما هم فيه من الضلال.

﴿٨٧﴾ ولا يصرفنك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتوجيهه والعمل بشرعه، ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده.

﴿٨٨﴾ ولا تعبد مع الله معبوداً غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

سورة العنكبوت

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته.

إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَيْكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَاذِ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ ۚ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۚ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

إِسْمُ اللَّهِ الرَّخِيمِ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

﴿التفسير﴾:

- ﴿١﴾ سبق الكلام عن نظائرها في بداية سورة البقرة.
- ﴿٢﴾ أظن الناس أنهم بقولهم: آمنا بالله يتركون دون اختبار بين حقيقة ما قالوا: هل هم مؤمنون حقاً؟ ليس الأمر كما ظنوا.
- ﴿٣﴾ ولقد اخترنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهور ويكشف لكم صدق الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه.
- ﴿٤﴾ بل أظن الذين يعملون المعاصي من الشرك وغيره أن يعجزونا، وينجوا من عقابنا؟ قُبْحَ حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم.
- ﴿٥﴾ من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليشبهه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريباً، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.
- ﴿٦﴾ ومن جاهد نفسه بحملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - النهي عن إعانة أهل الضلال.
- ٢ - الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ٣ - ابتلاء المؤمنين واختبارهم سُنَّةَ إلهية.
- ٤ - غنى الله عن طاعة عبيده.

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَبَرُوا عَلَىٰ امْتِحَانِنَا لَهُمْ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ أَنْ يَبْرَهَمَا وَيَحْسِنَ إِلَيْهِمَا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِإِشْرَاكَه عِلْمٌ - كَمَا وَقَعَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه مِنْ أُمِّهِ - فَلَا تُطْعِمُهُمَا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، إِلَيَّ وَحْدِي رَجُوعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَخْبِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَأُجَازِيَكُمْ عَلَيْهِ.

﴿٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الصَّالِحِينَ، فَنَحْشُرُهُمْ مَعَهُمْ، وَنُثَبِّهُ ثَوَابَهُمْ. ﴿١٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ: آمَنَّا بِاللَّهِ، فَإِذَا آذَاهُ الْكُفَّارُ عَلَىٰ إِيْمَانِهِ جَعَلَ عَذَابَهُمْ لَهُ كَعَذَابِ اللَّهِ فَارْتَدَّ عَنِ الْإِيْمَانِ مُوَافَقَةً لِلْكَفَّارِ، وَلِئِنْ حَصَلَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَيَقُولُنَّ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى الْإِيْمَانِ، أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا صَدَّرَ النَّاسَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِيْمَانِ، فَكَيْفَ يَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيهَا مِنْهُمْ.

﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ - عِلْمُ ظَهْرٍ يَظْهَرُ لِعِبَادِهِ -

الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ حَقًّا، وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ الْإِيْمَانِ، وَيُضْمَرُونَ الْكُفْرَ.

﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ: اتَّبِعُوا دِينَنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَنَحْمِلْ نَحْنُ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فَنَجَازِيَّ عَلَيْهَا دُونَكُمْ، وَلَيْسُوا بِحَامِلِينَ شَيْئًا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا. وَلَمَّا كَانَ نَفْيُ حَمْلِهِمْ لَخَطَايَا غَيْرِهِمْ قَدْ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْكُفَّارَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ لَا يَأْتُمُونَ إِثْمًا زَائِدًا بِسَبَبِ ذَلِكَ رَفَعَ ذَلِكَ الْإِيْهَامَ بِقَوْلِهِ:

﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الدَّاعُونَ إِلَىٰ بَاطِلِهِمْ ذُنُوبَهُمِ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا، وَلَيَحْمِلُنَّ ذُنُوبَ مَنْ اتَّبَعَ دَعْوَتَهُمْ دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ذُنُوبِ التَّابِعِينَ لَهُمْ شَيْءٌ، وَلَيْسَ أَلْتَّيْمَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبَاطِلِ. ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نُوْحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَمَكَثَ فِيهِمْ مَدَّةَ تِسْعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَكَذَّبُوهُ وَاسْتَمَرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرُسُلِهِ، فَهَلَكُوا بِالْغَرَقِ.

﴿١٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُكْفِّرُ اللَّهُ بِهَا الذُّنُوبَ.

٢ - تَأْكُودُ وَجُوبُ الْبِرِّ بِالْأَبْوِينِ.

٣ - طَاعَةُ اللَّهِ مُقَدِّمَةٌ عَلَىٰ طَاعَةِ الْأَبْوِينِ.

٤ - الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ يَقْتَضِي الصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِهِ.

٥ - مَنْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ فَعَلِيهِ وَزَرُهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.

﴿١٥﴾ فَأَنْقَذْنَا نوحًا ومن معه من المؤمنين في السفينة من الهلاك بالغرق، وجعلنا السفينة عبرة للناس يعتبرون بها.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة إبراهيم حين قال لقومه: اعبدوا الله وحده، واتقوا عقابه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ذلكم المأمور به خير لكم إن كنتم تعلمون أنه خير لكم.

﴿١٧﴾ إنما تعبدون - أيها المشركون - أصنامًا لا تنفع ولا تضر، وتختلقون الكذب حين تزعمون استحقاتها للعبادة، إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فيرزقوكم، فاطلبوا عند الله الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده، واشكروا له ما أنعم به عليكم من الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء لا إلى أصنامكم.

﴿١٨﴾ وإن تكذبوا - أيها المشركون - بما جاء به محمد ﷺ، فقد كذبت أمم من قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود، وما على الرسول إلا البلاغ الواضح، وقد بلغكم ما أمره ربه بتبليغه إليكم.

﴿١٩﴾ أولم ير هؤلاء المكذبون كيف يخلق الله الخلق ابتداء، ثم يعيده بعد فناءه، إن ذلك على الله سهل، فهو قادر لا يعجزه شيء.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين بالبعث: سيروا في الأرض فتأملوا كيف بدأ الله الخلق، ثم الله يحيي الناس بعد موتهم الحياة الثانية للبعث والحساب، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجز عن بعث الناس كما لم يعجز عن خلقهم أولًا.

﴿٢١﴾ يعذب من يشاء من خلقه بعدله، ويرحم من يشاء من خلقه بفضله، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب حين يبعثكم من قبوركم أحياء.

﴿٢٢﴾ ولستم بفائتين ربكم، ولا منفلتين من عقابه في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من دون الله ولي يتولى أمركم، وليس لكم من دون الله نصير يرفع عنكم عذابه.

﴿٢٣﴾ والذين كفروا بآيات الله سبحانه ويلقائه يوم القيامة، أولئك قنطوا من رحمتي، فلن يدخلوا الجنة أبدًا لكفرهم، وأولئك لهم عذاب موجه ينتظرهم في الآخرة.

﴿٢٤﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الأصنام لا تملك رزقًا، فلا تستحق العبادة.

٢ - طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.

٣ - بدء الخلق دليل على البعث.

٤ - دخول الجنة محرم على من مات على كفره.

﴿١٦﴾ فما كان جواب قوم إبراهيم له - بعدما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان - إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار انتصاراً لألهتكم، فسلمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعبراً لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر.

﴿١٧﴾ وقال إبراهيم ﷺ لقومه: إنما اتخذتم أصناماً آلهة تعبدونها للتعرف والتواضع على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التواضع بينكم، فيتبرأ بعضكم من بعض عند معاناة العذاب، ويلعن بعضكم بعضاً، ومقرّم الذي تاوون إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها.

﴿١٨﴾ فأمن له لوط ﷺ، وقال: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتدبيره.

﴿١٩﴾ وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصيرنا في أولاده النبوة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطيناه ثواب صبره على الحق في الدنيا، وإنه في الآخرة ليُجزى جزاء الصالحين، لا ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعد له من الجزاء الكريم في الآخرة.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تاباه الفطر السليمة.

﴿٢١﴾ أنكم لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمزون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمر بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيه لهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: ائتنا بعذاب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقاً فيما تدّعيه.

﴿٢٢﴾ قال لوط ﷺ داعياً ربه بعد تعنت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافاً به: رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة.

﴿٢٣﴾ فإله من الآيات:

- ١ - عناية الله بعباده الصالحين حيث ينجيهم من مكر أعدائهم.
- ٢ - انقطاع صداقة الكفار في الآخرة، وانقلابها إلى عداوة.
- ٣ - فضل الهجرة إلى الله.
- ٤ - عظم منزلة إبراهيم وآله عند الله تعالى.
- ٥ - كون نبينا ﷺ من ذرية إبراهيم قطعاً.
- ٦ - تعجيل بعض الأجر في الدنيا لا يعني نقص الثواب في الآخرة.
- ٧ - فاحشة اللواط من كبائر الذنوب.
- ٨ - قبح تعاطي المنكرات في المجالس العامة.

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم مِّبْعُضَ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٧﴾ فَأَمَّن لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّكِيلَ وَأَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٢﴾

لَقَوْمِهِ: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تاباه الفطر السليمة.

﴿٢١﴾ أنكم لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمزون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمر بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيه لهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: ائتنا بعذاب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقاً فيما تدّعيه.

﴿٢٢﴾ قال لوط ﷺ داعياً ربه بعد تعنت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافاً به: رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة.

﴿٣١﴾ ولما جاءت الملائكة الذين بعثناهم يبشرون إبراهيم بإبراهيم بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سدوم قرية قوم لوط؛ إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة.

﴿٣٢﴾ قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطاً، وليس هو من الظالمين، قال الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذنه وأهله من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٣﴾ ولما أتت الملائكة الذين بعثناهم لإهلاك قوم لوط لوطاً ساءه وأحزنه مجيئهم خوفاً عليهم من خبث قومه، فقد جاءته الرسل في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٤﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث عذاباً من السماء، وهو حجارة من سجيل؛ عقاباً لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا

أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ النَّجِيَّةِ

وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِيبِ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا

أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا

وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاكَ

كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِيبِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَكَ عَلَى أَهْلِ

هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ

لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَلَهُمْ فَوَضَّعَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

القيحة، وهي إتيان الرجال دون النساء شهوة.

﴿٣٥﴾ ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكناها آية واضحة لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٣٦﴾ وأرسلنا إلى مدّين أخاهم في النسب شعيباً ﷺ، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا عبادتكم إياه الجزاء في اليوم الآخر، ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

﴿٣٧﴾ فكذب قومه، فأصابتهم الزلزلة، فأصبحوا صرعى ميّتين في دارهم، لا حراك بهم.

﴿٣٨﴾ وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم - يا أهل مكة - من مساكنهم بالحجر والشجر من حضرموت ما يدلّكم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرّفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إِبصار بالحق والضلال والرشد والغي بما علّمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

﴿٣٩﴾ فَوَارِثُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الظلم سبب يؤدي إلى الهلاك.
- ٢ - اتباع الحق سبب يؤدي للنجاة من الهلاك.
- ٣ - العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.
- ٤ - الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
- ٥ - منازل المهلكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
- ٦ - العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإيثاره على الهدى.

﴿٣٨﴾ وأهلكنا قارون لما بغى على قوم موسى بالخسف به وبداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا ليسلموا من عذابنا بفوتهم لنا.

﴿٣٩﴾ فأخذنا كلاً من المذكورين سابقاً بعذابنا المُهْلِك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجيل منضود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالغرق، وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.

﴿٤٠﴾ مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت، فهو لا يدفع برداً ولا يقي من حر، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لما اتخذوا أصناماً يعبدونها من دون الله.

﴿٤١﴾ إن الله ﷻ يعلم ما يعبدونه من دونه، لا

يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتقديره وتديبه.

﴿٤٢﴾ وهذه الأمثال التي نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديهم إليه، ما يدركها على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرع الله وحكمه.

﴿٤٣﴾ خلق الله ﷻ السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثاً، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يَمُرُّون على الآيات في الآفاق والأنفس دون أن تلفت انتباههم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

﴿٤٤﴾ اقرأ - أيها الرسول - على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، واثت بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ لما تحدته من نور في القلوب يمنع من اقتراف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٤٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تعدد أنواع العذاب في الدنيا. ٢ - تَزَهُ اللهُ عن الظلم. ٣ - التعلق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب.
- ٤ - فضل العلم. ٥ - أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن. ٦ - فضل ذكر الله.

﴿٤٦﴾ وَلَا تَحَاورُوا- أيها المؤمنون- ولا

تخاصموا اليهود والنصارى الذين أنزلت عليهم الكتب السماوية إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعناد والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده متقادون متذللون.

﴿٤٧﴾ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة مثل عبد الله بن سلام يؤمنون به؛ لما يجدونه من نفعه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والجحود للحق مع ظهوره.

﴿٤٨﴾ وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك؛ لأنك أُمِّي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ

وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَلِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَهُنَّ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَنَابَ الْمُبْطُوتِ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْدُتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾

وتكتب لشك الجهلة من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة.

﴿٤٩﴾ بل القرآن المنزل عليك آيات واضحات في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

﴿٥٠﴾ وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد معجزات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إنما المعجزات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إليّ إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة.

﴿٥١﴾ أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين يتفنون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقاً.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - كفى بالله سبحانه شاهداً على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون؛ لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

﴿٥٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.

٢ - الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفریق شرط لصحة الإيمان.

٣ - القرآن الكريم المعجزة الخالدة والعلامة الدائمة على صدق النبي ﷺ.

﴿٥٢﴾ يستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعذاب الذي أُنذرتهم إياه، ولولا أن الله قَدَّرَ لعذابهم وقتًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر لجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتينهم فجأة وهم لا يتوقعونه.

﴿٥٣﴾ يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعد الله الكافرين لمحيطه بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها.

﴿٥٤﴾ يوم يُعْطِيهِم العذاب من فوقهم، ويكون فراشًا لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخًا لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٥٥﴾ يا عبادي، هاجروا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحدًا.

﴿٥٦﴾ ولا يمنعكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٥٧﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات التي تقرب إليه لننزلتهم من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار ما كثين فيها أبدًا، لا يلحقهم فيها فناء، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.

﴿٥٨﴾ نعم جزاء العاملين بطاعة الله الذين صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

﴿٥٩﴾ كل الدواب - على كثرتها - التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حمله الله يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في ترك الهجرة خوفًا من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿٦٠﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر وهما يتعاقبان؟ لَيَقُولُنَّ: خلق السماوات، وخلق الأرض، وسخر الشمس والقمر دائبين الله، فكيف يُصَرِّفُون عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟

﴿٦١﴾ الله يوسع الزرق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

﴿٦٢﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأَنْبَت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ لَيَقُولُنَّ: أنزل المطر من السماء وأَنْبَت به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

﴿٦٣﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَعْبادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا بِإِنْ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعٍدُونَ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَٰئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَنَّمِنْ دَٰئِبَةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

١ - استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه. ٢ - باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح. ٣ - فضل الصبر والتوكل على الله. ٤ - الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالالوهية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة
لهي الآخرون لو كانوا يعلمون ﴿١٤﴾ فإذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخاضين له الدين فلما نَجَّوْهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا فُسُوفَ
يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا وَنُحَاطُفَ
النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾

﴿١٤﴾ وما هذه الحياة الدنيا - بما فيها من
الشهوات والمتاع - إلا لهو لقلوب المتعلقين
بها ولعب، ما يلبث أن ينتهي بسرعة، وإن
الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية لبقاتها، لو
كانوا يعلمون لما قَدَّمُوا ما يفنى على ما يبقى.
ولمَّا سجل الله على المشركين تناقضهم؛
بإيمانهم بربوبية الله عندما يُسألون عمن خلق
السموات والأرض، وكفرهم بألوهيته عندما
يعبدون غيره، سَجَّلَ عليهم تناقضًا آخر هو
إخلاصهم التوحيد عند الخوف من الغرق
وعودتهم للشرك عند أمنهم منه، فقال:

﴿١٥﴾ وإذا ركب المشركون في السفن في البحر
دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينجيهم
من الغرق، فلما نجاهم من الغرق انقلبوا
مشركين يدعون معه آلهتهم.

﴿١٦﴾ انقلبوا مشركين ليكفروا بما أعطيناهم من
النعم، وليتمتعوا بما أعطوا من زهرة الحياة
الدنيا، فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة عندما
يموتون.

﴿١٧﴾ أولم ير هؤلاء الجاحدون لنعمة الله عليهم
حين نجاهم الله من الغرق نعمة أخرى؛ هي أنا
جعلنا لهم حرماً يأمنون فيه على دمائهم
وأموالهم، على حين أن غيرهم تُشَنُّ عليهم
الغارات، فيقتلون ويُسْرُونَ وتُسبى نساؤهم
وذرايرهم، وتُنهب أموالهم، أفعالباطل من
آلهتهم المزعومة يصدقون، وبنعمة الله عليهم
يجحدون، فلا يشكرونها لله؟

﴿١٨﴾ لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بأن نسب إليه شريكاً، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك
أن في جهنم مسكناً للكافرين ولأمثالهم.

﴿١٩﴾ والذين جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر والهداية.

سُورَةُ الرُّومِ

— مَكَّة —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على بيان الحقيقة الكونية في أن تصريف الأمور والأحوال والأحداث لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ سَبَقَ الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. ﴿٢﴾ غَلَبَتْ فارسُ الرومَ. ﴿٣﴾ في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم. ﴿٤﴾ في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون. ﴿٥﴾ يفرحون بنصر الله للروم لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغَالَبُ، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٦﴾ فَوَالَّذِينَ الْآيَاتِ: ١ - لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونيانهم لأصنامهم، وإشراكهم به في الرخاء دليل على تخبطهم. ٢ - الجهاد في سبيل الله سبب للتوفيق إلى الحق. ٣ - إخبار القرآن بالغيبيات دليل على أنه من عند الله.

① هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى، وتحققه يزداد المؤمنون يقينًا بوعده الله بالنصر، أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم.

② لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسبهم لمعاشهم، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

③ أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها.

ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلًا محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من الناس بقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

④ أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما ظلمهم الله حين أهلكتهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

⑤ ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم

بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

⑥ الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يميتة، ثم يعيده، ثم إليه وحده ترجعون للحساب والعزاء يوم القيامة.

⑦ ويوم تقوم الساعة يئس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه؛ لانقطاع حجتهم على الكفر بالله.

⑧ ولم يكن لهم من شركائهم - الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا - من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خذلوهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.

⑨ ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يتفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى عليين، ومخفوض إلى أسفل سافلين.

⑩ فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسَرُّون بما ينالون فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدًا.

❦ فَوَايِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - العلم بما يصلح الدنيا مع الغفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.

٢ - آيات الله في الأنفس وفي الآفاق كافية للدلالة على توحيدة.

٣ - الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.

٤ - يأس الكافر يوم القيامة لانقطاع حجته.

٥ - يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين.

﴿١٦﴾ وأما الذي كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزل على رسولنا، وكذبوا بالبعث والحساب، فأولئك للعذاب ملازمون.

﴿١٧﴾ فسبحوا الله حين تدخلون في وقت المساء؛ وهو وقت صلاتي العشاءين: المغرب والعشاء، وسبحوه حين تدخلون في وقت الصباح، وهو وقت صلاة الفجر.

﴿١٨﴾ وله وحده سبحانه الثناء في السماوات يحمده ملائكته، وفي الأرض تحمده خلائقه، وسبحوه حين تدخلون في العشي وهو وقت صلاة العصر، وسبحوه حين تدخلون في وقت الظهر.

﴿١٩﴾ يُخرج الحي من الميت، مثل إخراج الإنسان من النطفة، والفرخ من البيضة، ويُخرج الميت من الحي، مثل إخراج النطفة من الإنسان، والبيضة من الدجاجة، ويحيي الأرض بعد جفافها بإنزال المطر وإنباتها، ومثل إحياء الأرض بإنباتها تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٢٠﴾ ومن آيات الله العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن خلقكم - أيها الناس - من تراب حين خلق أباكم من طين، ثم إذا أنتم بشر تتكاثرون بالتناسل، وتنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها.

﴿٢١﴾ ومن آياته العظيمة كذلك الدالة على قدرته ووحدانيته أن خلق لأجلكم - أيها الرجال - من جنسكم أزواجاً لتطمئن أنفسكم إليهن للتجانس بينكم، وصير بينكم وبينهن محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات واضحة لقوم يتفكرون؛ لأنهم الذين يستفيدون من إعمال عقولهم.

﴿٢٢﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: خلق السماوات وخلق الأرض، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لأهل العلم والبصيرة.

﴿٢٣﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: نومكم بالليل، ومنامكم بالنهار لتستريحوا من عناء أعمالكم، ومن آياته أن جعل لكم النهار لتنتشروا فيه مبتغين الرزق من ربكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لقوم يسمعون سماع تدبر وسماع قبول.

﴿٢٤﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: يريكم البرق في السماء، ويجمع لكم فيه بين الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وينزل لكم من السماء ماء المطر، فيحيي الأرض بعد جفافها بما ينبت فيها من نبات، إن في ذلك لبراهين ودلالات واضحة لقوم يعقلون، فيستدلون بها على البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

﴿فوائد من الآيات﴾

١ - إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة. ٢ - الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي. ٣ - آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يعمل وسائل إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.

﴿٥٥﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام بأمره سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٥٦﴾ وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكًا وخلقًا وتقديرًا، كل من في السماوات، وكل من في الأرض من مخلوقاته متقادون له مستسلمون لأمره.

﴿٥٧﴾ وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفنائه، والإعادة أبسر من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، وله الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في خلقه وتديره.

﴿٥٨﴾ ضرب الله لكم - أيها المشركون - مثلاً مأخوذاً من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون منهم كما يخاف بعضهم من بعض؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، فالله أولى بأن لا يكون له شريك في ملكه من مخلوقاته وعبيده، بمثل ذلك من ضرب

الأمثال وغيره نبين الحجة والبراهين بتوحيها لقوم يعقلون، لأنهم هم الذين يستفون بذلك.

﴿٥٩﴾ ليس سبب ضلالهم قصوراً في الأدلة، ولا عدم بيان لها، وإنما هو اتباع الهوى وتقليد آبائهم، فمن يوفق للهداية من أضله الله؟ لا أحد يوفقه، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿٦٠﴾ فأقم - أيها الرسول - أنت ومن معك وجهك، وتوجه للدين الذي وجهك الله إليه؛ مائلاً عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

﴿٦١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٦٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقاً وأحزاباً، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

﴿٦٣﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَانُوا يَمُشُّونَ:

١ - خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهراً واختياراً.

٢ - دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.

٣ - يحسن ضرب الأمثال لتوضيح الحق وتبيين الباطل.

٤ - اتباع الهوى يضل ويطغي.

٥ - دين الإسلام دين الفطرة السليمة.

﴿٣٣﴾ وإذا أصاب المشركين شدة من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشراكهم مع الله غيره في الدعاء.

﴿٣٤﴾ إذا جحدوا نعم الله - ومنها نعمة كشف الضر - وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.

﴿٣٥﴾ ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟! فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر.

﴿٣٦﴾ وإذا أدقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته أيديهم من المعاصي، إذا هم يياسون من رحمة الله، ويقظون من زوال ما يسوؤهم.

﴿٣٧﴾ أولم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً له أشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء منهم ابتلاء له أيصبر أم يتسخط؟ إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.

﴿٣٨﴾ فأعط - أيها المسلم - صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه خير للذين يريدون به وجه الله، الذين يقدمون هذه المعونة والحقوق هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، ويسلامتهم مما يرهبونه من العذاب. ولما بين ما يتقرب به إلى الله من العمل بين ما يَرَاد به غير وجهه، وإنما يَرَاد به مقصد دنيوي رخيص، فقال:

﴿٣٩﴾ وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتهم من أموالكم إلى من يدفع بها حاجة تريدون بذلك وجه الله، لا تريدون منزلة ولا مثوبة من الناس، فأولئك هم الذين يُضَاعَف لهم الأجر عند الله.

﴿٤٠﴾ الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم، ثم رزقكم، ثم إماتكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئاً من ذلك؟! تنزه سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.

﴿٤١﴾ ظهر الفساد في البر والبحر في معاش الناس بنقصها، وفي أنفسهم بحدوث الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوا من المعاصي، ظهر ذلك ليديقهم الله جزاء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة.

﴿٤٢﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - تناقض المشركين حيث يخلصون لله العبادة في وقت الشدة، ويشركون معه غيره في وقت الرخاء.
- ٢ - فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النعمة، صفتان من صفات الكفار.
- ٣ - إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.
- ٤ - محق الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.
- ٥ - أثر الذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله.

﴿٤٧﴾ فأقم - أيها الرسول - وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُنعمون، وفريق في النار معذبون.

﴿٤٨﴾ من كفر بالله فضرر كفره - وهو الخلود في النار - عائد عليه، ومن عمل عملاً صالحاً يتغي به وجه الله فلا أنفسهم يُهيئون دخول الجنة والتنعيم بما فيها خالدين فيها أبداً.

﴿٤٩﴾ يفرق الله الناس، ويوزعهم فريقين ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، إنه سبحانه لا يحب الكافرين به ويرسله، بل يمقتهم أشد المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.

﴿٥٠﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم - أيها الناس - من رحمته بما يحصل بعد المطر من خضب ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.

﴿٥١﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى أممهم، فجاءوهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فكذبوا بما جاءهم به رسلهم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعدابنا، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا.

﴿٥٢﴾ الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح وبيعثها، فتثير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمده في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيره قطعاً، فتري - أيها الناظر - المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا هم به يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابهم.

﴿٥٣﴾ وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لآيسين من نزوله عليهم.

﴿٥٤﴾ فانظر - أيها الرسول - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبت عليها من أنواع النبات بعد جفافها وييسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٥٥﴾ فإنا من الآيات:

﴿٤٦﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٧﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٨﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَمْهَدُونَ ﴿٤٩﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ ءَايَنْتِهِ أَن يُرْسَلَ الرِّيحُ مُبَشِّرًا وَلِيَذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ؕ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَءَاوَهُم بِالنِّبْتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ؕ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنْزَلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لُمُبْلِسِينَ ﴿٥٤﴾ فَانْظُرْ إِلَى ءَاتَارِ رَّحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَى الْمُؤْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾

١ - انقسام الناس يوم القيامة حسب أعمالهم في الدنيا إلى سعداء وأشقياء.

٢ - إرسال الرياح وإنزال المطر وجريان السفن في البحر: نعم تستدعي أن نشكر الله عليها.

٣ - إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سنَّه إلهية.

٤ - إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث.

﴿٥١﴾ ولئن بعثنا على زروعهم ونباتهم ريحا تفسده عليهم، فرأوا زروعهم مُضَفَّرَةً الألوان بعد أن كانت مُخْضَرَّةً لظَلُّوا بعد مشاهدتهم لها يكفرون بنعم الله السابقة على كثرتها.

﴿٥٢﴾ فكما أنك لا تستطيع إسماع الموتى ولا تستطيع إسماع الصم، وقد ابتعدوا عنك ليتأكد عدم سماعهم فكذلك لا تستطيع أن تهدي من أشبه هؤلاء بالإعراض وعدم الانتفاع.

﴿٥٣﴾ وما أنت بموفق من ضل عن الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل الرشاد، لا تُسمع سماعاً يُنتفع به إلا من يؤمن بآياتنا؛ لأنه هو الذي ينتفع بما تقوله، فهم متقادون لأمرنا، خاضعون له.

﴿٥٤﴾ الله هو الذي خلقكم - أيها الناس - من ماء مهين، ثم جعل من بعد ضعف طفولتكم قوة الرجولة، ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف وقوة، وهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء.

﴿٥٥﴾ ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا في قبورهم إلا ساعة، كما صُرفوا عن معرفة قدر ما لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا فَأَرَوْهُ مُضَفَّرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ

﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا

مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا

مَنْ يُؤْمِنُ شَايِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ

لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

وَلَكِنْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِشَايَةٍ

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ

يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنْ

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْخَفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٦﴾ وقال الذين أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به.

﴿٥٧﴾ فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء لا ينفع الظالمين ما يخلقونه من أعداء، ولا يطلب منهم إرضاء الله بالتوبة والإنابة إليه لفوات وقت ذلك.

﴿٥٨﴾ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم - أيها الرسول - بحجة على صدقك ليقولنَّ الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به.

﴿٥٩﴾ مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها، يختم الله على قلوب كل الذين لا يعلمون أن ما جئتم به حق.

﴿٦٠﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك، إن وعد الله لك بالنصر والتمكين ثابت لا مرية فيه، ولا يدفعك الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، إلى الاستعجال وترك الصبر.

﴿٦١﴾ فَإِنَّ مِنْ آلِيَاءِ:

١ - بأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء.

٢ - هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

٣ - مراحل العمر عبرة لمن يعتبر.

٤ - الختم على القلوب سببه الذنوب.

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على الأمر باتباع حكمة الله في القرآن، وقصة لقمان مثلاً.

﴿التفسير﴾ :

﴿الآية﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ هذه الآيات المنزلة عليك - أيها الرسول - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة.

﴿٢﴾ وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده.

﴿٣﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب.

﴿٤﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، والبعد عما يرهبونه.

ولما ذكر الله صفات المحسنين ذكر صفات المسيئين فقال :

﴿٥﴾ ومن الناس - مثل النضر بن الحارث - من يختار الأحاديث الملهية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هزواً يسخر منها، أولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُدِلٌّ في الآخرة.

﴿٦﴾ وإذا تُقْرَأُ عليه آياتنا أدير مستكبراً عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً عن سماع الأصوات، فبشره - أيها الرسول - بعذاب أليم ينتظره.

﴿٧﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات، لهم جنات النعيم، يتمتعون فيما أعد الله لهم فيها.

﴿٨﴾ ماكين فيها، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

﴿٩﴾ خلق الله السموات مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالاً ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبث فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبثنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

﴿١٠﴾ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين من دونه ممن تعبدونهم من دون الله، بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئاً وهم يُخْلِقُونَ.

﴿١١﴾ ﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ﴾

١ - طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

٢ - تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.

٣ - التكبر مانع من اتباع الحق.

٤ - انفراد الله بالخلق، وتحدي الكفار أن تخلق آلهتهم شيئاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً

لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بغير علمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءِيسُنَاوَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرْفًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ بغير عمدٍ تَرَوْنَهَا وَلَئِن فِي الْأَرْضِ رَءِيسٌ أَن تَمِيدَ

بِحُكْمٍ وَيَتَّخِذَ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَثْنَا فِيهَا

مِن كُلِّ نَوْعٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا

خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ لِيَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿١٢﴾ ولقد أعطينا لقمان الفقه في الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر - لقمان - لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جحد نعمة الله عليه فإنما ضرر جحوده عليه، فالله لا يضره جحوده لنعمته شيئاً، فإن الله سبحانه غني عن خلقه جميعاً، محمود على كل حال.

﴿١٣﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال لقمان لابنه وهو يرغبه في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله خلقاً غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار.

﴿١٤﴾ ووصينا الإنسان بطاعة أبويه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملاقية مشقة بعد مشقة، وفطامه عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر الله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيتك ورعايتك، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلاً بما يستحقه.

﴿١٥﴾ وإن بذل الوالدان جهداً ليحملاك على أن تشرك بالله غيره تحكماً منهما - مثل ما فعلت أم سعد بن أبي وقاص به - فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

﴿١٦﴾ يا بني، إن السيئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من خردل وكانت في بطن صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف بعباده، خبير بهم، لا يخفى عليه من أمورهم شيء.

﴿١٧﴾ يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خيرة لك فيه.

﴿١٨﴾ ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض مُختالاً متكبراً، إن الله لا يحب كل مُختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم لا يشكر الله عليها، بل يبغيه.

﴿١٩﴾ وتوسط في مشيك بين الإسراع والدبيب مشياً يظهر الوقار، واخفض من صوتك، لا ترفعه رفعا يؤدي، إن أقبح الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها.

﴿٢٠﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد. ٢ - وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم. ٣ - البر بالأبوين خاصة الأم. ٤ - لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ٥ - دقة الحساب يوم القيامة. ٦ - شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي.

﴿١٦﴾ ألم تروا وت شاهدوا - أيها الناس - أن الله يَسْرَ لكم الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، وَيَسْرَ لكم أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستنير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

﴿١٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي، قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة الأصنام، أتتبعون أسلافهم ولو كان الشيطان يدعوهم بما يضلهم به من عبادة الأوثان إلى عذاب السعير يوم القيامة؟

﴿١٨﴾ ومن يُقْبَل على الله مخلصًا له عبادته ومحسنًا في عمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، وإلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلًا بما يستحق.

﴿١٩﴾ ومن كفر بالله فلا يحزنك - أيها الرسول - كفره، إلينا وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فنخبرهم

بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها، إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها. ﴿٢٠﴾ نعمتهم بما نعطيتهم من الملذات في الدنيا زمانًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار. ﴿٢١﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهنَّ الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم. ﴿٢٢﴾ لله وحده ما في السماوات، وما في الأرض خلقًا وملكا وتدبيرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٢٣﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قُطِعَ وُبُري أكلًا، والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر أخرى، ما فنيت ولا انتهت كلمات الله لعدم تنهايتها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره.

﴿٢٤﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بعثتكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق وبعث نفس واحدة في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

﴿٢٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہٗ ۚ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ نُمِيعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٨﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا نَفْسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿١١﴾ نعمتهم بما نعطيتهم من الملذات في الدنيا زمانًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار. ﴿١٢﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهنَّ الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم. ﴿١٣﴾ لله وحده ما في السماوات، وما في الأرض خلقًا وملكا وتدبيرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة. ﴿١٤﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قُطِعَ وُبُري أكلًا، والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر أخرى، ما فنيت ولا انتهت كلمات الله لعدم تنهايتها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره. ﴿١٥﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بعثتكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق وبعث نفس واحدة في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

١ - نعم الله وسيلة لشكره والإيمان به، لا وسيلة للكفر به. ٢ - خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد. ٣ - أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته. ٤ - عدم تناهي كلمات الله. ٥ - قدرة الله على خلق الناس وبعثهم.

﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْقُصُ مِنَ اللَّيْلِ لَيْزِيدَ النَّهَارِ، وَيَنْقُصُ مِنَ النَّهَارِ لَيْزِيدَ اللَّيْلِ، وَقَدَّرَ مَسَارَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، إِذْ يُجْرِيَانِ كُلٌّ فِي مَدَارِهِ إِلَى أَمَلٍ مُّحَدَّدٍ، وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمُ عَلَيْهَا.

﴿٢٠﴾ ذَلِكَ التَّدْبِيرُ وَالتَّقْدِيرُ يَشْهَدَانِ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْحَقُّ، فَهُوَ حَقٌّ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَنَّ مَا يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا أَسَاسَ لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّفِينَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِلُطْفِهِ وَتَسْخِيرِهِ؛ لِيُرِيَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَلُطْفِهِ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى مَا يَصِيبُهُ مِنْ ضَرَاءٍ، شُكُورٍ لِمَا يَنَالُهُ مِنْ نِعْمَاءٍ.

﴿٢٢﴾ وَإِذَا أَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مَوْجٌ مِثْلَ الْجِبَالِ وَالْغَمَامِ، دَعَا اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعِبَادَةَ، فَلَمَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ، وَأَنْقَذَهُمْ إِلَى الْبَرِّ، وَسَلَّمَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ، فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ لَمْ يَقُمْ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ الشُّكْرِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، وَمِنْهُمْ جَا حِدٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ غَدَّارٍ.

مثل هذا الذي عاهد الله لئن أنجاه ليكونن من الشاكرين له، كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه. ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ؛ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَخَافُوا عَذَابَ يَوْمٍ لَا يَغْنِي فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا يَغْنِي مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ بِالْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَابِتٌ وَوَاقِعٌ لَا مُحَالَاةَ، فَلَا تَخْذَعْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا مِنْ شَهَوَاتٍ وَمُلْهِيَاتٍ، وَلَا يَخْذَعْتُمْ الشَّيْطَانَ بِحُلُمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَتَأْخِيرِهِ الْعَذَابَ عَنْكُمْ. ﴿٢٤﴾ إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ وَحْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ؛ فَيَعْلَمُ مَتَى تَقَعُ، وَيَنْزِلُ الْمَطَرُ مَتَى شَاءَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ أَذْكَرٌ هُوَ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، وَمَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا تَكْسِبُ غَدًا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَمَا تَعْلَمُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ بِكُلِّ ذَلِكَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٢٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعم تستحق الشكر.
- ٢ - الصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله.
- ٣ - إيمان المشرك في وقت الشدة وكفره في وقت الرخاء لؤم عظيم.
- ٤ - شدة يوم القيامة حيث لا ينفع فيه قريب قريبًا.
- ٥ - الخوف من القيامة بقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.
- ٦ - إحاطة علم الله بالغيب كله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان دلائل ومشاهد الحق التي نزل بها القرآن، ومنها حقيقة الخلق وأحوال الإنسان.

﴿التفسير﴾:

﴿الآء﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ منزل عليه من رب العالمين لا شك في ذلك.

﴿٢﴾ إن هؤلاء الكافرين يقولون: إن محمداً اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربك - أيها الرسول - عليك لتخوف قوماً ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله، لعلهم يهتدون إلى الحق فيتبعونه ويعملون به.

﴿٣﴾ الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، ما لكم - أيها الناس - من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتفكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟

﴿١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا إِنَّا ذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا بِحَقٍّ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ يدبر الله ﷻ أمر جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أنتم - أيها الناس - في الدنيا.

﴿٦﴾ ذلك الذي يدبر ذلك كله هو عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٧﴾ الذي أثقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان على غير مثال سابق من طين.

﴿٨﴾ ثم جعل أولاده من بعده من ماء ضعيف هو المني.

﴿٩﴾ ثم أنتم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه بأمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم - أيها الناس - الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلاً ما تشكرون هذه النعم الله التي أنعم بها عليكم.

﴿١٠﴾ وقال المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا وغبنا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً، فهل نُبعث أحياء من جديد؟! لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي وكله الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - تنزيل الكتاب من الله يقتضي المسارعة إلى الإيمان والعمل به. ٢ - الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم. ٣ - التدرج في خلق الكون لتعليم البشر قيمة التدرج، إلا فالله قادر على خلقه في أقل من طرفة عين. ٤ - ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل. ٥ - استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه.

﴿١٢﴾ سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما جاءت به الرسل من عندك فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وبصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمراً عظيماً.

﴿١٣﴾ ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقيها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلاً: لأملأن جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس؛ لا اختيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة.

﴿١٤﴾ ويقال لهم يوم القيامة تَبَكَّيْنَا لَهُمْ وتوبيخاً: فذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مباليين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي. ولما ذكر الله حال المجرمين ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿١٥﴾ إنا يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجّدوا لله مسبحين بحمده، وهم

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ

﴿١٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

﴿١٧﴾ فَذُوقُوا بَأْسَ يَسْتَكْبِرُوا يَوْمَ هَذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ فَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿١٩﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٢٠﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢١﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٢٢﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٢٣﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٢٤﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٢٥﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٦﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٢٧﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٢٨﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٢٩﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣٠﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٣١﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٣٢﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٣٣﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٣٤﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٣٥﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٣٦﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٣٧﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٣٨﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٣٩﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٤٠﴾ تَتَّبَعُونَ عَن قُرْبِهِمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٤١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٤٢﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٤٣﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٤٥﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٤٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٤٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ

﴿٤٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآثُورِ

﴿٤٩﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

﴿٥٠﴾ نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

﴿٥١﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَقْدَامِ

١ - إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم، لأنها دار جزاء لا دار عمل.

٢ - خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.

٣ - من هدي المؤمنين قيام الليل.

٤ - أعد الله لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٥ - كما لا يستوي المؤمن والفاجر في الصفات، لا يستويان في الجزاء.

﴿١١﴾ وَلَنَذِيقَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنَ الْمَحْنِ وَالْبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ الْمَعْدَّةَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا؛ لَعَلَّهُمْ يَسْبَبُ تِلْكَ الْمَحْنُ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ. ﴿١٢﴾ وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ وُعِظَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَلَمْ يَتَعِظْ بِهَا، وَأَعْرَضَ عَنْهَا غَيْرَ مُبَالٍ بِهَا، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ - بَارْتِكَابِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي الَّذِينَ يَعْزُضُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ - مُتَقِمُونَ لَا مُحَالَةَ.

﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ، فَلَا تَكُنْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - فِي شَكٍّ مِنْ لِقَائِكَ مُوسَى لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ، وَجَعَلْنَا الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُوسَى هَادِيًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الضَّلَالِ.

﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمُ النَّاسُ فِي الْحَقِّ، يَرْشُدُونَ إِلَى الْحَقِّ، لَمَّا صَبَرُوا عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَعَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ، وَكَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى رَسُولِهِمْ يُوقِنُونَ.

﴿١٥﴾ إِنْ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - هُوَ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا، فَيُبَيِّنُ الْمَحْقُوقَ وَالْمَبْطُلَ، وَيَجَازِي كُلًا بِمَا يَسْتَحِقُّه.

﴿١٦﴾ أَعْمَى هَؤُلَاءِ فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ؟ فَهَاهُمْ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَسْكُنُونَهَا قَبْلَ إِهْلَاكِهِمْ، فَلَمْ يَتَّعِظُوا بِحَالِهِمْ، إِنْ فِيمَا حَدَثَ لَتِلْكَ الْأُمَمِ مِنَ الْإِهْلَاكِ سَبَبٌ كُفْرَهُمْ وَمَعَاصِيَهُمْ لَعِبْرًا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى

صِدْقِ رِسَالِهِمُ الَّذِينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَفَلَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ سَمَاعَ قَبُولٍ وَاتِّعَازٍ؟

﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ أَنَا نَرْسِلُ مَاءَ الْمَطَرِ إِلَى الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، فَنَخْرُجُ بِذَلِكَ الْمَاءِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ إِبِلُهُمْ وَيَقْرَهُمْ وَغَنَمُهُمْ، وَيَأْكُلُونَ مِنْهُ؟ أَفَلَا يَبْصُرُونَ ذَلِكَ، وَيَدْرِكُونَ أَنَّ مِنْ أَنْبَتِ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؟ وَيَقُولُ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ مُسْتَعْجِلِينَ الْعَذَابِ: مَتَى هَذَا الْحُكْمُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ سَيَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ مَصِيرُنَا النَّارَ وَمَصِيرُكُمْ الْجَنَّةَ؟

﴿١٨﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ -: هَذَا الْوَعْدُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُ يَوْمَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا تَصْدِيقُهُمْ بَعْدَ مَعَايِنَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يُؤَخَّرُونَ حَتَّى يَتُوبُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَنْبِئُوا إِلَيْهِ.

﴿١٩﴾ فَأَعْرَضَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - عَنْ هَؤُلَاءِ بَعْدَ تَمَادِيهِمْ فِي ضَلَالِهِمْ، وَانْتَظَرَ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ بِكَ رَبِّ الْمُنُونِ، وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ هَلَاكِهِمْ.

﴿٢٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - عَذَابُ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا وَسِيلَةٌ لَتَوْبَتِهِ.
- ٢ - خَطَرُ الْإِعْرَاضِ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ.
- ٣ - ثُبُوتُ الْقِيَامَةِ بَيْنَ نَبِيِّنَا ﷺ وَمُوسَى ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ.
- ٤ - الصَّبْرُ وَالْيَقِينُ صِفَتَا أَهْلِ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ.
- ٥ - إِنْزَالُ الْمَطَرِ وَإِنْبَاتُ الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ٦ - التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ تَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَقَبْلَ مَعَايِنَةِ الْمَوْتِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝
 رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝
 مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝
 ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝
 اللَّائِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾: تركز على عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنابه وأهل بيته.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ يا أيها النبي، اثبت ومن معك على تقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وخفه وحده، ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما تهوى نفوسهم، إن الله كان عليمًا بما يكيد الكفار والمنافقون، حكيماً في خلقه وتدبيره.

﴿٢﴾ واتبع ما ينزله عليك ربك من الوحي، إن الله كان بما تعملون خبيراً، لا يفوته من ذلك شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

﴿٣﴾ واعتمد على الله وحده في أمورك كلها، وكفى به سبحانه حافظاً لمن توكّل عليه من عباده.

﴿٤﴾ كما لم يجعل الله قلبين في صدر رجل واحد - كما يتوهم بعضهم - كذلك لم يجعل الزوجات بمنزلة الأمهات في التحريم، ولم يجعل كذلك الأبناء بالتبني بمنزلة الأبناء من الصُّلب، فإن الظهار وهو تحريم الرجل زوجته عليه، وكذلك التبني عادات جاهلية أبطلها الإسلام، ذلك التحريم بالظهار، والتبني لمن لا أبوة لكم عليه، قول تردونه بأفواهكم، ولا حقيقة له، فليست

الزوجة أمًا، ولا الدَّعِي ابناً لمن ادعاه، والله سبحانه يقول الحق ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

﴿٥﴾ انسبوا من تزعمون أنهم أبناؤكم إلى آبائهم حقيقة، فنسبتهم إليهم هو العدل عند الله، فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونها إليهم فهم إخوانكم في الدين وأبناء عمومكم، فادعوا أحدهم بيا أخي ويا ابن عمي، ولا إثم عليكم إذا أخطأ أحدكم، فنسب دعياً إلى مدعيه، ولكن تأثمون عند تعمد النطق بذلك، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم حيث لم يؤاخذهم بالخطأ.

﴿٦﴾ النبي محمد ﷺ أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل إلى غيره، وزوجاته ﷺ بمنزلة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته ﷺ، وذوو القرابة بعضهم أحق ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله، الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفاً من إيصاء لهم وإحسان إليهم فلکم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطوراً فيجب العمل به.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - لا أحد أكبر من أن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.
- ٢ - تشبيه الزوجات بالأمهات منكر عظيم وزور.
- ٣ - حرمة التبني. ٤ - رفع المؤاخذه بالخطأ عن هذه الأمة.
- ٥ - وجوب تقديم مراد النبي ﷺ على مراد الأنفس.
- ٦ - بيان علو مكانة أزواج النبي ﷺ، وحرمة نكاحهن من بعده؛ لأنهن أمهات للمؤمنين.
- ٧ - توريث ذوي الأرحام.

﴿٧﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - إِذْ أَخَذْنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَهْدًا مُؤَكَّدًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ يُبَلِّغُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ، وَأَخَذْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ مِنْكَ، وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، أَخَذْنَا مِنْهُمْ عَهْدًا مُؤَكَّدًا عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ.

﴿٨﴾ أَخَذَ اللَّهُ هَذَا الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ مِنَ الرُّسُلِ عَنْ صَدَقَتِهِمْ تَبَيُّنًا لِلْكَافِرِينَ، وَأَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوجِعًا هُوَ نَارُ جَهَنَّمَ.

﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، حِينَ جَاءَتْ الْمَدِينَةَ جُنُودُ الْكُفَّارِ مَتَحْزِبِينَ عَلَى قَتَالِكُمْ، وَسَانِدَهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودُ، فَبِعِثْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا هِيَ رِيحُ الصَّبَا الَّتِي نُصِرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَبِعِثْنَا جُنُودًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ تَرَوْهَا، فَوَلَّى الْكُفَّارَ هَارِبِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٠﴾ وَذَلِكَ حِينَ جَاءَكُمْ الْكُفَّارُ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي وَمِنْ أَسْفَلِهِ مِنْ جِهَتَيْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، حِينَهَا مَالَتْ الْأَبْصَارُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنِ نَظَرِ عَدُوِّهَا، وَوَصَلَتْ الْقُلُوبُ إِلَى الْحَنَاجِرِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونِ الْمُخْتَلِفَةَ، فَتَارَةً تَظُنُّونَ النَّصْرَ، وَتَارَةً تَظُنُّونَ الْيَأْسَ مِنْهُ.

﴿١١﴾ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ اخْتِيرَ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا لَاقَوْهُ مِنْ تَكَالُبِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَاضْطَرَبُوا اضْطِرَابًا شَدِيدًا مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَتَبَيَّنَ بِهَذَا الْاِخْتِبَارِ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ.

﴿١٢﴾ يَوْمَئِذٍ قَالَ الْمُنَافِقُونَ وَضَعَفَ الْإِيمَانُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّنَا وَالتَّمَكِينِ لَنَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا بَاطِلًا لَا أُسَاسَ لَهُ.

﴿١٣﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - حِينَ قَالَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ (اسْمُ الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ)، لَا إِقَامَةَ لَكُمْ عِنْدَ سَفْحِ سُلْعٍ قَرِبَ الْخَنْدَقِ فَارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، وَيَطْلُبُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ الْإِذْنَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَنْصَرَفُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ بِدَعْوَى أَنْ بُيُوتَهُمْ مَكْشُوفَةٌ لِلْعَدُوِّ، وَلَيْسَتْ بِمَكْشُوفَةٍ كَمَا زَعَمُوا، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهَذَا الْاِعْتِدَارَ الْكَاذِبَ الْفِرَارَ مِنَ الْعَدُوِّ.

﴿١٤﴾ وَلَوْ دَخَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا، وَسَأَلَهُمُ الْعُودَةَ إِلَى الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ بِاللَّهِ لَأَعْطَوْا عَدُوَّهُمْ ذَلِكَ، وَمَا تَخَلَّفُوا عَنِ الرَّدَةِ وَالنُّكُوصِ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا قَلِيلًا.

﴿١٥﴾ وَلَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ عَاهِدُوا اللَّهَ بَعْدَ فِرَارِهِمْ يَوْمَ أَحُدٍ مِنَ الْقِتَالِ؛ لَشَنْ أَشْهَدَهُمُ اللَّهَ قِتَالًا آخَرَ لِقِتَالَتِهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا يَفْرُؤُوا خَوْفًا مِنْهُمْ، وَلَكِنْهُمْ نَكْتُوا، وَكَانَ الْعَبْدُ مَسْئُولًا عَمَّا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَوْفَ يُسْأَلُ عَنْهُ.

﴿فَالْإِسْرَارُ﴾

١ - منزلة أولي العزم من الرسل.

٢ - تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد.

٣ - عظم ما ابتلي به المؤمنون في غزوة الأحزاب.

٤ - خذلان المنافقين للمؤمنين في المحن.

٥ - الادعاء الكاذب ونقض العهد صفات للمنافقين.

﴿١٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأَيُّهَا أَهْلُ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنُوتُوهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لَيَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَعِدُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ يَأْلَسْنَ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوَأْنَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٧١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٧٢﴾

﴿٦٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من القتال خوفًا من الموت أو من القتل؛ لأن الأجل مقدرة، والقتال لا يقرّبها والفرار لا يبعدّها، وإذا فررتم ولم يحن أجلكم فإنكم لا تستمتعون في الحياة إلا زمنًا قليلًا.

﴿٦٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم ما تكرهونه من الموت أو القتل، أو أراد بكم ما ترجونه من السلامة والخير، لا أحد يمنعكم من ذلك، ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله وليًا يتولى أمرهم، ولا نصيرًا يمنعهم من عقاب الله لهم.

﴿٦٨﴾ يعلم الله المُتَّبِطِينَ منكم لغيرهم عن القتال مع رسول الله ﷺ والقائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: تعالوا إلينا ولا تقاتلوا معه حتى لا تُقْتَلُوا، فإننا نخاف عليكم القتل، وهؤلاء المُخَذَّلُونَ لا يأتون الحرب ولا يشاركون فيها إلا نادرًا؛ ليدفعوا عن أنفسهم العار، لا لينصروا الله ورسوله.

﴿٦٩﴾ بخلاء عليكم - معشر المؤمنين - بأموالهم فلا يعينونكم ببذلها، وبخلاء بأنفسهم فلا يقاتلون معكم، وبخلاء بمودتهم فلا يوادونكم، فإذا جاء الخوف عند ملاقات العدو رأيتهم ينظرون إليك - أيها الرسول - تدور أعينهم من الجبن مثل دوران عيني من يعاني سكرات الموت، فإذا ذهب عنهم الخوف واطمأنوا آذوكم بالكلام بالسنة ذريعة حداد، أشِحَّة على الغنائم يبحثون عنها، أولئك

المتصفون بهذه الصفات لم يؤمنوا حقًا، فأبطل الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإبطال يسيرًا على الله. ﴿٧٠﴾ يظن هؤلاء الجبناء أن الأحزاب المُتَأَلِّبَةَ لقتال رسول الله ﷺ وقاتل المؤمنين لن يذهبوا حتى يستأصلوا المؤمنين، وإن قدر أن جاء الأحزاب مرة أخرى يوذ هؤلاء المنافقون الجبناء أنهم لم يكونوا في المدينة، وإنما هم مع الأعراب بعيدًا عنها، يسألون عن أخباركم: ماذا حدث لكم بعد قتال عدوكم لكم؟ ولو كانوا فيكم - أيها المؤمنون - ما قاتلوا معكم إلا قليلًا، فلا تبالوا بهم، ولا تأسوا عليهم.

﴿٧١﴾ لقد كان لكم فيما قاله رسول الله وقام به وفعله، قدوة حسنة، فقد حضر بنفسه الكريمة، وبأشرف الحرب، فكيف تبخلون بعد ذلك بأنفسكم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله ﷺ إلا من كان يرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر، ولا يذكر الله كثيرًا فإنه لا يتأسى برسوله ﷺ.

﴿٧٢﴾ ولما عاين المؤمنون الأحزاب المجتمعة لقتالهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والمحن والنصر، وصدق الله ورسوله في هذا، فقد تحقق، وما زادتهم معابنتهم للأحزاب إلا إيمانًا بالله، وانقيادًا له.

﴿٧٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأجل محددة لا يُقَرَّبُها قتال، ولا يُبْعَدُها هروب منه.
- ٢ - الشيطان عن الجهاد في سبيل الله شأن المنافقين دائمًا.
- ٣ - المنافقون قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.
- ٤ - المنافقون لا يحملون هم الأمة.
- ٥ - الرسول ﷺ قدوة المؤمنين في أقواله وأفعاله.
- ٦ - الثقة بالله والانقياد له من صفات المؤمنين.

﴿٢٣﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفوا بما عاهدوه عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فمنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه مثل ما فعله المنافقون بعهودهم.

﴿٢٤﴾ ليجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة، وكان الله غفوراً لمن تاب من ذنوبه، رحيماً به.

﴿٢٥﴾ ورد الله الجموع الكافرة المتألبة على قتال المؤمنين، ولم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين، خاسرين مُغتاطين من رجوعهم خائبين، وكفى الله المؤمنين القتال معهم؛ بما أرسله من الريح وأنزله من الملائكة، وكان الله قوياً عزيزاً لا يغالبه أحد إلا غلبه وخذله.

﴿٢٦﴾ وأنزل الله الذين أعانوهم من اليهود من حصونهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، وألقى الخوف في نفوسهم، فريقاً تقتلونهم - أيها المؤمنون - وفريقاً تأسرونهم.

﴿٢٧﴾ وملأكم الله بعد هلاكهم أرضهم بما

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّمُ النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبُّنَا فَلِنَمُنَّ عَلَيْكُمْ وَأُسرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ بَأْتٍ مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

فيها من زروع ونخيل، وملأكم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملأكم أرض خيبر التي لم تطؤوها بعد، لكنكم ستطؤونها، وهذا وعد وبشرى للمؤمنين، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.

﴿٣١﴾ يا أيها النبي، قل لأزواجك حين تطلبين منك التوسعة في النفقة ولم يكن عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تُرذُن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعكن بما تُمتنع به المطلقات، وأطلقكن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيذاء.

﴿٣٢﴾ وإن كنتم تُرذُن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

﴿٣٣﴾ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعصية ظاهرة يُضَاعَف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - تزكية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.
- ٢ - عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.
- ٣ - سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.
- ٤ - اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهم.

﴿٣١﴾ ومن تطع منكَنَ الله ورسوله، وتعمل عملاً صالحاً مرضياً عند الله نعطها من الثواب ضعف غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها في الآخرة أجراً كريماً وهو الجنة.

﴿٣٢﴾ يا نساء النبي محمد ﷺ، لستنَّ في الفضل والشرف مثل سائر النساء، بل أنتنَّ في الفضل والشرف بالمنزلة التي لا يصل إليها غيركنَّ إن امتثلتنَّ أوامر الله، واجتبتنَّ نواهي، فلا تليينَّ القول، وترققنَّ الصوت إذا تكلمتنَّ مع الأجانب من الرجال، فيطمع بسبب ذلك من في قلبه مرض النفاق وشهوة الحرام، وقلنَّ قولاً بعيداً من الريبة بأن يكون جدّاً لا هزلاً بقدر الحاجة.

﴿٣٣﴾ واثبتنَّ في بيوتكنَّ، فلا تخرجنَّ منها لغير حاجة، ولا تظهرنَّ محاسنكنَّ صنيع من كنَّ قبل الإسلام من النساء حيث كنَّ يبدن ذلك استمالة للرجال، وأدين الصلاة على أكمل وجه، وأعطين زكاة أموالكنَّ، وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله سبحانه أن يذهب عنكم الأذى والسوء، يا أزواج رسول الله ويا أهل بيته، ويريد أن يطهر نفوسكم؛ بتخليتها بفضائل الأخلاق، وتخليتها عن رذائلها تطهيراً كاملاً، لا يبقى بعده دنس.

﴿٣٤﴾ واذكرن ما يُقرأ في بيوتكن من آيات الله المنزلة على رسوله، ومن سنَّة رسوله المطهرة، إن الله كان لطيفاً بكنَّ حين امتنَّ عليكنَّ بأن جعلكنَّ في بيوت نبيه، خبيراً بكنَّ حين اصطفاكم أزواجاً لرسوله، واختاركنَّ أمهات لجميع المؤمنين من أمته.

﴿٣٥﴾ إن المستسلمين لله والمستسلمات، والمؤمنين بالله والمؤمنات، والمطيعين لله والمطيعات، والصادقين في إيمانهم وقولهم والصادقات، والصابرين على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، والصابرات، والمتصدقين بأموالهم في الفرض والنفل والمتصدقات، والصائمين لله في الفرض والنفل والصائمات، والحافظين فروجهن بسترها عن الكشف أمام من لا يحلَّ له النظر إليها، وبالبعد عن فاحشة الزنا ومقدماتها، والحافظات، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم كثيراً سرّاً وعلانية والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة منه لذنوبهم، وأعدَّ لهم ثواباً عظيماً يوم القيامة وهو الجنة.

﴿٣٦﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فضل زوجات النبي ﷺ على سائر النساء.
- ٢ - من توجيهات القرآن للمرأة المسلمة: النهي عن الخضوع بالقول، والأمر بالمكث في البيوت إلا لحاجة، والنهي عن التبرج.
- ٣ - فضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من أهل بيته.
- ٤ - مبدأ التساوي بين الرجال والنساء قائم في العمل والجزاء إلا ما استثناه الشرع لكل منهما.

﴿٣٦﴾ وَلَا يَصِحُّ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حُكِمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي قَبُولِهِ أَوْ رَفْضِهِ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ضَلَالًا وَاضِحًا.

﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ بِالْعَتَقِ، وَالْمَقْصُودُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه حِينَ جَاءَكَ مَشَاوِرًا فِي شَأْنِ طُلُقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَتَكَ وَلَا تَطْلُقْهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَكْتُمُ فِي نَفْسِكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَا اللَّهُ مَظْهَرُهُ مِنْ طُلُقِ زَيْدٍ لَهَا وَأَمْرِهِ لَكَ بِالزَّوْجِ مِنْهَا، وَتَخْشَى النَّاسَ فَلَمْ تَظْهَرْ مَا عَلِمْتَهُ، وَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخْشَاهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ وَرَغِبَ عَنْهَا وَطَلَّقَهَا زَوْجَانِكَهَا؛ لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِثْمٌ فِي التَّزْوِجِ بِزَوْجَاتِ أَبْنَائِهِمْ بِالتَّبْنِيِّ إِذَا طَلَّقُوهُنَّ، وَانْقَضَتْ عَدَّتُهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَلَا حَائِلَ دُونِهِ.

﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِثْمٍ أَوْ تَضْيِيقٍ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ زَوْجَةِ ابْنِهِ بِالتَّبْنِيِّ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَّبِعُ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَيْسَ هُوَ ﷺ بِدَعَا مِنَ الرِّسَالِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ - مِنْ إِتِمَامِ هَذَا

الزَّوْجِ وَإِبْطَالِ التَّبْنِيِّ وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ فِيهِ رَأْيٌ أَوْ خِيَارٌ - قَضَاءً نَافِذًا لَا مَرَدَّ لَهُ.

﴿٣٩﴾ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى أُمَّمِهِمْ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ عِنْدَمَا يَفْعَلُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجَازِيَهُمْ بِهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَيْسَ هُوَ وَالِدُ زَيْدٍ حَتَّى يَحْرَمَ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَّقَهَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ.

﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، أَذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَالسُّتُكْمِ وَجَوَارِحِكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا.

﴿٤٢﴾ وَنَزَّهَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لِفَضْلِهِمَا وَسَهُولَةِ الذِّكْرِ فِيهِمَا.

﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ وَيُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَتَدْعُوا لَكُمْ مَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ فَلَا يَعْذِبُهُمْ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فَاثْمَلُوا أَمْرَهُ وَاجْتَنَبُوا نَهْيَهُ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - وجوب استسلام المؤمن لحكم الله والانقياد له.

٢ - اطلاع الله على ما في النفوس.

٣ - من مناقب أم المؤمنين زينب بنت جحش: أن زوجها الله من فوق سبع سماوات.

٤ - فضل ذكر الله، خاصة وقت الصباح والمساء.

﴿٤٤﴾ تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام وأمان من كل سوء، وأعد الله لهم أجراً كريماً - وهو جنته - جزاء لهم على طاعتهم له، وبعدهم عن معصيته.

﴿٤٥﴾ يا أيها النبي، إنا بعثناك إلى الناس شاهداً عليهم بأن بلغتهم ما أرسلت به إليهم، ومبشراً للمؤمنين منهم بما أعد الله لهم من الجنة، ومخوفاً للكافرين مما أعد الله لهم من عذابه.

﴿٤٦﴾ وبعثناك داعياً إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحاً منيراً يستنير به كل من يريد الهداية.

﴿٤٧﴾ وأخبر المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم بما يسرهم أن لهم من الله سبحانه فضلاً عظيماً يشمل نصرهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

﴿٤٨﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فلعل ذلك يكون أدعى لأن يؤمنوا بما جنتهم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلاً يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة.

﴿٤٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا عقدتم على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن فما لكم عليهن

من عدة، سواء كانت بالأقراء أو الشهور؛ للعلم ببراءة أرحامهن بعدم البناء بهن، ومتعهوهن بأموالكم حسب وسعكم؛ جبراً لخواطرهن المنكسرة بالطلاق، وخلصوا سبيلهن ينطلقن إلى أهلهن دون إيذاء لهن.

﴿٥٠﴾ يا أيها النبي، إنا أبחנו لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهوهرن، وأحللنا لك ما ملكت من الإماء مما أفاء الله به عليك من السبايا، وأحللنا لك نكاح بنات عمك ونكاح بنات عماتك ونكاح بنات خالك، ونكاح بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، وأحللنا لك أن تنكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي من غير مهر إن أراد هو أن ينكحها، ونكاح الهبة خاص به ﷺ لا يجوز لغيره من الأمة، قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نسوة، وما شرعناه لهم في شأن إماءهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بمن شئن منه دون تقييد بعدد، وأبחנו لك ما أبחנו مما ذكر مما لم نبجحه لغيرك؛ لئلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفوراً رحيماً بهم.

﴿٥١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الصبر على الأذى من صفات الداعية الناجح.

٢ - جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها.

٣ - سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول بها.

٤ - يُنْذَبُ للزوج أن يعطي مطلقته قبل الدخول بها بعض المال جبراً لخواطرها.

٥ - خصوصية النبي ﷺ بجواز نكاح الهبة، وإن لم يحدث منه.

مِنْ نَسَائِكَ فَلَا تَبَيِّتْ مَعَهَا، وَتَضَمَّنْ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءٍ مِنْهُنَّ فَبَيِّتْ مَعَهَا، وَمِنْ طَلَبْتَ أَنْ تَضْمَهَا مِنْ طَلَبْتَ أَنْ تَوَخَّرَهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ، ذَلِكَ التَّخْيِيرُ وَالتَّوَسُّعُ لَكَ أَقْرَبُ أَنْ تَقْرَبَهُ أَعْيُنَ نَسَائِكَ، وَأَنْ يَرْضَيْنَ بِمَا أُعْطِيَتْهُنَّ جَمِيعَهُنَّ؛ لَعَلَّهِنَّ أَنْتَ لَمْ تَتْرَكْ وَاجِبًا، وَلَمْ تَبْخُلْ بِحَقِّهِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، حَلِيمًا لَا يَجَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ.

﴿٢٢﴾ لَا يَجُوزُ لَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - أَنْ تَتَزَوَّجَ بِنِسَاءٍ غَيْرِ زَوْجَاتِكَ اللَّاتِي هُنَّ فِي عَصَمَتِكَ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَطْلُقَهُنَّ، أَوْ تَطْلُقَ بَعْضَهُنَّ لِتَأْخُذَ غَيْرَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنٌ مِنْ تَرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهَا مِنَ النِّسَاءِ غَيْرَهُنَّ، لَكِنْ يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَتَسَرَّى بِمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَ الْإِمَاءِ دُونَ حَصْرِ فِي عِدَدٍ مُحَدَّدٍ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزًا. وَهَذَا الْحُكْمُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ مَنَعَ طَلَاقَهُنَّ وَالزَّوْاجَ عَلَيْهِنَّ.

﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ بِدُخُولِهَا بِدَعْوَتِكُمْ إِلَى طَعَامٍ، وَلَا تَطِيلُوا الْجُلُوسَ تَنْتَظِرُونَ نَضْجَ الطَّعَامِ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى طَعَامٍ فَادْخُلُوا، فَإِذَا أَكَلْتُمْ فَانْصَرَفُوا، وَلَا تَمْكُثُوا بَعْدَهُ يَسْتَأْنِسُ بَعْضُكُمْ بِحَدِيثِ بَعْضٍ، إِنْ ذَلِكَ الْمَكْثُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَطْلُبَ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَأْمُرَ بِالْحَقِّ، فَأَمْرُكُمْ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْهُ حَتَّى لَا تُؤْذَوْهُ ﷺ بِالْمَكْثِ، وَإِذَا طَلَبْتُمْ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ حَاجَةً مِثْلَ آتِيَةٍ وَنَحْوِهَا فَاطْلُبُوا حَاجَتَكُمْ تِلْكَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ، وَلَا تَطْلُبُوها مِنْهُنَّ مُوَاجِهَةً حَتَّى لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُكُمْ صَوْنًا لَهُنَّ لِمَكَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الطَّلَبُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ، وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ حَتَّى لَا يَتَطَرَّقَ الشَّيْطَانُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ بِالْوَسْوَسَةِ وَتَزْيِينِ الْمُنْكَرِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَكْثِ لِلْحَدِيثِ، وَلَا أَنْ تَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، فَهِنَّ أَمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ، إِنْ ذَلِكَ الْإِيْذَاءُ - وَمِنْ صُورِهِ نِكَاحُكُمْ نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ - حَرَامٌ وَبَعْدُ عِنْدَ اللَّهِ إِثْمًا عَظِيمًا.

﴿٢٤﴾ إِنْ تَطْهَرُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، أَوْ تَسْتَرَوْهُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَلَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

﴿٢٥﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَتَوَصَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْفَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَرْوَاحٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنُهنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِظٍ مِنْهُنَّ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طُعِمْتُمْ فَانْشَرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٢٨﴾ إِنْ تَبَدَّوْا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾

إِنْ تَمْكُثُوا بَعْدَهُ يَسْتَأْنِسُ بَعْضُكُمْ بِحَدِيثِ بَعْضٍ، إِنْ ذَلِكَ الْمَكْثُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْتَحْيِي أَنْ يَطْلُبَ مِنْكُمْ الْإِنْصِرَافَ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَأْمُرَ بِالْحَقِّ، فَأَمْرُكُمْ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْهُ حَتَّى لَا تُؤْذَوْهُ ﷺ بِالْمَكْثِ، وَإِذَا طَلَبْتُمْ مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ حَاجَةً مِثْلَ آتِيَةٍ وَنَحْوِهَا فَاطْلُبُوا حَاجَتَكُمْ تِلْكَ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ، وَلَا تَطْلُبُوها مِنْهُنَّ مُوَاجِهَةً حَتَّى لَا تَرَاهُنَّ أَعْيُنُكُمْ صَوْنًا لَهُنَّ لِمَكَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَلِكَ الطَّلَبُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ، وَأَطْهَرُ لِقُلُوبِهِنَّ حَتَّى لَا يَتَطَرَّقَ الشَّيْطَانُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ بِالْوَسْوَسَةِ وَتَزْيِينِ الْمُنْكَرِ، وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَكْثِ لِلْحَدِيثِ، وَلَا أَنْ تَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، فَهِنَّ أَمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهُ، إِنْ ذَلِكَ الْإِيْذَاءُ - وَمِنْ صُورِهِ نِكَاحُكُمْ نِسَاءَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ - حَرَامٌ وَبَعْدُ عِنْدَ اللَّهِ إِثْمًا عَظِيمًا.

﴿٣٠﴾ إِنْ تَطْهَرُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، أَوْ تَسْتَرَوْهُ فِي أَنْفُسِكُمْ فَلَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ، إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

- ١ - ثبوت صفتي العلم والحلم لله.
- ٢ - وجوب التأدب مع الرسول ﷺ بعدم الدخول إلى بيوته دون إذنه، وعدم المكث عنده بعد أكل ما دعا إليه من طعام.
- ٣ - الحياء من أخلاق النبي ﷺ.
- ٤ - صيانة مقام أمهات المؤمنين من زوجات النبي ﷺ.
- ٥ - حرمة نكاح أمهات المؤمنين بعد وفاة النبي ﷺ.

﴿٥٥﴾ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَاهُمْ وَيُكَلِّمَهُمْ دُونَ حِجَابٍ أَبَاؤُهُمْ، وَأَوْلَادُهُمْ، وَإِخْوَانُهُمْ، وَأَبْنَاءُ إِخْوَانِهِمْ، وَأَبْنَاءُ أَخَوَاتِهِمْ مِنَ النِّسْبِ أَوْ الرِّضَاعَةِ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكَلِّمَهُمْ دُونَ حِجَابٍ: النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، وَاتَّقِينَ اللَّهَ أَيَّتَاهَا الْمُؤْمِنَاتُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ سَبْحَانَهُ، فَهُوَ مُشَاهِدٌ لِمَا يَظْهَرُ مِنْكُمْ وَيَصْدُرُ عَنْكُمْ.

﴿٥٦﴾ إِنْ اللَّهُ يَشْنِي عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ لَهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ صَلُّوا عَلَى الرَّسُولِ، وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيمًا.

وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ نَهَى عَنْ إِيْذَائِهِ فَقَالَ:

﴿٥٧﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ وَطَرَدَهُمْ مِنْ رَحَابِ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا مُدَلًّا جَزَاءَ لَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ إِيْذَاءِ رَسُولِهِ.

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ اكْتَسَبُوهُ مِنْ جَنَائِهِ تَوَجَّبَ ذَلِكَ الْإِيْذَاءُ، فَقَدْ احْتَمَلُوا كَذِبًا وَإِثْمًا

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلَكَتٍ أَيْمَنَهُمْ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

﴿٥٩﴾ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٦٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٣﴾ لَنْ لَرَبِّنَا الْمُتَنَفِّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمَرْجُوفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦٥﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٦﴾

ظاهراً.

﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ، وَقُلْ لِبَنَاتِكَ، وَقُلْ لِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: يُرْخِصْنَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْجَلَابِيبِ الَّتِي يَلْبَسْنَهَا حَتَّى لَا تَتَكَشَّفَ مِنْهُنَّ عَوْرَةٌ أَمَامَ الْأَجَانِبِ مِنَ الرِّجَالِ، ذَلِكَ أَقْرَبُ أَنْ يَعْرِفْنَ أَنَّهِنَّ حَرَائِرٌ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ أَحَدٌ بِالْإِيْذَاءِ كَمَا يَتَعَرَّضُ بِهِ لِلْإِمَاءِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لَذُنُوبٍ مِنْ تَابٍ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِ.

﴿٦٨﴾ لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ نِفَاقِهِمْ؛ بِإِضْمَارِهِمُ الْكُفْرَ وَإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ فَجُورٌ بِتَعْلُقِهِمْ بِشَهَوَاتِهِمْ، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ فِي الْمَدِينَةِ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلتَّامُرِ نَكَاحِ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِمَعَايِبِهِمْ، وَلِنَسْلُطَنَكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا يُسَاكُنُونَكَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الزَّمَنِ؛ لِإِهْلَاكِهِمْ أَوْ طَرْدِهِمْ عَنْهَا بِسَبَبِ إِسْفَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ.

﴿٦٩﴾ مَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ لَقُوا أُخِذُوا وَقَتِّلُوا تَقْتِيلًا؛ لِنِفَاقِهِمْ وَنَشْرِهِمُ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ.

﴿٧٠﴾ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَسُنَّةُ اللَّهِ ثَابِتَةٌ لَنْ تَجِدَ لَهَا أَبَدًا تَغْيِيرًا.

﴿٧١﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - عَلَوْ مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.

٢ - حُرْمَةُ إِيْذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ الْإِيْذَاءِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ.

٣ - حُرْمَةُ إِيْذَاءِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ سَبَبٍ.

٤ - النِّفَاقُ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْعَذَابِ بِصَاحِبِهِ.

﴿١٣﴾ يسألك المشركون - أيها الرسول - سؤال إنكار وتكذيب، ويسألك اليهود أيضًا عن الساعة: متى وقتها؟ قل لهؤلاء: علم الساعة عند الله ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة؟

﴿١٤﴾ إن الله سبحانه طرد الكافرين من رحمته، وهبًا لهم يوم القيامة نارا ملتهبة تنتظرهم.

﴿١٥﴾ ماكنون في عذاب تلك النار المعدة لهم أبدا، لا يجدون فيها وليا ينفعهم، ولا نصيرا يدفع عنهم عذابها.

﴿١٦﴾ يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة التحسر والندم: يا ليتنا في حياتنا الدنيا كنا أطعنا الله بامتثال ما أمرنا به، واجتناب ما نهانا عنه، وأطعنا الرسول فيما جاء به من ربه.

﴿١٧﴾ جاء هؤلاء بحجة واهية باطلة فقالوا: ربنا إنا أطعنا رؤساءنا وكبراء أقوامنا، فأضلونا عن الصراط المستقيم.

﴿١٨﴾ ربنا، اجعل لهؤلاء الرؤساء والكبراء الذين أضلونا عن الصراط المستقيم ضعفي ما جعلت لنا من العذاب لإضلالهم إيانا، واطردهم من رحمتك طردا عظيما.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تؤذوا رسولكم فتكونوا مثل الذين آذوا موسى بقولهم: إنه (عظيم الخصية) فبرأه الله مما قالوا، فتبين لهم سلامته مما قالوا فيه، وكان موسى عند الله وحيها، لا يرد طلبه، ولا يخيب مسعاه.

﴿٢٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وقولوا قولا صوابا صدقا.

﴿٢١﴾ إنكم إن اتقيتم الله وقلتم قولا صوابا، أصلح لكم أعمالكم، وتقبلها منكم، ويمح عنكم ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما لا يدانيه أي فوز، وهو الفوز برضا الله ودخول الجنة.

﴿٢٢﴾ إنا عرضنا التكليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض، وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبتها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولا بعاقبة حملها.

﴿٢٣﴾ حملها الإنسان بقدر من الله؛ ليعذب الله المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء على نفاقهم وشركهم بالله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أحسنوا حمل أمانة التكليف، وكان الله غفورا لذنوب من تاب من عباده رحيما بهم.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - اختصاص الله بعلم الساعة.

٢ - شدة ندم الكافر يوم القيامة بسبب كفره وتقصيره.

٣ - تحميل الأتباع كبراءتهم مسؤولية إضلالهم لا يعفيهم هم من المسؤولية.

٤ - شدة التحريم لإيذاء الأنبياء بالقول أو الفعل.

٥ - تقوى الله والقول السديد من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

٦ - عظم الأمانة التي تحملها الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَلْعَلُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءِثْمِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَشِّرُكُمْ إِذَا مَرِضْتُمْ كُلَّ مَرَضٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

﴿١﴾ مقصد السورة: بيان مظاهر القدرة الإلهية على تبديل الأحوال، وأحوال الخلق في النعم بين الشكر والكفر.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ الحمد لله الذي له كل ما في السماوات وكل ما في الأرض، خلقاً وملئاً وتدبيراً، وله سبحانه الشئ في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٢﴾ يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات ومعادن، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

﴿٣﴾ وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبداً، قل لهم - أيها الرسول -: بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تكذبون بها، لكن لا يعلم وقت ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه

سبحانه وزن أصغر نملة في السماوات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

﴿٤﴾ أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة.

﴿٥﴾ والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشدّه.

﴿٦﴾ ويشهد بعض علماء أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام أن الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحق الذي لا مِرَّةَ فيه، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٧﴾ وقال الذين كفروا بالله لبعضهم؛ تعجباً وسخرية مما جاء به الرسول ﷺ: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وقطعتم تقطيعاً أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء؟!

﴿٨﴾ فوائد من الآيات:

١ - سعة علم الله سبحانه المحيط بكل شيء.

٢ - جواز تأكيد الخبر بالحلف عند مُنكره.

٣ - فضل أهل العلم.

٤ - إنكار المشركين لبعث الأجساد تنكراً لقدرة الله الذي خلقهم.

﴿١﴾ وقالوا: هل اختلق هذا الرجل على الله كذباً فزعم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يهذي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أن الذين لا يصدقون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.

﴿٢﴾ أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خسف الأرض من تحت أقدامهم خسفناها من تحتهم، وإن نشأ أن نسقط عليهم قطعاً من السماء لأسقطنها عليهم، إن في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد منيب إلى ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

﴿٣﴾ ولقد أعطينا داود ﴿٣﴾ منا نبوة وملكاً، وقلنا للجبال: يا جبال، رجعي مع داود التسبيح، وهكذا قلنا للطير، وصبرنا له الحديد ليتنا ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

﴿٤﴾ أن اعمل - يا داود - دروعاً واسعة تقي مقاتليك بأس عدوهم، وصير المسامير مناسبة للجلق فلا تكون دقيقة بحيث لا تستقر فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملاً صالحاً، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

﴿٥﴾ وسخرنا لسليمان بن داود ﴿٥﴾ الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسيلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، ومن يعدل من الجن عما أمرناه به من العمل نذقه من عذاب النار الملتهية.

﴿٦﴾ يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور وما يشاء من قصاع مثل الحياض في السعة، وقدور ثابتات، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود شكراً لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿٧﴾ فلما حكمنا عليه بالموت ما أرشد الجن إلى أن سليمان قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فلما سقط تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذل لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان ﴿٧﴾ ظناً منهم أنه حي يراقبهم.

﴿٨﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - تكريم الله لنبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، وبإلانة الحديد له.
- ٢ - تكريم الله لنبيه سليمان ﴿٢﴾ بالنبوة والملك.
- ٤ - اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- ٥ - اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يدعى من أن الجن أو غيرهم لهم اطلاع على الغيب.

ولما ذكر الله ما أنعم به على داود وابنه سليمان ﷺ، ذكر ما أنعم به على أهل سبأ، إلا أن داود وسليمان ﷺ شكرا الله وأهل سبأ كفروه، فقال:

﴿١٦﴾ لقد كان لقيلة سبأ في مسكنهم الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه؛ هذه بلدة طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب من تاب إليه.

﴿١٧﴾ فأعرضوا عن شكر الله والإيمان برسله، فعاقبتهم بتبديل نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلًا جارفًا خرب سدهم وأغرق مزارعهم، وبذلناهم ببساتينهم ببساتين مُثمرين بالثمر المر، وفيهما شجر الأثل غير المثمر، وشيء قليل من السدر.

﴿١٨﴾ ذلك التبديل - الحاصل لما كانوا عليه من النعم - بسبب كفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم الله.

﴿١٩﴾ وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى متقاربة، وقدرنا فيها السير بحيث يسبغون من قرية إلى قرية دون مشقة حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن من العدو والجوع والعطش.

﴿٢٠﴾ فبطروا نعمة الله عليهم بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى ندوق تعب الأسفار، وتظهر مزية ركائبنا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره وحسدهم للفقراء منهم، فصبرناهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم، وفرقناهم في البلاد كل فريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم، إن في ذلك المذكور؛ من الإنعام على أهل سبأ والانتقام منهم، لعمرة لكل صبار على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

﴿٢١﴾ ولقد حقق عليهم إبليس ما ظنه من أنه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين فإنهم خيوا رجاء بعدم اتباعهم له.

﴿٢٢﴾ وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلوا، وإنما كان يزين لهم ويغويهم، إلا أنا أذننا له في إغوائهم لنعلم علمًا يظهر للعباد من يصدق بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو من الآخرة في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده، ويجازيهم عليها.

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله ليجلبوا لكم النفع أو يكشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من معين يعينه، فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

﴿٢٤﴾ فإذن من الآيات:

١ - الشكر يحفظ النعم، والجحود يسبب سلبها.

٢ - الأمن من أعظم النعم التي يمتن الله بها على العباد.

٣ - الإيمان الصحيح يعصم من اتباع إغواء الشيطان بإذن الله.

٤ - ظهور إبطال أسباب الشرك ومدخله كالزعم بأن للأصنام ملكًا أو مشاركة لله، أو إعانة أو شفاعة عند الله.

﴿١٣﴾ ولا تنفع الشفاعة عنده سبحانه إلا لمن أذن له، والله لا يأذن في الشفاعة إلا لمن ارتضى؛ لعظمته، ومن عظمته أنه إذا تكلم في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاء لقوله حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي بذاته وقهره، الكبير.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السماوات بإنزال المطر، ومن الأرض بأنبات الثمرات والزروع والفواكه؟ قل: الله هو الذي يرزقكم منها، وإننا أو إياكم - أيها المشركون - لعلى هداية أو في ضلال واضح عن الطريق، فأحدنا لا محالة كذلك، ولا شك أن أهل الهدى هم المؤمنون، وأن أهل الضلال هم المشركون.

﴿١٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لا تسألون يوم القيامة، عن ذنوبنا التي ارتكبتها، ولا نسأل نحن عما كنتم تعملون.

﴿١٦﴾ قل لهم: يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا وبينكم بالعدل، فيبين المحق من المبطل وهو الحاكم الذي يحكم بالعدل، العليم بما يحكم به.

﴿١٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أروني الذين جعلتموهم الله شركاء تشركونهم معه في العبادة، كلا، ليس الأمر كما تصورت من أن

له شركاء، بل هو الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

﴿١٨﴾ وما بعثناك - أيها الرسول - إلا للناس عامة مبشراً أهل التقوى بأن لهم الجنة، ومُخَوِّفاً أهل الكفر والفجور من النار، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك، فلو علموه لما كذبوك.

﴿١٩﴾ ويقول المشركون مستعجلين بالعذاب الذي يخوفون منه: متى هذا الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون من أنه حق؟

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لكم ميعاد يوم محدد؛ لا تتأخرون عنه ساعة، ولا تتقدمون عنه ساعة، وهذا اليوم هو يوم القيامة.

﴿٢١﴾ وقال الذين كفروا بالله: لن نؤمن بهذا القرآن الذي يزعم محمد أنه منزل عليه، ولن نؤمن بالكتب السماوية السابقة، ولو ترى - أيها الرسول - إذ الظالمون محبوسون عند ربهم يوم القيامة للحساب، يتراجعون الكلام بينهم، يُلقِي كل منهم المسؤولية واللوم على الآخر، يقول الأتباع الذين استضعفوا لسادتهم الذين استضعفوه في الدنيا: لولا أنكم أضللتونا، لكنا مؤمنين بالله وبرسوله.

﴿٢٢﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التلطف بالمدعو حتى لا يلوذ بالعناد والمكابرة.

٢ - شمول رسالة النبي ﷺ للبشرية جمعاء، والجن كذلك.

٣ - من أحوال الناس يوم القيامة الخصام بين الأتباع والمتبعين، وتبرؤ كل طرف من الطرف الآخر.

﴿٣٢﴾ قال المتبوعون الذين استكبروا عن الحق للتابعين الذين استضعفوه: أنحن منعناكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد؟ لا، بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وإفساد.

﴿٣٣﴾ وقال المتبوعون الذين استضعفهم سادتهم لمتبوعيه المستكبرين عن الحق: بل صدنا عن الهدى مكرم بنا بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا بالكفر بالله، وبعبادة مخلوقين من دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا العذاب، وعلموا أنهم معذبون، وجعلنا الأصفاة في أعناق الكافرين، لا يجزون هذا الجزاء إلا بما كانوا يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله وارتكاب المعاصي.

ولتسليه الرسول ﷺ حين كذبه قومه ذكره الله بأن التكذيب هو ذئد الأمم من قبله فقال:

﴿٣٤﴾ وما بعثنا في قرية من القرى من رسول يخوفهم عذاب الله إلا قال المنعمون فيها من أصحاب السلطان والجاه والمال: إنا بما بُعِثَتم به - أيها الرسل - كافرون.

﴿٣٥﴾ وقال أصحاب الجاه هؤلاء مُتَّبِحِّحِينَ مفتخرين: نحن أكثر أموالاً وأكثر أولاداً، وما زعمتم من أننا مُعَذِّبُونَ كذب، فلنسا بمُعَذِّبِينَ في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المغرورين بما أتوا من النعم: ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء اختاراً له أشكر أم يكفر، ويضيقه على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يتسخط؟ ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله حكيم لا يقدر أمراً إلا لحكمة بالغة علمها من علمها، وجعلها من جعلها.

﴿٣٧﴾ وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تفودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً حاز الأجر المُضَاعَفَ؛ فالأموال تقربه بإنفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم ثواب هو ثواب ضعف ما عملوا من حسنات؛ لأن حسناتهم تُضَاعَفُ لهم، وهم في المنازل العليا من الجنة آمنون من كل ما يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم.

﴿٣٨﴾ والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم هؤلاء خاسرون في الدنيا مُعَذِّبُونَ في الآخرة.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله، فإله ﷻ يخلفه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله سبحانه هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليجأ إليه سبحانه.

﴿٤٠﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - تبرؤ المتبوعين من الأتباع، والأتباع من المتبوعين لا يُعْفِي كلاً من مسؤوليته.
- ٢ - الترف مبعد عن الإذعان للحق والانقياد له.
- ٣ - المؤمن ينفعه ماله وولده، والكافر لا ينتفع بهما.
- ٤ - الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى إخلاف المال في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

﴿٤٢﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشرهم الله جميعاً، ثم يقول سبحانه للملائكة تقرّبوا للمشركين وتوبيخاً لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

﴿٤٣﴾ قال الملائكة: تنزهت وتقدست! أنت ولينا من دونهم، فلا موالاة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ يتمثلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

﴿٤٤﴾ يوم الحشر والحساب لا يملك المعبودون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعاً، ولا يملكون لهم ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٤٥﴾ وإذا تقرّأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة لا لبس فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصرفكم عما كان عليه أبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحراً واضحاً لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

﴿٤٦﴾ وما أعطيناهم من كتب يقرؤونها حتى ترشدكم أن هذا القرآن كذب اختلقه محمد،

وما أرسلنا إليهم قبل إرسالك - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.

﴿٤٧﴾ وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى معشار ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوة والمَنعة والمال والعدد، فكذب كل منهم رسوله، فما نفعهم ما أوتوا من المال والقوة والعدد، فحلّ بهم عذابي، فانظر - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصحكم بخصلة واحدة؛ هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا محذّر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئتمكم به من الهدى والخير، فهو - على تقدير وجوده - لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو سبحانه على كل شيء شهيد، فهو يشهد على أنني بلغتكم، ويشهد على أعمالكم، فيوفيكم جزاءها.

ولما بين سبحانه الحجج على أهل الباطل والشرك بين أن ذلك سُنته فقال:

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي يسلط الحق على الباطل فيبطله، وهو علّام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

﴿٥١﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ: ١ - تروى الملائكة يوم القيامة من زعم بعض المشركين أنهم كانوا يعبدونهم. ٢ - مكر الشياطين بالمشركين حيث كانوا يزعمون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم. ٣ - التقليد الأعمى للأباء صارف عن الهداية. ٤ - التجرد من الهوى والتفكير بموضوعية وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب. ٥ - الداعية إلى الله لا ينتظر الأجر من الناس، وإنما ينتظره من رب الناس.

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: جاء الحق الذي هو الإسلام، وزال الباطل الذي لا يبدو له أي أثر أو قوة ولا يعود إلى نفوذه.

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إن ضللت عن الحق فيما أبلغكم فضرر ضلالي قاصر علي، لا ينالكم منه شيء، وإن اهتديت إليه فبسبب ما يوحيه إليّ ربي سبحانه، إنه سميع لأقوال عباده، قريب لا يتعذر عليه سماع ما أقول.

﴿٥٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - إذ فزع هؤلاء المكذبون لما عاينوا العذاب يوم القيامة، فلا مفر لهم منه، ولا ملجأ يلتجئون إليه، وأخذوا من مكان قريب سهل التناول من أول وهلة، لو ترى ذلك لرأيت أمراً عجباً.

﴿٥١﴾ وقالوا حين رأوا مصيرهم: آمنا بيوم القيامة، وكيف لهم تعاطي الإيمان وتناوله وقد بعد عنهم مكان قبول الإيمان بخروجهم من دار الدنيا التي هي دار عمل لا جزاء، إلى الدار الآخرة التي هي دار جزاء لا عمل؟!

﴿٥٢﴾ وكيف يحصل منهم الإيمان ويُقبل، وقد كفروا به في الحياة الدنيا، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، فيقولون في الرسول ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر؟!

﴿٥٣﴾ ومنع هؤلاء المكذبون من الحصول على ما يشتهونه من ملذات الحياة، ومن التوبة من الكفر والنجاة من النار، والعودة إلى الحياة الدنيا، كما فعل بأمثالهم من الأمم المكذبة من قبلهم، إنهم كانوا في شك مما جاءت به الرسل من توحيد الله والإيمان بالبعث، شك باعث على الكفر.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا أَمْ آتَاهُ مِنْ آتَيْنَاؤُش مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥١﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَجِئِلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ قَطَرٍ ﴿٥٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحٍ مَشْنَى وَثَلَّثَ بَرْنَعٌ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾

سُورَةُ قَطَرٍ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على عرض مشاهد قدرة الله والإبداع في الخلق، وبواعت تعظيمه وخشيته والإيمان به وتذكر آلائه.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

﴿١﴾ الحمد لله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وجعل من الملائكة رسلاً ينزلون أو أمراً القدريّة، ومنهم من يبلغ الأنبياء الوحي، وقوّاهم على أداء ما اتّمنهم عليه، فمنهم ذو جناحين وذو ثلاثة وذو أربعة، يطير بها لتنفيذ ما أمر به، يزيد الله في الخلق ما يشاء من عضو أو حسن أو صوت، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٢﴾ إن مفاتيح كل شيء بيد الله، فما يفتح للناس من رزق وهداية وسعادة فلا أحد يستطيع أن يمنعه، وما يمسكه من ذلك فلا أحد يستطيع إرساله من بعد إمساكه له، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٣﴾ يا أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم، وبجوارحكم بالعمل، هل لكم من خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ينزله عليكم من المطر، ويرزقكم من الأرض بما ينبت من الثمار والزرع؟ لا معبود بحق غيره، فكيف بعد هذا تصرفون عن هذا الحق وتفترون على الله وتزعمون أن الله شركاء، وهو الذي خلقكم ورزقكم؟

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - مشهد فزع الكفار يوم القيامة مشهد عظيم. ٢ - محل نفع الإيمان في الدنيا؛ لأنها هي دار العمل. ٣ - عظم خلق الملائكة يدل على عظمة خالقهم سبحانه.

❶ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فليست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت أمم من قبلك رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، وإلى الله وحده ترجع الأمور كلها، فيهلك المكذبين، وينصر رسله والمؤمنين.

❷ يا أيها الناس، ما وعد الله به - من البعث والجزاء يوم القيامة - حق لا شك فيه، فلا تخدعنكم لذات الحياة الدنيا وشهواتها عن الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح، ولا يخدعنكم الشيطان بتزيينه للباطل، والركون إلى الحياة الدنيا.

❸ إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوًا بالتزام محاربتة، إنما يدعو الشيطان أتباعه إلى الكفر بالله لتكون عاقبتهم دخول النار المُستعمرة يوم القيامة.

❹ الذين كفروا بالله اتباعًا للشيطان، لهم عذاب قوي، والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ولهم أجر عظيم منه وهو الجنة.

❺ إن من حسن له الشيطان عمله السيئ فاعتقده هو حسنًا ليس كمن زين له الله الحق فاعتقده حقًا، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا مكره له، فلا تهلك - أيها الرسول - نفسك حزنًا على ضلال الضالين، إن الله سبحانه عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

❻ والله الذي بعث الرياح فتحرك هذه الرياح سحبًا، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحينا بمائه الأرض بعد جفافها بما أنتهت فيها من النبات، فكما أحينا هذه الأرض بعد موتها بما أودعنا فيها من النبات، يكون بعث الأموات يوم القيامة.

❼ من كان يريد العزة في الدنيا أو في الآخرة فلا يطلبها إلا من الله، فله وحده العزة فيهما، إليه يصعد ذكره الطيب، وعمل العباد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة - كمحاولة قتل الرسول ﷺ - لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكفار يهلك، ولا يحقق لهم مقصدًا.

❽ والله هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة، ثم جعلكم ذكورًا وإناثًا تتزوجون بينهم، وما تحمل من أنثى جنينًا، ولا تضع ولدها إلا بعلمه سبحانه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزداد في عمر أحد من خلقه، ولا ينقص منه إلا كان ذلك مسطورًا في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور من خلقكم من تراب وخلقكم أطوارًا وكتابة أعماركم في اللوح المحفوظ على الله سهل.

❾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تسلية الرسول ﷺ بذكر أخبار الرسل مع أقوامهم.

٢ - الاغترار بالدنيا سبب الإعراض عن الحق.

٣ - اتخاذ الشيطان عدوًا باتخاذ الأسباب المعينة على التحرز منه؛ من ذكر الله، وتلاوة القرآن، وفعل الطاعة، وترك المعاصي.

٤ - ثبوت صفة العلو لله تعالى.

﴿١٢﴾ ولا يتساوى البحران: أحدهما عذب شديد العذوبة، سهل شربه لعذوبته، والثاني ملح مرّ لا يمكن شربه لشدة ملوحته، ومن كل من البحرين المذكورين تأكلون لحمًا طريًا هو السمك، وتستخرجون منهما اللؤلؤ والمرجان تلبسونهما زينة، وترى السفن - أيها الناظر - تشق بجريها البحر مقبلة ومدبرة، لتطلبوا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من نعمه الكثيرة.

﴿١٣﴾ يُدْخِلُ الله الليل في النهار فيزيد طولًا، ويدخل النهار في الليل فيزيد طولًا، وسخر سبحانه الشمس، وسخر القمر، كل منهما يجري لموعده مقدر يعلمه الله، وهو يوم القيامة، ذلك الذي يقدر ذلك كله ويجريه هو الله ربكم؛ له وحده الملك، والذين تعبدونهم من دونه من الأوثان ما يملكون قدر لفاقة نواة تمر، فكيف تعبدونهم من دوني؟!

﴿١٤﴾ إن تدعوا معبودكم لا يسمعوأ دعاءكم، فهم جمادات لا حياة فيها ولا سمع لها، ولو سمعوا دعاءكم لهم - على سبيل التقدير - لما استجابوا لكم، ويوم القيامة يتبرؤون من شرككم وعبادتكم إياهم، فلا أحد يخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله سبحانه.

﴿١٥﴾ يا أيها الناس، أنتم المحتاجون إلى الله في كل شؤونكم، وفي كل أحوالكم، والله هو الغني الذي لا يحتاج إليكم في شيء، المحمود في الدنيا والآخرة على ما يقدره لعباده.

﴿١٦﴾ إن يشأ سبحانه أن يزيلكم بهلاك يهلككم به أزالكم، ويأت بخلق جديد بدلکم يعبدونه، لا يشكون به شيئًا. وما إزالكم بإهلاككم، والإتيان بخلق جديد بدلکم؛ بمنتع على الله ﷻ.

﴿١٧﴾ ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس مذنب، بل كل نفس مذنبه تحمل ذنبها، وإن تدع نفس مُثْقَلَةٌ بحمل ذنوبها من يحمل عنها شيئًا من ذنوبها لا يُحْمَلُ عنها من ذنوبها شيء، ولو كان المدعو قريبًا لها، إنما تخوف - أيها الرسول - من عذاب الله الذين يخافون ربهم بالغيب، وأتموا الصلاة على أكمل وجوها، فهم الذين يتنفعون بتخويفك، ومن تطهر من المعاصي - وأعظمها الشرك - فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليه، فالله غني عن طاعته، وإلى الله الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٨﴾ فإنا من الآيات:

١ - تسخير البحر، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر: من نعم الله على الناس، لكن الناس تعتاد هذه النعم فتغفل عنها.

٢ - سفة عقول المشركين حين يدعون أصنامًا لا تسمع ولا تعقل.

٣ - الافتقار إلى الله صفة لازمة للبشر، والغنى صفة كمال لله.

٤ - تزكية النفس عائدة إلى العبد؛ فهو يحفظها إن شاء أو يضيعها.

﴿١٩﴾ وما يستوي الكافر والمؤمن في المنزلة، كما لا يستوي الأعمى والبصير.

﴿٢٠﴾ ولا يستوي الكفر والإيمان، كما لا تستوي الظلمات والنور.

﴿٢١﴾ ولا تستوي الجنة والنار في آثارهما، كما لا يستوي الظل والريح الحارة.

﴿٢٢﴾ وما يستوي المؤمنون والكفار، كما لا يستوي الأحياء والأموات، إن الله يسمع من يشاء هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بمسمع الكفار الذين هم مثل الموتى في القبور.

﴿٢٣﴾ ما أنت إلا منذر لهم من عذاب الله.

﴿٢٤﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق الذي لا مرية فيه، مبشراً للمؤمنين بما أعد الله لهم من الثواب الكريم، ومنذراً للكافرين مما أعد لهم من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرها من عذابه.

﴿٢٥﴾ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - قومك فاصبر، فلست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة لهؤلاء رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، جاءتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة، والمعجزات الباهرة الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالصحف، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله.

﴿٢٦﴾ ومع ذلك كفروا بالله ورسله ولم يصدقوه

فيما جاؤوا به من عنده، فأهلكنا الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم حيث أهلكتهم.

﴿٢٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفاً ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينا أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمرة، وطرائق حالكة السواد.

﴿٢٨﴾ ومن الناس، ومن الدواب، ومن الأنعام (الإبل، البقر، الغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿٢٩﴾ إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزلناه على رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهراً، يرجون بتلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد.

﴿٣٠﴾ ليوفيهم الله ثواب أعمالهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فهو أهل لذلك، إنه سبحانه غفور لذنوب المتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

﴿٣١﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

١ - نفي التساوي بين الحق وأهله من جهة، وبين الباطل وأهله من جهة أخرى.

٢ - كثرة عدد الرسل ﷺ قبل رسولنا ﷺ دليل على رحمة الله وعناد الخلق.

٣ - إهلاك المكذبين سنةً إلهية.

٤ - صفات الإيمان تجارة رابحة، وصفات الكفر تجارة خاسرة.

﴿٣١﴾ والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، الذي أنزله الله تصديقًا للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده بصير، فهو يوحى إلى رسول كل أمة ما تحتاج إليه في زمانها.

﴿٣٢﴾ ثم أعطينا أمة محمد ﷺ الذين اخترناهم على الأمم القرآن، فمنهم ظالم لنفسه بفعل المحرمات وترك الواجبات، ومنهم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات، مع ترك بعض المستحبات وفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وذلك بفعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ذلك المذكور - من الاختيار لهذه الأمة وإعطائها القرآن - هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٣٣﴾ جنات إقامة يدخلها هؤلاء المصطفون، يلبسون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا، ولباسهم فيها حرير.

﴿٣٤﴾ وقالوا بعد دخولهم الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النار، إن ربنا لغفور لذنوب من تاب من عباده، شكور لهم على طاعتهم.

﴿٣٥﴾ الذي أنزلنا دار الإقامة - التي لا نقلة بعدها - من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا عناء.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَأَ دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

ولما ذكر الله جزاء المُصْطَفَيْن من عباده ذكر جزاء الأَرذَلِينَ منهم وهم الكفار، فقال:

﴿٣١﴾ والذين كفروا بالله لهم نار جهنم خالدون فيها، لا يُقْضَى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يُخَفَّف عنهم من عذاب جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كل جحود لنعم ربه.

﴿٣٢﴾ وهم يصبحون فيها بأرفع أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملاً صالحاً مغايراً لما كنا نعمل في الدنيا لننال رضاك، ونسلم من عذابك، فيجيبهم الله: أولم نجعلكم تعيشون عمراً يتذكر فيه من يريد أن يتذكر، فيتوب إلى الله ويعمل عملاً صالحاً، وجاءكم الرسول منذراً لكم من عذاب الله؟ فلا حجة لكم، ولا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخففه عنهم.

﴿٣٨﴾ إن الله عالم غيب السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه عباده في صدورهم من الخير والشر.

﴿٣٩﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.
- ٢ - تفاوت إيمان المؤمنين يعني تفاوت منزلتهم في الدنيا والآخرة.
- ٣ - الجنة دار راحة وسعادة، والنار دار تعب وشقاء.
- ٤ - الوقت أمانة يجب حفظها، فمن ضيعها ندم حين لا ينفع الندم.
- ٥ - إحاطة علم الله بكل شيء.

﴿٣٩﴾ هو الذي جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف في الأرض بعضاً ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به الرسل فإثم كفره وعقابه عائد عليه، ولا يضر كفره ربّه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم سبحانه إلا مقْتاً وبغضاً، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خساراً، حيث إنهم يخسرون ما كان أعد الله لهم في الجنة لو آمنوا.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ أخلقوا جبالها؟ أخلقوا أنهارها؟ أخلقوا دوابها؟ أم أنهم شركاء مع الله في خلق السماوات؟ أم أعطيتهم كتاباً فيه حجة على صحة عبادتهم لشركائهم؟ لا شيء من ذلك حاصل، بل لا يعد الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم بعضاً إلا خداعاً.

﴿٤١﴾ إن الله سبحانه يمسك السماوات والأرض مانعاً إياهما من الزوال، ولئن زالتا على سبيل الفرض فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده سبحانه، إنه كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً لذنوب من تاب من عباده.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمَهُمْ عَلَى يَنَبْتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبْدُو ظَالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إْحْدَى الْأُممِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

﴿٤٢﴾ وأقسم هؤلاء الكفار المكذبون قَسَمًا مَّوَكَّدًا مغلظاً: لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم من عذابه ليكون أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ مرسلًا من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُعْدًا عن الحق وتعلُّقًا بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدي ممن سبقوهم.

﴿٤٣﴾ وقَسَمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سُنَّة الله الثابتة وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم، فلن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلاً بأن لا تقع عليهم، ولا تحويلاً بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سُنَّة إلهية ثابتة.

﴿٤٤﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من هؤلاء؟! وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديرًا على إهلاكهم متى شاء.

﴿٤٥﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

١ - الكفر سبب لمقت الله، وطريق للخسارة والشقاء.

٢ - المشركون لا دليل لهم على شركهم من عقل ولا نقل.

٣ - تدبير الظالم في تدميره عاجلاً أو آجلاً.

﴿٤٥﴾ وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْعُقُوبَةَ لِلنَّاسِ بِمَا عَمِلُوا مِنْ الْمَعَاصِي، وَمَا ارْتَكَبُوا مِنَ الْآثَامِ، لَأَهْلَكَ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْحَالِ وَمَا يَمْلِكُونَ مِنْ دَوَابٍ وَأَمْوَالٍ، وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُعَدَّدٍ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عِبَادَهُ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾
منهم شيء، فيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

سُورَةُ الْاَنْكَاسِ

— مَكِّيَّة —

﴿٤٥﴾ مقصد السورة:

تركز على إثبات الرسالة والبعث ودلائلها.

﴿٤٥﴾ التفسير:

﴿٤٥﴾ سبب الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٤٥﴾ يقسم الله بالقرآن الذي أحكمت آياته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿٤٥﴾ إنك - أيها الرسول - لمن الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛ ليأمرهم بتوحيده وعبادته وحده.

﴿٤٥﴾ على منهج مستقيم وشرع قويم. وهذا المنهج المستقيم والشرع القويم منزل من ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٤٥﴾ أنزلنا إليك ذلك لتخوف قوماً وتنذيرهم، وهم العرب الذين لم يأتهم رسول ينذرهم،

فهم لاهون عن الإيمان والتوحيد، وكذلك شأن كل أمة انقطع عنها الإنذار، تحتاج إلى من يذكرها من الرسل والعلماء والدعاة إلى الله.

﴿٤٥﴾ لقد وجب العذاب من الله لأكثر هؤلاء، بعد أن بلغهم الحق من الله على لسان رسوله فلم يؤمنوا به، ويقوا على كفرهم، فهم لا يصدقون بالله لا برسوله، ولا يعملون بما جاءهم من الحق.

﴿٤٥﴾ هؤلاء لا يؤمنون ولا يهتدون، ومثلهم في ذلك مثل من جعلت أصفاد في أعناقهم، وجُمِعَت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغفلون عن الإيمان بالله فلا يدعون له، ولا يخفضون رؤوسهم من أجله.

﴿٤٥﴾ وجعلنا من بين أيديهم حاجزاً عن الحق، ومن خلفهم حاجزاً، وأغشينا أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون إيصاراً ينتفعون به، حصل ذلك لهم بعد أن ظهر عنادهم وإصرارهم على الكفر.

﴿٤٥﴾ سواء عند هؤلاء الكفار المعاندين للحق أخوتهم - يا محمد - أم لم تخوّنهم، فهم لا يصدقون بما جئت به من عند الله.

﴿٤٥﴾ إن الذي ينتفع حقاً بإنذارك من صدق بهذا القرآن واتباع ما جاء فيه، وخاف من ربه في الخلوة، حيث لا يراه غيره، فأخبر من هذه صفاته بما يسره من محو الله لذنبه ومغفرته لها، ومن ثواب عظيم ينتظره في الآخرة وهو دخول الجنة.

﴿٤٥﴾ إنا نحن نحیی الموتى ببعثهم للحساب يوم القيامة، ونكتب ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان لهم من أثر باق بعد حياتهم صالحاً كان كالصدقة الجارية أو سيئاً كالكفر، وقد أحصينا كل شيء في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.

﴿٤٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - العناد مانع من الهداية إلى الحق. ٢ - العمل بالقرآن وخشية الله من أسباب دخول الجنة.

٣ - فضل الولد الصالح والصدقة الجارية وما شابههما على العبد المؤمن.

﴿١٣﴾ واجعل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين مثلاً يكون لهم عبرة، وهو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلكم.

﴿١٤﴾ حين أرسلنا إليهم أولاً رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا هذين الرسولين، فقويناهما بإرسال رسول ثالث معهم، فقال الرسل الثلاثة لأهل القرية: إنا - نحن الثلاثة - إليكم مرسلون؛ لندعوكم إلى توحيد الله واتباع شرعه.

﴿١٥﴾ قال أهل القرية للمرسلين: لستم إلا بشرًا مثلنا، فلا مزية لكم علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في دعواكم هذه.

﴿١٦﴾ قال الرسل الثلاثة ردًا على تكذيب أهل القرية: ربنا يعلم إنا إليكم - يا أهل القرية - لمرسلون من عنده، وكفى بذلك حجة لنا.

﴿١٧﴾ وليس علينا إلا تبليغ ما أمرنا بتبليغه إليكم بوضوح، ولا تملك هدايتكم.

﴿١٨﴾ قال أهل القرية للرسل: إنا نشاء منا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد لنعاقبنكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينالكنم منا عذاب موجه.

﴿١٩﴾ قال الرسل ردًا عليهم: شوؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم بالله وترككم اتباع رسله، أتنشأمون إن ذكرناكم بالله؟ بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب الكفر والمعاصي.

﴿٢٠﴾ وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفًا على قومه من تكذيب الرسل وتهديدهم بالقتل والإيذاء، قال: يا قوم، اتبعوا ما جاء به هؤلاء المرسلون.

﴿٢١﴾ اتبعوا - يا قوم - من لا يطلب منكم على إبلاغ ما جاء به ثوابًا منكم، وهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله من وحيه، فمن كان كذلك فجدير بأن يتبع.

﴿٢٢﴾ وقال هذا الرجل الناصح: وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقتني؟ وأي مانع يمنعكم من عبادة ربكم الذي خلقكم، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء؟

﴿٢٣﴾ أأنتخذ من دون الله الذي خلقتني معبودات بغير حق؟ إن يردني الرحمن بسوء لا تغن عني شفاعة هذه المعبودات شيئًا فلا تملك لي نفعًا ولا ضرًا، ولا تستطيع أن تقذني من سوء الذي أرادته الله بي إن مت على الكفر.

﴿٢٤﴾ إني إذا اتخذتهم معبودات من دون الله لفي خطأ واضح حيث عبدت من لا يستحق العبادة، وتركت عبادة من يستحقها.

﴿٢٥﴾ إني - يا قوم - صدقت بربي وربكم جميعًا فاسمعوني، فلا أبالي بما تهددونني به من القتل، فما كان من قومه إلا أن قتلوه، فأدخله الله الجنة.

﴿٢٦﴾ قيل تكريمًا لهذا الرجل بعد أن قتله قومه: ادخل الجنة بعد قتلك شهيدًا، فلما دخلها وشاهد ما فيها من النعيم قال متمنيًا: يا ليت قومي الذين كذبوني وقتلوني يعلمون بما حصل لي من مغفرة الذنوب، وبما أكرمني به ربي؛ ليؤمنوا مثلما أمنت، وينالوا جزءًا مثل جزائي.

﴿٢٧﴾ فإلهام من الآيات:

١ - أهمية القصص في الدعوة إلى الله. ٢ - الطيرة والتشاؤم من أعمال الكفر. ٣ - النصح لأهل الحق واجب. ٤ - حب الخير للناس صفة من صفات أهل الإيمان.

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَنِيدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي الْأَنْهَارُ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبُتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿٢٨﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه الذين كذبوه وقتلوه إلى جند من الملائكة نزلهم من السماء، فأمرهم أيسر عندنا من ذلك، فقد قدرنا أن يكون هلاكهم بصيحة من السماء، وليس بإنزال ملائكة العذاب.

﴿٢٩﴾ فما كانت قصة إهلاك قومه إلا صيحة واحدة أرسلناها عليهم فإذا هم صرعى لم تبق منهم باقية، مثلهم كنار كانت مشتعلة فانطفأت، فلم يبق لها أثر.

﴿٣٠﴾ يا ندامة العباد المكذبين وحسرتهم يوم القيامة حين يشاهدون العذاب، ذلك أنهم كانوا في الدنيا ما يأتيهم من رسول من عند الله إلا كانوا يسخرون منه ويستهزئون به، فكان عاقبتهم الندامة يوم القيامة على ما فرطوا في جنب الله.

﴿٣١﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون المستهزون بالرسول عبرة فيمن سبقهم من الأمم؟ فقد ماتوا، ولن يرجعوا إلى الدنيا مرة أخرى، بل أفضوا إلى ما قدموا من أعمال، وسيجازيهم الله عليها.

﴿٣٢﴾ وليس جميع الأمم دون استثناء إلا مُحْضَرِينَ عندنا يوم القيامة بعد بعثهم لنجازيهم على أعمالهم.

﴿٣٣﴾ وعلامة للمكذبين بالبعث أن البعث حق: هذه الأرض اليابسة المجربة أنزلنا عليها المطر من السماء، فأنبثنا فيها من أصناف النبات وأخرجنا فيها من أصناف الحبوب ليأكلها

الناس، فالذي أحيا هذه الأرض بإنزال المطر وإخراج النبات قادر على إحياء الموتى وبعثهم.

﴿٣٤﴾ وصيرنا في هذه الأرض التي أنزلنا عليها المطر بساتين من النخيل والعنب، وفجرنا فيها من عيون الماء ما يسقيها.

﴿٣٥﴾ ليأكل الناس من ثمار تلك البساتين ما أنعم الله به عليهم، ولم يكن لهم سعي فيه، أفلا يشكرون الله الذي أعطاهم كل ذلك تفضلاً منه ورحمة بهم بعبادته وحده والإيمان برسله؟!

﴿٣٦﴾ تقديس الله وتعالى الذي أنشأ الأصناف من النبات والأشجار، ومن أنفُسِ الناس حيث أنشأ الذكور والإناث، وما لا يعلم الناس من مخلوقات الله الأخرى في البر والبحر وغيرهما.

﴿٣٧﴾ ودلالة للناس على توحيد الله أنا نذهب الضياء بذهاب النهار ومجيء الليل حين ننزع النهار منه، ونأتي بالظلمة بعد ذهاب النهار، فإذا الناس داخلون في ظلام.

﴿٣٨﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله هذه الشمس التي تجري لمستقر يعلم الله قدره لا تتجاوز، ذلك التقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم الذي لا يخفى عليه شيء من أمر مخلوقاته.

﴿٣٩﴾ وآية لهم دالة على توحيدة سبحانه هذا القمر الذي قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ صغيراً ثم يكبر ثم يصغر حتى يصير مثل عذق النخلة المُتَعَرِّجِ المُتَدَرِّسِ في رفته وانحنائه وصفوته وقدمه.

﴿٤٠﴾ وآيات الشمس والقمر والليل والنهار مقدرة بتقدير الله، فلا تتجاوز ما قدر لها، فلا الشمس يمكن أن تلحق بالقمر لتغيير مساره أو إذهاب نوره، ولا الليل يمكنه أن يسبق النهار ويدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل هذه المخلوقات المسخرة وغيرها من الكواكب والمجرات لها مساراتها الخاصة بها بتقدير الله وحفظه.

﴿٤١﴾ فَرَأَى مِنَ الْآيَاتِ: ١ - لا رجعة لأحد إلى الدنيا بعد الموت. ٢ - من الأدلة على البعث إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر، وإخراج الحب منه.

﴿٤١﴾ وَعلامه لهم على وحدانية الله كذلك وإنعامه على عباده أنا حملنا من نجا من الطوفان من ذرية آدم زمن نوح في السفينة المملوءة بمخلوقات الله، فقد حمل الله فيها من كل جنس زوجين.

﴿٤٢﴾ وَعلامه لهم على توحيده وإنعامه على عباده أنا خلقنا لهم من مثل سفينة نوح مراكب، وبعض أنواع الحيوان يقطعون عليها المسافات البعيدة.

﴿٤٣﴾ ولو أردنا إغراقهم أغرقناهم، فلا مغيث يغيثهم إن أردنا إغراقهم، ولا منقذ ينقذهم إذا غرقوا بأمرنا وقضائنا.

﴿٤٤﴾ إلا أن نرحمهم بإنجائهم من الغرق وإعادتهم ليتمتعوا إلى أجل محدد لا يتجاوزونه، لعلهم يعتبرون فيؤمنون.

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المشركين المعرضين عن الإيمان: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة وشدايدها، واحذروا الدنيا المؤبدية رجاء أن يمن الله عليكم برحمته؛ لم يمتثلوا لذلك، بل يعرضون عنه غير مباليين به.

﴿٤٦﴾ وكلما جاءت هؤلاء المشركين المعاندين آيات الله الدالة على توحيده واستحقاقه للأفراد بالعبادة، كانوا يعرضون عنها غير معتبرين بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المعاندين: ساعدوا الفقراء والمساكين من الأموال التي رزقكم الله

إياها، ردوا مستنكرين قائلين للذين آمنوا: أنطعم من لو يشاء الله إطعامه لأطعمه؟! فنحن لا نخالف مشيئته، ما أتمم - أيها المؤمنون - إلا في خطأ واضح وبُعد عن الحق.

﴿٤٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث مكذبين به مستبعدين له: متى هذا البعث إن كنتم - أيها المؤمنون - صادقين في دعوى أنه واقع؟ ما ينتظر هؤلاء المكذبون بالبعث المستبعدون له إلا النفخة الأولى حين ينفخ في الصور، فتبتهتهم هذه الصيحة وهم في مشاغلهم الدنيوية من بيع وشراء وسقي ورعي وغيرها من مشاغل الدنيا.

﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون عندما تفجأهم هذه الصيحة أن يوصي بعضهم بعضاً، ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وأهلهم، بل يموتون وهم في مشاغلهم هذه.

﴿٥٠﴾ وُفِّخَ في الصور النفخة الثانية للبعث، فإذا هم يخرجون جميعاً من قبورهم إلى ربهم يسرعون للحساب والجزاء. قال هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث نادمين: يا خسارتنا، من الذي بعثنا من قبورنا؟ فيجابون عن سؤالهم: هذا ما وعد الله به فإنه لا بد واقع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.

﴿٥١﴾ ما كان أمر البعث من القبور إلا أثراً عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع المخلوقات مُحَضَّرَةً عندنا يوم القيامة للحساب. يكون الحكم بالعدل في ذلك اليوم، فلا تظلمون - أيها العباد - شيئاً بزيادة سيئاتكم أو نقصان حسناتكم، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - من أساليب تربية الله لعباده أنه جعل بين أيديهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ٢ - الله تعالى مَكِّنَ العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون به على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم. ٣ - في يوم القيامة يتجلى لأهل الإيمان من رحمة ربهم ما لا يخطر على بالهم.

﴿٤١﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ شَأْنُ غَرْقِهِمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٤٥﴾ قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَآ وَاعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا الصَّيْحَةُ وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا يَوْمَ لَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٥﴾ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِبُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَهُمْ مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتْبَعُ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْزَلُنَا بِهِمْ يَبْصُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٥٩﴾ هم وأزواجهم يتنعمون على الأسرة تحت ظلال الجنة الوارفة.

﴿٥٧﴾ لهم في هذه الجنة أنواع من الفواكه الطيبة من العنب والتين والرمان، ولهم كل ما يطلبون من الملائكة وأنواع النعيم، فما طلبوه من ذلك حاصل لهم.

﴿٥٨﴾ ولهم فوق هذا النعيم سلام حاصل لهم، قولاً من رب رحيم بهم، فإذا سلم عليهم حصلت لهم السلامة من كل الوجه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها.

﴿٥٩﴾ ويقال للمشركين يوم القيامة: تميزوا عن المؤمنين، فلا يليق بهم أن يكونوا معكم لتباين جزائكم مع جزائهم وصفاتكم مع صفاتهم.

﴿٦٠﴾ ألم أوصيكم وأمركم على السنة رسلي وأقل لكم: يا بني آدم، لا تطيعوا الشيطان بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي، إن الشيطان لكم عدو واضح العداوة، فكيف لعاقل أن يطيع عدوه الذي تظهر له عداوته؟!

﴿٦١﴾ وأمرتكم - يا بني آدم - أن تعبدوني وحدي، لا تشركون بي شيئاً فعبادتي وحدي وطاعتي طريق مستقيم يؤدي إلى رضاءي ودخول الجنة، لكنكم لم تمتثلوا ما أوصيتكم وأمرتكم به من ذلك.

﴿٦٢﴾ ولقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً، أفلم تكن لكم عقول تأمركم بطاعة ربكم وعبادته وحده سبحانه، وتحذركم من طاعة الشيطان الذي هو عدو واضح العداوة لكم؟

﴿٦٣﴾ هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم، وكانت غيباً عنكم، وأما اليوم فما أنتم تشاهدونها رأي العين.

﴿٦٤﴾ ادخلوها اليوم، وعانوا من حرها ما كنتم فيها أبداً بسبب كفركم بالله في حياتكم الدنيا.

﴿٦٥﴾ اليوم نطبع على أفواههم فيصبرون خوفاً لا يتكلمون بإنكار ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وتكلمنا أيديهم بما عملت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي ويمشون إليها.

﴿٦٦﴾ ولو نشاء إذهاب أبصارهم لأذهبناها فلم يبصروا، كما طبعنا على أفواههم فلم يتكلموا، فاستبقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، فبعد أن يعبروا وقد ذهبت أبصارهم. ﴿٦٧﴾ ولو نشاء تغيير خلقهم وإقاعدهم على أرجلهم لغيرنا خلقهم وأقعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون أن يبرحوا مكانهم، ولا يستطيعون ذهاباً إلى أمام، ولا رجوعاً إلى وراء. ﴿٦٨﴾ ومن نمد في حياته من الناس بإطالة عمره نرجعه إلى مرحلة الضعف، أفلا يتفكرون بعقولهم، ويدركون أن هذه الدار ليست دار بقاء ولا خلود، وأن الدار الباقية هي دار الآخرة. ﴿٦٩﴾ وما علمنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جبلته حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآناً واضحاً لمن تأمله، وليس شعراً. ﴿٧٠﴾ لينذر من كان حي القلب مستتير البصيرة، فهو الذي ينتفع به، ويحق العذاب على الكافرين، لما قامت عليهم الحجة بإزالته وبلوغ دعوته إليهم، فلم يبق لهم عذر يعتدرون به.

﴿٧١﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أهل الجنة في شغل يسرهم، من كل ما تهواه النفوس، وتلذذ العيون، ويتمناه المتمدنون. ٢ - ذو القلب هو الذي يزكو بالقرآن، ويزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية. ٣ - أعضاء الإنسان - التي كانت عوناً لصاحبها في الدنيا - تصير يوم القيامة شاهدة عليه.

(٧) أولم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً، فهم لأمر تلك الأنعام مالكون يتصرفون فيها بما تقتضيه مصالحهم.

﴿٧٦﴾ وسخرناها لهم وجعلناها منقادة لهم، فعلى ظهور بعضها يركبون ويحملون أثقالهم، ومن لحوم بعضها يأكلون.

﴿١٧﴾ ولهم فيها منافع غير ركوب ظهورها والأكل من لحومها؛ مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وأثمانها؛ فمنها يصنعون فرشاً ولباساً، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي منَّ عليهم بهذه النعم وغيرها؟

﴿٧٤﴾ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها
رجاء أن تنصرهم فتنقذهم من عذاب الله.

نصر أنفسهم ولا نصر من يعبدونهم من دون الله، وهم وأصنامهم جميعاً مُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ يُتَبَرَأُ كُلُّ مِنْهُمْ مِنَ الْآخَرِ.

﴿١٧﴾ فلا يحزنك - أيها الرسول - قولهم: إنك لست مرسلًا، أو إنك شاعر، وغير ذلك من بُهتانهم، إنا نعلم ما يخفون من ذلك وما يظهرون، لا يخفى علينا منه شيء، وسنجازيهم عليه.

﴿W﴾ أولم يفكر الإنسان الذي ينكر البعث بعد الموت أنا خلقناه من مني ، ثم مر بأطوار حتى

ولد وترى، ثم صار كثير الخصام والجدال، ألم
 ﴿٧٨﴾ غَفَلَ هذا الكافر وَجْهٌ حين استدل بالعظام
 هو من العدم.

﴿٧٩﴾ قل - يا محمد - مجيباً إياه: يحيي هذه العف
إعادة الحياة إليها، وهو سبحانه بكل خلق عليم،

﴿٨٩﴾ الذي جعل لكم - أيها الناس - من الشجر
فمن جمع بين ضدين - بين رطوبة ماء الشجر الأ-

﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى لِقَادَرٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ؟

﴿٨٧﴾ إنما أمر الله وشأنه سبحانه أنه إذا أراد إيجاد ذلك ما يريد من الأحياء والإماتة والبعث وغيرها

﴿٨٣﴾ فتزّه الله وتقّدر عما ينسب إليه المشركون
وبيده مفاتيح كل شيء، وإليه وحده ترجعون في الآخرة

❁ فوائد من الآيات: ١ - من فضل الله ونعمته عليه وأكل لحومها وشرب لبنائها. ٢ - من صفات الله في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَلِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَكُونُ ﴿٧٧﴾
وَتَحْتَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَسَارِبٌ أَفْلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَاتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٩﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ ﴿٨١﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٨٢﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٨٣﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٥﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾
فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

آیاتہا

9.6/22

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ١٥ فَالزَّجَرِ زَجْرًا ١٦ فَالتَّلَايَ ١٧ ذِكْرًا ١٨
إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ١٩ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ٢٠ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ٢١ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ٢٢ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آَمَلٍ أَعْلَىٰ وَيُفْذَفُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٢٣ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ٢٤ إِلَّا مَن حُطِفَ
الْخَطْمَةُ فَاَنْعَمَ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ٢٥ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ٢٦ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ٢٧ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ٢٨ وَإِذَا أُرُوا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ٢٩
وَقَالُوا إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٣٠ أَوَ آدَامُنَا وَكَانَ آدَامُ عَظَمًا ٣١
أَوَ نَأْمَبْعُوثُونَ ٣٢ أَوَ آدَامُنَا الْأَوَّلُونَ ٣٣ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخَرُونَ ٣٤
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ٣٥ وَقَالُوا إِنَّا لَنَنَّا هَٰذَا
يَوْمَ الدِّينِ ٣٦ هَٰذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ ٣٧
أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٣٨ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٣٩ وَفَقَّهُوا أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٤٠

● مقصد السورة :
تركز على قضية تنزيه الله عما نسب إليه المشركون ، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن .
● التفسير :
١ أقسم بالملائكة نصف في عبادتها مترصة .
٢ وأقسم بالملائكة تزجر السحاب ، وتسوقه إلى حيث يشاء الله له أن ينزل . ٣ وأقسم بالملائكة يتلون القرآن . ٤ إن معبودكم بحق - أيها الناس - لواحد لا شريك له ، وهو الله . ٥ رب السموات ، ورب الأرض ، ورب ما بينهما ، ورب الشمس في مطالعها ومغاربها طول السنة . ٦ إنا جملنا أقرب السماوات إلى الأرض بزيينة جميلة هي الكواكب التي هي في النظر كالجواهر المتألثة . ٧ وحفظنا السماء الدنيا بالنجوم من كل شيطان متمرد خارج عن الطاعة ؛ فيرمى بها . ٨ لا يستطيع هؤلاء الشياطين أن يسمعو الملائكة في السماء إذا تكلموا بما يوحى إليهم ربهم من شرعه ولا من قدره ، ويرمون بالشهب من كل جانب . ٩ طرداً لهم وإبعاداً عن الاستماع إليهم ، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم دائم لا ينقطع . ١٠ إلا من اختطف من الشياطين خطفة ، وهي كلمة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما لم يصل علمه إلى أهل الأرض ، فيتبعه شهاب مضيء يحرقه ، وربما يلقي تلك الكلمة قبل أن يحرقه الشهاب إلى إخوانه فنصل إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة . ١١ فاسأل - يا محمد - الكفار المنكرين للبعث : أهم أشد خلقاً وأقوى أجساماً وأعظم أعضاء ممن خلقنا من السماوات والأرض والملائكة ؟ إنا خلقناهم من طين لزج ، فكيف ينكرون البعث ، وهم مخلوقون من خلق ضعيف وهو الطين اللزج ؟ ١٢ بل عجب - يا محمد - من قدرة الله وتدبيره لشؤون خلقه ، وعجب من تكذيب المشركين بالبعث ، وهؤلاء المشركون من شدة تكذيبهم بالبعث يسخرون مما تقول بشأنه . ١٣ وإذا وعظ هؤلاء المشركون بموعظة من المواعظ لم يتعظوا بها ، ولم ينتفعوا ؛ لما هم عليه من قساوة القلوب . ١٤ وإذا شاهدوا معجزة من معجزات النبي ﷺ الدالة على صدقه بالغوا في السخرية والتعجب منها . ١٥ وقالوا : ما هذا الذي جاء به محمد إلا سحر واضح . ١٦ فإذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية متفتتة إنا لمبعوثون أحياء بعد ذلك ؟ إن هذا لمستبعد . ١٧ أو يبعث أبونا الأولون الذين ماتوا قبلنا ؟ قل - يا محمد - مجيباً إياهم : نعم تبعثون بعد أن صرتم تراباً وعظاماً بالية ، ويبعث أبواكم الأولون ، تبعثون جميعاً وأنتم صاغرون ذليلون . ١٨ فإنما هي نفخة واحدة في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم جميعاً ينظرون إلى أهوال يوم القيامة يترقبون ما يفعل الله بهم . ١٩ وقال المشركون المكذبون بالبعث : يا هلاكتنا هذا يوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على ما قدموا في حياتهم الدنيا من عمل . ٢٠ فيقال لهم : هذا يوم القضاء بين العباد الذي كنتم تتكرونها وتكذبون به في الدنيا . ٢١ ويقال للملائكة في ذلك اليوم : اجتمعوا المشركين الظالمين بشركهم هم وأشباهم في الشرك والمشايعة لهم في التكذيب ، وما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام ، فعرفوهم طريق النار ودلوهم عليها وسوقوهم إليها ، فإنها مصيرهم . ٢٢ واحبسوهم قبل إدخالهم النار للحساب ، فهم مسؤولون ، ثم بعد ذلك سوقوهم إلى النار .

● فوائد من الآيات : ١ - تزيين السماء الدنيا بالكواكب لمنافع ؛ منها : تحصيل الزينة ، والحفظ من الشيطان المارد . ٢ - إثبات الصراط ؛ وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره أهل الجنة ، وتزل به أقدام أهل النار .

﴿٢٥﴾ ويقال لهم توبيحاً لهم: ما بالكم لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم في الدنيا تتناصرون، وترغمون أن أصنامكم تنصركم؟ ﴿٢٦﴾ بل هم اليوم متفادون لأمر الله ذليلون، لا ينصر بعضهم بعضاً لعجزهم وقلة حيلتهم. ﴿٢٧﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون حين لا ينفع التلاوم والتخاصم. ﴿٢٨﴾ قال الأتباع للمتبعين: إنكم - يا كبراءنا - كنتم تأتوننا من جهة الدين والحق فتزبون لنا الكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي، وتفروننا من الحق الذي جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٢٩﴾ قال المتبعون للأتباع: ليس الأمر - كما زعمتم - بل كنتم على الكفر ولم تكونوا مصدقين، بل كنتم منكرين. ﴿٣٠﴾ وما كان لنا عليكم أيها الأتباع، من تسلط بقهر أو غلبة حتى نوقعكم في الكفر والشرك وارتكاب المعاصي، بل كنتم قوماً متجاوزين الحد في الكفر والضلال، ولم تكن نحن الذين أضللناكم. ﴿٣١﴾ فوجب علينا وعليكم وعيد الله في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، ومن ثم فإننا ذائقون - لا محالة - ما توعد به ربنا. ﴿٣٢﴾ فدعوناكم إلى الضلال والكفر، إنا كنا ضالين عن طريق الهدى، فما كان منكم إلا أن اتبعتمونا لما كنتم عليه من قابلية الكفر والاستعداد للضلال. ﴿٣٣﴾ فإن الأتباع والمتبعين في العذاب يوم القيامة مشتركون، لا يغني بعضهم عن بعض شيئاً؛ لأنهم كانوا مشتركين في الدنيا في الضلال والكفر. ﴿٣٤﴾ إنا كما فعلنا بهؤلاء من

إذا قتهم العذاب، نفعل بالمجرمين من غيرهم، فشرك تابعهم ومتبعهم في العذاب كل بحسب ما يستحقه من العذاب. ﴿٣٥﴾ إن هؤلاء المشركين كانوا إذا قيل لهم في الدنيا: لا إله إلا الله للعمل بمقتضاها وترك ما يخالفها رفضوا الاستجابة لذلك والإذعان له تكبراً عن الحق وترفعاً عليه. ﴿٣٦﴾ ويقولون محتجين لكفرهم: أترك عبادة آلِهتنا لقول شاعر مجنون؟ يعنون بقولهم هذا: رسول الله ﷺ. ﴿٣٧﴾ لقد أعظموا الفرية، فما كان رسول الله ﷺ مجنوناً ولا شاعراً، بل جاء بالقرآن الداعي إلى توحيد الله واتباع رسوله، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من عند الله من التوحيد وإثبات المعاد، ولم يخالفهم في شيء. ﴿٣٨﴾ إنكم - أيها المشركون - لذائقو العذاب الموجه يوم القيامة بسبب كفركم وتكذيبكم للرسل. ﴿٣٩﴾ وما تُجزون - أيها المشركون - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله وارتكاب المعاصي. ﴿٤٠﴾ لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، وأخلصوا له العبادة، هم بمنجاة من هذا العذاب. ﴿٤١﴾ أولئك العباد المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في طيبه وحسنه ودوامه. ﴿٤٢﴾ ومن هذا الرزق أنهم يرزقون فواكه من أطيب ما يأكلونه ويشتهونه، وهم فوق ذلك مكرمون برفع الدرجات وبالنظر إلى وجه الله الكريم. ﴿٤٣﴾ كل ذلك ينالونه في جنات النعيم المقيم الثابت الذي لا ينقطع ولا يزول. ﴿٤٤﴾ يتكئون على أسرة متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض، ويسر كل منهم بقاء أخيه. ﴿٤٥﴾ يدار عليهم بكؤوس الخمر التي هي في صفائها كالماء الجاري. ﴿٤٦﴾ بيضاء اللون يلتذ بشربها من يشربها لذة كاملة. ﴿٤٧﴾ ليست كخمر الدنيا، فليس فيها ما يذهب العقول من السكر، ولا يتباب متعاطيها صداع، يسلم لشاربها جسمه وعقله. ﴿٤٨﴾ وعندهم في الجنة نساء عفيفات، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون. ﴿٤٩﴾ كأنهن في بياض ألوانهن المشوبة بصفرة بيض نعام مستور بالريش من الرياح والغبار، مصون لم تمسه الأيدي. ﴿٥٠﴾ فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عن ماضيهم وما حدث لهم في الدنيا. ﴿٥١﴾ قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي في الدنيا صاحب مُتَكِر للبعث.

﴿٥٢﴾ (الآيات: ١ - سبب عذاب الكافرين: العمل المنكر؛ وهو الشرك والمعاصي. ٢ - من نعيم أهل الجنة أنهم نعموا باجتماع بعضهم مع بعض، ومقابلة بعضهم مع بعض، وهذا من كمال السرور.)

يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَتَيْتُكَ دَائِمَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَمًا أَتَيْتُكَ لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلَعُوا قِرَاءَةً فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُشِلْ هَذَا فَيُعْمَلَ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا لَئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنْ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنْ مَرَجَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمِ الْمَجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿٥٢﴾ يقول لي منكراً وساخراً: هل أنت - أيها الصديق - من المصدقين ببعث الأموات؟
﴿٥٣﴾ إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نخرة إنا لمبعوثون ومجازون على أعمالنا التي عملناها في الدنيا؟
﴿٥٤﴾ قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: اطلعوا معي لنرى مصير ذلك القرين الذي كان ينكر البعث؟

﴿٥٥﴾ فاطلع هو فرأى قرينه في وسط جهنم.
﴿٥٦﴾ قال: تالله لقد قاربت - أيها القرين - أن تهلكني بدخول النار بدعوتك لي إلى الكفر وإنكار البعث.

﴿٥٧﴾ ولولا إنعام الله علي بالهداية للإيمان والتوفيق له، لكنت من المحضرين إلى العذاب مثلك.
﴿٥٨﴾ ولما أنهى كلامه مع قرينه من أهل النار توجه إلى خطاب قرنائه من أهل الجنة فقال:

﴿٥٩﴾ فلسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين.
﴿٦٠﴾ غير موتتنا الأولى في الحياة الدنيا، بل نحن مخلدون في الجنة، ولسنا بمعذبين كما يعذب الكفار.

﴿٦١﴾ إن هذا الذي جازانا به ربنا - من دخول الجنة والخلود فيها والسلامة من النار - لهو الظفر العظيم الذي لا ظفر يساويه.

﴿٦٢﴾ لمثل هذا الجزاء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فإن هذا هو التجارة الرابعة. ﴿٦٣﴾ أذلك النعيم المذكور الذي أعده الله لعباده الذين

أخلصهم لطاعته خير وأفضل مقاماً وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؟ ﴿٦٤﴾ إنا صيّرنا هذه الشجرة فتنة يفتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي، حيث قالوا: إن النار تأكل الشجر، فلا يمكن أن ينبت فيها. ﴿٦٥﴾ إن شجرة الزقوم شجرة خيشة المبتت، فهي شجرة تخرج في قعر الجحيم. ﴿٦٦﴾ ثمرها الخارج منها كريحه المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وقبح المنظر دليل على قبح المخبر، وهذا يعني أن ثمرها خبيث الطعم. ﴿٦٧﴾ فإن الكفار لآكلون من ثمرها المر القبيح، ومالثون منه بطونهم الخاوية. ﴿٦٨﴾ ثم إنهم بعد أكلهم منها لهم شراب خليط قبيح حار. ﴿٦٩﴾ ثم إن رجوعهم بعد ذلك إلى عذاب الجحيم، فهم يتنقلون من عذاب إلى عذاب. ﴿٧٠﴾ إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية، فأتأسوا بهم تقليداً لا عن حجة. ﴿٧١﴾ فهم يتبعون آثار آبائهم في الضلالة مسرعين كأنهم يُزْعَجُونَ إلى اتباعهم إزعاجاً، ويجبرون عليه إجباراً. ﴿٧٢﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين، فليس قومك - أيها الرسول - أول من ضل من الأمم. ﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلاً يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا. ﴿٧٤﴾ فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأقسام الذين أنذرتهم رسلكم فلم يستجيبوا لهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلكم. ﴿٧٥﴾ إلا من أخلصهم الله للإيمان به وتوحيده، فإنهم ناجون من العذاب الذي كان نهاية أولئك المكذبين الكافرين. ﴿٧٦﴾ ولقد دعانا نبينا نوح عليه السلام حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المجيبون نحن، فقد سارعنا في إجابة دعائه عليهم. ﴿٧٧﴾ ولقد سلمناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق بالطوفان العظيم المرسل على الكافرين من قومه.

﴿٧٨﴾ فإِذَا مِنْ آيَاتٍ: ١ - الظفر بنعيم الجنان هو الفوز الأعظم، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون. ٢ - إن طعام أهل النار هو الزقوم الثمر المر الكريه الطعم والرائحة، العسير البلع، المؤلم الأكل. ٣ - أجاب الله تعالى دعاء نوح عليه السلام بإهلاك قومه، والله نعم المقصود المعجيب.

﴿٧٧﴾ وَنَجِّنَا أَهْلَهُ وَأَتْبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدَّاهُمْ، فَقَدْ
أَغْرَقْنَا غَيْرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ.
﴿٧٨﴾ وَأَبْقَيْنَا لَهُ فِي الْأُمَمِ اللَّاحِقَةِ ثَنَاءً حَسَنًا
يُثْنُونَ بِهِ عَلَيْهِ.
﴿٧٩﴾ أَمَانٌ وَسَلَامٌ لِنُوحٍ مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ سُوءٌ فِي
الْأُمَمِ اللَّاحِقَةِ، بَلْ سَبَقُوا لَهُ الثَّنَاءَ وَالذِّكْرَ الْحَسَنَ.
﴿٨٠﴾ إِنْ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَيْنَا بِهِ نُوحًا ﷺ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِعِبَادَتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ.
﴿٨١﴾ إِنْ نُوحًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُصْذِقِينَ الْعَامِلِينَ
بِطَاعَةِ اللَّهِ.
﴿٨٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْبَاقِينَ بِالطُّوفَانِ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ
عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ.
﴿٨٣﴾ وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ الَّذِينَ وَافَقُوهُ فِي
الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ.
﴿٨٤﴾ فَاذْكُرْ حِينَ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشَّرِّ
وَمِنْ الشُّكِّ نَاصِحٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ.
﴿٨٥﴾ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ مَوْجِبًا
لَهُمْ: مَا الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟
﴿٨٦﴾ أَتُرِيدُونَ - يَا قَوْمَ - آلِهَةً تَعْبُدُونَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ لِمَجْرَدِ الْإِفْكَ الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ الْكُذْبِ؟
﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ - يَا قَوْمَ - بِرَبِّ الْعَالَمِينَ إِذَا
لَقِيتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟ وَمَاذَا تَرَوْنَ صَانِعًا
بِكُمْ؟ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ يَدْبُرُ
مَكِيدَةً لِلتَّخْلُصِ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ. ﴿٨٩﴾ فَقَالَ
مَتَعَلِّلاً عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ إِلَى عِبَدِهِمْ: إِنِّي
مَرِيضٌ. ﴿٩٠﴾ فَتَرَكُوهُ وَرَاءَهُمْ وَذَهَبُوا. ﴿٩١﴾ فَمَالَ إِلَى آلِهِتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ سَاخِرًا مِنْ آلِهِتِهِمْ: أَلَا
تَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الْمُشْرِكُونَ لَكُمْ؟ ﴿٩٢﴾ مَا شَأْنُكُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ، وَلَا تَجِيبُونَ مَنْ يَسْأَلُكُمْ؟ أَمْثِلْ هَذَا يُعْبَدُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿٩٣﴾ فَمَالَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ الِيمْنَى لِيَكْسِرَهُمْ. ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ عِبَادُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ يَسْرِعُونَ. ﴿٩٥﴾
فَقَابَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِثَبَاتٍ، وَقَالَ لَهُمْ مَوْجِبًا إِيَّاهُمْ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً أَنْتُمْ الَّذِينَ تَنْحَتُونَهَا بِأَيْدِيكُمْ؟ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ
سَبْحَانَهُ خَلَقَكُمْ أَنْتُمْ، وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ، وَمَنْ عَمَلَكُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ.
﴿٩٧﴾ فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مَقَارَعَتِهِ بِالْحُجَّةِ لَجُّوا إِلَى الْقُوَّةِ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ بِإِبْرَاهِيمَ، قَالُوا: ابْنَاؤُا لَهُ
بَنِيَانًا، وَامْلُؤُوهُ حَطْبًا وَأَضْرُمُوهُ، ثُمَّ ارْمُوهُ فِيهِ. ﴿٩٨﴾ فَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بِإِبْرَاهِيمَ سُوءًا بِأَنْ يَهْلِكَوهُ فَيَسْتَرِيحُوا مِنْهُ،
فَصَيَّرْنَاهُمُ الْخَاسِرِينَ حِينَ جَعَلْنَا النَّارَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا. ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي مِهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي تَارِكًا بِلَدَ قَوْمِي
لَأَتُمَكِّنَ مِنْ عِبَادَتِهِ، سَيِّدُنِي رَبِّي عَلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿١٠٠﴾ يَا رَبِّ، ارْزُقْنِي وَلَدًا صَالِحًا يَكُونُ لِي
عَوْنًا وَعَوْضًا عَنْ قَوْمِي فِي الْغُرْبَةِ. ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دَعْوَتَهُ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَا يَسِرُّهُ، حَيْثُ بَشَّرْنَاهُ بِوَلَدٍ يَكْبُرُ، وَيَصِيرُ حَلِيمًا،
وَهَذَا الْوَلَدُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﷺ. ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا شَبَّ إِسْمَاعِيلُ، وَأَدْرَكَ سَعْيُهُ سَعْيَ أَبِيهِ رَأَى أَبُوهُ إِبْرَاهِيمَ رُؤْيَا، وَرَوَّيَا الْأَنْبِيَاءَ
وَحْيًا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَخْبِرًا ابْنَهُ عَنْ فَحْوَى هَذِهِ الرُّؤْيَا: يَا بَنِي، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانْظُرْ مَا تَرَى فِي
ذَلِكَ، فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ قَائِلًا: يَا أَبِي، أَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَبْحِي، سَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ الرَّاضِينَ بِحُكْمِ اللَّهِ.
﴿١٠٣﴾ فَوَافَقَ الْأَيَّاتُ: ١ - مِنْ مَظَاهِرِ الْإِنْعَامِ عَلَى نُوحٍ: نَجَاةُ نُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتَهُ أَصُولَ الْبَشَرِ وَالْأَعْرَاقِ
وَالْأَجْنَاسِ، وَإِبْقَاءُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ. ٢ - مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسْلِ وَاحِدَةً؛ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ،
وَالِىَ أَصُولِ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ. ٣ - أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ يَخْلُقُهَا اللَّهُ وَيَفْعَلُهَا الْعَبْدُ بِاخْتِيَارِهِ. ٤ - مَشْرُوعِيَّةُ الْهَجْرَةِ
وَالْعَزَلَةِ إِذَا لَمْ يَتِمَكَّنِ الْمُسْلِمُ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ دِينِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ. ٥ - الذَّبِيحُ بِحَسَبِ دَلَالَةِ هَذِهِ
الْآيَاتِ وَتَرْتِيبِهَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ أَوَّلًا، وَأَمَّا إِسْحَاقُ ﷺ فَبُشِّرَ بِهِ بَعْدَ إِسْمَاعِيلِ ﷺ.

﴿١٣٦﴾ فلما خضعوا لله وانقادوا له، وضع إبراهيم ابنه على جانب جبهته لينفذ ما أمر به من ذبحه.
 ﴿١٣٧﴾ وناديناه إبراهيم وهو يهيم بتنفيذ أمر الله بذبح ابنه: أن يا إبراهيم.
 ﴿١٣٨﴾ قد حققت الرؤيا التي رأيتها في منامك بعزمك على ذبح ابنك، إنا - كما جزييناك بتخليصك من هذه المحنة العظيمة - نجزي المحسنين فنخلصهم من المحن والشدائد.
 ﴿١٣٩﴾ إن هذا لهو الاختبار الواضح، وقد نجح إبراهيم فيه.
 ﴿١٤٠﴾ وفدينا إسماعيل بكبش عظيم بدلًا منه يذبح عنه.
 ﴿١٤١﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناء حسنًا في الأمم اللاحقة.
 ﴿١٤٢﴾ تحية من الله له، ودعاء بالسلامة من كل ضرر وآفة.
 ﴿١٤٣﴾ كما جازينا إبراهيم هذا الجزاء على طاعته نجازي المحسنين.
 ﴿١٤٤﴾ إن إبراهيم من عبادنا المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه العبودية لله.
 ﴿١٤٥﴾ وبشرناه بولد آخر يصير نبيًا وعبدًا صالحًا وهو إسحاق؛ جزاءً على طاعته لله في ذبح إسماعيل ولده الوحيد.
 ﴿١٤٦﴾ وأنزلنا عليه وعلى ابنه إسحاق بركة منا، فأكثرنا لهما النعم، ومنها تكثير ولدتهما، ومن ذريتهما محسن بطاعته لربه، ومنهم ظالم لنفسه بالكفر وارتكاب المعاصي واضح الظلم.
 ﴿١٤٧﴾ ولقد منّا على موسى وأخيه هارون بالنبوة.

﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا خَسَعَا وَتَلَّ لِلْجِبِينِ ﴿١٣٧﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٣٨﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْءُودٌ عَلَى الْمِثْلِ ﴿١٤٠﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٤١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٤٢﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٣﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٤﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِمَّنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٦﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ؕ مُبِينٌ ﴿١٤٧﴾ وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٤٨﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٩﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٥٠﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٥١﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥٣﴾ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٥٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّهُمْ مِمَّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٧﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَأَنْتُمْ أَأَلْتُمْ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥٨﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥٩﴾

﴿١٤٧﴾ وسلمناهما وقومهما بني إسرائيل من استعباد فرعون لهم ومن الغرق.
 ﴿١٤٨﴾ ونصرناهم على فرعون وجنوده، فكانت الغلبة لهم على عدوهم.
 ﴿١٤٩﴾ وأعطينا موسى وأخاه هارون التوراة كتابًا من عند الله واضحًا لا لبس فيه.
 ﴿١٥٠﴾ وهديناهما إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق دين الإسلام الموصلة إلى مرضاة الخالق سبحانه.
 ﴿١٥١﴾ وأبقينا عليهما ثناء حسنًا وذكرًا طيبًا في الأمم اللاحقة.
 ﴿١٥٢﴾ تحية من الله طيبة لهما وثناء عليهما ودعاء بالسلامة من كل مكروه.
 ﴿١٥٣﴾ إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم لربهم.
 ﴿١٥٤﴾ إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بالله العاملين بما شرع لهم.
 ﴿١٥٥﴾ وإن إلياس لمن المرسلين من ربه، أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة.
 ﴿١٥٦﴾ إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل: يا قوم، ألا تتقون الله؟ بامتثال أوامره، ومنها التوحيد، وباجتناب نواهيه، ومنها الشرك؟

﴿١٥٧﴾ أتعبدون من دون الله صنمكم بعلًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟
 ﴿١٥٨﴾ والله هوريكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة، لا غيره من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.
 ﴿١٥٩﴾ فإذن من الآيات: ١ - قول إسماعيل: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ سبب لتوفيق الله له بالصبر؛ لأنه جعل الأمر لله. ٢ - قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ دليل على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا في غاية التسليم لأمر الله تعالى.

﴿١٧٧﴾ فما كان من قومه إلا أن كذبوه، وبسبب تكذيبهم فهم مُحضرون في العذاب.
 ﴿١٧٨﴾ إلا من كان من قومه مؤمنًا مخلصًا لله في عبادته؛ فإنه ناج من الإحضار إلى العذاب.
 ﴿١٧٩﴾ وأبقينا عليه ثناء حسنًا وذكرًا طيبًا في الأمم اللاحقة.
 ﴿١٨٠﴾ تحية من الله وثناء على إلياس.
 ﴿١٨١﴾ إنا كما جازينا إلياس هذا الجزء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين.
 ﴿١٨٢﴾ إن إلياس من عبادنا المؤمنين حقًا الصادقين في إيمانهم بربهم.
 ﴿١٨٣﴾ وإن لوطًا لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين.
 ﴿١٨٤﴾ فاذكر حين سلمناه وأهله كلهم من العذاب المرسل على قومه.
 ﴿١٨٥﴾ إلا زوجته، فقد كانت امرأة شملها عذاب قومه؛ لكونها كانت كافرة مثلهم.
 ﴿١٨٦﴾ ثم أهلكنا الباقين من قومه ممن كذبوا به، ولم يصدقوا بما جاء به.
 ﴿١٨٧﴾ وإنكم - يا أهل مكة - لتمرون على منازلهم في أسفاركم إلى الشام في وقت الصباح.
 ﴿١٨٨﴾ وتمرون عليها كذلك ليلاً، أفلا تعقلون، وتعظون بما آل إليه أمرهم بعد تكذيبهم وكفرهم وارتكابهم الفاحشة التي لم يسبقوا إليها؟

﴿١٨٩﴾ وإن عبدنا يونس لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين.
 ﴿١٩٠﴾ إذ غضب على قومه وتركهم، وركب سفينة مملوءة من الركاب والأمتعة.
 ﴿١٩١﴾ فأوشكت السفينة أن تغرق لامتلائها، فاقترح الركاب ليُلْقُوا بعضهم؛ خوفاً من غرق السفينة بسبب كثرة الركاب، فكان يونس من هؤلاء المغلوبين، فآلقوه في البحر.
 ﴿١٩٢﴾ فلما آلقوه في البحر أخذه الحوت، وابتلعه، وهو آت بما يلام عليه؛ لذهابه إلى البحر بغير إذن ربه.
 ﴿١٩٣﴾ فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيراً قبل ما حل به، ولولا تسيحه في بطن الحوت.
 ﴿١٩٤﴾ لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة بحيث يصير له قبرًا.
 ﴿١٩٥﴾ فألقيناه من بطن الحوت بأرض خالية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن لمكثه مدة في بطن الحوت.
 ﴿١٩٦﴾ وأنبئنا عليه في تلك الأرض الخالية شجرة من القرع تظله.
 ﴿١٩٧﴾ وأرسلناه إلى قومه وعددهم مائة ألف، بل يزيدون. ﴿١٩٨﴾ فأمنوا وصدقوا بما جاء به، فمتعهم الله في حياتهم الدنيا إلى أن انقضت آجالهم المحددة لهم. ﴿١٩٩﴾ فأسأل - يا محمد - المشركين سؤال إنكار: أتجعلون الله البنات اللاتي تكرهونهن، وتجعلون لكم البنين الذين تحبونهم؟ أي قسمة هذه؟ ﴿٢٠٠﴾ كيف زعموا أن الملائكة إناث، وهم لم يحضروا خلقهم، وما شاهدوه؟ ﴿٢٠١﴾ ألا إن المشركين من كذبهم على الله وافتراءهم عليه. ﴿٢٠٢﴾ لينسبون له الولد، وإنهم لكاذبون في دعواهم هذه. ﴿٢٠٣﴾ هل اختار الله لنفسه البنات اللاتي تكرهونهن على البنين الذين تحبونهم؟ كلا.

﴿٢٠٤﴾ فإِذَا مَرَّ الْأَيَاتُ: ١ - سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبْدُلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ: إِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِهْلَاكُ الْكَافِرِينَ. ٢ - ضَرُورَةُ الْعِظَةِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَصِيرِ الَّذِينَ كَذَبُوا الرُّسُلَ حَتَّى لَا يَحِلَّ بِهِمْ مَا حُلَّ بِغَيْرِهِمْ. ٣ - جَوَازُ الْقُرْعَةِ شَرْعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿١٥٤﴾ ما لكم - أيها المشركون - تحكمون هذا الحكم الجائر حيث تجعلون لله البنات، وتجعلون لكم البنين؟

﴿١٥٥﴾ أفلا تتذكرون بطلان ما أنتم عليه من هذا الاعتقاد الفاسد، فإنكم لو تذكروا لما قلتم هذا القول.

﴿١٥٦﴾ أم لكم حجة جلية وبرهان واضح من كتاب بذلك أو رسول؟

﴿١٥٧﴾ فأتوا بكتابكم الذي يحمل لكم الحجة على هذا إن كنتم صادقين فيما تدعونه.

﴿١٥٨﴾ وجعل المشركون بين الله وبين الجن نسباً حين زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سرّوات الجن، ولقد علمت الجن أن الله سيحضرهم للحساب، فلو كان بينه وبينهم نسب ما أحضرهم لذلك.

﴿١٥٩﴾ تنزه الله وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به سبحانه من الولد والشريك وغير ذلك.

﴿١٦٠﴾ إلا عباد الله المخلصين؛ فإنهم لا يصفون الله إلا بما يليق به سبحانه من صفات الجلال والكمال.

﴿١٦١﴾ فإنكم أنتم - أيها المشركون - وما تعبدون من دون الله.

﴿١٦٢﴾ لستم بمضلين من أحد عن دين الحق.

﴿١٦٣﴾ إلا من قضى الله عليه أنه من أصحاب النار، فإن الله ينفذ فيه قضاءه فيكفر، ويدخل النار، أما أنتم ومعبوداتكم فلا قدرة لكم على ذلك.

﴿١٦٤﴾ وقالت الملائكة مبينة عبوديتها لله، وبراءتها مما زعمه المشركون: وليس منا أحد إلا له مقام معلوم في عبادة الله وطاعته.

﴿١٦٥﴾ وإنا - نحن الملائكة - لواقفون صفوفاً في عبادة الله وطاعته، وإنا لمنزّهون الله عما لا يليق به من الصفات والنعوت. ﴿١٦٦﴾ - ﴿١٧٠﴾ وإن المشركين من أهل مكة كانوا يقولون قبل بعثة محمد ﷺ: لو كان عندنا كتاب من كتب الأولين كالتوراة مثلاً، لأخلصنا لله العبادة، وهم كاذبون في ذلك، فقد جاءهم محمد ﷺ بالقرآن فكفروا به، فسوف يعلمون ما ينتظرهم من العذاب الشديد يوم القيامة. ﴿١٧١﴾ - ﴿١٧٢﴾ ولقد سبقت كلمتنا التي لا معقب لها ولا راد لرسلنا أنهم منصورون على أعدائهم بما من الله عليهم به من الحجة والقوة، وأن الغلبة لجندنا الذين يقاتلون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا. ﴿١٧٣﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المشركين المعاندين إلى مدة يعلمها الله حتى يأتي وقت عذابهم. ﴿١٧٤﴾ وانظرهم حين ينزل بهم العذاب، فسيبصرون هم حين لا ينفعهم إصرار. ﴿١٧٥﴾ أفيستعجل هؤلاء المشركون بعذاب الله؟ ﴿١٧٦﴾ فإذا نزل عذاب الله بهم فبئس الصباح صباحهم. ﴿١٧٧﴾ وأعرض - أيها الرسول - عنهم حتى يقضي الله بعذابهم. ﴿١٧٨﴾ وانظر فسينظر هؤلاء ما يحل بهم من عذاب الله وعقابه. ﴿١٧٩﴾ تنزه ربك - يا محمد - رب العزة، وتقدس عما يصفه به المشركون من صفات النقص. ﴿١٨٠﴾ وتحية الله وتناؤه على رسله الكرام. ﴿١٨١﴾ والثناء كله لله ﷻ، فهو المستحق له، وهو رب العالمين جميعاً، لا رب لهم سواه.

﴿١٨٢﴾ **فَإِنْ مِنْكُمْ آلَاءٌ:** ١ - سُنَّه الله نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. ٢ - في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته منجيهم من إضلال الضالين المضلين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْإِبَادَ اللَّهُ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكُفُّوا رُءُوسَهُمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِجُندِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْعَلَيُونَ ﴿١٧٣﴾ فَقُلْ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِطِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ الْاَنْعَامِ

الْبَنَاءُ

الْمَعْنَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على قضية المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

﴿التفسير﴾:

﴿ص﴾ تقدم الكلام على نظائرها من الحروف المقطعة في بداية سورة البقرة. أقسم بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، ليس الأمر كما يظنه المشركون من وجود شركاء مع الله. ﴿٢﴾ لكن الكافرين في حمية وتكبر عن توحيد الله، وفي خلاف مع محمد ﷺ وعداوة له. ﴿٣﴾ كم أهلكتنا من قبلهم من القرون التي كذبت برسلكها فنادوا مستغيثين عند نزول العذاب عليهم، وليس الوقت وقت خلاص لهم من العذاب فتنفعهم الاستغاثة منه. ﴿٤﴾ وتعجبوا حين جاءهم رسول من أنفسهم يخوفهم من عذاب الله إن استمروا على كفرهم، وقال الكافرون حين شاهدوا البراهين على صدق ما جاء به محمد ﷺ: هذا رجل ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه من أنه رسول من الله يوحى إليه. ﴿٥﴾ أجعل هذا الرجل الآلهة المتعددة إلهاً واحداً لا إله غيره؟ إن صنيعه هذا لغاية في العجب. ﴿٦﴾ وانطلق أشرافهم وكبرأؤهم قائلين لأتباعهم: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دين محمد، واثبتوا على عبادة آلهتكم، إن ما دعاكم

إليه محمد من عبادة إله واحد شيء مُدْبِرٌ يريدُه هو ليعلو علينا ونكون له أتباعاً. ﴿٧﴾ ما سمعنا بما يدعوننا إليه محمد من توحيد الله فيما وجدنا عليه آبائنا، ولا في ملة عيسى عليه السلام، وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب وافتراء. ﴿٨﴾ أيصح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة الكبراء، بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يذوقوا عذاب الله، فاغتروا بإمهالهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. ﴿٩﴾ أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطيهما من يشاء، وليست هي لهم هم حتى يمنحوها من شأؤوا ويمنعوها من أرادوا. ﴿١٠﴾ أم لهم ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيهما؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء ليتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. ﴿١١﴾ هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ جند مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت رسلها فأهلكناها، فيجري على هذا الجند ما جرى على غيره. ﴿١٢﴾ ليس هؤلاء المكذبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب فرعون ذو القوة. ﴿١٣﴾ وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، أولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا على تكذيب رسلهم والكفر بما جاؤوا به. ﴿١٤﴾ ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم عقابه وإن تأخر إلى حين. ﴿١٥﴾ وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن يُنْفَخَ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. ﴿١٦﴾ وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة.

﴿فَوَارِضُ الْآيَاتِ﴾: ١ - أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ٢ - سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر والتجبر والاستعلاء عن اتباع الحق، ومخالفة الله تعالى وهدى رسوله ﷺ.

﴿١٧﴾ اصبر - أيها الرسول - على ما يقوله هؤلاء المكذبون مما لا يرضيك، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على مقارعة أعدائه والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة، والعمل بما يرضيه.

﴿١٨﴾ إنا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه إذا سبح آخر النهار وأوله عند الإشراق.

﴿١٩﴾ وسخرنا الطير محبوسة في الهواء، كل مطيع يسبح تبعاً له.

﴿٢٠﴾ وقوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة والنصر على أعدائه، وأعطيناه النبوة والصواب في أموره، وأعطيناه البيان الشافي في كل قصد، والفصل في الكلام والحكم.

﴿٢١﴾ وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين علّوا على داود عليه السلام مكان عبادته.

﴿٢٢﴾ إذ دخلا على داود فجأة، فارتاع من دخولهما عليه فجأة بهذه الطريقة غير المألوفة للدخول عليه، فلما تبين لهما ارتياعه قال: لا تخف؛ فنحن خصمان ظلم أحدا الآخر، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجرّ علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل الذي هو سبيل الصواب.

﴿٢٣﴾ قال أحد الخصمين لداود عليه السلام: إن هذا

اصبر على ما يقولون وأذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴿١٧﴾
إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴿١٨﴾ والطير
محبوسة كل له أواب ﴿١٩﴾ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمه
وفصل الخطاب ﴿٢٠﴾ وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا
الحراب ﴿٢١﴾ إذ دخلوا على داود ففرج منهم قالوا لا تخف
خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا شطط
وأهدنا إلى سواء الصراط ﴿٢٢﴾ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب ﴿٢٣﴾ قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الظلم لبيّ
بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولعل
ما هم وظن داود أنما فرطه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب
﴿٢٤﴾ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب
﴿٢٥﴾ ينادي داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴿٢٦﴾

الرجل أخي، له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبنى في الحجة.

﴿٢٤﴾ فحكم داود بينهما وقال مخاطباً صاحب الدعوى: لقد ظلمك أخوك حين سألك ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حقه وعدم الإنصاف، إلا المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود عليه السلام أنما أوقعناه في فتنة بهذه الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

﴿٢٥﴾ فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة.

﴿٢٦﴾ يا داود، إنا صيرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقراءة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب، إذ لو كانوا يذكرونه ويخافون منه لما مالوا مع أهوائهم.

﴿٢٧﴾ فإلزام الأيات:

١ - بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من معجزات. ٢ - الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة بنسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه. ٣ - استدلال العلماء بقوله تعالى: ﴿وإن كثيرا من الظلم لبيّ بعضهم على بعض﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر.

﴿٧٧﴾ وما خلقنا السماء وما خلقنا الأرض عبثاً، بل خلقناهما لحكمة بالغة للدلالة على قدرة الله، وليعمل فيهما بطاعته، ذلك ظن الذين كفروا الذين يظنون أنهما خُلِقتا عبثاً، فويل لهؤلاء الكافرين الذين يظنون هذا الظن من عذاب النار يوم القيامة إذا ماتوا على ما هم عليه من الكفر وظن السوء بالله.

﴿٧٨﴾ لن نجعل الذين صدقوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحات مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا نجعل المتقين لربهم بامثال أوامر واجتناب نواهيه مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله ﷻ، بل يجازي الله المؤمنين الأتقياء بدخول الجنة، ويعاقب الكافرين الأشقياء بدخول النار؛ لأنهم لا يستون عند الله، فلا يستوي جزاؤهم عنده.

﴿٧٩﴾ إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها النبي - وهو كثير الخير والنفع، أنزلناه ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعتز به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

﴿٨٠﴾ وهبنا لداود ابنه سليمان إنعاماً منا عليه وتفضلاً لتقر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير التوبة والرجوع إلى الله والإجابة إليه.

﴿٨١﴾ اذكر حين عرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاثة قوائم، وترفع الرابعة، فلم تزل تُعرض عليه تلك الخيول الأصيلة حتى غربت الشمس.

﴿٨٢﴾ فقال سليمان: إني آثرت حب المال - ومنه هذه الخيل - على ذكر ربي حتى غابت الشمس.

﴿٨٣﴾ ردوا علي هذه الخيل، فردوها عليه، فبدأ يضرب بالسيف سوقها وأعناقها.

﴿٨٤﴾ ولقد اخترنا سليمان وألقينا على كرسيه شق ولد، وذلك لما أقسم بالله ليطوفن على نسائه، وتأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل في يمينه هذه: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تلد واحدة منهن إلا واحدة ولدت شق ولد، ثم تاب سليمان إلى ربه.

﴿٨٥﴾ قال سليمان: يا رب، اغفر لي ذنوبي، وأعطني ملكاً خاصاً بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك - يا رب - كثير العطاء، عظيم الجود. ﴿٨٦﴾ فاستجبت له وذلنا له الريح تنقاد بأمره لينة، لا زعزعة فيها مع قوتها وسرعة جريها، تحمله حيث أراد. ﴿٨٧﴾ وذلنا له الشياطين يأتمرون بأمره، فمنهم البناؤون، ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار، فيستخرجون اللؤلؤ منها. ﴿٨٨﴾ ومن الشياطين مرده سُحُروا له، فهم موثقون في الأغلال لا يستطيعون التحرك. ﴿٨٩﴾ يا سليمان، هذا عطاؤنا الذي أعطيناك استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن نحاسب في إعطاء أو منع. ﴿٩٠﴾ وإن سليمان عندنا لمن المقربين، وله حُسن مرجع يرجع إليه وهو الجنة. ﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب حين دعا الله ربه: أي أصابني الشيطان بأمر متعب معذب. ﴿٩٢﴾ فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فضرب برجله الأرض، فنبع له منها ماء يشرب منه ويغتسل، فيذهب ما به من الضر والأذى.

﴿٩٣﴾ فإذن من الآيات: ١ - الحث على تدبر القرآن. ٢ - في الآيات دليل على أنه بحسب سلامة القلب وفطنة الإنسان يحصل له التذكر والانتفاع بالقرآن الكريم. ٣ - ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة. ٤ - في الآيات دليل على صحة القاعدة المشهورة «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

﴿٤٢﴾ فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضرر، وأعطيناه أهله، وزدناه عليهم مثلهم من البنين والحفدة رحمة منا به، وجزاء له على صبره، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب. ﴿٤٣﴾ حين غضب أيوب على زوجته، فأقسم ليضربنها مئة جلدة، قلنا له: خذ - يا أيوب - بيدك حزمة شماريخ فاضربها إبراراً لقسمك، ولا تحنت في قسمك الذي أقسمته، فأخذ بحزمة شماريخ فاضربها بها، إنا وجدناه صابراً على ما ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه كثير الرجوع والإنابة إلى الله. ﴿٤٤﴾ واذكر - أيها الرسول - عبادنا الذين اصطفيانهم ورسلنا الذين أرسلناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله وتلمس مرضاته، وكانوا أصحاب بصيرة في الحق صادقة. ﴿٤٥﴾ إنا منّا عليهم بخاصة اختصاصهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح ودعوة الناس إلى العمل لها. ﴿٤٦﴾ وإنهم عندنا لمنن اصطفيانهم لطاعتنا وعبادتنا، واختارناهم لحمل رسالتنا وتبليغها للناس. ﴿٤٧﴾ واذكر - أيها النبي - إسماعيل بن إبراهيم، واذكر اليسع، واذكر ذا الكفل، وأثن عليهم بأحسن ثناء، فهم أهل له، وكل هؤلاء من المختارين عند الله المصطفين. ﴿٤٨﴾ هذا ذكر لهؤلاء بالثناء الجميل في القرآن، وإن للمؤمنين بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه

ورهبنا له، أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴿٤٩﴾ وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به، ولا تحنت إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴿٥٠﴾ واذكر عبدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴿٥١﴾ إنا آخضنهم بخاصة ذكرى الدار ﴿٥٢﴾ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴿٥٣﴾ واذكر يسع واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴿٥٤﴾ هذا ذكر وإن للمؤمنين لحسن مآب ﴿٥٥﴾ جنت عدن مفتحة لهم الأبواب ﴿٥٦﴾ متكئين فيها يدعون فيها بفرحهم كثير وشراب ﴿٥٧﴾ وعندهم قصر الطرف أنراب ﴿٥٨﴾ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴿٥٩﴾ إن هذا الرزقنا ما لهم نفاذ ﴿٦٠﴾ هذا أو ابك للظفين لشر مآب ﴿٦١﴾ جهنم يصلونها فإفس لهاد ﴿٦٢﴾ هذا فليدوقوه ميم وعساق ﴿٦٣﴾ وءاخر من شكله أزواج ﴿٦٤﴾ هذا فوج مفرجهم معكم لا مرجأ بهم إنهم صالوا النار ﴿٦٥﴾ قالوا بل أنتم لا مرجأ بكم أنتم قد تمتموه لنا فإفس القرار ﴿٦٦﴾ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴿٦٧﴾

لمرجعاً حسناً في الدار الآخرة. ﴿٦٨﴾ هذا المرجع الحسن هو جنات إقامة يدخلونها يوم القيامة، وقد فتحت لهم أبوابها احتفاء بهم. ﴿٦٩﴾ متكئين على الأرائك المزينة لهم، يطلبون من خدامهم أن يقدموا لهم ما يشتهون من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب مما يشتهونه من خمر وغيرها. ﴿٧٠﴾ وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، وهن مستويات في السن. ﴿٧١﴾ هذا ما توعدون - أيها المتقون - من الجزاء الطيب يوم القيامة على أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها في الدنيا. ﴿٧٢﴾ إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء لرزقنا نرزق به المتقين يوم القيامة، وهو رزق مستمر، لا ينقطع ولا ينتهي. ﴿٧٣﴾ هذا الذي ذكرنا جزاء المتقين، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لجزاء مغايراً لجزاء المتقين، فلهم شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة. ﴿٧٤﴾ هذا الجزاء هو جهنم تحيط بهم، ويعانون حرها ولهبها، لهم منها فراش، فبئس الفراش فراشهم. ﴿٧٥﴾ هذا العذاب ماء متناهي الحرارة، وصديد سائل من أجساد أصحاب النار المعذبين فيها، فليشربوه، فهو شرابهم الذي لا يروي من عطش. ﴿٧٦﴾ ولهم عذاب آخر من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب يُعذبون بها في الآخرة. ﴿٧٧﴾ وإذا دخل أهل النار وقع بينهم ما يقع بين الخصوم من الشتم، وتبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة من أهل النار داخله النار معكم، فيجيبونهم: لا مرجأ بهم إنهم مقاسون من عذاب النار مثل ما نفاسيه. ﴿٧٨﴾ قال فوج الأتباع لسادته المتبعين: بل أنتم - أيها السادة المتبعون - لا مرجأ بكم، فأنتم من تسببتم لنا بهذا العذاب الأليم بإضلالكم لنا وإغواكم، فبئس القرار هذا القرار، قرار الجميع الذي هو نار جهنم. ﴿٧٩﴾ قال الأتباع: يا ربنا، من أضلنا عن الهدى بعد إذ جاءنا فاجعل عذابه في النار عذاباً مضاعفاً.

﴿٨٠﴾ فإنا من الآيات: ١ - من صبر على الضر فالله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وآجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. ٢ - لم يكن مرض أيوب علة منقراً؛ لأنه نبي يخالط الناس. ٣ - في الآيات دليل على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً ضرباً غير مبرح؛ فأيوب علة حلف على ضرب امرأته ففعل.

﴿١٢﴾ وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.

﴿١٣﴾ أكانت سخريتنا واستهزاؤنا بهم خطأ فلم يستحقوا العذاب، أم أن استهزاءنا بهم كان صواباً، وقد دخلوا النار، ولم تقع عليهم أبصارنا؟ ﴿١٤﴾ إن ذلك الذي ذكرنا لكم من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق لا مرية فيه ولا ريب.

﴿١٥﴾ قل - يا محمد - للكفار من قومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يوقعه عليكم بسبب كفركم به وتكذيبكم لرسله، وليس يوجد إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه، فهو المنفرد في عظمته وصفاته وأسمائه، وهو القهار الذي قهر كل شيء، فكل شيء خاضع له.

﴿١٦﴾ وهو رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما، وهو العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، وهو الغفار للذنوب التائبين من عباده.

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: إن القرآن خبر ذو شأن عظيم.

﴿١٨﴾ أنتم عن هذا الخبر العظيم الشأن معرضون، لا تلتفتون إليه.

﴿١٩﴾ ليس لي من علم بما كان يدور من حديث بين الملائكة بشأن خلق آدم، لولا أن الله أوحى إليّ وعلمني.

﴿٢٠﴾ إنما يوحي الله إليّ ما يوحيه لأنّي نذير لكم من عذابه بين النذارة.

﴿٢١﴾ اذكر حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشراً من طين وهو آدم ﷺ.

﴿٢٢﴾ فإذا سوّيت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.

﴿٢٣﴾ فامثل الملائكة أمر ربهم، فسجدوا جميعهم سجود تحية وتكريم، ولم يبق منهم أحد إلا سجد لآدم.

﴿٢٤﴾ إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان بتكبره على أمر ربه من الكافرين.

﴿٢٥﴾ قال الله: يا إبليس، أي شيء منعك من السجود لآدم الذي خلقته بيدي؟ أمنعك من السجود التكبر، أم كنت من قبل ذا تكبر وعلو على ربك؟

﴿٢٦﴾ قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار أشرف عنصرًا من الطين.

﴿٢٧﴾ قال الله لإبليس: فأخرج من الجنة فإنك ملعون مشتموم.

﴿٢٨﴾ وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة.

﴿٢٩﴾ قال إبليس: فأمهلني ولا تمنني إلى يوم تبعث عبادك.

﴿٣٠﴾ قال الله: فإنك من الممهلين.

﴿٣١﴾ إلى يوم الوقت المعلوم المحدد لإهلاكك.

﴿٣٢﴾ قال إبليس: فأقسم بقدرتك وقهرك، لأضلل بني آدم أجمعين.

﴿٣٣﴾ إلا من عصمت أنت من إضلائي وأخلصته لعبادتك وحذك.

﴿٣٤﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الكبر مانع من التوفيق للحق. ٢ - القياس والاجتهاد مع وجود النص الواضح مسلوك باطل. ٣ - كفر إبليس

كفر عناد. ٤ - من أخلصهم الله لعبادته من الخلق لا سبيل للشيطان عليهم.

﴿٨٤﴾ قال الله تعالى: فالحق مني، والحق أقوله، لا أقول غيره.

﴿٨٥﴾ لأملأن يوم القيامة جهنم منك ومن ذريتك - يا إبليس - ومن تبعك في كفرك من بني آدم أجمعين.

﴿٨٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على ما أبلغكم من النصح من جزاء، وما أنا من المتكلمين بالإتيان بزيادة على ما أمرت به.

﴿٨٧﴾ ليس القرآن إلا تذكيرًا للمكلفين من الإنس والجن.

﴿٨٨﴾ ولتعلمن خبر هذا القرآن، وأنه صادق بعد وقت قريب حين تموتن.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

— مكية —

﴿٨٩﴾ مقصد السورة:

تركز على الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبد الشرك، وعاقبة كل في الآخرة.

﴿٩٠﴾ التفسير:

﴿٩١﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، ليس مُتَزَلًّا من غيره سبحانه.

﴿٩٢﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق، فأخبره كلها صادقة

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

وأحكامه جميعها عادلة، فاعبد الله موحدًا له، مخلصًا له التوحيد من الشرك.

﴿٦﴾ ألا الله الدين الخالي من الشوائب، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان والطواغيت يعبدونهم من دون الله معتذرين عن عبادتهم لهم بقولهم: ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا إلى الله منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه، ويشفعوا لنا عنده؛ إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين وبين الكافرين المشركين يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية إلى الحق من هو كاذب على الله ينسب له الشريك، مُنْكَرٌ نَعَمَ الله عليه.

﴿٧﴾ لو أراد الله اتخاذ ولد - كما يزعمه المشركون تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا - لاختار من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزهه وتقدهس عما يقوله هؤلاء المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها، القهار لجميع خلقه.

﴿٨﴾ خلق السماوات وخلق الأرض لحكمة بالغة، لا عبثًا كما يقول الظالمون، يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، ودُلِّلَ الشمس، ودُلِّلَ القمر، كل منهما يجري لوقت مُّقَدَّر هو انقضاء هذه الحياة، ألا هو سبحانه العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغالبه أحد، الغفار لذنوب من تاب من عباده.

﴿٩﴾ فوائد من الآيات:

١ - الداعي إلى الله يحاسب الأجر من عنده، لا يريد من الناس أجرًا على ما يدعوهم إليه من الحق.

٢ - التكلف ليس من الدين.

٣ - التوسل إلى الله يكون بأسمائه وصفاته وبالإيمان وبالعمل الصالح لا غير.

① خلقكم ربكم - أيها الناس - من نفس واحدة هي آدم، ثم خلق من آدم زوجة حواء، وخلق لكم من الإبل والبقر والضأن والمعز ثمانية أنواع، من كل صنف خلق ذكراً وأنثى، ينشئكم سبحانه في بطون أمهاتكم طوراً بعد طور في ظلمات البطن والرحم والمَشِيمة، ذلكم الذي يخلق ذلك كله هو الله ربكم، له وحده الملك، لا معبود بحق غيره، فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟

② إن تكفروا - أيها الناس - بربكم فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، وإنما ضرر كفركم عائد إليكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، ولا يأمرهم بالكفر؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، وإن تشكروا الله على نعمه، وتوأمنا به يَرْضَ شُكْرَكُمْ، ويشبكم عليه، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ثم إلى ربكم وحده مرجعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم على أعمالكم، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

③ وإذا أصاب الكافر ضرٌّ من مرض وفقد مال وخوف غرق دعا ربه سبحانه أن يكشف

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ خَلْقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ④ إِنَّ تَكْفُرًا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑤ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَنَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ⑥ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ⑦ أَمَّا اللَّيْلُ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُلَاءِ أَلَّا يَلْتَب ⑧ قُلْ يَعْبَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُورَ رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ⑨

عنه ما به من ضرٍّ راجعاً إليه وحده، ثم إذا أعطاه نعمة بأن كشف عنه الضر الذي أصابه ترك من كان يتضرع إليه من قبل وهو الله، وجعل الله شركاء يعبدهم من دونه، قل - أيها الرسول - لمن هذه حاله: استمتع بكفره بقية عمره، وهو زمن قليل، فإنك من أصحاب النار الملازمين لها يوم القيامة ملازمة الصاحب صاحبه.

① أم من هو مطيع لله يقضي أوقات الليل ساجداً لربه وقائماً له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه خيراً، أم ذلك الكافر الذي يعبد الله في الشدة ويكفر به في الرخاء، ويجعل مع الله شركاء؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ما أوجب الله عليهم بسبب معرفتهم بالله وأولئك الذين لا يعلمون شيئاً من هذا؟ إنما يعرف الفرق بين هذين الفريقين أصحاب العقول السليمة.

② قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا بي وبرسلي: اتقوا ربكم بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، للذين أحسنوا منكم العمل في الدنيا حسنة في الدنيا بالنصر والصحة والمال، وفي الآخرة بالجنة، وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها حتى تجدوا مكاناً تعبدون الله فيه، لا يمنعكم مانع، إنما يُعْطَى الصابرون ثوابهم يوم القيامة دون عدٍّ ولا مقدار لكثرته وتنوعه.

③ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - رعاية الله للإنسان في بطن أمه. ٢ - ثبوت صفة الغنى وصفة الرضا لله. ٣ - تعرّف الكافر إلى الله في الشدة، وتنكره له في الرخاء دليل على تخبطه واضطرابه. ٤ - الخوف والرجاء صفتان من صفات أهل الإيمان. ٥ - نفي مساواة الكافر العاصي والمؤمن المطيع.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول -: إني أمرني الله أن أعبد وحده مخلصاً له العبادة، أمرني بذلك، وأمر من يتبعني.

﴿١٢﴾ وأمرني أن أكون أول من أسلم له وانقاد من هذه الأمة.

﴿١٣﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله ولم أطعه عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: إني أعبد الله وحده مخلصاً له العبادة، لا أعبد معه غيره.

﴿١٥﴾ فاعبدوا أنتم - أيها المشركون - ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر للتهديد)، قل - أيها الرسول -: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم، وخسروا أهلهم، فلم يلقوهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن يلتقوا أبداً، ألا ذلك حقاً هو الخسران الواضح الذي لا ليس فيه.

﴿١٦﴾ لهم من فوقهم دخان ولهب وحر، ومن تحتهم دخان ولهب وحر، ذلك المذكور من العذاب يخوف الله به عباده، يا عبادي، فاتقوني بامثال أوامري واجتنب نواهي.

ولما ذكر الله المجرمين ذكر أحوال عباده الصالحين فقال:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا

ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ

وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَجْعَلُونَ ﴿١٦﴾

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُقَدِّمُ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِهِنَّ لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَجْرَى

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبُوعٌ فِي الْأَرْضِ تُعْرِ

يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً لَوْنُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفًى كَرَامًا

يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

﴿١٧﴾ والذين اجتنبوا عبادة الأوثان، وكل ما يعبد من دون الله، ورجعوا إلى الله بالتوبة؛ لهم البشرى بالجنة عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة، فبشّر - أيها الرسول - عبادي.

﴿١٨﴾ الذين يستمعون القول ويميزون بين الحسن منه والقيح، فيتبعون أحسن القول لما فيه من النفع، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

﴿١٩﴾ من وجبت عليه كلمة العذاب لاستمراره في كفره وضلاله، فلا حيلة لك - أيها الرسول - في هدايته، وتوفيقه، أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إنقاذ من هذه صفته من النار؟

﴿٢٠﴾ لكن الذين اتقوا ربهم؛ بامثال أوامره واجتنب نواهي، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعداً، والله لا يخلف الميعاد، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

﴿٢١﴾ إنكم تعلمون بالمشاهدة أن الله أنزل من السماء ماء المطر، فأدخله في الأرض، ثم أخرجه عيوناً وأنهاراً، ثم يخرج بهذا الماء زرعاً مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراه - أيها المشاهد - مصفراً اللون بعد أن كان مخضراً، ثم يجعله بعد يبسه متكسراً متهشماً، إن في ذلك المذكور لتذكيراً لأصحاب القلوب الحية.

﴿٢٢﴾ فإلهام من الآيات:

١ - إخلاص العبادة لله شرط في قبولها.

٢ - المعاصي توجب عذاب الله وغضبه.

٣ - هداية التوفيق إلى الإيمان بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

﴿٢٢﴾ أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله؟ لا يستويان أبدًا، فالنجاة للمهتدين، والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

﴿٢٣﴾ الله نزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الذي هو أحسن حديث، أنزله متشابهًا يشبه بعضه بعضًا في الصدق والحسن والائتلاف وعدم الخلاف، تتعدد فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الحق، وصفات أهل الباطل وغير ذلك، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا ما فيه من الوعيد والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من الرجاء والبشارات، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء، ومن يخذله الله، ولم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٤﴾ أيسوى هذا الذي هداه الله، ووفقه في الدنيا وأدخله الجنة في الآخرة، ومن كفر ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟! وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي على سبيل التوبيخ: ذوقوا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي، فهذا جزاؤكم.

﴿٢٥﴾ كذبت الأمم التي كانت قبل هؤلاء

المشركين، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به فيستعدون له بالتوبة.

﴿٢٦﴾ فأذاقهم الله بذلك العذاب الخزي والعار والفضيحة في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرون أعظم وأشد لو كانوا يعلمون.

﴿٢٧﴾ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه منها، فيعملوا بالحق، ويتركوا الباطل.

﴿٢٨﴾ جعلناه قرآنًا بلسان عربي، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، رجاء أن يتقوا الله؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٩﴾ ضرب الله مثلًا للمشرك والموحد رجلًا مملوكًا لشركاء متنازعين؛ إن أرضى بعضهم أغضب بعضًا، فهو في حيرة واضطراب، ورجلًا خالصًا لرجل، وحده يملكه، ويعرف مراده فهو في طمأنينة وهدوء بال، لا يستوي هذان الرجلان. الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون مع الله غيره.

﴿٣٠﴾ إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون لا محالة.

﴿٣١﴾ ثم إنكم - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تتنازعون فيه، فيتبين المحق من المبطل.

﴿٣٢﴾ فإذن من الآيات:

١ - لا يستوي من كان على هدى من ربه ومن كان قلبه قاسيًا وهو في ضلال مبين. ٢ - القرآن الكريم هو أحسن الحديث؛ لأنه كلام الله وهو صادق في كل ما جاء به. ٣ - أهل الإيمان والتقوى هم الذين يخشعون لسماع القرآن، وأهل المعاصي والخذلان هم الذين لا ينتفعون به. ٤ - التكذيب بما جاءت به الرسل سبب نزول العذاب إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا. ٥ - لم يترك القرآن شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه، إما إجمالًا أو تفصيلًا، وضرب له الأمثال.

﴿٣١﴾ وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ نَسَبَ إِلَى اللَّهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ؛ مِنَ الشَّرِيكِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، وَكَذَبَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَقِّ، أَلَيْسَ فِي النَّارِ مَأْوًى وَمَسْكَنٌ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ؟ بَلَى، إِنْ لَهُمْ لِمَأْوًى وَمَسْكَنًا فِيهَا.

ولما ذكر الله الكاذب المكذب ذكر الصادق المصدق، فقال:

﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَصَدَّقَ بِهِ مُؤْمِنًا، وَعَمِلَ بِمَقْتَضَاهُ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ حَقًّا، الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ أَمْرَ رَبِّهِمْ، وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ.

﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ مِنَ الْمِلذَّاتِ الدَّائِمَةِ، ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ أَعْمَالِهِمْ مَعَ خَالِقِهِمْ وَمَعَ عِبِيدِهِ.

﴿٣٤﴾ لِيُمَحِّوَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا؛ لِتَوْبَتِهِمْ مِنْهَا، وَإِنَابَتِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَجْزِيَهُمْ ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الصَّالِحَاتِ.

﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَمْرَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَدَفَعَ عَدُوَّهُ عَنْهُ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَكَافٍ، وَيُخَوِّفُكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ جَهْلِهِمْ وَسَفَاهَتِهِمْ، مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا

﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَجَزَّيْهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤١﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٤٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ يَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٥﴾

من دون الله أن تنالك بسوء، ومن يخذله الله ولم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه ويوفقه. ﴿٤٦﴾ ومن يوفقه الله للهداية فلا مضل يستطيع إضلاله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به ويعصيه؟ بلى إنه لعزيز ذو انتقام.

﴿٤٧﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم إظهاراً لعجز آلهتهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، إن أراد الله أن يصيبني بضر هل تملك إزالة ضرره عني؟ أو إن أراد ربي أن يمنحني رحمة منه هل تستطيع منع رحمته عني؟ قل لهم: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري كلها، وعليه وحده يعتمد المتوكلون.

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا قومي، اعملوا على الحالة التي ارتضيتموها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني ربي به؛ من الدعوة إلى توحيد، وإخلاص العبادة له، فسوف تعلمون عاقبة كل مسلك.

﴿٤٩﴾ سوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهينه، وينزل عليه في الآخرة عذاب مقيم، لا ينقطع، ولا يزول.

﴿٥٠﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ثبوت حفظ الله للرسول ﷺ أن يصيبه أعداؤه بسوء.
- ٢ - الإقرار بتوحيد الربوبية فقط بغير توحيد الألوهية، لا ينجي صاحبه من عذاب النار.

﴿٤١﴾ إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴿٤٢﴾ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسيك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون ﴿٤٣﴾ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولئك لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴿٤٤﴾ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون ﴿٤٥﴾ وإذا ذكر الله وحده أشمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴿٤٦﴾ قل اللهم فاطر السموات والأرض عليم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴿٤٧﴾ ولأن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لا فائدة لهم من سوء العذاب يوم القيامة وبذلك الله ما لم يكونوا يحسبون

﴿٤٨﴾ إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه، فمن ضل فإنما يضل عليها، فإنا نفع هدايته لنفسه، فالله لا تنفعه هدايته؛ لأنه غني عنها، ومن ضل فإنما ضرر ضلاله على نفسه، فالله سبحانه لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلا لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا تبليغهم ما أمرت بتبليغه. ﴿٤٩﴾ الله الذي يقبض الأرواح عند نهاية آجالها، ويقبض الأرواح التي لم تنقض آجالها عند النوم، فيمسك التي حكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمد محدد في علمه سبحانه، إن في ذلك القبض والإرسال والإماتة والإحياء لدلائل لقوم يتفكرون على أن الذي يفعل ذلك قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء.

﴿٤٩﴾ لقد اتخذ المشركون من أصنامهم شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله، قل لهم - أيها الرسول -: أتتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئا، ولا يعقلون؟ فهم جمادات صماء لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله وحده الشفاعة كلها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى، له وحده

ملك السماوات وملك الأرض، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٥١﴾ وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء، وإذا ذكرت الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم مسرورون فرحون.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي.

﴿٥٣﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ما في الأرض من نفائس وأموال؛ لافتدوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فرض أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٥٤﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - النوم والاستيقاظ درسان يوميان للتعريف بالموت والبعث.

٢ - إذا ذكر الله وحده عند الكفار أصابهم ضيق وهم؛ لأنهم يتذكرون ما أمر به وما نهى عنه وهم معرضون عن هذا كله.

٣ - افتداء الكافر يوم القيامة نفسه بكل ما يملك مع بخله به في الدنيا، ولن يقبل منه.

﴿٤٨﴾ وظهر لهم سيئات ما كسبوه من الشرك والمعاصي، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا إذا خُوفوا منه في الدنيا يستهزئون به.

﴿٤٩﴾ فإذا أصاب الإنسان الكافر مرض أو فقر ونحوه دعانا لكشف عنه ما أصابه من ذلك، ثم إذا أعطيناه نعمة من صحة أو مال قال الكافر: إنما أعطاني الله ذلك لعلمه بأني أستحقه، والصحيح أنه ابتلاء واستدراج، ولكن معظم الكافرين لا يعلمون ذلك؛ فيغترون بما أنعم الله به عليهم.

﴿٥٠﴾ قد قال هذا القول الكفار من قبلهم، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الأموال والمنزلة شيئاً.

﴿٥١﴾ فأصابهم جزاء سيئات ما كسبوا من الشرك والمعاصي، والذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي من هؤلاء الحاضرين سيصيبهم جزاء سيئات ما كسبوا مثل الماضين، ولن يفوتوا الله ولن يغلبوه.

﴿٥٢﴾ أقال هؤلاء المشركون ما قالوا، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق على من يشاء ابتلاء له: أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء اختباراً له: أيصبر أم يتسخط على قدر الله؟ إن في ذلك المذكور من توسيع الرزق وتضييقه لدلالات على تدبير الله لقوم

ويبداهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا يهتفون به. ﴿٤٨﴾ فإذا مس الإنسان ضرر دعائهم إذا حولته نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿٤٩﴾ قد قالوا الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿٥٠﴾ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴿٥١﴾ أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون ﴿٥٢﴾ قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴿٥٣﴾ وأنبؤ إلى ربكم وأسلموا لله من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴿٥٤﴾ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعتة وأنتم لا تشعرون ﴿٥٥﴾ أن تقول نفس بحسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن السخريين ﴿٥٦﴾



يؤمنون؛ لأنهم هم الذين يتنفعون بالدلالات، وأما الكفار فهم يمرون عليها وهم عنها معرضون. ﴿٥٣﴾ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تجاوزوا الحد على أنفسهم بالشرك بالله وارتكاب المعاصي: لا تياسوا من رحمة الله، ومن مغفرته لذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب كلها لمن تاب إليه، إنه هو الغفور للذنوب التائبين، الرحيم بهم.

﴿٥٤﴾ وارجعوا إلى ربكم بالتوبة والأعمال الصالحة، وانقادوا له، من قبل أن يأتيكم العذاب يوم القيامة ثم لا تجدون من أصنامكم أو أهليكم من ينصركم بإنقاذكم من العذاب.

﴿٥٥﴾ واتبعوا القرآن الذي هو أحسن ما أنزله ربكم على رسوله، فاعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة وأنتم لا تحسبون به فتستعدوا له بالتوبة.

﴿٥٦﴾ افعلوا ذلك حذر أن تقول نفس من شدة الندم يوم القيامة: يا ندمها على تفریطها في جنب الله بما كانت عليه من الكفر والمعاصي، وعلى أنها كانت تسخر من أهل الإيمان والطاعة.

﴿٥٧﴾ فإيا من الآيات:

١ - الكافر يدعو الله في الضراء، وينساه في السراء.

٢ - النعمة على الكافر استدراج.

٣ - سعة رحمة الله بخلقه.

٤ - الندم النافع هو ما كان في الدنيا، وتبعته توبة نصوح.

﴿٥٧﴾ أو تحتجّ بالقدر، فتقول: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين له، أمتثل أوامره، وأجتنب نواهيه.

﴿٥٨﴾ أو تقول حين تشاهد العذاب مُتَمَنِّية: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين لأعمالهم.

﴿٥٩﴾ ليس الأمر كما زعمت من تمنى الهداية، فقد جاءتك آياتي فكذبت بها وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله وبآياته ورسله.

﴿٦٠﴾ ويوم القيامة تشاهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوهمهم مسودة؛ علامة على شقائهم، ليس في جهنم مقرّ للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟ بلى، إن فيها لمقرّاً لهم.

﴿٦١﴾ ويسلم الله الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العذاب بإدخالهم مكان فوزهم وهو الجنة، لا يمسه العذاب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٦٢﴾ الله خالق كل شيء، فلا خالق غيره، وهو على كل شيء حفيظ، يدبر أمره، ويصرفه كيف يشاء.

﴿٦٣﴾ له وحده مفاتيح خزائن الخيرات في السماوات والأرض، يمنحها من يشاء،

ويمنعها ممن يشاء، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون؛ لحرمانهم من الإيمان في حياتهم الدنيا، ولدخولهم النار خالدين فيها في الآخرة.

﴿٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يراودونك أن تعبد أوثانهم: أنأمروني - أيها الجاهلون بربكم - أن أعبد غير الله؟! لا يستحق العبادة إلا الله وحده، فلن أعبد غيره.

﴿٦٥﴾ ولقد أوحى الله إليك - أيها الرسول -، وأوحى إلى الرسل من قبلك: لئن عبدت مع الله غيره ليبطلن ثواب عملك الصالح، ولتكونن من الخاسرين في الدنيا بخسران دينك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٦٦﴾ بل اعبد الله وحده، ولا تشرك به أحداً، وكن من الشاكرين له على نعمه التي أنعم بها عليك.

﴿٦٧﴾ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين أشركوا به غيره من مخلوقاته الضعيفة العاجزة، وغفلوا عن قدرة الله التي من مظاهرها أن الأرض بما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار يوم القيامة في قبضته، وأن السماوات السبع كلها مطويات بيمينه، تنزه وتقدس وتعالى عما يقوله ويعتقده المشركون.

﴿٦٨﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الكبر خلق ذميم مشؤوم يمنع من الوصول إلى الحق.
- ٢ - سواد الوجه يوم القيامة علامة شقاء أصحابها.
- ٣ - الشرك محبط لكل الأعمال الصالحة.
- ٤ - ثبوت القبضة واليمين لله سبحانه دون تشبيهه ولا تمثيل.

﴿٦٨﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ الْمَلَكُ الْمَوَكِلَ بِالنَّفْخِ فِي الْقُرْنِ يَمُوتُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الْمَلَكُ مَرَّةً ثَانِيَةً لِلْبَعْثِ، فَإِذَا جَمِيعُ الْأَحْيَاءِ قَائِمُونَ يَنْظُرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ.

﴿٦٩﴾ وَأَضَاءَتِ الْأَرْضُ لَمَّا تَجَلَّى رَبُّ الْعِزَّةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَنُشِرَتْ صُحُفُ أَعْمَالِ النَّاسِ، وَجِيءَ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَجِيءَ بِالْمَلَائِكَةِ الْحَفِظَةِ الشُّهَدَاءِ عَلَى أَعْمَالِ النَّاسِ، وَحُكِمَ اللَّهُ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ بِالْعَدْلِ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يَزَادُ إِنْسَانٌ سِئْتَهُ، وَلَا يَنْقُصُ حَسَنَتُهُ.

﴿٧٠﴾ وَأَكْمَلَ اللَّهُ جَزَاءَ كُلِّ نَفْسٍ، خَيْرًا كَانَ عَمَلُهَا أَوْ شَرًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

﴿٧١﴾ وَسَاقَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ ذَلِيلَةً، حَتَّى إِذَا جَاؤُوا جَهَنَّمَ فَتَحَتْ لَهُمْ خَزَنَتُهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَوَكِّلِينَ بِهَا أَبْوَابَهَا، وَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالتَّوْبِيخِ قَائِلِينَ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ جَنَسِكُمْ يَقْرَأُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمِ الْمَنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ، وَيَخَوِّفُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمَّا فِيهِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ؟ قَالَ الَّذِينَ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالْيَتِيمِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْسَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ فَادْخُلُوا مِنْهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَلَا تُخْزَى مِنْهَا أَبْوَابُهَا وَلَكُمْ فِيهَا خَزَائِنُ كَثِيرَةٌ تَبَدَّلُ لَكُمْ وَلَا يَنْصَفُ فِيهَا فَاكِدًا يَذُوقُونَ

﴿٧٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَزَاجٌ جَدِيدٌ كُلَّ يَوْمٍ فِيهَا تَبَدَّلُ لَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا نِسَاءٌ مُطَهَّرَاتٌ كَمَا تَرْضَى لَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَازِلُ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٧٧﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٧٨﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨١﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٢﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٣﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٤﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ وَلَكُمْ فِيهَا جُرُودٌ مُتَبَدِّلَاتٌ وَلَكُمْ فِيهَا نَعِيمٌ غَابِرٌ لَا يَمُوتُ فِيهَا سَمٌّ وَلَا يَمُوتُ فِيهَا قَتْلٌ

﴿٨٦﴾ فَادْخُلُوا مِنْهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَلَا تُخْزَى مِنْهَا أَبْوَابُهَا وَلَكُمْ فِيهَا خَزَائِنُ كَثِيرَةٌ تَبَدَّلُ لَكُمْ وَلَا يَنْصَفُ فِيهَا فَاكِدًا يَذُوقُونَ

١ - ثبوت النفختين.

٢ - بيان الإهانة التي يتلقاها الكفار، والإكرام الذي يُستقبل به المؤمنون.

٣ - ثبوت خلود الكفار في الجحيم، وخلود المؤمنين في النعيم.

٤ - طيب العمل يورث طيب الجزاء.

٧٥ ويكون الملائكة في هذا اليوم المشهود محيطين بالعرش، ينزهون الله عما لا يليق به مما يقوله الكفار، وقضى الله بين جميع الخلائق بالعدل، فأكرم من أكرم، وعذب من عذب، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه بما حكم به من رحمة لعباده المؤمنين، ومن عذاب لعباده الكافرين.

سُورَةُ عَنَّا

— مكية —

● مقصد السورة :

التركيز على قضية معالجة المجادلين في آيات الله بمحاورتهم ودعوتهم للرجوع إلى الحق.

● التفسير :

١ - حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ - تنزيل القرآن المنزل على رسول محمد ﷺ من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بمصالح عباده.

٣ - غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة، فيجازيهم بما يستحقون.

٤ - ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله إلا الذين كفروا بالله لفساد عقولهم، فلا تحزن عليهم، ولا يغرك ما هم فيه من بسط الرزق والنعم، فإمهالهم استدراج لهم ومكر بهم.

٥ - كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذب قبلهم الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فتقتله، وجادلوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فتأمل كيف كان عقابي لهم، فقد كان عقاباً شديداً.

٦ - وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم المكذبة، وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

٧ - الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله، ينزهون ربهم عما لا يليق به، ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا بالله، قائلين في دعائهم: ربنا، وسع علمك ورحمتك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من ذنوبهم، واتبعوا دينك، واحفظهم من النار أن تمسهم.

● فوائد من الآيات :

١ - الجمع بين الترغيب في رحمة الله، والترهيب من شدة عقابه، مسلك حسن.

٢ - أخذ الأمم المكذبة سنة إلهية.

٣ - تنزيه الملائكة لربهم.

٤ - الثناء على الله أدب من آداب الدعاء.

٥ - الدعاء للمسلم بظهر الغيب ينفع الداعي والمدعو له.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِظِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٧٥

سُورَةُ عَنَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم ١ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ ٤ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُوهُ بِالْحَقِّ فَآخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧

﴿٨﴾ وتقول الملائكة: ربنا، وأدخل المؤمنين جنات الخلد التي وعدتهم أن تدخلهم فيها، وأدخل من صلح عمله من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتديرك.

﴿٩﴾ واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب على سيئات أعماله فقد رحمته، تلك الوقاية من العذاب، والرحمة بدخول الجنة؛ هي الفوز العظيم الذي لا يذنيه فوز.

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسله ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويمقتون أنفسهم ويلعنونها: لمقت الله لكم أعظم من مقتكم لأنفسكم حين كنتم تدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله فتكفرون به، وتتخذون معه آلهة.

﴿١١﴾ وقال الكفار مُقِرِّين بذنوبهم حين لا ينفع إقرارهم ولا توبتهم: ربنا، أمتنا مرتين حيث كنا عدماً فأوجدتنا، ثم أمتنا بعد ذلك الإيجاد، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بذنوبنا التي اكتسبناها، فهل إلى خروج من النار من طريق نسلكه فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فترضى عنا؟

﴿١٢﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به هو بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله وحده ولم يشرك به أحد كفرتم به وجعلتم له شركاء، وإذا عبد مع الله شريك أمتتم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقدره وقهره، الكبير.

﴿١٣﴾ الله هو الذي يريكم آياته في الآفاق والأنفس؛ لتدلكم على قدرته ووحدانيته، وينزل لكم من السماء ماء المطر ليكون سبباً لما ترزقون به من النبات والزروع وغيرهما، وما يتعظ بآيات الله إلا من يرجع إليه تائباً مخلصاً.

﴿١٤﴾ فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك وأغضبهم.

﴿١٥﴾ فهو أهل لأن يخلص له الدعاء والطاعة، فهو رفيع الدرجات مبين لجميع خلقه، وهو رب العرش العظيم، ينزل الوحي على من يشاء من عباده ليحيوا ويحيوا غيرهم، وليخوفوا الناس من يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون.

﴿١٦﴾ يوم هم ظاهرون قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا يخفى على الله منهم شيء، لا من ذواتهم ولا أعمالهم ولا جزائهم، يسأل: لمن الملك اليوم؟ ليس الآن إلا جواب واحد؛ الملك لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

﴿١٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - محل قبول التوبة الحياة الدنيا.

٢ - نفع الموعظة خاص بالمتقين إلى ربهم.

٣ - استقامة المؤمن لا تؤثر فيها مواقف الكفار الراضة لديه.

٤ - خضوع الجبابرة والظلمة من الملوك لله يوم القيامة.

﴿٧﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿٩﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانٍ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾

﴿١٦﴾ وَخَوْفَهُمْ - أيها الرسول - يوم القيامة، هذه القيامة التي اقتربت، فهي آتية، وكل ما هو آت قريب، إذ القلوب من شدة هولها مرتفعة حتى تصل إلى حناجر أصحابها، صامتين لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن، ما للظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع إذا قُدِّرَ أنه يشفع.

﴿١٧﴾ يعلم ما تختلسه أعين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٨﴾ والله يحكم بالعدل، فلا يظلم أحداً بنقص من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يحكمون بشيء؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٩﴾ أولم يسر هؤلاء المشركون في الأرض؛ فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كانت تلك الأمم أشد من هؤلاء قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها هؤلاء، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وما كان لهم مانع يمنعهم من عقاب الله.

﴿٢٠﴾ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم لأنهم كانت تأتيتهم رسلهم من الله بالأدلة الواضحة، والمعجزات الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

﴿٢١﴾ ولما واجه ﷺ تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال: وَلَقَدْ بَعَثْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا الْوَاضِحَاتِ، وَبِرْهَانٍ قاطع.

﴿٢٢﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَوَزِيرِهِ هَامَانَ وَإِلَى قَارُونَ، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدّعيه من أنه رسول. ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَرْهَانِ الدَّالِّ عَلَى صِدْقِهِ قَالَ فِرْعَوْنُ: اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ:

١ - شدة أهوال يوم القيامة.

٢ - إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.

٣ - مكر أهل الكفر زائل مهما كانت شدته.

﴿٣٦﴾ وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى عقاباً له، وليدع ربه أن يمنعه مني، فأنا لا أبالي أن يدعو ربه، إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.

﴿٣٧﴾ وقال موسى ﷺ: لِمَا علم بتهديد فرعون له: إني استجرت بربي وربكم من كل متكبر عن الحق والإيمان به، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.

﴿٣٨﴾ وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتُم إيمانه عن قومه منكرًا عليهم عزمهم على قتل موسى: أقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه؟ وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلاً، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفتر عليه وعلى رسله.

﴿٣٩﴾ يا قوم، لكم الملك اليوم غالبين في أرض مصر، فمن ينصرونا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل موسى؟ قال فرعون: الرأي رأيي والحكم حكمي، وقد رأيت أن أقتل موسى؛ دفعاً للشر والفساد، وما

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَذْزَبِينَ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾

أرشدكم إلا إلى الصواب والسداد.

﴿٤٠﴾ وقال الذي آمن ناصحاً قومه: إني أخاف عليكم - إن قتلتم موسى ظلماً وعدواناً - عذاباً مثل عذاب الأحزاب الذين تحزبوا على رسلهم من السابقين فأهلكهم الله.

﴿٤١﴾ كعادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم، فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلماً للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاءً وفاً.

﴿٤٢﴾ ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ينادي الناس بعضهم بعضاً بسبب قرابة أو جاه ظناً منهم أن هذا المسلك ينفعهم في هذا الموقف الرهيب.

﴿٤٣﴾ يوم تولّون هاربين خوفاً من النار، ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ومن يخذله الله، ولا يوفقه للإيمان، فما له من هاد يهديه؛ لأن هداية التوفيق بيد الله وحده.

﴿٤٤﴾ فَوَازِمْ الْآيَاتِ:

١ - إلحاد فرعون.

٢ - لجوء المؤمن إلى ربه ليحميه من كيد أعدائه.

٣ - جواز كتم الإيمان للمصلحة الراجحة أو لدرء المفسدة.

٤ - تقديم النصح للناس من صفات أهل الإيمان.

﴿٢٤﴾ ولقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتُم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفي ازددتم شكًا وارتيابًا، وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا، مثل ضلالكم عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شكًا في وحدانيته.

﴿٢٥﴾ الذين يخاصمون في آيات الله ليطلوهما بغير حجة ولا برهان أتاهم، كبر جدالهم مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله، كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق متجبرًا، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

﴿٢٦﴾ وقال فرعون لوزيره هامان: يا هامان، ابن لي بناءً عاليًا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.

﴿٢٧﴾ رجاء أن أبلغ طرق السماوات الموصلة إليها، فأنظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه المعبود بحق، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه، وهكذا زين لفرعون قبح عمله حين طلب ما طلب من هامان، وصرف عن طريق الحق إلى طرق الضلال، وما مكر فرعون لإظهار باطله الذي هو عليه، وإبطال الحق الذي جاء به موسى إلا في خسار؛ لأن

مالكه الخيبة والإخفاق في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدًا.

﴿٢٨﴾ وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون ناصحًا قومه ومرشدًا إياهم إلى طريق الحق: يا قوم، اتبعوني أدلكم وأرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.

﴿٢٩﴾ يا قوم، إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغرّركم بما فيها من متاع زائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم دائم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة، فاعملوا لها بطاعة الله، واحذروا من الانشغال عن العمل لها بحياتكم الدنيا.

﴿٣٠﴾ من عمل عملًا سيئًا فلن يعاقب إلا بمثل ما عمل، لا يزداد عليه عقاب، ومن عمل عملًا صالحًا يتغني به وجه الله، ذكرًا كان العامل أو أنثى، وهو مؤمن بالله ورسله، فأولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة يدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم المقيم الذي لا ينقطع أبدًا بغير حساب.

﴿٣١﴾ فإذ من الآيات:

١ - الجدال لإبطال الحق وإحقاق الباطل خصلة ذميمة، وهي من صفات أهل الضلال.

٢ - التكبر مانع من الهداية إلى الحق.

٣ - إخفاق حيل ومكر الكفار لإبطال الحق.

٤ - وجوب الاستعداد للآخرة، وعدم الانشغال عنها بالدنيا.

وَيَقُومَ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ۚ لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ وَإِذِ يَحْجُوثُ فِي النَّارِ يَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۖ

٤١) ويا قوم، ما لي أدعوكم إلى النجاة من الخسران في الحياة الدنيا والآخرة بالإيمان بالله والعمل الصالح، وتدعونني إلى دخول النار بما تدعونني إليه من الكفر بالله وعصيانه؟

٤٢) تدعونني إلى باطلكم رجاء أن أكفر بالله، وأعبد معه غيره مما لا علم لي بصحة عبادته مع الله، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، القهار الذي قهر كل شيء.

٤٣) حقاً إن ما تدعونني إلى الإيمان به وإلى طاعته؛ ليس له دعوة يدعى بها بحق في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيب لمن دعاه، وأن مرجعنا جميعاً إلى الله وحده، وأن المسرفين في الكفر والمعاصي هم أصحاب النار الذين يلزمون دخولها يوم القيامة.

٤٤) فرفضوا نصحه، فقال: ستذكرون ما قدمت لكم من نصيح، وتتحسرون على عدم قبوله، وأفوض أموري كلها إلى الله وحده، إن الله بصير بعباده، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٤٥) فحفظه الله من سوء مكرهم حين أرادوا قتله، وأحاط بال فرعون عذاب الغرق، فقد أغرقه الله هو وجنوده كلهم في الدنيا.

٤٦) وبعد موتهم يعرضون على النار في قبورهم أول النهار وآخره، ويوم القيامة يقال: أدخلوا أتباع فرعون أشد العذاب وأعظمه؛ لما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والصد عن سبيل الله.

٤٧) واذكر - أيها الرسول - حين يتخاصم الأتباع والمتبوعون من أصحاب النار، فيقول الأتباع المستضعفون للمتبوعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعاً في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزءاً من عذاب الله بتحملنا عنا؟

٤٨) قال المتبوعون المستكبرون: إنا - سواء كنا أتباعاً أو متبوعين - في النار، ولا يتحمل أحد منا جزءاً من عذاب الآخر، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كل ما يستحقه من العذاب.

٤٩) وقال المعذبون في النار من الأتباع والمتبوعين لخزنة جهنم لما يسوا من الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً واحداً من هذا العذاب الدائم.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الإيمان سبب في النجاة، والكفر سبب في الهلاك.
- ٢ - أهمية التوكل على الله.
- ٣ - نجاة الداعي إلى الحق من مكر أعدائه.
- ٤ - ثبوت عذاب البرزخ.
- ٥ - تعلق الكافرين بأي سبب يريحهم من النار ولو لمدة محدودة، وهذا لن يحصل أبداً.

﴿٥٩﴾ قال خزنة جهنم ردًا على الكفار: أولم تكن تأتيكم رسلكم بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الكفار: بلى، كانوا يأتيوننا بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الخزنة تهكمًا بهم: فادعوا أنتم، فنحن لا نشفع للكفار، وما دعاء الكافرين إلا في بطلان وضيق؛ لعدم قبوله منهم بسبب كفرهم.

ولما ذكر الله قصة فرعون وما آل إليه أمره وأمر أتباعه في الدنيا والآخرة ذكر أمر الرسل والمؤمنين، وما يصيرون إليه من نصر في الدنيا والآخرة فقال:

﴿٥٩﴾ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالله وبرسله في الدنيا بإظهار حججهم وتأيدهم على أعدائهم، وننصرهم يوم القيامة بإدخالهم الجنة، وبعقاب خصومهم في الدنيا بإدخالهم النار بعد أن يشهد أهل الحق من الأنبياء والملائكة على حصول التبليغ وتكذيب الأمم.

﴿٥٩﴾ يوم لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي اعتذارهم عن ظلمهم، ولهم في ذلك اليوم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء الدار في الآخرة بما يلاقونه من العذاب الأليم.

﴿٥٩﴾ ولقد أعطينا موسى المعجزات، والعلم الذي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الحق، وجعلنا التوراة كتابًا متوارثًا في بني إسرائيل يرثونه جيلاً بعد جيل.

﴿٥٩﴾ هداية إلى طريق الحق، وتذكيرًا لأصحاب العقول السليمة.

﴿٥٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما تلاقيه من تكذيب قومك وإيذائهم، إن وعد الله لك بالنصر والتأييد حق لا مرية فيه، واطلب المغفرة لذنبك، وسيح بحمد ربك أول النهار وآخره.

﴿٥٩﴾ إن الذين يخاصمون في آيات الله سعيًا لإبطالها بغير حجة ولا برهان، ما يحملهم على ذلك إلا إرادة الاستعلاء والتكبر على الحق، ولن يصلوا إلى ما يريدونه من الاستعلاء عليه، فاعتصم - أيها الرسول - بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ لخلق السماوات والأرض لضخامتهما واتساعهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما مع عظمهما قادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ليحاسبهم ويجازيهم، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يعتبرون به، ولا يجعلونه دليلًا على البعث مع وضوحه.

﴿٥٩﴾ ولا يستوي الذي لا يبصر والذي يبصر، ولا يستوي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وأحسنوا أعمالهم، لا يستوون مع من يسيء عمله بالاعتقاد الفاسد والمعاصي، لا تذكرون إلا قليلًا؛ إذ لو تذكرتم لعلمتم الفرق بين الفريقين لتسعوا إلى أن تكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات رغبة في مرضاة الله.

﴿٥٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - نصر الله لرسله وللمؤمنين سنة إلهية ثابتة.

٢ - اعتذار الظالم يوم القيامة لا ينفعه.

٣ - أهمية الصبر في مواجهة الباطل.

٤ - دلالة خلق السماوات والأرض على البعث؛ لأن من خلق ما هو عظيم قادر على إعادة الحياة إلى ما دونه.

٥١) إن الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء لآنية لا محالة، لا شك فيها، ولكن معظم الناس لا يصدقون بمجيئها، ولذلك لا يستعدون لها بالإيمان والعمل الصالح.

٥٢) وقال ربكم - أيها الناس -: ادعوني وحدي واعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحداً، إن الذين يتكبرون عن عبادتي وحدي سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.

٥٣) الله هو الذي صير لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه وتستريحوا، وصير النهار مضيئاً منيراً لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس حين أسبغ عليهم من ظاهر نعمه وباطنها، ولكن معظم الناس لا يشكرونه سبحانه على ما أنعم به عليهم منها.

٥٤) ذلكم الله الذي تفضل عليكم بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، لا معبود بحق إلا هو، فكيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يملك نفعا ولا ضرا.

٥٥) كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بآيات الله الدالة على توحيده في كل زمان ومكان، فلا يهتدي إلى حق، ولا يؤقّق لرشد.

٥٦) الله الذي صير لكم - أيها الناس -

إِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ٥١ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٥٢ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا

فِيهِ وَالتَّهَارُ مَبْصُرًا إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٥٣ ذَلِكَ

اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِن تَوَفَّوْا كُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ٥٤

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ ٥٥ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٦ قُلْ

إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٦

٥٦) الله الذي صير لكم - أيها الناس -

الأرض قارة مهيأة لاستقراركم عليها، وصير السماء محكمة البناء فوقكم ممنوعة من السقوط، وصوّركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الله ربكم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها، فلا رب لها غيره سبحانه.

٥٥) هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره، فادعوه دعاء عبادة ومسألة؛ قاصدين وجهه وحده، ولا تشركوا معه غيره من مخلوقاته، الحمد لله رب المخلوقات.

٥٦) قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جاءني البراهين والأدلة الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له وحده بالعبادة، فهو رب الخلائق كلها، لا رب لها غيره.

﴿فوائد الآيات﴾:

١ - دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة.

٢ - نعم الله تقتضي من العباد الشكر.

٣ - ثبوت صفة الحياة لله.

٤ - أهمية الإخلاص في العمل.

﴿٧٧﴾ هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم مُنْعَقِد، ثم بعد ذلك يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا كمال قوتكم، ثم لَتَكْبُرُوا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا أمداً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون عليه، ولعلكم تنتفعون بهذه الحجج والبراهين على قدرته ووحدانيته.

﴿٧٨﴾ هو وحده سبحانه الذي بيده الإحياء، وهو وحده الذي بيده الإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون.

﴿٧٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

﴿٨٠﴾ الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، سوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويرون سوء الخاتمة.

﴿٨١﴾ يعلمون عاقبته حين تكون الأصفاذ في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، تجرهم زبانية العذاب.

﴿٨٢﴾ يسحبونهم في الماء الحار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.

﴿٨٣﴾ ثم قيل لهم تَبَيَّنَّا لَهُمْ وتوبيخاً: أين الآلهة المزعومة التي أشرکتكم بعبادتها؟

﴿٨٤﴾ من دون الله من أصنامكم التي لا تنفع ولا تضر؟ قال الكفار: غابوا عنا فلنسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة، مثل إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.

﴿٨٥﴾ ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه بسبب فرحكم بما كنتم عليه من الشرك، وبتوسّعكم في الفرح.

﴿٨٦﴾ ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها أبداً، ففبح مستقر المتكبرين عن الحق الذي يستقرون فيه.

﴿٨٧﴾ ولما عانى رسول الله ﷺ من قومه ما عانى، أمره الله بالصبر، وسلاهم بما وعده به من النصر، فقال:

﴿٨٨﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا مِرْيَة فيه، فإذا نريتك في حياتك بعض الذي نعهدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو تتوفيتك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم على أعمالهم، فندخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٨٩﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التدرج في الخلق سُنَّةٌ إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.

٢ - قبح الفرح بالباطل.

٣ - أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاة منهم.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرِفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُضِّ اللَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْتُوفَيْنَاكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٨٧﴾

﴿٧٨﴾ ولقد بعثنا رسلاً كثيرين من قبلك - أيها الرسول - إلى أممهم، فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وما يصح لرسول أن يأتي قومه بآية من ربه إلا بمشيئته سبحانه، فاقترح الكفار على أممهم الإتيان بالآيات ظلم، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر في ذلك الموقف الذي يفصل فيه بين العباد أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرها.

﴿٧٩﴾ الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم؛ لتربكوا بعضها، وتأكلوا اللحوم بعضها. ﴿٨٠﴾ لكم في هذه المخلوقات منافع متعددة تتجدد في كل عصر، ويحصل لكم من خلالها ما ترغبون به مما في أنفسكم من حاجات، وأبرزها التنقل في البر والبحر. ﴿٨١﴾ ويريكهم سبحانه من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأي آيات الله لا تعترفون بها بعد أن تقرر لديكم أنها آياته؟

﴿٨٢﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فيعتبروا بها؟ فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالاً، وأعظم قوة، وأشد آثاراً في الأرض، فما أغنى

ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله فخصى بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴿٧٨﴾ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها ما أكلت منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴿٧٩﴾ ويريكهم آيته فأي آية انت الله تنكرون ﴿٨٠﴾ أفلم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿٨١﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿٨٢﴾ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴿٨٣﴾ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سئلت الله التي قد خلقت في عباده وخسر هنالك الكفرون ﴿٨٤﴾

عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله المهلك.

﴿٨٥﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والمعجزات الجلية كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه. ﴿٨٦﴾ فلما رأوا عذابنا قالوا مقررين حين لا ينفعهم إقرار: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نعبد من دونه من شركاء وأصنام.

﴿٨٧﴾ فلم يكن إيمانهم حين عاينوا عذابنا ينزل بهم نافعاً لهم، سئة الله التي مضت في عباده أنه لا ينفعهم إيمانهم عندما يعاينون العذاب، وخسر الكافرون حين نزول العذاب أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم بالله، وعدم التوبة منها قبل معاينة العذاب.

﴿٨٨﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لله رسل غير الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم تؤمن بهم إجمالاً.
- ٢ - من نعم الله تبيينه الآيات الدالة على توحيده.
- ٣ - خطر الفرح بالباطل وسوء عاقبته على صاحبه.
- ٤ - بطلان الإيمان عند معاينة العذاب المهلك.

﴿مَقْصَلُ السُّورَةِ﴾ :

بيان كيفية معالجة المعرضين عن القرآن برفق،
بيان أن القرآن هو الحق، وعاقبة الإعراض.

﴿التفسير﴾ :

﴿حَم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في
بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ هذا القرآن تنزيل من الله الرحمن الرحيم.
﴿٢﴾ كتاب بُيِّنَتْ آيَاتُهُ أَمْ تَبَيَّنَ وَأَكْمَلَهُ،
﴿٣﴾ وَجُعِلَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ؛ لأنهم الذين
ينتفعون بمعانيه، وبما فيه من الهداية إلى
الحق.

﴿٤﴾ مبشراً المؤمنين بما أعد الله لهم من
الجزاء الجزيل، ومخوفاً الكافرين من
عذاب الله الأليم، فأعرض معظمهم عنه،
فهم لا يسمعون ما فيه من الهدى سماع
قبول.

﴿٥﴾ وقالوا: قلوبنا مغطاة بأغلفة فلا تعقل ما
تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا تسمعه،
ومن بيننا وبينك ستر فلا يصل إلينا شيء مما
تقول، فاعمل أنت على طريقتك، إنا عاملون
على طريقتنا، ولن نتبعك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَم ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا عَرْضَ
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءَ آذَانِنَا وَقُرْءَانٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ
أَنَّمَ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَفِرُونَ ٧ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ قُلْ إِنِّي كُنتُ مِنَ الْكَافِرُونَ ٩ الَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠
وَجَعَلَ فِيهَا رِيسًا مِّنْ فَوْقِهَا وَبَرَكْنَا فِيهَا وَقَدَرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْلٍ ١١ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٢

﴿١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المعاندين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الله أنما معبودكم بحق معبود واحد
هو الله، فأخلصوا له العبادة، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، والخسران المبين للمشركين الذين يعبدون غير الله
أو يشركون معه أحداً.

﴿٢﴾ الذين لا يعطون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة - وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم - كافرون.
﴿٣﴾ إن الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب خالد غير مقطوع وهو الجنة.
﴿٤﴾ قل - أيها الرسول - موبخاً المشركين: لماذا أنتم تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين: يوم الأحد
والاثنين، وتجعلون له نظراء تعبدونهم من دونه؟ ذلك رب المخلوقات كلهم.

﴿٥﴾ وجعل فيها جبلاً ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وقدر فيها أقوات الناس والبهائم في أربعة أيام
متمة لليومين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها.

﴿٦﴾ ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء، وهي يومئذ دخان فقال لها، وقال للأرض: انقادا لأمري مختارتين،
أو مكرهتين، لا محيد لكما عن ذلك، قالتا: أتينا طائعتين، فلا إرادة لنا دون إرادتك يا ربنا.

﴿فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ﴾ :

١ - تعطيل الكافرين لوسائل الهداية عندهم يعني بقاءهم على الكفر.

٢ - بيان منزلة الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام.

٣ - استسلام الكون لله وانقياده لأمره سبحانه بكل ما فيه.

﴿١٧﴾ فأنتم الله خلق السماوات في يومين: يوم الخميس ويوم الجمعة، وبهما تم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأوحى الله في كل سماء ما يقدره فيها، وما يأمر به من طاعة وعبادة، وزينا السماء الدنيا بالنجوم، وحفظناها من استراق الشياطين السمع، ذلك المذكور كله تقدير العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بخلقه.

﴿١٨﴾ فإن أعرض هؤلاء عن الإيمان بما جئت به فقل لهم - أيها الرسول -: خوفتكم عذاباً يقع عليكم مثل العذاب الذي وقع على عاد قوم هود، وثمود قوم صالح لما كذبوهم.

﴿١٩﴾ حين جاءتهم رسلهم يتبع بعضهم بعضاً بدعوة واحدة يأمرونهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده، قال الكفار منهم: لو شاء ربنا إنزال ملائكة إلينا رسلاً لأنزلهم، فإننا كافرون بما أرسلتم به؛ لأنكم بشر مثلنا.

﴿٢٠﴾ فأما عاد قوم هود فمع كفرهم بالله تكبروا في الأرض بغير الحق، وظلموا من حولهم، وقالوا وهم مخدوعون بقوتهم: من أشد منا قوة؟ لا أحد أشد منهم قوة بزعمهم، فرد الله عليهم: أفلا يعلم هؤلاء ويشاهدوا أن الله الذي خلقهم وأودع فيهم القوة التي أطغتهم هو أشد منهم قوة؟ وكانوا يكفرون بآيات الله التي جاء بها هود عليه السلام.

فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ
عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الَّتِي لَمْ كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٢٢﴾ وَنَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾ فبعضنا عليهم ريحاً ذات صوت مزعج في أيام مشؤومات عليهم لما فيها من العذاب؛ لنذيقهم عذاب الذل والمهانة لهم في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشدّ إذلالاً لهم، وهم لا يجدون من ينصرهم بإفناهم من العذاب.

﴿٢٧﴾ وأما ثمود قوم صالح فقد هديناهم بتبيين طريق الحق لهم، ففضلوا الضلال على الهداية إلى الحق، فأخذهم العذاب المذل بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي.

﴿٢٨﴾ وأنجينا الذين آمنوا بالله ورسله، وكانوا يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، أنجيناهم من العذاب الذي حلّ بقومهم.

﴿٢٩﴾ ويوم يحشر الله أعداءه إلى النار، تردّ الزبانية أولهم إلى آخرهم، لا يستطيعون الهرب من النار.

﴿٣٠﴾ حتى إذا ما جاؤوا النار التي سيقوا إليها، وتنكروا لما كانوا يعملون في الدنيا، شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي.

﴿٣١﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَانُوا يَمُوتُونَ

- ١ - الإعراض عن الحق سبب المهالك في الدنيا والآخرة.
- ٢ - التكبر والاعتزاز بالقوة مانعان من الإذعان للحق.
- ٣ - الكفار يُجمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
- ٤ - إهلاك الكفار وإنجاء المؤمنين سنّة إلهية.
- ٥ - شهادة الجوارح يوم القيامة على أصحابها.

﴿٦١﴾ وقال الكفار لجلودهم: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ قالت الجلود جواباً لأصحابها: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة عندما كنتم في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٦٢﴾ وما كنتم تستخفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسماعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت، ولكن ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما تعملونه، بل يخفى عليه، فاعتررتكم.

﴿٦٣﴾ وذلك الظن السيئ الذي ظننتم بربكم أهلككم، فأصبحتم بسبب ذلك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٦٤﴾ فإن يصبر هؤلاء الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فالنار مستقر لهم، وماوى يأوون إليه، وإن يطلبوا رضا الله عنهم ودخول الجنة، فما هم بنائلين رضاه ولا داخلين الجنة أبداً.

﴿٦٥﴾ وبعثنا على هؤلاء الكفار قرناء من الشياطين يلازمونهم، فزيتوا لهم الكفر والمعاصي وإنكار البعث والجزاء، ووجب عليهم العذاب في جملة أمم قد مضت من

قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بدخولهم النار.

﴿٦٦﴾ وقال الكفار متواصين فيما بينهم لما عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد، ولا تنقادوا لما فيه، وصيحوا وارفعوا أصواتكم عند قراءته له؛ لعلكم بذلك تنتصرون عليه، فيترك تلاوته والدعوة إليه، فستريح منه.

﴿٦٧﴾ فلندينن الذين كفروا بالله، وكذبوا رسله عذاباً شديداً يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقاباً لهم عليها.

﴿٦٨﴾ ذلك الجزاء المذكور جزاء أعداء الله الذين كفروا به وكذبوا رسله النار، لهم فيها خلود لا ينقطع أبداً؛ جزاء على جحدهم لآيات الله، وعدم إيمانهم بها مع وضوحها وقوة حجتها.

﴿٦٩﴾ وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا، أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس: إبليس الذي سنّ الكفر والدعوة إليه، وابن آدم الذي سنّ سفك الدماء، نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين الذين هم أشد أهل النار عذاباً.

﴿٧٠﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - سوء الظن بالله صفة من صفات الكفر.

٢ - الكفر والمعاصي سبب تسليط الشياطين على الإنسان.

٣ - تمتي الأتباع أن ينال متبوعهم أشد العذاب يوم القيامة.

ولما ذكر الله جزاء أعدائه ذكر جزاء أوليائه، فقال:

﴿٣٠﴾ إن الذين قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، واستقاموا على امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، تنزل عليهم الملائكة عند احتضارهم قائلين لهم: لا تخافوا من الموت ولا مما بعده، ولا تحزنوا على ما خلفتم في الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا على إيمانكم بالله وعملكم الصالح. ﴿٣١﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، وقد كنا نسدّدكم ونحفظكم، ونحن أولياؤكم في الآخرة، فوليتنا لكم مستمرة، ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم من المملذات والشهوات، ولكم فيها كل ما طلبونه مما تشتهونه.

﴿٣٢﴾ رزقاً مهيباً لكم من رب غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، رحيماً بهم. ﴿٣٣﴾ ولا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله والعمل بشرعه، وعمل عملاً صالحاً يرضي ربه، وقال: إنني من المسلمين المتقادين لله، فمن فعل ذلك كله فهو أحسن الناس قولاً.

﴿٣٤﴾ ولا يستوي فعل الحسنات والطاعات التي ترضي الله، ولا فعل السيئات

والمعاصي التي تسخطه، ادفع بالخصلة التي هي أحسن إساءة من أساء إليك من الناس، فإذا الذي بينك وبينه عداوة سابقة - إذا دفعت إساءته بالإحسان إليه - كأنه قريب شقيق.

﴿٣٥﴾ ولا يُوفّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على الإيذاء، وما يلاقونه من الناس من السوء، ولا يُوفّق لها إلا ذو نصيب عظيم؛ لما فيها من الخير الكثير، والنفع الوفير.

﴿٣٦﴾ وإن وسوس لك الشيطان في أي وقت بشرّ فاعتصم بالله والجاإ إليه، إنه هو السميع لما تقوله، العليم بحالك.

﴿٣٧﴾ ومن آيات الله الدالة على عظمته وتوحيده الليل والنهار في تعاقبهما، والشمس والقمر، لا تسجدوا - أيها الناس - للشمس، ولا تسجدوا للقمر، واسجدوا لله وحده الذي خلقهنّ إن كنتم تعبدونه حقاً.

﴿٣٨﴾ فإن استكبروا وأعرضوا، ولم يسجدوا لله الخالق، فالملائكة الذين هم عند الله يسبحونه ويحمدونه سبحانه في الليل والنهار معاً، وهم لا يملّون من عبادته.

﴿٣٩﴾ فوالله من الآيات:

١ - منزلة الاستقامة عند الله عظمة.

٢ - الاستقامة سبب للأمن.

٣ - مكانة الدعوة إلى الله، وأنها أفضل الأعمال.

٤ - الصبر على الإيذاء والدفع بالنبي هي أحسن خلقان لا غنى للداعي إلى الله عنهما.

﴿٣٨﴾ ومن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعاین الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحى هذه الأرض الميتة بالنبات، لمحبي الموتى وباعثهم للحساب والجزاء، إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه إحياء أرض بعد موتها، ولا إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

﴿٣٩﴾ إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يُلقي في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمناً من العذاب؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، فقد بينا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿٤٠﴾ إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم من عند الله لمعدبون يوم القيامة.

﴿٤١﴾ وإنه لكتاب عزيز منيع، لا يستطيع مُحَرِّف أن يحرفه، ولا مُبَدِّل أن يبدله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره وتشريعه، محمود على كل حال.

ولما ذكر الله حال المكذبين بالكتاب صبر رسوله وسلاؤه بما كان يلقاه من قبله إخوانه

من الرسل من التكذيب والسخرية والافتراء، فقال:

﴿٤٢﴾ ما يقال لك - أيها الرسول - من التكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك فاصبر، فإن ربك لذو مغفرة لمن تاب إليه من عباده، وذو عقاب موجه لمن أصرّ على ذنوبه ولم يتب.

﴿٤٣﴾ ولو أنزلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقال الكفار منهم: لولا بُيِّنَتْ آياته حتى نفهمها، أياكون القرآن أعجمياً، والذي جاء به عربي؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله - هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل وما يتبعه، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك الموصوفون بتلك الصفات ينادون من مكان بعيد، فكيف لهم أن يسمعوا صوت المنادي!

﴿٤٤﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيه، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فبين المحق والمبطل، فأكرم المحق وأهان المبطل، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مريب.

﴿٤٥﴾ من عمل عملاً صالحاً فنفّع عمله الصالح عائد إليه، فالله لا ينفعه العمل الصالح من أحد، ومن عمل عملاً سيئاً فضر ذلك راجع إليه، فالله لا تضره معصية أحد من خلقه، وسيجازي كلأ بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعبيده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

﴿٤٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - حفظ الله القرآن من التبديل والتحريف، وتكفل سبحانه بهذا الحفظ، بخلاف الكتب السابقة له. ٢ - قطع الحجة على مشركي العرب بنزول القرآن بلغتهم. ٣ - نفي الظلم عن الله، وإثبات العدل له.

﴿٤٧﴾ إلى الله وحده يُردُّ علم الساعة؛ فهو وحده يعلم متى تقع، فلا يعلم ذلك غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها التي تحفظها، وما تحمل من أنثى إلا بعلمه، لا يفوته من ذلك شيء، ويوم ينادي الله المشركين الذين كانوا يعبدون معه الأصنام؛ مُوبِّخًا إياهم على عبادتهم لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: اعترفنا أمامك، ما منا من يشهد الآن أن لك شريكًا.

﴿٤٨﴾ وغاب عنهم ما كانوا يدعونه من الأصنام، وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله ولا مَجِد.

﴿٤٩﴾ لا يمل الإنسان من طلب الصحة والمال والولد وغير ذلك من النعم، وإن أصابه فقر أو مرض ونحو ذلك فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

﴿٥٠﴾ ولئن أذقناه منا صحة وغنى وعافية بعد بلاء ومرض أصابه ليقولن: هذا لي؛ لأنني أهل له ومستحق، وما أظن الساعة قائمة، ولئن قَرِض أن الساعة قائمة فإن لي عند الله الحسنى، فكما أنعم علي في الدنيا لاستحقاقي ذلك ينعم علي في الآخرة،

إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّا مِمَّا مِثْلُ شَيْءٍ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَافِظٍ ۖ لَا يُسْمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ عَنْهُمْ قُنُوطٌ ۖ وَلَئِنْ أَدْخَلْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا إِلَىٰ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۖ سَرَّيْهِمْ أَأَيْتَنِي الْأَفَاقُ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقِّقَ يَبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۖ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۖ

فلنخبرن الذين كفروا بالله بما عملوا من الكفر والمعاصي، ولنذيقنهم من عذاب بالغ في الشدة. ﴿٥١﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة الصحة والعافية ونحوها غفل عن ذكر الله وطاعته، وأعرض بجانبه تكبرًا، وإذا مسه مرض وفقر ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير، يشكو إليه ما مسه منه ليكشفه عنه، فهو لا يشكر ربه إذا أنعم عليه، ولا يصبر على بلائه إذا ابتلاه.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم به وكذبتموه، فكيف سيكون حالكم؟ ومن أضل ممن هو في عناد للحق مع ظهوره ووضوح حجته وقوتها؟ ﴿٥٣﴾ سنريهم آياتنا في السماوات وفي الأرض، ونريهم آياتنا في الأنفس حتى يتضح لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا مِرْيَة فيه، أولم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق بشهادة الله أنه من عنده؟ ومن أعظم شهادة من الله؟ فلو كانوا يريدون الحق لاكتفوا بشهادة ربهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة لإنكارهم البعث، فهم لا يؤمنون بالآخرة، لذلك لا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط علمًا وقدرة.

﴿٥٥﴾ فَرَأَيْتُمُ الْآيَاتِ:

١ - علم الساعة عند الله وحده.

٢ - تعامل الكافر مع نعم الله ونقمه فيه تخبط واضطراب.

٣ - إحاطة الله بكل شيء علمًا وقدرة.

﴿١١﴾ الله خالق السماوات وخالق الأرض على غير مثال سابق، جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من الإبل والبقر والغنم أزواجاً، حتى تتكاثر من أجلكم، يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم بالتزواج، ويعيشكم فيما جعل لكم من أنعامكم من لحومها وألبانها، لا يماثله شيء من مخلوقاته، هو السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿١٢﴾ له وحده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛ اختباراً له أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء؛ ابتلاءً له أيصبر أم يتسخط على قدر الله؟ إنه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء مما فيه مصالح عباده.

﴿١٣﴾ شرع لكم من الدين مثل ما أمرنا نوحاً بتبليغه والعمل به، والذي أوحينا إليك - أيها الرسول -، وشرع لكم مثل الذي أمرنا إبراهيم وموسى وعيسى بتبليغه والعمل به، وخلاصته: أن أقيموا الدين، وتركوا التفرق فيه، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله، وترك عبادة غيره، الله يصطفي من شاء من عباده، فيوفقه لعبادته وطاعته،

فَاطْرَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرْكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَفَاتِيحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ويهدي إليه من يرجع إليه منهم بالتوبة من ذنوبه.

﴿١٤﴾ وما تفرق الكفار والمشركون إلا من بعدما قامت عليهم الحجة ببعثة محمد ﷺ إليهم، وما كان تفرقهم إلا بسبب البغي والظلم، ولولا ما سبق في علم الله من أنه يؤخر عنهم العذاب إلى أمدٍ محدد في علمه هو يوم القيامة لحكم الله بينهم، فعجل لهم العذاب بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، وإن الذين أورثوا التوراة من اليهود، والإنجيل من النصارى من بعد أسلافهم، ومن بعد هؤلاء المشركين، لفي شك من هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ومكذبون به.

﴿١٥﴾ ادع لهذا الدين المستقيم، واثبت عليه وفق ما أمرك الله، ولا تتبع أهواءهم الباطلة، وقل عند مجادلهم: آمنت بالله وبالكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرني الله أن أحكم بينكم بالعدل، الله الذي أعبدته ربنا وربكم جميعاً، لنا أعمالنا خيراً كانت أو شراً، ولكم أعمالكم خيراً كانت أو شراً، لا جدال بيننا وبينكم بعد أن تبينت الحجة، واتضحت المحجة، الله يجمع بيننا جميعاً، وإليه المصير يوم القيامة، فيجازي كلنا بما يستحقه، فيتبين عندئذ الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - دين الأنبياء في أصوله دين واحد.
- ٢ - أهمية وحدة الكلمة، وخطر الاختلاف فيها.
- ٣ - من مقومات نجاح الدعوة إلى الله: صحة المبدأ، والاستقامة عليه، والبعد عن اتباع الأهواء، والعدل، والتركيز على المشترك، وترك الجدال العقيم، والتذكير بالمصير المشترك.

﴿١٦﴾ والذين يجادلون بالحجج الباطلة في هذا الدين المنزل على محمد ﷺ من بعدما استجاب الناس لدعوته لقوة حجته ودخلوا فيه، هؤلاء المجادلون حججهم ذاهية وساقطة عند ربهم وعند المؤمنين، لا أثر لها، وعليهم غضب من الله لكفرهم ورفضهم الحق، ولهم عذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة.

ولما بين بطلان حجج الكافرين بين أصل الحجج الصحيحة التي يحتج بها المسلم وهي القرآن، فقال:

﴿١٧﴾ الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، وأمر فيه بالعدل ليحكم بين الناس به، وقد تكون الساعة التي يكذب بها هؤلاء قريبة، ومعلوم أن كل آت قريب.

﴿١٨﴾ يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها؛ لأنهم لا يؤمنون بحساب ولا ثواب ولا عقاب، والذين آمنوا بالله خائفون منها لجهلهم بمصيرهم بعدها، ويعلمون علم اليقين أنها الحق الذي لا مرية فيه، ألا إن الذين يخاصمون في الساعة، ويشككون في وقوعها، لفي ضلال بعيد عن الحق.

﴿١٩﴾ الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيّق على من يشاء رحمة

به، وإن بدا غير ذلك، وهو القوي الذي لا يغلبه أحد، العزيز الذي يتقم من أعدائه.

﴿٢٠﴾ من كان يريد ثواب الآخرة عاملاً لها عملها، نضاعف له ثوابه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناه نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لإيثاره الدنيا عليها.

﴿٢١﴾ أم لهؤلاء المشركين آلهة من دون الله، وقد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه من الشرك به وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم؟ ولولا ما ضربه الله من أجل محدد للفصل بين المختلفين، وأنه يؤخرهم إليه لفصل بينهم، وإن الظالمين أنفسهم بالشرك بالله والمعاصي لهم عذاب موع ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٢٢﴾ ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم الخوف المجرد عن توبة، والذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات على النقيض منهم، فهم في بساتين الجنات يتنعمون، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٢٣﴾ فإذ من الآيات:

١ - خوف المؤمن من أهوال يوم القيامة يعين على الاستعداد لها.

٢ - لطف الله بعباده ظاهر.

٣ - خطر إيثار الدنيا على الآخرة.

١٣ ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به على يد رسوله الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، قل - أيها الرسول -: لا أطلب منكم على تبليغ الحق ثواباً إلا ثواباً واحداً عائداً نفعه إليكم، وهو أن تحبوني لقرايتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره؛ الحسنة بعشر أمثالها، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يعملونها ابتغاء وجهه.

١٤ إن من مزاعم المشركين أنهم يقولون: اختلق محمد كذباً على ربه بدعواه أنه رسول منه، ومما يؤكد أن القرآن وحي الله أنه لو شاء لأنساك هذا القرآن، ولكن الله يزيل الباطل ويحق الحق، وهو ما حدث لدعوة المشركين من الإزالة، ولدعوة الإسلام من التمكين، إنه عليم بما في قلوب عباده لا يخفى عليه شيء منه.

١٥ وهو سبحانه الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا إليه، ويتجاوز عن سيئاتهم التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

١٦ ويجيب دعاء الذين آمنوا بالله وبرسله، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه، والكافرون بالله وبرسله لهم عذاب قوي ينتظرهم يوم القيامة.

١٧ ولو وسع الله الرزق لجميع عباده لطفوا في الأرض بالظلم، ولكنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء من توسيع وتضييق، إنه خير بأحوال عباده بصير بها، فيعطي لحكمة، ويمنع لحكمة أيضاً.

١٨ وهو الذي ينزل المطر على عباده من بعدما يشعرون من نزوله، وينشر رحمته بإنابات الأرض بعد نزوله، وهو المتولي شؤون عباده، المحمود على كل حال.

١٩ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته خلق السماوات وخلق الأرض، وما نشر فيهما من مخلوقات عجبية، وهو على جمعهم للحشر والجزاء متى شاء قدير، لا يعجزه ذلك كما لم يعجزه خلقهم أول مرة.

٢٠ وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في أنفسكم أو أموالكم فيما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به.

٢١ ولستم بقادرين على النجاة من ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أراد بهكم.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

١ - الداعي إلى الله لا يتغنى الأجر عند الناس.

٢ - التوسيع في الرزق والتضييق فيه خاضع لحكمة إلهية قد تخفى على كثير من الناس.

٣ - الذنوب والمعاصي من أسباب المصائب.

﴿٣٢﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ السَّفْنَ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ مِثْلَ الْجِبَالِ فِي ارْتِفَاعِهَا وَعُلُوِّهَا .

﴿٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ اللَّهُ إِسْكَانَ الرِّيحِ الَّتِي تَسِيرُ مِنْ أَسْكَانِهَا ، فَيُظِلِّلْنَ ثَوَابِتَ فِي الْبَحْرِ لَا يَتَحَرَّكْنَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ خَلْقِ السَّفَنِ وَتَسْخِيرِ الرِّيحِ لِدَلَالَاتٍ وَاضِحَةٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ لِكُلِّ صَبَّارٍ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمَحْنِ ، شُكْرٌ لِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

﴿٣٤﴾ أَوْ إِنْ يَشَأْ سَبْحَانَهُ إِهْلَاكَ تِلْكَ السَّفَنِ بِإِرْسَالِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ عَلَيْهَا أَهْلَكَهَا بِسَبَبِ مَا كَسَبَ النَّاسُ مِنَ الْإِثْمِ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ فَلَا يَعَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا .

﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمُ عِنْدَ إِهْلَاكِ تِلْكَ السَّفَنِ بِإِرْسَالِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ لِإِبْطَالِهَا مَا لَهُمْ مِنْ مَهْرَبٍ عَنِ الْهَلَاكِ ، فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وَيَتَرَكُونَ مِنْ عَدَاهُ .

﴿٣٦﴾ فَمَا أُعْطِيتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ وَلَدٍ ، فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُوَ زَائِلٌ مُنْقَطِعٌ ، وَالنَّعِيمُ الدَّائِمُ هُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ .

﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَقَبَائِحِهَا ، وَإِذَا غَضِبُوا مِمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ يَغْفِرُونَ لَهُ زَلَّتْهُ ، وَلَا يَعَاقِبُونَهُ عَلَيْهَا ، وَهَذَا الْعَفْوُ تَفَضُّلٌ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَمَصْلَحَةٌ .

﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ؛ بِفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ ، وَتَرَكَ مَا نَهِيَ عَنْهُ ، وَأَتَمُّوا الصَّلَاةَ عَلَى أَكْمَلِ

وَجْهِهِ ، وَالَّذِينَ يَشْتَاوِرُونَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَهْمُهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ .

﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الظُّلْمُ يَنْتَصِرُونَ إِكْرَامًا لَأَنْفُسِهِمْ وَإِعْزَازًا لَهَا ، إِذَا كَانَ الظَّالِمُ غَيْرَ أَهْلِ الْعَفْوِ ، وَهَذَا الْإِنتِصَارُ حَقٌّ ، بِخَاصَّةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْعَفْوِ مَصْلَحَةٌ .

﴿٤٠﴾ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ فَلَهُ ذَلِكَ ، لَكِنْ بِالْمِثْلِ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ تَجَاوُزٍ ، وَمَنْ عَفَا عَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَأْخُذْهُ عَلَى إِسَاءَتِهِ ، وَأَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ فَثَوَابُهُ عِنْدَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ أَوْ أَعْرَاضِهِمْ ، بَلْ يَبْغِضُهُمْ .

﴿٤١﴾ وَمَنْ انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَوْأَخِذَةٍ لَأَخْذِهِمْ بِحَقِّهِمْ .

﴿٤٢﴾ إِنَّمَا الْمَوْأَخِذَةُ وَالْعِقَابُ لِلَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ فِي الْآخِرَةِ .

﴿٤٣﴾ وَأَمَّا مَنْ صَبَرَ عَلَى إِيْذَاءٍ غَيْرِهِ لَهُ ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ الصَّبْرَ مِمَّا يَعُودُ بِالْخَيْرِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَجْتَمَعِ ؛ وَذَلِكَ أَمْرٌ مَحْمُودٌ ، وَلَا يُوقَفُ لَهُ إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ .

﴿٤٤﴾ وَمَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ عَنِ الْهَدَايَةِ فَأُضْلَعَهُ عَنِ الْحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ ، وَتَرَى الظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ مَتَمِّتِينَ : يَا لَيْتَنَا نَسْتَطِيعُ الْعَوْدَةَ إِلَى الدُّنْيَا فَتَتُوبَ إِلَى اللَّهِ .

﴿٤٥﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ :

١ - الصبر والشكر سببان للتوفيق للاعتبار بآيات الله .

٢ - مكانة الشورى في الإسلام عظيمة .

٣ - أهمية العفو عن المسيء ؛ لأن الله يحب أهل العفو .

٤ - جواز مؤاخضة الظالم بمثل ظلمه .

﴿٤٥﴾ وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضُونَ على النار وهم أذلاء وخزايا ينظرون إلى الناس خِلْسَةً من شدة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسله: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بسبب ما لاقوه من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب دائم لا ينقطع أبدًا.

﴿٤٦﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم بإنقاذهم من عذاب الله يوم القيامة، ومن يخذله الله عن الحق فيضله فليس له أبدًا من طريق توديه إلى الهداية إلى الحق.

﴿٤٧﴾ استجيبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وترك التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا دافع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تنكرون به ذنوبكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

﴿٤٨﴾ فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك - أيها الرسول - عليهم حفيظًا تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة من غنى وصحة ونحوها

وَرَبَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضِيبُ سَيِّئَةٍ يَمَاقِدَ مَتِّ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ نَرْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَنُنْثَاءً وَنَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾

فرح بها، وإن يصب البشر بلاء بمكروه بسبب ذنوبهم؛ فإن طيعتهم كفر نعم الله، وعدم شكرها، والتسخط مما قدره الله بحكمته.

﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ الله ملك السماوات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثًا ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معًا، ويجعل من يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، قدير على كل شيء، لا يعجزه شيء.

﴿٥٤﴾ ما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً يوحى إليه، أو تكليماً يكلمه به مباشرة، لكن من وراء ستر دون أن يراه، أو يرسل إليه ملكاً رسولاً مثل جبريل، فيوحى إلى الرسول البشري بإذن الله ما يشاء الله أن يوحى، إنه سبحانه علي في ذاته وصفاته، حكيم في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٥٥﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ:

١ - وجوب المسارعة إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

٢ - مهمة الرسول البلاغ، والنتائج بيد الله.

٣ - جحود الكافر لنعم الله حجة عليه.

٤ - يوحى الله تعالى إلى أنبيائه بطرق شتى؛ لِيَحْكُمَ يَعْلَمُهَا سُبْحَانَهُ.

﴿٥٦﴾ وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تعلم قبله ما الكتب السماوية المنزلة على الرسل، وما كنت تعلم ما الإيمان؟ ولكن أنزلنا هذا القرآن ضياءً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتدل الناس إلى طريق مستقيم هو دين الإسلام.

﴿٥٧﴾ طريق الله الذي له ما في السماوات، وله ما في الأرض، خلقًا وملكًا وتدبيرًا، حتمًا إلى الله وحده ترجع الأمور في تقديرها وتدبيرها.

سُورَةُ الْحُرُوفِ مَكِّيَّةٌ —

﴿٥٨﴾ مقصد السورة :

بيان القيم القرآنية الصحيحة، ونقض التصورات الجاهلية الزائفة.

﴿٥٩﴾ التفسير :

﴿٦٠﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٦١﴾ يقسم الله بالكتاب المنزل على محمد، الواضح لمن تدبره، الموضح لشرع الله.

﴿٦٢﴾ إنا أنزلناه قرآنًا بلسان العرب؛ رجاء أن تعقلوا - يا معشر من نزل بلسانكم - معانيه، وتفهموها لتتقلوها إلى الأمم الأخرى.

﴿٦٣﴾ وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ عندنا في الملاء الأعلى عليّ قَدْرًا وَشَرَفًا وَمَحَلًّا، حكيمٌ لا يخلو ما فيه من أوامر ونواهٍ من حكمة، مُحْكَمٌ لا تناقض فيه ولا اختلاف.

﴿٦٤﴾ لن ندع إنزال القرآن عليكم ودعوتكم إلى التوحيد لأجل أنكم منغمسون في الشرك بالله وارتكاب مناهيه، لا نفعل ذلك، بل الرحمة بكم تقتضي عكس هذا.

﴿٦٥﴾ وكم بعثنا من نبي في الأمم السابقة.

﴿٦٦﴾ وما يأتي تلك الأمم السابقة من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون.

﴿٦٧﴾ فأهلكنا من هم أشدَّ بطشًا من تلك الأمم، فلا نعجز عن إهلاك من هم أضعف منهم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدّين.

﴿٦٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذابين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن جوابًا لسؤالك: خلقهنَّ العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.

﴿٦٩﴾ الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا ثابتًا، وصير لكم فيها طرقًا في جبالها وأوديتها؛ رجاء أن تسترشدوا بها في سيركم.

﴿٧٠﴾ فَوَلِّدْ مِنَ الْآيَاتِ :

١ - أهمية الوحي في هداية الناس، فهو بمنزلة الروح للجسد.

٢ - الهداية المسندة إلى الرسول ﷺ هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق.

٣ - ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة.

﴿١١﴾ والذي نزل من السماء ماءً بقدر ما يكفيكم، ويكفي بهائمكم وزرعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة لا نبات بها، وكما أحيى الله تلك الأرض القاحلة بالنبات يحييكم للبعث.

﴿١٢﴾ وصير لكم من السفن والأنعام ما تركبونه في أسفاركم، فتركبون السفن في البحر، وتركبون أنعامكم في البر.

﴿١٣﴾ صير لكم ذلك كله؛ رجاء أن تستقروا على ظهور ما تركبون منه في أسفاركم، ثم تذكروا بقلوبكم نعمة ربكم عليكم حيث سخرها لكم إذا استقررت على ظهورها، وتقولوا بالستكم: تنزه وتقدس الذي سخر لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيقين لولا تسخير الله له.

﴿١٤﴾ وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا للحساب والجزاء.

﴿١٥﴾ وزعم المشركون أن بعض المخلوقات متولدة عن الخالق سبحانه حين قالوا: الملائكة بنات الله، إن الإنسان الذي يقول مثل هذا القول لكفور بين الكفر والضلال.

﴿١٦﴾ أتقولون - أيها المشركون -: اتخذ الله مما يخلق بنات لنفسه، وأخلصكم بالذكر من الأولاد؟ فأي قسمة هذه القسمة التي زعمتم؟

﴿١٧﴾ وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى التي ينسبها إلى ربه ظل وجهه مسوداً من شدة الهم والحزن، وظلّ هو ممثلاً غيظاً، فكيف ينسب إلى ربه ما يغتم هو به إذا بُشِّر به؟

﴿١٨﴾ أينسبون إلى ربهم من يُرى في الزينة وهو في الجدل غير مبين الكلام لأنوثته؟

﴿١٩﴾ وسمّوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن سبحانه إناثاً، أحضروا حين خلقهم الله، فتيبنوا أنهم إناث؟ ستكتب الملائكة شهادتهم هذه، ويسألون عنها يوم القيامة، ويعذبون بها لكذبهم.

﴿٢٠﴾ وقالوا محتجين بالقدر: لو شاء الله أن لا نعبد الملائكة ما عبدناهم، فكونه شاء ذلك منا يدلّ على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، إن هم إلا يكذبون.

﴿٢١﴾ أم أعطينا هؤلاء المشركين كتاباً من قبل القرآن يبيح لهم عبادة غير الله؟ فهم متمسكون بذلك الكتاب، محتجون به.

﴿٢٢﴾ لا، لم يقع ذلك، بل قالوا محتجين بالتقليد: إنا وجدنا آباءنا من قبلنا على ملة، وقد كانوا يعبدون الأصنام، وإنا ماضون على آثارهم في عبادتها.

﴿٢٣﴾ فإنا من الآيات:

٢ - كل نعمة تقتضي شكرًا.

٣ - جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حين نسبوا الإناث إليه، وكرهوهن لأنفسهم.

٤ - بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر.

٥ - المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق.

٦ - خطر التقليد الأعمى.

﴿٣١﴾ وكما كذب هؤلاء، واحتجوا بتقليدهم لأبائهم، لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول ينذر قومه إلا قال المترفون من أهل تلك القرية: إنا وجدنا آبائنا على ملة، وإنا متبعون لأثارهم. فليس قومك يدعوا في ذلك.

﴿٣٢﴾ قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جنتكم بما هو خير من ملتهم التي كانوا عليها؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.

﴿٣٣﴾ فانتقمنا من الأمم التي كذبت بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهاية المكذبين برسولهم، فقد كانت نهاية أليمة.

﴿٣٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: إني بريء مما تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٣٥﴾ إلا الله الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما فيه نفعي من اتباع دينه القويم.

﴿٣٦﴾ وصير إبراهيم كلمته التوحيدية هذه باقية في ذريته من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئاً؛ رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي.

﴿٣٧﴾ لم أعاجل بالهلاك هؤلاء المشركين المكذبين، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آبائهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين هو محمد ﷺ.

﴿٣٨﴾ ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق الذي لا مزية فيه قالوا: هذا سحر يسحرنا به محمد، وإنا به كافرون فلن نؤمن به.

﴿٣٩﴾ وقال المشركون المكذبون: هلاً أنزل الله هذا القرآن على أحد رجلين عظيمين من مكة أو الطائف، وهما الوليد بن عقبة وعروة بن مسعود الثقفي بدلاً من إنزاله على محمد الفقير اليتيم.

﴿٤٠﴾ أهم يقسمون رحمة ربك - أيها الرسول - فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ لبصير بعضهم مسخرًا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا الفاني.

﴿٤١﴾ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لبيوت من يكفر بالله سقوفاً من الفضة، وجعلنا لهم مصاعد عليها يرقون.

﴿٤٢﴾ فإلزام الأبيات:

١ - التقليد من أسباب ضلال الأمم السابقة.

٢ - البراءة من الكفر والكافرين لازمة.

٣ - بقاء التوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام.

٤ - النبوة تكريم إلهي، ولا علاقة لها بالموازين البشرية.

٥ - تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله.

٦ - حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء.

﴿٣٤﴾ وجعلنا لبيوتهم أبواباً، وجعلنا لهم أسرة عليها يتكئون استدراجاً لهم وقتة.

﴿٣٥﴾ ولجعلنا لهم ذهباً، وليس كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فنفعه قليل لعدم بقاءه، وما في الآخرة من النعيم خير عند ربك - أيها الرسول - للمتقين لله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٣٦﴾ ومن يعرض عن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ نسلط عليه شيطاناً يغويه ويغريه بالباطل، فهو له ملازم أينما حل.

﴿٣٧﴾ وإن هؤلاء القراء الذين يُسلطون على المعرضين عن القرآن ليصدونهم عن دين الله؛ فلا يمثلون أوامره، ولا يجتنبون نواهيه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق، ومن ثم فهم لا يتوبون من ضلالهم.

﴿٣٨﴾ حتى إذا جاءنا المعرض عن ذكر الله يوم القيامة قال متمنياً: يا ليت بيني وبينك - أيها القرين - مسافة ما بين المشرق والمغرب، ففُتحت من قرين.

﴿٣٩﴾ قال الله للكافرين يوم القيامة: ولن ينفعكم اليوم - وقد ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي - اشتراككم في العذاب كما كنتم مشتركين في الدنيا في الكفر والمعاصي.

﴿٤٠﴾ إن هؤلاء صم عن سماع الحق، عمي عن إصباره، أفانت - أيها الرسول - تستطيع

وَلَبِيتُهُمْ أَبْوَابًا وَسُورًا عَلَيْهِمْ يَكُوبُ ﴿٣٤﴾ وَخَرَفَأُوْانَ كُلِّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نَقِصٌ لِّمَشِطٰنًا فَهُوَ لَهُمُ قَرِيْنٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ نَاقَالُ يَلَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِقَيْنِ فَيَسْأَلُ الْقَرِيْنَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَكْثَرَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُوْنَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذَرْ بَيْنَكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَنْتَقِمُوْنَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتُهُمْ فَإِنَّا عَلِيمٌ مُّقْتَدِرُوْنَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُوْنَ ﴿٤٤﴾ وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ إِلَٰهَةً يُعْبَدُوْنَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٲِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيٰتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُوْنَ ﴿٤٧﴾

إسماع الصم، أو هداية العمي، أو هداية من كان في ضلال واضح عن الطريق المستقيم؟

﴿٤١﴾ فإن ذهبنا بك - بأن أمتنا قبل أن نعذبهم - فإننا منتقمون منهم بتعذيبهم في الدنيا والآخرة.

﴿٤٢﴾ أو نريك بعض ما نعدهم من العذاب، فإننا عليهم مقتدرون، لا يستطيعون مغالبتنا في شيء.

﴿٤٣﴾ فتمسك - أيها الرسول - بما أوحى إليك ربك، واعمل به، إنك على طريق حق لا لبس فيه.

﴿٤٤﴾ وإن هذا القرآن لشرف لك، وشرف لقومك، وسوف تسألون يوم القيامة عن الإيمان به، واتباع هديه والدعوة إليه.

﴿٤٥﴾ واسأل - أيها الرسول - من بعثنا من قبلك من الرسل: أجعلنا من دون الرحمن معبودات تُعبد؟

﴿٤٦﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا إلى فرعون والأشرف من قومه فقال لهم: إني رسول رب المخلوقات كلها.

﴿٤٧﴾ فلما جاءهم بآياتنا صاروا منها يضحكون؛ سخرية واستهزاء.

﴿٤٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - خطر الإغراض عن القرآن.

٢ - وجوب التمسك بما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي.

٣ - القرآن شرف لرسول الله ﷺ ولأمة.

٤ - اتفاق الرسالات كلها على نبذ الشرك.

٥ - السخرية من الحق صفة من صفات الكفر.

﴿٤٨﴾ وما نري فرعون والأشرف من قومه من حجة على صحة ما جاء به موسى ﷺ إلا كانت أعظم من الحجة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الكفر، ولكن دونما فائدة.

﴿٤٩﴾ فقالوا لما نالهم بعض العذاب لموسى ﷺ: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك بما ذكر لك من كشف العذاب إن آمنّا، إنا لمهتدون إليه إن كشفه عنا.

﴿٥٠﴾ فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يفون به.

﴿٥١﴾ ونادى فرعون في قومه قائلاً في تبجح بملكه: يا قوم، أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النيل تجري تحت قصوري؟ أفلا تبصرون ملكي وتعرفون عظمتي؟!

﴿٥٢﴾ فأنا خير من موسى الطريد الضعيف الذي لا يحسن الكلام.

﴿٥٣﴾ فهلاً ألقى الله الذي أرسله أسورة من ذهب عليه؛ لتبين أنه رسوله، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضاً.

﴿٥٤﴾ فأغرى فرعون قومه، فأطاعوه في ضلاله، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله.

﴿٥٥﴾ فلما أغضبونا باستمرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقناهم كلهم.

﴿٤٨﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْنَ الْيَسْلَى لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأُكَةُ مُّقْتَرِنِينَ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوا يَا أَلِھْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦١﴾

﴿٦١﴾ فصبرنا فرعون وملائه سلفاً لمن عمل عملهم أن يهلك كما هلكوا، وصبرناهم عبرة لمن يعتبر؛ لئلا يعمل بعلمهم فيصيبه ما أصابهم.

﴿٦٢﴾ ولما حسب المشركون أن عيسى الذي عبده النصارى داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتَر لَهَا وَرْدُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ وقد نهى الله عن عبادته كما نهى عن عبادة الأصنام إذا قومك - أيها الرسول - يلجئون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله ردًا عليهم: ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿١٠١﴾.

﴿١٠٢﴾ وقالوا: أمعبوداتنا خير أم عيسى؟ ما ضرب لك ابن الزبيري وأمثاله هذا المثل حباً للتوصل إلى الحق، ولكن حباً للجدل، فهم قوم مجبولون على الخصومة.

﴿١٠٣﴾ ما عيسى ابن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وصبرناه مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.

﴿١٠٤﴾ ولو نشاء إهلاككم - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً.

﴿١٠٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - نكث العهود من صفات الكفار. ٢ - الفاسق خفيف العقل يستخفه من أراد استخفافه. ٣ - غضب الله يوجب الخسران. ٤ - أهل الضلال يسعون إلى تحريف دلالات النص القرآني حسب أهوائهم.

وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُونَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٢ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٦٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْأَلِيمِ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٦ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧ يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٣

٦١ وإن عيسى لعلامة من علامات الساعة الكبرى حين ينزل آخر الزمان، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، واتبعوني فيما جئتكم به من عند الله، هذا الذي جئتكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

٦٢ ولا يصرفنكم الشيطان عن الصراط المستقيم بإغوائه وإغرائه، إنه لكم عدو بين العداوة.

٦٣ ولما جاء عيسى ﷺ قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامتنال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.

٦٤ إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة، هذا التوحيد الذي دعوتكم إليه، وإخلاص العبادة لله، هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

٦٥ فاختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى؛ فمنهم من يقول: هو إله، ومن يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو وأمه إلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم - بما وصفوا به عيسى من الألوهية، أو البنوة، أو أنه ثالث ثلاثة - من عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

٦٦ هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في شأن عيسى إلا الساعة تأتيهم فجأة وهم لا يحسبون بإتيانها؟ فإن جاءتهم وهم على كفرهم فإن مصيرهم العذاب الأليم.

٦٧ المتخاللون والمتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء يوم القيامة إلا المتقين لله بامتنال أوامره واجتنب نواهيه، فخلتكم دائمة لا تنقطع.

٦٨ ويقول لهم الله: يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

٦٩ الذين صدقوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا منقادين للقرآن؛ يأترون بأوامره، ويتنبهون عن نواهيه.

٧٠ ادخلوا الجنة أنتم وأمثالكم في الإيمان، تسرون بما تلقونه من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

٧١ يطوف عليهم خدامهم بأنية من ذهب وبأكواب لا عرى لها، وفي الجنة ما تشتهي النفس، وتلذذ العين برؤيته، وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبداً.

٧٢ تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلاً منه.

٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة لا تنقطع، منها تأكلون.

● فوائد من الآيات:

- ١ - نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى.
- ٢ - عداوة الشيطان لبني آدم.
- ٣ - انقطاع حُلَّة الفساق يوم القيامة، ودوام حُلَّة المتقين.

ولما ذكر الله جزاء المتقين ذكر جزاء من هم ضدّهم وهم المجرمون فقال:

(٧٤) إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون (٧٥) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (٧٦) وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين (٧٧) ونادوا ويملكك ليقيم علينا ربك قال إنكم مكنثون (٧٨) لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كرهون (٧٩) أم أتروا أمرا

فأنا أمرؤن (٨٠) أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجودهم بل ورسلنا لديهم يكتبون (٨١) قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العبيد (٨٢) سبحن رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون (٨٣) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم

الذي يوعدون (٨٤) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (٨٥) وبأرك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعند علم الساعة وإليه ترجعون (٨٦) ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٧) ولئن سألتهم من خلقهم

ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٨) وقيله يرب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (٨٩) فأصغ عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (٩٠) تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش

عما يقوله هؤلاء المشركون من نسبة الشريك والصاحبة والولد إليه. (٩١) فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم عليه من الباطل، ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، فسيعلمون عاقبة ما كانوا عليه من ذلك ويندمون.

(٩٢) وهو سبحانه المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره، العليم بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

(٩٣) وتزايد خير الله وبركته سبحانه، الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما، وعنده وحده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

(٩٤) ولا يملك الذين يعبدون المشركون من دون الله الشفاعة عند الله، إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وهو يعلم ما شهد به؛ مثل عيسى وعزير والملائكة.

(٩٥) ولئن سألتهم: من خلقهم؟ ليقولن: خلقنا الله، فكيف يصرفون عن عبادته بعد هذا الاعتراف؟ وعنده سبحانه علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، وقوله فيها: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم.

(٩٦) فأعرض عنهم، وقل لهم ما تدفع به شرهم - وكان هذا في مكة - فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

فإن من الآيات:

١ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٦ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٧ - كراهة الحق خطر عظيم. ٨ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٩ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ١٠ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

١١ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ١٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ١٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ١٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ١٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

١٦ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ١٧ - كراهة الحق خطر عظيم. ١٨ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ١٩ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٢٠ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٢١ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٢٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ٢٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٢٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٢٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٢٦ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٢٧ - كراهة الحق خطر عظيم. ٢٨ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٢٩ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٣٠ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٣١ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٣٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ٣٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٣٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٣٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٣٦ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٣٧ - كراهة الحق خطر عظيم. ٣٨ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٣٩ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٤٠ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٤١ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٤٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ٤٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٤٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٤٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

٤٦ - تبيس الكفار من الخروج من النار. ٤٧ - كراهة الحق خطر عظيم. ٤٨ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. ٤٩ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٥٠ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَاذْكُرُوا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَتَى لَهُمُ الْذِكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۝ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

لا محيي ولا مميت غيره، ربكم ورب آبائكم المتقدمين.

ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بما هم فيه من الباطل.

فانتظر - أيها الرسول - عذابهم القريب يوم تأتي السماء بدخان واضح.

يَعْمُ الناس، ويقال لهم: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موجه.

فيتضرعون إلى ربهم سائلين: ربنا اصرف عنا العذاب الذي أرسلته علينا، إنا مؤمنون بك وبرسولك إن صرفته عنا.

كيف لهم أن يتذكروا وينبوا إلى ربهم وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقه وأمانته؟

ثم أعرضوا عن التصديق به، وقالوا عنه: هو معلم يعلمه غيره وليس برسول، وقالوا عنه: هو مجنون.

إنا حين نصرف عنكم العذاب قليلاً، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم.

وانتظروهم - أيها الرسول - يوم نبطش بالكفار البطشة الكبرى بإدخالهم النار يوم القيامة خالدين فيها، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله.

ولقد اخترنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول من الله كريم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وهو موسى عليه السلام.

قال موسى لفرعون وقومه: اتركوا لي بني إسرائيل، فهم عباد الله، ليس لكم حق أن تستعبدوهم، إني لكم رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم، لا أنقص منه شيئاً ولا أزيده.

فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

١ - كان بدء نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في ليلة القدر. ٢ - أن ليلة القدر في شهر رمضان. ٣ - رسالات الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين.

﴿١٩﴾ وَأَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ بِتَرْكِ عِبَادَتِهِ، والاستعلاء على عباده، إني آتيكم بحجة واضحة.

﴿٢٠﴾ وإني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلوني بالرجم بالحجارة.

﴿٢١﴾ وإن لم تصدقوا بما جئت به فاعتزلوني، ولا تقربوني بسوء.

﴿٢٢﴾ فدعا موسى ﷺ ربه: أن هؤلاء القوم - فرعون وملأه - قوم مجرمون يستحقون تعجيل العقاب.

﴿٢٣﴾ فأمر الله موسى أن يسري بقومه ليلاً، وأخبره أن فرعون وقومه سيبعونهم.

﴿٢٤﴾ وأمره إذا اجتاز هو وبنو إسرائيل أن يترك البحر ساكناً كما كان، إن فرعون وقومه جند مهلكون بالغرق في البحر.

﴿٢٥﴾ كم خلف فرعون وقومه وراءهم من بساتين وعيون جارية!

﴿٢٦﴾ وكم خلفوا وراءهم من زروع ومجلس حسن!

﴿٢٧﴾ وكم خلفوا وراءهم من عيشة كانوا فيها متنعمين!

﴿٢٨﴾ هكذا حدث لهم ما وصف لكم، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم قوماً آخرين هم بنو إسرائيل.

﴿٢٩﴾ فما بكت على فرعون وقومه السماء والأرض حين غرقوا، وما كانوا مُمهّلين حتى يتوبوا.

﴿٣٠﴾ ولقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب المؤلِّد، حيث كان فرعون وقومه يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿٣١﴾ أنقذناهم من عذاب فرعون، إنه كان مستكبراً من المتجاوزين لأمر الله ودينه.

﴿٣٢﴾ ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا على عالمي زمانهم لكثرة أنبيائهم.

﴿٣٣﴾ وأعطيناهم من المعجزات التي أيّدنا بها موسى ما فيه نعمة ظاهرة لهم كالمنّ والسلوى وغيرهما.

﴿٣٤﴾ إن هؤلاء المشركين المكذّبين ليقولون منكرين للبعث: ما هي إلا موتتنا الأولى فلا حياة بعدها، وما نحن بمبعوثين بعد هذه الموتة.

﴿٣٥﴾ فأت - يا محمد - أنت ومن معك من أتباعك بآبائنا الذين ماتوا أحياء إن كنتم صادقين فيما تدّعون من أن الله يبعث الموتى أحياء للحساب والجزاء.

﴿٣٦﴾ أهؤلاء المشركون المكذّبون بك - أيها الرسول - خير في القوة والمنعة، أم قوم تُبعّ والذين من بعدهم مثل عاد وثمود، أهلكناهم جميعاً، إنهم كانوا مجرمين.

﴿٣٧﴾ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعتين بخلقها.

﴿٣٨﴾ ما خلقنا السماوات والأرض إلا لحكمة بالغة، ولكن معظم المشركين لا يعلمون ذلك.

﴿٣٩﴾ فإِذَا مَنَّ الْآيَاتُ:

١ - وجوب لجوء المؤمن إلى ربه أن يحفظه من كيد عدوّه.

٢ - مشروعية الدعاء على الكفار عندما لا يستجيبون للدعوة، وعندما يحاربون أهلها. ٣ - الكون لا يحزن لموت الكافر لهوانه على الله. ٤ - خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة يجهلها الملحدون.

٤٠) إِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَفْصِلُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ مِيعَادَ الْخَلَائِقِ جَمِيعًا يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ فِيهِ .
 ٤١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ قَرِيبَ قَرِيبِهِ ، وَلَا صَدِيقَ صَدِيقِهِ ، وَلَا هُمْ يَمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ ، لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ ادْعَاءَهُ .
 ٤٢) إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقَدْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

ولما ذكر الله القيامة ذكر افتراق الناس فيها حسب الجزاء ، فقال :

٤٣) إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ الَّتِي أَنْبَتَهَا اللَّهُ فِي أَصْلِ الْحَجِيمِ .
 ٤٤) طَعَامٌ كَثِيرٌ الْآثَامِ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا الْخَيْثُ .
 ٤٥) مِثْلُ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ ، يَغْلِي فِي بَطُونِهِمْ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهِ .

٤٦) مِثْلُ غَلِي الْمَاءِ الْمَتَاهِي فِي الْحَرَارَةِ .
 ٤٧) وَيُقَالُ لِرَبَانِيَةِ النَّارِ : خَذَوُهُ فَجَزَّوْهُ بَعْنَفٍ وَغَلِظَةً إِلَى وَسْطِ الْحَجِيمِ .
 ٤٨) ثُمَّ صَبَوْا فَوْقَ رَأْسِ هَذَا الْمُعَذَّبِ الْمَاءَ الْحَارَّ فَلَا يَفَارِقُهُ الْعَذَابُ .
 ٤٩) وَيُقَالُ لَهُ تَهَكُّمًا : ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُضَامُ جَنَابُكَ الْكَرِيمُ فِي قَوْمِكَ .

إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٠ يَوْمَ لَا يَغْنَى مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤٢ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ٤٣ طَعَامُ الْأَلِيمِ ٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥ كَغَلِي الْحَجِيمِ ٤٦ خَذَوُهُ فَأَعْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْحَجِيمِ ٤٧ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَجِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٢ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٥٣ كَذَلِكَ زُوجْنَا نَحْمُورَ عَيْنٍ ٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ٥٥ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْحَجِيمِ ٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ٥٩

سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

آيَاتُهَا ٢٧

رَبَّنَا ٤٥

٥٠) إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تَشْكُونَ فِي وَقْعِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَدْ زَالَ عَنْكُمْ الشُّكُّ بِمَعَانِيَتِهِ .
 ٥١) إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَرَبِّهِمْ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فِي مَوْضِعِ إِقَامَةِ آمَنُونَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ يَصِيهِمُ .
 ٥٢) فِي بَسَاتِينَ وَعُيُونٍ جَارِيَةٍ .
 ٥٣) يَلْبَسُونَ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقَ الدِّيَابِ وَغَلِظَهُ ، يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَا يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ قَفَا الْآخَرِ .
 ٥٤) كَمَا أَكْرَمْنَاهُمْ بِذَلِكَ الْمَذْكُورِ زَوْجَانَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِالْحَسَانِ مِنَ النَّسَاءِ وَاسْعَاتِ الْأَعْيُنِ فِي جَمَالِهَا .
 ٥٥) يَدْعُونَ خُدَمَهُمْ فِيهَا لِبَاتِهِمْ بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَرَادَوْهَا آمِنِينَ مِنْ انْقِطَاعِهَا ، وَمِنْ مَضَارِهَا .
 ٥٦) خَالِدِينَ فِيهَا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ النَّارِ .
 ٥٧) تَفَضُّلاً وَإِحْسَانًا مِنْ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِهِمْ ، ذَلِكَ الْمَذْكُورُ - مِنْ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ ، وَوَقَايَتِهِمْ مِنَ النَّارِ - هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ .
 ٥٨) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَسَهَّلْنَاهُ بِإِنزَالِهِ بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَعَلَّهُمْ يَتَعَفَّوْنَ .
 ٥٩) فَانْتَظِرْ نَصْرَكَ وَهَلَاكَهُمْ ، إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ هَلَاكَكَ .

فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ :

- ١ - الجمع بين العذاب الجسمي والنفسي للكافر .
- ٢ - الجمع بين النعيم الجسمي والنفسي للمؤمن .
- ٣ - الفوز العظيم هو النجاة من النار ودخول الجنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَوْمُنُونَ ٦ وَلِلَّهِ كُلُّ آفَاكٍ أُثِيمٌ ٧ يَسْمَعُ آيَاتُ
اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٨ وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ٩ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ ١١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ ١٢
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بَأَمَرٍ وَابْتِغَاءً مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٣ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَتْنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٤

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق، من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة.

﴿التفسير﴾:

﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

﴿٢﴾ إن في السماوات والأرض دلائل على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٣﴾ وفي خلقكم - أيها الناس - من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علقة، وفي خلق ما يشبه الله من دابة تدب على وجه الأرض دلائل على وحدانيته لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.

﴿٤﴾ وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بإنباتها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها، وفي تصرف الرياح بالإنبيان بها مرة من جهة، ومرة من أخرى لمنافعكم؛ دلائل لقوم يعقلون، فيستدلون بها على وحدانية الله وقدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.

﴿٥﴾ هذه الآيات والبراهين تتلوها عليك - أيها الرسول - بالحق، فإن لم يؤمنوا بحديث الله

المنزل على عبده ويحججه، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي حجج بعده يصدقون؟

﴿٦﴾ عذاب من الله وهلاك لكل كذاب كثير الآثام.

﴿٧﴾ يسمع هذا الكافر آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يستمر على ما كان عليه من الكفر والمعاصي؛ متعاليًا في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقروءة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوؤه في آخرته، وهو عذاب موجه ينتظره فيها.

﴿٨﴾ وإذا بلغه شيء من القرآن اتخذته سخرية يسخر منه، أولئك المتصفون بصفة السخرية من القرآن لهم عذاب مذل يوم القيامة. من أمامهم نار جهنم تنتظرهم في الآخرة، ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال من الله شيئًا، ولا يدفع عنهم شيئًا ما اتخذوه من دونه من الأصنام التي يعبدونها من دونه، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم.

﴿٩﴾ هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا محمد هاد إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم المنزلة على رسوله لهم عذاب سيئ موجه.

﴿١٠﴾ الله وحده هو الذي سخر لكم - أيها الناس - البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بأنواع المكاسب المباحة، ولعلكم تشكرون نعمة الله عليكم.

﴿١١﴾ وسخر لكم سبحانه ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من أنهار وأشجار وجبال وغيرها، إن في تسخير ذلك لكم دلائل على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يتفكرون في آياته، فيعتبرون بها.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله: صفات أهل الضلال، وقد توعد الله المتصف بها.

٢ - نعم الله على عباده كثيرة، ومنها تسخير ما في الكون لهم. ٣ - النعم تقتضي من العباد شكر المعبود الذي منحهم إياها.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - للذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله: تجاوزوا عن أساء إليكم من الكفار الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون عقابه، فإن الله سيجزي كلًا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين، بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

﴿١٥﴾ من عمل عملاً صالحاً فنتيجة عمله الصالح له، والله غني عن عمله، ومن أساء عمله فنتيجة عمله السيئ عقابه عليه، والله لا تضره إساءته، ثم إلينا وحدنا ترجعون في الآخرة لنجازي كلًا بما يستحقه.

﴿١٦﴾ ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، ورزقناهم من أنواع الطيبات، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

﴿١٧﴾ وأعطيناهم دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعدما قامت عليهم الحجج ببعثة نبينا محمد عليه السلام، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغى بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين من كان محقاً، ومن كان مبطلاً.

﴿١٨﴾ ثم جعلناك - أيها الرسول - على شريعة من أمر الإسلام تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح،

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّا بَعَدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنَوْنَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَّاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق؛ فأهواؤهم مضلة عن الحق.

﴿١٩﴾ إن الذين لا يعلمون الحق لن يكفو عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين من جميع الملل والنحل بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين؛ له بمآثل أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿٢٠﴾ هذا القرآن المنزل على رسولنا يبصر بها الناس الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين يهتدون به إلى الصراط المستقيم ليرضى عنهم ربهم، فيدخلهم الجنة، ويزحزحهم عن النار.

﴿٢١﴾ يتوهم الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نجعلهم في الجزاء مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستون في الدنيا والآخرة، قبح حكمهم هذا.

﴿٢٢﴾ وخلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثاً، ولتجزي كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بنقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - العفو والتجاوز عن الظالم إذا لم يُظهر الفساد في الأرض، ويعتدي على حدود الله؛ خلق فاضل أمر الله به المؤمنين إن غلب على ظهم العقابة الحسنة.
- ٢ - وجوب اتباع الشرع والبعد عن اتباع أهواء البشر.
- ٣ - كما لا يستوي المؤمنون والكافرون في الصفات، فلا يستون في الجزاء.
- ٤ - خلق الله السماوات وفق حكمة بالغة يجهلها الماديون الملحدون.

﴿٢٢﴾ انظر أيها الرسول إلى من اتبع هواه وجعله بمنزلة المعبود له الذي لا يخالفه، فقد أضله الله على علم منه؛ لأنه يستحق الإضلال، وختم على قلبه فلا يسمع سماعاً ينتفع به، وجعل الله على بصره غطاء يمنعه من إِبصار الحق، فمن الذي يوفقه للحق بعد أن أضله الله؟ أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، ونفع اتباع شرع الله؟

﴿٢٣﴾ وقال الكافرون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيى أجيال، وما يميتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

﴿٢٤﴾ وإذا تقرأ على المشركين المنكرين للبعث آياتنا واضحات ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا قولهم للرسول ﷺ وأصحابه: أحيوا لنا آبائنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث بعد موتنا.

﴿٢٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله يحييكم بخلقكم من نطفة، ثم يميتكم، ثم يجمعكم بعد موتكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آت، ولكن معظم الناس لا يعلمون، لذلك لا يستعدون له بالعمل الصالح.

﴿٢٦﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ فُجُورَهُ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا نُسِئْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣١﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَأَتَىٰ تَكْذِبَ أَيْنَ تُدْعَىٰ عَلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ وَعَدُ اللَّهُ حَقًّا وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٧﴾ ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، فلا يُعبد بحق غيره فيهما، ويوم تقوم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء يخسر أصحاب الباطل الذين كانوا يعبدون غير الله، ويسعون لإبطال الحق، وإحقاق الباطل.

﴿٣٨﴾ وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم كل أمة باركة على ركبها تنتظر ما يفعل بها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها الذي كتبه الحفظة من الملائكة، اليوم تجزون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

﴿٣٩﴾ هذا كتابنا - الذي كانت ملائكتنا تكتب فيه أعمالكم - ينطق عليكم بالحق فاقروه، إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٤٠﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم سبحانه في جنته برحمته، ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

﴿٤١﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَكُّيًّا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قوماً مجرمين، تكسبون الكفر والآثام؟

﴿٤٢﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مِرْيَةَ فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلتم: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظناً ضعيفاً أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

﴿٤٣﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - اتباع الهوى يهلك صاحبه.

٢ - الظن لا يغني من الحق شيئاً، خاصة في مجال الاعتقاد.

﴿٣٣﴾ وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يحذرون منه.

﴿٣٤﴾ وقال لهم الله: اليوم تترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا وما أنتم في النار كما بالإيمان والعمل الصالح، ومستقركم الذي تأوون إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله.

﴿٣٥﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً تسخرون منها، وخذعتمكم الحياة بلذاتها وشهواتها، فاليوم لا يخرج هؤلاء الكفار المستهزون بآيات الله من النار، بل يبقون فيها خالدين أبداً، ولا يردون إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يرضي عنهم ربهم.

﴿٣٦﴾ فله وحده الحمد، رب السماوات ورب الأرض، ورب جميع المخلوقات.

﴿٣٧﴾ وله الجلال والعظمة في السماوات وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتديره.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

— مكية —

﴿٣٨﴾ مقصد السورة:

تركز على إقامة الحجة على المكذبين وإنذارهم

بالعذاب، وكذا تكرر فيها لفظ الإنذار.

﴿٣٩﴾ التفسير:

﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.

﴿٣﴾ ما خلقنا السماوات وما خلقنا الأرض وما بينهما عبثاً، بل خلقنا ذلك كله بالحق لحكم بالغة، منها أن يعرفه العباد من خلالها فيعبده وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وليقوموا بمقتضيات استخلاصهم في الأرض إلى أمد محدد يعلمه الله وحده، والذين كفروا بالله معرضون عما أنذروا به في كتاب الله، لا يبالون به.

﴿٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المعرضين عن الحق: أخبروني عن أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ماذا خلقوا من أجزاء الأرض؟ هل خلقوا جبلاً؟ هل خلقوا نهراً؟ أم لهم شرك ونصيب مع الله في خلق السماوات؟ جيئني بكتاب منزل من عند الله من قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعواكم أن أصنامكم تستحق العبادة.

﴿٥﴾ ولا أحد أضل ممن يعبد من دون الله صنماً لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ لأنها جماد، لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل.

﴿٦﴾ فوائد من الآيات:

١ - الاستهزاء بآيات الله كفر. ٢ - خطر الاغترار بلذات الدنيا وشهواتها. ٣ - ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى.

﴿١﴾ ومع كونها لا تنفعهم في الدنيا فإنهم إذا حُشِرُوا يوم القيامة يكونون أعداء لمن كانوا يعبدونهم، ويتبرؤون منهم، وينكرون أنهم كانوا على علم بعبادتهم إياهم.

﴿٢﴾ وإذا تقرأ عليهم آياتنا المنزلة على رسولنا قال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم على يد رسولهم: هذا سحر واضح، وليس وحياً من الله.

﴿٣﴾ هل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ونسبه إلى الله؟ قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته من تلقاء نفسي فلا تملكون لي حيلة إن أراد الله أن يعذبني، فكيف أعرض نفسي للعذاب بالاختلاق عليه؟ الله أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في قرآنه والقدح في، كفى به سبحانه شهيداً بيني وبينكم، وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بنبتك: ما كنت أول رسول يبعثه الله، فقد سبقني رسل كثيرون، ولا أعلم ما يفعله الله بي، ولا ما يفعله بكم في الدنيا، إن أتبع إلا ما يوحى الله إليّ، فلا أقول ولا أفعل إلا وفق ما يوحى، وما أنا إلا نذير أنذركم عذاب الله، بين النذارة.

﴿٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله؛ اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمّن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به، أستم حيثن ظالمين؟ إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق. وقال الذين كذبوا بالقرآن وبما جاءهم به رسولهم: لو كان ما جاء به محمد حقاً يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء، ولأنهم لم يهتدوا بما جاءهم به رسولهم فسيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب.

﴿٦﴾ ومن قبل هذا القرآن التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ إماماً يُقْتَدَى به في الحق، ورحمة لمن آمن به واتبعه من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي لينذر به الذين ظلموا أنفسهم؛ بالشرك بالله وبفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا علاقته مع خالقهم، وعلاقته مع خلقه.

﴿٧﴾ إن الذين قالوا: ربنا الله لا رب لنا غيره، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

﴿٨﴾ أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ما كانوا فيها أبداً؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا.

﴿٩﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - كل من عُبد من دون الله ينكر على من عبده من الكافرين. ٢ - النبي محمد ﷺ ليس أول الرسل، لكنه آخرهم. ٣ - عدم معرفة النبي ﷺ بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه منه. ٤ - وجود ما يثبت نبوة نبينا ﷺ في الكتب السابقة. ٥ - بيان فضل الاستقامة وجزاء أصحابها.

﴿١٥﴾ وأمرنا الإنسان أمراً مؤكداً أن يحسن إلى والديه، بأن يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما بما لا مخالفة فيه للشرع، وعلى وجه الخصوص أمه التي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ومدة حملها التي مكثها وبدء فطامه ثلاثون شهراً، حتى إذا بلغ اكتمال قوته العقلية والبدنية قال: رب، ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ بها وعلى والديّ، وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه، وتقبله مني، وأصلح لي أولادي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المنقادين لطاعتك، المستسلمين لأوامرك.

﴿١٦﴾ أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحات، ونتجاوز عن سيئاتهم، فلا نؤاخذهم بها، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق، سيتحقق لا محالة.

ولما ذكر مثلاً للبار بأبويه ترغيباً في البر ذكر مثلاً للعاق تنفيراً من العقوق، فقال:

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه: تبّاً لكم، أتعادني أن أخرج من قبري حياً بعد موتي، وقد مضت القرون الكثيرة، ومات الناس فيها فلم يبعث أحد منهم حياً؟! ووالداه يطلبان الغوث

من الله أن يهدي ابنهما للإيمان، ويقولان لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث، فأمين به، إن وعد الله بالبعث حق لا مرية فيه، فيقول هو مجدداً إنكاره للبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين وما سطره، لا يثبت عن الله.

﴿١٨﴾ أولئك الذين وجب لهم العذاب في جملة أمم من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين؛ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار.

﴿١٩﴾ ولكلا الفريقين - فريق الجنة، وفريق السعير - مراتب حسب أعمالهم، فمراتب أهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿٢٠﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وكذبوا رسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بما فيها من الملذات، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي يهينكم ويدلكم بسبب تكبركم في الأرض بغير الحق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان مكانة البر في الإسلام، بخاصة في حق الأم، والتحذير من العقوق.

٢ - بيان خطر التوسع في ملاذ الدنيا؛ لأنها تشغل عن الآخرة.

٣ - بيان الوعيد الشديد لأصحاب الكبر والفسوق.

وَأَذْكُرُ أَهْلًا عَادًا إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ قَوْمُهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُورُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَلِجْنَتْنَا لِمَا فَكُنَّا عَنْ هَيْئَتِنَا قَائِنًا
 بِمَا تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَى كُفْرَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٤٣﴾
 فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّا فِيهَا مَكَنًا فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ
 أَهْلَكْنَا مَا وَحَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
 ﴿٤٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - هودًا أخا عاد في النسب حين أنذر قومه من وقوع عذاب الله عليهم، وهم بمنازلهم بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل هود وبعده، قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا إلا الله وحده، فلا تعبدوا معه غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

﴿٤٢﴾ قال له قومه: أجبنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ لن يكون لك ذلك، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقًا فيما تدعيه.

﴿٤٣﴾ قال: إنما علم وقت العذاب عند الله، وأنا لا أعلم لي به، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قَوْمًا تجهلون ما فيه نفعتكم فتكونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.

﴿٤٤﴾ فلما جاءهم ما استعجلوا به من العذاب، فرأوه سحابًا عارضًا في جهة من السماء متجهًا لأوديتهم قالوا: هذا عارض مصيبنا بالمطر، قال لهم هود: ليس الأمر كما ظننتم من أنه سحاب ممطركم، بل هو العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم.

﴿٤٥﴾ تدمر كل شيء مرت عليها مما أمرها الله بإهلاكه، فأصبحوا هلكى، لا يرى إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها شاهدة على وجودهم فيها من قبل، مثل هذا الجزاء المؤلم نجزي المجرمين المصيرين على كفرهم ومعاصيهم.

﴿٤٦﴾ ولقد أعطينا قوم هود من أسباب التمكين ما لم نعطكم إياه، وجعلنا لهم أسماعًا يسمعون بها، وأبصارًا يبصرون بها، وقلوبًا يعقلون بها، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم عذاب الله لما جاءهم، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي خوفهم منه نبيهم هود عليه السلام.

﴿٤٧﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم - يا أهل مكة - من القرى، فقد أهلكنا عَادًا وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحجج والبراهين؛ رجاء أن يرجعوا عن كفرهم.

﴿٤٨﴾ فهلاً نصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله يتقربون إليها بالعبادة والذبح؟ لم تنصرهم قطعاً، بل غابت عنهم أحوج ما كانوا إليها، وذلك كذبهم وافتراءهم الذي متوا به أنفسهم أن هذه الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله.

﴿فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - لا أعلم للرسول بالغيب إلا ما أطلعهم بهم عليه منه.
- ٢ - اغترار قوم هود حين ظنوا العذاب النازل بهم مطراً، فلم يتوبوا قبل مباغتته لهم.
- ٣ - قوة قوم عاد فوق قوة قريش، ومع ذلك أهلكهم الله.
- ٤ - العاقل من يتعظ بغيره، والجاهل من يتعظ بنفسه.

﴿٢١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أرسلنا إليك فريقًا من الجن يستمعون القرآن المنزل عليك، فلما حضروا لسماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى تتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم ينذرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

﴿٢٢﴾ قالوا لهم: يا قومنا، إنا سمعنا كتابًا أنزله الله من بعد موسى مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله، هذا الكتاب الذي سمعناه يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، وهو طريق الإسلام.

﴿٢٣﴾ يا قومنا، أجيئوا محمدًا إلى ما دعاكم إليه من الحق، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موجه ينتظركم إذا لم تجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الحق، ولم تؤمنوا أنه رسول من ربه. ﴿٢٤﴾ ومن لا يجب محمدًا ﷺ إلى ما يدعوه إليه من الحق فلن يعجز الله بالهرب في الأرض ولن يفوته، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

﴿٢٥﴾ أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِيَكَم مِّنْ عَذَابِ الْآلِمْ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَخْلَةً يَوْمَ يُخْلِقُهُنَّ يَغْفِرُ عَلَىٰ أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوَّلُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

سُورَةُ الْحَقِّ

الأرض ولم يعجز عن خلقهن مع ضخامتهن واتساعهن قادر على أن يحيي الموتى للحساب والجزاء؟ بلى، إنه لقادر على إحيائهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء الموتى.

﴿٢٨﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وبرسوله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخًا لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه من العذاب حقًا؟ أم أنه كذب كما كنتم تقولون في الدنيا؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله.

﴿٢٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك مثل ما صبر أولو العزم من الرسل، وهم بالإضافة إلى رسولنا ﷺ: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، ولا تستعجل لهم العذاب، كأن المكذبين من قومك يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الآخرة لم يمشوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لطول عذابهم، هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ إلى الناس جميعًا وإلى الجن كذلك، فإنه لا يهلك بالعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٣٠﴾ فَوَلِّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من حسن الأدب الاستماع إلى المتكلم والإنصات له.
- ٢ - سرعة استجابة المهتدين من الجن إلى الحق رسالة ترغيب إلى الإنس.
- ٣ - الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.
- ٤ - الصبر خلق الأنبياء ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ مقصد السورة :

تركز على قضية تحريض المؤمنين على القتال، تقوية لهم وتوهيناً للكافرين.

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ الذين كفروا بالله، وصرفوا الناس عن دين الله أبطل الله أعمالهم.

﴿٢﴾ والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، وآمنوا بما نزل الله على رسوله محمد - وما نزل على رسوله محمد هو الحق من ربهم - كُفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ فلا يؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿٣﴾ ذلك الجزاء المذكور للفريقين هو بسبب أن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فاختلَفَ جزاؤهما لاختلاف سعيهما، كما بين الله حكمه في الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق النظر بالنظر.

﴿٤﴾ فإذا لقيتم - أيها المؤمنون - المحاربين من الذين كفروا فاضربوا رقابهم بسيوفكم، واستمروا في قتالهم حتى تكثروا فيهم القتل، فتستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثرتم فيهم القتل فشدوا قيود الأسرى، فإذا أسرتموهم فلکم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴿١﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴿٢﴾ ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴿٣﴾ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اخشعنهم فشدوا الوثاق فإما منان بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن يبلوا بعبصكم بعض الذين قبلوا في سبيل الله فلن يضل عملهم ﴿٤﴾ سيدهم ويصلح بالهم ﴿٥﴾ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴿٦﴾ يتأيتها الذين آمنوا إن نصرنا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴿٧﴾ والذين كفروا فتعساهم وأضل أعمالهم ﴿٨﴾ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴿٩﴾ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴿١٠﴾ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴿١١﴾

الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة؛ بين المن عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفاداتهم بمال أو غيره، أو قتلهم أو استرقاقهم، واصلوا قتالهم وأسرهم حتى تنتهي الحرب بإسلام الكفار أو معادتهم، ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومدالة الأيام وانتصار بعضهم على بعض، هو حكم الله، ولو شاء الله الانتصار من الكفار دون قتال لا انتصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليختبر بعضكم ببعض، فيختبر من يقاتل من المؤمنين ومن لا يقاتل، ويختبر الكافر بالمؤمن، فإن قتل المؤمن دخل الجنة، وإن قتل المؤمن دخل هو النار، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم.

﴿١٢﴾ سيوفهم لاتباع الحق في حياتهم الدنيا، ويصلح شأنهم.

﴿١٣﴾ ويدخلهم الجنة يوم القيامة، بيتها لهم بأوصافها في الدنيا فعرفوها، وعرفهم منازلهم فيها في الآخرة.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع لهم، إن تنصروا الله ينصركم وينصر نبيه ودينه، ويقاتل الكفار، ينصركم بمنحكم الغلبة عليهم، ويثبت أقدامكم في الحرب عند لقاءهم.

﴿١٥﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله فلهم الخسران والهلاك، وأبطل الله ثواب أعمالهم.

﴿١٦﴾ ذلك العقاب الواقع بهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن لما فيه من توحيد الله، فأحبط الله أعمالهم، فخسروا في الدنيا والآخرة.

﴿١٧﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، فقد كانت نهاية مؤلمة، دمر الله عليهم مساكنهم، فأهلكهم وأهلك أولادهم وأموالهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال تلك العقوبات.

﴿١٨﴾ ذلك الجزاء المذكور للفريقين؛ لأن الله ناصر الذين آمنوا به، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

﴿١٩﴾ من الآيات: ١ - النكاية في العدو بالقتل وسيلة مثلى لإخضاعه. ٢ - المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر، يؤخذ منها ما يحقق المصلحة. ٣ - نصر الله للمؤمنين مشروط بنصرهم لدينه.

﴿١٧﴾ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَتَمَتَّعُونَ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ شَهَوَاتِهِمْ، وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، لَا هُمْ لَهُمْ إِلَّا بَطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ، وَالنَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ الَّذِي يَأْوِنُونَهُ إِلَى.

﴿١٨﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلُهَا مِنْهَا، أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا كَذَبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ يَنْقُذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَهُمْ، فَلَا يَعْجِزُنَا إِهْلَاكُ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا أَرْدَنَاهُ.

﴿١٩﴾ هَلْ مِنْ كَانَ لَهُ بَرَهَانٌ بَيْنٌ وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ مِنْ رَبِّهِ، فَهُوَ يَعْبُدُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمْ مِنْ زَيْنَ لَهُ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا مَا تَمْلِيهِ عَلَيْهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَارْتِكَابِ الْإِثْمِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالرُّسُلِ؟

﴿٢٠﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ لَهُ - بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ - أَنْ يَدْخُلَهُمْ فِيهَا: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مُتَغَيِّرٍ رِيحًا وَلَا طَعْمًا لَطَوْلُ مُكُثٍ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذَةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الشَّوَابِ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ مَا يَشَاؤُونَ، وَلَهُمْ

إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَئِنَّمَا أَوْلَتْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآثَمُ النَّهْمُ يَقُولُهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْ هُمْ إِذْ جَاءَتْهُمْ ذَكَرْتَهُمْ ﴿٢٣﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوًىكُمْ ﴿٢٤﴾

فوق ذلك كله محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاءه مع من هو مأكث في النار لا يخرج منها أبدًا، وسقوا ماء شديد الحرارة، فقطع أمعاء بطونهم من شدة حره؟

﴿٢٥﴾ ومن المنافقين من يستمع إليك - أيها الرسول - سماعًا لا قبول معه، بل مع إعراض، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أعطاهم الله علمًا: ماذا قال في حديثه قريبًا؟ تجاهلاً منهم وإعراضًا، أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم، فلا يصل إليها خير، واتبعوا أهواءهم، فأعمتهم عن الحق.

﴿٢٦﴾ والذين اهتدوا إلى طريق الحق، واتباع ما جاء به الرسول ﷺ، زادهم ربهم هداية وتوفيقًا للخير، وألهمهم العمل بما يقيهم من النار.

﴿٢٧﴾ فهل ينظر الكفار إلا أن تأتيهم الساعة فجأة من غير سابق علم لهم بها؟ فقد جاءت علاماتها، ومنها بعثته ﷺ، وانشقاق القمر، فكيف لهم أن يتذكروا إذا جاءتهم الساعة؟ وبعيد أن يتففعوا بالذكرى.

﴿٢٨﴾ فأيقن - أيها الرسول - أنه لا معبود بحق غير الله، واطلب من الله المغفرة لذنوبك، واطلب المغفرة منه لذنوب المؤمنين وذنوب المؤمنات، والله يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم ليلكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٢٩﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - اقتصار هم الكافر على التمتع في الدنيا بالمتع الزائلة.
- ٢ - المقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين تبين الفرق الشاسع بينهما؛ ليختار العاقل أن يكون مؤمنًا، ويختار الأحق أن يكون كافرًا.
- ٣ - بيان سوء أدب المنافقين مع رسول الله ﷺ.
- ٤ - العلم قبل القول والعمل.

﴿٢٠﴾ ويقول الذين آمنوا بالله متمنين أن ينزل الله على رسوله سورة تشتمل على حكم القتال: هلاً أنزل الله سورة فيها ذكر القتال، فإذا أنزل الله سورة محكمة لا نسخ فيها مشتملة على ذكر القتال، رأيت - أيها الرسول - الذين في قلوبهم شك من المنافقين ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فأولى لهم من النكوص عن القتال والخوف منه.

﴿٢١﴾ أن يطيعوا أمر الله، وأن يقولوا قولاً معروفاً لا نكر فيه خير لهم، فإذا فرض القتال وجد الجِدَّ، فلو صدقوا الله في إيمانهم به، وطاعتهم له لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أوامر الله.

﴿٢٢﴾ ويغلب على حالكم إن أعرضتم عن الإيمان بالله وطاعته أنكم تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أواصر الرحم؛ كما كانت حالكم في الجاهلية.

﴿٢٣﴾ أولئك المتصفون بالفساد في الأرض وتقطع الأرحام هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصم أذانهم عن سماع الحق سماع قبول وإذعان، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار.

﴿٢٤﴾ فهلاً تدبر هؤلاء المعرضون القرآن وتأملوا ما فيه، فلو تدبروه لدلهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شر، أم على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى؟

﴿٢٥﴾ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعدما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق، ومباهم بطول الأمل.

﴿٢٦﴾ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالنسيب عن القتال. والله يعلم إسرائهم، ويعلم إعلانهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله.

﴿٢٧﴾ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد.

﴿٢٨﴾ ذلك العذاب الشديد الحاصل عند قبض أرواحهم بسبب أنهم اتبعوا كل ما أسخط الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقربهم من ربهم، ويحلّ عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم.

﴿٢٩﴾ هل يظن الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها، ليخرجنها بالابتلاء بالمحن؛ لتمييز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويفتضح المنافق.

﴿٣٠﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التكليف بالجهاد في سبيل الله يميّز المنافقين من صف المؤمنين.

٢ - أهمية تدبر كتاب الله، وخطر الإعراض عنه.

٣ - ثبوت عذاب البرزخ، وبيان أن الكفر والنفاق من أسباب عذاب القبر.

﴿٣٠﴾ ولو نشاء تعريفك - أيها الرسول - المنافقين لعرفناكمهم، فلعرفتهم بعلامتهم، وسوف تعرفهم بأسلوب كلامهم، والله يعلم أعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٣١﴾ ولنختبرنكم - أيها المؤمنون - بالجهاد وقاتل الأعداء والقتل حتى نعلم علماً - يظهر للعباد - المجاهدين منكم في سبيل الله، والصابرين منكم على قتال أعدائه، ونختبركم فنعرف الصادق منكم والكاذب.

﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وصدوا عن دين الله بأنفسهم، وصدوا عنه غيرهم، وخالفوا رسوله وعادوه من بعد ما تبين أنه نبي، لن يضرؤا الله، وإنما يضرؤن أنفسهم، وسيضل الله أعمالهم.

﴿٣٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول بأن تمتثلوا أمرهما، وتجتنبوا نهيهما، ولا تبطلوا أعمالكم بالكفر والرياء.

﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا بالله، وصرفوا أنفسهم، وصرفوا الناس عن دين الله، ثم ماتوا على كفرهم قبل التوبة، فلن يتجاوز الله عن ذنوبهم بسترها، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتُمُوهُمْ وَسَيَعْلَمُ اللَّهُ لَعَنَ الْقَوْلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٣٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٤٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٥٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٦٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٧٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٨٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٠﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩١﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٢﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٣﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٤﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٥﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٦﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٧﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٨﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿٩٩﴾ وَلَنُخَبِّرَنَّكُمْ عَنْ عَمَلِكُمْ وَنَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ الْأَعْمَالُ ﴿١٠٠﴾

﴿٣٥﴾ فلا تضعفوا - أيها المؤمنون - عن مواجهة عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح قبل أن يدعوكم إليه، وأنتم القاهرون الغالبون لهم، والله معكم بنصره وتأييده، ولن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، بل يزيدهم مثلاً منه وتفضلاً.

﴿٣٦﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، فلا يشغل بها عاقل عن العمل لآخرته، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، يعطكم ثواب أعمالكم كاملاً غير منقوص، ولا يطلب منكم أموالكم كلها، وإنما يطلب منكم الواجب من الزكاة.

﴿٣٧﴾ إن يطلب منكم جميع أموالكم، ويبلغ في طلبها منكم تبخلوا بها، ويخرج ما في قلوبكم من طمع وبخل، فترك طلبها منكم رفقا بكم.

﴿٣٨﴾ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا جزءاً من أموالكم في سبيل الله، ولا يطلب منكم إنفاق أموالكم كلها، فمنكم من يمنع الإنفاق المطلوب بخلًا منه، ومن يبخل بإنفاق جزء من ماله في سبيل الله، وإنما يبخل في الواقع على نفسه؛ بحرمانها ثواب الإنفاق، والله الغني فلا يحتاج إلى إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه، وإن ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر يهلككم، ويأت بقوم غيركم، ثم لا يكونون أمثالكم، بل يكونون مطيعين له.

﴿٣٩﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - للمنافقين صفات يُعرفون بها مهما اجتهدوا في إخفائها.
- ٢ - الاختبار سنة إلهية لتمييز المؤمنين من المنافقين.
- ٣ - تأييد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتسديد.
- ٤ - من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله.

سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ
بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَيُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَشَتَّتْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على الوعد الإلهي بالفتح والتمكين لنبيه وللمؤمنين الصادقين في نصره الدين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ إنا فتحنا لك - أيها الرسول - فتحًا مبينًا بصلح الحديبية.

﴿٢﴾ ليغفر لك الله ما تقدم قبل هذا الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده، ويكمل نعمته عليك بنصر دينك، ويهديك طريقًا مستقيمًا، لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام المستقيم.

﴿٣﴾ وينصرك الله على أعدائك نصرًا عزيزًا، لا يدفعه أحد.

﴿٤﴾ الله هو الذي أنزل الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا على إيمانهم، ولله وحده جنود السماوات والأرض، يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عليماً بمصالح عباده، حكيمًا فيما يجريه من نصر وتأيد.

﴿٥﴾ ليدخل المؤمنين بالله وبرسوله والمؤمنات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ويمحو عنهم سيئاتهم، فلا يؤاخذهم بها، وكان ذلك المذكور - من

نيل المطلوب وهو الجنة، وإبعاد المرهوب وهو المؤاخذه بالسيئات - عند الله فوزًا عظيمًا لا يدانيه فوز.

﴿٦﴾ ويعذب المنافقين والمنافقات، ويعذب المشركين بالله والمشركات، الظالنين بالله أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن الدائرة ستكون على المؤمنين، فكانت الدائرة عليهم، وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وظنهم السيئ، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة جهنم يدخلونها خالدين فيها أبدًا، وساءت جهنم مصيرًا يرجعون إليه.

﴿٧﴾ ولله جنود السماوات والأرض يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عزيزًا لا يغالبه أحد، حكيمًا في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٨﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - شاهدًا تشهد على أمتك يوم القيامة، ومبشرًا المؤمنين بما أعد لهم في الدنيا من النصر والتمكين، وبما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ومخوفًا الكافرين بما أعد لهم في الدنيا من الذلة والهزيمة على أيدي المؤمنين، وبما أعد في الآخرة من العذاب الأليم الذي ينتظرهم.

﴿٩﴾ رجاء أن تؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظموا رسوله وتجلوه، وتسبحوا الله أول النهار وآخره.

﴿١٠﴾ فرائد من الآيات:

١ - صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين.

٢ - السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات.

٣ - خطر ظن السوء بالله، فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه.

٤ - وجوب تعظيم وتوقير رسول الله ﷺ.

١٠) إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ١١) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيْتَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ١٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ١٤) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٥) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لَنَا خُذُوا هَازِلًا وَرَوْنَا نَتَّبِعُكُمْ بُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦)

١٧) سَيَقُولُ لَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَنْ خَلَفَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنْ مِرَاقَتِكَ فِي سَفَرِكَ إِلَى بَيْتِهِ إِذَا عَاتَبْتَهُمْ: شَغَلَتْنَا رِعَايَةُ أَمْوَالِنَا وَرِعَايَةُ أَوْلَادِنَا عَنْ الْمَسِيرِ مَعَكَ، فَاطْلُبْ لَنَا الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ لِدُنُونِنَا، يَقُولُونَ بَالَسَّيْتِهِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طَلَبِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا، بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَهْمَا أَخْفَيْتُمُوهَا.

١٨) لَيْسَ مَا اعْتَذَرْتُمْ بِهِ مِنَ الْإِنْشِغَالِ بِرِعَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ سَبَبَ تَخَلُّفِكُمْ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَهُ، بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ الرُّسُولَ وَأَصْحَابَهُ سَيَهْلِكُونَ جَمِيعًا، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، وَزَيَّنَ الشَّيْطَانُ لَكُمْ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ، وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَيِّئًا بِرَبِّكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا هَالِكًا بِسَبَبِ مَا أَقْدَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ ظَنِّ السُّوءِ بِاللَّهِ وَالتَّخَلُّفِ عَنْ رَسُولِهِ.

١٩) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَعْدَدْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ نَارًا مُسْتَعْرَةً يَعَذَّبُونَ فِيهَا.

٢٠) وَاللَّهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَمُلْكُ الْأَرْضِ، يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِعَذَابِهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِدُنُونِ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِمْ.

٢١) سَيَقُولُ الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ - إِذَا انْطَلَقْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِلَى غَنَائِمٍ خَيْرٍ الَّتِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ لِتَأْخُذُوهَا: أَتْرَكُونَا نَخْرُجُ مَعَكُمْ لِنَصِيبِهَا، يَرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا بِطَلَبِهِمْ هَذَا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ وَحْدَهُمْ غَنَائِمَ خَيْرٍ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: لَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَى تِلْكَ الْغَنَائِمِ، فَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ أَنْ غَنَائِمَ خَيْرٍ خَاصَّةً بِمَنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ، فَسَيَقُولُونَ: مُتَّعُكُمُ لَنَا مِنْ اتِّبَاعِكُمْ إِلَى خَيْرٍ لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ، بَلْ بِسَبَبِ حَسَدِكُمْ لَنَا. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ، بَلْ هُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ إِلَّا قَلِيلًا؛ لِذَلِكَ وَقَعُوا فِي مَعْصِيَتِهِ.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَلِيزُ﴾

١ - مكانة بيعة الرضوان عند الله عظيمة، وأهلها من خير الناس على وجه الأرض.

٢ - الاعتذار بالأعذار الكاذبة شأن ضعاف الإيمان.

٣ - ضعاف الإيمان قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.

﴿٦٦﴾ قل - أيها الرسول - للذين تخلفوا من الأعراب عن المسير معك إلى مكة مختبراً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس قوي في القتال، تقاتلونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن تطيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تتولوا عن طاعته - كتوليكم عنها حين تخلفتم عن السير معه إلى مكة - يعذبكم عذاباً موجعاً.

﴿٦٧﴾ ليس على المعذور بعمى أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله ويطع رسوله يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعرض عن طاعتهما يعذبه الله عذاباً موجعاً.

﴿٦٨﴾ لقد رضي الله عن المؤمنين وهم يبايعونك في الحديبية ببيعة الرضوان تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والصدق، فأنزل الطمأنينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك فتحاً قريباً هو فتح خيبر؛ تعويضاً لهم عما فاتهم من دخول مكة.

﴿٦٩﴾ وأعطاهم مغانم كثيرة يأخذونها من أهل خيبر، وكان الله عزيزاً لا يغالبه أحد، حكيماً في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٧٠﴾ وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغانم كثيرة تأخذونها في الفتوحات الإسلامية في المستقبل، فعجل لكم مغانم خيبر، وكف أيدي اليهود لما هموا أن يصيبوا عيالكم بعدكم، ولتكون هذه المغانم المعجلة علامة لكم على نصر الله وتأييده لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٧١﴾ ووعدكم الله مغانم أخرى لم تقدرُوا عليها في هذا الوقت، الله وحده هو القادر عليها، وهي في علمه وتدبيره، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٧٢﴾ ولو قاتلكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربين منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٧٣﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٧٤﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٦٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٧١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ لَمْ يَأْخُذُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا يُجِدُونَ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٧٢﴾

﴿٧٣﴾ ولو قاتلكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربين منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٧٤﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٧٥﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

﴿٧٦﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

﴿٧٧﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

١ - إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد مثل الفتوح الإسلامية، دليل قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله.

٢ - تقوم أحكام الشريعة على الرفق واليسر.

٣ - جزاء أهل بيعة الرضوان منه ما هو معجل، ومنه ما هو مرصد لهم في الآخرة.

٤ - غلبة الحق وأهله للباطل وأهله سنة إلهية.

﴿١٤﴾ وهو الذي منع أيدي المشركين عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلاً منهم يريدون إصابتكم بسوء بالحديبية، وكف أيديكم عنهم فلم تقتلوهم ولم تؤذوهم، بل أطلقتهم سراحهم بعد أن أقدركم على أسرهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿١٥﴾ هم الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الهدى فبقي محبوساً عن الوصول إلى الحرم محل ذبحه، ولولا وجود رجال مؤمنين بالله ونساء مؤمنات به لا تعرفونهم أن تقتلوهم مع الكفار، فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم منكم؛ لأذن لكم في فتح مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء مثل المؤمنين في مكة، لو تميز الذين كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا الذين كفروا بالله وبرسوله عذاباً موجعاً.

﴿١٦﴾ إذ جعل الذين كفروا بالله ورسوله في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية التي لا ترتبط بإحقاق الحق وإنما ترتبط بالهوى، فأنفوا من دخول رسول الله ﷺ عليهم عام الحديبية؛ خوفاً من تعبيرهم بأنه غلبهم عليها، فأنزل الله الطمأنينة من عنده على رسوله وأنزلها على المؤمنين، فلم يؤذ بهم الغضب إلى مقابلة المشركين بمثل فعلهم، وألزم الله المؤمنين كلمة الحق وهي لا إله إلا الله، وأن يقوموا بحققها فقاموا به، وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من غيرهم، وكانوا أهلها المستأهلين لها لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه شيء.

﴿١٧﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه، وهي أنه هو وأصحابه يدخلون بيت الله الحرام آمنين من عدوكم، منكم المحلقون رؤوسهم، ومنكم المقصرون إيذاناً بنهاية نسكهم، فعلم الله من مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السنة فتحاً قريباً، وهو ما أجراه الله من صلح الحديبية، وما تبعه من فتح خيبر على أيدي المؤمنين الذين حضروا الحديبية.

﴿١٨﴾ الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق الذي هو دين الإسلام؛ ليعليه على الأديان المخالفة له كلها، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهداً.

﴿١٩﴾ فإذ من الآيات:

- ١- الصد عن سبيل الله جريمة يستحق أصحابها العذاب الأليم.
- ٢- تدبير الله لمصالح عباده فوق مستوى علمهم المحدود.
- ٣- التحذير من الاعتزاز بالأباء والجنس على حساب الدين.
- ٤- رؤيا النبي حق، وهي جزء من الوحي.
- ٥- لا يلزم من رؤيا الحق أن تتحقق في حينها.
- ٦- ظهور دين الإسلام سنة ووعد إلهي تتحقق.

﴿١٩﴾ محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه أشداء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادون، تراهم - أيها الناظر - ركعاً سجداً لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب الكريم، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود طاعة لله، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة الكتاب المنزل على موسى ﷺ، وأما مثلهم في الإنجيل الكتاب المنزل على عيسى ﷺ فهو أنهم في تعاونهم وكمالهم كزرع أخرج صفاره، فقوي فاستوى على سيقانه، يعجب الزراع قوته وكماله؛ ليغبط بهم الله الكفار لما يرونه فيهم من القوة والتماسك والكمال، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات من الصحابة مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذون بها، وثواباً عظيماً من عنده وهو الجنة.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

— مَدَنِيَّة —

﴿٢٠﴾ مقصد السورة:

تركز على الرقي بالمجتمع المسلم لكمالات الإيمان والأخلاق، بعد كثرة الذين أسلموا عام الوفود واختلافهم.

﴿٢١﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، واتقوا الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدبوا مع رسوله، فلا ترفعوا أصواتكم بحضرته، ولا تجهروا له بالكلام احتراماً له؛ كما يجهر بعضكم لبعض عندما يخاطبه؛ خوف أن يبطل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسون ببطان ثوابها.

﴿٣﴾ إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقواه، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.

﴿٤﴾ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء حجرات نسائك معظمهم لا يعقلون، فلا تبال بهم، إذ لو كانوا يعقلون لتأدبوا معك، ولصبروا حتى تخرج إليهم، فإذا خرجت إليهم خاطبوك بخفض أصواتهم فيما يبتغونه من أمورهم، لكن أكثرهم حصل منه غير هذا.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

١ - فضل أصحاب رسول الله ﷺ على سائر الناس منذ آدم باستثناء الأنبياء.

٢ - تشريع الرحمة مع المؤمنين، والشدة مع الكافر المحارب.

٣ - التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.

٤ - من يجد في قلبه كرهاً للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.

٥ - وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ ومع سنته وورثته (العلماء).

وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ينادونك - أيها الرسول - من وراء حجرات نساءك، صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم، فيخاطبوك مخفوضة أصواتهم؛ لكان ذلك خيراً لهم من ندائك من ورائها؛ لما فيه من التوقير والتعظيم، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، وغفور لهم لجہلهم، رحيم بهم.

يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بखبر عن قوم، فتثبتوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوف أن تصيبوا - إذا صدقت خبره دون ثبوت - قومًا بجهالة، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.

واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعت في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فآمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَنَعْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفُتِّلُوا إِلَى تَبَعٍ حَتَّى تَنفَىٰ إِلَى اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

وما حصل لهم - من تحسين الخير في قلوبهم، وتكريه الشر - إنما هو فضل من الله، تفضل به عليهم، ونعمة أنعمها عليهم، والله عليم بمن يشكره من عباده فيوقه، وحكيم إذ يضع كل شيء في محله المناسب له.

وإن فرقان من المؤمنين تقاتلا فأصلحوا - أيها المؤمنون - بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن أثبت إحداهما الصلح واعتدت فقاتلوا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله فأصلحوا بينهما بالعدل والإنصاف، واعدلوا في حكمكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم.

إنما المؤمنون إخوة في الإسلام، والأخوة في الإسلام تقتضي أن تصلحوا - أيها المؤمنون - بين أخويكم المتنازعين، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ رجاء أن ترحموا.

يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، والعبرة بما عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله، ولا تعيبوا أنفس إخوتكم فهي بمنزلة أنفسكم، ولا يدع بعضهم بعضاً بلفظ يكرهه، كما كان حال بعض الأنصار قبل مجيء رسول الله ﷺ، ومن فعل ذلك منكم فهو فاسق، بثت الصفة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب ما فعلوه من المعاصي.

فوائد من الآيات:

- ١ - وجوب التثبت من صحة الأخبار، خاصة التي ينقلها من يُتهم بالفسق. ٢ - وجوب الإصلاح بين من يتقاتل من المسلمين، ومشروعية قتال الطائفة التي تصر على الاعتداء وترفض الصلح. ٣ - من حقوق الأخوة الإيمانية: - الصلح بين المتنازعين. - البعد عما يجرح المشاعر من السخرية والعيب والتناز باللقاب.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ، ابْتَعِدُوا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ التَّهْمِ الَّتِي لَا تَسْتَنْدُ لَهَا يَوْجِبُهَا مِنْ أَسْبَابٍ وَقَرَّائِنَ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وَكَسْوَةُ الظَّنِّ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الصَّلَاحُ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يَذْكُرْ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ بِمَا يَكْرَهُ مِثْلُ أَكْلِ لَحْمِهِ مِثْلًا، أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِثْلًا؟ فَافْكُرُوا اغْتِيَابَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلِيٌّ مِنْ تَابِ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ أَبُوكُمْ آدَمَ، وَأَنْثَى وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُمُّكُمْ حَوَاءُ، فَتَنْسَبُكُمْ وَاحِدًا، فَلَا يَفْخَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي النِّسْبِ، وَصَيَّرْنَاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ شُعُوبًا عَدِيدَةً وَقِبَالًا مَتَشِّرَةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا لِيَفْخَرَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْفَخْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاقُكُمْ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوَالِكُمْ، خَبِيرٌ بِمَا تَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالٍ وَنَقْصٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿١٤﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَمَّا قَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: لَمْ تَوْفَّقُوا، وَلَكِنْ قَوْلُوا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْبِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقِبَالًا لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَفَّقُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَقْلِمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

اسْتَسْلَمْنَا وَانْقَدْنَا، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَيَتَوَقَّعُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا، وَإِنْ طَاعُوا - أَيُّهَا الْأَعْرَابُ - اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْتَنَابِ الْمَحْرَمَاتِ لَا يَنْقُصُكُمْ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخَالُطْ إِيْمَانُهُمْ شُكٌّ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَضُنُّوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، أُولَئِكَ الْمُتَصِفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ: أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ، وَتَشْعُرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ إِيَّاهُ بِدِينِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ إِسْلَامُهُمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ دُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَتَنْفَعُ ذَلِكَ - إِنْ حَصَلَ - عَائِدَ عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ وَقَّعَكُمْ لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْكُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى حَسَنَتِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - سوء الظنِّ بأهل الخير معصية، ويجوز الحذر من أهل الشرِّ بسوء الظنِّ بهم. ٢ - وحدة أصل بني البشر تقتضي نبد التفاخر بالأنساب. ٣ - الإيمان ليس مجرد نطق لا يوافقه اعتقاد، بل هو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. ٤ - هداية التوفيق بيد الله وحده.

سورة الاحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءَدَامِتْنَا وَكُنَّا أَبَا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْبَسْنَاهَا رَوْسِيًّ وَأَنْبَتْنَاهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَنِبٍ ﴿٨﴾ وَزَيَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَاهُ جَنَّتِ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْلٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَةٍ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَشُعُوبٌ أُخَرُوعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَمُودَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٣﴾ أَفَعَيْنَا بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٤﴾

ولما ذكر إنكار المشركين للبعث ذكرهم بالأدلة على وقوعه فقال:

﴿١﴾ أفلم يتأمل هؤلاء المكذبون بالبعث السماء فوقهم؛ كيف خلقناها وبنيناها وزيناها بما وضعنا فيها من نجوم، وليس لها شقوق تعيها؟ فالذي خلق هذه السماء لا يعجز عن بعث الموتى أحياء.

٧ والأرض بسطناها صالحة للسكنى عليها، وألقينا فيها جبلاً ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من النبات والشجر حسن المنظر.

﴿٨﴾ خلقنا ذلك كله ليكون تبصرة وتذكيرًا لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة.

﴿٩﴾ ونزلنا من السماء ماءً كثير النفع والخير، فأبنتنا بذلك الماء بساتين، وأبنتنا ما تحصدونه من حب الشعير وغيره.

﴿١٠﴾ وَأَنْبَتْنَا بِهِ النَخْلَ طَوَالًا عَالِيَاتٍ، لَهَا طَلْعٌ مُتْرَاكِبٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

﴿١١﴾ أَتَيْتَنَا مَا أَتَيْتَنَا مِنْ ذَلِكَ رِزْقًا لِلْعِبَادِ يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ لَا نَبَاتَ فِيهَا، كَمَا أَحْيَيْنَا بِهَذَا الْمَطَرِ بَلَدَهُ لَا نَبَاتَ فِيهَا نَحْيِي الْمَوْتَى، فَيُخْرِجُونَ أَحْيَاءً.

﴿٧﴾ كَذِبَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِكَ - أَيُّهَا الرِّسُولُ - أَقْوَامٌ بِأَنْبِيَائِهِمْ، فَكَذِبْتَ قَوْمَ نُوحٍ وَأَصْحَابَ الْبُئْرِ، وَكَذِبْتَ ثُمُودَ.

﴿١٣﴾ وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط.

﴿١٤﴾ وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة، فثبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب.

﴿١٦﴾ أفعجزنا عن خلقكم أول مرة حتى نعجز عن بعثكم؟ بل هم في حيرة من خلق جديد بعد خلقهم الأول.

﴿فَإِذَا مِنْ الْآيَاتِ﴾: ١- المشركون يستعظمون النبوة على البشر، ويمنحون صفة الألوهية للحجر! ٢- خلق السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر، وإنبات الأرض القاحلة، والخلق الأول: كلها أدلة على البعث.

٣ - التكذيب بالرسول عادة الأمم السابقة، وعقاب المكذبين سُنَّةُ إلهية.

﴿١٦﴾ ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدث به نفسه من خواطر وأفكار، ونحن أقرب إليه من العرق الموجود في العنق المتصل بالقلب.

﴿١٧﴾ إذ يتلقى الملكان المتلقيان عمله، أحدهما قعيد عن يمينه، والثاني قعيد عن شماله.

﴿١٨﴾ ما يقول من قول إلا لديه ملك رقيب على ما يقوله حاضر.

﴿١٩﴾ وجاءت شدة الموت بالحق الذي لا مهرب منه، ذلك ما كنت عنه - أيها الإنسان الغافل - تنكص عنه، وتأخر.

﴿٢٠﴾ ونفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ذلك يوم القيامة، يوم الوعيد للكفار والعصاة بالعذاب.

﴿٢١﴾ وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها، وملك يشهد عليها بأعمالها.

﴿٢٢﴾ ويقال لهذا الإنسان المسوق: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم بسبب اغترارك بشهواتك ولذاتك، فكشفنا عنك غفلتك بما تعاینه من العذاب والكره، فبصرك اليوم حاداً تدرك به ما كنت في غفلة عنه.

﴿٢٣﴾ وقال قرينه الموكل به من الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر دون نقص ولا زيادة.

﴿٢٤﴾ ويقول الله للملكين السائق والشاهد: ألقيا في جهنم كل جحود للحق، معاند له.

﴿٢٥﴾ كثير المنع لما أوجب الله عليه من حق، متجاوز لحدود الله، شك فيما يخبر به من وعد أو وعيد.

﴿٢٦﴾ الذي جعل مع الله معبوداً آخر يشركه معه في العبادة، فألقياه في العذاب الشديد.

﴿٢٧﴾ قال قرينه من الشياطين متبرئاً منه: ربنا ما أضللته، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق.

﴿٢٨﴾ قال الله: لا تختصموا لدي، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا ما جاءت به رسلي من الوعيد الشديد لمن كفر بي وعصاني.

﴿٢٩﴾ ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزيهم بما عملوا.

﴿٣٠﴾ يوم نقول لجهنم: هل امتلأت بمن ألقى فيك من الكفار والعصاة؟ فتجيب ربه: هل من مزيد؟ طلباً للزيادة؛ غضباً لربه.

﴿٣١﴾ ولما ذكر الله الوعيد الشديد للكفار ذكر ما أعدّه لعباده المؤمنين فقال:

﴿٣٢﴾ وقُرب الجنة للمتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فشاهدوا ما فيها من النعيم غير بعيد منهم.

﴿٣٣﴾ ويقال لهم: هذا ما وعدكم الله لكل رجاء إلى ربه بالتوبة، حافظ لما ألزمه ربه به.

﴿٣٤﴾ من خاف الله بالسر حيث لا يراه إلا الله، ولقي الله بقلب سليم منيب إليه، خاضع.

﴿٣٥﴾ ويقال لهم: ادخلوا الجنة دخولاً مصحوباً بالسلامة مما تكرهون، ذلك يوم البقاء الذي لا فناء بعده.

﴿٣٦﴾ لهم ما يشاؤون فيها من النعيم الذي لا ينفد، ولدينا مزيد من النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه.

﴿٣٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - علم الله بما يخطر في النفوس من خير وشر. ٢ - من صفات أهل الكفر: منع الخير والشك.

٣ - ثبوت صفة العدل لله تعالى.

﴿٣٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها قبل هؤلاء المشركين المكذبين من أهل مكة، ففتشوا في البلاد لعلهم يجدون مهرباً من العذاب فلم يجدوه.

﴿٣٧﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك الأمم السابقة لتذكيراً وموعظة لمن كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه حاضر القلب، غير غافل. ﴿٣٨﴾ ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا الأرض، وما بين السماوات والأرض في ستة أيام مع قدرتنا على خلقها في لحظة، وما أصابنا من تعب كما تقول اليهود.

﴿٣٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله اليهود وغيرهم، وصل لربك حامداً إياه صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصل العصر قبل غروبها. ﴿٤٠﴾ ومن الليل فصل له، وسبحه بعد الصلوات. ﴿٤١﴾ واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي الملك الموكل بالنفخ في الصور النفخة الثانية، من مكان قريب.

﴿٤٢﴾ يوم يسمع الخلائق صيحة البعث بالحق الذي لا مزية فيه، ذلك اليوم الذي يسمعونها فيه هو يوم خروج الأموات من قبورهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيا ونميت، لا محيي غيرنا ولا مميت، وإلينا وحدنا رجوع العباد يوم القيامة للحساب والجزاء.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْأَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّوْنَ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الْأَنْزِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ دَرَوْا ﴿١﴾ فَلَمْ يَلَمَّزُوا قَرَأَ ﴿٢﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِرٌّ ﴿٣﴾
فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لِصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

سُورَةُ الْأَنْزِيلِ

مَكِّيَّةٌ

﴿١﴾ مقصد السورة:

التكرير على تعريف المخلوقين بمصدر رزقهم وهو الله تعالى؛ لكي يفروا إليه ويحققوا العبودية له.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يقسم الله بالرياح التي تذر التراب.

﴿٢﴾ وبالسحب التي تحمل الماء الغزير.

﴿٣﴾ وبالسفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر. ﴿٤﴾ وبالملائكة التي تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمور العباد.

﴿٥﴾ إنا ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لحق لا مزية فيه. ﴿٦﴾ وإن حساب العباد لواقع يوم القيامة لا محالة.

﴿٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الاعتبار بوقائع التاريخ من شأن ذوي القلوب الواعية. ٢ - خلق الله الكون في ستة أيام لحكم يعلمها الله، لعل منها بيان سنة التدرج. ٣ - سوء أدب اليهود في وصفهم الله تعالى بالتعب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا كفر بالله.

٧) ويقسم الله بالسماء ذات الطرق.

٨) إنكم - يا أهل مكة - لفي قول متناقض متضارب، تارة تقولون: القرآن سحر، وتارة شعر، وتقولون: محمد ساحر تارة، وتارة شاعر. ٩) يُصْرَفُ عن الإيمان بالقرآن وبالنبي ﷺ من صُرِفَ عنه في علم الله؛ لعلمه أنه لا يؤمن، فلا يوفق للهداية.

١٠) لعن هؤلاء الكذابون الذين قالوا في القرآن وفي نبيهم ما قالوا.

١١) الذين هم في جهل غافلون عن الدار الآخرة، لا يبالون بها.

١٢) يسألون: متى يوم الجزاء؟ وهم لا يعملون له.

١٣) فيجيبهم الله عن سؤالهم يوم هم على النار يعذبون.

١٤) يقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الذي كنتم تسألون تعجيله عندما تنذرون به؛ استهزاء.

١٥) إن المتقين لربهم بامثال أوامره، واجتتاب نواهيه يوم القيامة في بساتين وعيون جارية.

١٦) آخذين ما أعطاهم ربهم من الجزاء الكريم، إنهم كانوا قبل هذا الجزاء الكريم محسنين في الدنيا.

١٧) كانوا يصلّون من الليل، لا ينامون إلا زمناً قليلاً.

١٨) وفي وقت الأسحار يطلبون المغفرة من الله لذنوبهم.

١٩) وفي أموالهم حق للسائل من الناس، وللذي لا يسأل حياءً، فيحرمه الناس من التصديق عليه.

٢٠) وفي الأرض وما وضع الله فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان، دلالات على قدرة الله للموقنين أن الله هو الخالق المصور.

٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - دلالات على قدرة الله، أفلا تبصرون لتعتبروا؟

٢٢) وفي السماء رزقكم الديني والدني، وفيها ما توعدون من الجزاء في الدنيا والآخرة.

٢٣) فو رب السماء والأرض إن البعث لحق لا شك فيه، كما أنه لا شك في نطقكم حين تنطقون.

٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين أكرمهم ﷺ؟ ٢٥) حين دخلوا عليه فقالوا له: سلاماً، قال إبراهيم رداً عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم. ٢٦) فمال إلى أهله خفية، فجاء من عندهم بعجل كامل سمين؛ ظناً منه أنهم بشر. ٢٧) فقرّب العجل إليهم، وخطبهم برفق: ألا تأكلون ما قدّم لكم من طعام؟ ٢٨) فلما لم يأكلوا أضمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وأخبروه بما يسّر من أنه يولد له غلام له علم كثير، والمُبشّر به هو إسحاق ﷺ. ٢٩) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصبح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت متعجبة: أتلد عجوز، وهي في الأصل عقيم! ٣٠) قال لها الملائكة: ما أخبرناكِ به قاله ربك، وما قاله لا رادّ له: إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقها وما يصلح لهم.

❦ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ١ - إحسان العمل وإخلاصه لله سبب لدخول الجنة. ٢ - من آداب الضيافة رد التحية بأحسن منها، وتحضير المائدة خفية، والاستعداد للضيوف قبل نزولهم، وعدم استثناء شيء من المائدة، والإشراف على تحضيرها، والإسراع فيه، وتقريبها للضيوف، وخطابهم برفق.

قَالَ فَاخْطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٨﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّعِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْآلِيمَ ﴿٤٢﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوبَهُ وَقَالَ لِسَحَرٍ أَوْ كِحُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَاقِمَ ﴿٤٦﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٧﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٨﴾ فَتَعَاوَنَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمٌ نَّوْجٌ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَيَقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٦﴾

﴿٣٦﴾ قال إبراهيم للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تقصدونه؟
﴿٣٧﴾ قال الملائكة جواباً له: إنا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يرتكبون قبائح الذنوب.
﴿٣٨﴾ لنبعث عليهم حجارة من طين متصلب.
﴿٣٩﴾ معلمة عند ربك - يا إبراهيم - تُنبعث على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.
﴿٤٠﴾ فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصيب المجرمين من العذاب.
﴿٤١﴾ فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط .
﴿٤٢﴾ وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدل على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجه الذي أصابهم، فلا يعمل بعملهم لينجو منه.
﴿٤٣﴾ وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالمعجزات والحجج الواضحة آية لمن يخاف العذاب الموجه.
﴿٤٤﴾ فأعرض فرعون بجانبه عن الحق، وقال عن موسى : هو ساحر يسحر الناس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.
﴿٤٥﴾ فأخذناه هو وجنوده كلهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا، وفرعون أت بما يلام عليه من التكذيب وادعاء أنه إله.
﴿٤٦﴾ وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجه حين بعثنا عليهم الريح التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً، ولا بركة فيها.

﴿٤٧﴾ ما تترك من نفس أو مال أو غيره ما أتت عليه إلا دمرته، وتركته كالبالي المتفتت.
﴿٤٨﴾ وفي ثمود قوم صالح : استمتعوا بحياتكم قبل انقضاء آجالكم.
﴿٤٩﴾ فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكباراً على الإيمان والطاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام.
﴿٥٠﴾ فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يمتنعون بها.
﴿٥١﴾ وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.
﴿٥٢﴾ والسماء بنيناها، وأتقنا بناءها بقوة، وإنا لموسعون لأطرافها، وموسعون على عبادنا ببسط الرزق.
﴿٥٣﴾ والأرض جعلناها مهيأة للساكين عليها كالفرش لهم، فنعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم.
﴿٥٤﴾ ومن كل شيء خلقنا صنفين؛ كالذكر والأنثى والسماء والأرض والبر والبحر، لعلكم تذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين، وتذكرون قدرته.
﴿٥٥﴾ فقولوا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة.
﴿٥٦﴾ ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بين النذارة.

﴿٥٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الإيمان أعلى درجة من الإسلام. ٢ - إهلاك الله للأمم المكذبة درس للناس جميعاً. ٣ - الخوف من الله يقتضي الفرار إليه سبحانه بالعمل الصالح، وليس الفرار منه.

﴿٥٢﴾ مثل ذلك التكذيب الذي كذب به أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلا قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون.

﴿٥٣﴾ أتواصى المتقدمون من الكفار والمتأخرون منهم على تكذيب الرسل؟ لا، بل جمعهم على هذا طغيانهم.

﴿٥٤﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المكذبين، فما أنت بمعلوم، فقد بلغتهم ما أرسلت به إليهم.

﴿٥٥﴾ ولا يمنحك إعراضك عنهم من وعظهم، وتذكيرهم، فعظهم وذكرهم، فإن التذكير ينفع أهل الإيمان بالله.

﴿٥٦﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكاً.

﴿٥٧﴾ ما أريد منهم رزقاً، ولا أريد منهم أن يطمعونني.

﴿٥٨﴾ إن الله هو الرزاق لعباده، فالجميع محتاجون إلى رزقه، ذو القوة المتين الذي لا يغلبه شيء، وجميع الجن والإنس خاضعون لقوته سبحانه.

﴿٥٩﴾ فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيها الرسول - نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله.

﴿٦٠﴾ فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذبوا رسولهم من يومهم يوم القيامة الذي يوعدون فيه بإنزال العذاب عليهم.

سُورَةُ الطُّورِ

أَنبِيَا

٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَمْ يَمْنَعْ دَافِعٌ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ قَوْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا تَكْذِبُونَ ١٤

سُورَةُ الطُّورِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿٥٢﴾ مقصد السورة:

التركيز على دحض شبهات المكذبين من خلال عرض الحجج والبراهين، إرغاماً على الإذعان والتسليم.

﴿٥٣﴾ التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالجبل الذي كلم عليه موسى ﷺ. ﴿٢﴾ وأقسم بالقرآن الذي هو كتاب مسطر. ﴿٣﴾ في ورق مبسوط مفتوح. ﴿٤﴾ وأقسم بالبيت الذي تعمره الملائكة في السماء بعبادة الله. ﴿٥﴾ وأقسم بالسماء المرفوعة التي هي سقف الأرض. ﴿٦﴾ وأقسم بالبحر المملوء ماء. ﴿٧﴾ إن عذاب ربك - أيها الرسول - لواقع لا محالة على الكافرين. ﴿٨﴾ ليس له من دافع يدفعه عنهم، ويمنعهم من وقوعه بهم. ﴿٩﴾ يوم تتحرك السماء تحركاً، وتضطرب إيماناً بالقيامة. ﴿١٠﴾ وتسير الجبال من مواقعها سيراً. ﴿١١﴾ فهلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين بما وعد الله الكافرين به من العذاب. ﴿١٢﴾ الذين هم في خوض في الباطل يلعبون، لا يباليون بيعث ولا نشور. ﴿١٣﴾ يوم يدعون بشدة وعنف إلى نار جهنم دفْعاً. ﴿١٤﴾ ويقال لهم توبيخاً لهم: هذه النار التي كتبت بها تكذبون عندما تخوفكم رسلكم منها.

﴿٥٤﴾ فوائد من الآيات:

١ - الكفر ملة واحدة وإن اختلفت وسائله وتنوع أهله ومكانه وزمانه. ٢ - شهادة الله لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة. ٣ - الحكمة من خلق الجن والإنس تحقيق عبادة الله بكل مظاهرها. ٤ - سوف تتغير أحوال الكون يوم القيامة.

١٥) أفسح هذا الذي عايينتموه من العذاب؟ أم أنتم لا تعينونه؟
 ١٦) ذوقوا حرّ هذه النار وعانوها، فاصبروا على معاناة حرّها، أو لا تصبروا عليه، سواء صبركم وعدم صبركم، لا تجزون اليوم إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.
 ولما ذكر الله جزاء المكذبين، ذكر جزاء المصدقين المتقين، فقال:

١٧) إن المتقين لربهم - بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه - في جنات ونعيم عظيم لا ينقطع.
 ١٨) يتفكهون بما أعطاهم الله من لذيذ المأكّل والمشرب والمنكح، ووقاهم ربهم سبحانه عذاب الجحيم؛ ففازوا بحصول مطلوبهم من الملذات، وبوقايتهم من المكدرات.
 ١٩) ويقال لهم: كلوا واشربوا مما اشتتهه أنفسكم، هنئاً لا تخافون ضرراً، ولا أذى مما تأكلون أو تشربون؛ جزاء لكم على أعمالكم الطيبة في الدنيا.

٢٠) متكوّن على الأرائك المزينة قد جعلت صقلاً، وزوجانهم ببناء بيض واسع العيون في جمال.
 ٢١) والذين آمنوا واتبعهم أولادهم في الإيمان، الحقنا بهم أولادهم لتقرّ أعينهم بهم، ولو لم يبلغوا أعمالهم، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم، كل إنسان محبوب بما كسبه من عمل

أَفْسَحْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ١٥ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
 أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ فَتَكِينٍ يَمَاءٍ أَنْهَارُهُمْ
 وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مَثْكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
 بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ ٢١ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ يُشْرَعُونَ
 فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ٢٣ وَتُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَامٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤُ مَكْنُونٌ ٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ
 ٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنِ اللَّهُ
 عَلَيْنَا وَوقْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
 رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّهُ
 الْمُتُونِ ٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ٣١

سبي لا يحمل عنه غيره من عمله شيئاً.

٢٢) وأمَدَدْنَا أهل الجنة هؤلاء بصنوف من الفاكهة، وأمَدَدْنَاهُمْ بكل ما اشتتهوه من لحم.
 ٢٣) يتعاطون في الجنة كأساً لا يترتب على شربها ما يترتب عليها في الدنيا، من الكلام الباطل والإثم بسبب السكر.
 ٢٤) ويدور عليهم خدم لهم كأنهم لؤلؤ مصون.
 ٢٥) وأقبل بعض أهل الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضاً عن حالهم في الدنيا.
 ٢٦) فيجيبونهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلينا خائفين من عذاب الله.
 ٢٧) فمنّ الله علينا بالهداية إلى الإسلام، ووقانا العذاب البالغ في الحرارة.
 ٢٨) إنا كنا في حياتنا الدنيا نعبده، ونَدْعُوهُ أَنْ يَقِينَا عَذَابَ النَّارِ، إنه هو البر بعباده، الرحيم بهم، ومن برّه ورحمته بنا أن هدانا للإيمان، وأدخلنا الجنة، وأبعدنا عن النار.
 ٢٩) فذكر - أيها الرسول - بالقرآن، فلست بما أنعم الله عليك به من الإيمان والعقل بكاهن لك رئي من الجن، ولست بمجنون.

٣٠) أم يقول هؤلاء المكذبون: إن محمداً ليس رسولاً، بل هو شاعر نتظر به أن يتخطفه الموت، فنستريح منه.
 ٣١) قل لهم - أيها الرسول -: انتظروا موتي، وأنا أنتظر ما يحلّ بكم من عذاب بسبب تكذيبكم إياي.

فَالْإِسْلَامُ الْإِيمَانُ:

- ١ - الجمع بين الآباء والأبناء في الجنة في منزلة واحدة وإن قصر عمل بعضهم إكراماً لهم جميعاً حتى تتم الفرحة.
- ٢ - خمر الآخرة لا يترتب على شربها مكروه.
- ٣ - من خاف من ربه في دنياه آمنه في آخرته.

﴿٢٦﴾ بل أتأمروهم عقولهم بقولهم: إنه كاهن ومجنون؟ فيجمعون بين ما لا يجتمع في شخص، بل هم قوم متجاوزون للحدود، فلا يرجعون إلى شرع ولا عقل.

﴿٢٧﴾ أم يقولون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ولم يوح إليه به؟ لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيقولون: اختلقه.

﴿٢٨﴾ فليأتوا بحديث مثله ولو كان مُحْتَلَقًا إن كانوا صادقين في دعواهم أنه اختلقه.

﴿٢٩﴾ أم خلقوا من غير خالق يخلقهم؟ أم هم الخالقون لأنفسهم؟ لا يمكن وجود مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فلم لا يعبدون خالقهم؟

﴿٣٠﴾ أم خلقوا السماوات والأرض؟ بل لا يوقنون أن الله هو خالقهم، إذ لو أيقنوا ذلك لوجدوه، ولآمنوا برسوله.

﴿٣١﴾ أم عندهم خزان ربك من الرزق فيمنحوه من يشاؤون، ومن النبوّة فيعطوها ويمنعوها من أرادوا؟ أم هم المُتسلطون المتصرفون حسب مشيئتهم؟

﴿٣٢﴾ أم لهم مِرْقَاة يرقون بها إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي الله يوحيه أنهم على حق؟ فليأت من استمع منهم إلى ذلك الوحي بحجة واضحة تصدقكم فيما تدّعون من أنكم على حق.

﴿٣٣﴾ أم له البناات التي تكرهونها، ولكم البنون الذين تحبونهم؟

﴿٣٤﴾ أم تطلب منهم - أيها الرسول - أجراً على ما تبلغهم عن ربك؟ فهم بسبب ذلك مكلفون حملاً لا يقدرّون على حمله.

﴿٣٥﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يطلعون عليه من الغيب، فيخبرونهم بما شاؤوا منها؟

﴿٣٦﴾ أم يريد هؤلاء المكذوبون كيداً بك وبدينك، فتق بالله، فالذين كفروا بالله ورسوله هم الممكور بهم، لا أنت.

﴿٣٧﴾ أم لهم معبود بحق غير الله؟ تنزه الله وتقدس عما ينسبون إليه من الشريك. كل ما تقدم لم يكن ولا يتصور بحال.

﴿٣٨﴾ وإن يروا قطعاً من السماء ساقطة يقولوا عنه: هذا سحاب مركوم بعضه على بعض كالعادة، فلا يتعظون، ولا يؤمنون.

﴿٣٩﴾ فاتركهم - أيها الرسول - في عنادهم وجحودهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون، وهو يوم القيامة.

﴿٤٠﴾ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً قليلاً أو كثيراً، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.

﴿٤١﴾ وإن للذين ظلموا لأنفسهم بالشرك والمعاصي عذاباً قبل عذاب الآخرة؛ في الدنيا بالقتل والسبي، وفي البرزخ بعذاب القبر، ولكنّ معظمهم لا يعلمون ذلك، فلذلك يقيمون على كفرهم.

﴿٤٢﴾ ولما بين الله بطلان ما عليه المشركون أمر رسوله بعدم المبالاة بهم، وبالصبر على تكذيبهم فقال:

﴿٤٣﴾ واصبر - أيها الرسول - لقضاء ربك، ولحكمه الشرعي، فإنك بمراي منا وحفظ، وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك.

﴿٤٤﴾ ومن الليل فسبح ربك، وصلّ له، وصلّ صلاة الفجر حين إدبار النجوم بأفولها بضوء النهار.

﴿٤٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الطغيان سبب من أسباب الضلال. ٢ - ثبوت إعجاز القرآن من وجوه متعددة. ٣ - ثبوت عذاب البرزخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْجِنَّ إِذَا هُوَ ^١ مَاضٍ صَاحِبَكُمْ وَمَا غَوَى ^٢ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْمَوَى ^٣ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَاوْحَى ^٤ عَلَيْهِ سَيِّدُ الْقَوَى ^٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ^٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ^٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ^٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ^٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ^{١٠}
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ^{١١} أَفَتَمْنُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ^{١٢} وَلَقَدْ رَآهُ
نَزَلَ أُخْرَى ^{١٣} عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ^{١٤} عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ^{١٥}
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ^{١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ^{١٧} لَقَدْ رَأَى
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ^{١٨} أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ^{١٩} وَمَنْوَةَ
الْثَالِثَةَ الْأُخْرَى ^{٢٠} أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ^{٢١} تِلْكَ إِذْ أَسْمَعُ
ضُرِبَى ^{٢٢} إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ^{٢٣}
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ^{٢٤} أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ^{٢٥} فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ^{٢٦} وَكَرِهَ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَعْنَى
شَفَعْنَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ^{٢٧}

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :
تركز على قضية صدق الوحي وعلو مصدره،
إثباتاً لعقيدة التوحيد، وإبطالاً لعقيدة الشرك.

﴿٢﴾ التفسير :
﴿١﴾ أقسم سبحانه بالنجم إذا سقط .
﴿٢﴾ ما انحرف محمد رسول الله ﷺ عن طريق
الهداية، وما صار غوياً، ولكنه رشيد .
﴿٣﴾ وما يتكلم بهذا القرآن تبعاً لهواه .
﴿٤﴾ ليس هذا القرآن إلا وحياً يوحيه الله إليه
عن طريق جبريل ﷺ .
﴿٥﴾ علمه إياه ملك شديد القوة هو جبريل ﷺ .
﴿٦﴾ وجبريل ﷺ ذو هيئة حسنة، فاستوى ﷺ
ظاهراً للنبي ﷺ على هيئته التي خلقه الله عليها .
﴿٧﴾ وهو بالأفق الأعلى .
﴿٨﴾ ثم اقترب جبريل ﷺ من النبي ﷺ، ثم
ازداد قرباً منه .
﴿٩﴾ فكان قربه منه بمقدار قوسين أو هو أقرب .
﴿١٠﴾ فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما
أوحى .
﴿١١﴾ ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره .
﴿١٢﴾ أفنجدولونه - أيها المشركون - فيما أراه الله
ليلة أسرى به؟!

﴿١٣﴾ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته مرة أخرى ليلة أسرى به .
﴿١٤﴾ عند سدره المنتهى وهي شجرة في السماء السابعة .
﴿١٥﴾ عند هذه الشجرة جنة المأوى .
﴿١٦﴾ إذ يغشى السدره من أمر الله شيء عظيم، لا يعرف كنهه إلا الله .
﴿١٧﴾ ما مال بصره ﷺ يميناً ولا شمالاً، ولا تجاوز ما حد له .
﴿١٨﴾ لقد رأى محمد ﷺ ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته، فرأى الجنة، ورأى النار، وغيرهما .
﴿١٩﴾ أفرايتم - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: اللات والعزى .
﴿٢٠﴾ ومناة الثالثة الأخرى من أصنامكم . أخبروني هل تملك لكم نفعاً أو ضرراً؟ ﴿٢١﴾ ألكم - أيها المشركون - الذكر
الذي تحبونه، وله سبحانه الأنثى التي تكرهونها؟ ﴿٢٢﴾ تلك القسمة التي قسمتموها بأهوائكم قسمة جائرة . ﴿٢٣﴾ ليست
هذه الأصنام إلا أسماء فارغة من المعنى، فلا حظ لها في صفات الألوهية، سميتموها أنتم وآبائكم من تلقاء
أنفسكم، ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع المشركون في اعتقادهم إلا الظن وما تهواه أنفسهم مما زين الشيطان في
قلوبهم، ولقد جاءهم من ربهم الهدى على لسان نبيه ﷺ، فما اهتموا به . ﴿٢٤﴾ أم للإنسان ما تمنى من شفاعة الأصنام
إلى الله؟ ﴿٢٥﴾ لا، ليس له ما تمنى، فلله وحده الآخرة والأولى، يعطي منهما ما يشاء ويمنع ما يشاء . ﴿٢٦﴾ وكم من
ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً لو أرادوا أن يشفعوا لأحد إلا بعد أن يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء منهم،
ويرضى عن المشفوع له، فلن يأذن الله لمن جعل شريكاً أن يشفع، ولن يرضى عن مشفوعه الذي يعبد من دون الله .

﴿٢٧﴾ فإذ من الآيات : ١ - ثناء القرآن على مقام النبي الكريم . ٢ - إثبات أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته
الحقيقية . ٣ - الشفاعة لا تقع إلا بشرطين : الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع .

﴿٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِي بَاعْتِدَادِهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿٧٨﴾ وَلَيْسَ لَهُمْ بِتَسْمِيَتِهَا إِنِثَاءٌ مِنْ عِلْمٍ يَسْتَدُونَ إِلَيْهِ، لَا يَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا حَتَّى يَقُومَ مَقَامُهُ.

﴿٧٩﴾ فَأَعْرَضَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - عَمَّنْ أَدْبَرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْأَ بِهِ، وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، فَهُوَ لَا يَعْمَلُ لِآخِرَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِهَا.

﴿٨٠﴾ ذَلِكَ الَّذِي يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ - مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَلَائِكَةِ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِي - هُوَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ لَأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ، لَمْ يَصِلُوا إِلَى يَقِينٍ، إِنْ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَادَّ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى إِلَى طَرِيقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

﴿٨١﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَهُ مَا فِي الْأَرْضِ مَلَكًا وَخَلْقًا وَتَدْبِيرًا، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْعَذَابِ، وَيَجْزِيَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا أَعْمَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ.

﴿٨٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَقَبَائِحِ الْمَعَاصِي إِلَّا صِغَاثِرَ الذُّنُوبِ، فَهَذِهِ تَغْفِرُ بِتَرْكِ الْكِبَائِرِ، وَالْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، إِنْ رَبِّكَ - أَيُّهَا

إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِي ﴿٧٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٧٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٨٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٨١﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْتُمْ أَجْتَعْتُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّو أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٨٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٨٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٨٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٨٥﴾ أَمْ لَمْ يَلْبَسْ أَيْمَانًا فِي صُحُفٍ مُوسَى ﴿٨٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٨٧﴾ أَلَمْ نَنْزِلْ وَرَزَقْنَاهُ وَنُورًا أُخْرَى ﴿٨٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٨٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٩٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٩١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٩٢﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٩٣﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٩٤﴾

الرُّسُولُ - وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ، يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ مَتَى تَابُوا مِنْهَا، هُوَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ حِينَ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، وَحِينَ كُنْتُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ تُخْلَقُونَ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهَا، وَمَدَحِهَا بِالْتَّقْوَى، فَهُوَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَاهُ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٩٥﴾ أَفَرَأَيْتَ قَبِجَ حَالِ الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ مِنْهُ.

﴿٩٦﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ ثُمَّ مَنَعَ؛ لِأَنَّ الْبَخْلَ سَجِيَّتُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ يَزْكِي نَفْسَهُ.

﴿٩٧﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى وَيُحَدِّثُ بِالْغَيْبِ؟

﴿٩٨﴾ أَمْ هُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ؟ أَمْ لَمْ يُخَبِّرْ هَذَا الْمَتَقُولَ عَلَى اللَّهِ بِمَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى؟

﴿٩٩﴾ وَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى كُلَّ مَا كَلَفَهُ رَبُّهُ بِهِ.

﴿١٠٠﴾ أَنْ لَا يَحْمِلَ إِنْسَانٌ إِثْمَ غَيْرِهِ.

﴿١٠١﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا ثَوَابُ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَهُ.

﴿١٠٢﴾ وَأَنْ عَمَلُهُ سَوْفَ يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا.

﴿١٠٣﴾ ثُمَّ يُعْطَى جِزَاءَ عَمَلِهِ تَامًّا غَيْرَ مُنْقُوصٍ.

﴿١٠٤﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَرْجِعُ الْعِبَادِ وَمَصِيرُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

﴿١٠٥﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَفْرَحُ مِنْ يَشَاءُ فَأُصْحِكُهُ، وَأَحْزَنُ مِنْ يَشَاءُ فَأَبْكَاهُ.

﴿١٠٦﴾ وَأَنْتَ أَمَاتُ الْأَحْيَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِالْبَعْثِ.

﴿١٠٧﴾ فَانْزِلْ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - انْقِسَامُ الذُّنُوبِ إِلَى كِبَائِرٍ وَصِغَاثِرٍ. ٢ - النَّهْيُ عَنْ تَرْكِةِ النَّفْسِ.

٧ ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبور كأنهم في سعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.
٨ مسرعين إلى الداعي إلى ذلك الموقف، يقول الكافرون: هذا اليوم عسير؛ لما فيه من الشدة والأهوال.
ولما ذكر الله إعراض الكفار عن دعوة رسولنا ﷺ أخبره بأن الأمم السابقة كذبت رسلها تسلياً له فقال:
٩ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بدعوتك - أيها الرسول - قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحاً ﷺ لما بعثناه إليهم، وقالوا عنه: هو مجنون، وانتهروه بأنواع السب والشتن والتهديد إذا لم يترك دعوتهم.
١٠ فدعا نوح ربه قائلاً: إن قومي غلبوني، ولم يستجيبوا لي، فانتصر منهم بعقاب تنزله عليهم.
١١ ففتحنا أبواب السماء بماء متدفق متتابع.
١٢ وفجرنا الأرض فصارت عيوناً ينبع منها الماء، فالتقى الماء النازل من السماء مع الماء النابع من الأرض على أمر من الله قدره في الأزل، فأغرق الجميع إلا من نجاه الله.
١٣ وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ومسامر، فنجيناه ومن معه من الغرق.
١٤ تجري هذه السفينة في أمواج الماء المتلاطمة بمرأى منا وحفظ، انتصاراً لنوح الذي كذبه قومه، وكفروا بما جاءهم به من عند الله.

٧ خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
٨ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ
٩ قِيلَهُمْ قَوْمٌ نَوْحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ
١٠ رَبَّهُ وَآتَى مَعْلُوبٌ فَانْتَصَرَ
١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فَرَّ
١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ
١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ
١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ
١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي
١٦ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ
١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي
١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
١٩ تَنَزَّعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ
٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي
٢١ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ
٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ
٢٣ فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَحِدًا نَنْبِعُهُ
٢٤ إِنَّا إِذَا لَفَى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ
٢٥ أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ
٢٦ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَ لَهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ
٢٧ الْأَشِرُّ

١٥ ولقد تركنا هذا العقاب الذي عاقبناهم به؛ عبرة وعظة، فهل من معتبر يعتبر بذلك؟
١٦ فكيف كان عذابي للمكذبين؟ وكيف كان إنذاري بإهلاكهم؟
١٧ ولقد سهّلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟
١٨ كذبت عاد نبيها هوداً ﷺ، فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟
١٩ إنا بعثنا عليهم ريحاً شديدة باردة في يوم شرّ وشؤم مستمرّ معهم إلى ورودهم جهنم.
٢٠ تقتلع الناس من الأرض، وترمي بهم على رؤوسهم كأنهم أصول نخل منقلع من مغرسه.
٢١ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟
٢٢ ولقد سهّلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟
٢٣ كذبت ثمود بما أنذرهم به رسولهم صالح ﷺ.
٢٤ فقالوا مستكبرين: أتبع بشرًا من جنسنا واحدًا؟ إنا إن اتبعناه في هذه الحالة لفي ضلال عن الصواب، وفي عناء.
٢٥ أنزل عليه الوحي وهو واحد، واختص به دوننا جميعًا؟ لا بل هو كذاب متجبر.
٢٦ سيعلمون يوم القيامة من الكذاب المتجبر أصالح أم هم؟
٢٧ إنا مخرجو الناقة من الصخرة وباعثوها اختبارًا لهم، فانتظر - يا صالح - وراقب ما يصنعون بها وما يُصنَعُ بهم، واصبر على أذاهم.

٢٨ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مشروعية الدعاء على الكافر المصّرّ على كفره.
- ٢ - إهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين سنّة إلهية. ٣ - تيسير القرآن للحفظ.

﴿٢٨﴾ وأخبرهم أن ماء بثرهم مقسوم بينهم وبين الناقة، يوم لها، ويوم لهم، كل نصيب يحضره صاحبه وحده في يومه المختص به.

﴿٢٩﴾ فنادوا أصحابهم ليقبل الناقة، فتناول السيف وقتلها؛ امثالاً لأمر قومه.

﴿٣٠﴾ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟

﴿٣١﴾ إنا بعثنا عليهم صيحة واحدة فأهلكتهم، فكانوا كالشجر اليابس يتخذ منه المحتظر حظيرة لغنمه.

﴿٣٢﴾ ولقد سهلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

﴿٣٣﴾ كذبت قوم لوط بما أنذرهم به رسولهم لوط عليه السلام.

﴿٣٤﴾ إنا بعثنا عليهم ريحاً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط عليهم السلام، لم يصيبهم العذاب، فقد أنقذناهم منه، إذ سرى بهم قبل وقوع العذاب من آخر الليل.

﴿٣٥﴾ أنقذناهم من العذاب إنعاماً منا عليهم، مثل هذا الجزاء الذي جزينا به لوطاً نجزي من شكر الله على نعمه.

﴿٣٦﴾ ولقد خوفهم لوط عذابنا فتجادلوا بإنذاره، وكذبوه.

﴿٣٧﴾ ولقد راود لوطاً قومه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه من الملائكة قصد فعل الفاحشة، فطمسنا أعينهم فلم تبصرهم، وقلنا لهم: ذوقوا عذابي،

وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَنادَوْا أصحابِهِمْ

فَنَعَاطَى مُعَقَّرٌ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ جَمَعْنَاهُمْ بِسَخِرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا

بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا

عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ

أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقَدِّرٌ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارًا خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَنْ تَكْفُرُوا بِرَأْسِ

فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْرٌ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ

وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ

﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ

عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

ونتيجة إنذاري لكم.

﴿٢٨﴾ ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب مستمر معهم حتى يردوا الآخرة فيأتيهم عذابها.

﴿٢٩﴾ وقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم، ونتيجة إنذار لوط لكم.

﴿٣٠﴾ ولقد سهلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

﴿٣١﴾ ولقد جاء آل فرعون إنذارنا على لسان موسى وهارون عليهم السلام.

﴿٣٢﴾ كذبوا بالبراهين والحجج التي جاءتهم من عندنا، فعاقبناهم على تكذيبهم بها عقوبة عزيز لا يغلبه أحد، مقتدر لا يعجز عن شيء.

﴿٣٣﴾ أكفاركم - يا أهل مكة - خير من أولئكم الكفار المذكورين: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه؟ أم لكم براءة من عذاب الله جاءت بها الكتب السماوية؟

﴿٣٤﴾ بل أيقول هؤلاء الكفار من أهل مكة: نحن جميع منتصر ممن يريدنا بسوء، ويريد تفريق جمعنا؟

﴿٣٥﴾ سيهزم جمع هؤلاء الكفار ويؤتون الأدبار أمام المؤمنين، وقد حدث هذا يوم بدر.

﴿٣٦﴾ بل الساعة التي يكذبون بها موعدهم الذي يعذبون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر.

﴿٣٧﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء.

﴿٣٨﴾ يوم يجزون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار.

﴿٣٩﴾ إنا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق منا، ووفق علمنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.

﴿٤٠﴾ فإِنَّ مِنْ آيَاتِ:

١ - شمول العذاب للمباشر للجريمة والمُتمالي معه عليها. ٢ - شكر الله على نعمه سبب السلامة من العذاب.

٣ - إخبار القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها من الإعجاز الغيبي.

﴿٥٠﴾ وما أمَرْنَا إِذَا أَرَدْنَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ نَقُولَ كَلِمَةً وَاحِدَةً هِيَ: كُنْ، فَيَكُونُ مَا نَرِيدُ سَرِيعًا مِثْلَ لَمَحِ الْبَصْرِ.

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَثْمَالَكُمْ فِي الْكَفْرِ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَهَلْ مِنْ مُعْتَبَرٍ يَتَّبِعُ بِذَلِكَ فَيَنْزَجِرُ عَنْ كُفْرِهِ؟

﴿٥٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلَهُ الْعِبَادُ فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ الْحَفَظَةِ لَا يَفُوتُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿٥٣﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَكُلِّ كَبِيرٍ مِنْهُمَا مَكْتُوبٌ فِي صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ وَفِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وَسَيَجَازُونَ عَلَيْهِ.

﴿٥٤﴾ إِنْ الْمُتَّقِينَ لَرِبْهَمُ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فِي جَنَاتٍ يَتَنَعَمُونَ فِيهَا، وَفِي أَنْهَارٍ جَارِيَةٍ.

﴿٥٥﴾ فِي مَجْلِسٍ حَقٌّ لَا لَعْوَ فِيهِ وَلَا إِثْمٌ، عِنْدَ مُلِكٍ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، مُقَدَّرٌ لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا يَنَالُونَهُ مِنْهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ — مَدِينَةٌ —

﴿١﴾ مَقْصِدُ السُّورَةِ:

تَرْكُزٌ عَلَى الْإِعْلَامِ بِآلَاءِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ وَأَثَارِ رَحْمَتِهِ الظَّاهِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَرْغِيًّا فِي الْإِيمَانِ، وَتَحْذِيرًا فِي الْكُفْرِ.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ:

الرَّحْمَنُ ذُو الرِّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

﴿٣﴾ عَلَّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ بِتَسْهِيلٍ حَفَظَهُ، وَتَبَسَّرَ فُهِمَ مَعَانِيهِ.

﴿٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ سَوِيًّا، وَأَحْسَنَ تَصْوِيرَهُ. ﴿٥﴾ عَلَّمَهُ كَيْفَ يَبِينُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ نَطْقًا وَكِتَابَةً.

﴿٦﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ قَدَرُهُمَا يَسِيرَانِ بِحِسَابٍ مُتَقَنٍّ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ.

﴿٧﴾ وَمَا لَا سَاقَ لَهُ مِنَ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مُتَقَادِينَ مُسْتَسْلِمِينَ لَهُ.

﴿٨﴾ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا فَوْقَ الْأَرْضِ سَقْفًا لَهَا، وَأَثْبَتَ الْعَدْلَ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَرَ بِهِ عِبَادَهُ.

﴿٩﴾ أَثْبَتَ الْعَدْلَ لثَلَاثِ تَجَوُّرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - وَتَخَوَّنُوا فِي الْوِزْنِ وَالْكَيْلِ.

﴿١٠﴾ وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ، وَلَا تَنْقُصُوا الْوِزْنَ أَوْ الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ أَوْ وَزَنْتُمْ لِغَيْرِكُمْ.

﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا مَهْيَاةً لِاسْتِقْرَارِ الْخَلْقِ عَلَيْهَا.

﴿١٢﴾ فِيهَا الْأَشْجَارُ الَّتِي تُثْمِرُ الْفَوَاكِهَ، وَفِيهَا النَّخْلُ ذَاتُ الْأُوعِيَةِ الَّتِي تَنْفُلِقُ عَنِ الْقُنُونِ.

﴿١٣﴾ وَفِيهَا الْحَبُّ ذُو الثَّنَنِ الْكَبِيرُ وَالشَّعِيرُ، وَفِيهَا مَا تَرْزُقُونَهُ لِلْأَكْلِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَبُوبِ، وَفِيهَا النَّبَاتَاتُ الَّتِي تَسْتَطِيبُونَ رِائِحَتَهَا.

﴿١٤﴾ فَبَايَ نَعَمَ اللَّهُ الْكَثِيرَةَ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿١٥﴾ خَلَقَ آدَمَ ﷺ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ تَسْمَعُ لَهُ صَلَاسَةً، مِثْلَ الطِّينِ الْمَطْبُوخِ.

﴿١٦﴾ وَخَلَقَ أَبَا الْجِنِّ مِنْ لَهَبٍ خَالِصٍ مِنَ الدِّخَانِ.

﴿١٧﴾ فَبَايَ نَعَمَ اللَّهُ الْكَثِيرَةَ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

﴿١٨﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - وَجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْقَدْرِ. ٢ - كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا فِي صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ.

٣ - مَكَانَةُ الْعَدْلِ فِي الْإِسْلَامِ. ٤ - نَعَمَ اللَّهُ تَقْضِي مَنَا الْعُرْفَانَ بِهَا وَشُكْرَهَا، لَا التَّكْذِيبَ بِهَا وَكُفْرَهَا.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَتَّعِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمُلُوثُ وَالْمُرْجَاتُ ﴿٢٢﴾ فَيَايَ
 آءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾
 فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَبَقِيَ
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَيَايَ
 آءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَايَ
 آءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِذَا اسْتَطَعْتُمْ
 أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
 إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 شَوَاطِئَ مَنَارٍ وَغُصَّاسٍ فَلَا تَنْصَرُونَ ﴿٣٥﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾
 فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ
 إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَايَآءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

﴿١٧﴾ رب مشرقَي الشمس ومغربها شتاءً وصيفاً .
 ﴿١٨﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن
 والإنس - تكذبان؟
 ﴿١٩﴾ خلط الله البحرين المالح والعذب يلتقيان
 فيما تراه العين .
 ﴿٢٠﴾ بينهما حاجز يمنع كلاً منهما أن يطغى على
 الآخر حتى يبقى العذب عذباً والمالح مالحاً .
 ﴿٢١﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
 الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٢٢﴾ يخرج من مجموع البحرين اللؤلؤ، ويخرج
 المرجان .
 ﴿٢٣﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
 الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٢٤﴾ وله ^١جوار مملوءة في السفن الجارية
 في البحار مثل الجبال .
 ﴿٢٥﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
 الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٢٦﴾ كل من على وجه الأرض من الخلائق
 هالك لا محالة .
 ﴿٢٧﴾ ويبقى وجه ربك - أيها الرسول - ذو
 العظمة والإحسان والتفضل على عباده، فلا
 يلحقه فناء أبداً .
 ﴿٢٨﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
 الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٢٩﴾ يسأله كل من في السماوات من الملائكة،
 ومن في الأرض من الجن والإنس حاجاتهم، كل
 يوم هو في شأن من شؤون عباده؛ من إحياء

وإماتة ورزق وغير ذلك .

﴿٣٠﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٣١﴾ سنفرغ لحسابكم - أيها الإنس والجن - فنجازي كلاً بما يستحقه من ثواب أو عقاب .
 ﴿٣٢﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٣٣﴾ ويقول الله يوم القيامة إذا جمع الجن والإنس: يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تجدوا لكم مخرجاً من
 ناحية من نواحي السماوات والأرض فافعلوا، ولن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك إلا بقوة وبرهان، وأنى لكم ذلك؟
 ﴿٣٤﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٣٥﴾ يُرْسِلُ عليكم - أيها الإنس والجن - لهب من النار خالي من الدخان، ودخان لا لهب فيه، فلا تستطيعان
 الامتناع من ذلك .
 ﴿٣٦﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٣٧﴾ فإذا تشققت السماء لنزول الملائكة منها فكانت حمراء مثل الرصاص المُذاب ونحوه من هول يوم القيامة .
 ﴿٣٨﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 ﴿٣٩﴾ ففي ذلك اليوم العظيم لا يُسأل إنس ولا جن عن ذنوبهم؛ لعلم الله بأعمالهم .
 ﴿٤٠﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤١﴾ فَوَافِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الجمع بين البحر المالح والعذب دون أن يختلطا من مظاهر قدرة الله تعالى .
- ٢ - ثبوت الفناء لجميع الخلائق، وبيان أن البقاء لله وحده .
- ٣ - إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سبحانه دون تشبيه أو تمثيل .

يُعرف المجرمون يوم القيامة بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون، فَتُصَمَّ نواصيهم إلى أقدامهم فيرمون في جهنم.

﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤٣﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا أمام أعينهم لا يستطيعون إنكارها. يترددون بينها وبين ماء حارٍّ شديد الحرارة.

﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّنْ وَعَمِلْ صَالِحًا جِتَانًا.

﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤٧﴾ وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ عَظِيمَةٍ نَضْرَةٌ مِثْرَةٌ.

﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٤٩﴾ فِي الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ خِلَالَهُمَا بِالْمَاءِ.

﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ يُتَفَكَّهُ بِهَا صُفْثَانٌ.

﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٥٣﴾ مَتَكِّثِينَ عَلَى فَرْشٍ بَطَانُهَا مِنَ الدِّيبَاجِ الْغَلِيظِ، وَمَا يُجَنَّى مِنَ الثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ يَتَنَاوَلُهُ الْقَائِمُ وَالْجَالِسُ وَالْمَتَكِّئُ.

﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ نِسَاءٌ قَاصِرَاتُ نَظَرِهِنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَمْ يَفْتَضِضْ بَكَارِهَتَهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ جَمَالًا وَصَفَاءً، وَالْمَرْجَانُ كَذَلِكَ.

﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٥٩﴾ مَا جِزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بَطَاعَةَ رَبِّهِ إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ جِزَاءَهُ.

﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونَ تَبَنِكَ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ جِتَانٌ أُخْرَيَانِ.

﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٦٣﴾ قَدْ اسْتَدْتَّ خَضِرَتُهُمَا.

﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٦٥﴾ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ شَدِيدَتَا الْفُورَانِ بِالْمَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ فُورَانُ مَائِهِمَا.

﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿٦٧﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْأَكْبَاتِ:

١ - تنويع عذاب الكافر. ٢ - أهمية الخوف من الله واستحضار رهبة الوقوف بين يديه. ٣ - الجزاء من جنس العمل.

(١٨) فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ فَاكْثَرُ كَثِيرَةٍ وَنَخْلٌ عَظِيمٌ
وَرُمَّانٌ.
(١٩) فَبَأَي نَعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةُ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
(٢٠) فِي هَذِهِ الْجَنَّاتِ الْأَرْبَعِ نِسَاءٌ طَيِّبَاتُ
الْأَخْلَاقِ حَسَنَاتُ الْوُجُوهِ.
(٢١) فَبَأَي نَعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةُ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
(٢٢) حُورٌ مُسْتَوْرَاتٌ فِي الْخِيَامِ صَوْنًا لَهُنَّ.
(٢٣) فَبَأَي نَعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةُ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
(٢٤) لَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ.
(٢٥) فَبَأَي نَعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةُ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟
(٢٦) مُتَكَيِّفِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانٍ (٢٦) فَبَأَي
الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ (٢٧) نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٨)
سُورَةُ الْوَاقِعَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْعْنَهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)
(٤) إِذَا حُرَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا (٥)
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ
الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ
الشِّمَالِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)
فِي حَسَنَاتٍ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَكَيِّفِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ (١٦)

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:
تركز على التذكير بيوم القيامة، وتحقيق وقوعه

وأحوال أهله.
﴿التفسير﴾:
١- إذا قامت القيامة الواقعة لا محالة.
٢- لن توجد نفس تكذب بها كما كانت تكذب في الدنيا.
٣- خافضة للكفار الفجار بإدخالهم في النار، رافعة للمؤمنين المتقين بإدخالهم في الجنة.
٤- إذا حُرَّتِ الأرض تحريراً عظيماً. (٥) وَفُتَّتِ الْجِبَالُ تَفْتِيًا.
٦- فكانت من التفتت غباراً منتشراً لا ثبات لها. (٧) وَكُنْتُمْ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً في ذلك اليوم.
٨- فأصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ما أعلى وأعظم منزلتهم!
٩- وأصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم، ما أخس وأسوأ منزلتهم!
١٠- والسابقون بفعل الخيرات في الدنيا هم السابقون في الآخرة لدخول الجنة.
١١- أولئك هم المقربون عند الله. (١٢) في جنات النعيم، يتمتعون بأصناف النعيم.
١٣- جماعة من هذه الأمة ومن الأمم السابقة.
١٤- وقليل من الناس في آخر الزمان هم السابقون المقربون.
١٥- على أسيرة منسوجة بالذهب. (١٦) متكئين على هذه الأسرة متقابلين بوجوههم، لا ينظر أحدهم قفا غيره.
﴿فَإِنَّ مِنْ آيَاتِ﴾: ١ - انقطاع تكذيب الكفار بمعاينة مشاهد القيامة. ٢ - عظمة الحوادث التي تصاحب القيامة.
٣ - تفاوت درجات أهل الجنة بتفاوت أعمالهم.

﴿٧﴾ يدور عليهم لخدمتهم ولدان لا ينالهم هَرَمٌ ولا فناء.

﴿٨﴾ يدورون عليهم بأقداح لا عُرًا لها، وأباريق لها عُرًا، وكأس من خمر جارية في الجنة لا تنقطع.

﴿٩﴾ ليست كخمر الدنيا، فلا يلحق شاربها صداع، ولا ذهاب عقل.

﴿١٠﴾ ويدور عليهم هؤلاء الولدان بفاكهة مما يختارون.

﴿١١﴾ ويدورون بلحم طير مما تشتهي أنفسهم.

﴿١٢﴾ ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.

﴿١٣﴾ كأمثال اللؤلؤ المصنوع في صدفه.

﴿١٤﴾ ثوابًا لهم على ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحات في الدنيا.

﴿١٥﴾ لا يسمعون في الجنة فاحش كلام، ولا ما يلحق صاحبه إثم.

﴿١٦﴾ لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.

﴿١٧﴾ وأصحاب اليمين، ما أصحاب اليمين؟ بالعظمة مكانتهم وشأنهم عند الله.

﴿١٨﴾ في سدر مقطوع الشوك، لا أدى فيه.

﴿١٩﴾ وفي موز متراكم مصفوف بعضهم إلى بعض.

﴿٢٠﴾ وظل ممدود مستمر لا يزول.

﴿٢١﴾ وماء جار لا يتوقف.

﴿٢٢﴾ وفاكهة كثيرة لا تنحصر.

﴿٢٣﴾ لا تنقطع عنهم أبدًا، فليس لها موسم، ولا يحول دونها مانع في أي وقت أرادوها.

﴿٢٤﴾ وفرش مرفوعة عالية توضع على الأسرة.

﴿٢٥﴾ إنا أنشأنا الحور المذكورات إنشاء غير مألوف.

﴿٢٦﴾ فصبرناهن أباكرا لم يلمسن من قبل.

﴿٢٧﴾ متحبيات إلى أزواجهن، مستويات في السن.

﴿٢٨﴾ أنشأناهن لأصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين علامة على سعادتهم.

﴿٢٩﴾ هم جماعة من أمم الأنبياء السابقين. ﴿٣٠﴾ وجماعة من أمة محمد ﷺ وهي آخر الأمم.

﴿٣١﴾ وأصحاب الشمال، ما أصحاب الشمال؟ يا لسوء حالهم ومصيرهم.

﴿٣٢﴾ في رياح شديد الحرارة، وفي ماء شديدة الحرارة. ﴿٣٣﴾ وفي ظل دخان مُسَوَّد.

﴿٣٤﴾ لا طيب الهبوب، ولا حسن المنظر.

﴿٣٥﴾ إنهم كانوا قبل ما صاروا إليه من العذاب مُتَنَعِّمين في الدنيا، لا هم لهم إلا شهواتهم.

﴿٣٦﴾ وكانوا يصممون على الكفر بالله وعبادة الأصنام من دونه.

﴿٣٧﴾ وكانوا ينكرون البعث فيقولون استهزاء واستبعادًا له: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا نَحْرة أُنْبِعث بعد ذلك؟

﴿٣٨﴾ أو يبعث أبائنا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: إن الأولين من الناس والمتأخرين منهم.

﴿٤٠﴾ سيُجمعون يوم القيامة لا محالة للحساب والجزاء.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ يَا كُوفٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿٩﴾ وَفَكَهْةٍ مِمَّا يَتَخِفُّونَ ﴿١٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكُونِ ﴿١٣﴾ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿١٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١٧﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ﴿١٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿١٩﴾ وظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٢٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٢١﴾ وَفَكَهْةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٢٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٢٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٢٥﴾ فَعَلَّاهُنَّ أَتِكَارًا ﴿٢٦﴾ عُرْيَا أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْكَ ﴿٢٩﴾ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٠﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣١﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣٢﴾ فِي سُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٣٣﴾ وظِلِّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٣٤﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٣٦﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٣٧﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ۖ إِنَّا نَبْعُوثُ لَمَّاعُونَ ﴿٣٨﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤١﴾

﴿٤٢﴾ فَوَارِضَ الْآيَاتِ: ١ - العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. ٢ - تفاوت جزاء الناس يوم القيامة بحسب أعمالهم. ٣ - خطر الإصرار على الذنب.

﴿١١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿١٣﴾ فَأَنْتُمْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٤﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَمِيمِ ﴿١٥﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ الْهَمِيمِ ﴿١٦﴾ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿١٩﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٢١﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا النِّسَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا لَا تَذْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٢٤﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٢٥﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٢٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٣٠﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٣١﴾ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٣٢﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٣٣﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٣٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٣٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿١٢﴾ ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق الأول، أفلا تعتبرون، وتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على بعثكم بعد موتكم؟
﴿١٣﴾ أفأريت ما تلقونه من البذر في الأرض.
﴿١٤﴾ أنتم الذين تنبتون ذلك البذر، أم نحن الذين ننبته؟
﴿١٥﴾ لو نشاء جعل ذلك الزرع حطامًا لجعلناه حطامًا بعد أن أوشك على النضج والإدراك، فظللتم بعد ذلك تتعجبون مما أصابه.
﴿١٦﴾ تقولون: إنا لخاسرون ما أنفقناه، مُعَذَّبُونَ. ﴿١٧﴾ بل نحن محرومون من الرزق.
﴿١٨﴾ أفأريت الماء الذي تشربون منه إذا عطشتم؟ ﴿١٩﴾ أنتم أنزلتموه من السحاب في السماء، أم نحن الذين أنزلناه؟
﴿٢٠﴾ لو نشاء جعل ذلك الماء شديد الملوحة لا يُشْتَفَع به شربًا ولا سقيًا لجعلناه شديد الملوحة، فلولا تشكرون الله على إنزاله عَذْبًا رَحِمَةً بكم.
﴿٢١﴾ أفأريت النار التي توقدها لمنافعكم.
﴿٢٢﴾ أنتم الذين أنشأتم الشجرة التي توقد منها، أم نحن الذين أنشأناها رفقا بكم؟
﴿٢٣﴾ نحن صيرنا هذه النار تذكرة لكم تذكركم بنار الآخرة، وصيرناها منفعة للمسافرين منكم.
﴿٢٤﴾ فنزهه - أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به. ﴿٢٥﴾ أقسم الله بأماكن النجوم ومواقعها.
﴿٢٦﴾ وإن القسم بهذه المواقع - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات والعبر التي لا تنحصر.
﴿٢٧﴾ فإن من الآيات: ١ - دلالة الخلق الأول على سهولة البعث ظاهرة. ٢ - إنزال الماء وإنبات الأرض والنار التي ينتفع بها الناس نعم تقتضي من الناس شكرها لله، فאלله قادر على سلبها متى شاء.



﴿٧٦﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ الْمَقْرُوءَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ -
قرآن كريم؛ لما فيه من المنافع العظيمة.
﴿٧٨﴾ فِي كِتَابٍ مَّصُونٍ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَهُوَ
اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ.
﴿٧٩﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ مِنْ
الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ.
﴿٨٠﴾ نَزَّلَ مِنْ رَبِّ الْخَلَائِقِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.
﴿٨١﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ -
مَكْذُوبُونَ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ؟
﴿٨٢﴾ وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَكُمْ بِهِ مِنْ
النَّعْمِ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ، فَتَنْسَبُونَ الْمَطَرُ إِلَى
النَّوْءِ، فَتَقُولُونَ: مُطَرْنَا بَنُوْءُ كَذَا وَنَوْءُ كَذَا؟
﴿٨٣﴾ فَهَلَّا إِذَا وَصَلَتْ الرُّوحُ الْحَلْقُومَ.
﴿٨٤﴾ وَأَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ تَنْظُرُونَ الْمُحْتَضِرَ بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ.
﴿٨٥﴾ وَمَلَائِكَتُنَا أَقْرَبَ إِلَى مَيْتِكُمْ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لَا
تَشَاهِدُونَهُمْ.
﴿٨٦﴾ فَهَلَّا إِنْ كُنْتُمْ - كَمَا تَزْعُمُونَ - غَيْرَ مُبْعُوْثِينَ
لِمَجَازَاتِكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.
﴿٨٧﴾ تَرْجِعُونَ هَذِهِ الرُّوحَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ مَيْتِكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ.
﴿٨٨﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيْتُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ.
﴿٨٩﴾ فَلَهُ رَاحَةٌ لَا تَعْبُ بَعْدَهَا، وَرِزْقٌ طَيِّبٌ،
وَرَحْمَةٌ، وَلَهُ جَنَّةٌ يَتَنَعَّمُ فِيهَا بِمَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ.
﴿٩٠﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيْتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
فَلَا تَهْتَمُّ لَشَأْنِهِمْ، فَلَهُمُ السَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ.
﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمَيْتُ مِنَ الْمَكْذِبِينَ بِمَا جَاءَ
بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الضَّالِّينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.
﴿٩٢﴾ فَلَهُ نَزْلٌ يُقَدَّمُ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَاءٌ حَارٌّ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ.
﴿٩٣﴾ وَلَهُ احْتِرَاقٌ بِنَارِ الْجَحِيمِ.
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَهُوَ حَقُّ الْبَقِيَّةِ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ.
﴿٩٥﴾ فَتَنَزَّهِ اسْمُ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، وَقُدَّسْهُ عَنِ النَّقَائِصِ.

سُورَةُ الْحَافِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْحَافِثِ

— مَدَنِيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بناء القوة الإيمانية والمادية الباعثة على الدعوة والجهاد، وتخليص النفوس من عوائقها، ولذا تكرر فيها ذكر الإنفاق والإيمان.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ نَزَّهَ اللَّهُ وَقُدَّسَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ.
﴿٢﴾ لَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُحْيِي مِنْ يَشَاءُ أَنْ يَحْيِيَهُ، وَيُمِيتُ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يُمِيتَهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.
﴿٣﴾ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَهُوَ الْآخِرُ الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَهُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ.

﴿فَوَائِدُ الْآيَاتِ﴾: ١ - الاعتقاد بأن للكواكب أثراً في نزول المطر كفر، وهو من عادات الجاهلية. ٢ - الأصل أن البشر لا يرون الملائكة إلا إن أراد الله لحكمة. ٣ - تفاوت درجات المؤمنين حسب أعمالهم.

هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم استوى سبحانه على العرش استواءً يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وبذر وغيرهما، وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرهما، وما ينزل من السماء من المطر والوحي وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم أينما كنتم - أيها الناس - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلاق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

يدخل الليل على النهار فتأتي الظلمة، وينام الناس، ويدخل النهار على الليل فيأتي الضياء، فينطلق الناس إلى أعمالهم، وهو عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وأنفقوا من المال الذي جعلكم الله مستخلفين فيه، تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٥
أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٦
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٧
هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ٨
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٩
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٠

منكم بالله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، لهم ثواب عظيم عنده، وهو الجنة.

أَي شيء يمنعكم من الإيمان بالله؟ والرسول يدعوكم إلى الله رجاء أن تؤمنوا بربكم سبحانه، وقد أخذ الله منكم العهد أن تؤمنوا به حين أخرجكم من ظهور آبائكم، إن كنتم مؤمنين فآمنوا.

هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحة؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف رحيم حين أرسل إليكم نبيه هاديًا وبشيرًا.

أَي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار لنصرة الإسلام، وأولئك المنفقون من قبل الفتح، والمقاتلون في سبيل الله أعظم منزلة عند الله، وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله بعد فتحها، وقتلوا الكفار، وقد وعد الله كلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيعطيه الله ثواب ما بذله من ماله مضاعفًا، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة.

قوله من الآيات:

١ - المال مال الله، والإنسان مُسْتَخْلَفٌ فيه. ٢ - تفاوت درجات المؤمنين بحسب السبق إلى الإيمان وأعمال البر. ٣ - الإنفاق في سبيل الله سبب في بركة المال ونمائه.

﴿١٦﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بُشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في ذلك اليوم ذكر حال المنافقين فقال:

﴿١٧﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا بالله وبرسوله: انتظرونا - أيها المؤمنون، والمؤمنات - رجاء أن نقتبس من نوركم ما يعيننا على عبور الصراط، ويقال للمنافقين استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نوراً تستنيرون به، فُضِرَ بينهم بسور، لذلك السور باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

﴿١٨﴾ ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم تكن معكم على الإسلام والطاعة؟ قال لهم المسلمون: بلى، كنتم معنا، لكنكم فتنتم أنفسكم بالنفق فأهلكتموها، وتربصتم بالمؤمنين أن يُغلبوا فتغلبوا كفركم، وشككتكم في نصر الله للمؤمنين، وفي البعث بعد الموت، وخدعتكم الأطعمة الكاذبة حتى جاءكم الموت وأنتم على ذلك، وغرَّكم بالله الشيطان.

﴿١٩﴾ فالיום لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية من عذاب الله، ولا تؤخذ فدية من الذين كفروا بالله علناً، ومصيركم ومصير الكافرين النار، هي أولى بكم، وأنتم أولى بها، وبش المصير.

﴿٢٠﴾ ألم يحن للذين آمنوا بالله ورسوله أن تلين قلوبهم وتطمئن لذكر الله سبحانه، وما نزل من القرآن من وعد أو وعيد، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود، والذين أعطوا الإنجيل من النصارى، في قسوة القلوب، فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم فقسست بسبب ذلك قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.

﴿٢١﴾ اعلّموا أن الله يحيي الأرض بإنباتها بعد جفافها، قد بينّا لكم - أيها الناس - الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانيته رجاء أن تعقلوها؛ فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعثكم بعد موتكم، وقادر على جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

﴿٢٢﴾ إن المتصدقين ببعض أموالهم، والمتصدقات ببعض أموالهن، الذين ينفقونها طيبة بها نفوسهم دون من ولا أذى، يُضاعف لهم ثواب أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولهم مع ذلك ثواب كريم عند الله وهو الجنة.

﴿٢٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - امتتان الله على المؤمنين بإعطائهم نوراً يسعى أمامهم، وعن إيمانهم.

٢ - لا نور للمنافقين يوم القيامة.

٣ - التربُّص بالمؤمنين والشك في البعث، والانخداع بالأماني، والاعتزاز بالشيطان: من صفات المنافقين.

٤ - خطر قسوة القلوب.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ ينادونهم ألم كننا منكم مَعْكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ قَالُوا لَمْ يَأْخُذْ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِشِ الْمَصِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٠﴾ والذين آمنوا بالله، وآمنوا برسوله دون تفريق بينهم، أولئك هم الصديقون، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الكريم المعد لهم، ولهم نورهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب الجحيم، يدخلونها يوم القيامة خالدين فيها أبداً، لا يخرجون منها.

﴿١١﴾ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب تلعب به الأبدان، ولهو تلهو به القلوب، وزينة تتجملون بها، وتفاخر بينكم بما فيها من ملك ومتاع، وتباه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد، كمثل مطر أعجب الزرع نباته، ثم لا يلبث هذا النبات المخضر أن ييبس، فتراه - أيها الرائي - بعد اخضراره مصفراً، ثم يجعله الله فتاتاً يتكسر، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله لذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل لا ثبات له، فمن أثر متاعها الزائل على نعيم الآخرة فهو خاسر مغبون.

﴿١٢﴾ سابقوا - أيها الناس - إلى الأعمال الصالحات التي تنالون بها مغفرة ذنوبكم؛ من توبة وغيرها من القربات، ولتنالوا بها جنة عرضها مثل عرض السماء والأرض، هذه الجنة أعدّها الله للذين آمنوا به وآمنوا برسوله، ذلك الجزاء فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده المؤمنين.

﴿١٣﴾ ما أصاب الناس من مصيبة في الأرض من الجذب وغيره، ولا أصابهم من مصيبة في أنفسهم إلا وهي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

﴿١٤﴾ وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح يطر، إن الله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما أعطاه الله.

﴿١٥﴾ الذين يبخلون بما يجب عليهم بذله، ويأمرون غيرهم بالبخل خاسرون، ومن يتولّ عن طاعة الله فلن يضرّ الله وإنما يضرّ نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتقر إلى طاعة عبده، المحمود على كل حال.

﴿١٦﴾ فإله من الآيات:

١ - الزهد في الدنيا وما فيها من شهوات، والترغيب في الآخرة وما فيها من نعيم دائم يعينان على سلوك الصراط المستقيم.

٢ - وجوب الإيمان بالقدر.

٣ - من فوائد الإيمان بالقدر عدم الحزن على ما فات من حظوظ الدنيا.

٤ - البخل والأمر به خصلتان ذميتان لا يتصف بهما المؤمن.

﴿٢٦﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْحَقِّ بِالْحَقِّجِ الْوَاضِحَةِ
وَالْبَرَاهِينِ الْجَلِيَّةِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ،
وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْمِيزَانَ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْعَدْلِ،
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ قَوِيٌّ، فَمِنْهُ يُصْنَعُ
السِّلَاحُ، وَفِيهِ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ فِي صِنَاعَاتِهِمْ
وَحِرْفِهِمْ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمًا يَظْهَرُ لِلْعِبَادِ مِنْ
يَنْصُرُهُ مِنْ عِبَادِهِ بِالْغَيْبِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا
يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْجُزُ عَنْ شَيْءٍ.

﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ،
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ، فَلَمْ نَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا
مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا، وَجَعَلْنَا فِيهِمُ الْكِتَابَ الْمُنْزِلَ،
فَلَمْ نَنْزِلْ كِتَابًا إِلَّا عَلَى أَوْلَادِهِمْ، فَمِنْ
ذُرِّيَّتِهِمَا مُهْتَدٍ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، مُوَفَّقٌ،
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿٢٨﴾ ثُمَّ أَتَيْنَا نَارًا، فَبِعَثْنَاهُمْ تَنْتَرَى إِلَى
أُمَمِهِمْ، وَأَتَيْنَاهُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَعْطَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَاتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً، فَكَانُوا مَتَوَادِينَ
مُتَرَاحِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَابْتَدَعُوا الْغُلُوَّ فِي
دِينِهِمْ، فَتَرَكُوا بَعْضَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ
النِّكَاحِ وَالْمَلَازِمِ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا
أَلْزَمُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ؛ ابْتِدَاعًا مِنْهُمْ فِي الدِّينِ،
وَإِنَّمَا طَلَبْنَا اتِّبَاعَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَلَمْ يَفْعَلُوا،
فَأَعْطَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ ثَوَابَهُمْ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ بِالتَّكْذِيبِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ
رُسُلَنَا وَفَتَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِرُسُلِهِمْ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبِجَعَلْ لَكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَتَأْتِيَ لَكُمْ
أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، واجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، يعطكم
نَصِيبًا مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِيْمَانِكُمْ بِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، وَتَسْتَتِيرُونَ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فَلَا يُؤَاخِذْكُمْ بِهَا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ عَلَى عِبَادِهِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْدَ فَضْلُهُ حَادًّا، وَلَا يَحْصِيهِ عَادًّا.

﴿٣٠﴾ وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ فَضْلَنَا الْعَظِيمَ بِمَا أَعَدَدْنَاهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِنَ الثَّوَابِ الْمَضَاعِفِ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ
السَّابِقُونَ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ بِحَيْثُ يَمْنَحُونَهُ مَنْ يَشَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَهُ مَنْ
يَشَاءُونَ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ يَعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَخْتَصُّ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿٣١﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان مكانة العدل في الشرائع السماوية.
- ٢ - صلة النسب بأهل الإيمان والصلاح لا تُغني شيئًا عن الإنسان ما لم يكن هو مؤمنًا.
- ٣ - بيان تحريم البدع في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَافُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُوتَ
بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنْ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا
كَكَائِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَنْتَبِهُنَّ لِّلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

﴿١﴾ مقصد السورة :
تركز على إظهار علم الله الشامل وإحاطته
البالغة، تربية لمراقبته، وتحذيرًا من مخالفته.

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ قد سمع الله كلام المرأة (وهي خولة
بنت ثعلبة) التي تراجعت - أيها الرسول - في
شأن زوجها (وهو أوس بن الصامت) لما
ظاهر منها، وتشتكي إلى الله ما صنع بها
زوجها، والله يسمع تراجعتكما في الكلام، لا
يخفى عليه منه شيء، إن الله سميع لأقوال
عباده، بصير بأفعالهم، لا يخفى عليه منها
شيء.

﴿٢﴾ الذين يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ؛ بأن يقول
أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي، كذبوا
في قولهم هذا، فليست زوجاتهم بأمهاتهم،
ما أمهاتهم إلا اللاتي وَلَدْنَهُمْ، وإنهم إذ
يقولون ذلك القول ليقولون قولاً فظيعاً،
وكذباً، وإن الله لعفو غفور، فقد شرع لهم
الكفارة؛ تخليصاً لهم من الإثم.

﴿٣﴾ والذين يقولون هذا القول الفظيع، ثم
يريدون الجماع لمن ظاهروا منهم فعليهم أن يُكْفَرُوا بعقوبة رقية من قبل أن يجامعوه، ذلك الحكم المذكور
تؤمرون به جزاً لكم عن الظاهر، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿٤﴾ فمن لم يجد منكم رقية يعتقها فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يجامع زوجته التي ظاهرها، فمن
لم يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستين مسكيناً، ذلك الحكم الذي حكمنا به لتؤمروا بأن الله أمر
به، فتمثلوا أمره، وتلك الأحكام التي شرعناها لكم حدود الله التي حدّها لعباده فلا تتجاوزوها، وللكافرين
بأحكام الله وحدوده التي حدّها عذاب موجه.

﴿٥﴾ إِنْ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ وَأَخْزَوْا كَمَا أُذِلَّ الَّذِينَ عَادُوهُ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَأَخْزَوْا، وَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ، وَلِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ عَذَابٌ مُذِلٌّ.

﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا لَا يَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَيُخَبِّرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، أَحْصَاهُ اللَّهُ
عليهم، فلم يفته من أعمالهم شيء، ونسوه هم فوجدوه مكتوباً في صحائفهم التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصتها، والله على كل شيء مُّطَّلِع لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿٧﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

١ - لُطْفُ اللَّهِ بِالْمُسْتَغْفِرِينَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ حَيْثُ نَصَرْتَهُمْ وَتَخَفِيفِ الْعِبَادَةِ عَنْهُمْ.

٢ - دَعَاءُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابٌ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

٣ - الظَّهَارُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّهُ تَحْرِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ.

﴿٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، ما يكون من حديث ثلاثة إلا هو سبحانه رابعهم بعلمه، ولا يكون من حديث خمسة إلا هو سبحانه سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك العدد، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه من حديثهم شيء، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٨﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن النجوى، ثم هم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم مثل اغتيال المؤمنين، وبما فيه عدوان عليهم، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاؤوك - أيها الرسول - حيّوك بتحية لم يحكيك الله بها؛ وهي قولهم: السام عليك، ويقولون تكذباً للنبي ﷺ: هلاً يعذبنا الله بما نقول، إذ لو كان صادقاً في دعواه أنه نبي لعذبنا الله بما نقول فيه، كافيههم جهنم عقاباً على ما قالوه، يعانون حرّها، فقيح المصير مصيرهم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتناجوا بما فيه إثم أو عدوان أو

﴿١٠﴾ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكوث من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينفثهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم ﴿٧﴾ ألم تر إلى الذين هؤأ عن النجوى ثم يعودون لما هؤأ عنه وينتجون بالأثر والعدون ومعصيت الرسول وإذا جاءوك حيّوك بما أمرك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴿٨﴾ يتأبها الذين ءامنوا إذا تنجيم فلا تنجوا بالأثر والعدون ومعصيت الرسول وتنجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴿٩﴾ إنما النجوى من الشيطان ليحزب الذين ءامنوا وليس بضارهم شيئاً ألا ياذن الله وعلى الله فليستوكل المؤمنون ﴿١٠﴾ يتأبها الذين ءامنوا إذا قيل لكم ففسحوا في المجالس فافسحوا ففسح الله لكم وإذا قيل أمشروا فامشروا يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين ءاتوا العلم درجتاً والله بما تعملون خبير ﴿١١﴾

معصية للرسول حتى لا تكونوا مثل اليهود، وتناجوا بما فيه طاعة لله وكف عن معصيته، واتقوا الله بامثال أمره واجتناب نواهيه، فهو الذي إليه وحده تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٢﴾ إنما النجوى - المشتعلة على الإثم والعدوان ومعصية الرسول - من تزيين الشيطان ووسوسته لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين أنهم يكاد لهم، وليس الشيطان ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون في جميع شؤونهم.

ولما ذكر الله الأدب في الأقوال ذكر الأدب في المجالس فقال:

﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس فأوسعوا فيها، يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارتفعوا من بعض المجالس ليجلس فيها أهل الفضل فارتفعوا عنها، يرفع الله سبحانه الذين آمنوا منكم والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - سعة علم الله سبحانه.

٢ - تحريم تنجى ثلاثة دون الواحد؛ لما في ذلك من إدخال الحزن عليه؛ لأنه قد يظن أنهم يتكلمون فيه.

٣ - الشيطان يدعو إلى الشر والتفريق بين القلوب.

٤ - من آداب المجالس التوسيع فيها للآخرين.

٥ - الجزاء من جنس العمل؛ فمن أراد الجزاء الحسن فعليه بالعمل الحسن.

﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِذَا أَرَدْتُمْ مُسَارَّةَ الرُّسُولِ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ مُسَارَّتِكُمْ صَدَقَةً، ذَلِكَ التَّقْدِيمُ لِلصَّدَقَةِ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ الَّتِي تَرْكِي الْقُلُوبِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي مُسَارَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَكْلِفْهُمْ إِلَّا مَا فِي وَسْعِهِمْ.

﴿١٨﴾ أَخَفْتُمُ الْفَقْرَ بِسَبَبِ تَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرُّسُولَ؟ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْهَا، وَتَابَ عَلَيْكُمْ حَيْثُ رَخَّصَ لَكُمْ فِي تَرْكِهَا فَأَتُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَالُوا الْيَهُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، لَيْسَ الْمُنَافِقُونَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَلَيْسُوا مِنَ الْيَهُودِ، بَلْ هُمْ مُدْبِئُونَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَيَحْلِفُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ كَاذِبِينَ - وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ - أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّهُمْ مَا نَقَلُوا أَخْبَارَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَهُودِ.

﴿٢٠﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الْآخِرَةِ، حَيْثُ يَدْخُلُهُمُ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، إِنَّهُمْ قَبِيحٌ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا.

﴿٢١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَحْلِفُونَهَا وَقَايَةَ مِنَ الْقَتْلِ بِسَبَبِ الْكُفْرِ، حَيْثُ أَظْهَرُوا بِهَا الْإِسْلَامَ لِيَعَصِمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَصَرَفُوا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ لِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ التَّوْهِينِ وَالتَّثْيِيطِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَهُمْ عَذَابٌ مِثْلُ الَّذِي يَذْلُهُمْ وَيَخْزِيهِمْ.

﴿٢٢﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ، وَلَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا كَثِيرِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَنْقُطِعُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ.

﴿٢٣﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا لَا يَتْرِكُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا بَعَثَهُ لِلْجَزَاءِ، فَيَحْلِفُونَ لِلَّهِ مَا كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَإِنَّمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ عَامِلِينَ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ، يَحْلِفُونَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الْإِيمَانِ الَّتِي يَحْلِفُونَهَا لِلَّهِ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ حَقًّا فِي أَيْمَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي أَيْمَانِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٤﴾ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَسْأَهُمْ بِوَسْوَتهِ ذَكَرَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلُوا بِمَا يَرْضَاهُ، وَإِنَّمَا عَمِلُوا بِمَا يَغْضِبُهُ، أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ جُنُودُ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعُهُ، أَلَا إِنَّ جُنُودَ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعَهُ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ بَاعُوا الْهَدْيَ بِالضَّلَالَةِ، وَالْجَنَّةَ بِالنَّارِ.

﴿٢٥﴾ إِنْ الَّذِينَ يَعَادُونَ اللَّهَ وَيَعَادُونَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ أَذْلِهِمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَخْزَاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ.

﴿٢٦﴾ قَضَى اللَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ لَأَنْتَصِرَ أَنَا وَرُسُلِي عَلَى أَعْدَائِنَا بِالْحُجَّةِ وَالْقُوَّةِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَلَى نَصْرِ رُسُلِهِ، عَزِيزٌ يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.

﴿٢٧﴾ فَوَائِدُ الْآيَاتِ:

- ١ - التَّدْبِذُ وَعَدَمُ الثَّبَاتِ عَلَى مَوْقِفٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ. ٢ - الْإِيمَانُ الْكَاذِبُ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ.
- ٣ - خَسْرَانُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَغَلْبَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ سُنَّةُ إِلَهِيَّةٍ قَدْ تَأَخَّرَ، لَكِنَّا لَا تَخْلَفُ.

❶ لا تجد - أيها الرسول - قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ولرسوله آباءهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو كانوا عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالاة أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مُقدّمة عليها عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقرباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم بنصر منه على أعدائهم في الحياة الدنيا، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمثّلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْحَشْرِ

مَدِينَةُ

❷ مقصد السورة:

تركز على إظهار قوة الله وعزته في توهين الكافرين والمنافقين، وإظهار تفرقهم، في مقابل إظهار تألف المؤمنين.

❸ التفسير:

❶ نَرَّهَ اللَّهُ وَقَدَّسَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

❷ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ بَنِي النَّصِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، وَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ أَصْحَابُ التَّوْرَةِ، بَعْدَ نَقْضِهِمْ لِعَهْدِهِمْ وَصِیْرُورَتِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ، مَا ظَنَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْمُنْعَةِ، وَظَنُوا هُمْ أَنْ حِصُونَهُمُ الَّتِي شَيَّدُوهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، فَجَاءَهُمْ بَأْسُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يُقَدَّرُوا مَجِئَتِهِ حِينَ أَمَرَ رَسُولَهُ بِقِتَالِهِمْ وَإِجْلَائِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، يَدْمُرُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ دَاخِلِهَا، وَيَدْمُرُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجِهَا، فَاتَّعَظُوا يَا أَصْحَابَ الْأَبْصَارِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَتَنَالُوا جَزَاءَهُمْ وَعِقَابَهُمُ الَّذِي عَاقَبُوا بِهِ.

❸ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَإِجْلَاءَهُمْ مِنْهَا، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، كَمَا فَعَلَ بِإِخْوَانِهِمْ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ يَنْتَظِرُهُمْ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا.

❹ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ❶ - الإيمان بالله ينافي موالاة أعدائه. ٢ - رابطة الإيمان أوثق الروابط بين أهل الإيمان.
- ❷ - الإيمان بالله سبب الفلاح في الدنيا والآخرة.

① ذلك الذي حصل لهم حصل لأنهم عادوا الله وعادوا رسوله بكفرهم ونقضهم للعهود، ومن يعاد الله فإن الله شديد العقاب، فسيناله عقابه الشديد.

② ما قطعتم - معشر المؤمنين - من نخلة في غزوة بني النضير أو تركتموها قائمة على جذوعها فبأمر الله، وليس من الفساد في الأرض كما زعموا، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذين نقضوا العهد، واختاروا سبيل الغدر على طريق الوفاء.

③ وما رده الله على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعتهم في طلبه مما تركبونه خيلاً ولا إبلاً، ولا أصابتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلم رسوله على من يشاء، وقد سلط رسوله على بني النضير ففتح بلادهم صلحاً، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

④ ما أنعم الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال فلله، يجعله لمن يشاء، وللرسول مئلكا، ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب؛ تعويضاً لهم عما مُنعوا من الصدقة، وللأيتام، وللفقراء، وللغريب الذي

نفدت نفقته؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء، وما أعطاكم الرسول من أموال الفيء فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله شديد العقاب فاحذروا عقابه.

⑤ ويصرف جزء من هذا المال للفقراء المهاجرين في سبيل الله الذين أُجبروا على ترك أموالهم وأولادهم، يرجون أن يتفضل الله عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله وينصرون رسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الراسخون في الإيمان حقاً.

ولما ذكر الله المهاجرين وأثنى عليهم، ذكر الأنصار وأثنى عليهم كذلك، فقال سبحانه:

⑥ والأنصار الذين نزلوا المدينة من قبل المهاجرين، واختاروا الإيمان بالله وبرسوله، يحبون من هاجر إليهم من مكة، ولا يجدون في صدورهم غيظاً ولا حسداً على المهاجرين في سبيل الله إذا ما أعطوا شيئاً من الفيء ولم يُعطوا هم، ويقدمون على أنفسهم المهاجرين في الحظوظ الدنيوية، ولو كانوا متصفين بالفقر والحاجة، ومن يثق الله حُرْص نفسه على المال فيبذله في سبيله فأولئك هم الفائزون بنيل ما يرتجون، والنجاة مما يرهون.

❁ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - معاداة الله ورسوله سبب مباشر لخسران الدنيا والآخرة. ٢ - مشروعية الفيء ومصارفه. ٣ - فضل المهاجرين والأنصار. ٤ - الإيثار منقبة عظيمة من مناقب الإسلام ظهرت في الأنصار أحسن ظهور.

﴿١٠﴾ والذين جاؤا من بعد هؤلاء واتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان بالله وبرسوله، ولا تجعل في قلوبنا غشاً ولا حسداً لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوف بعبادك، رحيم بهم.

﴿١١﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى الذين أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود أتباع التوراة المخرقة: اثبتوا في دياركم فلن نخذلكم، ولن نسلمكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجن تضامناً معكم، ولا نطيع أحداً يريد أن يمنعا من الخروج معكم، وإن قاتلوكم لنعيننكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج مع اليهود إذا أخرجوا، والقتال معهم إذا قاتلوا.

﴿١٢﴾ لئن أخرجهم المسلمون لا يخرجون معهم، وإن قاتلوهم لا ينصرونهم ولا يعينونهم، ولئن نصروهم وأعانوهم على المسلمين ليهربن فراراً منهم ثم لا ينصرون المنافقون بعد ذلك، بل يذلهم الله ويخزيهم.

﴿١٣﴾ لأنتم - أيها المؤمنون - أشد تخويفاً في قلوب المنافقين واليهود من الله، ذلك المذكور - من شدة خوفهم منكم، وضعف

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ لَهُمْ لَئِنْ نَصَرْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ لَا يُفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

خوفهم من الله - بسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يفهمون، إذ لو كانوا يفقهون لعلموا أن الله أحق أن يخاف وأن يُرهَب، فهو الذي سلطكم عليهم.

﴿١٤﴾ لا يقاتلكم - أيها المؤمنون - اليهود والمنافقون مجتمعين إلا في قري مُحَصَّنَةٍ بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم لا يستطيعون مواجعتكم لجبنهم، بأسهم فيما بينهم قوي لما بينهم من العداوة، تظن أنهم على كلمة واحدة، وأن صفهم واحد، والواقع أن قلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك الاختلاف والتعادي بسبب أنهم لا يعقلون، إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق واتبعوه، ولم يختلفوا فيه.

﴿١٥﴾ مثل هؤلاء اليهود في كفرهم وما حل بهم من عقاب كمثل الذين من قبلهم من مشركي مكة في زمن قريب، فذاقوا سوء عاقبة كفرهم، فُقُتِلَ من قُتِلَ، وأُسِرَ من أُسِرَ منهم يوم بدر، ولهم في الآخرة عذاب موعج.

﴿١٦﴾ مثْلُهُمْ فِي سَمَاعِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ حِينَ زَيْنَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكْفُرَ، فَلَمَّا كَفَرَ بِسَبَبِ تَزْيِينِهِ الْكَفَرَ لَهُ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ لَمَّا كَفَرْتُ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْخَلَائِقِ.

﴿١٧﴾ وَلَا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - رابطة الإيمان لا تتأثر بتطاول الزمان وتغير المكان.
- ٢ - صداقة المنافقين صداقة وهمية تلاشى عند الشدائد.
- ٣ - ظهور جبن اليهود عند مواجهة المؤمنين حقاً.

﴿٧﴾ فكان نهاية أمر الشيطان ومن أطاعه
أُنهما (أي: الشيطان المُطاع، والإنسان
المُطيع) يوم القيامة في النار مأكَّثين فيها
أبدًا، وذلك الجزاء الذي ينتظرهم هو جزاء
الظالمين لأنفسهم بتعدي حدود الله.

﴿٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه
لهم، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب
نواهيه، ولتأمل نفس ما قدمت من عمل
صالح ليوم القيامة، واتقوا الله، إن الله خبير
بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم
شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٩﴾ ولا تكونوا مثل الذين نسوا الله بترك
امثال أمره واجتناب نهيه، فأنساهم الله
أنفسهم، فلم يعملوا بما ينجيها من غضب الله
وعقابه، أولئك الذين نسوا الله، فلم يمثلوا
أمره، ولم يكفوا عن نهيه، هم الخارجون
عن طاعة الله.

﴿١٠﴾ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب
الجنة، بل هم مختلفون في جزائهم مثل
اختلاف أعمالهم في الدنيا، أصحاب الجنة
هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، الناجون مما
يرهبونه.

﴿١١﴾ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
الرسول - ذلك الجبل مع صلابته

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خِشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

سُورَةُ الْمُنَبِّحَةِ
يَا أَيُّهَا

متشققًا من شدة خشية الله؛ لما فيه من المواعظ الزاجرة والوعيد الشديد، وهذه الأمثال نضربها للناس لعلهم
يتعظون بما تشتمل عليه من العظات والعبر.

﴿١٢﴾ هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن
الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المنزه والمقدس عن كل نقص، السالم من كل
عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي
قهر بجبروته كل شيء، المتكبر، تنزه الله وتقدس عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها.

﴿١٣﴾ هو الله الخالق الذي خلق كل شيء، الموجد للأشياء، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له سبحانه
الأسماء الحسنى المشتملة على صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن كل نقص، العزيز
الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿١٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - وجوب محاسبة النفس في الدنيا قبل حسابها يوم القيامة.
- ٢ - الجزاء يوم القيامة وفق العمل.
- ٣ - للقرآن تأثير عظيم على النفس.
- ٤ - وجوب استحضار عظمة صفات الله العلى وأسمائه الحسنى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على تخليص قلوب المؤمنين من الانتماء والولاء لغير دين الله تعالى.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء توالونهم وتوادونهم، وقد كفروا بما جاءكم على يد رسولكم من الدين، يخرجون الرسول من داره، ويخرجونكم أنتم كذلك من دياركم بمكة، لا يراعون فيكم قرابة ولا رحماً، لا لشيء إلا أنكم آمنتم بالله ربكم، لا تفعلوا ذلك إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي، ومن أجل طلب مرضاتي، تُسِرُّون إليهم بأخبار المسلمين مودة لهم، وأنا أعلم بما أخفيتم من ذلك وما أعلنتم، لا يخفى علي شيء من ذلك ولا من غيره، ومن يفعل تلك الموالاة والمودة للكفار فقد انحرف عن وسط الطريق، وضل عن الحق، وجانب الصواب.

﴿٢﴾ إن يلاقوكم يُظهِروا ما يضمرونه في قلوبهم من العداوة، ويمدوا أيديهم إليكم بالإيذاء والضرب، ويطلقوا ألسنتهم بالشتم والسب، وتمتوا لو تكفروا بالله وبرسوله لتكونوا مثلهم.

﴿٣﴾ لن تنفعكم قرابتكم، ولن تنفعكم أولادكم إذا واليتكم الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيدخل أهل الجنة منكم الجنة، وأهل النار النار، فلا ينفع بعضكم بعضاً، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٤﴾ لقد كان لكم - أيها المؤمنون - قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والمؤمنين الذين كانوا معه، حين قالوا لقومهم الكفار: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الأصنام، كفرنا بما أنتم عليه من الدين، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به أحداً، فكان عليكم أن تبرؤوا من قومكم الكفار مثلهم، إلا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: لأطلبن المغفرة لك من الله، فلا تتأسوا به فيه؛ لأن هذا كان قبل يأس إبراهيم من أبيه، فليس لمؤمن أن يطلب المغفرة لمشرك، ولست بدافع عنك من عذاب الله شيئاً، ربنا عليك اعتمادنا في أمورنا كلها، وإليك رجعنا تائبين، وإليك المرجع يوم القيامة.

﴿٥﴾ ربنا لا تُصَيِّرنا فتنه للذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيقولوا: لو كانوا على حق لما سُلِّطنا عليهم، واغفر لنا ربنا ذنوبنا، إنك أنت العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في خلقك وشرعك وقدرك.

﴿فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِي وَأَنْبِيََاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَقَفَّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَبْنَاؤُهُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمْ إِنَّا تَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

﴿١﴾ لقد كان لكم - أيها المؤمنون - قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والمؤمنين الذين كانوا معه، حين قالوا لقومهم الكفار: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الأصنام، كفرنا بما أنتم عليه من الدين، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به أحداً، فكان عليكم أن تبرؤوا من قومكم الكفار مثلهم، إلا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: لأطلبن المغفرة لك من الله، فلا تتأسوا به فيه؛ لأن هذا كان قبل يأس إبراهيم من أبيه، فليس لمؤمن أن يطلب المغفرة لمشرك، ولست بدافع عنك من عذاب الله شيئاً، ربنا عليك اعتمادنا في أمورنا كلها، وإليك رجعنا تائبين، وإليك المرجع يوم القيامة.

﴿٥﴾ ربنا لا تُصَيِّرنا فتنه للذين كفروا بأن تسلطهم علينا فيقولوا: لو كانوا على حق لما سُلِّطنا عليهم، واغفر لنا ربنا ذنوبنا، إنك أنت العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في خلقك وشرعك وقدرك.

٦ هذه القدوة الحسنة إنما يتأسى بها من كان يرجو من الله الخير في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عن هذه القدوة الحسنة فإن الله غني عن عباده، لا يحتاج إلى طاعتهم، وهو الم محمود على كل حال.

٧ عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بحيث يهديهم الله للإسلام، فيكونون إخوة لكم في الدين، والله قدير يقدر أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعذبوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، مثل ما فعلت أسماء بنت أبي بكر الصديق بأما لما قدمت إليها بعد أن استأذنت النبي ﷺ في ذلك، فأمرها بأن تصلها، إن الله يحب العادلين الذين يعدلون في أنفسهم وأهلبيهم وما ولوا.

٩ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب إيمانكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم، ينهاكم أن تولوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب مخالفة أمر الله.

١٠ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاخبروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه قلوبهن، فإن علمتموهن مؤمنات بعد الاختبار بما يظهر لكم من صدقهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل للمؤمنات أن يتزوجن بالكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا بالمؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهرهن، ولا إثم عليكم - أيها المؤمنون - أن تتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطيتوهن مهرهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسهما؛ لا تقطع نكاحهما بكفرها، واسألوا الكفار ما بذلتهم من مهر زوجاتهم المُرْتَدَّات، وليسألواهم ما بذلوا من مهر زوجاتهم اللاتي أسلمن، ذلك المذكور - من رد المهور من جهتك ومن جهتهم - هو حكم الله، يحكم بينكم سبحانه بما يشاء، والله عليم بأحوال عباده، وأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم فيما يشرعه لعباده.

١١ وإن فُرِضَ خروج بعض نسائكم إلى الكفار مُرْتَدَّات وطلبت مهرهن من الكفار ولم يعطوها، فغنمتم من الكفار فأعطوا الأزواج الذين خرجت زوجاتهم مُرْتَدَّات مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

فوائد من الآيات:

١ - يجب على المسلم سؤال الله الثبات؛ فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء، فيصرفها من الكفر إلى الإيمان، ومن العداوة إلى المودة. ٢ - التفريق في الحكم بين الكفار المحاربين والمسلمين. ٣ - حرمة الزواج بالكافرة غير الكتابية ابتداءً ودواماً، وحرمة زواج المسلمة من كافر ابتداءً ودواماً.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ - مثل ما حدث في فتح مكة - على أن لا يشركن بالله شيئاً، بل يعبدنه وحده، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن جرياً وراء عادة أهل الجاهلية، ولا يُلْحِقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ أولادهن من الزنا، ولا يعصينك في معروف من مثل نهيه عن النياحة والحلق وشق الجيب؛ فبايعهن، واطلب لهنَّ المغفرة من الله لذنوبهنَّ بعد مبايعتهنَّ لك، إن الله غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم. ولما بدأت السورة بالتحذير من موالاة أعداء الله اختتمت بالتحذير منه تأكيداً لما سبق، فقال تعالى:

﴿١٤﴾ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَا يَبْقُوا بِالْآخِرَةِ، بل هم يائسون منها مثل يأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.

سُورَةُ الصَّفَاتِ

— مَدَنِيَّةٌ —

● مقصد السورة :

تركز على تحفيز المؤمنين لنصرة دين الله، والجهاد في سبيله.

● التفسير :

﴿١﴾ تَرَى اللَّهَ ﷻ وَقَدَّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، لَمْ تَقُولُوا: فَعَلْنَا شَيْئاً، وَلَمْ تَفْعَلُوهُ فِي الْوَاقِعِ؟ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: قَاتَلْتُ بَسِيفِي وَضَرَبْتُ، وَهُوَ لَمْ يَقَاتِلْ بِسِيفِهِ وَلَمْ يَضْرِبْ.

﴿٣﴾ عَظُمَ مَقْتًا وَسَخَطًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَهُ، فلا يليق بالمؤمن إلا أن يكون صادقاً مع الله، يُصَدِّقَ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

﴿٤﴾ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ صَفًّا بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مِثْلُ النَّخْلِ.

ولما ذكر الله القتال وامتدح المؤمنين المُتَرَاصِّينَ في القتال في سبيله، ذكر ما كان عليه أصحاب موسى وعيسى من مخالفة رسوليهما، تحذيراً للمؤمنين من مخالفة نبيهم فقال:

﴿٥﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، لَمْ تُوَدُّونِي بِمُخَالَفَةِ أَمْرِي وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا مَالُوا وَانْحَرَفُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ آمَلِ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ.

● فَوَازِلُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - مشروعية مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة والتقوى.

٢ - طاعة ولي الأمر إنما تكون بالمعروف.

٣ - سوء عاقبة من خالف فعله قَوْلَهُ.

سُورَةُ الصَّفَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ إِنْ

اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْعَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ

بُنْيَانٌ مَرْمُوسٌ ﴿٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُوْا لَمْ

تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا

زَاعُوا أَرَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤﴾

وَأَذْكُر - أيها الرسول - حين قال عيسى ابن مريم **﴿ع﴾**: يا بني إسرائيل، إني رسول الله بعثني إليكم مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، فلست ببدع من الرسل، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الدالة على صدقه قالوا: هذا سحر واضح، فلن نتبعه. **﴿ف﴾** ولا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب حيث جعل له أنداداً يعبدون من دونه وهو يدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم. **﴿أ﴾** يريد هؤلاء المكذبون أن يطفثوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته. **﴿ب﴾** الله هو الذي بعث رسوله محمداً **﴿ب﴾** بدين الإسلام، دين الهداية والإرشاد للخير، ودين العلم النافع والعمل الصالح؛ ليُعَلِّمَ على جميع الأديان على رغم أنوف المشركين الذين يكرهون أن يُمَكَّنَ له في الأرض. **﴿ج﴾** يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما

وَأَذْكُرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ **﴿٦﴾** وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ **﴿٧﴾** يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ **﴿٨﴾** هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ **﴿٩﴾** يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَ أَذْكَرَ عَلَى عَجْرَةٍ نَجِيحِكُمْ مِنَ عَذَابِ آلِيمٍ **﴿١٠﴾** تَوَمَّنْ يَا اللَّهُ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ **﴿١١﴾** يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ **﴿١٢﴾** وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا أَنْصَرُ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ **﴿١٣﴾** يَتَّبِعُهُ الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَمَنَّتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ **﴿١٤﴾**

شرعه لهم، هل أرشدكم وأهديكم إلى تجارة رابحة، تنقذكم من عذاب مؤلم؟ **﴿١١﴾** هذه التجارة الرابعة هي أن تؤمنوا بالله، وتجاهدوا في سبيله سبحانه بإتفاق أموالكم وبذل أنفسكم ابتغاء مرضاته، ذلك العمل المذكور خير لكم إن كنتم تعلمون، فسارعوا إليه. **﴿١٢﴾** وربح هذه التجارة هو أن يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة لا انتقال عنها، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه أي فوز. **﴿١٣﴾** ومن ربح هذه التجارة خصلة أخرى تحبونها وهي عاجلة في الدنيا، أن ينصركم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم وهو فتح مكة وغيرها، وأخبر - أيها الرسول - المؤمنين بما يسرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة. **﴿١٤﴾** يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، كونوا أنصار الله بنصركم لدينه الذي جاء به رسولكم مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى **﴿ع﴾**: من أنصاري إلى الله؟ فأجابوه بمادرين: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى **﴿ع﴾**، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على الذين كفروا به، فأصبحوا غالبين عليهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - تبشير الرسالات السابقة بنبينا **﴿ع﴾**.
- ٢ - التمكين للدين سنَّة إلهية.
- ٣ - الإيمان والجهاد في سبيل الله من أسباب دخول الجنة.
- ٤ - جزاء المؤمن من الله تعالى؛ منه ما هو عاجل، ومنه ما هو آجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِنْ أَلْمُوتُ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ تَعْرُدُونَ إِلَىٰ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

● مقصد السورة :

تركز على بيان منة الله على هذه الأمة في تفضيلها وهدايتها بالرسول بعد ضلالها، إلزاماً بطاعته، وتحذيراً من مشابهة اليهود.

● التفسير :

يُنَزِّهُ الله عن كل ما لا يليق به من صفات النقص، ويُقَدِّسه جميعاً ما في السماوات، وجميع ما في الأرض من الخلاق، هو الملك المنفرد وحده بالملك، المُنَزَّه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون رسولا من جنسهم، يتلو عليهم آياته التي أنزلها عليه، ويظهرهم من الكفر ومساوئ الأخلاق، ويعلمهم القرآن، ويعلمهم السنَّة، وإنهم كانوا من قبل إرساله إليهم في ضلال عن الحق واضح، حيث كانوا يعبدون الأصنام، ويسفكون الدماء، ويقطعون الرحم.

وبعث هذا الرسول إلى قوم آخرين من العرب وغيرهم لم يأتوا بعد، وسيأتون، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

① ذلك المذكور - من بعث الرسول إلى العرب وغيرهم - فضل الله يعطيه من يشاء، والله ذو الإحسان العظيم، ومن إحسانه العظيم إرساله رسول هذه الأمة إلى الناس كافة.

ولما ذكر الله ما امتن به من بعثة الرسول، ومن إنزال القرآن، ذكر ما كان عليه بعض أتباع موسى عليه السلام من الإعراض عن العمل بما في التوراة؛ تحذيراً لهذه الأمة من اتباعهم، فقال:

② مثل اليهود الذين كُلِّفُوا القيام بما في التوراة فتركوا ما كُلِّفُوا به، كمثل الحمار يحمل الكتب الكبيرة، لا يدري ما حُبل عليه: أهو كتب أم غيرها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق.

③ قل - أيها الرسول -: يا أيها الذين بقوا على اليهودية بعد تحريفها، إن زعمت أنكم أولياء الله اختصكم بالولاية دون الناس فتمنوا الموت؛ ليعجل لكم ما اختصكم به - حسب زعمكم - من الكرامة إن كنتم صادقين في دعوكم أنكم أولياء الله من دون الناس.

④ ولا يتمنوا الموت أبداً، بل يتمنون الخلود في الدنيا بسبب ما عملوه من الكفر والمعاصي والظلم، وتحريف التوراة وتبديلها، والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

⑤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي تهربون منه ملائكم لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً، ثم ترجعون يوم القيامة إلى الله عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء منهما، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، ويجازيكم عليه.

● فوائد من الآيات:

١ - حالة العرب قبل الإسلام كانت في جاهلية وضياع. ٢ - عموم رسالة نبينا ﷺ للإنس والجن. ٣ - تكذيب دعوى اليهود أنهم أولياء الله؛ بتحذيرهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعوهم.

⑤ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله معتردين عما بدر منكم، يطلب لكم من الله المغفرة لذنوبكم، عطفوا رؤوسهم استهزاء وسخرية، ورأيتهم يُغرضون عما أمروا به، وهم مستكبرون عن قبول الحق والإذعان له.

⑥ يستوي طلبك - أيها الرسول - المغفرة لذنوبهم وعدم طلبك المغفرة لهم، لن يغفر الله لهم ذنوبهم، إن الله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، المصيرين على معصيته.

⑦ هم الذين يقولون: لا تنفقوا أموالكم على من عند رسول الله من الفقراء والأعراب حول المدينة حتى يتفرقوا عنه، والله وحده خزائن السماوات، وخزائن الأرض، يرزقها من يشاء من عباده، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الرزق بيده سبحانه.

⑧ يقول رأسهم عبد الله بن أبي: لئن عدنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز وهم أنا وقومي منها الأذل وهم محمد وأصحابه، والله وحده العزة ولرسوله وللمؤمنين، وليست لعبد الله بن أبي وأصحابه، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولما بين الله حرص المنافقين على البخل بالإنفاق للصد عن سبيل الله حذر المؤمنين من ذلك، وأمرهم بالإنفاق في سبيله، فقال:

⑨ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلاة أو غيرها من فرائض الإسلام، ومن شغلته أمواله وأولاده عما أوجبه الله عليه من الصلاة وغيرها فأولئك هم الخاسرون حقاً الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

⑩ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلا أخرجتني إلى مدة يسيرة، فأتصدق من مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

⑪ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها، وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

⑫ غَايَةُ الْآيَاتِ:

١ - الإعراض عن النصيح والتكبر من صفات المنافقين.

٢ - العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة لأعدائهم.

٣ - خطر الأموال والأولاد إذا شغلت عن ذكر الله.

٤ - وجوب المسارعة إلى الطاعات قبل الموت.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُؤُسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ⑤ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑥ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ⑦ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ⑧ يَقُولُونَ لِنَنْزِعَنَّا إِلَى الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ⑩ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ⑪ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑫

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

آيَاتُهَا ١٨

مُتَشَبِّهَةٌ ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمُ بَذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُنَّ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَلَّوْا أَسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُنَّ اللَّهُ وَرَبُّ
النَّبِيِّينَ ثُمَّ لَنْ يَنْتَوْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَنَامُوا بِآلِهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ
يَجْمَعُهُمْ لِيَوْمٍ جَمْعٍ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

﴿١﴾ مقصد السورة :
تركز على قضية التغابن والمغبونين من
الكافرين، تحذيرًا من الكفر وأهله.

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ يُنَزِّهُ اللَّهُ وَيُقَدِّسُهُ عما لا يليق به من صفات
النقص، كل ما في السماوات وما في الأرض
من الخلاق، له وحده الملك، فلا مِلكَ غيره،
وله الثناء الحسن، وهو على كل شيء قدير، لا
يعجزه شيء.

﴿٢﴾ هو الذي خلقكم - أيها الناس - فمنكم
كافر به ومصيره النار، ومنكم مؤمن به ومصيره
الجنة، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه
من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٣﴾ خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم
يخلقهما عبثًا، وصوَّركم - أيها الناس - فأحسن
صورتكم منه وتفضلاً، ولو شاء لجعلها قبيحة،
وإليه وحده الرجوع يوم القيامة، فيجازيكم على
أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٤﴾ يعلم ما في السماوات ويعلم ما في
الأرض، ويعلم ما تخفون من الأعمال ويعلم
ما تعلنونه، والله عليم بما في الصدور من خير
أو شر، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

﴿٥﴾ ألم يأتكم - أيها المشركون - خير الأمم المكذبة من قبلكم مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، فذاقوا عقاب
ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موجه، بلى، قد أتاكم ذلك، فاعتبروا بما آل إليه أمرهم
فتوبوا إلى الله قبل أن يحل بكم ما حل بهم.

﴿٦﴾ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم بسبب أنه كانت تأتيتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة
والبراهين الجلية والمعجزات الباهرة، فقالوا مستنكرين أن تكون الرسل من جنس البشر: أبشر يرشدوننا إلى
الحق؟ وأعرضوا عن الإيمان بهم، فلم يضرُوا الله شيئاً، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم؛ لأن طاعتهم لا تزيده
شيئاً، والله غني لا يفتقر إلى عباد، محمود في أقواله وأفعاله.

﴿٧﴾ زعم الذين كفروا بالله أن لن يعثبهم الله أحياء بعد موتهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المتكرين للبعث: بلى
وربي لئُبْعَثَنَّ يوم القيامة، ثم لثُخْبِرَنَّ بما عملتم في الدنيا، وذلك البعث على الله سهل؛ فقد خلقكم أول مرة، فهو
قادر على بعثكم بعد موتكم أحياء للحساب والجزاء.

﴿٨﴾ فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا برسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا، والله بما تعملون خبير،
لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٩﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يجمعكم الله ليوم القيامة ليجازيكم على أعمالكم، ذلك اليوم يوم التغابن حقاً،
حيث يرث المؤمنون منازل أهل النار في الجنة، ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، ومن يؤمن بالله،
ويعمل عملاً صالحاً يكفر الله عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها
أبداً، لا يخرجون منها، ولا ينقطع عنهم نعيمها، ذلك الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿١٠﴾ فَوَازِل مِنَ الْآيَاتِ: ١ - انقسام الناس إلى أشقياء وسعداء. ٢ - الإيمان والعمل الصالح سبب للفوز في الدنيا والآخرة.

﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رَسُولِنَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا، وَقَعِ الْمَصِيرُ مَصِيرَهُمْ.

﴿١٦﴾ مَا أَصَابَتْ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ إِلَّا بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ يَهْدِ قَلْبُهُ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿١٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ عَلَى رَسُولِنَا إِلَّا تَبْلِيغُ مَا أَمَرْنَاهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَقَدْ بَلَّغْنَاكُمْ مَا أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ.

﴿١٨﴾ اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَكُمْ، إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ لَكُونْهُمْ يَشْغَلُونَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَيُثَبِّطُونَكُمْ، فَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يُوَثِّرُوا فِيكُمْ، وَإِنْ تَعَفَّوْا عَنْ زَلَاتِهِمْ وَعَنْ تَثْبِيطِهِمْ لَكُمْ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَرْحَمَكُمْ، وَالْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿٢٠﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ ابْتِلَاءٌ وَاختِبَارٌ لَكُمْ، يَحْمِلُونَكُمْ عَلَى كَسْبِ الْحَرَامِ، وَتَرَكْ طَاعَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ أَثَرِ طَاعَتِهِ عَلَى طَاعَةِ الْأَوْلَادِ، وَعَلَى الْإِنْشَاغَالِ بِالْمَالِ، وَهَذَا الْجِزَاءُ الْعَظِيمُ هُوَ الْجَنَّةُ.

﴿٢١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِلَى طَاعَتِهِ سَبِيلًا، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَابْذُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي رَزَقَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، وَمَنْ يَقِفِ اللَّهُ حَرَصَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِمَا يَطْلُبُونَهُ، وَالنَّاجُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ.

﴿٢٢﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا؛ أَنْ تَبْذُلُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِهِ، يُضَاعَفْ لَكُمْ الْأَجْرُ بِجَعْلِ الْحَسَنَةِ بَعْشَرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَيتَجَاوَزُ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَاللَّهُ شَكُورٌ يُعْطِي عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ الْأَجْرَ الْكَثِيرَ، حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٢٣﴾ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَالِمٌ مَا غَابَ، وَعَالِمٌ مَا حَضَرَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

﴿فَوَافِرٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الإيمان بالقدر من أركان الإيمان. ٢ - مهمة الرسل التبليغ عن الله، وأما الهداية فهي بيد الله.
- ٣ - ضرورة الحذر من فتنة المال والأهل. ٤ - التكليف في حدود المقدور للمكلف.
- ٥ - خطر الشح. ٦ - مضاعفة الثواب للمنفق في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝ (١) فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ قَامِسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ (٣) وَالَّتِي يُبْسِنُ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَا يَحِضُّنَّ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝ (٥)

سُورَةُ الطَّلَاقِ — مَدَنِيَّةٌ —

● مقصد السورة:

تركز على تعظيم أمر الطلاق وحدوده، وبيان عاقبة التقوى والتعدي على حدود الله.

● التفسير:

١ يا أيها النبي، إذا أردت أنت أو أراد أحد من أمتك طلاق زوجته فليطلقها لأول عدتها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم يمسه فيها، واحفظوا العدة، لتتمكنوا من مراجعة زوجاتكم فيها إن أردتم مراجعتهم، واتقوا الله ربكم بامثال أوامره، واجتنب نواهيها، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن حتى تنقضي عدتهن إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة مثل الزنا، وتلك الأحكام هي حدود الله التي حد لعباده، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه حيث أوردتها موارد الهلاك بسبب عصيانه لربه، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الرغبة في قلب الزوج فيراجع زوجته.

٢ فإذا قارب انقضاء عدتهن فراجعوهن عن رغبة وحسن معاشرة أو اتركوا مراجعتهم حتى تنقضي عدتهن، فيملك أمر أنفسهن مع إعطائهن ما لهن من حقوق، وإذا أردتم مراجعتهم أو مفارقتهم فأشهدوا عدلين منكم حسماً للنزاع، واتوا - أيها الشهود - بالشهادة مبتغين وجه الله، ذلك المذكور من الأحكام يُذكر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتذكير والموعظة، ومن يتق الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيها، يجعل الله له مخرجاً من كل ما يقع فيه من الضيق والحرَج.

٣ ويرزقه من حيث لا يخطر له على بال، ولا يكون في حسابه، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافيه، إن الله بالغ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدراً ينتهي إليه، فللشدة قدر، وللرخاء قدر، فلا يدوم أحدهما على الإنسان.

٤ والمطلقات اللاتي يئسن من أن يحضن لكبر سنهن، إن شككنكم في كيفية عدتهن فعدهن ثلاثة أشهر، واللاتي لم يبلغن سن الحيض لصغرهن فعدهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء نهاية عدتهن من طلاق أو وفاة إذا وضعن حملهن، ومن يتق الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيها يُيسر الله له أموره، ويسهل له كل عسير.

٥ ذلك المذكور من أحكام الطلاق والرجعة والعدة حكم الله أنزله إليكم - أيها المؤمنون - لتعملوا به، ومن يتق الله بامثال أوامره واجتنب نواهيها يمع عنه سيئاته التي ارتكبها، ويعطيه أجراً عظيماً في الآخرة، وهو دخول الجنة، والحصول على النعيم الذي لا ينفد.

● فوائد من الآيات:

- ١ - خطاب النبي ﷺ خطاب لأُمَّته ما لم تثبت له الخصوصية. ٢ - وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية.
- ٣ - مشروعية رجعة المطلقة قبل انقضاء عدتها. ٤ - التَّذَبُّبُ إلى الإشهاد حسماً لمادة الخلاف. ٥ - عدة المطلقة بعد الدخول ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض لكبر أو صغر. ٦ - عدة الحامل مطلقة أو متوفى عنها زوجها وضع حملها. ٧ - كثرة فوائد التقوى وعظمتها.

ولما بين الله حكم الطلاق والرجعة بين حكم النفقة والسكنى فقال:

﴿١﴾ أسكنوهن - أيها الأزواج - من حيث سكنتم من وسعكم، فلا يكلفكم الله غيره، ولا تدخلوا عليهن الضرر في النفقة والسكنى ولا في غيرهما رجاء التصديق عليهن، وإن كانت المطلقات حوامل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادكم فأعطوهن أجر إرضاعهن، وتراجعوا في شأن الأجرة بالمعروف، فإن بخل الزوج بما تريده الزوجة من أجرة، وشحت هي فلم ترض إلا بما تريده؛ فليست أجر الأب مرضعة أخرى تُرضع له ولده.

﴿٢﴾ لينفق من كان له سعة في المال على مطلقة وعلى ولده من سعة، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاه، فلا يكلفها فوقه، ولا فوق ما طبقه، سيجعل الله بعد ضيق حاله وشدتها سعة وغنى.

ولما ذكر الله جملة من الأوامر حذر من الإعراض عن تلك الأوامر، وبين أن عاقبته سيئة فقال:

﴿٣﴾ وما أكثر القرى التي لمّا عصت أمر ربها سبحانه وأمر رسله ﷺ، حاسبناها حساباً عسيراً على أعمالها السيئة، وعدّناها عذاباً فظيماً في الدنيا بالجوع والعري وغيرهما، وفي الآخرة بعذاب النار.

﴿٤﴾ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خساراً في الدنيا، وخساراً في الآخرة.

﴿٥﴾ هياً الله لهم عذاباً قوياً، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بامثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى لا يحلّ بكم ما حلّ بهم، الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله قد أنزل الله إليكم ذكراً يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

﴿٦﴾ هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبینات لا لبس فيها؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

﴿٧﴾ الله هو الذي خلق سبع سماوات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سماوات، ينتزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

﴿٨﴾ فإياكم من الآيات:

أَسْكَنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا نَضَازُوهنَّ لِنُضْفِقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتِمُّوا إِلَيْنَّكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ أُخْرَى ۖ لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَلَمَّا أَنَّهُآ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِهَا عَذَابًا ثَكْرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَسُولًا بَيَّنَّا لَكُمُ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۖ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ

عسيراً على أعمالها السيئة، وعدّناها عذاباً فظيماً في الدنيا بالجوع والعري وغيرهما، وفي الآخرة بعذاب النار.

﴿٩﴾ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خساراً في الدنيا، وخساراً في الآخرة.

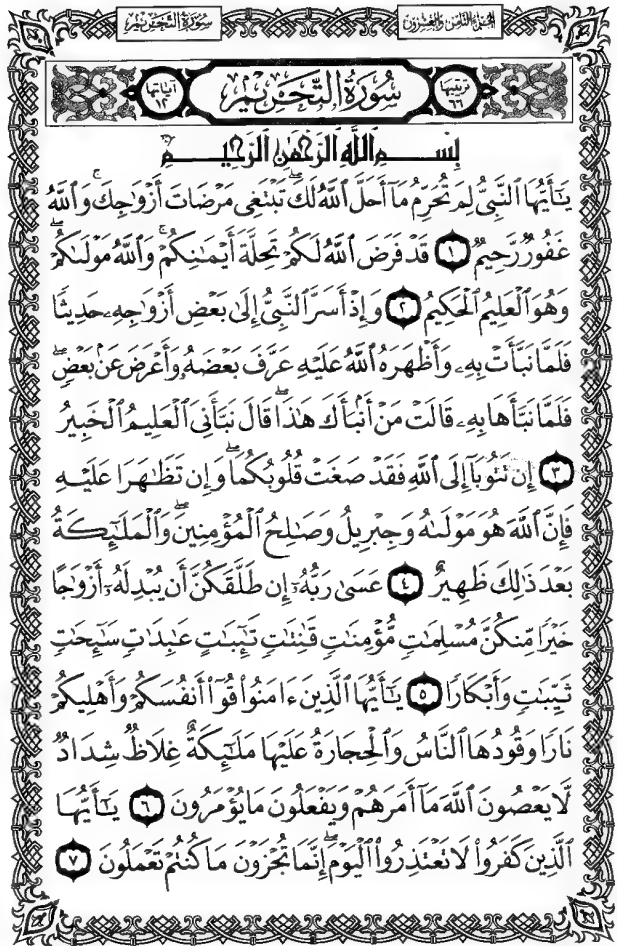
﴿١٠﴾ هياً الله لهم عذاباً قوياً، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بامثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى لا يحلّ بكم ما حلّ بهم، الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله قد أنزل الله إليكم ذكراً يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

﴿١١﴾ هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبینات لا لبس فيها؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

﴿١٢﴾ الله هو الذي خلق سبع سماوات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سماوات، ينتزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

﴿١٣﴾ فإياكم من الآيات:

١ - وجوب السكنى والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعيّاً ما دامت في عدّتها ووجوبها للحامل. ٢ - عدم وجوب الإرضاع على الحامل إذا طلقت. ٣ - التكليف لا يكون إلا بالمستطاع. ٤ - ثبوت وجود سبع أرضين.



● مقصد السورة :
تركز على تربية البيت النبوي ؛ ليكون أسوة للأسرة والمجتمع .

● التفسير :
١ يا أيها الرسول، لم تُحَرِّم ما أباح الله لك ؛ من شرب العسل ، ومن الاستمتاع بجاريتك مارية ، تبتغي بذلك إرضاء زوجاتك لما غرن منها ، والله غفور لك ، رحيم بك ؟

٢ قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم إذا حنثتم أن تكفروا عنها ، والله ناصركم ، وهو العليم بأحوالكم وما يصلح لكم ، الحكيم في شرعه وقدره .

٣ لقد أخبر النبي ﷺ إحدى زوجاته أنه لن يقترب من جاريته مارية ، ففرحت هذه الزوجة وأخبرت بهذا الخبر نسياناً منها وعجلة ، فعاتبها النبي ﷺ بعد أن أخبره الله تعالى وسألته من أخبرك ؟ فقال لها : الله تعالى العلي الخبير بكل خفي .

٤ يوجه الله زوجات النبي ﷺ إلى أهمية استحضار أنه رسول الله تعالى فوق أنه زوج ،

فحقهن الغيرة عليه والرغبة في دوام الاقتراب منه ، لكن هذا الشيء المشروع لا يأذن بأي تجاوز في حق النبي ﷺ ، فتجب التوبة من مثل هذا التصرف ، والله تعالى إلى جانب رسوله ، وكذلك الملائكة والمؤمنون .

٥ عسى ربه سبحانه إن طلقكن نبيّه أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، منقادات لأمره ، مؤمنات به وبرسوله ، مطيعات لله ، ثابتات من ذنوبهن ، عابدات لربهن ، صائمات ، ثيبات ، وأبكاراً لم يدخل بهن غيره ، لكنه لم يطلقهن .

٦ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم ، اجعلوا لأنفسكم وقاية ، واجعلوا لأهلكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس وبالحجارة ، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها شِدَاد ، لا يعصون أمر الله وما يأمرهم به دون تراخ ولا توان .

٧ ويقال للكافرين يوم القيامة : يا أيها الذين كفروا بالله ، لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر والمعاصي ، فلن تُقبل أعذاركم ، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر بالله وتكذيب رسله .

● فوائده من الآيات :

١ - مشروعية الكفارة عن اليمين .

٢ - بيان منزلة النبي ﷺ عند ربه ودفاعه عنه .

٣ - مسؤولية المؤمن عن نفسه وعن أهله .

﴿٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة صادقة، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئاتكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم القيامة، يوم لا يُدُلُّ الله النبي ولا يُدِلُّ الذين آمنوا معه بإدخالهم النار، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم على الصراط، يقولون: يا ربنا أكمل لنا نورنا، حتى ندخل الجنة، فلا نكون مثل المنافقين الذين ينطفئ نورهم على الصراط، واغفر لنا ذنوبنا، إنك على كل شيء قدير، فلا تعجز عن إكمال نورنا والتجاوز عن ذنوبنا.

﴿٩﴾ يا أيها الرسول، جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان وإقامة الحدود، واشتد عليهم حتى يهابوك، ومأواهم الذي يأوون إليه يوم القيامة هو جهنم، وساء المصير مصيرهم الذي يرجعون إليه.

﴿١٠﴾ ضرب الله مثلاً للذين كفروا بالله وبرسله أن علاقتهم بالمؤمنين لا تنفع بحال امرأتي نبيين من أنبياء الله نوح ولوط عليهما، فقد كانتا زوجتين لعبدین صالحين، فخانتهما زوجيهما؛ بما كانتا عليه من الصد عن سبيل الله، ومناصرة أهل الكفر من قومهما، فلم ينفعهما كونهما زوجتين لهذين العبدین

الصالحين، وقيل لهما: ادخلا النار من جملة الداخلين فيها من الكفار والفساق.

﴿١١﴾ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله أن صلتهم بالكافرين لا تضرهم، ولا تؤثر فيهم ما داموا مستقيمين على الحق بحال امرأة فرعون حين قالت: يا رب، ابن لي بيتاً عندك في الجنة، وسلمني من جبروت فرعون وسلطانه، ومن أعماله السيئة، وسلمني من القوم الظالمين لأنفسهم بمتابعتهم له في طغيانه وظلمه.

﴿١٢﴾ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بالله وبرسله بحال مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها من الزنا، فأمر الله جبريل أن ينفخ فيه، فحملت بقدرة الله بعبسى ابن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وبكتبته المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين لله بامتثال أوامره، والكف عن نواهيه.

﴿١٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ:

- ١ - التوبة النصوح سبب لكل خير.
- ٢ - القرابة بسبب أو نسب لا تنفع صاحبها يوم القيامة إذا فرق بينهما الدين.
- ٣ - العفاف والبعد عن الريبة من صفات المؤمنات الصالحات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^١ الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝^٢
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝^٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
 السَّعِيرِ ۝^٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُومُونَ الْمَصِيرَ ۝^٦
 إِذَا الْقُفُوفُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُمُ نَذِيرٌ ۝^٨
 قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ۝^{١٠} فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ فَنَسُحَقَ أَصْحَابَ السَّعِيرِ ۝^{١١}
 إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^{١٢}

﴿١﴾ مقصد السورة :
 تركز على إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثاً على خشيته، وتحذيراً من عقابه.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ تعظم وكثر خير الله الذي بيده وحده الملك، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٢﴾ الذي خلق الموت وخلق الحياة ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً، فأحياكم للاختبار، ثم أماتكم، ثم أحياكم؛ ليجزيكم، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الغفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿٣﴾ الذي خلق سبع سماوات، كل سماء طبقة فوق ما قبلها دون تماس بين سماء وسماء، ما ترى - أيها الرائي - فيما خلق الله أي تفاوت أو عدم تناسب، فارجع البصر هل ترى من تشق أو تصدع، لن ترى ذلك، وإنما ترى خلقاً محكماً متقناً.

﴿٤﴾ ثم ارجع البصر مرة بعد مرة يرجع إليك بصرك ذليلاً دون أن يرى عيباً أو خللاً في خلق السماء، وهو كليل منقطع عن النظر.

﴿٥﴾ ولقد زيننا أقرب سماء إلى الأرض بنجوم مضيئة، وجعلنا تلك النجوم شهباً

تُرجم بها الشياطين التي تسترق السمع فحرقهم، وهيئنا لهم في الآخرة عذاب النار المُستعرة.

﴿٦﴾ وللذين كفروا بربههم يوم القيامة عذاب جهنم، وساء المصير مصيرهم الذي يرجعون إليه.

﴿٧﴾ إذا طرخوا في النار سمعوا صوتاً قبيحاً شديداً، وهي تغلي مثل غليان المِرْجَل.

﴿٨﴾ يكاد ينفصل بعضها عن بعض، ويتميز من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما رُميت فيها دفعة من أصحابها سألتهم الملائكة الموكلون بها سؤال توبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوفكم من عذاب الله؟

﴿٩﴾ قالوا: بلى، قد جاءنا رسول يخوفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له: ما نزل الله من شيء، لستم - أيها الرسل - إلا في ضلال عظيم عن الحق.

﴿١٠﴾ وقالوا: لو كنا نسمع سماعاً يُنتفع به، أو نعقل عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة أصحاب النار، بل كنا نؤمن بالرسول، ونصدق بما جاؤا به، ونكون من أصحاب الجنة.

﴿١١﴾ فأعرضوا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فبعداً لأصحاب النار.

ولما ذكر الله صفات أهل الكفر وجزاءهم، عقبها بذكر صفات أهل الإيمان وجزائهم فقال:

﴿١٢﴾ إن الذين يخافون الله بالغيب، لهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنة.

﴿١٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - خلق الله الموت والحياة لاختبار أعمال العباد. ٢ - خلق الله خالٍ من العيوب مُتَقَن.

٣ - حَقُّ جهنم على الكفار وغيظها غيرة لله سبحانه. ٤ - الإقرار حجة قاطعة على صاحبه.

﴿١٣﴾ وأخفوا - أيها الناس - كلامكم أو أعلنوه، قاله يعلمه، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٤﴾ ألا يعلم الذي خلق الخلائق كلها السر وما هو أخفى من السر؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بأمورهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿١٥﴾ هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة للسكن عليها، فسيروا في جوانبها وأطرافها، واكلوا من رزقه الذي أعد لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء.

﴿١٦﴾ أمأنتم الله الذي في السماء أن يقلع الأرض من تحتكم كما اقتلعها من تحت قارون بعد أن كانت سهلة مذللة للسكن عليها، فإذا هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟

﴿١٧﴾ أمأنتم الله الذي في السماء أن يبعث عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثها على قوم لوط؟ فستعلمون حين تأتيون عقابي إنذاري لكم، لكنكم لن تنتفعوا به بعد معاناة العذاب.

﴿١٨﴾ ولقد كذبت الأمم التي سبقت هؤلاء المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصرّوا على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكاري عليهم؟ لقد كان إنكارًا شديدًا.

﴿١٩﴾ أولم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم مُصْطَفَا بعضها جنب بعض، ما يمسكهن أن يقعن على الأرض إلا الله، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَمْنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمْنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًّا وَيَقْفِضُنَّ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ نَظُنُّ أَن هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ نَظُنُّ أَن هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ نَظُنُّ أَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

﴿٢٠﴾ لا جند لكم - أيها الكفار - يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترّوا به.

﴿٢١﴾ ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تمادوا في العناد والاستكبار، والامتناع عن الحق.

﴿٢٢﴾ أفمن يمشي واقفاً على وجهه؛ مُكِبًّا عليه - وهو المشرك - أهدى أم المؤمن الذي يمشي مستقيماً على طريق مستقيم؟

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم، وجعل لكم أسماعاً تسمعون بها، وأبصاراً تبصرون بها، وقلوباً تعقلون بها، قليلاً ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم في الأرض، لا أصنامكم التي لا تخلق شيئاً، وإليه وحده يوم القيامة تُجْمَعُونَ للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه واعدوه وحده.

﴿٢٥﴾ ويقول المكذبون بالبعث استبعاداً للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنه آت؟

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول -: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر لكم مبين واضح في نذارتي.

﴿٢٧﴾ فَإِلَازِمٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - اطلاع الله على ما تخفيه صدور عباده. ٢ - الكفر والمعاصي من أسباب حصول عذاب الله في الدنيا والآخرة. ٣ - الكفر بالله ظلمة وحيرة، والإيمان به نور وهداية. ٤ - علم الساعة عند الله وحده.

﴿٧﴾ فلما عاينوا العذاب قريباً يوم القيامة تغيرت وجوه الذين كفروا بالله فاسودت، ويقال لهم: هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: أخبروني إن توقاني الله بموت أو قتل، وتوفى من معي من المؤمنين، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟ لن ينجيهم منه أحد.

﴿٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده، آمناً به، وعليه وحده اعتمادنا في أمورنا، فستعلمون - لا محالة - من هو في ضلال عن الحق واضح ممن هو على صراط مستقيم.

﴿١٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه غائراً في الأرض لا تستطيعون الوصول إليه، من يأتيكم بماء كثير جارٍ؟ لا أحد غير الله.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على إظهار علم النبي ﷺ وخلقه، تأييداً له بعد تطاول المشركين عليه.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿٣﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقلم، وأقسم بما يكتبه الناس بأقلامهم.

﴿٤﴾ ما أنت - أيها الرسول - بما أنعم الله عليك به من النبوة مجنوناً، بل أنت بريء من الجنون الذي رماك به المشركون. إن لك لشواً على ما تعانیه من حمل الرسالة إلى الناس غير مقطوع، ولا مئة به لأحد عليك.

﴿٥﴾ وإنك لعلى الخلق العظيم الذي جاء به القرآن، فأنت مَخْلَقٌ بما فيه على أكمل وجه.

﴿٦﴾ فستبصر أنت، وببصر هؤلاء المكذوبين.

﴿٧﴾ عندما ينكشف الحق، ويتضح أيكم المفتون بالجنون.

﴿٨﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم من انحرف عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين إليها، فيعلم أنهم من ضلوا عنها، وأنك من اهتديت إليها.

﴿٩﴾ فلا تطع - أيها الرسول - المكذبين بما جئت به. ﴿١٠﴾ تمنوا لو لايتهم ولاطفهم على حساب الدين، فيلينون لك ويلاطفونك.

﴿١١﴾ ولا تطع كل كثير الحلف بالباطل، حقير.

﴿١٢﴾ كثير الاغتياب للناس، كثير المشي بالنميمة بينهم؛ ليفرق بينهم.

﴿١٣﴾ كثير المنع للخير، معتد على الناس في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، كثير الآثام والمعاصي.

﴿١٤﴾ غليظ جاف، دعي في قومه لصيق.

﴿١٥﴾ لأجل أنه كان صاحب مال وأولاد تكبر عن الإيمان بالله ورسوله.

﴿١٦﴾ إذا تُقرأ عليه آياتنا قال: هذه ما يُسَطر من خرافات الأولين.

﴿١٧﴾ فإن من الآيات: ١ - اتصاف الرسول ﷺ بأخلاق القرآن. ٢ - صفات الكفار صفات ذميمة يجب على المؤمن الابتعاد عنها، وعن طاعة أهلها.

١٦) سنضع علامة على أنفه تُشِينه وتلازمه.
 ١٧) إنا اختبرنا هؤلاء المشركين بالقط والجوع كما اختبرنا أصحاب الحديقة حين حلفوا ليقطعن ثمارها وقت الصباح مسارعين حتى لا يطعم منها مسكين.
 ١٨) ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: (إن شاء الله).
 ١٩) فأرسل الله إليها نارا، فأكلتها وأصحابها نيام لا يستطيعون دفع النار عنها.
 ٢٠) فأصبحت سوداء كالليل المظلم.
 ٢١) فتأذى بعضهم بعضا وقت الصباح.
 ٢٢) قائلين: اخرجوا مبكرين على حرثكم قبل مجيء الفقراء إن كنتم قاطعين ثماره.
 ٢٣) فساروا إلى حرثهم. مسرعين يحدث بعضهم بعضا بصوت منخفض.
 ٢٤) يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن الحديقة عليكم اليوم مسكين.
 ٢٥) وغدوا على منع ثمارهم وإمساکها عازمين.
 ٢٦) فلما شاهدوها على ما صارت عليه قال بعضهم لبعض: لقد ضللنا طريقها.
 ٢٧) بل نحن ممنوعون من جني ثمارها بما حصل منا من عزم على منع المساكين منها.
 ٢٨) قال أفضلهم: ألم أقل لكم حين عزمتم على ما عزمتم عليه من حرمان الفقراء منها: هلا تسبحون الله، وتوبون إليه؟
 ٢٩) قالوا: سبحان ربنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا حين عزمنا على منع الفقراء من ثمار حديقتنا.
 ٣٠) فأقبل بعضهم على بعضهم يلومهم.
 ٣١) قالوا من الندم: يا خسارنا إنا كنا متجاوزين الحد بمنعنا الفقراء حقهم.
 ٣٢) عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من الحديقة، إنا إلى الله وحده راغبون، نرجو منه العفو، ونطلب منه الخير.
 ٣٣) مثل هذا العذاب بالحرمان من الرزق نعذب من عصانا، ولعذاب الآخرة أعظم لو كانوا يعلمون شدته ودوامه.
 ٣٤) إن للمنفقين الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، عند ربهم جنات النعيم يتنعمون فيها، لا ينقطع نعيمهم.
 ٣٥) أفنجعل المسلمين كالكفار في الجزاء كما يزعم المشركون من أهل مكة؟
 ٣٦) ما لكم - أيها المشركون - كيف تحكمون هذا الحكم الجائر الأعوج؟
 ٣٧) أم لكم كتاب فيه تقرؤون المساواة بين المطيع والعاصي؟
 ٣٨) إن لكم في ذلك الكتاب ما تخيرونه لكم في الآخرة.
 ٣٩) أم لكم علينا عهد مؤكدة بالإيمان مقتضاها أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم؟
 ٤٠) سل - أيها الرسول - القائلين هذا القول: أيهم كفيل به؟
 ٤١) أم لهم شركاء من دون الله يساوونهم في الجزاء مع المؤمنين؟ فليأتوا بشركائهم هؤلاء إن كانوا صادقين فيما يدعون من أنهم ساوونهم مع المؤمنين في الجزاء.
 ٤٢) يوم القيامة يبدو الهول، ويدعى الناس إلى السجود فيسجد المؤمنون، ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون أن يسجدوا.
 ﴿فَرَأَى مِنَ الْآيَاتِ: ١ - منع حق الفقير سبب في هلاك المال. ٢ - لا يستوي المؤمن والكافر في الجزاء، كما لا تستوي صفاتهما.﴾

سَيَسِمُهُ عَلَى الْخُرُوطِ ١٦) إِنْ أَبَوْا لَهُمْ كَمَا بَوَّأْنَا أَهْبَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا لِيَصْرِمُهَا مُصْبِحِينَ ١٧) وَلَا يَسْتَنُونَ ١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ٢١) أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ٢٢) فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ ٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّزُونَ ٣٠) قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٣١) عَسَى رَبِّنَا أَنْ بُدِّلَ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٣٧) إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَآخِزٌ ٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لِمَآخِزُكُمْ ٣٩) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ٤٠) يَذْكُرْكَ رَّعِيمٌ ٤١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤٢) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٣)

﴿٤٦﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة وندامة، وقد كانوا في الدنيا يُدْعَوْنَ إلى أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.

﴿٤٧﴾ فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم.

﴿٤٨﴾ وأمهلهم زمناً ليتدادوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتوني، ولا يسلمون من عقابي.

﴿٤٩﴾ هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحملون أمراً عظيماً، فهذا سبب إعراضهم عنك، والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجراً، فما المانع لهم من اتباعك؟

﴿٥٠﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يحاجونك بها؟

﴿٥١﴾ فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

﴿٥٢﴾ لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خلاء وهو مَلُوم، لكن رحمة الله أدركته فلم ينبذه الحوت مَلُوماً.

﴿٥٣﴾ فاختره ربه، وأكرمه بالنبوة، فجعله من عباده الصالحين.

﴿٥٤﴾ وإن يكاد الذين كفروا بالله، وكذبوا رسوله ليَصْرَعُونَكَ بأبصارهم من شدة إحداد النظر إليك، لما سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون اتباعاً لأهوائهم، وإعراضاً عن الحق: إن الرسول الذي جاء به لمجنون. وما القرآن المنزل عليك إلا موعظة وتذكير للإنس والجن.

سُورَةُ الْحَقِّ

— مكية —

﴿٥٥﴾ مقصد السورة: تركيز على حتمية وقوع القيامة تأكيداً لصدق القرآن، ووعداً للمؤمنين بالفرحة، ووعيداً للمكذابين بالحسرة.

التفسير:

﴿٥٦﴾ يذكر الله ساعة البعث التي تحقق على الجميع.

﴿٥٧﴾ ثم يعظم أمرها بهذا السؤال.

﴿٥٨﴾ ثم يسأل رسوله تعظيماً ل شأنها مرة أخرى قائلاً: ما تدري من أخبارها يوم تحاسب الأمم الكافرة؟

﴿٥٩﴾ كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود بالقيامة التي تفرع الناس من شدة أهوالها.

﴿٦٠﴾ فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول.

﴿٦١﴾ وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم.

﴿٦٢﴾ أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تفنيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكت مصروعين في الأرض،

كانهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية. ﴿٦٣﴾ فهل ترى لهم نفساً باقية بعدما أصابهم من العذاب؟

﴿٦٤﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم. ٢ - تنوع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من

عذاب.

﴿٩﴾ وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، وقرى قوم لوط بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

﴿١٠﴾ فعصى كل منهم رسوله الذي بعث إليهم وكذبه، فأخذهم الله أخذة زائدة على ما يتم به هلاكهم.

﴿١١﴾ إنا لما تجاوز الماء حده في الارتفاع حملنا من كنتم في أصلابهم في السفينة الحارية التي صنعها نوح عليه السلام بأمرنا، فكان حملاً لكم. ﴿١٢﴾ لنجعل السفينة وقصبتها موعظة يُستدل بها على إهلاك أهل الكفر، وإنجاء أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

﴿١٣﴾ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

﴿١٤﴾ ورُفعت الأرض، ورُفعت الجبال فدفنت دفة واحدة شديدة فرقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

﴿١٥﴾ فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.

﴿١٦﴾ وتشقق السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضعيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

﴿١٧﴾ والملائكة على أطرافها وحافاتهما، ويحمل عرش ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

﴿١٨﴾ في ذلك اليوم تُعرَضون - أيها الناس -

على الله، لا تخفى على الله منكم خافية أيًا كانت، بل الله عليم بها مطلع عليها.

﴿١٩﴾ فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خلوا أقرؤوا كتاب أعمالِي.

﴿٢٠﴾ إني علمت في الدنيا وأيقنت أنني مبعوث، وملاق جزائي.

﴿٢١﴾ فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

﴿٢٢﴾ في جنة رفيعة المكان والمكانة. ﴿٢٣﴾ ثمارها قريبة ممن يتناولها.

﴿٢٤﴾ يقال تكريماً لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا.

﴿٢٥﴾ وأما من أُعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالِي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي.

﴿٢٦﴾ ويا ليتني لم أعرف أي شيء حسابي. ﴿٢٧﴾ يا ليت الموتة التي متها كانت الموتة القاضية، فلا أُنتَح بعدها أبداً.

﴿٢٨﴾ لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً. ﴿٢٩﴾ غابت عني حجتي وما كنت أعتمد عليه من قوة وجه.

﴿٣٠﴾ ويقال: خذوه - أيها الملائكة -، واجمعوا يده إلى عنقه. ﴿٣١﴾ ثم أدخلوه النار ليعاني حرها.

﴿٣٢﴾ ثم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً أدخلوه.

﴿٣٣﴾ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.

﴿٣٤﴾ ولا يحث غيره على إطعام المسكين.

﴿٣٥﴾ **فوائد من الآيات: ١ -** أخذ الكتاب باليمين يوم القيامة علامة السعادة، وأخذه بالشمال علامة الشقاء.

٢ - أهمية إطعام الفقير، والحض عليه في الإسلام.

فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ يَدْفَعُ عَنْهُ الْعَذَابَ .
وَلَيْسَ لَهُ طَعَامٌ يَطْعَمُهُ إِلَّا مِنْ عَصَاةٍ أُبْدَانِ
أَهْلِ النَّارِ .

لَا يَأْكُلُ ذَلِكَ الطَّعَامُ إِلَّا أَصْحَابُ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي .

فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تَشَاهِدُونَ .

وَلَا أَقْسَمُ بِمَا لَا تَشَاهِدُونَ .

إِنَّ الْقُرْآنَ لَكَلَامُ اللَّهِ ، يَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ
رَسُولُهُ الْكَرِيمُ .

وَلَيْسَ يَقُولُ شَاعِرٌ ، قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ .

وَلَيْسَ يَقُولُ كَاهِنٌ ، فَالْكَهَانَةُ أَمْرٌ مُغَايِرٌ لِهَذَا

الْقُرْآنِ ، قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ، إِذْ لَوْ تَذَكَّرْتُمْ لَعَلَّمْتُمْ
أَنَّهُ لَيْسَ قَوْلُ كَاهِنٍ إِذْ لَا يَشْبَهُهُ .

وَلَكِنَّهُ مَنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي
لَمْ نَقْلُهَا .

لَا نَتَّقَمُنَا مِنْهُ وَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ .

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْعُرْقَ الْمَتَصِلَ بِالْقَلْبِ .

فَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ يَمْنَعُنَا مِنْهُ ، فَبَعِيدٌ أَنْ يَقُولَ
عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمْ بِامْتِثَالِ
أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْ بَيْنِكُمْ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْقُرْآنِ .

وَإِنَّ التَّكْذِيبَ بِالْقُرْآنِ لِنَدَامَةٍ عَظِيمَةٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ .

وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ الَّذِي لَا مِرْيَةَ
وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿ ٥٦ ﴾ فَتَنَّهُ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - رَبِّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ، وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

— مَكِّيَّة —

﴿ ٥٧ ﴾ مَقْصِدُ السُّورَةِ :

تَرْكُزٌ عَلَى تَأْكِيدِ وَقُوعِ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَالنَّعِيمِ لِلْمُصْذِقِينَ يَوْمَ الدِّينِ .

﴿ ٥٨ ﴾ النَّفْسِيَّاتُ :

﴿ ٥٩ ﴾ دَعَا دَاعٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ بِعَذَابٍ إِنْ كَانَ هَذَا الْعَذَابُ حَاصِلًا ، وَهُوَ سَخَرِيَّةٌ مِنْهُ ، وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

﴿ ٦٠ ﴾ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ ، لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ .

﴿ ٦١ ﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْعُلُوِّ وَالدرجاتِ وَالْفَوَاضِلِ وَالنَّعَمِ .

﴿ ٦٢ ﴾ تَصْعَدُ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَجَبْرِيْلُ فِي تِلْكَ الدَّرَجَاتِ ، فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ . هَذَا الْعَذَابُ وَاقِعٌ بِهِمْ فِي يَوْمٍ طَوِيلٍ هُوَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ ، وَمَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

﴿ ٦٣ ﴾ فَاصْبِرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - صَبْرًا لَا جَزَعَ فِيهِ وَلَا شَكْوَى . ﴿ ٦٤ ﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ هَذَا الْعَذَابَ بَعِيدًا مُسْتَحِيلَ الْوُقُوعِ .

﴿ ٦٥ ﴾ وَنَرَاهُمْ نَحْنُ قَرِيبًا وَاقِعًا لَا مُحَالَةً . ﴿ ٦٦ ﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مِثْلَ الذَّهَبِ .

﴿ ٦٧ ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ مِثْلَ الصُّوفِ فِي الْخُفَّةِ . ﴿ ٦٨ ﴾ وَلَا يَسْأَلُ قَرِيبٌ قَرِيبًا عَنْ حَالِهِ ؛ لِأَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ .

﴿ ٦٩ ﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ : ١ - تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ عَنِ الشَّعْرِ وَالْكَهَانَةِ . ٢ - خَطَرَ التَّقَوُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ .

١١ يشاهد كل إنسان قريبه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدا لهول الموقف، يود من استحق النار أن يقتدي من عذاب ذلك اليوم بأولاده.

١٢ ويفتدي بزوجته وأخيه.

١٣ ويفتدي بعشيرته الأقربين منه، الذين يقفون معه في الشدائد.

١٤ ويفتدي بمن في الأرض جميعاً من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلمه ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار.

١٥ ليس الأمر كما تمنى هذا المجرم، إنها نار الآخرة تلتهب وتشتعل.

١٦ نزاعة لجلدة الرأس من شدة حرها واشتعالها.

١٧ تنادي من أدبر عن الحق، وتولى عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

١٨ وجمع المال، وضمّ بالإنفاق منه في سبيل الله.

١٩ إن الإنسان خلق شديد الحرص.

٢٠ إذا أصابه ضر من مرض أو فقر كان كثير الجزع.

٢١ وإذا أصابه ما يسر به من خصب وغنى كان كثير المنع لبلذله في سبيل الله.

٢٢ إلا المصلين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

٢٣ الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها المحدد لها.

٢٤ والذين في أموالهم نصيب محدد مفروض.

٢٥ يدفعونه لمن يسألهم من الفقراء، ولمن لا يسألهم منهم.

٢٦ والذين يصدقون بيوم القيامة، يوم يجازي الله كل بما يستحقه.

٢٧ والذين هم من عذاب ربهم خائفون، لا ينظرون إلى أعمالهم الصالحة.

٢٨ إن عذاب ربهم لا يأمنه عاقل.

٢٩ والذين هم لفروجهم حافظون بإبعادها عن الفواحش.

٣٠ إلا من زوجاتهم أو ما ملكوا من الإماء السبايا في قتال في سبيل الله، فإنهم غير ملومين في التمتع بهن بالوطء فما دونه.

٣١ فمن طلب الاستمتاع بغير ما ذكر من الزوجات والإماء السبايا في قتال في سبيل الله، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله.

٣٢ والذين هم لما اتتموا عليه من الأموال والأسرار وغيرهما، ولعهودهم التي عاهدوا عليها الناس حافظون، لا يخونون أماناتهم، ولا ينقضون عهودهم.

٣٣ والذين هم قائمون بشهادتهم على الوجه المطلوب، لا تؤثر قرابة ولا عداوة فيها.

٣٤ والذين هم على صلاتهم يحافظون؛ بأدائها في وقتها، وبطهارة وطمأنينة، لا يشغلهم عنها شاغل.

٣٥ أولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مكرمون؛ بما يلقونه من النعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم.

٣٦ ما الذي جر هؤلاء المشركين من قومك - أيها الرسول - حوايك مسرعين إلى التكذيب بك؟

٣٧ محيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات.

٣٨ يأمل كل واحد منهم أن يدخله الله جنة النعيم، يتنعم بما فيها من النعيم المقيم، وهو باق على كفره؟

٣٩ ليس الأمر كما تصوّروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقيق، فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف يتكبرون؟

٤٠ فإن من الآيات: ١ - يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا، ولكن لا سبيل إلى هذا أبداً.

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزِمْ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَنِيهِ ١١

وَصَنْجَتِهِ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا ثُمَّ يَنْجِيهِ ١٤ كَلَّا إِنَّمَا لَطَفُ ١٥ نَزَاعَةٍ لِلشَّوْىِ ١٦ تَدْعُوا

مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٨ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا

الْمُصْلِينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣ وَالَّذِينَ فِي

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤ لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ

بِیَوْمِ الدِّینِ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ

ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لَا مُنْتَبِهَ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ

٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ فَأَيْمُونُ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْكُمُ هَاطِعِينَ

٣٦ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ٣٩

٤٠ فَإِنْ مِنْكُمْ آلَاءٌ يَسْتَفْتُونَ ٤١ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ رَبُّهُمْ يَوْمَئِذٍ بَازِينَ ٤٢

٤٣ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِتْنَةً ٤٤ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ مَوَازِينُ ٤٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤٦

٤٧ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٤٨ إِلَّا الصَّالِحِينَ ٤٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ ٥٠

٥١ إِذِ ابْتِغَىٰ خَلْقَهُمْ ٥٢ فَشَاءَ وَتَقَرَّبَ ٥٣ فَجَاءَهُمْ سَوَاقِلُ ٥٤

٥٥ فَارْتَدَّ عَن آلِهَتِهِمْ تَارِثِينَ ٥٦ فَذُكِّرُوا وَلَمْ يَهْتَدُوا ٥٧ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَ تُحْشَرُونَ ٥٨

٥٩ حُتُوفًا يُفْتَنُونَ ٦٠ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ٦١ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٢ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٣

٦٤ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٥ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٦ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٧

٦٨ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٦٩ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٠ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧١

٧٢ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٣ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٤ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٥

٧٦ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٧ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٨ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٧٩

٨٠ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨١ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٢ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٣

٨٤ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٥ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٦ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٧

٨٨ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٨٩ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٠ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩١

٩٢ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٣ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٤ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٥

٩٦ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٧ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٨ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ٩٩

١٠٠ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ١٠١ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ١٠٢ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا ١٠٣

﴿٤٠﴾ فلا أقسم برب مشارق الشمس والقمر،
وغيرهما من الكواكب، فإنا لقادرون.
﴿٤١﴾ على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله،
ونهلكهم هم، لا نعجز عن ذلك، ولسنا
بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.
﴿٤٢﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم
فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم
الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا
يوعدون به في القرآن.

﴿٤٣﴾ يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى
علم يتسابقون.
﴿٤٤﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم
الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

سورة النور

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على قضية صبر الدعاة وجهادهم في
الدعوة، من خلال قصة نوح، تشبيهاً للمؤمنين،
وتهديداً للمكذبين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ إنا بعثنا نوحاً إلى قومه يدعوهم ليخوف
قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجه بسبب ما
هم عليه من الشرك بالله.

﴿٢﴾ قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم منذر بين
الإنذار من عذاب موجه ينتظركم إن لم تتوبوا

فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقديرون ﴿٤٠﴾ على أن نبديل خيرايتهم
وما نحن بمسبوقين ﴿٤١﴾ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي
يوعدون ﴿٤٢﴾ يوم يخرجون من الأجدات سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون
خشيعة أبصرهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿٤٣﴾

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَعْرِفْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَافِرًا ﴿١٠﴾

إلى الله.

﴿١﴾ ومقتضى إنذاري لكم أن أقول لكم: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه بامثال أوامره، واجتنبوا
نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به.

﴿٢﴾ إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطْلَقُ أمد أمتكم في الحياة إلى وقت
محدد في علم الله، تعملون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم
إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿٣﴾ قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيديك ليلاً ونهاراً باستمرار.

﴿٤﴾ فلم تزدني دعوتي لهم إلا نفوراً وبعداً مما أدعوه إلى.

﴿٥﴾ وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم من عبادتك وحدك ومن طاعتك وطاعة رسولك سددوا آذانهم
بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروني، واستمروا على ما هم عليه من
الشرك، وتكبروا عن قبول ما أدعوه إلى، والإذعان له.

﴿٦﴾ ثم إني - يا رب - دعوتهم علانية.

﴿٧﴾ ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرت أسراراً خفياً، ودعوتهم بصوت منخفض، متوَعِّاً لهم أسلوب دعوتي.
﴿٨﴾ فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفاراً للذنوب من تاب إليه من عباده.

﴿٩﴾ فوائد من الآيات:

١ - خطر الغفلة عن الآخرة. ٢ - عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب. ٣ - الاستمرار في الدعوة، وتنويع
أساليبها حتى واجب على الدعوة.

﴿١﴾ فَإِنكُمْ إِن فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَطَرُ مُتَابِعًا كَلِمًا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ، فَلَا يَصِيْبُكُمْ قَطْرٌ.
 ﴿٢﴾ وَيُكَثِّرُ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَسَاتِينَ تَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا تَشْرَبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زُرُوعَكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ.
 ﴿٣﴾ مَا شَأْنُكُمْ - يَا قَوْمَ - لَا تَخَافُونَ عِظْمَةَ اللَّهِ حَيْثُ تَعْمَلُونَ دُونَ مِثَالِهِ؟
 ﴿٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَقَتْهُ فُقُصَّةً.
 ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سَمَاةً فَوْقَ سَمَاةٍ.
 ﴿٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْهُنَّ ضِيَاءً لَأَهْلِ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ مَضِيئَةً.
 ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِخَلْقٍ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَغْدُونَ بِمَا تُنْبِتُهُ لَكُمْ.
 ﴿٨﴾ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ لِلْبَيْتِ مِنْهَا إِخْرَاجًا.
 ﴿٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَبْسُوطَةً مَهِيئَةً لِلْمُسْكَنِ.
 ﴿١٠﴾ رَجَاءُ أَنْ تَسْلُكُوا مِنْهَا طَرِيقًا وَاسِعَةً سَعِيًا لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ.
 ﴿١١﴾ قَالَ نُوحٌ: يَا رَبِّ، إِنْ قَوْمِي عَصَوْني فِيمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ وَعِبَادَتِكَ وَحْدَكَ، وَاتَّبَعَ السَّفَلَةَ مِنْهُمْ رُؤَسَاءَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا خُسَارًا، حَيْثُ أَزْدَادُوا ضَلَالًا فِي الدُّنْيَا، وَأَزْدَادُوا عِقَابًا فِي الْآخِرَةِ.
 ﴿١٢﴾ وَمَكَرَ الْأَكَابِرُ مِنْهُمْ مَكْرًا عَظِيمًا بِتَحْرِيشِهِمْ سَفَلَتَهُمْ عَلَى نُوحٍ.
 ﴿١٣﴾ وَقَالُوا لِأَتْبَاعِهِمْ: لَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ، وَلَا تَتْرَكُوا عِبَادَةَ وَدٍّ وَلَا سُوعَ وَلَا يُعُوثَ وَلَا يُعُوقَ وَلَا نَسْرَ، وَهَذِهِ مِنْ أَصْنَامِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.
 ﴿١٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا بِأَصْنَامِهِمْ هَذِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَزِدُ - يَا رَبِّ - الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ.
 ﴿١٥﴾ بِسَبَبِ خَطِيئَتِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا أُغْرِقُوا بِالطُّوفَانِ فِي الدُّنْيَا، فَأَدْخَلُوا النَّارَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ مُبَاشَرَةً، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْقُذُونَهُمْ مِنَ الْغُرُقِ وَالنَّارِ.
 ﴿١٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ لَمَّا أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ: يَا رَبِّ، لَا تَتْرِكْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ أَحَدًا.
 ﴿١٧﴾ إِنَّكَ - رَبَّنَا - إِنْ تَتْرَكُهُمْ وَتَمَهَّلَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا صَاحِبَ فُجُورٍ لَا يَطِيعُكَ، وَشَدِيدَ كُفْرٍ لَا يَشْكُرُكَ عَلَى نِعْمِكَ.
 ﴿١٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَاغْفِرْ لَوَالِدَيَّ، وَاغْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا هَلَاكًا وَخُسْرَانًا.

﴿فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد.
- ٢ - دور الأكابر في إضلال الأصاغر ظاهر مشاهد.
- ٣ - الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، ولعذاب الآخرة.

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالًا وَوَلَدَةً إِلَّا خُسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزِلُنَا إِلَهًا تَهْتَكُنَا وَلَا تَنْزِلُنَا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يُعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٍ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۚ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۚ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۚ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۚ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۚ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ بَيِّنَةً يُّشَاهِدُهَا بِأَرْصَادٍ ۚ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۚ وَأَنَّا مَتَّعْنَا الصَّالِحِينَ وَمَنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدَا ۚ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نَّعْجِزَهُمْ هَرَبًا ۚ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۚ

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على تصديق نزول القرآن وأنه من عند الله، من خلال نموذج إيمان الجن، إبطالا لمزاعم المشركين فيهم.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ قل - أيها الرسول - لأمتك: أوحى الله إلي أنه استمع إلى قراءتي للقرآن جماعة من الجن يطن نخلة، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إنا سمعنا كلاماً مقروءاً مُعْجَباً في بيانه وفصاحته.

﴿٢﴾ هذا الكلام الذي سمعناه يدل على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فصدّقنا به، ولن نشرك بربنا الذي أنزله أحداً.

﴿٣﴾ وأما بأنه - تعالت عظمة ربنا وجلاله - ما اتخذ زوجة ولا ولداً كما يقول المشركون.

﴿٤﴾ وأنه كان يقول المشرك الجاهل منا على الله ما هو غلو من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

﴿٥﴾ وأنا حسبن أن المشركين من الإنس والجن لا يقولون الكذب حين كانوا يزعمون أن له صاحبة وولداً، فصدّقنا قولهم تقليداً لهم.

﴿٦﴾ وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستعينون برجال من الجن عندما ينزلون بمكان مخوف، فيقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فازداد رجال الإنس خوفاً ورعباً من رجال الجن.

﴿٧﴾ وأن الإنس ظنوا كما ظننتم - أيها الجن - أن لن يبعث الله أحداً بعد موته للحساب والجزاء.

﴿٨﴾ وأنا طلبنا خبر السماء، فوجدنا السماء مِثْلَتْ حَرَسًا قوياً من الملائكة يحرسونها من استراق السمع الذي كنا نقوم به، ومِثْلَتْ شُهَبًا يُرمي بها كل من يقرب منها.

﴿٩﴾ وأنا كنا في السابق نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض، وقد تغير الأمر، فمن يستمع منا الآن يجد مُشْتَعِلاً معداً له، فإذا اقترب أرسل عليه فأحرقه.

﴿١٠﴾ وأنا لا نعلم ما سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أأريد شرّاً بأهل الأرض، أم أن الله أراد بهم خيراً، فقد انقطع عنا خبر السماء.

﴿١١﴾ وأنا - معشر الجن - بعد ما سمعنا من القرآن: منّا المتقون الأبرار، ومنّا من هم كفار وفساق، كنّا أصنافاً مختلفة وأهواء متباينة.

﴿١٢﴾ وأنا أيقن أن لن نفوت الله سبحانه إذا أراد بنا أمراً، ولن نفوته هرباً لإحاطته بنا.

﴿١٣﴾ وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم آمنا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصاً لحسناته، ولا إثمًا

﴿١٤﴾ فإلا من الآيات:

١ - تأثير القرآن البالغ في مَنْ يستمع إليه بقلب سليم.

٢ - الضلال كما يوجد في الإنس يكون في الجن، بل هو أكثر.

٣ - الاستغاثة بالجن من الشرك بالله.

٤ - بطلان الكهانة ببعثة النبي ﷺ.

٥ - من أدب المؤمن أن لا يُنسب الشر إلى الله.

﴿١٤﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُنَادُونَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَمِنَ الْجَاهِلِينَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَمَنْ خَضَعَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ قَصَدُوا الْهَدَايَةَ وَالصَّوَابَ.

﴿١٥﴾ وَأَمَّا الْجَاهِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ فَكَانُوا لِحَبْلِهِمْ حَطَبًا تَوَقَّدَ بِهِ مَعَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ.

﴿١٦﴾ وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ، لَسَقَاهُمْ اللَّهُ مَاءً كَثِيرًا، وَأَمَدَّهُمْ بِنِعْمٍ مُتَوَعَّةٍ.

﴿١٧﴾ لِنُخْتَبِرَهُمْ فِيهِ أَیْشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ أَمْ يَكْفُرُونَهَا؟ وَمَنْ يُعْرِضُ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، يَدْخُلْهُ رَبُّهُ عَذَابًا شَدِيدًا لَا يَسْتَطِيعُ تَحْمِلُهُ.

﴿١٨﴾ وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ سَبْحَانَةٌ لَا لِغَيْرِهِ، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ فِيهَا أَحَدًا، فَتَكُونُوا مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي كُتَابِهِمْ وَبَيْنَهُمْ.

﴿١٩﴾ وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ يُعِيدُ رَبَّهُ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ، كَادَ الْجَنُّ يَكُونُونَ مُتَرَاكِمِينَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ قِرَاءَتَهُ لِلْقُرْآنِ.

﴿٢٠﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَحْدَهُ، وَلَا أَشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

﴿٢١﴾ قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دَفْعَ ضَرِّ قَدَرِهِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ مَنَعَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ.

﴿٢٢﴾ قُلْ لَهُمْ: لَنْ يَنْجِيَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجَأً أَبَدًا. لَكِنَّ الَّذِي أَمْلَكَهُ أَنْ أَبْلِغَكُمْ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ، وَرِسَالَتُهُ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ مَصِيرُهُ دُخُولُ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿٢٣﴾ وَلَا يَزَالُ الْكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى إِذَا عَايَنُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ مِنْ أَوْعَظِ نَاصِرًا، وَسَيَعْلَمُونَ مِنْ أَقْلٍ أَعْوَانًا.

﴿٢٤﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ أَنْ لَهُ أَجَلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

﴿٢٥﴾ هُوَ سَبْحَانَةُ عَالَمِ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يُطْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ. إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ سَبْحَانَةُ رَسُولٍ، فَإِنَّهُ يُطْلَعُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الرُّسُولَ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يُطْلَعَ غَيْرُ الرُّسُولِ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٢٦﴾ رَجَاءُ أَنْ يَعْلَمَ الرُّسُولُ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لِمَا أَحَاطَ بِهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِنَايَةِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبْحَانَةُ شَيْءٍ.

﴿٢٧﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

﴿١﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿٢﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُغْضَوْنَ الْبُقْعَةَ الَّتِي كُنَّ يُكْرِمُنَّهَا بِرَبِّهِنَّ وَأُولُوهُنَّ لَا يَقْسِيْنَ عَلَى رُبِّهِنَّ وَلَكِنَّ الْبُلْغَاءُ لِيَنْفِخَنَّهُمْ فِيهِ مِنْ عَرَضٍ غَزِيٍّ أَوْ فَخِيٍّ ﴿٤﴾ وَسَلِّكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٥﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٦﴾ وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ لَبِدًا ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٨﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٩﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يَحْجِرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٠﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نُجْرًا جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١١﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَوْعَدُ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿١٢﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُمْ رَبِّي أَمَدًا ﴿١٣﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رِيسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٥﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾ قُلْ لَكُمْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دَفْعَ ضَرِّ قَدَرِهِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ مَنَعَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ. ﴿١٨﴾ قُلْ لَهُمْ: لَنْ يَنْجِيَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ إِنْ عَصَيْتُهُ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجَأً أَبَدًا. ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِي أَمْلَكَهُ أَنْ أَبْلِغَكُمْ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ، وَرِسَالَتُهُ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ مَصِيرُهُ دُخُولُ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا. ﴿٢٠﴾ وَلَا يَزَالُ الْكُفَّارُ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى إِذَا عَايَنُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ مِنْ أَوْعَظِ نَاصِرًا، وَسَيَعْلَمُونَ مِنْ أَقْلٍ أَعْوَانًا. ﴿٢١﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ أَنْ لَهُ أَجَلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. ﴿٢٢﴾ هُوَ سَبْحَانَةُ عَالَمِ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَا يُطْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ. ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ سَبْحَانَةُ رَسُولٍ، فَإِنَّهُ يُطْلَعُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الرُّسُولَ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يُطْلَعَ غَيْرُ الرُّسُولِ عَلَى ذَلِكَ. ﴿٢٤﴾ رَجَاءُ أَنْ يَعْلَمَ الرُّسُولُ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لِمَا أَحَاطَ بِهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِنَايَةِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبْحَانَةُ شَيْءٍ. ﴿٢٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الْجَوْرُ سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ. ٢ - أَهْمِيَّةُ الْإِسْتِقَامَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ. ٣ - عَصْيَانُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سَبَبٌ فِي دُخُولِ النَّارِ. ٤ - حُفِظَ الْوَحْيُ مِنْ عَثِ الشَّيَاطِينِ بِرَجْمِهِمْ بِالشَّهْبِ لَوْ حَاولُوا الْإِسْتِمَاعَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْجَمَاتُ ١ قِرَآئِلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نَصَفَهُ وَأَوْنَقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣
أَوْرَدَ عَلَيْهِ وَرَيْلَ الْقَرَمِ أَنْ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّكَ فِي
النَّهَارِ سَبَّاحٌ طَوِيلًا ٧ وَأَذْكُرْ أَتَمَّ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ سِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨
إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

﴿١﴾ مقصد السورة :
تركز على الزاد الروحي للدعاة في مواجهة
الشدائد ومصاعب الحياة، تثبيتاً للنبي ﷺ
وتوعداً للمكذبين به .
﴿٢﴾ التفسير :
﴿١﴾ يا أيها المتكلف بشيابه (يعني : النبي ﷺ) .
﴿٢﴾ صل بالليل إلا قليلاً منه .
﴿٣﴾ صل نصفه إن شئت ، أو صل أقل من
النصف قليلاً حتى تصل الثلث .
﴿٤﴾ أو زد عليه حتى تبلغ الثلثين ، واقرأ القرآن
بتمهل وإعطاء الحروف حقها ومُسَحِّقها ،
وبمراعاة الوقوف .
﴿٥﴾ إنا سنلقي عليك - أيها الرسول - القرآن ،
وهو قول ثقیل ؛ لما فيه من الفرائض والحدود
والأحكام والآداب وغيرها .
﴿٦﴾ إن النافلة التي تُتَشَأ في الليل هي أشد
ثقلًا ؛ لأن الليل للنوم ، وأشد قَوْلًا وأثبته ،
وأثبت قراءة .
﴿٧﴾ إن لك في النهار تصرفًا في أعمالك ،
فتشغل بها عن قراءة القرآن ، فصل بالليل .
﴿٨﴾ واذكر الله بأنواع الذكر ، وانقطع إليه
سبحانه انقطاعًا .
﴿٩﴾ رب المشرق ورب المغرب ، لا معبود بحق
إلا هو ، فاتخذهُ وكيلًا تعتمد عليه في أمورك كلها .

﴿١٠﴾ واصبر على ما يقوله المكذبون من الاستهزاء والسب ، واهجرهم هجرًا لا أذية فيه .
﴿١١﴾ ولا تهتم بشأن المكذبين أصحاب المتع بملذات الدنيا ، واتركني وإياهم ، وانتظرهم قليلاً حتى يأتيهم أجلهم .
﴿١٢﴾ إن لدينا في الآخرة قيوداً ثقیلة ، وناراً مُسْتَعِرَةً .
﴿١٣﴾ وطعاماً نغص به الحلق لشدة مرارته ، وعذاباً موجعاً ؛ زيادة على ما سبق .
﴿١٤﴾ ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال ، وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثرًا من شدة هوله .
﴿١٥﴾ إنا بعثنا إليكم رسولاً شاهداً على أعمالكم يوم القيامة مثلما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى ﷺ .
﴿١٦﴾ فعصى فرعون الرسول المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقاباً شديداً في الدنيا بالغرق ، وفي الآخرة بعذاب النار ،
فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه .
﴿١٧﴾ فكيف تمنعون أنفسكم وتَقْوَاهَا - إن كفرتم بالله ، وكذبتم رسوله - يوماً شديداً طويلاً ، يُصِيرُ الْوِلْدَانَ سِيبًا من
شدة هوله وطوله .
﴿١٨﴾ السماء متشقة من هوله ، كان وعد الله مفعولاً لا محالة .
﴿١٩﴾ إن هذه الموعظة - المشتملة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدة - تذكرة ، ينتفع بها المؤمنون ، فمن شاء
اتخاذ طريق موصل إلى ربه اتخذه .

﴿٢٠﴾ فإذ من الآيات :

- ١ - أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله .
- ٢ - تحمل التكليف يقتضي تربية صارمة .
- ٣ - الترف والتوسع في التمتع يصد عن سبيل الله .

﴿١﴾ إِنْ رِبِكَ - أيها الرسول - يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، وتقوم طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصى ساعاتهما، علم سبحانه أنك لا تقدر على إحصاء وضبط ساعاته، فيشق عليكم قيام أكثره تحريراً للمطلوب، فلذلك تاب عليكم، فصلوا من الليل ما تيسر، علم الله أن سيكون منكم - أيها المؤمنون - مرضى أحدهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار ابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا، فهؤلاء يشق عليهم قيام الليل، فصلوا ما تيسر لكم من الليل، واثتوا بالصلاة المفروضة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدموا لأنفسكم من أي خير، تجدوه هو خيراً وأعظم ثواباً، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب عباده، رحيم بهم.

سُورَةُ الْمَدِّثَرِ مَكِّيَّةٌ —

﴿٢﴾ مقصد السورة:

تركز على الأمر بالنهوض بالدعوة ومقوماتها، وتوعد المكذبين بها.

﴿٣﴾ التفسير:

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمُتَّقِيُّ بَشَايَه (وهو النبي ﷺ).

﴿٢﴾ انهض وخوف من عذاب الله.

﴿٣﴾ وربك فعظم.

﴿٤﴾ واترك عبادة الأوثان.

﴿٥﴾ واصبر لله على ما تلاقيه من الأذى.

﴿٦﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الْقُرُونِ النُّفْخَةُ الثَّانِيَةَ. فذلك اليوم شديد.

﴿٧﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ غَيْرِ سَهْلٍ.

﴿٨﴾ اتركني - أيها الرسول - ومن خلقته وحيداً في بطن أمه دون مال أو ولد (وهو الوليد بن المغيرة).

﴿٩﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً كَثِيراً.

﴿١٠﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ بَنِينَ حَاضِرِينَ مَعَهُ لَا يَحْتَاجُونَ لِسَفَرٍ لِكَثْرَةِ مَالِهِ.

﴿١١﴾ وَبَسَطْتُ لَهُ فِي الْعَيْشِ وَالزَّرَقِ وَالْوَلَدِ بَسْطاً.

﴿١٢﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ مَعَ كُفْرِهِ بِي أَنْ أَزِيدَهُ بَعْدَ مَا أُعْطِيَته مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

﴿١٣﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرُ، إِنَّهُ كَانَ مُعَانِداً لآيَاتِنَا الْمُنْزَلَةِ عَلَى رَسُولِنَا مُكَذِّباً بِهَا.

﴿١٤﴾ سَأَكْلِفُهُ مَشَقَّةَ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا.

﴿١٥﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - المشقة تجلب التيسير. ٢ - وجوب الطهارة من الخبث الظاهر والباطن. ٣ - الإنعام على الفاجر استدراج له وليس إكراماً.

١٨) إن هذا الكافر الذي أنعمت عليه بتلك النعم فكّر فيما يقوله في القرآن لإبطاله، وقدر ذلك في نفسه.
١٩) فلعن وعذب كيف قدر.
٢٠) ثم لعن وعذب كيف قدر.
٢١) ثم أعاد النظر والتروي فيما يقول.
٢٢) ثم قَطَّب وجهه، وكَلَح حين لم يجد ما يطعن به في القرآن.
٢٣) ثم أدبر عن الإيمان، واستكبر عن اتباع النبي ﷺ.

٢٤) فقال: ليس هذا الذي جاء به محمد كلام الله، بل هو سحر يرويه عن غيره.
٢٥) ليس هذا كلام الله، بل هو كلام الإنس.
٢٦) سادخل هذا الكافر نار سقر يقاسي حرّها.
٢٧) وما أعلمك - يا محمد - ما سقر؟
٢٨) لا تُبقي شيئاً من المُعَذَّب فيها إلا أتت عليه، ولا تتركه، ثم يعود كما كان، ثم تأتي عليه، وهكذا دَوَّالِكَ.
٢٩) شديدة الإحراق والتغيير للجلود.
٣٠) عليها تسعة عشر ملكاً، وهم خزنتها.

٣١) وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة، فلا طاقة للبشر بهم، وقد كذب أبو جهل حين ادعى أنه وقومه يقدرّون على البطش بهم، ثم يخرجون من النار، وما جعلنا عددهم هذا إلا اختباراً للذين كفروا بالله؛ ليقولوا ما قالوا فيضاعف عليهم العذاب، وليتيقن اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل حين

إنهم فكروا وقدر ١٨) فقيل كيف قدر ١٩) ثم قيل كيف قدر ٢٠) ثم نظر ٢١) ثم عس وبسر ٢٢) ثم أدبر واستكبر ٢٣) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ٢٤) إن هذا إلا أقول البشر ٢٥) سأصليه سقر ٢٦) وما أدرك ما سقر ٢٧) لا بقي ولا نذر ٢٨) لواءة للبشر ٢٩) عليها تسعة عشر ٣٠) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين آمنوا الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين آمنوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر ٣١) ولا القمر ٣٢) وأبلى إذا أدبر ٣٣) والصبح إذا أسفر ٣٤) إنما لإحدى الكبر ٣٥) نذير للبشر ٣٦) لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ٣٧) كل نفس بما كسبت رهينة ٣٨) إلا أصحاب اليمين ٣٩) في جنت يساءلون ٤٠) عن المعجزين ٤١) ما سلككم في سقر ٤٢) قالوا لو نك من المصلين ٤٣) ولعلكم تطعم المسكين ٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين ٤٥) وكنا نكذب بيوم الدين ٤٦) حتى أتانا اليقين ٤٧)

نزل القرآن مصدقاً لما في كتابيهم، وليزداد المؤمنون إيماناً عندما يوافقهم أهل الكتاب، ولا يرتاب اليهود والنصارى والمؤمنون، وليقول المنافقون مرضى القلوب، والكافرون: أي شيء أراد الله بهذا العدد الغريب؟ مثل إضلال مُنْكَر هذا العدد وهداية المُصَدِّق به، يُضِلُّ الله من شاء أن يضلّه ويهدي من شاء أن يهديه، وما يعلم جنود ربك من كثرتها إلا هو سبحانه، فليعلم بذلك أبو جهل القائل: (أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر) استخفافاً وتكديماً، وما النار إلا تذكرة للبشر يعلمون بها عظمة الله سبحانه.

٣٧) ليس القول كما يزعم بعض المشركين أنه يكفي أصحابه خزنة جهنم حتى يُجهضهم عنها، أقسم الله بالقمر.
٣٨) وأقسم بالليل حين ولي.
٣٩) وأقسم بالصبح إذا أضاء.
٤٠) إن نار جهنم لإحدى البلايا العظيمة.

٤١) ترهيباً وتخويفاً للناس. ٤٢) لمن شاء منكم - أيها الناس - أن يتقدم بالإيمان بالله والعمل الصالح، أو يتأخر بالكفر والمعاصي. ٤٣) كل نفس بما كسبت من الأعمال مأخوذة، فإما أن توبقها أعمالها، وإما أن تخلصها وتقذها من الهلاك. ٤٤) إلا المؤمنين فإنهم لا يؤخذون بذنوبهم، بل يتجاوز عنها لما لهم من عمل صالح. ٤٥) وهم يوم القيامة في جنات يسأل بعضهم بعضاً. ٤٦) عن الكافرين الذين أهلكوا أنفسهم بما عملوا من المعاصي. ٤٧) يقولون لهم: ما أدخلكم في جهنم؟ فيجيبهم الكفار قائلين: لم نكن من الذين يؤدون الصلاة الواجبة في الحياة الدنيا. ٤٨) ولم نكن نطعم الفقير مما أعطانا الله. ٤٩) وكنا مع أهل الباطل ندور معهم أينما داروا، وتحدث مع أهل الضلال والغواية. ٥٠) وكنا نكذب بيوم الجزاء. ٥١) وتمادينا على التكذيب به حتى جاءنا الموت، فحال بيننا وبين التوبة.

٥٢) فإذن من الآيات: ١ - مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة. ٢ - عدم إطعام المحتاج سبب من أسباب دخول النار.

﴿٤٨﴾ فما تنفعهم يوم القيامة شفاعة الشافعين من الملائكة والنبیین والصالحین؛ لأن من شرط قبول الشفاعة الرضا عن المشفوع.

﴿٤٩﴾ أي شيء جعل هؤلاء المشركين معرضين عن القرآن؟

﴿٥٠﴾ كأنهم في إعراضهم ونفورهم منه حُمُرٌ وحشٌ شديدة النفور.

﴿٥١﴾ نفرت من أسد خوفًا منه.

﴿٥٢﴾ بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن يصبح عند رأسه كتاب منشور يخبره أن محمداً رسول من الله، وليس سبب ذلك قلة البراهين أو ضعف الحجج، وإنما هو العناد والاستكبار.

﴿٥٣﴾ ليس الأمر كذلك، بل السبب في تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فبقوا على كفرهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن هذا القرآن موعظة وتذكير.

﴿٥٥﴾ فمن شاء أن يقرأ القرآن ويتعظ به قرأه واتعظ به.

﴿٥٦﴾ وما يتعظون إلا أن يشاء الله أن يتعظوا، هو سبحانه أهل لأن يتقى بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأهل لأن يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

— مكية —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على إظهار قدرة الله على جمع خلق الإنسان وبعثه، ولذا تكرر فيها لفظ الجمع.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

﴿١﴾ أقسم الله بيوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

﴿٢﴾ وأقسم بالنفس الطيبة التي تلوم صاحبها على التقصير في الأعمال الصالحة، وعلى فعل السيئات، أقسم بهذين الأمرين ليعتثن الناس للحساب والجزاء.

﴿٣﴾ أَيْظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِلْبَعْثِ؟

﴿٤﴾ بلى، نقدر مع جمعها على إعادة أطراف أصابعه خلقاً سوياً كما كانت.

﴿٥﴾ بل يريد الإنسان بإنكاره البعث أن يستمر على فجوره مستقبلاً دون رادع. ﴿٦﴾ يسأل على وجه الاستبعاد عن يوم

القيامة: متى يقع؟ ﴿٧﴾ فإذا تحيرَ البصر واندحش حين يرى ما كان يكذب به. ﴿٨﴾ وذهب ضوء القمر. ﴿٩﴾ وذهب

ضوء الشمس والقمر معاً. ﴿١٠﴾ يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين القرار؟ ﴿١١﴾ لا فرار في ذلك اليوم، ولا ملجأ

يلجأ إليه الفاجر، ولا مُعْتَصِمٌ يعتصم به. ﴿١٢﴾ إلى ربك - أيها الرسول - في ذلك اليوم المرجع والمصير للحساب

والجزاء. ﴿١٣﴾ يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قدم من أعماله، وبما أخر منها. ﴿١٤﴾ بل الإنسان شاهد على نفسه حيث

تشهد عليه جوارحه بما اكتسبه من إثم. ﴿١٥﴾ ولو جاء بأعذار يجادل بها عن نفسه أنه ما عمل سوءاً لم تنفعه. ﴿١٦﴾ لا

تحرك - أيها الرسول - لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلاً أَنْ يَنْفَلَكَ مِنْكَ. ﴿١٧﴾ إن علينا أن نجعله لك في صدرك، وثبات قراءته

على لسانك. ﴿١٨﴾ فإذا أتم جبريل قراءته عليك فأنصت إلى قراءته واستمع. ﴿١٩﴾ ثم إن علينا تفسيره لك.

﴿٢٠﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - مشيئة العبد مُقَيَّدة بمشيئة الله. ٢ - حرص رسول الله ﷺ على حفظ ما يوحى إليه من

القرآن، وتكفل الله له بجمعه في صدره وحفظه كاملاً فلا ينسى منه شيئاً.

﴿٢٥﴾ كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ادْعَيْتُمْ مِنْ اسْتِحْلَاةِ الْبَعْثِ، فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِكُمْ ابْتِدَاءً لَا يَعْجزُ عَنْ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، لَكِنْ سَبَبُ تَكْذِيبِكُمْ بِالْبَعْثِ هُوَ حُبُّكُمْ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَعَلُّقُكُمْ بِهَا.

﴿٢٦﴾ وَتَرْكُكُمْ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الَّتِي طَرِيقُهَا الْقِيَامُ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ.

﴿٢٧﴾ وَجْهَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَهِيَّةٍ لَهَا نُورٌ.

﴿٢٨﴾ نَاطِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا مَتَمِّتَةٌ بِذَلِكَ.

﴿٢٩﴾ وَوَجْهَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشَّقَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَابِسَةٌ.

﴿٣٠﴾ تَوْقِنَ أَنَّ يَنْزِلُ بِهَا عِقَابٌ عَظِيمٌ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ. لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَتَصَوَّرُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا لَا يُعَذَّبُونَ، فَإِذَا وَصَلَتْ نَفْسُ أَحَدِهِمْ أَعَالِي صَدْرِهِ. ﴿٣١﴾ وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: مَنْ يَرْفِي هَذَا لَعَلَّهُ يُشْفَى؟ ﴿٣٢﴾ وَأَيُّقِنَ مِنْ فِي التَّنَزُّعِ حِينَئِذٍ أَنَّهُ فِرَاقُ الدُّنْيَا بِالمَوْتِ.

﴿٣٣﴾ وَاجْتَمَعَتِ الشَّدَائِدُ عِنْدَ نَهَايَةِ الدُّنْيَا وَبِدَايَةِ الْآخِرَةِ. ﴿٣٤﴾ إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ يُسَاقُ الْمَيِّتُ إِلَى رَبِّهِ. ﴿٣٥﴾ فَلَا صَدَقَ الْكَافِرُ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَا صَلَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ. ﴿٣٦﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ. ﴿٣٧﴾ ثُمَّ ذَهَبَ هَذَا الْكَافِرُ إِلَى أَهْلِهِ يَخْتَالُ فِي مَشِيتِهِ مِنَ الْكِبَرِ.

﴿٣٨﴾ وَلَيْكُ - أَيُّهَا الْكَافِرُ - مَا تَكْرَهُ. ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَلَمَ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٤٠﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ سُوءًا. ﴿٤١﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٤٢﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

﴿٤٣﴾ أَيْظُنَّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ يَشْرَعُ؟ ﴿٤٤﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٤٥﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سُوءًا. ﴿٤٦﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٤٧﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

﴿٤٨﴾ وَلَيْكُ مَا تَكْرَهُ. ﴿٤٩﴾ أَيْظُنَّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ يَشْرَعُ؟ ﴿٥٠﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٥١﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سُوءًا. ﴿٥٢﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٥٣﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

﴿٥٤﴾ وَلَيْكُ مَا تَكْرَهُ. ﴿٥٥﴾ أَيْظُنَّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ يَشْرَعُ؟ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٥٧﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سُوءًا. ﴿٥٨﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٥٩﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

﴿٦٠﴾ وَلَيْكُ مَا تَكْرَهُ. ﴿٦١﴾ أَيْظُنَّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ يَشْرَعُ؟ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٦٣﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سُوءًا. ﴿٦٤﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٦٥﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

﴿٦٦﴾ وَلَيْكُ مَا تَكْرَهُ. ﴿٦٧﴾ أَيْظُنَّ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ تَارَكَهُ مُهْمَلًا دُونَ أَنْ يَكْلِفَهُ يَشْرَعُ؟ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُطْفَةً مِنْ مَنِي رَحِمٍ. ﴿٦٩﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سُوءًا. ﴿٧٠﴾ فَجَعَلَ مِنْ جَنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؟ ﴿٧١﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَعَلَّقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لَقَادِرٌ.

سورة الانشراح

— مَدَنِيَّة —

﴿١﴾ مَقْصِدُ السُّورَةِ :

تَرْكُزُ عَلَى تَذْكِيرِ الْإِنْسَانِ بِأَصْلِهِ وَحِكْمَةِ خَلْقِهِ وَمَصِيرِهِ فِي الدَّارَيْنِ، وَإِظْهَارِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، تَشْيِيتًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَدَعْوَةً لِلْكَافِرِينَ.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ :

﴿١﴾ قَدْ مَرَّ عَلَى الْإِنْسَانِ دَهْرٌ طَوِيلٌ كَانَ فِيهِ مَعْدُومًا لَا ذِكْرَ لَهُ. ﴿٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ خَلِيطَةٍ بَيْنَ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، نَخْتَبِرُهُ بِمَا نُلْزِمُهُ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِيَقُومَ بِمَا كَلَّفْنَاهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ. ﴿٣﴾ إِنَّا بَنَيْنَا لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِنَا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ، فَاسْتَبَانَ لَهُ بِذَلِكَ طَرِيقَ الضَّلَالِ، فَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَهْتَدِيَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَيَكُونُ عَبْدًا مُؤْمِنًا شَاكِرًا لِلَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَضِلَّ عَنْهَا فَيَكُونُ عَبْدًا كَافِرًا جَاحِدًا لِآيَاتِ اللَّهِ. وَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ نَوْعِي الْمُهْتَدِي وَالضَّالِّ بَيْنَ جِزَاءِ هُمَا فَقَالَ: ﴿٤﴾ إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ سَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ فِيهَا فِي النَّارِ، وَأَغْلَالًا يَعْثَلُونَ فِيهَا، وَنَارًا مُسْتَعْرَةً. ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ يَشْرَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ مَمْلُوءَةٍ مَزْجُوجَةٍ بِالْكَافُورِ طَلِيبٍ رَاحَتِهِ.

﴿٦﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - خَطَرَ حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْآخِرَةِ. ٢ - ثُبُوتِ الْاخْتِيَارِ لِلْإِنْسَانِ، وَهَذَا مِنْ تَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُ.

﴿٦﴾ هذا الشراب المُعَدُّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تَنْصَبُ، يَرَوَى بها عباد الله، يَفْجَرُونَهَا فَتَجِيرُا متى شأوا.

﴿٧﴾ وصفات العباد الذين يشربونها أنهم يوفون بما أُلْزِمُوا به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يوماً كان شرُّه منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

﴿٨﴾ ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتغالهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

﴿٩﴾ ويسرون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناءً على إطعامهم إياهم.

﴿١٠﴾ إنا نخاف من ربنا يوماً تكْلَحُ فيه وجوه الأشقياء لشِدَّتِهِ وِفْظَاتِهِ.

﴿١١﴾ فوقاهم الله بفضلِه شرَّ ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

﴿١٢﴾ وأثابهم الله - بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي - جنة يتمتعون فيها، وحريرًا يلبسونه.

﴿١٣﴾ متكئون فيها على الأسرة المَرْيُونة، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظل دائم لا حرَّ معه ولا برد.

﴿١٤﴾ قريبة منهم ظلالها، وسُخِّرَتْ ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها بيسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

﴿١٥﴾ ويطوف عليهم الخدم بآنية الفضة، ويكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

﴿١٦﴾ هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

﴿١٧﴾ وَيُسْقَى هؤلاء المُكْرَمُونَ كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.

﴿١٨﴾ يشربون من عين في الجنة تسمى سَلْسَبِيلًا.

﴿١٩﴾ ويدور عليهم في الجنة ولَّدَان باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لؤلؤًا منثورًا لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم.

﴿٢٠﴾ وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدَانِيهِ ملك.

﴿٢١﴾ قد علت أيدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغلظت الديباج، وألْبَسُوا فيها أسورة من فضة، وسقاهاهم الله غير ما ذكر سابقًا شرابًا خاليًا من أي منغص.

﴿٢٢﴾ ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله.

﴿٢٣﴾ إنا نحن أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن مَفْرَقًا، ولم ننزله عليك جملة واحدة.

﴿٢٤﴾ فاصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع أَمَّا فيما يدعو له من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعو إليه من الكفر.

﴿٢٥﴾ واذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، وصلاة الظهر والعصر آخره.

﴿٢٦﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِنَتِهَا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا تُطْعَمُكُمُ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تَزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا تَنْكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا أَجْنَةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَعْيُنُهُمْ أَفْئِدَالِهَا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَجْهَانٍ فُجِيئًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّن سُندُسٍ
خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَخْنُ نُنَزِّلُكَ عَلَيْكَ الْفُرَّانَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ
مَنْهُمْ ؕ إِنَّمَا أَوْفَكَرْنَا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

١ - الوفاء بالأنذر وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنة.

﴿٦٦﴾ واذكره بصلاتي الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء، وتَهَجَّد به بعدها.

﴿٦٧﴾ إن هؤلاء المشركين يحبون الحياة الدنيا ويحرصون عليها، ويترون وراءهم يوم القيامة، وهو يوم ثقیل؛ لما فيه من الشدائد والمحن.

﴿٦٨﴾ نحن خلقناهم وقوينا خلقهم بتقوية مفاصلهم وأعضائهم وغيرها. وإذا شئنا إهلاكهم وإبدلهم بأمثالهم أهلكتناهم وأبدلناهم.

﴿٦٩﴾ إن هذه السورة موعظة وتذكير، فمن شاء اتخذ طريق توصله إلى رضا ربه اتخذها.

﴿٧٠﴾ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إلى رضا الله إلا أن يشاء ذلك منكم، فالأمر كله إليه، إن الله كان عليماً بما يصلح لعباده، وبما لا يصلح لهم، حكيمًا في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٧١﴾ يُدْخِل من يشاء من عباده في رحمته، فيوفقهم للإيمان والعمل الصالح، والظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي أعد لهم في الآخرة عذاباً موجعاً، وهو عذاب النار.

سورة المرسلات

— مكية —

﴿٧٢﴾ مقصد النبوة:

تركز على إثبات القيامة من خلال محاجة المكذبين بالأدلة، وملاحقتهم بالوعيد والتهديد.

﴿٧٣﴾ التفسير:

- ﴿١﴾ أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عرف الفرس. ﴿٢﴾ وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب.
- ﴿٣﴾ وأقسم بالرياح تنشر المطر. ﴿٤﴾ وأقسم بالملائكة تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.
- ﴿٥﴾ وأقسم بالملائكة تنزل بالوحي. ﴿٦﴾ تنزل بما تنزل به من الوحي إعداراً من الله إلى الناس، وإنذاراً للناس من عذاب الله.
- ﴿٧﴾ إن الذي توعدون به من البعث والحساب والجزاء لواقع لا محالة.
- ﴿٨﴾ فإذا النجوم مُجِي نورها وزهب ضوؤها. ﴿٩﴾ وإذا السماء شُقَّت لتنزل الملائكة منها.
- ﴿١٠﴾ وإذا الجبال اقتُلعت من مكانها فَنُسِفَتْ حتى تصير هباءً.
- ﴿١١﴾ وإذا الرسل جُمِعت لوقت محدد. ﴿١٢﴾ ليوم عظيم أُجِلَّت للشهادة على أممها.
- ﴿١٣﴾ ليوم الفصل بين العباد، فيتبين المحق من المبطّل، والسعيد من الشقي.
- ﴿١٤﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الفصل؟
- ﴿١٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.
- ﴿١٦﴾ ألم نهلك الأمم السابقة لما كفرت بالله وكذبت رسلها؟
- ﴿١٧﴾ ثم تبعهم المكذبين من المتأخرين، فنهلكهم كما أهلكتناهم.
- ﴿١٨﴾ مثل الإهلاك لتلك الأمم نهلك المجرمين المكذبين بما جاء به محمد ﷺ.
- ﴿١٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٢٠﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة. ٢ - مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله. ٣ - إهلاك الأمم المكذبة سُنَّةُ إلهية.

﴿٢١﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ - أيها الناس - من ماء حقيق وهو النطفة.

﴿٢٢﴾ فجعلنا ذلك الماء المهيّن في مكان معرّوز وهو الرحم.

﴿٢٣﴾ إلى مُدّة معلومة هي مدّة الحمل.

﴿٢٤﴾ فقدّرنا صفة المولود وقدره ولونه وغير ذلك، فنعم القادرون لذلك كله نحن.

﴿٢٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٢٦﴾ أَلَمْ نجعل الأرض تضمّ الناس جميعاً.

﴿٢٧﴾ تضمّ أحياءهم بالسكن عليها وعمارتها، وأمواتهم بالدفن فيها.

﴿٢٨﴾ وجعلنا فيها جبالاً ثوابت، تمنعها من الاضطراب، عاليات، وأسقيناكم - أيها الناس - ماءً عذباً، فمن خلق ذلك ليس عاجزاً عن بعثكم.

﴿٢٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٣٠﴾ ويقال للمكذّبين بما جاءت به رسلهم: سيروا - أيها المكذّبون - إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب.

﴿٣١﴾ سيروا إلى ظل من دخان مفرّق ثلاث فرق.

﴿٣٢﴾ ليس فيه برد الظلال، ولا يمنع لهيب النار وحرّها أن ينفذ إليكم.

﴿٣٣﴾ إن النار تقذف بشرارات، كل شرارة مثل

القصر في عظمها.

﴿٣٤﴾ كأن الشرارات التي تقذف بها في سوادها وضخامتها جمال سود.

﴿٣٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٣٦﴾ هذا يوم لا يتكلمون فيه بشيء.

﴿٣٧﴾ ولا يؤذّن لهم أن يعتذروا إلى ربهم من كفرهم وسيئاتهم، فيعتذرون إليه.

﴿٣٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٣٩﴾ هذا يوم الفصل بين الخلائق، جمعناكم والأمم السابقة في صعيد واحد.

﴿٤٠﴾ فإن كانت لكم حيلة تحتالون بها للنجاة من عذاب الله فاحتالوا عليّ.

﴿٤١﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٤٢﴾ إن المتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، في ظلال أشجار الجنة الوارفة، وعيون الماء العذبة الجارية.

﴿٤٣﴾ وفواكه مما يشتهون أكله. ﴿٤٤﴾ ويقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرباً هنيئاً لا مُنْعَص فيه؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات. ﴿٤٥﴾ إنا مثل هذا الجزاء الذي جزيناكم به نجزي المحسنين لأعمالهم.

﴿٤٦﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٤٧﴾ والمكذّبين: كلوا وتمتعوا بملذات الحياة وقتاً قليلاً في الدنيا، إنكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسله مجرمون. ﴿٤٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما

لهمؤلاء المكذّبين: صلّوا لله لا يصلّون له. ﴿٤٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذّبين الذين يكذبون بما

جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٥٠﴾ فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المنزل من ربهم فبأي حديث غيره يؤمنون؟

﴿٥١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - رعاية الله للإنسان في بطن أمه. ٢ - اتساع الأرض لمن عليها من الأحياء، ولمن فيها من الأموات.

سُورَةُ النَّبَاِ

— مَكِّيَّةٌ —

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَاءٌ لَّوْنٌ ۖ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ
 كَلَّا سِعَامُونَ ۚ نَزَّكَرَ لَا سِعَامُونَ ۚ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْتَ كُلَّ أَرْوَجًا ۚ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
 وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۚ وَأَنزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۚ لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۚ وَجَنَّاتٍ
 أَلْفَافًا ۚ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ۚ يَوْمَ تُفْخَفُ فِي الصُّورِ
 فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۚ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۚ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّاغِينَ
 مَنَابًا ۚ لِّلثِيثِ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ
 إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَاقًا ۚ جَزَاءً وَفَاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ

﴿٢٨﴾ مقصد السُّورَةِ :
 تركز على إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين .
 ﴿٢٩﴾ التفسير :
 ﴿٣٠﴾ عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعدما بعث الله إليهم رسوله ﷺ ؟
 ﴿٣١﴾ يسأل بعضهم بعضاً عن الخبر العظيم ، وهو هذا القرآن المنزل على رسولهم .
 ﴿٣٢﴾ هذا القرآن الذي اختلفوا فيما يصفونه به ؛ من كونه سحراً أو شعراً أو كهانة أو أساطير الأولين .
 ﴿٣٣﴾ ليس الأمر كما زعموا ، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة .
 ﴿٣٤﴾ ثم سيتأكد لهم ذلك .
 ﴿٣٥﴾ ألم نصير الأرض مَهْدَةً لهم صالحة لاستقرارهم عليها ؟
 ﴿٣٦﴾ وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب .
 ﴿٣٧﴾ وخلقناكم - أيها الناس - أصنافاً : منكم الذكور والإناث .
 ﴿٣٨﴾ وجعلنا نومكم انقطاعاً عن النشاط لتستريحوا .
 ﴿٣٩﴾ وجعلنا الليل ساتراً لكم بظلمته مثل اللباس الذي تسترون به عوراتكم .
 ﴿٤٠﴾ وجعلنا النهار ميداناً للكسب والبحث عن الرزق .
 ﴿٤١﴾ وبنيينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء

محكمة الصنع . ﴿٤٢﴾ وصيرنا الشمس مصباحاً شديد الانقاد والإنارة .
 ﴿٤٣﴾ وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماءً كثير الانصباب .
 ﴿٤٤﴾ لنخرج به أصناف الحب ، وأصناف النبات . ﴿٤٥﴾ ونخرج به بساتين مُلْتَمَّةٌ من كثرة تداخل أغصان أشجارها .
 ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة ؛ لأن القادر على خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم ، فقال :
 ﴿٤٦﴾ إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعداً محددًا بوقت لا يتخلف .
 ﴿٤٧﴾ يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية ، فتأتون - أيها الناس - جماعات جماعات .
 ﴿٤٨﴾ وفتحت السماء فصار لها فروح مثل الأبواب المفتحة .
 ﴿٤٩﴾ وجُعِلَتِ الجبال تسير حتى تتحول هباءً منثورًا ، فتصير مثل السراب .
 ﴿٥٠﴾ إن جهنم كانت راصدة مُرْتَقِبَةً . ﴿٥١﴾ للطالمين مرجعاً يرجعون إليه .
 ﴿٥٢﴾ ماكثين فيها أزمنة ودهوراً لا نهاية لها . ﴿٥٣﴾ لا يذوقون فيها نومًا ، ولا يذوقون فيها شرابًا يَتَلَذَّذُ به .
 ﴿٥٤﴾ لا يذوقون إلا ماءً شديد الحرارة ، وما يسيل من صديد أهل النار . ﴿٥٥﴾ جزاءً موافقاً لما كانوا عليه من الكفر والضلال .
 ﴿٥٦﴾ إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون حساباً ؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، فلو كانوا يخافون البعث لآمَنُوا بالله ، وعملوا صالحاً .
 ﴿٥٧﴾ وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيباً .
 ﴿٥٨﴾ وكل شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه ، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم .
 ﴿٥٩﴾ فذوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم ، فلن نزيدكم إلا عذاباً على عذابكم .
 ﴿٦٠﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ : ١ - كثرة نعم الله على عباده . ٢ - الطغيان سبب دخول النار . ٣ - مضاعفة العذاب على الكفار .

٢٦ إن للمتقين ربهم بامثال أوامره، واجتناب نواهي، مكان فوز يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.

٢٧ بساتين وأعناباً.

٢٨ وجواري مستويات السن.

٢٩ وكأس خمر ملأى.

٣٠ لا يسمعون في الجنة كلاماً باطلاً، ولا يسمعون كذباً.

٣١ كل ذلك مما منحهم الله منه وعطاء منه كافياً.

٣٢ رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.

٣٣ يوم يقوم جبريل والملائكة مضطيقين، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سداداً وصواباً.

٣٤ ذلك الموصوف لكم هو اليوم الحق الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلاً إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

٣٥ إنا حذرناكم - أيها الناس - عذاباً قريباً يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنياً الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت تراباً مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني تراباً.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

— مكية —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على هزّ القلوب المكذبة بالبعث والجزاء، من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة.

﴿التفسير﴾:

١ أقسم الله بالملائكة التي تأخذ أرواح الكفار بشدة وعنف. ٢ وأقسم بالملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

٣ وأقسم بالملائكة التي تَسْجِعُ من السماء إلى الأرض بأمر الله. ٤ وأقسم بالملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

٥ وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد، أقسم بذلك كله ليعثنهم للحساب والجزاء.

٦ يوم تهتز الأرض عند النفخة الأولى. ٧ تتبع هذه النفخة نفخة ثانية.

٨ قلوب بعض الناس في ذلك اليوم خائفة. ٩ أصحاب تلك القلوب ذليلة.

١٠ يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟ ١١ إذا كنا عظاماً بالية نرجع بعد ذلك؟

١٢ قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، مغبوناً صاحبها. ١٣ أمر البعث سير، فإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ.

١٤ فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتاً في بطنها.

١٥ هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عدوه فرعون؟

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - التقوى سبب دخول الجنة. ٢ - كل ما في الجنة طيب ممتع. ٣ - تمنّي الكافر أن يصير تراباً مثل الدواب التي يقال لها يوم القيامة: كوني تراباً. ٤ - قبض روح الكافر بشدة وعنف، وقبض روح المؤمن برفق ولين.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧)
فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرَكُنِي (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتُخْشَى (١٩) فَأَرِنَهُ
آيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ (٢٢) فَحَشَرَ
فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَيْنَهُمَا
(٢٧) رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّيْنَاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُرًّا (٣٣) فَإِذَا جَاءَ رَبُّ الطَّائِفَةِ
الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَتُرْزَقُ الْجَحِيمُ
لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى (٤٠)
(٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٢) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
(٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا (٤٤) إِلَى رَبِّكَ مُنْهَنًا (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ
مَنْ يَخْشَاهَا (٤٦) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوُّهَا لِزُلْزِلِهَا أَلْعَشِيَّةَ أَوْ ضُحَاهَا (٤٧)

سورة الفرقان

سورة الفرقان

(١٦) حين ناداه ربه سبحانه بوادي طوى المطهر.
(١٧) قال له فيما قال: سر إلى فرعون، إنه
تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.
(١٨) فقل له: هل لك - يا فرعون - أن تتطهر من
الكفر والمعاصي؟
(١٩) وأرشدك إلى ربك الذي خلقك ورعاك
فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟
(٢٠) فأظهر له موسى ﷺ العلامة العظمى الدالة
على أنه رسول من ربه، وهي اليد والعصا.
(٢١) فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه
العلامة، وعصى ما أمره به موسى ﷺ.
(٢٢) ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى.
(٢٣) ورجع يجمع جنوده لمغالبة موسى، فنادى
قومه قائلاً:
(٢٤) أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم.
(٢٥) فأخذه الله فعاقيه في الدنيا بالغرق في البحر،
وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشد العذاب.
(٢٦) إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا والآخرة
لموعظة لمن يخشى الله؛ فهو الذي ينتفع
بالمواعظ.
(٢٧) أيجادكم على الله - أيها المكذبون بالبعث -
أصعب، أم إيجاد السماء التي بناها؟
(٢٨) جعل سمئها في جهة العلو رفيعاً، فجعلها
مستوية، لا فطور فيها ولا شقوق ولا عيب.
(٢٩) وأظلم ليلها إذا غربت شمسها، وأظهر
نورها إذا أشرقت.
(٣٠) والأرض بعد أن خلق السماء بسطها،

وأودع فيها منافعها.

(٣١) أخرج منها ماءها عيوناً تجري، وأنبث فيها من النبات ما ترعاه الدواب.

(٣٢) والجبال جعلها ثابتة على الأرض.

(٣٣) كل ذلك منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد.

(٣٤) فإذا جاءت النفخة الثانية، وقامت القيامة.

(٣٥) يوم تجيء يتذكر الإنسان ما قدم من عمل، خيراً كان أو شراً.

(٣٦) وجيء بهجهم وأظهرت عياناً لمن يبصرها. (٣٧) فأما من تجاوز الحد في الضلال.

(٣٨) وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية. (٣٩) فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه.

(٤٠) وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تهواه مما حرمه الله، فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه.

(٤١) يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟

(٤٢) ليس لك علم بها حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها.

(٤٣) إلى ربك وحده منتهى علم الساعة.

(٤٤) إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ لأنه الذي ينتفع بإنذارك.

(٤٥) كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشيّة يوم واحد أو بكرة.

فوائد من الآيات: ١ - وجوب الرفق عند خطاب المدعو. ٢ - ادعاء فرعون الربوبية. ٣ - عقاب الفجار عبرة للمعتبرين. ٤ - الخوف من الله وكف النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنة. ٥ - علم الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّيْزِكِ ٣ أَوْ
يَذْكُرُ فَتَنْفَعُهُ الْذِكْرَى ٤ أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَى ٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصْدَى ٦
وَمَا عَلَيْكَ الْأَزْيَى ٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَخْشَى ٩ فَأَنْتَ
عَنْهُ لَهْفَى ١٠ كَلَّا إِنَّمَا تَنْزِكُهُ ١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ
١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦ قُلْ لِلْإِنْسَانِ
مَا أَكْفَرُهُ ١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ١٩ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ٢٠ ثُمَّ أَمَّا نَمْ فَاقْفَرُوا ٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ٢٢ كَلَّا لَمَّا
بَقِضَ مَا أَمَرُوا ٢٣ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعَبَا وَقَضَا ٢٨
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ٣٠ وَفِكَهَةً وَأَبَا ٣١ مَتَّعْنَاكُمْ
وَلَا نَعْلَمُكُمْ ٣٢ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَتُ ٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ٣٧ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ٣٨ ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ٣٩ وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ٤٠ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ ٤١ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ٤٢

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

التركيز على حقيقة دعوة القرآن وكرامتها وعلو مقامها، وكرامة من ينتفع بها، وحقارة من يعرض عنها.

﴿التفسير﴾:

١ عبس وجهه رسول الله ﷺ وأعرض.

٢ لأجل مجيء عبد الله ابن أم مكتوم يسترشده، وكان أعمى، جاء والرسول ﷺ مشغل بأكابر المشركين أملا في هدايتهم.

٣ وما يعلمك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟

٤ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها.

٥ أما من استغنى بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به.

٦ فأنت له تتعرض، وتقبل إليه.

٧ وما عليك من ضرر إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله.

٨ وأما من جاءك يسعى بحثا عن الخير.

٩ وهو يخشى ربه.

١٠ فأنت تشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.

١١ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل.

١٢ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن.

١٣ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة.

١٤ مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصيبها دُرس ولا رُجس.

١٥ وهي بأيدي رسل من الملائكة.

١٦ كرام عند ربهم، كثيرون فعل الخير والطاعات.

١٧ خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟

١٨ من ماء قليل خلقه، فَقَدَّرَ خلقه طورا بعد طور.

١٩ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه.

٢٠ ثم إذا شاء بَعَثَهُ للحساب والجزاء بَعَثَهُ.

٢١ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض.

٢٢ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل؟

٢٣ فأصله أننا صببنا الماء من السماء صبا بإنزال المطر.

٢٤ ثم فَتَقْنَا الأرض فانشقت عن النبات.

٢٥ فأنبثنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرهما.

٢٦ وأنبتنا فيها عنبًا وقتارطًا؛ ليكون علفًا.

٢٧ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم.

٢٨ لاتنفعاكم، وانتفاعكم، وانتفاع زوجته وأولاده.

٢٩ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم.

٣٠ وجوه السعداء في ذلك اليوم عليها غبار.

٣١ تغشاها ظلمة.

٣٢ أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

٣٣ لئن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله! ٣٤ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟ ٣٥ من ماء قليل خلقه، فَقَدَّرَ خلقه طورا بعد طور. ٣٦ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه. ٣٧ ثم إذا شاء بَعَثَهُ للحساب والجزاء بَعَثَهُ. ٣٨ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض. ٣٩ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل؟ ٤٠ فأصله أننا صببنا الماء من السماء صبا بإنزال المطر. ٤١ ثم فَتَقْنَا الأرض فانشقت عن النبات. ٤٢ وأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرهما. ٤٣ وأنبتنا فيها عنبًا وقتارطًا؛ ليكون علفًا. ٤٤ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم. ٤٥ لاتنفعاكم، وانتفاعكم، وانتفاع زوجته وأولاده. ٤٦ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم. ٤٧ وجوه السعداء في ذلك اليوم عليها غبار. ٤٨ تغشاها ظلمة. ٤٩ أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - عتاب الله نبيه في شأن عبد الله ابن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله. ٢ - الاهتمام بطالب العلم والمُسْتَرَشِد. ٣ - شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

سورة التكاثر

مكية —

سورة التكاثر
٨٠ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا
الْمَوْتُ دُئِيْلَتْ ٨ بِأَيِّ دُئِيْلٍ قِيلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَاسِ ١٥
الْجَوَارِ الْكُنُيْ ١٦ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَسَسَ ١٨
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ
تَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمُبِينِ ٢٣
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥
فَإِنْ تَذَهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩

سورة الانفاط
٨١ آية

● مقصد السورة :
تركز على تصوير القيامة بانفراط الكون بعد إحكامه ؛
إظهاراً لصدق القرآن ، وإلزاماً بسبيل الرحمن .
● التفسير :
١ إذا الشمس جُمِعَ جُزْمُهَا ، وَهَبَ ضَوْوُهَا .
٢ وإذا الكواكب تساقطت ومُجِي ضَوْوُهَا .
٣ وإذا الجبال حُرِّكَتْ من مكانها حتى تصير هباء .
٤ وإذا النُوق الحوامل التي هي أنفس
أموالهم أهملت بترك أهلها لها .
٥ وإذا الوحوش جُمِعَتْ مع البشر في صعيد واحد .
٦ وإذا البحار أُوقِدَتْ حتى تصير ناراً .
٧ وإذا النفوس قُرِنَتْ بمن يماثلها ، فيُقرن
الفاجر بالفاجر ، والتقي بالتقي .
٨ وإذا الطفلة المدفونة وهي حية سألتها الله .
٩ بأي جريمة قتلك من قتلك ؟
١٠ وإذا صحف أعمال العباد نُشِرَتْ ؛ ليقرأ كل
واحد صحيفة أعماله .
١١ وإذا السماء نُزِعَتْ كما يُنزع الجلد عن الشاة .
١٢ وإذا النار أُوقِدَتْ .
١٣ وإذا الجنة قُرِبَتْ للمتقين .
١٤ عندما يحصل ذلك تعلم كل نفس ما
أحضرت من الأعمال لذلك اليوم .

١٥ أقسم الله بالنجوم الخفية قبل بزوغها في الليل .
١٦ الجاريات التي تغيب في مواطن غيابها مثل الأطباء تدخل كِنَاسَهَا ؛ أي : بيتها .
١٧ وأقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر .
١٨ وأقسم بالصبح إذا بزغ نوره .
١٩ إن القرآن المنزل على محمد ﷺ لكلام الله بلغه ملك أمين ، وهو جبريل عليه السلام ، ائتمنه الله عليه .
٢٠ صاحب قوة عند رب العرش سبحانه ذي منزلة عظيمة .
٢١ بطيعة أهل السماء ، مؤتمن على ما يبلغه من الوحي .
٢٢ وما صاحبكم الذي تعرفون عقله وأمانته وصدقه بمجنون كما تدعون بهتاً .
٢٣ ولقد رأى صاحبكم جبريل على صورته التي خُلِقَ عليها بأفق السماء الواضح .
٢٤ وليس صاحبكم ببخيل عليكم يبخل أن يبلغكم ما أُمِرَ بتبليغيه إليكم ، ولا يأخذ أجراً كما يأخذ الكهنة .
٢٥ وليس هذا القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله .
٢٦ فأَيَ طريق تسلكونها لإنكار أنه من الله بعد هذه الحجج ؟
٢٧ ليس القرآن إلا تذكيراً وموعظة للجن والإنس .
٢٨ لمن شاء منكم أن يستقيم على طريق الحق .
٢٩ وما تشاؤون استقامة ولا غيرها إلا أن يشاء الله ذلك ، رب الخلائق كلها .

● فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ : ١ - حُشْرُ الْمَرْءِ مع من يماثله في الخير أو الشر . ٢ - وأد البنات ذنب عظيم يسأل الله عنه يوم
القيامة من فعله . ٣ - مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله .

سُورَةُ الْأَنْفَاطِ — مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على تصوير القيامة تتبعثر المخلوقات المنتظمة وتغير حالها ومسارها، تأكيداً للسورة السابقة.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ إذا السماء تشققت لنزول الملائكة منها.

﴿٢﴾ وإذا الكواكب تساقطت متناثرة.

﴿٣﴾ وإذا البحار اختلط بعضها ببعض.

﴿٤﴾ وإذا القبور قلبت ترابها لبعث من فيها من الأموات.

﴿٥﴾ عند ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه فلم تعمله.

﴿٦﴾ يا أيها الإنسان الكافر بربك، ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين أمهلك ولم يعاجلك بالعقوبة تكرماً منه؟

﴿٧﴾ الذي أوجدك بعد أن كنت عدماً، وجعلك سوي الأعضاء معتدلاً.

﴿٨﴾ في أي صورة شاء أن يخلقك خلقتك، وقد أنعم عليك إذ لم يخلقك في صورة حمار ولا فرد ولا كلب ولا غيرها.

﴿٩﴾ ليس الأمر كما تصورت - أيها المغترون -، بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له.

﴿١٠﴾ وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم.

﴿١١﴾ كراماً عند الله، كاتبين يكتبون أعمالكم.

﴿١٢﴾ يعلمون ما تفعلون من فعل فيكتبونه.

﴿١٣﴾ إن كثيري فعل الخير والطاعة لفي نعيم دائم يوم القيامة.

﴿١٤﴾ وإن أصحاب الفجور لفي نار تستعر عليهم.

﴿١٥﴾ يدخلونها يوم الجزاء يعانون حرّها.

﴿١٦﴾ وليسوا عنها بغائبين أبداً، بل هم خالدون فيها.

﴿١٧﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟

﴿١٨﴾ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟

﴿١٩﴾ يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ — مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية، تهديداً للمطففين والمكذبين، وتأنيساً للمؤمنين المستضعفين.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ هلاك وخسار للمطففين. وهم الذين إذا اكتالوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص.

﴿٢﴾ وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان، وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليهم.

﴿٣﴾ ألا يتقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟!

﴿٤﴾ للحساب والجزاء في يوم عظيم لما فيه من المحن والأحوال.

﴿٥﴾ يوم يقوم الناس للحساب لرب الخلائق كلها.

﴿٦﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق. ٢ - تسجل الملائكة أعمال العباد بأمر من الله.

﴿٧﴾ ليس الأمر كما تصوّرتُم من أنه لا بعث بعد الموت، إن كتاب أهل الفجور من الكفار والمنافقين لفي سجين.

﴿٨﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما سجين؟

﴿٩﴾ هو كتاب مكتوب، لا يُزاد فيه ولا يُنقص.

﴿١٠﴾ هلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذّبين.

﴿١١﴾ الذين يكذبون بيوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على أعمالهم في الدنيا.

﴿١٢﴾ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.

﴿١٣﴾ إذا تُقرأ عليه آياتنا المنزلة على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم الأولى، وليست من عند الله.

﴿١٤﴾ ليس الأمر كما تصور هؤلاء المكذبون، بل غلب على عقولهم ما كانوا يكسبون من المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.

﴿١٥﴾ حقاً إنهم عن رؤية ربهم يوم القيامة لممنوعون.

﴿١٦﴾ ثم إنهم لداخلو النار، يعانون حرّها.

﴿١٧﴾ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّياً لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم.

﴿١٨﴾ ليس الأمر كما تصوّرتُم من أنه لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي علين.

﴿١٩﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عليون؟

﴿٢٠﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٢٢﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٣﴾ وَلَيْلٌ يُمِيدُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٢٦﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٧﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٨﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ يَكْذِبُونَ ﴿٣١﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيَّونَ ﴿٣٣﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٣٤﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٦﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٧﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٨﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٣٩﴾ خِتَمُهُمْ مِنْ مَسْكٍ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٤٠﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٤١﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٤٧﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿٤٩﴾ كتاب مكتوب، لا يُزاد فيه ولا يُنقص.

﴿٥٠﴾ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.

﴿٥١﴾ إن المكثرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.

﴿٥٢﴾ على الأسرة المزينة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم.

﴿٥٣﴾ إذا رأيتهُم رأيت في وجوههم أثر التمتع حسناً وبهاء.

﴿٥٤﴾ يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على إنائها.

﴿٥٥﴾ تفوح رائحة المسك في نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه.

﴿٥٦﴾ يُخلط هذا الشراب المختوم من عين تَسْنِيم.

﴿٥٧﴾ وهي عين في الجنة يشرب منها المقربون، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها.

﴿٥٨﴾ إن الذين أجروا بما كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاءً بهم.

﴿٥٩﴾ وإذا مروا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخريّة وتندراً.

﴿٦٠﴾ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين.

﴿٦١﴾ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم.

﴿٦٢﴾ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.

﴿٦٣﴾ فيوم القيامة الذين آمنوا بالله يضحكون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.

﴿٦٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَكُنْ: ١ - خطر الذنوب على القلوب. ٢ - حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة. ٣ - السخريّة من أهل الدين صفة من صفات الكفار.

﴿٣٥﴾ على الأسرة المزمينة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم الدائم.
﴿٣٦﴾ لقد جُوزِيَ الكفار على أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالعذاب المُهِين.

سُورَةُ الْأَنْشُقِقِ

— مكية —

﴿٣٧﴾ مقصد السورة:

تركز على تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره، إلزاماً بالاستسلام، واستنكاراً للجحود.

﴿٣٨﴾ التفسير:

﴿١﴾ إذا السماء تَصَدَّعَتْ لنزول الملائكة منها.
﴿٢﴾ واستمعت لربها منقاداً، وحق لها ذلك.
﴿٣﴾ وإذا الأرض مَدَّها الله كما يمد الأديم.
﴿٤﴾ وألقت ما فيها من الكنوز والأموال، وتخلت عنهم.

﴿٥﴾ واستمعت لربها منقاداً، وحق لها ذلك.
﴿٦﴾ يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيراً أو شراً، فملاقية يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه.
ولما ذكر عمل الإنسان مجملًا فضل حال العاملين يوم القيامة، فقال:

﴿٧﴾ فأما من أعطى صحيفة أعماله بيده اليمنى.
﴿٨﴾ فسوف يحاسبه الله حساباً سهلاً.
﴿٩﴾ ويرجع إلى أهله مسروراً.
﴿١٠﴾ وأما من أعطى كتابه بشماله من وراء ظهره.
﴿١١﴾ فسنادي بالهلاك على نفسه.

﴿١٢﴾ ويدخل نار جهنم يقاسي حرها.

﴿١٣﴾ إنه كان في الدنيا في أهله فرحاً بما هو عليه من الكفر والمعاصي.

﴿١٤﴾ إنه ظن أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته.

﴿١٥﴾ بلى، ليرجعه الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيراً لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازهيه على عمله.

﴿١٦﴾ أقسم الله بالحُمْرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

﴿١٧﴾ وأقسم بالليل وما جُمِعَ فيه. ﴿١٨﴾ والقمر إذا اجتمع وتم وصار بدرًا.

﴿١٩﴾ لتركن - أيها الناس - حالاً بعد حال من نُظْفَةِ فَعَلْقَةٍ فَمُضْغَةٍ، فحياة فموت فبعث.

﴿٢٠﴾ فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر؟

﴿٢١﴾ وإذا قُرئ عليهم القرآن لا يسجدون لربهم؟

﴿٢٢﴾ بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم.

﴿٢٣﴾ والله أعلم بما تُوعيه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿٢٤﴾ فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب مؤلم.

﴿٢٥﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة.

﴿٢٦﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾ ١ - خضوع السماء والأرض لربهما. ٢ - كل إنسان ساع إما لخير وأما لشر. ٣ - علامة

السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين، وعلامة الشقاء أخذه بالشمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢ وَشَاهِدِ مَشْهُودِ ٣ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِي عَذَابِ الْحَرِيقِ ١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١ إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لِشَيْءٍ ١٢ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ ١٣ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَقَالَ لِمَ أَرِيدُ ١٦ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧ فِرْعَوْنُ وَنَمُودُ ١٨ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢

سُورَةُ الطَّارِقِ

﴿١﴾ مقصد السورة :
تركز على إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة وتوعده للمتربصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد.
﴿٢﴾ التفسير :
﴿٣﴾ أقسم الله بالسماء المشتملة على منازل الشمس والقمر وغيرهما.
﴿٤﴾ وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.
﴿٥﴾ وأقسم بكل شاهد وكل مشهود.
﴿٦﴾ لعن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً.
﴿٧﴾ وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.
﴿٨﴾ إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء ناراً.
﴿٩﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتكيل شهود؛ لحضورهم ذلك.
﴿١٠﴾ وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.
﴿١١﴾ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.
﴿١٢﴾ إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.
﴿١٣﴾ إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.
﴿١٤﴾ إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي.
﴿١٥﴾ إنه هو بديئ الخلق والعذاب، ويعيدهما.
﴿١٦﴾ وهو الغفور للذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أوليائه من المتقين.
﴿١٧﴾ صاحب العرش الكريم.
﴿١٨﴾ فقال لما يريد من عفو ذنوب من شاء، وعقاب من شاء، لا مكره له سبحانه.
﴿١٩﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجنّدوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟
﴿٢٠﴾ فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.
﴿٢١﴾ ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم.
﴿٢٢﴾ والله محيط بأعمالهم محصيا، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.
﴿٢٣﴾ وليس القرآن شعراً، ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.
﴿٢٤﴾ في لوح، محفوظ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.

﴿٢٥﴾ فَايَاتُ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه. ٢ - إيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة. ٣ - التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على إظهار رقابة الله النافذة وقدرته البالغة.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الذي يطرق ليلاً. ﴿١﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - شأن هذا النجم العظيم؟ ﴿٢﴾ هو النجم المتوهج ضياءً. ﴿٣﴾ ما من نفس إلا وكل الله بها ملكاً يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة. ﴿٤﴾ فليتأمل الإنسان مم خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله، وعجزه هو. ﴿٥﴾ خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبَّب في الرحم. ﴿٦﴾ يخرج هذا الماء من بين العمود العظمي الفقري للرجل، وعظام صدر المرأة. ﴿٧﴾ إنه سبحانه - إذ خلقه من ذلك الماء المهيمن - قادر على بعثه بعد موته حياً للحساب والجزاء. ﴿٨﴾ يوم تختبر السرائر، فيُكشَف عما كانت تضمّره القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفساد. ﴿٩﴾ فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يمتنع بها من عذاب الله. ﴿١٠﴾ أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها. ﴿١١﴾ وأقسم بالأرض التي تتصدّع عما فيها من النبات والثمر والشجر. ﴿١٢﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ لقول يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب. ﴿١٣﴾ وليس باللعب والباطل، بل هو الجد والحق. ﴿١٤﴾ إن المكذبين بما جاءهم رسولهم يكدون كيداً كثيراً ليردوا دعوته، ويبطلوها. ﴿١٥﴾ وأكد أنا كيداً لإظهار الدين ودحض الباطل. ﴿١٦﴾ فأهل - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

سُورَةُ الزُّمَرِ

— مَكِّيَّة —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُمْ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلُ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمُهَاهُمْ زَوْجًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَاشَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنَقِرُكُنَا فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِنْ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ لَمْ يَعْلَمْ الْجَهْرُ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُسْرَكَ لَيْسَرَ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُنَّ خِشْيَ ﴿١٠﴾ وَيَنْجِبُنَّهَا الْآسَفَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾: تركز على تذكير النفوس بيمّة الله الأعلى، وتخليصها من التعلّقات الدنيا.

﴿التَّفْسِيرُ﴾: ﴿١﴾ نَزَّهَ اسم ربك الأعلى عن النقائص كالشريك، وعظمه عما لا يليق به. ﴿٢﴾ الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته. ﴿٣﴾ والذي قَدَّرَ الخلائق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه ويوائمه. ﴿٤﴾ والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم. ﴿٥﴾ فضيّره هشيماً أسود بعد أن كان أخضر غضاً. ﴿٦﴾ سنقرتك - أيها الرسول - القرآن، ونجمه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصاً على أن لا تنساه. ﴿٧﴾ إلا ما شاء الله أن تنساه منه لحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يُعلن وما يُخفى، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ﴿٨﴾ ونهون عليك العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة. ﴿٩﴾ فعظ الناس بما نوحيه إليك من القرآن، وذكرهم ما دامت الذكرى مسموعة. ﴿١٠﴾ سيتعظ بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الذي ينتفع بالموعظة. ﴿١١﴾ ويتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاءً في الآخرة لدخوله في النار. ﴿١٢﴾ الذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرّها ويعانيه أبداً. ﴿١٣﴾ ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يعيا حياة طيبة كريمة. ﴿١٤﴾ قد فاز بالمطلوب من تطهّر من الشرك والمعاصي. ﴿١٥﴾ وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيرها وشرها ليحاسب عليها. ٢ - ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه. ٣ - خشية الله تبعث على الاعتباط.

١٦ بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.
١٧ ولآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبدًا.
١٨ إن هذا الذي ذكرنا لكم من الأوامر والأخبار لفي الصحف المنزلة من قبلك.
١٩ هي الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى ؑ.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

— مكية —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على تذكير النفوس بمشاهد القدرة الإلهية في العذاب والنعيم، ودلائل ذلك في الآيات الحاضرة، لتمتلي النفوس رغبة ورهبة.

﴿التفسير﴾:

١ هل أتاك - أيها الرسول - حديث القيامة التي تغشى الناس بأحوالها؟
٢ فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة.
٣ متعبة مجهدة بالسلاسل التي تُسحب بها، والأغلال التي تُغل بها.
٤ تدخل تلك الوجوه نارًا حارة تقاسي حرّها.
٥ تُسقى من عين شديدة حرارة الماء.
٦ ليس لهم طعام يتغذون به إلا من أخبث الطعام وأنته من نبات يسمى الشَّيْبَرُ إذا يبس يصير مسمومًا.
٧ لا يُسمن أكله، ولا يسدّ جوعته.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ٢ وَجْوهٌ يُومِذُ خَشَعَةٌ ٣ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٤ تَصَلَّى نَارًا لَحَامِيَةً ٥ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ٦ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ٧ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٨ وَجْوهٌ يُومِذُ نَاعِمَةٌ ٩ لَسَعِبَهَا رَاضِيَةٌ ١٠ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١١ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةٌ ١٢ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٣ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٤ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٥ وَنَارٌ قَرَارٌ مَصْفُوفَةٌ ١٦ وَزَرَافِي مُبْتَوْنَةٌ ١٧ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٨ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٩ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ٢٠ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢١ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢٢ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٣ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ٢٤ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ ٢٥ الْآ كَبُرَ ٢٦ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٧ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ٢٨

١ ووجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لاقوه من النعيم.
٢ لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثوابه مدخرًا لها مضاعفًا.
٣ في جنة مرتفعة المكان والمكانة. لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو، فضلًا عن سماع كلمة محرمة.
٤ في هذه الجنة عيون جارية يفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا. فيها أسرة عالية.
٥ وأكواب مطروحة مهيأة للشرب. وفيها وسائل مرصوص بعضها إلى بعض.
٦ وفيها بسط وطنافس مبسوطة هنا وهناك. ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وجّه أنظار الكفار إلى ما يدلهم على قدرة الخالق وحسن خلقه ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء فقال: ٧ أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟ ٨ وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سققًا محفوظًا، لا يسقط عليهم؟ ٩ وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟ ١٠ وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة لاستقرار الناس عليها؛ ولمّا وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وجّه رسوله، فقال: ١١ فغظ - أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده. ١٢ لست عليهم بمُصَيِّرٍ حتى تكرهمهم على الإيمان. ١٣ لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله. ١٤ فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها. ١٥ إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم. ١٦ ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

﴿فوائد من الآيات﴾: ١ - أهمية تطهير النفس من الخبائث الظاهرة والباطنة. ٢ - الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته. ٣ - مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان، وبيان عاقبة المغترين.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ أقسم الله سبحانه بالفجر.

﴿٢﴾ وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.

﴿٣﴾ وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.

﴿٤﴾ وأقسم بالليل إذا جاء، واستمر وأدبر.

﴿٥﴾ هل في ذلك المذكور قسم يقع ذا عقل؟

﴿٦﴾ ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟

﴿٧﴾ عاد إرم ذات الطول.

﴿٨﴾ التي لم يخلق الله مثلها في البلاد.

﴿٩﴾ أولم تر كيف فعل ربك بشمود قوم صالح لما عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم؟ ثمود الذين شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتاً بالجحر.

﴿١٠﴾ أولم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟

﴿١١﴾ كل هؤلاء تجاوزوا الحد في الجبروت والظلم، كل تجاوزوه في بلده.

﴿١٢﴾ فأكثروا فيها الفساد بما نشره من الكفر والمعاصي.

﴿١٣﴾ فإذا قسم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض.

﴿١٤﴾ إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنة، ومن أساء بالنار.

ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعماً عليها بالقوة والمنعة بين أن الإنعام بذلك ليس دليلاً على رضا الله عنهم، فقال:

﴿١٥﴾ فأما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي لإكرامه.

﴿١٦﴾ وأما إذا اختبره وضيّق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني.

﴿١٧﴾ كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.

﴿١٨﴾ ولا بحث بعضكم بعضاً على طعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به.

﴿١٩﴾ وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة جليته.

﴿٢٠﴾ وتحبون المال كثيراً، فتبتخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه.

﴿٢١﴾ لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، إذا حُرّكت الأرض تحريكاً شديداً وزُلزِلت.

﴿٢٢﴾ وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا.

﴿٢٣﴾ وجيء في ذلك اليوم بجهennem لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما قرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل.

﴿٢٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٢٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٢٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٢٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٢٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٢٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣١﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

﴿٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

١٤ يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الأخروية التي هي الحياة الحقيقية.

١٥ في ذلك اليوم لا يُعَذَّب أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشد وأبقى.

١٦ ولا يُؤْتَق في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها.

ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:

١٧ وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.

١٨ ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.

١٩ فادخلي في جملة عبادي الصالحين.

٢٠ وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

سورة البقرة

— مكية —

● مقصد السورة:

تركز على الإنسان؛ بين كبد الكفر والعذاب وبين الصعود لسلم الرحمة والإيمان في الدارين.

● التفسير:

أقسم الله بالبلد الحرام الذي هو مكة المكرمة.

١ وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل من يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر.

٢ وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد.

٣ لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانیه من الشدائد في الدنيا.

٤ أظن الإنسان أنه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الذي خلقه؟

٥ يقول: أنفقت مالا كثيرا متراكما بعضه فوق بعض.

٦ أظن هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟ وأنه لا يحاسبه في ماله؛ من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟

٧ ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ٨ ولسانا وشفقتين يتحدث بهما؟

٩ وعرفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟ ١٠ وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها ويتجاوزها.

١١ وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة؟

١٢ هي إعتاق رقبة ذكرا كانت أو أنثى. ١٣ أو أن يطعم في يوم مجاعة يندر فيه وجود الطعام.

١٤ طفلا فقد أباه، له به قرابة. ١٥ أو فقيرا ليس له شيء يملكه.

١٦ ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء،

وأوصى بعضهم بعضا بالرحمة بعباد الله.

١٧ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

١٨ والذين كفروا بآياتنا المنزلة على رسولنا هم أصحاب الشمال. ١٩ عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.

٢٠ فإن من الآيات: عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة:

من أسباب دخول الجنة.

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على إظهار آيات الله وآلائه في الآفاق والأنفس وأحوالها، تركية للنفوس، وزجراً عن العصيان.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها.

﴿٢﴾ وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد غروبها.

﴿٣﴾ وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه.

﴿٤﴾ وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير

مظلمًا. ﴿٥﴾ وأقسم بالسماء، وأقسم ببنائها

المتقن. ﴿٦﴾ وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛

ليسكن الناس عليها. ﴿٧﴾ وأقسم بكل نفس،

وأقسم بخلق الله لها سوية. ﴿٨﴾ فأفهمها من غير

تعليم ما هو شر لتجتنبه، وما هو خير لتأتبه. ﴿٩﴾ قد

فاز بمطلوبه من طهر نفسه بتحليتها بالقضائل،

وتخليتها عن الرذائل. ﴿١٠﴾ وقد خسر من دس نفسه

مخفيًا إياها في المعاصي والآثام. ولما ذكر الله

خسران من دس نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود

مثالًا على ذلك فقال: ﴿١١﴾ كذبت ثمود نبيها صالحًا

بسبب مجاوزتها الحد في ارتكاب المعاصي،

واقتراف الآثام. ﴿١٢﴾ حين قام أشقاها بعد انتداب

قومه له. ﴿١٣﴾ فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام:

اتركوا ناقة الله، وشربوا في يومها، فلا تتعرضوا لها

بسوء. ﴿١٤﴾ فكدبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها

أشقاها مع رضاهم هم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم،

فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم،

وسوأهم في العقوبة التي أهلكهم بها. ﴿١٥﴾ فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم غير خائف سبحانه من تبعاته.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

— مكة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾: تركز على بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها، إظهارًا للتفاضل بين المؤمنين والكافرين.

﴿التفسير﴾: ﴿١﴾ أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته. ﴿٢﴾ وأقسم بالنهار إذا تكشف

وظهر. ﴿٣﴾ وأقسم بخلق النوعين: الذكر والأنثى. ﴿٤﴾ إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه الحسنات التي

هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار. ﴿٥﴾ فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة

وكفارة، واتقى ما نهى الله عنه. ﴿٦﴾ وصدق بما وعده الله به من الخلف. ﴿٧﴾ فسُنْهَلْ عليه العمل الصالح،

والإنفاق في سبيل الله. ﴿٨﴾ وأما من بخل بماله فلم يذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم

يسأل الله من فضله شيئًا. ﴿٩﴾ وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله. ﴿١٠﴾

فسُنْهَلْ عليه عمل الشر، ونعسر عليه فعل الخير. ﴿١١﴾ وما يغني عنه ماله الذي بخل به شيئًا إذا هلك، ودخل

النار. ﴿١٢﴾ إن علينا أن نبين طريق الحق من الباطل. ﴿١٣﴾ وإن لنا للحياة الآخرة ولنا الحياة الدنيا، نتصرف فيهما

بما نشاء، وليس ذلك لأحد غيرنا. ﴿١٤﴾ فحذركم - أيها الناس - من نار تتوقد إن أنتم عصيتم الله.

﴿فَوَارِزَ مِنَ الْأَلَمِ﴾: ١ - أهمية تركية النفس وتطهيرها. ٢ - المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم. ٣ - الذنوب

سبب للعقوبات الدنيوية.

- ١٥ لا يقاسي حرّ هذه النار إلا الأشقى وهو الكافر.
- ١٦ الذي كذب بما جاء به الرسول، وأعرض عن أمثال أمر الله.
- ١٧ وسيبعد عنها أتقى الناس أبو بكر رضي الله عنه.
- ١٨ الذي ينفق ماله في وجوه البر ليتطهر من الذنوب.
- ١٩ ولا يبذل ما يبذل من ماله ليكافي نعمة أنعم بها أحد عليه.
- ٢٠ لا يريد بما يبذله من ماله إلا وجه الله سبحانه.
- ٢١ ولسوف يرضى بما يعطيه الله من الجزاء الكريم.

سورة الضحى

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على رعاية الله لنبيه ﷺ والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له، تأنيساً له، وتذكيراً للمؤمنين بالشكر.

﴿التفسير﴾:

- ١ أقسم الله بأول النهار.
- ٢ وأقسم بالليل إذا ظلم وسكن الناس فيه عن الحركة.
- ٣ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك؛ كما يقول المشركون لما فتر الوحي.
- ٤ وللدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع.

٥ ولسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك ولأمتك حتى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك.

- ٦ لقد وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدك عبد المطلب، ثم عمك أبو طالب.
- ٧ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم. ٨ ووجدك فقيراً فأغناك. ٩ فلا تسيء معاملته من فقد أباه في الصغر، ولا تذله. ١٠ ولا تزجر السائل المحتاج. ١١ واشكر نعم الله عليك وتحدث بها.

سورة الشرح

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على إتمام منة الله على نبيه ﷺ بزوال الغم والحرَج والعسر عنه، وما يوجب ذلك.

﴿التفسير﴾:

- ١ لقد شرح الله لك صدرك فحبَّب إليك تلقي الوحي. ٢ ثم خففنا عليك ثقل هم الدعوة والتبليغ فشعرت بسهولتها. ٣ بعد أن كانت ثقيلة عليك، وكنت تشعر بثقل أمانة التبليغ. ٤ وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذكر في الأذان والإقامة وفي غيرهما. ٥ فإن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً. ٦ إن مع الشدة سهولة واتساعاً، إذا علمت ذلك فلا يهولك أذى قومك، ولا يصدك عن الدعوة إلى الله. ٧ فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك. ٨ واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.

﴿فوائد من الآيات﴾: ١ - منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة. ٢ - شكر النعم حق لله على عبده. ٣ - وجوب الرحمة بالمستضعفين واللين لهم.

سُورَةُ التِّينِ

آياتها ٨

نزلتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ٨

سُورَةُ الْحَاقِقِ

آياتها ١٦

نزلتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- أَفَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَفَرَأَوْ رَبَّكَ
الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ ٦ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ٨ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ ١١ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٣ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فليَدْعُ نَادِيَهُ ١٧
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ١٩

سُورَةُ الْحَاقِقِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان كمال الإنسان بالعلم والوحي الباعث على تعلق العبد بربه وخضوعه له، ونقصه بمخالفة ذلك.

﴿التفسير﴾:

١ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك؛ مفتتحاً باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق. ٢ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان. ٣ الذي علم الخط والكتابة بالقلم. ٤ علم الإنسان ما لم يكن يعلمه. ٥ حقاً إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله. ٦ لأجل أن رآه استغنى بما لديه من المال. ٧ إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كل ما يستحقه. ٨ أأرأيت الذي ينهى ٩ عبداً إذا صلى لله؟ والمنهي هو رسول الله ﷺ. ١٠ أأرأيت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه؟ ١١ أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، أن ينهى من كان هذا شأنه؟ ١٢ أأرأيت إن كذب هذا الناهي بما جاء به الرسول، وأعرض عنه، ألا يخشى الله؟ ١٣ ألم يعلم ناهي هذا العبد عن الصلاة أن الله يرى ما يصنع، لا يخفى عليه منه شيء؟ ١٤ ليس الأمر كما تصور هذا الجاهل، لئن لم يكف عن أذاه لعبدنا، وتكذيبه له لنأخذنه مجذوباً إلى النار بمقدم رأسه بعنف. ١٥ تلك الناصية كاذبة في القول، خاطئة في الفعل. ١٦ فليدع حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار أصحابه وأهل مجلسه يستعين بهم لينقذوه من العذاب. ١٧ سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلينظر أي الفريقين أقوى وأقدر. ١٨ ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعه في أمر ولا نهى، واسجد لله، واقرب منه بالطاعات، فإنها تقرب إليه.

﴿فوائد من الآيات﴾: ١ - رضا الله هو المقصد الأسمى. ٢ - أهمية القراءة والكتابة في الإسلام. ٣ - خطر الغنى إذا جُرَّ إلى الكبر، والبعد عن الحق. ٤ - النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر.

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على بيان عظم ليلة القدر وفضلها وما أنزل فيها .

﴿التَّفْسِيرُ﴾ :

﴿١﴾ إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي في ليلة القدر من شهر رمضان .

﴿٢﴾ وهل تدري أيها النبي ما في هذه الليلة من الخير والبركة؟

﴿٣﴾ هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيماناً واحتساباً .

﴿٤﴾ تنزل الملائكة، وينزل جبريل ﷺ فيها بإذن ربهم سبحانه بكل أمر قضاه الله في تلك السنة رزقاً كان أو موتاً أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله .

﴿٥﴾ هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتى نهايتها بطلوع الفجر .

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

— مَدَنِيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على قيمة الرسالة المحمدية، ووضوحها وكمالها .

﴿التَّفْسِيرُ﴾ :

﴿١﴾ لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفاقهم على الكفر حتى يأتيهم برهان واضح، وحجة جلية .

﴿٢﴾ هذا البرهان الواضح والحجة الجلية هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صحفاً مطهرة لا يمسه إلا المطهرون .

﴿٣﴾ في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم .

﴿٤﴾ وما اختلف اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيه .

﴿٥﴾ ويظهر جرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه .

﴿٦﴾ إن الذين كفروا - من اليهود والنصارى ومن المشركين يوم القيامة - يدخلون في جهنم ماكنين فيها أبداً، أولئك هم شر الخلق؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله .

﴿٧﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير الخلق .

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾ : ١ - فضل ليلة القدر على سائر ليالي العام . ٢ - الإخلاص في العبادة من شروط قبولها . ٣ - الكفار شر الخلق، والمؤمنون خيرها . ٤ - خشية الله سبب في رضاه عن عبده . ٥ - شهادة الأرض على أعمال بني آدم .

٨ ثوابهم عند ربهم ﴿١﴾ جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لما آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

— مَدِينَة —

﴿١﴾ مقصد السورة :

تركز على هز القلوب الغافلة لليقين بالحساب والإحصاء الدقيق.

﴿٢﴾ التفسير :

١ إذا حُرِّكَت الأرض التحريك الشديد الذي يحدث لها يوم القيامة.

٢ وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى.

٣ وقال الإنسان متحيراً: ما شأن الأرض

تتحرك وتضطرب؟

٤ في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشر.

٥ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك.

٦ في ذلك اليوم العظيم الذي تنزل فيه

الأرض يصدر الناس من موقف الحساب فِرَقاً

ليشهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

٧ فمن يعمل وزن ذرة من أعمال الخير والبر

يره أمامه.

٨ ومن يعمل وزنها من أعمال الشر يره كذلك.

سُورَةُ الْعَنَادِبَاتِ

— مَكِينَة —

﴿١﴾ مقصد السورة :

تركز على بيان حقيقة الإنسان في اهتماماته الدنيوية، تذكيراً له بمآله، وبعثاً له على تصحيح مساره.

﴿٢﴾ التفسير :

١ أقسم الله بالخيال التي تجري حتى يُسَمَّعَ لنفسها صوتٌ من شدة الجري.

٢ وأقسم بالخيال التي توقد بحوافرها النار إذا لامست بها الصخور لشدة وقعها عليها.

٣ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّرُ على الأعداء وقت الصباح.

٤ فأطرن بجريهن غباراً. ٥ فوسطن بفوارسهن جمعاً من الأعداء.

٦ إن الإنسان لمتنوع للخير الذي يريده منه ربه. ٧ وإنه على منعه للخير لشاهد، لا يستطيع إنكار ذلك

لوضوحه. ٨ وإنه لفرط حبه للمال ييخل به. ٩ أفلا يعلم هذا الإنسان المغتر بالحياة الدنيا إذا بعث الله ما في

القبور من الأموات وأخرجهم من الأرض للحساب والجزاء أن الأمر لم يكن كما كان يتوهم.

﴿٣﴾ فوائد من الآيات :

١ - الإنسان مجبول على حب المال.

١٠ وَأُبْرَزَ وَبَيَّنَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ النِّيَّاتِ
والاعتقادات وغيرها .
١١ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَخَبِيرٌ ، لَا يَخْفَى
عليه من أمر عباده شيء ، وسيجازيهم على ذلك .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ — مَكِّيَّةٌ —

١ مقصد السُّورَةِ :
تركز على قرع القلوب لاستحضار هول القيامة .
٢ التفسير :
الساعة التي تفرع قلوب الناس لعظم هولها .
٣ ما هذه الساعة التي تفرع قلوب الناس
لعظم هولها ؟
٤ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه الساعة التي
تفرع قلوب الناس لعظم هولها ؟ إنها يوم القيامة .
٥ يوم تفرع قلوب الناس يكونون كالفراراش
المنشَّير المتناثر هنا وهناك .
٦ وتكون الجبال مثل الصوف المنثوف في
خفة سيرها وحركتها .
٧ فأما من رجحت أعماله الصالحة على
أعماله السيئة .
٨ فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنة .
٩ وأما من رجحت أعماله السيئة على أعماله
الصالحة .
١٠ فمسكرته ومستقره يوم القيامة هو جهنم .
١١ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي ؟

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١١

سُورَةُ الْقَارِعَةِ
مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١ الْقَارِعَةُ ٢ مَا الْقَارِعَةُ ٣ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ
٤ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٥ فَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٦ فَأَمَّا
مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٧ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٨
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٩ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ١٠
وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١١ نَارُ حَامِيَةٍ ١٢

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا ٢ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٣ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
٦ عِلْمَ الْيَقِينِ ٧ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٨ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِينِ ٩ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ١٠

هي نار شديدة الحرارة .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ — مَكِّيَّةٌ —

١ مقصد السُّورَةِ :
تركز على تذكير المشغولين بالدنيا بالموت والحساب ، ولذلك تسمى سورة التجار .
٢ التفسير :
٣ شغلکم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله .
٤ حتى متم ودخلتم قبوركم .
٥ ما كان لكم أن يشغلکم التفاخر بها عن طاعة الله ، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال .
٦ ثم سوف تعلمون عاقبته .
٧ حقًا لو أنکم تعلمون يقينًا أنکم مبعوثون إلى الله ، وأنه سيجازيکم على أعمالکم ؛ لما انشغلتم بالتفاخر
بالأموال والأولاد .
٨ والله لتشاهدنَّ يوم القيامة النار . ٩ ثم لتشاهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه .
١٠ ثم ليسألکم الله في ذلك اليوم عما أنعم به علیکم من الصحة والغنى وغيرهما .
١١ فإِذَا مِنْ الْآيَاتِ : ١ - خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد . ٢ - يشاهد الكفار النار يوم القيامة .
٣ - يوم القيامة يُسأل الناس عن النعيم الذي أنعم به الله عليهم في الدنيا .

سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان حقيقة الريح والخسارة في الحياة، والتنبيه على قيمة العصر الذي يعيشه الإنسان.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ أقسم سبحانه بوقت العصر.

﴿٢﴾ إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.

﴿٣﴾ إلا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى بعضهم بعضًا بالحق، وبالصبر على الحق، فالمتصفون بهذه الصفات ناجون من الخسران والنقص.

سُورَةُ الْهُنَزَةِ مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على وعيد المتعالمين الساخرين بالدين وأهله.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ وبال وشدة عذاب لكثير الاغتياب للناس، والطعن فيهم.

﴿٢﴾ الذي همّ جمع المال وإحصاؤه، لا همّ له غير ذلك.

﴿٣﴾ يظن أن ماله الذي جمعه سينجيّه من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة الدنيا.

﴿٤﴾ ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل،

ليطرحن في نار جهنم التي تحطم كل ما طرح فيها لشدة بأسها.

﴿٥﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه النار التي تحطم كل ما طرح فيها؟

﴿٦﴾ إنها نار الله الموقدة.

﴿٧﴾ التي تنفذ من أجسام الناس إلى قلوبهم.

﴿٨﴾ إنها على المُعَذِّبِينَ فيها مغلقة. ﴿٩﴾ بعمد ممددة حتى لا يخرجوا منها.

سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على إظهار قدرة الله على حماية بيته الحرام، تذكيرًا وامتنانًا.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأبرهه وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟

﴿٢﴾ لقد جعل الله تدبيرهم السيئ لهدمها في ضياع، فما نالوا ما تمنّوه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئًا.

﴿٣﴾ وبعث عليهم طيرًا أتتهم جماعات جماعات.

﴿٤﴾ ترميهم بحجارة من طين مُتَجَجَّر. ﴿٥﴾ فجعلهم الله كورق زرع أكلته الدواب وداسته.

﴿فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - خسران من لم يتصفوا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

٢ - تحريم الهَمْزِ وَاللُّمَزِ في الناس. ٣ - دفاع الله عن بيته الحرام.

سورة قريش

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على الامتنان على قريش وما يلزمهم تجاه ذلك.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ لتعود قريش وإفهم.

﴿٢﴾ رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمين.

﴿٣﴾ فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يسر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحداً.

﴿٤﴾ الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف؛ بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سورة الماعون

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على بيان أخلاق المكذبين بالدين والآخرة، تحذيراً للمؤمنين، وتشتيعاً على الكافرين.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ هل عرفتم الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟ فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.

سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ ١ ۚ إِلَهُهُمْ ۚ رَحَلَةَ الْبَرِّ ۚ وَالصَّيْفِ ۚ فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ ٢ ۚ الذي أطعمهم ۚ من جوعٍ ۚ وآمنهم من خوفٍ ٣ ۚ

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْبَيْتِ ١ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ٢ ۚ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣ ۚ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٤ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ۚ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ٦ ۚ وَيَسْمَعُونَ أَلْمَاعُونَ ٧ ۚ

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا آعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١ ۚ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ٢ ۚ إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣ ۚ

﴿١﴾ ولا يحث نفسه، ولا يحث غيره على إطعام الفقير.

﴿٢﴾ فهلاك وعذاب للمصلين.

﴿٣﴾ الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يبالون بها حتى ينقضي وقتها.

﴿٤﴾ الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.

﴿٥﴾ ويمنعون إعانة غيره بما لا ضرر في الإعانة به.

سورة الكوثر

— مكية —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على منة الله على النبي ﷺ وقطع سبيل المبغضين له.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ إنا أعطيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.

﴿٢﴾ فأذ شكر الله على هذه النعمة، فصل له وحده واذبح؛ خلافاً لما يفعله المشركون من التقرب لأوثانهم بالذبح.

﴿٣﴾ إن مُبْغِضُكَ هو المنقطع عن كل خير المُنْهِي الذي إن ذُكِرَ ذُكِرَ بسوء.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - أهمية الأمن في الإسلام. ٢ - دفع اليتيم وعدم الحض على طعام المساكين من صفات الكفار. ٣ - بيان مكانة الصلاة في الإسلام. ٤ - الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل. ٥ - مقابلة النعم بالشكر يزيد بها.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك، والتمايز التام بين الإسلام والشرك.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الكافرون بالله .
﴿٢﴾ لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام .

﴿٣﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا؛ وهو الله وحده .
﴿٤﴾ ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام .
﴿٥﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا، وهو الله وحده .
﴿٦﴾ لكم دينكم الذي ابتدئتموه لأنفسكم، ولي ديني الذي أنزله الله علي .

سُورَةُ النَّصْرِ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان عاقبة الإسلام بالنصر والفتح، وما يُشرع عند حصول ذلك، كما ترمز لقرب أجل النبي ﷺ .

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ إذا جاء نصر الله لدينك - أيها الرسول - وإعزازه له، وحدث فتح مكة .

﴿٢﴾ ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفدًا بعد وفد .
﴿٣﴾ فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعثت بها، فسبح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابًا يقبل توبة عباده، ويغفر لهم .

سُورَةُ الْمَسِيدِ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على توعيد المعادين للدعوة بالهوان والعذاب في الدنيا والآخرة، وخصَّ أبو لهب وامرأته؛ لعظم عداوتهم للنبي ﷺ .

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله، إذ كان يؤذي النبي ﷺ، وخاب سعيه .
﴿٢﴾ أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعه عنه عذابًا، ولم يجلبها له رحمة .
﴿٣﴾ سيدخل يوم القيامة نارا ذات لهب، يقاسي حرَّها .
﴿٤﴾ وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي ﷺ باللقاء الشوك في طريقه .
﴿٥﴾ في عنقها جبل مُحْكَم القتل تساق به إلى النار .

﴿فَوَلاَ مِنْ آيَاتِ﴾:

١ - المفاصلة مع الكفار . ٢ - مقابلة النعم بالشكر . ٤ - شقاء أبي لهب وزوجته .

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

— مَكِّيَّة —

● مقصد السُّورة :
تركز على إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية وتنزهه عن النقص.

● التفسير :
١ قل - أيها الرسول - : هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.

٢ هو السيد الذي انتهى إليه السُّودد في صفات الكمال والجمال.

٣ الذي لم يلد أحدًا، ولم يلد أحدًا، فلا ولد له - سبحانه - ولا والد.

٤ ولم يكن له مماثل في خلقه.

سُورَةُ الْفَالِقِ

— مَكِّيَّة —

● مقصد السُّورة :
تركز على التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.

● التفسير :
١ قل - أيها الرسول - : أعتصم بربِّ الصبح، وأستجير به.

٢ من شرِّ ما يؤذي من المخلوقات.

٣ وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

٤ وأعتصم به من شرِّ السواحر اللائي يَنْفُثْنَ في العقْد.

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سُورَةُ الْفَالِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ سَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ٦

● وأعتصم به من شرِّ حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سُورَةُ النَّاسِ

— مَكِّيَّة —

● مقصد السُّورة :
تركز على الاعتصام والتحصن بالله من شرِّ الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.

● التفسير :
١ قل - أيها الرسول - : أعتصم بربِّ الناس، وأستجير به.

٢ ملك الناس، يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

٣ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.

٤ من شرِّ الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره.

٥ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس.

٦ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.

● فوائد من الآيات :

- ١ - إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه.
- ٢ - ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه.
- ٣ - علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.

فَهْرَسْتُ بِأَسْمَاءِ السُّورِ وَبَيَانِ الْكِفَايَةِ فِي مَدَنِيَّتِهَا

السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الفَاتِحَة	١	١	مَكِّيَة	العَنَكَبُوت	٢٩	٣٩٦	مَكِّيَة
البَقَرَة	٢	٢	مَدَنِيَة	الرُّوم	٣٠	٤٠٤	مَكِّيَة
آل عِمْرَان	٣	٥٠	مَدَنِيَة	لُقْمَان	٣١	٤١١	مَكِّيَة
النِّسَاء	٤	٧٧	مَدَنِيَة	السَّجْدَة	٣٢	٤١٥	مَكِّيَة
المَائِدَة	٥	١٠٦	مَدَنِيَة	الْأَحْزَاب	٣٣	٤١٨	مَدَنِيَة
الْأَنْعَام	٦	١٢٨	مَكِّيَة	سَبَأ	٣٤	٤٢٨	مَكِّيَة
الْأَعْرَاف	٧	١٥١	مَكِّيَة	فَاطِر	٣٥	٤٣٤	مَكِّيَة
الْأَنْفَال	٨	١٧٧	مَدَنِيَة	يَس	٣٦	٤٤٠	مَكِّيَة
التَّوْبَة	٩	١٨٧	مَدَنِيَة	الصَّافَّات	٣٧	٤٤٦	مَكِّيَة
يُونُس	١٠	٢٠٨	مَكِّيَة	ص	٣٨	٤٥٣	مَكِّيَة
هُود	١١	٢٢١	مَكِّيَة	الرُّمَر	٣٩	٤٥٨	مَكِّيَة
يُوسُف	١٢	٢٣٥	مَكِّيَة	غَافِر	٤٠	٤٦٧	مَكِّيَة
الرَّعْد	١٣	٢٤٩	مَدَنِيَة	فُصِّلَت	٤١	٤٧٧	مَكِّيَة
إِبْرَاهِيم	١٤	٢٥٥	مَكِّيَة	الشُّورَى	٤٢	٤٨٣	مَكِّيَة
الحِجَر	١٥	٢٦٢	مَكِّيَة	الرُّخُوف	٤٣	٤٨٩	مَكِّيَة
التَّحَل	١٦	٢٦٧	مَكِّيَة	الدِّخَان	٤٤	٤٩٦	مَكِّيَة
الْإِسْرَاء	١٧	٢٨٢	مَكِّيَة	الجاثِيَة	٤٥	٤٩٩	مَكِّيَة
الكَهْف	١٨	٢٩٣	مَكِّيَة	الْأَحْقَاف	٤٦	٥٠٢	مَكِّيَة
مَرْيَم	١٩	٣٠٥	مَكِّيَة	مُحَمَّد	٤٧	٥٠٧	مَدَنِيَة
طه	٢٠	٣١٢	مَكِّيَة	الْفَتْح	٤٨	٥١١	مَدَنِيَة
الْأَنْبِيَاء	٢١	٣٢٢	مَكِّيَة	الحُجُرَات	٤٩	٥١٥	مَدَنِيَة
الحَجَّ	٢٢	٣٣٢	مَدَنِيَة	ق	٥٠	٥١٨	مَكِّيَة
المُؤْمِنُون	٢٣	٣٤٢	مَكِّيَة	الذَّارِيَات	٥١	٥٢٠	مَكِّيَة
النُّور	٢٤	٣٥٠	مَدَنِيَة	الطُّور	٥٢	٥٢٣	مَكِّيَة
الْفُرْقَان	٢٥	٣٥٩	مَكِّيَة	التَّجَم	٥٣	٥٢٦	مَكِّيَة
الشَّعْرَاء	٢٦	٣٦٧	مَكِّيَة	القَمَر	٥٤	٥٢٨	مَكِّيَة
النَّمَل	٢٧	٣٧٧	مَكِّيَة	الرَّحْمَن	٥٥	٥٣١	مَدَنِيَة
القَصَص	٢٨	٣٨٥	مَكِّيَة	الْوَاقِعَة	٥٦	٥٣٤	مَكِّيَة

السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مَدْنِيَّة	الطَّارِق	٨٦	٥٩١	مَكِّيَّة
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مَدْنِيَّة	الأَعْلَى	٨٧	٥٩١	مَكِّيَّة
الحشر	٥٩	٥٤٥	مَدْنِيَّة	الغَاشِيَة	٨٨	٥٩٢	مَكِّيَّة
المُتَحَنَّة	٦٠	٥٤٩	مَدْنِيَّة	الفَجْر	٨٩	٥٩٣	مَكِّيَّة
الصَّف	٦١	٥٥١	مَدْنِيَّة	البَلَد	٩٠	٥٩٤	مَكِّيَّة
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مَدْنِيَّة	الشَّمْس	٩١	٥٩٥	مَكِّيَّة
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مَدْنِيَّة	اللَّيْل	٩٢	٥٩٥	مَكِّيَّة
التَّغَابُن	٦٤	٥٥٦	مَدْنِيَّة	الصُّحَى	٩٣	٥٩٦	مَكِّيَّة
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مَدْنِيَّة	الشَّرْح	٩٤	٥٩٦	مَكِّيَّة
التَّحْرِيم	٦٦	٥٦٠	مَدْنِيَّة	التَّيْن	٩٥	٥٩٧	مَكِّيَّة
الملِك	٦٧	٥٦٢	مَكِّيَّة	العَلَق	٩٦	٥٩٧	مَكِّيَّة
القَلَم	٦٨	٥٦٤	مَكِّيَّة	القَدَر	٩٧	٥٩٨	مَكِّيَّة
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مَكِّيَّة	البَيِّنَة	٩٨	٥٩٨	مَدْنِيَّة
المعارج	٧٠	٥٦٨	مَكِّيَّة	الزَّلْزَلَة	٩٩	٥٩٩	مَدْنِيَّة
نُوح	٧١	٥٧٠	مَكِّيَّة	العَادِيَّات	١٠٠	٥٩٩	مَكِّيَّة
الجن	٧٢	٥٧٢	مَكِّيَّة	القَارِعَة	١٠١	٦٠٠	مَكِّيَّة
الزَّمَل	٧٣	٥٧٤	مَكِّيَّة	النَّكَار	١٠٢	٦٠٠	مَكِّيَّة
المدثر	٧٤	٥٧٥	مَكِّيَّة	العَصْر	١٠٣	٦٠١	مَكِّيَّة
القيامة	٧٥	٥٧٧	مَكِّيَّة	الهُمَزَة	١٠٤	٦٠١	مَكِّيَّة
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مَدْنِيَّة	الفيل	١٠٥	٦٠١	مَكِّيَّة
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مَكِّيَّة	قُرَيْش	١٠٦	٦٠٢	مَكِّيَّة
النَّبَا	٧٨	٥٨٢	مَكِّيَّة	المَاعُون	١٠٧	٦٠٢	مَكِّيَّة
التَّارِغَات	٧٩	٥٨٣	مَكِّيَّة	الكَوْثَر	١٠٨	٦٠٢	مَكِّيَّة
عَبَس	٨٠	٥٨٥	مَكِّيَّة	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مَكِّيَّة
التَّكْوِيْر	٨١	٥٨٦	مَكِّيَّة	النَّضْر	١١٠	٦٠٣	مَدْنِيَّة
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مَكِّيَّة	المَسَد	١١١	٦٠٣	مَكِّيَّة
المطففين	٨٣	٥٨٧	مَكِّيَّة	الإِخْلَاص	١١٢	٦٠٤	مَكِّيَّة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكِّيَّة	الفَلَق	١١٣	٦٠٤	مَكِّيَّة
البُرُوج	٨٥	٥٩٠	مَكِّيَّة	النَّاس	١١٤	٦٠٤	مَكِّيَّة